BOBST LIBRARY
3 1142 01467 3373

Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

تجارب الأمم

Ibn Miskawayh, Aḥmad ibn Muḥammad
/ Tajārib al-umam /

أبو علي مسكويه الرازي
(٣٢٠-٤٢١)

تجارب الأمم

حققه وقدم له
الدكتور ابو القاسم امامي

الجزء الأول

دار سروش للطباعة والنشر
طهران ١٣٦٦ ش / ١٩٨٧ م

NYU BOBST-PRESERVATION

L-3951 NO-1 90

DS
272
.I22
1987
V.1
C.1

دار سروش للطباعة والنشر

طهران، شارع الأستاذ مطهّری، مفترق الدکتور مفتح، رقم ۲۲۸.

صندوق البرید ۱۱۶۳-۱۵۸۷۵. التلیفون ۷-۸۳۹۰۵۱

الطبعة الأولی: ۱۳٦٦ ش / ۱٤۰۷ ق / ۱۹۸۷ م

تنضید الحروف: سهیلا آبگینه

الإخراج: ملیحه حجتی

تصمیم الغلاف: شهرام گلپریان

الخطاط: بیژن بیژنی

الإشراف علی الطّباعة: علیرضا جمشیدی، هاشم خارابی

تمّ تنضید الحروف باللاینوترون فی دار سروش للطباعة والنشر

اللیتوغراف: مردمك

طبع من الکتاب ۵۰۰۰ نسخة علی مطابع پنگوئن

وتمّ تجلیده فی مؤسّسة میلاد للتّجلید

حقوق الطّبع: محفوظة للدار

الثّمن ۱۸۰۰ ریالٍ ایرانیٍّ

01467 3373

فهرس الموضوعات

تصدير عامُ
حول مسكويه وتصنيفه تجارب الأمم
ص13 — ص 43

مناهل دراسته 13 الفترة الّتى عاشها 16 مسكويه، لا ابن مسكويه 18 مِسكَوَيه: مُشكويه 20 أوصافه والقابه الأخرى 22 آثاره فى حقول المعرفة 23 التاريخ كما يراه مسكويه 29 مصادر مسكويه فى دراسة التاريخ 31 تجارب الأمم: إسمه 35 تجزئة تجارب الأمم 35 مخطوطات تجارب الأمم 36 تحقيق النّصّ 40.

مقدّمة المصنّف
ص ١ — ص ٣

الفيشداذيّة ومن عاصرهم
ص ٥ — ص ١٨

أوشهنج ٥ طهومرت ٦ جمّشيذ ٦ بيوراسب وماجرى بينه و بين كابى الاصبهانى ٨ ملك افريذون ١٠ منوشهر ١٢ خطبة منوشهر ١٢ منوشهر والرايش بن قيس ١٦ ظهور موسى فى أيّام منوشهر ١٧ زوّ بن طهماسب ١٨.

الكينّة ومن عاصرهم

ص ١٩ — ص ٤٢

كيقباذ بن زوٌ ١٩ كيقابوس وماجرىٰ على ابنه سياوخش ٢٠ ملك كيخسرو بن سياوخش بن كيقابوس ٢٣ لهراسب وماكان من أمر بختنصر ٢٦ كيرُش ٢٨ أخشوارس ٢٨ كيرُش ٢٨ ملك كى بشتاسف بن كى لهراسف ٢٩ ظهور زردشت ٣٠ ياسر أنعُم ٣٢ تُبع ٣٣ أردشير بهمن ٣٣ خُماى ٣٤ دارا الأصغر ٣٥ ممّا يُحكى عن الإسكندر وحيله: الإسكندر و دارا ٣٥ ذكر حيلة للإسكندر ٣٧ حيلة أخرى ٣٧ حيلة أخرى له ٣٨ الإسكندر وأرسطو طالس ٣٨ الإسكندر ومَلِك الصّين ٤٠ البطالسة ٤٢.

الأشغانيّة ومن عاصرهم

ص ٤٣ — ص ٥٥

ملك جوذرز بن أشكان ٤٣ ذكر حيلةٍ لبعض ملوك الرّوم ٤٤ ذكر سبب طمع العرب فى أطراف الفرس ٤٥ من عاصر الأشغانيِّين من ملوك العرب: مالك بن فهم، ثمّ عمرو بن فهم، ثمّ جذيمة الأبرش ٤٦ عمرو بن ظَرِب ٤٧ الزبّاء ٤٧ قصير بن سعد ٤٨ ذكر حيلةٍ لقصير على الزّباءِ تمّت له عليها ٤٩ عَمرو بن عدىٍّ ٥٢ طسم وجديس ٥٢.

الساسانيّة ومن عاصرهم

ص ٥٥ — ص ١٤٥

أردشير بن بابك ٥٥ عهد أردشير ٥٦ إنتهاءُ الملك إلى سابور بن أردشير ٦٩ توالى ستّة ملوك ٧١ سابور الملقب بذى الأكتاف ٧٢ ذكر حيلةٍ لقسطنطين ٧٤ لليانوس ملك الرُّوم ٧٤ عاقبة سرف سابور فى القتل وتخلّصه بحسن الإتّفاق ٧٥ سوءُ تحفّظ ليانوس ٧٦ أردشير بن بهمن ٧٧ سابور بن سابور ذى الأكتاف ٧٧ بهرام بن سابور ذى الأكتاف ٧٧ يزدجرد الأثيم ٧٧ بهرام جور ٧٨ كسرى ٧٩ حيلة بهرام جور على خاقان ٨٣ يزدجرد بن بهرام جور ٨٥ حسن سياسة من فيروز ٨٦ حيلة تمّت لملك الهياطلة على فيروز ٨٧ عاقبة غدره ٨٨ بلاش بن فيروز ٨٨ قباذ بن فيروز ورأى من آرائه الجيّدة ٨٩ سوءُ تدبير قباذ عند ظهور مزدك ٩٠ ذكر حيلة تمّت لأُخت

قباذ حتّى أخرجته من الحبس ٩٠ سبب هلاك قباذ ٩١ ذكر ماتمُ لتُبع، وابن أخيه شمر، وابن أخيه حسّان بعد احتوائهم على مملكة الفرس ٩٢ كسرى أنوشروان ٩٤ من ثمرة أعماله ٩٥ تدبيره للمزدكيّة وتدابيره الأخرى ٩٦ فتوح أنوشروان ٩٧ تدابير أنوشروان لاستغزار الأموال وتثميرها ٩٧ ذكر قطعة من سيرة أنوشروان و سياساته على ماحكاه أنوشروان نفسه فى كتاب عمله فى سيرته ١٠٠ رجل اخترط السّيف وأراد الوثوب علينا ١٠٠ استحلال قتلى ١٠١ تصدّقتُ على مساكين الرّوم ١٠١ تخفيف الخراج لعمارة الأراضى ١٠١ مارفع إلينا موبذان موبذ ١٠٢ ماسألته الترك ومسيرنا إلى باب صول ١٠٢ تجديد النظر فى أمر المملكة ١٠٥ جلوسنا مع أهل الكور ١٠٥ ماكتبه إلينا أربعة أصناف من ترك الخزر ١٠٦ خاقان الأكبر يعتذر إلىّ ويسأل التجاوز ١٠٧ المقاتلة وأهل العمارة سواءٌ ١٠٨ أقبلنا بعد ذلك على السِّيَر والسُّنن ١٠٩ خطبة أنوشروان ١١١ هرمزبن أنوشروان وسيرته المرتضاة ١١٤ ذكر سوء اختياره جُندَه وبهرامَ جوبين حتى هلك ١١٦ ذكر الحيلة الّتى تمّت لأبرويز حتّى أفلت من بهرام ١١٨ ذكر سوء سياسةٍ اتّفق على أبرويز فى جُنده حتّى ظهر الرُّوم عليه ١٢١ يوم ذىقار وحرب العرب والفرس فى أيّام كسرى ١٢٥ قتل النعمان بن المنذر وأسبابه ١٢٥ حيلة لعدىّ بن أوس على عدىّ بن زيد ١٢٧ كسرى يكتب فى إرسال عدىٍّ وعدىٌّ يُقتل ١٢٩ زيد بن عدىٍّ يخلف أباه عند كسرى ١٣٠ فرصةٌ انتهزها زيدٌ ١٣١ صفة جارية أهداها المنذر الأكبر إلى أنوشروان ١٣١ كسرى يدعو النّعمان وهو يحمل السّلاح ١٣٣ إياسٌ وما أدّى إلى يوم ذىقار ١٣٤ رأىٌ جيِّد رآه قيس بن مسعود لهانىٍّ ١٣٥ ذكر حيلة أبرويز على ملك الرُّوم ١٣٨ ذكر سبب هلاك أبرويز وقتله ١٤٠ ذكر عاقبة شيروية بن أبرويز ١٤٢ مُلك أردشير بن شيروية ١٤٢ ذكر غلطه فى أمر شهربراز ١٤٢ مُلك شهر براز ١٤٣ بوران بنت كسرى أبرويز ١٤٣ مُلك جُشنَسبَنْده ١٤٣ آزرمىدخت ابنة كسرى أبرويز ١٤٤ كسرى بن مهر جشنس أو فيروز ١٤٤ فرُّخ باذخسرو ١٤٥ مُلك يزدجرد بن شهريار بن أبرويز ١٤٥.

عصر النبىّ والخلفاءِ الراشدِين

ممّا جرى فى غزوات الرّسول(ص)

ص ١٤٩ — ص ١٦٢

من تدابيره البشريّة فى غزوة الخندق ١٤٩ اتّفاقٌ جيِّد ١٥٢ ومن ذلك ماكان يوم حُنين

وفيه ذكر لدريد بن الصمّة وبعض آرائه ١٥٣ ومن ذلك ماكان بعد ظهور الأسود العنسيّ الكذّاب ١٥٦ أسماء كتّاب النبيّ صلّى‌الله عليه ١٦١.

ممّا حدث فى خلافة ابى‌بكر

ص ١٦٣ — ص ١٨٠

ومن صرامة رأيه وحصافته ١٦٣ عقد أحد عشر لواءً لمحاربة أهل الردّة ١٦٥ صرامة عمر وحصافته فى هذا الوقت ١٦٦ اسلام طُليحة بعد ادّعائه النّبوّة ١٦٧ مكيدة للفجاءة على أبى‌بكر ١٦٨ قتل مسيلمة فى حديقة الموت ومكيدة لمُجّاعة على خالد ١٦٨ ومن الآراء السديدة ماكانت من خالد بالشّام يوم اليرموك ١٧١ من عجيب ماركبه خالد ١٧٥ المثنّى بن الحارثة والفرس ١٧٨ أسماء كتّاب أبى‌بكر ١٧٩.

مما حدث فى خلافة عُمر

ص ١٨١ — ص ٢٦٢

عُمر يقاسم خالدًا ماله ١٨١ من حديث خالدٍ وفتح دمشق ١٨٢ اتّفاق جيّد للمسلمين ١٨٣ عُمر وانتداب أبى عُبيد للخروج إلى فارس ١٨٤ قدوم أبى عُبيد مع المثنّى بعد استخراج الفرس يزدجردَ وتتويج بوران رستمَ ١٨٥ السَقاطية بكسكر ١٨٦ خطأ فى الرّأى ١٨٨ روٌيا رأتها امرة أبى عُبيد ١٨٨ يوم البويب ١٩١ القادسيّة وأيّامها ١٩٥ تدبير دبّره يزدجرد للإسراع فى تسلّم أبناءِ الحرب يوم الأرماث ١٩٩ يوم أغواث ٢٠٢ قصّة أبى‌محجن مع سلمىٰ وسعد ٢٠٤ يوم عِماس ٢٠٦ إتفاق جرى فى يوم عماس ٢٠٨ ماجرى فى يوم أرماث ٢٠٨ درفش الكابيان وغيره من الأسلاب ٢١٢ خديعة عَمرو لأرطبون ٢١٤ سعد بن أبى وقّاص يقدّم زهرة إلى بهرسير ٢١٥ ذكر استهانة فى الحرب عادت بهلكة ٢١٦ بهرسير وأبيض كسرى ٢١٧ مبادرة يزدجرد إلى حُلوان ٢١٩ دخول المسلمين المدائن ٢١٩ تاج كسرى وأدراعه ٢٢٠ عُمر وتاج كسرى ٢٢٢ بساطٌ يساوى جريبًا ٢٢٢ وقعة جلولاء ٢٢٤ استيذان عُمر فى الإنسياح ٢٢٦ ماعامل به عُمر خالد بن الوليد ٢٢٧ علاء بن الحضرمى وعاقبة عصيانه ٢٢٨ ارسال الهرمزان إلى المدينة ٢٣٠ ذكر خديعة للهرمزان حتّى آمنه عُمر ٢٣٢ عمر واللغة الفارسية ٢٣٢ ذكر رأى صحيح للأحنف بن قيس ٢٣٢ يزدجرد يمضى إلى إصطخر

وسياه يشترط للإسلام ٢٣٤ سياه يرى الدُخول فى الإسلام ٢٣٤ ذكر مكيدة فى فتح حصن ٢٣٥ ذكر حيلة قوم وسياسة لعمر ٢٣٦ يوم نهاوند: فتح الفتوح ٢٣٦ ذكر آراءٍ صحَّ منها واحد ٢٣٨ ابتداء و قعة نهاوند ٢٣٩ ذكر خديعة للهرمزان ماتمّت له على عمر وماجرى بعد ذلك ٢٤٠ ذكر آراء صحَّ أحدها على طريق المكيدة ٢٤٣ دخول نهاوند ٢٤٦ فتح الرَّىّ ٢٤٨ فتح قومس ٢٤٩ فتح جرجان و طبرستان ٢٤٩ فتح آذربيجان ٢٥٠ فتح الباب والفتوح التى كانت بعده ٢٥١ ذكر ماجرى بين يزدجرد و آبان جاذويه فى الرَّىّ ٢٥٣ غزو خراسان وهزيمة يزدجرد فى بلخ ٢٥٣ ذكر راى صحيح فى وقت شدّة ٢٥٤ حوار بين خاقان ورسول يزدجرد ٢٥٧ ذكر كُتّاب عُمر و جُمل من سياسته ٢٥٨.

خلافة عثمان بن عفّان

ص ٢٦٣ — ص ٢٩٢

ذكر مايجب ذكره من حديث الشورى وما يليق منه بهذا الكتاب ٢٦٣ ذكر خدعة أشار إليها علىٌّ ٢٦٥ مقتل يزدجرد وماتمَّ عليه من الاتّفاقات الطّريفة ٢٦٦ يزدجرد والطّحّان ٢٦٨ رواية أخرى ٢٦٩ ماجرى فى خلافة عثمان ممّا تستفاد منه تجربة ٢٧١ أهل الكوفة يردّون سعيد بن العاص ٢٧٣ كثر الناس على عثمان وكلّموا عليًا فيه ٢٧٤ ثمَّ دخلت سنة خمس وثلاثين ٢٧٦ راكبٌ له شانٌ ٢٨٢ يوم الدار ٢٨٨ أسماء كُتّاب عثمان ٢٩٠ سقوط كاتب من عين عثمان ٢٩٠ ذكر تدبير تمَّ لعثمان بمعاونة علىٍّ لمّا حُصر عثمان الحصار الأوّل ٢٩٠.

خلافة الإمام على

ص ٢٩٣ — ص ٣٨٣

ذكر رأىٍ جيِّد للمغيرة ٢٩٦ رأى لابن عبّاس وما أشار به على علىٍّ ٢٩٧ علىٌّ يفرّق عمّاله على الأمصار ٢٩٨ علىٌّ يدبّر لقتال أهل الفرقة بالشّام ٣٠١ إبتداء وقعة الجمل ٣٠٢ طلحة والزبير يريدان البصرة للاصلاح ٣٠٢ عايشة تريد طلحة ٣٠٢ من استجاب لعايشة ومن اعتزل ٣٠٢ موقف آخر لسعيد بن العاص ٣٠٣ سؤال وتنازعٌ حول الامرة ٣٠٣ إتفاق ٣٠٤ علىٌّ يستشير النّاس والحسن يذكر له ماكان قد أشار به عليه

قبلُ ٣٠٥ عثمان بن حُنيف يبعث رسولين إلى عايشة وطلحة والزبير ٣٠٦ كيد كاد به عثمان بن حنيف ٣٠٨ إنتهاء عايشة ومَن معها إلى المربد ٣٠٨ قتال وتوادع ٣٠٩ ماجرى على عثمان بن حُنيف ٣١٠ قتال شديد ضرب فيه رجل ساق حكيم ٣١٠ ماذا يجرى فى الكوفة ٣١٢ علىٌ يرسل القعقاع إلى البصرة ٣١٣ ذكر السبب فى نقض ما أشرف عليه القوم من الاصطلاح ٣١٦ ذكر آراءِ هؤلاءِ وما تقرّر عليه الرّأى ودبُّوا له من الحيلة فى نقض الصُّلح ٣١٦ ذكر فتوَى لعلى بن أبى‌طالب عليه‌السلام فى تلك الحال ٣١٨ علىٌ يخطب سائلاً كفَّ الألسن والأيدى ٣١٩ ماجرى بين علىٌ وطلحة والزّبير من حديث ٣٢١ مايُحفظ من كلام الأحنف فى الاعتزال وحضّ النّاس عليه ٣٢٢ أوّل ما أحدثته عائشة ٣٢٤ سيرة علىٌ فى من قاتل يوم الجمل ٣٣٠ السبائية ترتحل بغير إذن علىٌ ٣٣٠ تجهيز علىٌ عائشة ٣٣١ ماجرى بين معاوية وقيس ٣٣١ ذكر مكيدة معاوية لقيس ٣٣٢ إبتداءُ وقعة صِفّين ٣٢٤ القتال على الماءِ ٣٣٧ إقتتلوا ولكلٌ فئةٍ أحدَ عشر صفًا ٣٤٠ خطبة فى حضٌ على حربٍ و وصايا فيها ٣٤٣ خطبة يزيد بن قيس الأرحبىّ ٣٤٣ إنتهاء ابن بديل إلى قبّة معاوية ٣٤٤ كلامٌ بين علىٌ والحسن أثناءَ القتال ٣٤٤ مالك يحضُّ المنهزمين على الصُّمود ٣٤٥ إبن بُديل يعصى مالكًا ويُقتل ٣٤٧ علىٌ يُبارز معاوية ٣٥٠ مادبّره علىٌ لإزالة كتيبة ٣٥١ العالى من جعل المعركة خلف ظهره ٣٥١ الظّفر يلوح للأشتر ومعاوية يلتمس حيلة ٣٥٢ ذكر مكيدة عمرو بن العاص ٣٥٣ القُرّاءُ يُهدّدون عليًا ويُطالبون ترك القتال ٣٥٥ مالك يضع القتال ويُقبل بعد أن رأى النّصر ٣٥٦ قبول النّاس التحكيم واستعلام معاوية ٣٥٧ علىٌ لايرضى بأبى موسى والنّاس يأبون إلاّ إيّاه ٣٥٨ ذكر رأى للأحنف ٣٦٠ مالك يأبى أن يخطّ اسمه فى صحيفة التّحكيم ٣٦١ ذكر خديعة أجازها معاوية على نفسه ٣٦٢ ماقاله علىّ بن أبى‌طالب لأصحابه ٣٦٣ ذكر حيلةٍ للمغيرة بن شعبة ليعلمَ: أيجتمع الحكمان أم يفترقان ٣٦٤ ذكر الخديعة الّتى خدع بها عمرُو اباموسى ٣٦٥ رواية أخرى فى ذلك ٣٦٦ ذكر من خالف علىٌ بن ابى‌طالب فى رأيه وماكان من جوابه واعتذاره ٣٦٧ بكاء النّساءِ على القتلى وماقاله علىٌ لابن شُرحبيل ٣٦٨ مروره بالناعطيّين وماقاله فيهم ٣٦٩ تشاتم القوم واضطرابهم بالسِّياط ٣٧٠ مفارقة الخوارج عليًا ونزولهم بحروری وعدم دخولهم الكوفة مع علىٌ ٣٧٠ مادار بين شيعة علىّ والخوارج عند دخوله الكوفة ٣٧٠ ذكر احتجاج الخوارج مع علىٌ ٣٧١ صياحٌ أثناءَ خطبته ٣٧٢ ذكر ماجرى بينهم من الجدال

ورجــوعهم مع علىّ وهذه الدفعــة الأولى من خــروجهم ٣٧٢ إبتداء يوم النّهــر ٣٧٥ استبدال الشّام بالنّهر ٣٧٦ إتّفاق جيّد وقع لمالك ٣٧٧ ذكر سياسة لهذا الوجه ٣٧٨ دخول بُسر بن أرطاة المدينة ومكّـة وهروب عمّال علىٌّ ٣٧٨ العـراق لعلىٌّ والشّـام لمعـاوية ٣٧٩ تحالف الخوارج لقتل علىٌّ، ومعاوية، وعمروبن العاص ٣٧٩ ما جـرى بين ابن ملجم وقَطام فى الكـوفة ٣٨٠ قتل ابن ملجــم وحــرقُه ٣٨١ ماكان من أمر بُرَك ومعاوية ٣٨٢ ماكان من أمر عمرو بن بكر، وعمرو بن العاص ٣٨٢ ماقالته عائشـة فـى قتل علىٌّ ٣٨٣ أسماء كُتّاب على بن أبى طالب ٣٨٣.

بيعة الحسن بن على

ص ٣٨٥ — ص ٣٨٨

نزع قيس وتأمير عبيدالله بن عبّاس ٣٨٥ ذكر مكيدة لمعـاوية ٣٨٦ كتاب كتبه الحسـن بن على إلى معاوية فى الصلح ٣٨٦ ذكر حيلة واتفـاق طـريف فــى هذا الشّــرط ٣٨٧ معاويةُ يكايد قيس بن سعد ٣٨٧ الدُّهاة الخمسة ٣٨٨ ماقاله الحسن بن علىٌّ فى خطبته بعد الصُّلح وقبل أن يغادر الكوفة إلى المدينة ٣٨٨.

تصديرٌ عامٌ

حول مسكويه وتصنيفه تجارب الأمم

مناهل دراسته

لم يَرِدْ فى المصادر القديمة التى وصلت إلينا، ذكر بالتفصيل عن حياة مسكويه يُجيب على الكثير من الأُسئلة المطروحة أمام دارسيه. وكلّ مالدينا هو قطعٌ مبعثرةٌ فى هذا المصدر أو ذاك، كتبها أصحاب التراجم ومؤرّخو الحكمة، وهى نزرٌ قليلٌ للغاية. ومن حسن الحظّ أن نرى كاتبًا حكيمًا من كبار الحكماءِ المعاصرين لمسكويه، مَن يعرف مسكويه عن كثبٍ ويقدّر القيم الّتى تنطوى عليها شخصيّته، نراهُ ولم يُقنعه ما كتبه عن مسكويه فى كتابه بقدر ماكتبه حول الحكماءِ الآخرين، بالإختصار والتلخيص، بل يَعِدُنا فيه أنّه سيخصّص رسالةً بمسكويه يعالج فيها مزيدًا من تفاصيل حياته. وهذا الحكيم هو أبو سليمان المنطقى الّذى يُعدُّ بدوره من أعظم الحكماءِ فى تلك الحقبة. ثمّ نرى ـ وهذا من سوءِ الحظّ ـ أنّ ما وعده أبوسليمان لم يصل إلينا أيضًا، سواءٌ لم يوفّقْ فى إنجاز ماوعد، أو لأنّه أنجزه، ولكنّ صروف الدّهر هى الّتى حرمتنا هذه الوثيقة الّتى كان من شأنها أن تغنينا ممّا هو مبعثر هنا و هناك، وليس إلاّ تردادًا لقليلٍ من الكثير اللازم فى التعرُّف على حياة مسكويه. أمّا ما وعده أبوسليمان، فهو ماقاله فى كتابه صوان الحكمة: «... أمّا ماسمعته من مجارى حياته، وشاهدته من سيره الحسنة، وأخلاقه الطاهرة، فسأُفرد فيه رسالةً أقصرها على ذلك، إذ ليس يحتمل هذا الموضع أكثر ممّا ذكرتُه.»

وكان ظهور هذا الوعد فى الصّوان، ومصيره المجهول بعد ذلك، بالنّسبة للمعنيّين بدراسة مسكويه «غمامةٌ أبرقتْ ـ كما قال القائل ـ قومًا عِطاشًا، فلمّا رأوها، أقشعتْ وتجلّتْ» ولم تُمطر مايشفى غليلَهم.

وأمّا تصنيفه تجارب الأُمم، الّذى ضمّنه فى الجزأين الأُخيرين منه حوادثَ عصره، ومن خلالها بعضَ حوادث حياته، فهذا المصدر أيضًا، يتوقّف عند سنة ٣٦٩هـ ، وهذا يعنى أنّ

مسكويه عاش بعد ذلك حوالى نصف قرنٍ، تاركًا كتابة الحوادث المتبقّية من عصره، الحوادث الّتى كان من شأنها أن تُلقىَ مزيدًا من الضّوءِ على النّصف الثانى من حياته أيضًا، وذلك من خلال اتّصاله الوثيق بالشّخصيّات الدخيلة فى تلك الحوادث، حيث كان مسكويه من وجوه أوساطهم.

ومهما يكن من أمر المصادر، فإنّنا لانعمد هنا الخوض فى تفاصيل حياة مسكويه، بل نكتفى بإيراد أهمّ المصادر الّتى فيها ترجمة أوذكر لمسكويه، نُثبتها فى أربع فئاتٍ:

أ ـ آثاره كسيرةٍ ذاتيّةٍ: إنّ مسكويه قد يتحدّث فى مطاوى آثاره عن نفسه، بأحاديث لها دلالات مهمّة فى معرفة أحواله وبعض نواحي حياته، وأخصّ بالذّكر تهذيب الأخلاق، والهوامل والشّوامل، والجزء الأخير من تجارب الأمم.

ب ـ المصادر المعاصرة لمسكويه (٣٢٠-٤٢١ هـ): ١) أبوحيّان التّوحيدى (٣٢٠-٤١٤ هـ) فى الامتاع، والمقابسات، ومثالب الوزيرين، والصداقة والصديق. ٢) أبوسليمان المنطقى (العقد الأوّل من القرن الرابع ـ ٣٩١ هـ) فى كتابه صوان الحكمة. ٣) أبومنصور الثّعالبى (٣٥٠-٤٢٩ هـ) فى تتمّة اليتيمة. وأمّا ماذكره عن مسكويه فى اليتيمة نفسها فلايتجاوز نقل بيتين من شعر مسكويه قالهما فى ابن العميد. ٤) أبوبكر الخوارزمى (المتوفّى سنة ٣٨٢ هـ) فى رسائله. ٥) بديع‌الزمان الهمذانى (...-٣٨٩ هـ) أيضًا فى رسائله.

ج ـ المصادر المتأخّرة عن عصر مسكويه: ١) البيهقى (المتوفى سنة ٥٧٥ هـ) فى مخطوط كتابه تاريخ حكماءِ الإسلام، عند كلامه عن الفيلسوف ابن الطيّب وتطاول ابن سينا على علماءِ عصره. وهو مخطوط يتشابه كما قال عزّت (ص ١٤٦) فى هذا الموضوع وغيره مع كتاب آخر مطبوع هو تتمة صوان الحكمة، بل هما كتاب واحدٌ بعنوانين مختلفين، نشر عزت فى كتابه (ص ١٤٦) النصّ الخاصّ بمسكويه، كما نُشر الكتاب بكامله فى دمشق سنة ١٩٤٣.
٢) ابن أبى أُصيبعة (٥٧٩-٦١٦ هـ) فى عيون الأنباءِ فى طبقات الأطبّاءِ. ٣) ياقوت (المتوفى سنة ٦٢٩ هـ) فى معجم الأدباء أو إرشاد الأريب. ٤) القفطى (٥٦٤-٦٥٦ هـ) فى إخبار العلماءِ بأخبار الحكماءِ. ٥) الشهرزورى (عاش شطرى القرنين السادس والسابع) فى

مخطوطة نزهة الأرواح وروضة الأفراح. و تجد النّص منشورًا في عزّت (ص ١٤٤). وكلام الشهرزوري في هذا النّصّ اقتضاب محرّف من كلام أبي سليمان المنطقي في نشرة بدوي (ص ٣٤٦). والعجيب من أمره أنّك تجد في نصّ الشهرزوري هذه العبارة: «إلى وقتنا هذا» دون إشارة إلى أنّ الكلام لأبي سليمان وأنّ الوقتَ وقتُه و وقت مسكويه. ٦) الصفدي (٦٩٦-٧٦٤ هـ) في الوافي بالوفيات. ترجم له في هذا الكتاب (٢:٢٦٩) بترجمة وافقت ترجمته في معجم ياقوت. ٧) حاجي خليفة (... -١٠٦٧ هـ) في كشف الظّنون. ٨) عبدالله أفندي التبريزي الاصفهاني (من أعلام القرن الثاني عشر) في رياض العلماء. ٩) الخوانساري (١٢٢٤-١٣١٣ هـ) في الروضات. ١٠) السيد حسن الصّدر (١٢٧٢-١٣٥٤ هـ) في تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، وفي الشيعة وفنون الإسلام. ١١) محمدعلي مدرس (١٢٩٦-١٣٧٣ هـ) في ريحانة الأدب. ١٢) الطهراني (١٢٩٣-١٣٨٩ هـ) في الذريعة، وذلك عند ذكره لآثار مسكويه.

د ـ الدراسات الحديثة: أمّا الدراسات الحديثة التي قام بها الباحثون في الشرق والغرب، فبالإضافة إلى مانشر منها في دوائر المعارف، أو في تواريخ الفلسفة الإسلاميّة، أو في الفهارس، أو في المجلات العلميّة، أو في معاجم الأعلام، أو في مقدمة النشرات لآثار مسكويه، وغيرها؛ فإنّ هناك دراسات أخرى مُسهبة مستقلة، أنجزت أيضًا، حول مسكويه ونقد آثاره وتقييم أعماله العلمية. وهي حسب تاريخ النشر: الدكتور عزيز عزّت: «ابن» مسكويه وفلسفته الأخلاقيّة ومصادرها (القاهرة ١٩٤٦ م)؛ والدكتور عبدالرّحمن بدوي: مقدمته المسهبة على نشرته لجاويدان خرد (الحكمة الخالدة القاهرة ١٩٥٢ م، طهران ١٣٥٨ هـ ش)؛ والدكتور عبدالحق أنصاري: فلسفة مسكويه الأخلاقيّة (بالإنجليزية عليكره ١٩٦٤ م)؛ M. S. Knan: مسكويه، حياته وآثاره، بالإنجليزية. أخبرنا بذلك في نشرته لرسالة مسكويه في ماهيّة العدل (ليدن ١٩٦٤ م: ص ١ حاشية ١) ولكنّنا لم نجد أيّ إشارة إلى هذا الكتاب في الدراسات الّتي أنجزت بعد ذلك؛ والدكتور أركون (M. Arkoun): الإنسيّة العربيّة في القرن الرابع الهجري، مسكويه الفيلسوف والمؤرّخ (باللغة الفرنسية، باريس ١٩٧٠ م)؛ وأخيرًا فإنّ لنا أيضًا دراسةً عن مسكويه أعددناها باللغتين الفارسيّة والعربيّة حاولنا فيها سدّ الفراغ المشهود هنا في ايران من حيث دراسة مسكويه دراسة شاملة، مع العلم بأنّه ايرانيٌّ ورازيٌّ.

الفترة الّتى عاشها

عاش مسكويه حوالى مائة سنة، ووصل إلى أرذل العمر الّذى امتدّ من سنة ٣٢٠ هـ على الأقوى، إلى التاسع من صفر سنة ٤٢١ هـ بالتحديد على ماذكره ياقوت نقلاً عن يحيى بن مَندة. ويبدو أن مرجوليوث هو أوّل من حاول تحديد مولد مسكويه، وذلك فى المقدمة التى قدمها لترجمته الإنجليزية للجزأين الأخيرين من تجارب‌الأمم (أنظر: the Ecl., Pref., P. ii)، فنراه وقد حدّد مولد مسكويه «مؤقّتًا» سنة ٣٣٠ هـ ، ثم يعود قائلاً: «أو أسبق بقليل». ثمّ يحاول الدكتور عزت (ص ٧٩-٨٠) تقديم هذا التاريخ من ٣٣٠ إلى ٣٢٥ هـ كما يقدّمه الدكتور عبدالرحمن بدوى (ص ٢٠-٢١) أكثر من ذلك ويجعله سنة ٣٢٠ قائلاً: «إن لم يكن قبل ذلك». وأمّا الدلائل أو الأمارات الموجودة لتحديد مولد مسكويه فهى:

١) ماقاله مسكويه نفسه فى تجارب الأمم فى مقدمة حوادث سنة ٣٤٠ فصاعدًا، وذكر مصادره فى تقرير تلك الحوادث. قال: «اكثر ما أحكيه بعد هذه السنة، [أى بعد سنة ٣٤٠ هـ] فهو عن مشاهدة وعيان، أو خبر محصّل يجرى عندى خبره مجرى ماعاينته. وذلك أنّ مثل الأُستاذ الرئيس أبى الفضل محمد بن الحسين بن العميد - رضى الله عنه - خبّرنى عن هذه الواقعة وغيرها بمادبّره وما اتّفق له فيها، فلم يكن إخباره لى دون مشاهدتى فى الثّقة والسُكون إلى صدقه، ومثل أبى محمد المهلّبى - رحمه‌الله - خبّرنى بأكثر ماجرى فى أيّامه، وذلك بطول الصحبة وكثرة المجالسة، وحدّثنى كثير من المشايخ فى عصرهما بما يستفاد منه تجربة وأنا اذكر جميع مايحضرنى ذكره، وما شاهدته وجرّبته بنفسى فسأحكيه أيضًا بمشيئة الله.»

٢) ماقاله مسكويه فى تجارب الأُمم أيضًا عن نفسه، (انظر حوادث سنة ٣٤١)، وذلك عند ذكر معزّ الدولة بالحدّة والبذاءة، وموقف الوزير المهلّبى من أخلاقه. قال مسكويه: «وكان معزّالدولة حديدًا سريع الغضب بذىءَ اللسان، يُكثر سبَّ وزرائه والمحتشمين من حشمه، ويفترى عليهم، فكان يلحق المهلّبى - رحمه الله - من فحشه وشتمه عرضَه مالاصبر لأحدٍ عليه، فيحتمل ذلك احتمال مَن لايكترث له وينصرف إلى منزله، وكنتُ أنادمه فى الوقت، فلا أرى لما يسمعه فيه أثرًا، ويجلس لأنسه نشيطًا مسرورًا.....»

أمّا فى الدليل الأوّل فيحدّثنا مسكويه عن «طول الصحبة وكثرة المجالسة» الّتى كانت بينه وبين الوزير المهلبى، وفى الدليل الثانى يقول: «وكنتُ أنادمه فى الوقت.»

والمعروف أنّ المهلّبى قد تولّى الكتابة لمعزّالدولة سنة ٣٣٩ هـ وخوطب بالوزارة سنة ٣٤٥ هـ ، وتوفّى فى شعبان سنة ٣٥٢ (انظر التجارب، حوادث سنوات ٣٣٩، ٣٤٥، ٣٥٢)، والفتره

الواقعة بين سنتى ٣٣٩ و ٣٥٢ هى الّتى كانت فيها تلك المنادمة والصحبة والمجالسة الّتى وصفها مسكويه بالكثرة والطول. نعم صحيحٌ أنّه «قد صحب الوزير المهلّبى فى أيّام شبيبته» - كما صرّح به أبوسليمان أيضًا فى الصّوان (ص ٣٤٦-٣٤٧) - ولكنّ مسكويه فى هذه الشبيبة، لايمكن أن تكون سنُه أقلّ من ٢٥ سنة، وخاصّةً بالنظر إلى أنّه «كان من خواصّه ووجوه المختصّين به» - كما أضاف أبوسليمان - وكان من الحنكة والبصيرة على مستوىً جعل المهلّبى يتخذه نديمًا له و «يُخبره بأكثر ماجرى فى أيّامه»، كما جعل مسكويه يعدُّ نفسَه مصدرًا من مصادر تاريخ سنة ٣٤٠ فصاعدًا، وذلك فى قوله: «وأنا أذكر جميع مايحضرنى ذِكرُه، وما شاهدتُه وجرّبتُه بنفسى، فسأحكيه بمشيئة الله.» فبذلك لايصحّ أن يكون مولده بعد سنة ٣٢٠، كما تكون منادمته وصحبته الطويلة ومجالسته الكثيرة للوزير المهلّبى ابتداءً من عام ٣٤٥ أى دون احتساب الخمس السنوات الأولى (٣٣٩-٣٤٤ هـ) من وزارة المهلّبى وذلك لبعض الإحتمالات السلبيّة الّتى قدتعترى هذا الإفتراضَ.

٣) وهناك دليل آخر، وهو دليل على طول عمره أكثر من كونه دليلاً على تحديد سنواته أو تحديد ميلاده، وهو أنّ لمسكويه أبياتًا يشكوفيها «سوءَ أثر الهرم وبلوغه أرذلَ العمر» (أنظر الثعالبى، التتمّة ص ٩٦).

فبهذا لانستبعد أن يكون مسكويه قد عُمِّر مائةَ سنة كاملة (٣٢٠-٤٢١) إن لم نقل أكثر من ذلك، وعاش قرنًا كاملاً هو ألمع القرون الإسلاميّة حضارةً، وهو عصر النّهضة فى الإسلام كما سمّاه آدم متز. وإذا عرفنا أنّ دولة البويهيين قد بدأت هى أيضًا فى سنة ٣٢٠ هـ ، فيكون مسكويه والدولة البويهية، تِربَين ، أو، لِدَين ، تعاصرا قرنًا كاملاً. والسنوات المائة هذه كانت قمّةَ ازدهار تلك الدولة. وأمّا السنوات المتبقّية من عمر الدولة (٢٧ = ٤٢١-٤٤٨ هـ) فهى سنواتُ تنحدر الأسرة البويهيّة فيها، إلى حضيض الضعف والإضمحلال. فبذلك، يُصبح مسكويه وثيقةً حيّةً من أوثق وثائق تلك الحقبة التاريخيّة الّتى لها خصائص وميزات فى تاريخ الفكر والعلم الإسلاميين، وإن كانت بالنسبة للخلافة العباسية عصر تفكّك وتعدُّدٍ فى مراكز الحكم، وهذا بالذات، أدّى إلى تعدّد مراكز العلم أيضًا، كما أدّى إلى ازدهار تلك المراكز، ونبوغ العلماءِ المنتمين إلى مختلف أرجاءِ العالم الإسلامى آنذاك، وذلك لتنافس الأُمراءِ وتفاخرهم فيما بينهم باجتذاب العلماءِ والأدباءِ إلى بلاطاتهم. فنبغ فى غضون ذلك رجال علم وحكمة وأدب وسياسة عاصرهم مسكويه وعاصروه، وكان مسكويه على اتّصالٍ وثيقٍ بكثيرٍ منهم.

مسكويه، لا ابن مسكويه

واختلفوا لاسيّما فى القرون الإسلامية الأُخيرة فى أنّه: من هو الملقّب بمسكويه؟ هو، أو ابوه محمّد، أو جدّه يعقوب؟

والواقع أنّ مسكويه لقبه هو، وامّا الاختلاف الموجود بهذا الصدد، فيرجع أولاً، إلى عدم الإنتباه إلى التسمية الّتى سمّاه بها معاصروه من أصدقائه وزملائه، وثانياً، لأنّ بعض المتأخرين رأوا مسكويه يسمّى نفسه بشكل لايمكن معه البتُّ، لولم نستدلّ بما دعاه معاصروه. فإنّنا نراه قد يسمّى نفسَه «الأستاذ أحمد بن محمد مسكويه» (أنظر التجارب 136 ,6 ;310 ,5؛ جاويدان خرد [الحكمة الخالدة]: ٣٧٥)، كما قد يسمّى «أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه» (أيضًا جاويدان خرد ص ٥؛ و رسالته إلى ابى حيّان فى ماهيّة العدل، ص ١٢).

فوقوع «مسكويه» تارة بعد اسم أبيه محمد، وتارة بعد اسم جدّه يعقوب، كان سبب الخطأ الّذى شاع فى ما بعد، فى ضبط اسم مسكويه، فأوهَمَ بعضَ الكتّاب أنّ مسكويه لقبٌ لأبيه، اوجدّه، فكتبوه: «أحمد بن مسكويه»، أو: «أحمد بن محمد بن مسكويه» أو بشكل أغرب: «أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه»، بمعنى أنّ «مسكويه» اصبح لقبًا لجدّ جدّه (أنظر الخوانسارى، الروضات ٢٥٤:١؛ والطهرانى، الذريعة ٣٤٧:٣).

والحقيقة أنه عندما يقال: «أحمد مسكويه» أو «أحمد بن محمد مسكويه»، أو «أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه»، فالقصد أن يجىءَ اللقب بعد أحمد اى بعد اسمه، فإذا ذُكر الإسم وحده فاللقب يتلوه مباشرةً. ولكن إذا ذُكر الإسم مخصّصًا بذكر اسم الأب، فيجىءُ اللقب بعد ذكر الأب، وإذا كان هناك تخصيصٌ آخر بذكر اسم الجدّ فيأتى اللقب بعد ذكر اسم الجدّ، وهكذا. لأنّ مسكويه ذاتّه لم يذكر اسمه متلوًّا باسم أبيه، أو جدّه دائمًا، بل نراه أحيانًا يذكر لقبَهُ بعد كنيته (أبى على) فقط، ونراه يفعل ذلك بتكرار مشهود يبدّد كلّ الشكوك بهذا الصدد، ففى شوامله على هوامل ابىحيّان التى يبلغ عددها ١٧٥ مسالة، نراه يذكر اسمه فى مستهلّ كل جوابٍ بقوله: «قال أبوعلى مسكويه» اللهم إلاّ فى الاجابة الأولى، حيث يذكر اسمَه متلوًّا باسم أبيه فيقول: «قال أبوعلى أحمد بن محمد مسكويه»، اى لمرّة واحدة فقط، وذلك لتخصيص اسمه باسم أبيه كما أشرنا إلى ذلك. فأحمد نفسُه هو الملقّب بمسكويه، وليس ابنًا لمسكويه، أو سبطًا له.

وأمّا المعاصرون لمسكويه (٣٢٠-٤٢١) الذين سمّوه فى كتبهم «مسكويه» فهم: أبوسليمان المنطقى (٣١٠-٣٩١ هـ) فى صوان الحكمة: ص ٣٢١، وأبو حيّان التوحيدى

(٣٢٠-٤١٤ هـ) فى الامتاع: ١:٣٥، ١٣٦، ٣:٢٢٧، وفى الصداقة والصديق: ٦٧-٦٨، وفى مثالب الوزيرين: ١٨-١٩، وفى المقابسات: ٢٥-٢٦؛ وأبومنصور الثعالبى (٣٥٠-٤٢٩ هـ) فى تتمّة اليتيمة ١:٩٦؛ وأبوبكر الخوارزمى (...-٣٨٢ هـ) فى رسائله: ١٠٢. وأمّا بديع‌الزمان الهمذانى (...- ٣٨٩ هـ) فنقلَ ضبطَه ياقوت فى معجم الأدباء حيث قال: «وللبديع الهمذانى إلى أبى على مسكويه» على أنَّ هناك طبعةً غيرمحقّقة من رسائل البديع (ص ١٠٠، ٣٢٣) ورد فيها اسم مسكويه بصورةٍ خاطئةٍ هكذا: «ابوعلى بن مشكويه» فلوكان ضبط البديع كمصدر لياقوت مخالفًا لضبط ياقوت، أوضبط أبى حيّان، أو ضبط ابن مندة، من الذين ذكرهم ياقوت فى معجمه؛ لكان ياقوت ذكر الاختلاف.

وأمّا القدماء من غير معاصرى مسكويه الذين سمّوه «مسكويه» أيضًا فهم: الروذراورى (٤٣٧-٤٨٨ هـ) فى مقدمته على الذيل (ص ٨)؛ وابن أبى أصيبعة (٥٧٩-٦١٦ هـ) فى عيون الأنباء (الطبعات الثلاث: ص ٢٤٥، ص ٢٤٦، ص ٣٣١)؛ وياقوت فى معجم الأدباء (نشرة مرجوليوث ج ٥: ص ٥، ٦، ١٠، ١١)؛ والصفدى (٦٩٦-٧٦٤ هـ) نقل كلام ياقوت بتمامه (انظر مرجوليوث فى نشرته لياقوت ٥:٥ الحاشية). وقد صرّح ياقوت بأنَّ مسكويه لقب لأحمد حيث ذكره فى عنوان كلامه بقوله: «أحمدُ بن محمد بن يعقوب الملقّبُ مسكويه» (برفع «الملقّبُ»). والحقّ مع مرجوليوث حيث ضبط «الملقّبُ» بالرفع نعتًا لأحمد لا ليعقوب، وذلك لأن مرجوليوث شاهد بوضوح أنّ ياقوت نفسَهُ يكرّر ذكر مسكويه فى خمسة مواضع (ناقلاً عن معاصريه) بلفظ مسكويه، فلم يتردّد فى ضبط «الملقّبُ» بالرفع إذا كان الضبط منه وليس من مخطوطة معجم الأدباءِ؛ ونحن نعتبر ابن مندة أيضًا من الذين ذكروا مسكويه، «مسكويه» حيث نرى ياقوت ينقل عنه بنفس الضّبط. ومن هؤلاءِ القدماءِ القفطى (٥٦٤-٦٤٦ هـ) فى تاريخ الحكماءِ (ص ٣٣١) ونصيرالدين الطوسى (٥٩٧-٦٧٢ هـ) فى اخلاق ناصرى (باللغة الفارسية ص ٣٥، ٣٦)؛ وحاجى خليفة (المتوفى ١٠٦٧ هـ) فى كشف الظنون؛ والسخاوى (القرن التاسع) فى التوبيخ (ص ٣٩).

وأمّا فى الموسوعات ودوائر المعارف، فهو مسكويه ايضًا فى: دائرة‌المعارف الاسلامية (الطبعة الجديدة ١٩٧١، الانجليزية والفرنسية) انسحابًا من الموقف فى الطبعة القديمة، ففى تلك الطبعة ورد «ابن مسكويه» كما فى الطبعة العربية والطبعة الفارسية (دانشنامه ايران و اسلام)؛ وهو مسكويه ايضًا عند دهخدا فى لغتنامه؛ وكذلك فى دائرة‌المعارف للبستانى؛ كما صرّح العاملى فى الأعيان بقوله: «مسكويه لقب أحمد نفسه كما صرّح به جماعة....»

امّا الدراسات المستقلّة التى نشرت عن مسكويه، فهو فى كلّها مسكويه كما رايتَ من عناوينها الّتى سبق أن ذكرناها.

ومن بين المستشرقين فإنَّ مرجوليوث أيضًا صرَّح بقوله: «إنَّ مسكويه لقبٌ له بالذات لا لأبيه وهذا يظهر بجلاءٍ كثير من كلام معاصريه...» (أنظر The Ecl., Preface, ii) وكذلك برجشتر أيسر الذى أورد مواضع جاء فيها «مسكويه» بدون «ابن» (أنظر: ZDMG, 65, p. 674)؛ كما أخبرنا الدكتور عزت عن مخطوطات رسائل مسكويه (مجموعة راغب باشا) جاءَ فيها ضبط «مسكويه» بالصورة الصحيحة.

امّا ماورد فى مخطوطة كتاب تاريخ الحكماء للبيهقى (أنظر عزت: ١٤٦) أو فى مخطوطة نزهة الأرواح للشهرزورى حيث جاء «ابن مسكويه» فهو اقتضاب محرّف خاطئٌ من صوان الحكمة لأبى سليمان، ونحن عرفنا ضبطَ أبىسليمان سواءٌ فى مانقله عنه ياقوت، أو فى الصّوان نفسه فى نشرة بدوى (ص ٣٢١، ٣٤٦). فهاتان المخطوطتان لايمكن الإعتماد عليهما، ولعلّ أخطاءَ المتأخرين فى ضبط اسم مسكويه إنّما نشأ عنهما.

وامّا ماجاء فى مخطوطة ابن خلكان (٦٠٨-٦٨١ هـ) الّذى كتبه بخطّ يده (المتحف البريطانى، الإضافات، رقم ٢٥٧٣٥، ورقة ١٠ ب) والذى اعتمد عليه بروكلمن (GAL، الملحق ١: ٥٨٢ رقم ١) وقال «من المحتمل أن يكون مسكويه ـ وأصله مشكويه ـ لقب جدّه» كما فعل أيمدروز (Note on the Hist. P.XVI) فمردودٌ مادام مسكويه ومعاصروه الكبار يشهدون بخلافه.

فبذلك كلّه، وفى نهاية المطاف، فهو: مسكويه، اى هو ابوعلى أحمد مسكويه (ابن محمد بن يعقوب) اى اللقب له، لا لأبيه، أو لجدّه، أو لجدِّ جدّه!

مسكَوَيه: مُشكُويَه

إنَّ الأصل الفارسى لمسكويه هو «مُشكُويَه» كما جاءَ فى بعض طبعات رسائل الهمذانى، وعند دولتشاه السمرقندى (القرن التاسع الهجرى) فى تذكرة الشعراء، (ص ٢٤) و عند يوستى فى الأسماءِ الايرانية (بالألمانية، ص ٢١٨)، وعند بروكلمن (الملحق ١: ٥٨٢ الحاشية) وعند جِبْ (Gibb) فى دائرةالمعارف الإسلامية، وكذلك عند لفيف من الكتاب الإيرانيين منهم سعيد نفيسى فى ترجمته لابن سينا (ص ١٣١)؛ والدكتور دانش پژوه على ظهر نشرته لجاويدان خرد.

أمّا فی تاریخ کمبردج فالشکل الفارسی للاسم بالسین: مُسکُـویه: Muskūya (انظر the Camb. Hist. of Iran, vol. 4, p. 429-30). وهذا غریب. لأنّ النّطق الفـارسی للکلمة منذ عصر مسکویه، أو أسبق من ذلك، لایعترف بوجود حرف السین فیها، مهما یکـن من أمر أصـلها فی اللغات الهندو إیرانیة القدیمة. فـالسین هذه علامة وجـود شکلین لتعـریب هذا الإسـم: مِسکوَیه، مُسکویَه. والأوّل أوفق للنطق العربی والثانی أقرب إلی الشکل الفارسی: مُشکویه.

إنّ کلمة مُشکویه ترکّبت من جزأین: مُشْك+أویَهْ (moshk+uyeh)أمّا الجزءُ الأوّل فهو فی الفارسیة بضم المیم وکسرها، وأصله فی السنسکریتیة muska (مصغر :mus بالفارسیة موش: الفأرة)، وفـی الیونانیة moskos، وفـی اللاتینیّة muskus، ومعنی الکلمة: المادّة العـطرة المعروفة المأخوذة من غزال المسك، ولا حـاجة إلی القـول أنه عرّب إلی «مِسـك». قـال الجوهری: المسك من الطیب فارسیٌ معرَّب. قال: وکانت العرب تسمیه «المشموم». امّا الجزء الثانی (أویَه) فهو لاحقةٌ تلحق بالکلمات لبیان الإتصاف، أو النسبة أو التصغیر، أو الإستعطاف. وأمّا إذا قلنا «مَشْـك»)(mashk) بفتح المیم، فمعناه جلد الغنم مدبوغًا وغیرَ مدبوغ، أو الوعاء الذی یُصنع منه ویجعل السقّاءُ فیه الماءَ. وتعریبه «مَسك» بالسین المهملة وبنفس المعنی (أنظر اللسان، نفس المادّة). وهذا الشکل بمعناه ربما یُهِمُّ الذین ضبطوا «مَسکویه» بفتح المیم، کما نجده عند مرجولیوث فی نشرته لمعجم یاقوت (٥:٥-١٧) مع العلم بأنّه ذکره بالکسر فی مقدّمته لترجمة تجارب الأمم.

امّا المعانی الّتی أوردها أصحاب القـوامیس الفـارسیة لکلمة «مُشکـویه» (= مُشکُـویْ moshkūy = مُشکو moshkū) فهی: بیت الأصنام. سرادق الملوك. القصر. الطابق الفـوقانی من البیت. کما أنّ مُشکُـویی Moshkūyī اسـم لنغمة موسـیقیّة. (أنظر معین: نفس المواد). وهناك ملاحظة أُخری حول کلمة «مُشکویه»، وهی أنّها اسمٌ ـ کما قال المؤرّخون الجغـرافیون ـ لِبُلیدةٍ من أعمال الرَّی بینها وبین الرَّیّ مرحلتان علی طـریق سـاوه (أنظر مراصـد الاطـلاع: نفس المادّة؛ والمقدسی: ص ٤٠٠، وأشباههما من المصـادر)، ولذلك اعتقـد بعضـهم بأنّ مولد مسکویه هو بلیدة مُشکُوَیه هذه. (أنظر: ری باستان [الرّی الأثریة]: ٦٢٥). وقال الدکتور عزّت بهذا الصدد: إنّ مسکویه لُقّب بمسکویه ربما لأنّه کان یُحـبُّ هذا العـطر، ویفضّـله، ویتطیّبُ به، وهو فی بعض أشعاره (أنظر التتمّة: ٩٨) یستعمل کلمة المسك للمقارنة الحسنة، فهو یُشبِّه خیار النّاس وفضلاءَهم بالمسك فی قوله:

والنّاسُ فـی العَینِ أشباهٌ وبینهـمُ مابینَ عامر بیتِ اللهِ والخَـربِ

فى العُود مايُقرنُ المسكُ الْذكىُّ به طيبًا، وفيه لَقًى مُلقًـى مع الحـطب

وكم كان بودّنا أن نجد دليلاً نعتمد عليه على أنّ مسكويه من بليدة مُشكويه من أعمال الرّى - كما قيل - حتّى يأتىَ دور التأمل فى كيفية استعمال النسبة بهذا الشكل فـى اللغـة العـربية، لأنّها لوكانت نسبةً فارسيةً بلاحقة «أويَه»، لكان المنسوب هو «مُشك» ونحن نعلم أنّ البليدة اسـمها «مشكويه»، فيلزم أن تكون النسبة إلى «مُشكـويه» بأحـد الأشكـال التالية: مشكـويجى (من الأصل الفارسى: مُشكويگى، كخانجى وميانجى) أو: مُسكويى بحـذف مايشـبه تاءَ التأنيث فـى النسبة العربية: أو: مسكويهى، على وزن سيبويهى. ثمّ يأتى دور هذا السـؤال: لماذا لم يقـولوا: أبوعلى المسكويهى؟ أى لماذا لم يعرّفوه بأل التعريف فى ضبطه العربى؟ إلاّ أن يُقال: إنّ النسبة فى أصلها الفارسىّ كانت على شكل «مُشكويهاى» وكانت تُكتب بالصورة التقليدية: «مُشكويهٔ» أى باثبات ياءٍ صغيرةٍ على شكل همزة على الهاء، ثم حُذفت الهمزة استخفافًا بشأنهـا فـى نهـاية الكلمة، وعلى القاعدة القائلة: «تلك كلمةٌ أعجميّةٌ فالعبوا بهـا كيف شئتم» فقيل فـى التعـريب: مِسكويه على وزن سيبويه. ثمّ ابتليت بمصـير سـائر الكلمات الفـارسية المختومة بـ «ويه» الّتى تنوس بين ضبط «ـ اُويَه» (uyah) و «ـ وَيه» (wayh). ومادمنا لم نتوصل إلى دليل مقنع يدلُّ على صحّة أحد هذه الفروض، فلايمكن الاطمئنان إلى أىّ شىءٍ يقال بهذا الصدد.

اوصافه والقابه الأخرى

لقد وصفه المترجمون له من القـدماءِ والمتأخـرين بقـولهم: الحكيم، المتكلّم، الفيلسـوف، الأخلاقى، المؤرّخ، الرّياضىّ، المهندس، اللغـوى، الأديب، الشّـاعر، الكـاتب، الذكىّ، الناقـد، النافذ الفهم، الكثير الاطلاع على كتب الأقدمين ولغاتهم المتروكة. كما كان من ألقـابه، علاوة على لقب مسكويه: الخازن، والنّديم، كما لُقّب بالمعلم الثالث، مع أنّ اللّقب كان قد ترشح له ابن سينا أيضًا. ويقال إنّ مسكويه لُقّـب بالمعلم الثالث لدوره الفـذّ الّذى لعبه فـى إعادة بناءِ الفلسـفة اليونانيّة فى فرعها العملى، أى فى فلسفة الأخـلاق، وجمعِ أشـتاتها وتمحيصـهـا وترصـيص أركانها، بصورةٍ لم يزد عليها أىُّ مصنِّفٍ صنّف فى فلسـفة الأخـلاق حتّى زماننا هذا. أضـف إلى ذلك أنّ أبرز كتاب فى الأخلاق، ظهر فى اللغة الفارسيّة، هو كتاب: أخلاق ناصـرى، الّذى ليس إلاّ ترجمةً لكتاب مسكويه: تهذيب الأخلاق، نقله إلى الفارسيّة نصيرالدين الطوسـى نقـلاً يكـاد يكون حرفيًا، وهو معجبٌ بمسكويه وكتابه إعجابًا كبيرًا يُعرب عنه بأبياته المعـروفة الّتى نظمهـا

فی زمن سابق لترجمته، وأوّلها: «بنفسی کتابٌ حاز کلَّ فضیلةٍ ...» (أنظر اخلاق ناصری: ۳٦).

إنّ هذه الألقاب والنعوت الّتی لُقّب بها مسکویه ونُعت، لهی دلیل علی تعدّد أبعاد شخصیّته وسعة آفاقه فی العلم والحکمة، تُعزّزه أدلّةٌ أخری تتمثّل فی تلك الآثار الکثیرة القیّمة الّتی ترکها لنا، والّتی نوردها ونعرّفها هنا باختصار:

آثاره فی حقول المعرفة

١) **ترتیب السعادات ومنازل العلوم** (= الترتیب، ترتیب السعادات. أنظر التهذیب: زریق: ١٥، ٤٩، ٩١، ١٢٤؛ = السعادة. طبعة الطوبجی؛ = ترتیب العادات. أنظر العاملی: ٥:١٠). والکتاب شرحٌ لمراتب السعادة الثلاث وتحدید دقیق لمراتب العلوم حسب مدرسة أرسطو وقیمتها فی الرُّقیّ بالإنسان نحو السعادة والکمال الإنسی (التهذیب: ١٥).

٢) **الفوز الأصغر** (= الفوز الصغیر. أنظر الصوان، بدوی: ٣٤٧؛ والقفطی: ٣٣٢) وقد یسمّی الکتاب باسم آخر هو: کتاب الجواب عن المسائل الثلاث. اختصر إقبال اللاهوری نظام مسکویه الفلسفی من خلال الفوز الأصغر، وقال: «إنّی أ طرح الفلسفة الأولی لمسکویه الّتی لاشك أنّها أکثر انتظامًا من فلسفة الفارابی، کما أ ستبدل الفلسفة الأفلاطونیّة الحدیثة لابن سینا، بالخدمة الأصیلة الّتی أدّاها مسکویه تجاه فلسفة بلاده.» (أنظر: سیر فلسفه در ایران: ۳۳).

٣) **الهوامل والشوامل.** وقد استعار أبوحیّان التوحیدی کلمة الهوامل لأسئلته المبعثرة الّتی تنتظر الجواب (١٧٥ مسألة) واستعمل مسکویه کلمة الشوامل فی الإجابات الّتی أجابه بها، فضبط بها هوامل أبی‌حیّان الّتی کانت کالإبل المسیّة، لأنّ الشوامل هی الحیوانات الّتی تضبط الإبل الهوامل فتجمعها (أنظر أمین، المقدمة ص «ج»).

٤) **تهذیب الأخلاق** (= کتاب الطهارة، کتاب طهارة النفس، طهارة الأعراق. أنظر نشرة زریق: ٩١، ١٠٤) أمّا تهذیب الأخلاق اسمٌ أطلقه مسکویه أیضًا فی کتابه الآخر جاویدان خرد (أنظر نشرة دانش‌پژوه: ٢٤). وقد اتخذ اسم الکتاب أشکالاً مختلفة فی مخطوطات الکتاب. نقله نصیرالدین الطوسی إلی الفارسیة وسمّاه: أخلاق ناصری؛ کما قال فیه وفی مؤلّفه أبیاته الأربعة المعروفة، إعجابا بهما. ونقله ابوطالب الزنجانی إلی الفارسیة أیضًا. کما نقله زریق إلی

الإنجليزية (بيروت ١٩٦٨ م) وأركون (M.Arkoun) إلى الفرنسية (دمشق، المعهد الفرنسى ١٩٦٩ م). والكتاب يتألّف من ستّ مقالات هى: الأُولى فى مبادئ الأخلاق؛ والثانية فى الخلق وتهذيبه والكمال الإنسانى وسبيله؛ والثالثة فى الخير وأقسامه، والسعادة ومراتبها؛ والرابعة فى العدالة؛ والخامسة فى المحبّة والصّداقة؛ والسادسة فى صحّة النفس وحفظها.

٥) **الفوز الأكبر** (= الكبير) ليس للكتاب أثرٌ فى فهارس الكتب المطبوعة. بيد أنّ هناك رأيًا قائلاً بكون الفوز الأكبر وتهذيب الأخلاق كتابًا واحدًا، على أنّ أبى سليمان أورد العنوانين لكتابين مختلفين (أنظر الصوان: ٣٤٧).

٦) **فوز السعادة** (= نورالسعادة. أنظر العاملى ١٠: ١٤٦). نرجح أن يكون الشبه القريب بين «فوز» و «نور» قد أدّى إلى تصحيفٍ جعل صاحب ريحانة الأدب (٢٠٨:٨) يعدّهما عنوانين لكتابين مختلفين وهما كتابٌ واحدٌ. كما أنّ موضوع الكتاب يظهر من عنوانه بجلاء.

٧) **رسائل فلسفية.** محفوظة فى مجموعة راغب باشا تحت رقم ١٤٦٣. وهذه الرسائل مختصرة تبلغ صفحاتها ٣٢ صفحة وتتراوح بين صفحة واحدة و ١٦ صفحة وعناوينها هى: أ. رسالة فى اللّذات والآلام؛ ب. رسالة فى الطبيعة؛ ج. رسالة فى جوهر النفس والبحث عنها؛ د. رسالة فى العقل والمعقول؛ هـ . رسالة فى النفس والعقل؛ و. رسالة فى إثبات الصور الروحانية الّتى لاهيولى لها؛ ز. ماالفصل بين الدهر والزّمان.

٨) **رسالة فى ماهيّة العدل.** العنوان الكامل لها كماجاء فى مستهلّ المخطوطة الموجودة فى مشهد (٤٣:١، ٤٤ / ١٣٧) هو: رسالة الشيخ أبى على أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه إلى على بن محمد أبى‌حيّان الصوفى، فى ماهيّة العدل وبيان أقسامه.

٩) **جاويدان خرد.** قال مسكويه عنه: «... فهذه جملٌ نحُكمها قبل تفصيلها بالجزئيات، ولولا أنّا قد أحكمنا لك الأُصول كلّها فى كتابنا الموسوم بتهذيب الأخلاق، لأوجبنا لك إيرادها هاهنا، ولكن هذا، كتابٌ غرضنا فيه إيراد جزئيات الآداب بمواعظ الحكماء من كلّ أمّةٍ ونحلةٍ، وتبعنا فيه صاحب كتاب جاويدان خرد [أحد ملوك الفرس الأقدمين] كما وعدنا به فى أوّله، ولأنّ موضوع الكتاب الأوّل كتاب فارسىٌ، وجب أن نبدأ بآداب الفرس ومواعظهم، ثمّ نتبعها بآداب الأمم الآخرين.» فإذن، القسم الأوّل للكتاب بُنى على جاويدان خرد من تاليف قدامى الفرس، والقسم الثانى هو آداب الأمم الأُخرى، بدأها بآداب الفرس المتأخرين (إلى ماقبل الإسلام). وأمّا آداب الأمم الأُخرى فهى: آداب الهند، آداب العرب، آداب الرّوم (منها لغزقابس)، حكم الإسلاميين. (لقد أسهبنا الكلام عن هذا الكتاب وآثار مسكويه الأُخرى فى دراستنا المستقلّة

عن مسكويه).

١٠) آداب الدنيا والدين. ذكره العاملى (١٠:١٤٥) وصاحب الذريعة (١:٣٨٧) بفارق أنّ الأخير ضبطه «أدب الدنيا والدين» ومصدرهما صاحب الروضات الذى نقل بدوره عن النراقى فى الخزائن. كلّ مانقله الخوانسارى بشأن هذا الكتاب هو ما أورده فى حاشية الروضات (١: ٢٥٥) وهذا نصّه: «وقال المحقّق النّراقى فى كتابه الخزائن: قال ‹ابن› مسكويه فى كتاب آداب الدنيا والدين: الفرق بين السرف والتبذير، أنّ السرف هو الجهل بمقادير الحقوق، والتبذير هو الجهل بمواقع الحقوق. انتهى.». ثمّ قال صاحب الروضات: «وظنّى أنّ الغالب على كتابه هذا الذى لم نذكره فى المتن، متون اللغة، وأصول المعرفة مع شيء من مراسم الشريعة وأحاديث العلم والحكمة، فيلاحظ إن‌شاءَالله منه ره.»

١١) أنس الفريد. هذا هو عنوانه عند أبى سليمان فى الصوان: ٢٤٧، و ياقوت (٥:١٠) والقفطى (٣٣١) والشهرزورى (أنظر عزت: ١٤٤)، وعنوانه: نديم الفريد، عند كلّ من الخوانسارى (١:٢٥٥) والعاملى (١٠:١٤٦). قال ياقوت: «وله كتاب أنس الفريد وهو مجموع يتضمّن أخبارًا وأشعارًا وأمثالاً غير مبوّب». وقال القفطى: «فمن تصانيفه كتاب أنس الفريد وهو أحسن كتاب صُنّف فى الحكايات القصار والفوائد اللّطاف.» قال آدم متز (١:٤٦٨)، وذلك بعد أن تحدّث عن تطور القصص المسلّية والأسمار الأجنبية الظاهرة فى فنّ القصّة منذ القرن الثالث، قال: «وأخيرًا جاءَ دور مسكويه، وكان أكبر مؤرّخى القرن الرابع، فألّف كتاب أنس الفريد وهو أحسن كتاب صُنّف فى الحكايات القصار والفوائد اللّطاف. وهذه القصص الجديدة، هى من نوعٍ يُغاير كلّ المغايرة القِصصَ القديمة التى ألّفها ابن قتيبة وصاحب العقد، ففيها نجد لأول مرّة تمام الأُسلوب القَصصى الإسلامى، أعنى طريقة القصص التى ليست عربيّةً خالصةً.»

١٢) الخواطر (= أنس الخواطر؟). ذكره أبوسليمان فى الصوان باسم الخواطر ونقل منه قطعةً تدلُّ على أن الكتاب فى النّفس، وأنّها جوهرٌ بجهة وعرض بجهة، وما إلى ذلك.

١٣) حقائق النفوس. هكذا ورد عند العاملى (١٠:١٤٦) وتبعًا له فى ريحانة الأدب (٨:٢٠٨) وهو مجال آخر لدراسات مسكويه النفسيّة.

١٤) كتاب السياسة للملك (العاملى ١٠:١٤٦؛ والخوانسارى ١:٢٥٥) ذكره مسكويه فى التهذيب. ذكر السيد حسن الصدر فى كتابه التاسيس (ص ٣٨٤) كتابًا لمسكويه بعنوان: كتاب السياسة السلطانيّة. ونحن نظنّ أنّه ليس غير كتاب السياسة للملك.

١٥) المستوفى فى الشّعر. ذُكر هذا الكتاب بنفس العنوان عند كلّ من أبى سليمان (ص

٢٤٧) وياقوت (٥:١٠). وذكره الشهرزورى (ص ٧٦؛ عزّت: ١٤٤)، والعاملى (١٠:١٤٥). ولكّن الخوانسارى ذكره بوصفه لا بعنوانه. فقال عند إحصاء آثار مسكويه «... كتابٌ فى مختار الأشعار» فأصبح ذلك عنوانًا للكتاب عند صاحب الريحانة (٨:٢٠٨). ذكره ابوسليمان قائلاً: «المستوفى فى الشعر المشتمل على حلّ المختار منه.»

١٦) **الرسالة المسعدة.** ذكره مسكويه فى التهذيب بنفس العنوان كما ذكره ابوسليمان (ص ٢٤٧) بعنوان «رسالة المسعدة» دون اىّ شرح له ولكن عنوان الرسالة ينطق بكونها دراسة فى مسألة السعادة، لاسيّما بالنظر إلى مانعرفه عند مسكويه من الاهتمام بموضوع السعادة.

١٧) **فوز النجاة.** ذُكر الكتاب عند بعض من درس مسكويه هامشيًا بعنوان: فوز النجاة فى الإختلاف (= الأخلاق). يمكن ان يكون عنوانًا ثانياً لكتابه الآخر المسمّى فوزالسعادة، ولكنّا لانستبعد أن يكون عنوانًا لكتابٍ على حدةٍ، بالنظر إلى كثرة ماكتبه مسكويه خصيصًا فى علم النفس والأخلاق.

١٨) **كتاب السِيَر.** ذكره ياقوت (٥:١٠) كما عرّفه باختصار قائلاً: «... وكتاب السير، اجاده، ذكر فيه مايُسيِّر به الرجل نفسَه من أمور دنياهُ. مزجه بالأثر، والآية، والحكمة، والشعر.» هذا كلّ ما أورده ياقوت ونقل عنه العاملى بتمامه (العاملى ١٠:١٤٦).

١٩) **كتاب الجامع.** ورد بنفس العنوان عند كلٍّ من ياقوت (٥:١٠) والعاملى (١٠:١٤٦). رجّح عزّت (ص ١٤٠) أنّه فى الطبّ. إن كان هذا صحيحًا يمكن القول: إنّه اجمع من كتاب الرازىّ المسمّى بالحاوى، لأنّ مسكويه درس الرازى واكبّ على كتبه. ثمّ كتب هذا الكتاب فى ضوءِ إجتهاداته بعد تلك الدراسة.

٢٠) **كتاب فى تركيب الباجات من الأطعمة** (= كتاب الطبيخ. أنظر ابن ابى أصيبعة ص ٢٤٥). قال القفطى (ص ٣٣٢) وذلك عند إحصائه لكتب مسكويه الطِّبيّة: «.. وكتاب فى تركيب الباجات من الأطعمة، احكمه غاية الإحكام، وأتى فيه من اصول علم الطبيخ وفروعه بكلِّ غريبٍ حسن.»

٢١) **كتاب الأشربة.** ذكره ابن أبى أصيبعة (ص ٢٤٥) بنفس العنوان، كما ذكره العاملى (١٠: ١٤٦) بقوله: «كتاب الأشربة ومايتعلق بها من الأحكام الطبّيّة.»

٢٢) **كتاب فى الأدوية المفردة** هذا الكتاب تفرّد بذكر اسمه القفطى (ص ٣٣٢) فلم يذكرهُ غيره من المترجمين لمسكويه، من أمثال ابن ابى اصيبعة الّذى ذكر بعض آثاره فى الطّبِّ والعلاج.

۲۳) **مختصر النّبض.** كتاب فى الطِّب كُتب لعضدالدولة البويهى، وهو متنازع فيه بين ابن سينا وبين أبى على مسكويه، أو أبى على مندويه. أمّا انتساب الكتاب إلى ابن سينا فمردود، لأنّه كان طفلاً عمره سنتان عندما مات عضدالدولة، ولذلك ذهب فيلسوف الدولة صاحب كتاب مطرح الأنظار إلى أنّ الكتاب لأبى على مسكويه أو لأبى على مندويه (أنظر الگود، تاريخ پزشكى ايران ص ۲۸۰).

۲٤) **تفصيل النّشاتين وتحصيل السعادتين.** قال فى الذريعة: «ذكر هذا العنوان صاحب الريحانة ولم نجد عند غيره. قال صاحب الريحانة [عند ذكره لآثار مسكويه]: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين فى الأخلاق، وللراغب الاصفهانى أيضًا كتاب فى معرفة النفس بهذا العنوان.»

۲٥) **احوال الحكماءِ وصفات الأنبياءِ السلف.** هكذا ورد العنوان عند الخوانسارى (۱:۲٥٦)، وهو عند العاملى: «أحوال الحكماء السلف وصفات بعض الأنبياءِ السالفين»

۲٦) **المختصر فى صناعة العدد.** إنّ أبا سليمان المنطقى (ص ۲٤۷) وبعده الشهرزورى (عزّت: ۱٤۱) يشيران إلى أنّ له مصنفات «فى جميع الرياضيّات و... والحساب و... ممّا هو متداول فى الأيدى يُقرأ عليه فى أيّام مجالسه.» دون ذكر لعنوان واحدٍ من عناوين آثاره الرياضيّة. بيد أنّ مسكويه نفسه ذكر فى التهذيب اسم أحدها وهو: المختصر فى صناعة العدد.

۲۷) **فقر اهل الكتب.** ذكره الشهرزورى (ص ۷٦، أنظر عزّت: ۱٤۱)، وهو كتاب قد يكون طريفًا كما نبّه عليه عزّت. لأنّ مسكويه ربما يعرض فيه نتائج تجربته الخاصّة مع هذه الفئة الّتى احتكّ بها، والّتى ينتمى إليها بحكم كونه خازنًا لمكتبات الأمراءِ والوزراءِ البويهيين.

۲۸) **رسالة فى دفع الغمّ من الموت.** هكذا ورد عند سزكين (3,336) حقّقها لويس شيخو ونشرها تحت عنوان رسالة فى الخوف من الموت (عام ۱۹۱۱ م)، ونسبها خطأً إلى ابن سينا وهى من مسكويه (أنظر اخلاق ناصرى، نشرة مينوى ص ٦۰٦) ونُسبت مرّة أخرى إلى ابن سينا عندما نشرت ضمن رسائل ابن سينا فى الحكمة المشرقية (ليدن ۱۸۹٤ أنظر محقق ص ۲۰۹، ٤۳۰)، كما نقلها إلى الفارسية البرقعى القمى فى ۷۳ صفحة تحت عنوان: چرا از مرگ بترسم؟ لماذا أخاف من الموت؟ (قم، ط ۲، ۱۳۲۷ ش ـ أنظر مشار).

۲۹) **تعاليق على الكتب المنطقيّة.** ذكرها أبوسليمان المنطقى (ص ۲٤۷) بقوله: تعاليق حواشى الكتب المنطقية. كما ذكرها الشهرزورى والخوانسارى والعاملى بتغيير طفيفٍ فى الإسم.

٣٠) وصيّة له. أوردها ابوسليمان فی الصوان (ص ٢٤٧-٢٥٢) ومسكويه نفسه في جاويدان خرد (نشرة بدوی ص ٢٨٥-٢٩٢) أولها: «يا طالب الحكمة طهرْ لها قلبك....» وختامها: «بلاحاجةٍ إلى تفكير وتمييز وتطلّب.» كما أورد أبوسليمان فصلاً آخر من كلام مسكويه بعد إيراده الوصيّة.

٣١) وصيّة ابی علی مسكويه (عهده مع نفسه). أوردها ياقوت (٥:١٧-١٩) ونقل عنه العاملی (١٠:١٩٨-١٩٩)، أولها: «هذا ما عاهد عليه أحمد بن محمد وهو يومئذٍ آمنٌ في سربه....» وختامه: «وصرف جميع البال إليه.»

٣٢) مراسلة بينه وبين بديع الزمان الهمذانی. للبديع رسالة اعتذار إلى مسكويه، أجاب عليها مسكويه. تجد الرسالة والجواب عند ياقوت (٥:١١-١٧).

٣٣) شعر مسكويه. نقل الثعالبی (التتمة: ٩٦-١٠٠) ونقل عنه ياقوت (٥:٧-١٧) نماذج من شعره. وأثنى عليه الثعالبی بقوله: «وكان في الذروة العليا من الفضل والأدب والبلاغة والشّعر.»

٣٤) نزهت‌نامه علائی. ذكره العاملی (١٠:١٤٥) وصاحب الريحانة (٨:٢٠٨) ونسباه إلى مسكويه. كما ذكره صاحب الذريعة (٢٤:١٣٠) ونسبه إلى شهمردان بن ابی‌الخير الرازی قائلاً: «وقد نسبه اسماعيل پاشا (هدية ١:٧٣) خطأً إلى «ابن» مسكويه وعنه أخذ في أعيان الشيعة وكذلك أخطأنا نحن فی النابس ـ ص ٢٨.] فإذن الكتاب ليس لمسكويه.

٣٥)ـ تجارب الأمم. وهو الكتاب الّذی بين يدی القارئ. كتاب جليل في التاريخ، ومصدر لايُستغنی عنه فی الدراسات التاريخيّة، لم يُنشر حتّى الآن ـ مع‌الأسف ـ لاعندنا في ايران، ولا في غيرها من البلدان الاسلامية أو البلدان الأخرى، إلاّ بعض أجزائه، فأخذنا على عاتقنا تحقيق نصّه ونشره بكامل اجزائه، كما عزمنا على ترجمته إلى اللغة الفارسيّة، حتّى لايبقى مواطنونا الذين هم مواطنو مسكويه أيضًا، محرومين من قراءته، والتمتع بما يتضمّنه هذا الأثر العظيم، من الفوائد فی دراسة الماضی، والاعتبار به.

ولتجارب الأمم ـ كمصدر كبير لدراسة التاريخ ـ أهميّةٌ بالغة، كماله من حيث عرضه ونشره والاهتمام به، مصيرٌ ملتوٍ غريبٌ، نحاول أن نتناوله هنا بقدر مايُتيح لنا المجال فی هذا التصدير، فنقول:

التاريخ كمايراه مسكويه

بنظرة إلى مقدمة تجارب الأمم، يتّضح انّ التاريخ فى راى مسكويه، يشتمل على أحداث يمكن للانسان أن يستفيد منها تجربة فى الحياة الفردية والاجتماعيّة، فى أمور لاتزال يتكرّر مثلها، ويُنتظر حدوث أشباهها، وإذا عرف الإنسان تلك الأحداث وقيمتها التجريبيّة ثمّ اتّخذها إمامًا لنفسه، يقتدى به، فهذا يجعله يحذر ممّا ابتُلى به قومٌ، ويتمسّك بما سعدوا به. والنظرة هذه تبتنى على رأيه القائل: إنّ أمور الدُنيا متشابهة، وأحوالها متناسبة. فباستطاعة الإنسان أن يُقارن الحاضر بالماضى، ويهتدى بهدى التجارب الّتى حصلت فيه للأسلاف. ثمّ إنّ مايحفظه الإنسان من التاريخ، كأنّه تجارب له، باشَرَها بنفسه، فأصبح خبيرًا بالأمور الّتى لم يجرّبها فعلاً فى حياته، حتّى إنّه يعرفها بعد ذلك قبل وقوعها، فيستقبلها استقبالَ الخَبِر، فيفعل فى علاجها الأنسب والأجدى، فيحلُّ مشاكلَهُ، وينجح فى مشاريعه نجاح الخبير الواعى.

بيد أنّ مسكويه لاحظ انّ تلك الأخبار التاريخيّة الحقّة مغمورةٌ بالأسمار، متبدّدةٌ فى الخرافات والأساطير الّتى ليست لها فائدةٌ إلاّ استجلاب النَّوم بها، والتأنّس بالمستطرف منها. فأخذها بالنقد واستخراج ذات القيمة منها، وضرب صفحاً عمّا لم يجد فيها قيمةً تاريخيّةً تجريبيّة وتركها وهو يرى أنّ للأحداث التاريخيّة الحقّة ايضًا انس السَمَر الّذى يوجد فى الخرافات والأساطير.

إنّ مسكويه لم يثق بروايات ماقبل الطوفان، لفقدانها القيمة التاريخيّة التى ينشدها هو، كما لم يجد فى المعجزات تجربةً إنسيّةً يستطيع الجميع أن يمارسوا مثلَها، أو يعتبروا بها، وهذا لايعنى أنّه ترك ماكان للأنبياءِ من تدابيرهم البشريّة الّتى ليست مقرونةً بالإعجاز، لأنّ هذا النمط من أخبارهم وارد فى صميم ما اهتمّ به مسكويه فى كتابة التاريخ. مع العلم بأنّ لمسكويه كتابًا فى صفات الأنبياءِ السالفين تحت عنوان: أحوال الحكماءِ وصفات الأنبياءِ السالفين (أنظر التصدير: الآثار). وهذا ردٌ على المستشرق كرادى فو (I;106) فى ما اتُّهمه به من أنه لم يحترم السنّة. وأخيرًا، عمد مسكويه إلى أحداث تجرى على البخت والاتّفاق، ممّا هو خارج عن نطاق تدبير الإنسان وقدرته، حتّى تكون فى حسبانه، ولا تسقط من ديوان الحوادث عنده، وما يُنتظر وقوع مثله، وإن لم يستطع تحرُّزًا من مكروهه.

إنّه لن ينسى ماضمنه فى مقدّمة الكتاب، بل نراه يؤكّد هنا و هناك، وبمناسبات شتّى، على أغراضه ويُصرُّ على المضىِّ فى النّهج الّذى نهجه لنفسه فى عمله. فحينًا نراه يبرّر تركه ذكر بعض الأشياءِ بقوله: «لخروجها عمّا بنينا عليه غرض هذا الكتاب (1,264)، وحينًا يؤكّد على هذا الغرض حتّى فى عنوان حدثٍ أراد ذكره. ففى عنوان الحديث عن الشورىٰ يقول: «ذكر مايجب

ذكره من حديث الشورىٰ وما يليق منه بهذا الكتاب.» وكذلك، وبعد أن ينقل الحوار الذى جرى بين الامام على بن ابىطالب والزبير: الحوار الذى أثّر فى الزُّبير حتّى أقسم أن لايحارب عليًا ـ لولا وسوسة ابنه له واقتراحه التكفير عن اليمين بعتق غلام له، يقال له: مكحول ـ وبعد إيراده هذا الحدث نراه يقول: «وإنّما حكينا هذه الحكاية لأنّ فيها تجربة تستفاد، وإن ذهب على قوم، فإنّا نُنبّهُ عليه، وذلك أنّ المحنق ربما سكن بالكلام الصّحيح، والساكن ربما أُحنق بالزُّور من الكلام، وذلك بحسب تأتّى من يريد ذلك، وإتيانه من وجهه.» (1,550). ولايهمّه فى ذلك شخصيّة القائل أو الفاعل، ولاينظر إلى مَن قال أو فعل، بل يهمُّه مغزى ماقال أو فعل، من حيث تلاءُمه واغراضَه فى كتابه تجارب الأمم. فنراه يستحسن موقفًا من مواقف الضّحاك الشّهير بالسفك والقتل والظُّلم، وينقل كلامًا منه حيث قال فى الإجابة على أمّه البذيئة: «فلمّا هممتُ بالسطوة بهم (أى: بكابى الاصبهانى وأصحابه عندما زاروه للتأتّى له واستعطافه ـ 1, 14-15) وقف الحقُّ بينى وبينهم كالجبل، فحال بينى وبين ماأردتُ.» ثمّ يعلّق مسكويه على هذا الكلام بقوله: «فهذا مااستحسن من فعل الضّحّاك وقوله ولايعرف له شىءٌ مستحسنٌ غيره.» إنّ هذا الالتزام الواعى الذى يبديه مسكويه تجاه منهجه، هو ما لا نراه عند كثير من المصنّفين. فمسكويه، كماقال روزنتال (١٩٦، ١٩٧) يمثّل مستوىً عاليًا فى الكتابة التاريخيّة، فهو قلّما يهتمُّ بالأمور التافهة، بل يدرك كلّ ماله قيمةٌ تاريخيّة جوهريّة، ويعرض الأحداث الهامّة بشكلٍ معقولٍ متماسك.

إنّ المؤرخين المسلمين ـ ومعظمهم ممّن تأخّر عن مسكويه وربما تأثّر به بالذات ـ نظروا إلى التاريخ من حيث هو درس وعظة وعبرة، ولكنّ مسكويه، السابق فى هذا المضمار، هو المؤرّخ الوحيد الّذى نهج منهج الاستدلال الفلسفى مع ماكان له من نظرة أخلاقية عمليّة برغماتية (Pragmatic) إلى حوادث التاريخ (زرياب: ١١٨ ـ بتصرّف). إنّك لاتجد بين المؤرّخين المسلمين مؤرّخًا عمد إلى التاريخ عن وعى وجدّ، نشدانًا للفوائد الّتى تنطوى عليها أحداثه، بالمستوى الّذى عمد إليه مسكويه. إنّه حكيم أخلاقىّ، ومصنّف كتابٍ حكيمٍ باسم تجارب الأمم. كما هو رائد فى الكتابة العلميّة للتاريخ، وأوّل من شقّ الطريق إلى فلسفة التاريخ، ليكون أسوة حسنةً فيما بعد، لأمثال رشيدالدين فضل‌الله (٦٤٥-٧١٨ هـ) فى جامع التواريخ، وابن خلدون (٧٣٢-٨٠٦ هـ) فى مقدمته، ثم الكافيجى (القرن التاسع) فى كتابه: المختصر فى علم التاريخ، والسخاوى (٨٣٠-٩٢٠ هـ) فى كتابه: الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التاريخ (زرين‌كوب: ٧١، ٧٤- بتصرف). وهناك ميزة أخرى أشار إليها كيتانى فى مقدمته حيث قال: إنّ

الأثر الذى بقى لنا من مسكويه، بُنى على أساس منهج قريب جدًا من المبادئ المتّبعة عند مؤرّخى العالم الغربى والمؤرّخين المتأخّرين، ومسكويه خلافًا لسلفه الشّهير الطبرى الّذى استهدف - أساسًا - جمع الموادّ التاريخيّة، وعَرْضَها على ترتيبٍ تاريخىٍّ لائق، عزم على أن يصنّف تاريخه كبناءٍ عضوىٍّ يكون الفكر الأساسى المحدّد عنصرًا بنّاءًا فى الكتاب بأسره، رابطًا كلّ أجزاءِ التصنيف بعضَها ببعضٍ. يرى القارئُ على صفحات هذا الكتاب عنصرًا شخصيًا لايجده فى المصنّفات التاريخيّة الأخرى المؤلّفة فى تلك الحقبة.

إنّ تجارب الأمم - وبصورةٍ جليّة - عمل فكرىٌّ نتج عن ذهن استدلالىٍّ بنّاء، يسوده انطباعٌ سامٍ من غرض المؤرّخ و واجبه، وبهذا، يُبدى مسكويه فضلاً كبيرًا على من سبقه أو عاصره من المؤرّخين الّذين كتبوا آثارهم باللغة العربيّة. إنّه لايُرضيه مجرّد جمع المادة التاريخيّة وعرضها فى ترتيب تاريخىٍّ، لأنّه يعتقد أنّ أحداث الماضى تترابط فى ما بينها بشبكة من المصالح الإنسيّة. وفى الحقيقة، فإنّ التاريخ - كما يراه مسكويه - ليس غيرهذا، كما يرى العاقل فى رواية التاريخ الحقّة ينبوعًا من العلم الثمين (كيتانى، المقدمة: XI-XII).

إنّ مسكويه لايميل إلى أحدٍ فى كتابة التاريخ، ولايحيد به عن المنهج القويم أىّ انتماء. «لقد كتب تاريخه - كمانبّه عليه مرجوليوث أيضًا - فى حيادٍ تامٍّ، مع أنّه عاش فى خدمة الأمراءِ والوزراءِ البويهيّين، وكان من المتوقع أن يُشيد بهم ويمدحهم، ولايتعرّض لنقدهم أبدًا، فى حين نراه لم يَمِلْ إليهم فى كتابة التاريخ،» ولم يُراعِ جانبهم فى ما كتبه عنهم، بل يؤاخذهم على أشياءَ فى سلوكهم وتدابيرهم.

مصادر مسكويه فى كتابة التاريخ

صرّح مسكويه بأنّه لمّا قرأ أخبار الأمم، وسيرالملوك، وأخبار البلدان، وكتب التواريخ (أنظر المقدمة: ص ١) وجد فيها ماتستفاد منه تجربة.... وهذا دليل واضح على تعدّد مصادره، فى كتابة التاريخ. بيد أنّه اعتمد اعتمادًا كلّيًا على الطبرى (٢٢٤-٣١٠ هـ)، كما اعتمد على المصادر الأُخرى الّتى تتنوّع وتختلف، حسب الفترات التاريخيّة الّتى أرّخها فى تصنيفه، وحسب مصادر كانت فى متناوله، بحيث لايمكن عدُّها وحصرها إلاّ بِعَدِّ المصرّح منها فى الكتاب، وحصر غير المصرّح منها بإرجاع نُقول مسكويه إلى أصولها وأصحابها، وهذا يتطلّب دراسةً مستقلّةً قدتأخذ وقتًا طويلاً. فمصادر مسكويه حسب هذه العجالة هى:

١) تاريخ الطبرى: عوّل مسكويه، أولاً وقبل كلّ شىء، على الطبرى. وذلك بحذف كثير من موادّ الطبرى، من مكرّره ومالم يدخل فى إطار منهج مسكويه فى كتابة تاريخه. فمسكويه يوازى الطبرى ابتداءً من العصر الفيشداذى وذِكر اوشهنج بالذّات، او ممّا بعد الطوفان حسب تصريحه؛ إلى سنة ٢٩٥ هـ ، مع العلم بأنّ الطّبرى استمّر فى تاريخه حتى سنة ٣٠٢ هـ .
ومسكويه ليس المؤرّخ الوحيد الّذى ينهل من مناهل الطبرى ويعول عليه فى تصنيفه. فمن هو الذى لم يعوّل على الطبرى؟ فها هو ابن الأثير يصرّح فى مقدمته (ص ٣) قائلاً: «فابتدات بالتاريخ الكبير الّذى صنّفه الامام ابوجعفر الطبرى، إذ هو المعوّل عند العامّة عليه، والمرجوع عند الإختلاف إليه. فأخذتُ مافيه من جميع تراجمه، لم أخلّ بترجمةٍ واحدةٍ منها، وقد ذكر هو فى أكثر الحوادث رواياتٍ ذات عددٍ، فقصدتُ أتمّ الرّوايات، واضفتُ إليها من غيرها م ليس منها... فلمّا فرغتُ منه أخذتُ غيره من التواريخ المشهورة [منها تجارب‌الأمم] فطالعتُها، واضفتُ منها إلى مانقلتُه من تاريخ الطبرى ماليس فيه....»
هذه هى الحالة عند جلّ المؤرخين منهم ابن خلدون أيضًا (العبر ٤:١١٤٠). إنّهم وجدوا تاريخ الطبرى ينبوعًا ثرًّا يتدفّق منه ذلك الحجم الهائل من الموادّ التاريخيّة، والروايات المختلفة الكثيرة، الّتى اوردها فيه، دون نقدٍ، او تعديل، او تعليق، واعيًا عامدًا مايفعله، كما صرّح به فى مقدّمته. ولكنّ المؤرّخين صاغوا مااخذوه من الطبرى فى قوالب ارتضوها لتصانيفهم، كلٌ على شاكلته. ومن هؤلاءِ مسكويه، الّذى أخذ بدوره عن الطبرى أخْذَ نقدٍ واختيارٍ وتعديل وتمحيص وحذفٍ وإضافة من مصادر اخرى، وفقًا لأغراضه الّتى تحدّث عنها فى مقدمة تجارب الأمم.
والجدير بالذكر أنّ هناك مناسبة خاصّة بين مسكويه والطبرى يمتاز بها مسكويه من بين سائر المؤرّخين، حيث يُعتبر مسكويه تلميذًا غير مباشر للطّبرى فى استماع تاريخه عن صاحبه، وقراءة كتابه عليه، والحصول على الاجازة منه. قال مسكويه بهذا الصّدد (أنظر التجارب 6,243): «وفيها [اى فى سنة ٣٥٠ هـ] مات أبوبكر احمد بن كامل القاضى، رحمه‌الله، ومنه سمعتُ كتاب التاريخ لأبى جعفر الطبرى، وكان صاحب ابى‌جعفر، قد سمع منه شيئًا كثيرًا، ولكنّى ماسمعت منه عن ابى‌جعفر غير هذا الكتاب، بعضه قراءة عليه، وبعضه إجازة لى، وكان ينزل فى شارع عبدالصمد، ولى معه اجتماعٌ كثير.»

٢) نفائس المكتبات: لم يكتف مسكويه بالطبرى، حتّى بالنسبة إلى القسم الذى قلنا إنّه عوّل فيه عليه تعويلاً كليًا (العصر الفيشداذى إلى سنة ٢٩٥)، بل اورد فى تاريخه نصوصًا إيرانيّةً عديمة النّظير لانجدها لاعند الطبرى ولا عند غيره من كبار المؤرّخين من امثال المسعودى وابن

الأثير ومن إليهما، ونخصُ بالذكر عهدَ أردشير الّذى يُعتبر من أقدم النصوص الايرانية المدوّنة الّتى وصلت إلينا، وكذلك السيرة الذاتيّة لأنوشروان، وخطبته المشحونة، اللّتين نقلهما مسكويه عن كتاب كتبه أنوشروان نفسه فى سيرته.

من أين أتى مسكويه بهذه النصوص وغيرها ممّا تفرّد بنقلها بين المؤرّخين؟ إنّه كان خازنًا لمَكتبات البويهيين من أمثال ابن العميد، وابنه أبى الفتح، وعضدالدولة. لقد دامت صحبته أو خزانته سبع سنين لابن العميد فقط (6,350)، وكان لفهرس مكتبة ابن العميد ١٠٥٦ ورقة (= ٤٤ كرّاسة لكلٍّ منها ٢٤ ورقة ـ متز ٢٩٧:١)ولم يثبت فى هذا الفهرس إلاّ أسماء الكتب، وقد اجتمعت فى تلك المكتبة كلّ أنواع العلوم والحكم والآداب، تحمل على مائة وقر وزيادة (انظر التجارب: 6,286). وعن مكتبة عضدالدولة حكى لنا المقدسى (الذى كان يختلف إليها، فلاجرم أنّه زار مسكويه أيضًا) حيث قال عند وصفه لدار عضدالدولة بشيراز وغرفها وعجائبها: «... وخزانة الكتب، عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد، ولم يبق كتاب صُنّف إلى وقته من انواع العلوم كلّها إلاّ وحصّله فيها، وهى أزجٌ طويل، فى صُفّةٍ كبيرة، فيه خزائن من كلّ وجه، وقد ألصق إلى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوتًا طولها قامة فى عرض ثلاثة أذرعٍ من الخشب المزوّق، عليها أبواب تنحدر من فوق، والدّفاتر منضّدة على الرفوف، لكلّ نوعٍ بيوتٌ وفهرستاتٌ، فيها أسامى الكتب لايدخلها إلاّ وجيهٌ...» (المقدسى: ٤٤٩). فلاشكّ أنّ مسكويه استفاد من هذه المكتبات كثيرًا من علمه والموادّ التاريخيّة الّتى أوردها فى كتابه ممّا لايوجد عند سائر المؤرّخين سواءٌ ما أضافه فى تاريخ ماقبل الاسلام مستمدًا من مصادر إيرانية قديمة موجودة فى تلك الخزانات، أو ماأضافه إلى تاريخ مابعد الإسلام آخذًا عن مصادر إسلامية كانت فيها.

٣) ثابت بن سنان: هناك فترة تاريخيّة تبدأ من سنة ٢٩٥ إلى سنة ٣٤٠ هـ يعتمد مسكويه فيها على مصادر مستقلّةٍ عن الطبرى، منها: تاريخ ثابت بن سنان (المتوفى سنة ٣٦٣ هـ) ابن ثابت بن قرّة الصابى الحرّانى (٢٢١-٢٨٨ هـ) خال أبى اسحق هلال بن محسن الصّابى. كتب ثابت بن سنان تاريخه ابتداءًا من خلافة المقتدر (من سنة مائتين ونيّف ـ القفطى) إلى سنة ٣٦٠ هـ . فكتب أبوإسحق هلال بن محسّن تتمةً لتاريخ ثابت بن سنان وصلت إلى سنة ٤٤٧ (كلود كاهن، دانشنامه ايران و اسلام). ومن دلائل كونه مصدرًا لمسكويه ماجاء فى التجارب (5,371) حيث قال: «.. وحكى ثابت بن سنان فى كتابه أنّ....» فهذا تصريح من مسكويه أنه أخذ فى تاريخ هذه الفترة عن ثابت بن سنان أيضًا.

وهناك قول بكون أبى اسحق هلال الصابى أيضًا من مصادر مسكويه، لايمكن الاطمئنان إليه. قال الروذراورى فى الذيل (ص ٢٣): «وعمل أبوإسحق الكتاب الّذى سمّاه: التاجىّ فى الدولة الديلميّة.. وهو كتاب بديع الترصيف حسن التصنيف..، ووجدنا آخره موافقاً لآخر كتاب تجارب الأمم، حتّى إنّ بعض الألفاظ تتشابه فى خاتمتهما، وانتهى القولان فى التاريخ بهما إلى أمدٍ واحدٍ، والكتاب موجودٌ يُغنى تامُّله عن الإخبار عنه.» فكيف نطمئنُّ إلى هذا القول ونحن نعلم أنّ أباإسحق الصّابى كتب تاريخه حتى سنة ٤٤٧ هـ . فى حين انّ تجارب الأمم لايتجاوز سنة ٣٦٩ كما أقرّبه صاحب الذيل أيضًا (أنظر الذيل، ص ٨). وافتراض انّ لتجارب الأمم أجزاء أخرى أيضًا لم تصل إلينا وماهو موجود ناقص (بالرغم من تصريح نجده فى آخر الجزءِ السادس)، فهذا الإفتراض أيضًا مردود. لأنّ مسكويه لم يعش بعد سنة ٤٢١ هـ . اللهمّ إلاّ أن يكون الأمر قد اختلط للروذ راورى، أو كان الّذى قصده، هو ثابت بن سنان الصابى الذى وصل تاريخه إلى سنة ٣٦٠ هـ ، أو إلى آخر حياته (سنة ٣٦٣ هـ) حسب قولين يذكران بصدد نهاية كتابه. بيد انّ هذا أيضًا غيرمقبول، لأنّ تاريخ مسكويه وصل إلى سنة ٣٦٩ هـ ، فكيف يمكن أن يكون آخر الكتابين أمدًا واحدًا. وامّا هلال الصابى لوصح نقل مسكويه عنه، فهو يصل بحوادث أوائل كتابه أى من سنة ٣٦٤ (ابتداء تاريخ هلال) إلى سنة ٣٦٩ أى إنتهاء تجارب الأمم.بيد انّ هذا أيضًا، مرفوضٌ. لأنّ مسكويه فى هذه الفترة، يكتب التاريخ عن مشاهدة و عيان، ويعتبر مصدرًا لنفسه.

٤) **مسكويه مصدرًا:** مهمايكن من أمر الفترة السابقة، اى الّتى تنتهى إلى سنة ٣٤٠ هـ ، فإنّ مسكويه بشهوده وعيانه تارةً، وبسماعه من الأصدقاءِ والزملاءِ الساسة المشايخ تارة أخرى، يُعتبر مصدرًا حيًّا لكتابة تاريخه. لقد صرّح مسكويه بذلك فى بداية ذكر الحوادث لتلك السنة حيث قال:

«أكثر ماأحكيه بعد هذه السنة (٣٤٠ هـ) فهو مشاهدة وعيان، أو خبرٌ محصّل، يجرى عندى خبره مجرى ماعاينتُه، وذلك أنّ مثل الأستاذ الرئيس أبى الفضل محمد بن الحسين بن العميد - رضىالله عنه - خبرنى عن هذه الواقعة وغيرها بمادبّره، وما اتفق له فيها، فلم يكن إخباره لى دون مشاهدتى فى الثّقة به، والسكون إلى صدقه، ومثل أبى محمد المهلّبى - رحمهالله - خبرّنى بأكثر ماجرى فى أيّامه، وذلك بطول الصحبة وكثرة المجالسة، وحدّثنى كثيرٌ من المشايخ فى عصرهما بمايستفاد منه تجربة، وأنا اذكر جميع مايحضرنى ذكره منه وماشاهدته وجرّبته بنفسى، فسأحكيه أيضًا بمشيئة الله.»

وهكذا يصل تاريخه إلى سنة ٣٦٩ هـ مع أنّه عاش حتى ٤٢١ هـ أى لمدة نصف قرن، تاركًا كتابة تاريخ تلك المدّة. وبالرغم من ذلك، فإنّ تجارب الأمم عُرف كمصدر أساس لايستغنى عنه لدراسة القرن الرابع الهجرى والعصر البويهى الذى يعتبر ألمع العصور الإسلاميّة علمًا وحضارةً.

تجارب الأمم: إسمه

اسم الكتاب هو تجارب الأمم كما سمّاه مسكويه نفسه فى مقدمته حيث قال: «.. فجمعت هذا الكتاب وسمّيته تجارب الأُمم.» وقد ذكره بضبط أمين كلٌ من ياقوت ٥: ١٠؛ وابن الأثير ١١٨:٧؛ ٨٦:٨؛ وكذلك القفطى: ٣٣١؛ والبيهقى: ١٨-١٩؛ وابن خلكان ١٩:٢؛ وابن خلدون ٧٧٢:٣؛ والخوانسارى ٢٥٥:١؛ وغيرهم. ولكنه ورد بزيادة «عواقب الهمم» عند كلٍّ من أبى سليمان فى الصوان: ٣٤٧؛ والروذ راورى فى الذيل: ٥؛ والسخاوى نقلاعن عمر بن الفهد الهاشمى المكى فى إتحاف الورى (روزنتال: ٤٤١). والزيادة عند العاملى ١٠: ١٤٦ هى «تعاقب الهمم» وهى ضُبطت عند كيتانى (Caetani) فى مقدمته Taāqib بكسر القاف وهو خطأ. والزيادة هذه إنّما نشأت عن أسلوب السّجع فى عنونة المصنفات، الاسلوب الذى طالما ساد أوساط الكتّاب والنسّاخ طيلة القرون ممّن لم يرضوا بماسمّاه المصنفون تصانيفهم، فشفعوا أسماءَها بماشاءَ لهم السّجع والصنعة المتكلّفة، بالرّغم من تصريح المؤلّفين فى ضبط أسماءِ آثارهم. ولذلك نرى الشطر الثانى: «عواقب (أو: تعاقب) الهمم» موضوعًا مختلقا، لأنّ مسكويه صاحب الكتاب، أثبت اسم كتابه فى مقدمته بقوله: «تجارب الأمم» لا أكثر ولاأقلّ، حيث قال: «فجمعتُ هذا الكتاب وسميته تجارب الأمم». والغريب فى الأمر أنّ الناسخ الذى نسخ فيما نسخ، هذه المقدّمةَ وتصريحَ المصنِّف باسم كتابه، نراه فى عبارات الختام والفراغ، وقد أضاف على الإسم شطرًا ثانيًا تارةً، وقدّم الشطر الثانى على الشطر الأوّل تارة أخرى، أى كتب مرّةً: «تجارب الأمم وعواقب الهمم»، ومرّةً: «عواقب الهمم وتجارب الأمم»!

تجزئة تجارب الأُمم

إنّ التجزئة الكاملة الوحيدة الّتى وصلت الينا من تجارب الأمم هى تجزئة مخطوطة أياصوفيا

وهى ستّة أجزاء. امّا مخطوطة ملك (مط) فهى فى مجلّد واحد كبير، وليس فيه تجزئة، اللّهم إلاّ اشارة بسيطة فى الهامش تدل على أنّ المخطوطة انتسخت عن نسخةٍ كانت على ثلاثة أجزاء، دون أىّ إشارة إلى عبارات الإفتتاح من البسملة والتحميد وغير ذلك. وهذا التثليث يبدو أيضًا ممّا بقى من مخطوطة ملك الثانية (مح)، او مخطوطة آستانقدس (آ)، فهما أيضًا كانتا فى الأصل ثلاثة أجزاء.

امّا تجزئة أياصوفيا فهى تجزئة كمّيةٌ، اى لم يُعتبر فيها التقسيم التاليفى الّذى يبتنى عادة على المواضيع الرّئيسة، او الفترات التاريخيّة المحدّدة خاصّةً فى أثر تاريخىّ مثل تجارب الأمم. لذلك يرى القارئ أنّا نقلنا ٤٣ صفحة من بداية الجزء الثانى واضفناها إلى نهاية الجزء الأوّل، اوّلاً لإكمال الفصل الأخير من الجزء الأوّل، ثانيًا من اجل إكمال عصر ماقبل الأموى، وسنراعى هذا المبدأ فى الأجزاءِ الباقية أيضًا إذا اقتضى الحال.

ومن ناحيةٍ أخرى، قسمنا الجزءَ الأوّل إلى قسمين: قسم خاصّ بما قبل الاسلام وهو مفصّلٌ بدوره إلى فصول حسب عصور الأُسَر الحاكمة الايرانيّة مثل: الفيشداذية، والكيانيّة، والأشغانيّة، والساسانيّة؛ وقسم آخر خاص بالعصر الراشدى، وفيه فصول حسب ايّام الخلفاء. امّا بالنسبة للعصر الأموى والعصر العباسى أيضًا سنراعى مبدأ التقسيم والتفصيل.

امّا العناوين الفرعيّة الّتى كانت فى أصل المخطوطة لم نجدها كافيةً لإرشاد القارى إلى موادّ الكتاب ومواضيعه، ولذلك اخترنا لها عناوين وأثبتناها بين المعقوفتين [ ] شانها فى ذلك شأن العناوين الرئيسة التى وضعناها للأقسام والفصول.

مخطوطات تجارب الأمم

لم يصل إلينا من مخطوطات هذا الكتاب إلاّ القليل، لاسيّما اذا كان المراد المخطوط الكامل المشتمل على كل أجزائه. وهذه المخطوطات بغضّ النظر عن كمالها ونقصها هى:

١) أياصوفيا (الأصل): مخطوطٌ كامل فى ستة أجزاء محفوظ فى أياصوفيا باسطنبول برقم ٣١١٦ إلى رقم ٣١٢١. انتسخه محمد بن على بن محمد أبوطاهر البلخى بكامل أجزائه بحيث فرغ من انتساخ الجزءِ الأوّل فى شهر ربيع الأوّل سنة خمس و خمسمائة (٥٠٥) ومن انتساخ الجزء السادس والأخير منه فى منتصف شهر ربيع الأول سنة ستٍّ وخمسمائه (٥٠٦). اى فى مدة سنة واحدة. قطعه صغير، وفى الصفحة الواحدة منه ١٢ سطرًا، وفى كل سطر ١٣ كلمة.

أوّل هذه المخطوطة أى فى فاتحة الجزء الأول وبعد البسملة والتحميد: «قد أنعم الله علينا....» وآخرها أى فى نهاية الجزء السادس: «إلاّ أنّه لم يظهر أمره لأحد. هذا آخر ماعمله الأستاذ أبوعلى أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه رضىالله عنه والحمد لله وصلواته على محمد النبىّ وآله أجمعين وحسبنا ونعم الوكيل.» أما تجزئة الكتاب فى هذه المخطوطة فهى كمايلى:

الجزء الأول (أياصوفيا، رقم ٣١١٦، ٢٩٦ ورقة: ٥٩١ صفحة). تاريخ النسخ: ربيع الأول سنة خمس وخمسمائة (٥٠٥). يشتمل هذا الجزء على الحوادث التاريخيّة منذ العصر الفيشداذى الايرانى حتى سنة ٣٧ هجرية.

الجزء الثانى (أياصوفيا، رقم ٣١١٧، ٢٩٧ ورقة: ٥٩٣ صفحة؛ طهران، المكتبة المركزية، الميكروفيلم رقم ١٢٠ والصّورة رقم ٢٩٠). ويشتمل هذا الجزء على حوادث سنة ٣٨ إلى سنة ١٠٣ هجرية.

الجزء الثالث (أياصوفيا، رقم ٣١١٨، ٢٩٧ ورقة: ٥٩٣ صفحة؛ طهران، المكتبة المركزية، الميكروفيلم رقم ١٢١، والصوّرة رقم ٢٤٤). يتضمّن هذا الجزء على حوادث سنة ١٠٤ إلى سنة ١٩١ هجرية.

الجزء الرابع (أياصوفيا، رقم ٣١١٩، ٢٩٠ ورقة، ٥٨٠ صفحة؛ طهران، المكتبة المركزية، الميكروفيلم رقم ١٢٢، والصورة رقم ٢٩٣). يشتمل هذا الجزء على حوادث سنة ١٩١ إلى سنة ٢٣٣ هجرية.

الجزء الخامس (أياصوفيا، رقم ٣١٢٠، ٢٩٣ ورقة: ٥٨٥ صفحة) تاريخ الإنتساخ: شهر محرّم سنة ستٌ وخمسمائة (٥٠٦). يشتمل هذا الجزء على حوادث سنة ٢٣٤ إلى ٣٢٦ هجرية.

الجزء السادس (أياصوفيا، رقم ٣١٢١، ٢٦٠ ورقة: ٥٢٠ صفحة) تاريخ الإنتساخ: منتصف شهر ربيع الأول سنة ستٌ وخمسمائة (٥٠٦). يشتمل هذا الجزء على حوادث سنة ٣٢٦ إلى سنة ٣٦٩ هجرية.

مانشر من هذه المخطوطة: نشر كيتانى (L.Caetani) الجزء الأوّل، والجزءَ الخامس، والجزءَ السادس من المخطوطة (ليدن ١٩٠٩، ١٩١٣، ١٩١٧ م) عن موسسة جِبْ (Gibb) التذكارية، طبعة فتوغرافيّة (facsimile edition). إنّه قدّم الجزأين الخامس والسادس على الأجزاءِ الأخرى (الثانى والثالث والرّابع) نظرًا لكونهما استمرارًا لتاريخ الطبرى. وكان مشروع المؤسسه يقضى بأن يعود كيتانى وأعوانه إلى العمل لنشر الأجزاءِ الوسطى (٢، ٣، ٤) بعد

الفراغ من الجزأين الأخيرين (كيتانی، مقدمة الجزء الخامس: XIV) ولكنّهم لم يوفقوا فی إنجاز مشروعهم لأسباب قد تكون ظروف الحرب العالمية الأولى منها. فلم تنشر تلك الأجزاء وبقيت بعيدةً عن متناول الباحثين.

امّا الملاحق التی الحقت بهذه الطبعة (طبعة كيتانی الفتوغرافية) فهی فی الجزء الأول: مقدمة لكيتانی (٥ صفحات) وكلمة ايمدروز (Amedroz) عن حياة مسكويه (١٣ صفحة) وملخّص لمضمون الجزء الأول بقلم ملونی (G.Meloni) وفهرس اعلام لملونی ايضًا، كما ألقى لی سترنج (G. Le Strange) نظرة على الملخص والفهرس قبل إرسالهما إلى المطبعة. وفی الجزء الخامس، مقدمة لكيتانی ايضًا (٤ صفحات) مع ملخص وفهرس. امّا الجزء السادس فليس معه غير مقدّمة كتبها لی‌سترنج (صفحتان).

امّا ما نشره ايمدروز فهو الجزءان الخامس والسادس من هذه المخطوطة (القاهرة شركة التمدن ١٩١٤، ١٩١٥ م) باسقاط ٥٦ صفحة من اوّل الجزء الخامس وضمّ ٢٨ صفحة من الجزء السادس إلى الجزء الخامس، كمانشر معهما جزءًا ثالثًا يتألّف من ذيل تجارب الأمم للوزير ابی شجاع محمد بن الحسين الملقّب بظهيرالدين الروذ راوری (من سنة ٣٦٩ إلى سنة ٣٨٩ هجرية)، وجزءًا رابعًا يتشكّل من الجزء الثامن من تاريخ ابی الحسين هلال بن المحسّن بن إبراهيم الصّابی الكاتب (من سنة ٣٨٩ إلى سنة ٣٩٣) وهذان الجزءان صدرا فی مجلّدٍ واحد تحت عنوان ذيل تجارب الأمم (القاهرة شركة التمدن ١٩١٦ م)، مع العلم بأنّ ايمدروز لم يوفق فی إكمال تحقيق نصّ الذيل بسبب وفاته، فتابع عمله مرجوليوث، فحقّق النصف الباقی منه (مرجليوث، المقدمة: I). فكلّ مانشره ايمدروز هو مجلدان (٥، ٦) من تجارب الأمم، ومجلد ثالث عرف بذيل تجارب الأمم (= ذيل الروذراوری + الجزء الثامن من تاريخ هلال الصابی).

والأجزاء الثلاثة هذه (نشرة ايمدروز) نُشرت بترجمة إنجليزية ترجمها مرجوليوث بمقدّمة (١١ صفحة) وفهرس (١٤٤ صفحة فی مجلد واحد) فی سبعة اجزاء (اكسفورد ١٩٢٠-١٩٢١ م) تحت عنوان: .the Eclipse of Abbasid caliphate

أمّا مشروعنا، كما أشرنا إليه قبلُ، فيشمل تحقيق أجزاء تجارب الأمم الستّة، ونشر الكتابْ بكامله، كما يشمل ترجمته إلى اللغة الفارسيّة، لتكون بذلك قد أسهمنا فی سدّ الفراغ الّذی طالما شغل بال الكثيرين من المعنيين بالدراسات التاريخيّة الإيرانيّة الإسلاميّة.

٢) **ملك** (مط) يرقم ٤١٤٥. نسخة كاملةٌ من حيث الكمّية، فی مجلّد واحد من القطع الكبير.

عند صفحاتها ١٠١٤، فی کلّ صفحة منها ٢٥ سطرًا ولكل سطر ٢١ كلمة. هی مثل أياصوفيا فی أوّلها وآخرها. وعبارة الفراغ فی الختام هی: «قد تمّ الفراغ من هذه المسودّة فی عشر (= العشر) الأوّل من شهر ذی الحجة الحرام فی الليلة (= ليلة) الأضحى منه، من سنة أربع وتسعين ومائتين بعد الألف (١٢٩٤) من الهجرة المقدسة، على يد أقلّ الطلّاب والسادات محمود الطباطبائی الأردستانی الإصفهانی.» خط النسخة نسخیٌ جميل مقروءٌ، ولكنّ الهفوات والأخطاء الناتجة عن قلّة الثقافة لدى الناسخ، حطّت من قيمتها كنسخة. وسيأتى الكلام عنها فی مكانه.

٣) **ملك الثانية**:(مح) برقم ٤٣٢٤. عدد أوراقها ٢٣١ و عدد صفحاتها ٤٦٢، بالقطع المتوسط و فی كلّ صفحة منها ٢١ سطرًا. انتسخه محمد بن داود الحسينى المشهدى فی سنة ١٣٠٧ هجرية. أولها: «ودخلت سنة إحدى ومائة وفيها ولی يزيد بن عبدالملك الخلافة....» وآخرها: «.. واتصل خبر انصرافه بالمهتدى، فكتب إليه فی ذلك كتابًا (= كتبًا) كثيرة، فلم يؤثر شيئًا فلمّا نظر....، تمت...». تشتمل المخطوطة هذه على حوادث سنة ١٠١ إلى سنة ٢٥٦ هجرية. وهی كماترى مخطوطة ناقصة.

٤) **أستانقدس**:(آ) برقم ٤٠٩٠؛ طهران، المكتبة المركزية، الميكروفيلم رقم ١٦٣٨ والصورة رقم ٦١٨٨/٣ (ثلاثة أقسام) عدد الأوراق ٢٥٧، وعدد الصفحات فی الأقسام الثلاثة ٥١٤ صفحة. أولها بعد البسملة والحمدله: «ودخلت سنة إحدى ومائه (١٠١)» وآخرها: «وخرج واتصل خبر انصرافه بالمهتدى، فكتب إليه كتابا [= كتبًا] كثيرة، فلم يؤثّر شيئًا. فلمّا نظر....» تشبه فی أولها وآخرها مخطوطة ملك الثانية (مح). يعود تاريخ انتساخ المخطوطة إلى شعبان سنة ١٢٩٧ (فهرس مخطوطات مدرسة نواب وآستانقدس) وهذه المخطوطة ناقصةٌ أيضًا كمخطوطة ملك الثانية.

٥) **باريس**: (Paris , Bibl. Nat., Arab, 5838 (Shéfer, A. B1 نسخة ناقصةٌ تشتمل على حوادث سنوات ٢٤٩-٣١٥ هجرية فقط. (كيتانی، المقدمة: XIII).

٦) **بودلی**: (Marsh, 357; Uri I, No. 804). وهذه النسخة تشتمل على حوادث ٣٤٠-٣٦٥ هجرية. (كيتانی المقدمة: XIII).

٧) **امستردام**:(Cat. de Jong, 101) مخطوطة ناقصة تشتمل على حوادث سنة ١٩٦ إلى سنة ٢٥١ هجرية (كيتانی، المقدمة: XIII) أوّلها ناقص بأكثر من سطرين، ثمّ تبدأ هكذا: «..أمر العراة باتّخاذ تراسٍ من البواری، وبالرّمی بالمقاليع ومحمد قد أقبل على اللّهو والشّرب،

ووكّل الأمرَ كلّه إلى محمد بن عيسى بن نهيك، وإلى الهرش....» وآخره : «.. ونزل الحسين بالقرب من دممًا. نجز الكتاب ... ويتلوه فى الجزءِ السادس: ذكر رأى أشيربه عليه صواب. والحمدلله ربّ العالمين، وصلواته على محمّد النّبىّ وآله الطاهرين وسلّم.»

نشر المخطوطة دىخويه (de Goeye) بترجمة لاتينيّة ومقدمة (بريل ٧١-١٨٦٩ م) تحت عنوان: Fragmenta Historicorum. كما نشرت مرّة ثانية بالأفست وبحذف الترجمة اللاتينية (بغداد، المثنّى، دون تاريخ) تحت عنوان: العيون والحدائق، لمؤلّف مجهول (من خلافة الوليد بن عبدالملك إلى خلافة المعتصم) ويليه مجلّد من تجارب الأمم. والعنوان الخاص بقسم تجارب الأمم هو: تجارب الأمم، تاليف أبى على أحمد بن محمد بن يعقوب «بن» مسكويه، الجزء السادس. فالنشرة هذه هى من جزأين: الجزء الأوّل هو الجزء الثالث المتبقّى من كتاب «العيون والحدائق فى أخبار الحقائق» اشترك (يونج P.de Jong) مع دى خويه فى تحقيقه، والجزء الثانى وهو جزء من تجارب الأمم حقّقه دىخويه وحده. (من صفحة ٤١١ إلى صفحة ٥٨٣، المجموع: ١٧٢ صفحة مطبوعة).

٨) اسكوريال: Escorial, No. 1704. Cat. 1709. نسخة ناقصة تشتمل على حوادث سنة ٣٦ إلى سنة ٦٧ هجرية (كايتانى، المقدمة؛ XIII).

تحقيق النّص

وبمقارنة بسيطة بين هذه المخطوطات التى شرحناها، يتّضح أنّ المخطوطة الكاملة الوحيدة التى عُرفت فى العالم حتّى الآن، هى مخطوطة أياصوفيا، وهى الّتى يؤهلّها تاريخها المتقدّم (٦٠٥-٦٠٦ هـ) وأصالتها وصحتها بالاجمال لأن تكون أساسًا لعملنا فى تحقيق نصّ الكتاب، وإخراجه بجميع أجزائه. لأنّ سائر المخطوطات، كما أشرنا إليها، ناقصةٌ من حيث الكمّية، أى تشمل فقط أجزاءً متقطعة من الكتاب، وحتّى لوسنح لنا جمع أشتاتها من مكتبات العالم، وضمُّ بعضها إلى بعضٍ، لاتعطينا النّصف من نصّ الكتاب. لأنّها إمّا تكرار لبعض أجزاءِ الكتاب وإمّا متقّطعةٌ لا صلة بين بعضها والبعض الآخر (انظر السنوات التى تشتمل عليها هذه الأجزاءِ).

وأمّا مخطوطة (مط) فهى برغم اشتمالها على كلّ الكتاب، مخطوطة متأخرة (انظر تاريخ الانتساخ) من ناحية، ومليئة بأخطاء الاستنساخ من ناحيةٍ أخرى. وأمّا كثرة الأخطاء والتصحيفات فيها فترجع فى ما نظنُّ، إلى أمرين: أولهما عدم وضوح الخطّ فى الأصل الذى

نقل عنه الكاتب، وثانيهما انعدام الثقافة اللازمة لمثل هذا العمل عند هذا الكاتب. ولذلك ظهرت فى مخطوطة (مط) أخطاءٌ فادحة وتصحيفات عجيبةٌ كثيرة تبلغ عشرين إلى ثلاثين خطأً فى صفحة واحدة وهى وصلت فعلاً حوالى الخمسين فى الصفحة الأولى من الكتاب من خطأ وبياض. وهنا لابأس فى أن نذكر نماذج من أخطاء هذه المخطوطة ليقف القارئ على نوعيّة الأخطاء من جهة، وعلى قيمة هذه المخطوطة السلبيّة من جهة أخرى: لقد كتب النّاسخ خطأً «عمر بن خان» بدل «غزا بُرجان» (إسم مكان)، و «عهته»! بدل «عَرَضَه»، و «على حاله مؤخرًا»! بدل «على خاله سوخرا»! (اسم لشخص) و «ابوال»! بدل «اموال»! و «يعرضوا السن» بدل «صغير السّنّ»! و«فطرر بن» بدل«وضرار بن» ! و «ماقدر جمعًا إنّك فى هذا الأمر»! بدل «ماقدرُ جُعالتك فى هذا الأمر»، و «قبالة بخطه»! بدل «قُبالة لَحظِه»! و «ناش»! بدل «باشَرَ»، و «وكان سعد هذا تزوّج أُمّهُ خدمة لجذيمة»! بدل «تزوّج أَمَةً تخدم لجذيمة»! وأخطاء كثيرة أخرى، لاجدوى لذكر جميعها .

وبالنظر إلى الحالة هذه، فإنّنا اعتمدنا أساسًا على نسخة أياصوفيا(الاصل) ثمّ(مط) كما استعنّا بالأصول التاريخية خاصّة بالطبرى، وبالمخطوطات الناقصة الموجودة فى متناولنا مثل: مح، آ، أم، (والأخيرة عن طريق نشرة دىخويه) كما استعنّا بصورة غير مباشرة بالمخطوطتين اللتين استفاد منهما الدكتور احسان عباس فى نشرته لعهد أردشير الّتى رمز إليهما بـ : ر، غ، خصيصا لتحقيق العهد (أنظر مقدمته لنشرته).

ونعنى بالأصول التاريخية، تاريخ الطبرى، والكامل لابن الأثير، والآثار الباقية للبيرونى، وسير الملوك للثعالبى، والمروج للمسعودى، وحمزة و الدينورى وغيرها. وهذه ـ ماخلا الطبرى وابن الأثير ـ استفدنا منها فى قسم ماقبل الإسلام، أى مايخصّ بالتاريخ الإيرانى القديم، لاسيّما فى تحقيق الأعلام الإيرانية. وأمّا بالنسبة للطبرى (طبعة أوروبا) فانّنا استفدنا منه الكثير سواءً بالنسبة للاعلام، أو بالنسبة لازاحة الشكوك فى قراءة الكلمات والعبارات، وملأ الفراغ الناتج عن البياض والسقط والانمحاء والخرم والشّطب وغيرها، ولاسيما من حواشى الطبرى فى نشرة دىخويه المليئة باختلاف النسخ. والمعروف أنّ الطبرى منهلٌ كبير ارتوى منه جُلُّ المؤرخين الآتين بعده ومنهم مسكويه. وهذا بالنسبة للفترة التاريخية الطويلة التى اشترك فيها الطبرى ومسكويه فى ذكر أحداثها، وأمّا بالنسبة للزمن الزائد عليها (العصر البويهى عند مسكويه) فرأينا أن نقارن النصّ مع أصول أخرى متأخرة عن الطبرى مثل ابن الأثير وابن خلدون ومن إليهما. أضف إلى ذلك أنّ الطريق معبّد إلى حدّما، بعد أن نشر أيمدروز الجزأين

الخاصين بهذا العصر وكذلك ذيل التجارب، وذلل لنا بعض الصّعاب.

والجدير بالذكر أنّنا ذكرنا صفحات الإرجاع فى كلّ مقارنة عملناها بين الأصل والطبرى وغيره من الأصول، مع ما فى هذه المقارنة من صعوبات، لأنّ المقارنة بين نصٍّ ما وبين نصوص أخرى تخالفه فى الحجم وترتيب الموادّ، تتطلّب أناةً كثيرة، ولكنها فى نفس الوقت عمل فيه نفع كبير للباحثين.

فى تاريخ ماقبل الإسلام، أى أوائل الجزء الأوّل، يوجد كثيرٌ من الأعلام الايرانيّة القديمة ذات جذور فى اللغات الفهلويّة والأفستائيّة وغيرها، ضُبطت فى الأصول التاريخيّة ومنها تجارب الأمم، بصور شتّى، أوّلاً: بسبب غرابة أشكالها فى أصلها القديم، ثانيًا: اللعب الذى لعبته اللغة العربيّة فى تعريبها ثالثًا: عبث الكُتّاب والنساخ بها. وهذا هو ماأدّى إلى أشكالٍ غريبة من التحريف والتصحيف، تحيّر القارئُ وتدهشه. لذلك أرجعنا ـ قدر المستطاع ـ مثل هذه الأعلام إلى أصولها فى الهامش، بعد إثبات خلافات صور الضبط فيها، مستفيدين من عملٍ سابقٍ قمنا به بهذا الصّدد، معوّلين على قواميس اللغات الإيرانيّة القديمة ودراسات الاخصائيين فى هذا المجال. وممّا هو جدير بالذكر هنا أنّه، لمّا كانت الأعلام كثيرةً متواليةً فى الصفحات الأولى من الجزء الأوّل، نظرًا لاختصار تقارير مسكويه لتلك الفترة، لذلك، نرى حواشى الصفحات فى ذلك القسم مكثّفةً، مع أنّنا حاولنا ـ قدر المستطا ع أيضًا ـ تلخيص تعاليقنا وإثباتها بأوجز وجه. وكذلك حاولنا شرح الأعلام الجغرافية، أو بعض الكلمات، قدر ما تيسّرَ وسنحت لنا فرص البحث والتتبع، أو بدافع حاجتنا فى تحقيق الكلمة وضبطها، دون أن نكون قد وفّقنا فى شرح كلّ تلك الأعلام أو المفردات الأخرى. كما استعملنا لهذا الغرض الرموز الصّوتية الدولية، ولكن بشىء من التغيير الذى دفعتنا إليه الظُروف المطبعيّة، فاصبحت الرموز كمايلى:

a = آ	ı= إِ (الكسرة العربية)	sh = ش	y = ى
ā = آ	ī = اى (بالمدّ)	th = ث	z = ز
ch = چ	j = ج	ū = او	zh = ژ
dh = ذ	o = أ	w = و (العربيّة)	
ē = إِ (بالمدّ)	gh = غ	v = و (الفارسيّة)	
g = گ	h = هـ	x = خ	

وقد اتبعنا فى رسم الكلمات والوصل والفصل بينها، وكذلك فى إثبات الحوار الوارد فى النّصّ

وما إلى ذلك، معدّل الطرق الحديثة المقترحة فى تحقيق النصوص، ممّا يتلاءم وطبيعة نصٌ تاريخيٌ مثل تجارب الأمم، وبالنتيجة، فقد غيرنا ضبط رهط من الكلمات نثبت هنا نماذج منها: اثبتنا: أثنائها بدل أثنايها؛ وبقاؤه، بقاءه، بقائه بدل بقاه؛ والحياة بدل الحيوة؛ وتدنو (بصيغة المفرد) بدل تدنوا؛ وإساءة بدل اساة؛ وجاءت بدل جآت؛ وإبنة بدل ابنت؛ وثمانين بدل ثمنين؛ وحارث بدل حرث؛ ورؤوس بدل رؤس، وسبعة آلاف بدل سبعة الف؛ وأربعة آلاف بدل اربعة الف؛ وآية، بدل ايت؛ وماإليها.. وأمّا، بشأن إثبات الحوار فقد اتبعنا المناهج المألوفة ليكون النّصّ عند القراءة، أوضح وأنطق.. ووضعنا العبارات المنقولة بين « »، كما جعلنا كلّ كلمة دخيلة مقحمة ممّا نقلناها عن الأصول الأخرى، أو اقترحناها نحن، جعلناها بين [ ]، حفظًا للأمانة وأصالة النّصّ. وأثبتنا رقم صفحات مصورة كيتاني، أى صفحات المخطوطة، بين [ ]، أوّلاً: لتسهل على القارئ المقارنة بين نشرتنا وبين الأصل إن شكّ فى صحّة ما أثبتناه، ثانيًا: لسهولة المراجعة حسب الارجاعات الموجودة فى دراسات الباحثين، ثالثًا: لسهولة الارجاعات الداخلية التى احتجنا نحن إليها، خصيصًا بالنظر إلى ثبوت مواضعها قبل الطبع وبعده. ثمّ يرى القارئ فى التعاليق أنّا وضعنا صفحات الارجاع إلى المصادر بين الهلالين تارة، وأثبتناها من دون الهلالين أخرى، فكتبنا تارةً: «فى الطبرى (٢:٣٨٥): كذا»، وأخرى كتبنا: «أنظر الطبرى ٢:٣٨٥» فالصورة الأولى استلزمت الهلالين نظرًا لتكرار النقطتين (:) وللفصل بينهما، وأمّا فى الصورة الثانية فلم تعد حاجة للهلالين لعدم تكرار النقطتين. كما أوردنا النصوص الطويلة الهامّة بسطور أقصر تمييزًا بينها وبين النّصّ العادى، وما إلى ذلك من القواعد المألوفة.

وفى الختام، أغتنم الفرصة، لأشكر أوّلاً الظّروف الّتى يسّرتنى للقيام بإحياء تراثٍ تاريخىٍّ قيّمٍ، لم يلقَ اهتمامًا جادًّا شاملاً، ثمّ أشكر كلّ من أسهم فى مراحل إصدار الكتاب فى دار سروش، خاصّةً الآنسة سهيلا آبگينه، على ماتحمّلت من متاعب فى تنضيد حروف الكتاب، والسيّدة مليحة حجّتى، على بذلها الجهود فى إخراجه. ومن الله التّوفيق.

الدكتور ابوالقاسم امامى

طهران. صيف ١٣٦٦ ش./ ١٤٠٧ ق./ ١٩٨٧ م.

[مقدِّمةُ المُصنِّف]

بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

الحمدُ للهِ رَبِّ العالَمين[١] حَمدَ الشاكِرين، وَصَلواتُه علىٰ محمَّدٍ النَّبيِّ وآلِه أجمَعين[٢]. قَد أنعمَ اللهُ عَلَينا، مَعاشِرَ خَدَمِ مَولانا المَلِكِ السَّيِّد الأجلِّ، وَلِيِّ النِّعمِ ـ أطالَ اللهُ بَقاءَهُ، وأكبَّ أعداءَهُ، وَحَرَسَ مُلكَهُ، وأعزَّ سُلطانَهُ ـ لمّا أخرَجَنا فى زَمانِه، وأنشأنا فى أيّامه، وَبوَّأنا ظِلَّهُ، وأنزلَنا كَنَفَهُ، وَجَعَلَنا مِن خاصِّ خدَمِه. فَنحنُ نَتَقَلَّبُ[٣] مِن نِعَمِه فيما لا شكرَ لَهُ غيرَ الدُّعاءِ، وَلاثَمَنَ لَهُ غيرَ الثَّناءِ، فَنسألُ اللهَ بِأخلَصِ نِيَّةٍ وأصدَقِ طَوِيَّةٍ، إدامةَ أيّامِه، والامتاعَ بِما خَوَّلَناهُ مِن إنعامِه، إنَّه جَوادٌ كَريمٌ.

وَإنّى لمّا تصفَّحتُ أخبارَ الأُمَمِ، وَسِيَرَ المُلوكِ، وَقَرأتُ أخبارَ البُلدانِ، وكُتُبَ التَّواريخ، وَجَدتُ فيها ماتُستفادُ منه [2] تَجرِبةٌ فى أمورٍ لاتزالُ[٤] يتكرَّرُ مثلُها ويُنتَظرُ حُدوثُ شبيهِها وشكلِها: كَذِكرِ مَبادئِ الدُّوَلِ، وَنَشءِ[٥] الممالك، وذِكرِ دُخولِ الخَلَلِ فيها بعدَ ذلك، وَتَلافى مَن تَلافاه وتَداركه إلى أن عادَ إلى أحسنِ حالٍ، وإغفالِ من أغفَلَهُ واطَّرحه إلى أن تأدّىٰ إلى الاضمحلالِ والزَّوالِ، وذِكرِما يتَّصلُ بذلكَ مِنَ السِّياسات فى عِمارةِ البُلدانِ، وَجمعِ كَلِمِ الرَّعيَّة، وإصلاحِ نِيّاتِ[٦] الجُندِ، وحِيَلِ الحُروبِ ومَكائدِ[٧] الرِّجال، وما تمَّ منها على العدوِّ، وما رَجعَ على صاحبِه، وذِكرِ الأسبابِ الَّتى تَقَدَّمَ بها قومٌ عند السُّلطانِ، والأحوالِ الَّتى تأخَّرَ لها آخَرونَ، وَماكانَ منها[٨] محمودَ الأوائلِ مَذمومَ العَواقِبِ، وماكانَ بضدِّ ذلك، وما استمرَّ أوَّلُه وآخِرُهُ علىٰ سَنَنٍ[٩] واحدٍ؛

---

١) ربِّ العالمين: سقطت من مط. ٢) التصلية فى مط: وصلّى الله على نبيّه وآله أجمعين. ٣) تقلّب فى الأمر: تصرّف فيها كيف شاءَ. يُقال: فلانٌ يتقلّب فى أعمال السلطان وفى نعمائه. ٤) مط: لايزال. ٥) مط: ونشر. ٦) مط: يثاب. ٧) مط: ومكانة. ٨) مط: ومنها ماكان. ٩) السَّنَنُ: الطَّريقة والمثال.

وذكرِ سياساتِ [3] الوزراءِ، وأصحابِ الجيوش، ومَن أُسنِدَ إليهِ حَربٌ وسياسةٌ، أو تدبيرٌ أو إيالةٌ، فَوَفىٰ بذلك وَتَأَتّى له[١]، أو كانَ بخلافِ ذلك.

ورأيتُ[٢] هٰذا الضَّربَ من الأحداثِ، إذا عُرف لَهُ مِثالٌ مِمّا تقدَّم، وتجربَةٌ لِمَن سَلف، فاتُّخذ إمامًا يُقتدىٰ به، حُذر ممّا ابتُلِىَ به قومٌ، وتُمُسِّك بِما سَعدَ به قومٌ. فإنّ أمورَ الدُّنيا مُتشابهةٌ، وأحوالَها مُتناسِبةٌ، وَصارَ جَميعُ مايَحفَظُه الإنسانُ من هذا الضَّربِ كأنَّه تجاربُ لَهُ، وقد دُفع إليها، واحتُنِك[٣] بها، وكأنَّه قدعاش ذلك الزَّمانَ كُلَّه، وَباشَرَ تلكَ الأحوالَ بنفسِه، واستقبلَ أمورَه استقبالَ الخَبِرِ[٤] وَعَرَفها قبلَ وُقوعِها، فجعلَها نُصبَ عينه وقُبالةَ لحظِه[٥]، فَأعَدَّ لها أقرانَها وقابلَها بِأشكالِها. وشتّانَ بين مَن كانَ بهذه الصُّورةِ وبينَ من كان غِرًّا[٦] غُمرًا[٧] لايَتَبَيَّنُ الأمرَ إلاّ [4] بعدَ وُقوعه، ولا يلاحظه إلاّ بعين الغريب منه، يُحيِّره[٨] كلُّ خَطبٍ يستقبلُه، ويدهشُه كُلُّ أمرٍ يَتَجدَّدُ لَهُ.

وَوَجَدتُ هٰذا النَّمط مِنَ الأخبارِ مغمورًا بالأخبارِ الّتى تجرى مَجرى الأسمارِ والخُرافاتِ الّتى لافائِدَةَ فيها غَيرَ استجلابِ النَّومِ بها، والاستمتاعِ بأنسِ المُستطرَفِ منها، حتّى ضاعَ بينَها، وتَبَدَّدَ فى أثنائها، فبطل الانتفاعُ به، ولم يَتَّصِل لِسامِعِه وَقارِئه اتِّصالاً يَربطُ بعضُه بعضًا، بل تُنسى النُّكتةُ منها قَبلَ أن تَجىءَ أختُها، وتتفلَّتُ[٩] من الذِّهنِ قبلَ أن تُقيِّدها نظيرتُها، ويَشتغِلُ الفِكرُ بِسياقَةِ خَبَرِها دونَ تحصيلِ فائدَتِها.

فَلِذٰلِكَ، جَمَعْتُ هٰذا الكتابَ، وَسَمَّيْتُه *تَجارِبَ الأُمَم*. وأكثرُ النّاسِ انتفاعًا به وأكبرُهم حَظًّا مِنهُ، أوفرهُم قِسطًا من الدنيا، كالوُزراءِ، و أصحابِ الجيوشِ، وسُوّاسِ المُدُنِ، وَمُدَبِّرى أمرِ [5] العامَّةِ والخاصَّةِ، ثمَّ سائرِ طَبَقاتِ النّاسِ. وأقلُّ النّاسِ حَظًّا، لايَخلو[١٠] أن يَنتفِعَ به فى سياسَةِ المنزلِ، وعِشرةِ الصَّديقِ، ومُداخَلَةِ الغريب، ولايَعدَمُ معَ ذلكَ، أنسَ السَّمرِ الّذى يُوجَدُ فى القسمِ الآخرِ الّذى اطَّرحناهُ.

وَبعدُ، فَلوكانَ الخادم لايَتَقرَّبُ إلاّ بما يعِزُّ وُجودُه عندَ سلطانِه، و لايَلطف فى الخدمةِ إلاّ بما

١) مط: وتانى له. ٢) الكلمة غير واضحة فى الأصل، وما أثبتناه يؤيِّدُه مافى مط. ٣) احتنكت السِّنُّ الرَّجلَ: حَنكتهُ، أى: أحكمته التَّجارب وجعلته حكيمًا. ٤) مط: بياضٌ. يقال: أخبرَنى بذلك الخَبِرُ: العالِمُ بالخَبَرِ. وفى ما نقله الباحثون عن هذه المقدمة: «الخبير»، وما أثبتناهُ هو الصَّحيح نصًّا. ٥) مط: «قبالةُ بخطِّه»! بدل «قبالة لحظِه». ٦) هو غِرٌّ: غيرُ مجرِّبٍ. ٧) صبىٌّ غُمْرٌ: لم يجرِّبِ الأمورَ. ٨) مط: ويجبره. ٩) مط: وتنقلت.
١٠) رسم الأصل: لا يخلوا.

لايُجدُ مِثلَه، لانقَطَعَتْ أسبابُ الهَدايا والتُّحفِ، وَارتَفَعَتِ الملاطَفاتُ بالآدابِ والطُّرَفِ[١]، وَلاسيَّما عندَ مَن كانَ فى عُلوِّ الهِمَّةِ، وتَوَقُّدِ القَريحةِ، وحِفظِ الآدابِ، وَسياسةِ المُلكِ والرَّعيَّةِ فى الخيرِ، على ما عليهِ المَلِكُ السَّيِّدُ، أدامَ الله سلطانَهُ.[٢]

وأنا مُبتَدِئٌ بِذِكرِالله وَمِنَّتِه، بِما نُقِلَ إلينا مِنَ الأخبارِ بَعدَ الطُّوفانِ، لِقِلَّةِ الثِّقَةِ بِما كانَ منها قَبلَهُ، وَلأنَّ مانُقِلَ [إلينا][٣] أيضًا لا يُفيدُ شيئًا مِمّا عَزَمْنا على ذكره [6] وضَمَّنّاه[٤] فى صَدرِ الكتابِ. وَلِهذا السَّببِ بعينِه، لم نَتَعَرَّضْ لِذِكرِ مُعجِزاتِ الأنبياءِ - صَلَواتُ اللهِ عَليهِم - وَما تَمَّ لَهُمْ مِنَ السِّياساتِ بِها. لأنَّ أهلَ زَمانِنا لايستفيدونَ منها تَجرِبةً فيما يَستَقبِلُونَهُ من أمورِهم، اللهُمَّ إلاّ ماكانَ منها تَدبيرًا بَشَريًّا لا يَقتَرِنُ بالإعجازِ.

وَقَدْ ذَكَرنا أشياءَ مِمّا يَجرى عَلَى الاتِّفاقِ والبَخْتِ،[٥] وإن لم يكن فيها تَجرِبةٌ، ولا تُقصَدُ بِإرادةٍ. وإنَّما فَعَلْنا ذلكَ لِتكونَ هى وأمثالُها فى حِسابِ الإنسان وفى خَلَدِه[٦] ووَهمِه، لِئَلاّ تَسقُطَ من ديوانِ الحوادثِ عندَهُ، وَما يُنتظَرُ وقوعُ مِثلِه، وإن لم يَستطِعْ تَحَرُّزًا من مكروهِه إلاّ بالاستِعانَةِ باللهِ، وَلا تَوَقُّعًا لِمَحبُوبِه إلاّ بِمَسألَتِه التَّوفيقَ، وَهُوَ - عَزَّ اسمُهُ - خَيرُ مُوَفِّقٍ وَمُعينٍ.

---

١) مط: والطرق. الطُرفة: كلّ شىء مستحدثٍ عجيب. ٢) مط: ظلاله. ٣) إلينا: أضفناها عن مط.
٤) هكذا ضُبطت فى الاصل. ٥) البَخت: فى اللّسان عن الأزهرى: لاادرى أهو عربىٌ أم لا. فى المعرَّب عن ابن دُريد: فارسىٌ معرّبٌ. بالفهلويّة: baxt بالأفستائيّة: baxta بمعنى النّصيب المقدّر (حب). ٦) الخَلَد: البال والنّفس.

[الفيشداذيّةُ ومَن عاصَرَهُم]

أوشَهَنج

فأوّل مَن يُحفظ اسمُه وسيرتُه من الملوكِ أوشهنجُ[١] [7] وانا ذاكره[٢] والملوك بعدَه على توالٍ ونسقٍ. فإن كان لواحدٍ منهم سيرةٌ محمودةٌ أو تدبيرُ مرضيٌ، ذكرتُه وذكرتُ سائرَ ماضمِنَتْه فى صَدرِ الكتاب، وَمَنْ لم يُحفظ له سيرةٌ، ذكرت اسمه فقط، ليكونَ نِظامُ التّاريخِ محفوظًا، فأقول:

إنَّ أوشهنج هذا هو الّذى خَلَفَ جدَّه جَيُومَرْت[٣] وَجَمعَ الأقاليمَ السَّبعةَ، ورتَّبَ المُلكَ، ونَظَمَ العمّالَ، ولُقِّب بِـ «فيشداذ»[٤]، وتفسيره بالعربية: أوّلُ سيرة العدلِ.[٥] ويُقالُ: إنَّه كان بعدَ الطُّوفان بمائتى سنة. وهو أوّلُ من عُرِفَ قَطعَ[٦] الشجَر، وبَنىٰ به، واستخرجَ المعادنَ وبنى مدينتَىْ بابِلَ[٧] والسُّوسَ[٨]. وكان فاضلاً سائسًا محمودًا. ونزل الهند. ثمَّ تنقَّل فى البلاد، وعقد التّاج، وجلس على السَّرير. وكان من حسن سياسته أن نفىٰ أهل الفساد والدَّعارة[٩] من البلدان [8] إلى البرارى، وألجاهم إلى رؤوس الجبال و جزائر البحار، وطهَّر منهم الممالكَ، واستخدم

---

١) فى الأصول: اوشهنج، اوشهنك، أوشهنق، هوشنگ. بالأفستائيّة: Haushyanha أى: واهب المنزلة الحسنة (يو: ١٢٦،حب). بالفهلويّة: Hōshyang (ف). ٢) ذاكره: غير واضحة فى الأصل وما أثبتناهُ هو من مط. ٣) فى الأصول: جيومرت، كيومرث. بالأفستائيّة: Gaya-Mareta أى: الحىّ الّذى يموت، أو: الحياة الفانية. بالفهلويّة: Gayō mard, Gayōmart (حص: ٣٩٩-٤١١). ٤) فى الأصول: فيشداد، بيشداذ، پيشداد. بالفهلوية: Pēshdat (ف). بالأفستائيّة Para-Dhata أى: مَن وضع القانونَ أمامَه وحكم بالعدل (يد ١: ١٧٨). ٥) كذا ضبطت فى الأصل: أوّلُ سيرةِ العدل. ٦) يشاهد مثل هذا التّعبير عند مسكويه فى مواضع أخرى أيضًا، قال مثلاً: أوّل من عُرِف ذلَّلَ الفِيَلَة؛ أو: مَن عُرِفَ خندقَ الخنادقَ (أنظر ص 18 ,17). ٧) بابل: بالبابليه: Bābilu أى: باب إيل، أى: باب الله. بالأفستائيّة: Bavari. فى نقش بيستون: Bābirauv (حب). ٨) فى المصادر الفارسيّة القديمة: ,Shusha, Shusa Susa (حب). ٩) مط: الذعارة.

من كان يستصلحه منهم، وسمّاهم الشّياطينَ والعفاريتَ، وقـرّب أهلَ الصّلاح، وأحسـن رعايةَ الأمور، إلى أن انتهى مُلكُه إلى طهومَرْت[١] بعده.

طَهْومَرْت

وهو من وُلد أوشهنج، وبينهما عدّة آباء، وسلك سيرة جدّه، وتنقّل فـى البلدان، وبنى الموضـعَ الّذى جدّده بعد ذلك سابور[٢] من فارس، ونزله، وطلب الدُّعّار ونفى الشّياطينَ أعنى الأشرارَ. وهو أوّل من كَتب بالفارسيّة. وسلك سبيلَ جـدّه، فـاستمرّ نظامُ المُلكِ على حـالٍ واحـدةٍ من عموم الصّلاح، واستقامة أحوال الجُند والرّعيّة، إلى أن ملك بعدَه جمّشيذ.[٣]

[جمّشيذ]

وهو أخو طَهْومَرْت، وتفسير «شيذ» الشّعاعُ. لأنّه كان وضيئًا، جميلاً. وملك الأقاليمَ، وسلك [9] السِّيرةَ المتقدّمة، وزاد عليها بأن صـنّف النّاس وطبّقهـم ورتّب منازل الكتّاب، وأمر أن يلزم كلُّ أحد طبقتَهُ. وعمل أربعةَ خواتيمَ: خـاتمًا للحـروب والشُّـرَط، وكتب عليه «الأناة»، وخـاتمًا للخَراج، وجِباية الأموال، وكتب عليه «العِمارة»، وخاتمًا للبريد[٤]، وكتب عليه «الوَحا»[٥] وخـاتمًا للمظالم، وكتب عليه «العَدْل». فبقيت هذه الرّسوم فـى ملوك الفُـرس إلى أن جاءَ الإسـلام، وألزم مَن غلبه من أهل الفَساد والشّياطين الأعمالَ الصّعبةَ، وأذلّهم بقَطعِ الحِجارة والصُّخورِ من الجبالِ، وعَمَلِ الكِلْس والجِصّ والبناء والطّين، وعمل المعادن، وغير ذلك من الأمور الصّـعبة. فحسنت سيرتُه، وخافه أهلُ العيث[٦] والفَسـاد، بما ألزمهـم من الأعمال الشّـاقّة. وأحـدث

١) كذا فى مط. وفـى الأصـول: طهمورت، طهمورث. بالفهلويّة: Taxmūrit (ف). ٢) سـابور: مدينةٌ منهـا إلى شيراز خمسةٌ وعشرون فرسخًا، كما هو اسمٌ لكورة بفارس بهـا مدنٌ أكبر من مدينة سابور (يا). ٣) مط: جمشـيد. فى الأصول الأخرى: جمّ الشّيذ، جمّ، جمشاسب، جمشيدون. بالأفستائيّة: Yima-Xshaēta. بالفهلويّة: Yimshet أى: جمُّ المُشرق (ف، حص، لد). ٤) البريد: عربىٌّ (ابن دُريد). فارسىٌّ معرّبٌ من «دُمْ بُرِيْده» [أى: «محـذوف الذّنب» حسب تعبير المؤرّخين - أنظر ص 62 وما علّقناهُ على تلك الصـفحة]. أو معـرّبٌ من «بُرْدَن» أى: الذّهاب بالشّـىء (باللغـة الفارسيّة). أو معرّبٌ للكلمة اليونانيّة: veredus ومعناها: الحيوان ذو القوائم الأربع، ثمّ تحوّلَ إلى معنى «فـرس البريد»، ثمّ إلى «البريد» بالذّات (لد، حب). ٥) الوحا: السّرعة. والمكتوب على الخواتـم عند ابن الأثير: * الرّفق والمداراة * العمارة والعدل * الصّدق والأمانة * السّياسة والإنتصاف (١: ٦٤). ٦) وفى مط: أهل العبث (بالباءِ الموحّدة).

النّوروزَ[١]، وجعلَه عيدًا وأمرَ النّاس بالتّنعُّمِ فيه. [10] ثُمَّ إنّه بعدَ ذلك، بدّل سيرتَه. فكان من نتيجةِ فِعلِه وسوء عاقبته، أن دخلَ الوهنُ فى الممالكِ، وتَجاسَرَ أهلُ الفسادِ عليه.

فممّا حُكى من تبديلِ سيرتِه، إظهارُ الكِبر والجبريةِ على وزرائه وكُتّابه وقُوّادِه، وإيثارُ التّخلّى و الاغرام باللّذّاتِ، وتركُ مراعاةِ كثير من السّياسيات الّتى كان يتولاّها بنفسه. فأحسَّ بذلك بيوراسب[٢] ـ وهو الّذى تسميّه العربُ الضحّاك[٣] ـ وعَلِمَ استيحاشَ النّاس منه، وتَنَكُّرَ خَواصِّ أصحابِه لَه، فدسَّ إلى رجالِه[٤] مَن استصلحه[٥] لنفسه، ودبّر عليه حتّى قَوِىَ، ثمَّ قصدَه، فهرب منه جمُّ وتبعَه حتّى ظفرَ به، فنكل به، وأشره بمئشار[٦]. وقدكان جمُّ تنقّلَ فى البلدان قبل ذلك، إلى أن جرىٰ عليه ماجرىٰ.

و كان الضّحاك هذا ـ على ماتزعم الفرس ـ من ولد جيومرت، و بينه و بين جيومرت من الآباء «تاج»[٧] و إليه تنتسب العربُ، فيُقالُ لهم: «تاجى»[٨] و هم يُلقّبون بيوراسب

١) فى الطبرى: نوروز (١: ١٨٠). الثعالبى: النّوروز (ص ١٤). ابن الأثير: نَيروز (١: ٤٩٧). أبونؤاس فى شعره: النّوكروز. بالفهلويّة: nok-rōch أو: noghrōz (حب). مف: nik-rōch.   ٢) مط: هوراسب.   ٣) الضّحّاك: معرّب «دهاك» (حمزه: ٢٤).   ٤) مط: رحاله.   ٥) مط: من استخلصه.   ٦) فى الطبرى: ونشره بمنشار (١:١٨١). أشَرَ الخشبةَ وغيرها: نَشَرها. المئشار: المنشار.   ٧) فى الطبرى: تاز (١: ٢٠٢). البيرونى: غار (قار) وهو أبوالعرب العاربة (ص ١٠٤). حمزة: تاج، ولذلك قيل لهم: تاجيان (ص ٣٤). ابن الأثير: يارين (١: ٧٤).

٨) بالفهلوية Tazhīk (فم)، Tāzīk, tajīk (ف): المنسوب إلى قبيلة طىء أو العرب. تاجيك، تاجك، تازيك، ـ وبأحد المعانى ـ تازيك: شئٌ واحد. باللغة التركيّة: تات (الرّعيّة) + چيك (فى الأصل وبأحد المعانى: الولد، أو بمعنى التّصغير): ١ـ غير الترك عامّةً، ومَن ليس بتركٍ أو مغولىٍّ. ٢ـ الايرانى خاصّةً. ٣ـ أهل تاجيكستان (فم).

أمّا الوجوه الّتى ذكرها الباحثون فى تسمية العرب بِ «تازى» فهى: ١ـ أن تكون الكلمة من المصدر الفارسى: «تازيدن» أى: شنّ الاغارة، لأنّ العرب كانت تُكثر ذلك فى غابر الزّمن. ٢ـ لفظة «تاژ» معناها الخيمة، والعرب كانت تسكن الخيام فسمّاهم الايرانيّون بِ «تاژيك» = تازى ، ثمّ تبع الصّينيّون الايرانيين فى هذه التسّمية، فقالوا للعرب: «تاش» (لد). ٣ـ كان الايرانيّون، فى عصر أنوشيروان، على اتصّالٍ باليمن، وكانوا يُسمُّونَ طيِّئًا بِ «تاژ»، فقالوا للمنسوب إلى هذه القبيلة «تاژيك»، ثمّ أطلقوا الاسمَ على كُلّ العرب (حب)؛ وهذا التّعميم نَراهُ أيضًا فى التّلمود والموارد اليهوديّة السريانيّة الأخرى، حيث أطلق على العرب: طيعه، طيه، طيايه؛ وأصلها: طىء (Obermeyer, s. 233. ff.) نقلاً عن المفصّل ١: ٦٦٠). ٤ـ إنّ لفظة: «تازى» هى الشكل الفارسى للفظة: «طائى» العربيّة الّتى تطلق على المنسوب إلى قبيلة «طىء» (لش). ٥ـ كان الايرانيّون منذ القديم يسمّون غير الايرانيين بِ «تاجيك» أو «تاژيك»، كما سمّت الاغريق غيرَهم «بربَرًا»، وسمّت العربُ غيرَهم «أعجميًا»، فتحوّل هذا اللّفظ إلى «تازى» فى اللّغة الفارسية الحديثة، ثمّ اختصّ بالعرب قليلاً قليلاً، بينما بقى فى بلاد التّرك وماوراءَ النّهر بشكله القديم وبمعناهُ العامّ (مطلق الأجانب)، ثمّ بعد أن اختلطت التّركُ الألتائيون والفرسُ فى تلك التّخوم، دخلت كلمة «تاجيك» فى لغة الترك فسمّت التّركُ الايرانيين بِ «تاجيك» فقيل: «ترك وتاجيك» (بس ٣: ٥٠ الحاشية).

بِ «الأزدَهاق»[١]. [11] وقومٌ منهم يَزعمونَ أنَّ جمّشيذ زوّج أختَه من بعض أشرافِ أهلِ بيتِه وملّكه اليمنَ، فولدت له الضحّاكَ. وأمّا العربُ فينسبون الضحّاك غيرَ هذه النّسبةِ. وزعم قومٌ أنّه نُمرود. وزعم آخرون أنَّ نُمرودَ كان عاملاً من قِبَلِه على كثير من أعماله، ولاينبغي أن نذكرَ من أمره فيما قصدنا له، أكثر من هذا النّبذ، لئلاّ ننقطعَ عن غرَضِنا.

بيوَراسب
[و ماجرىٰ بينَه وبينَ كابى الإصبهانى]

ولمّا ملك بيوراسبُ[٢] ظهر منه خُبثٌ شديدٌ وفُجورٌ كثيرٌ، وملك الأرضَ كُلّها، فسار فيها بالجور والعَسْف، وبسطَ يَده بالقتلِ والصّلب، لِيَهابَه النّاسُ، وليمحُوَ عن صُدور النّاسِ سياسةَ مَن تقدّمه وذِكرَهم وسنّتَهم. فَسنَّ العُشور، واتّخذ المغنّين والمُلهين. وكان على منكبه سِلعتان[٣] يُحرّكُهما[٤] إذا شاء، كما يَحرّكُ يديه. فادّعىٰ أنّهما حيّتان، تهويلاً على [12] ضُعفاء النّاسِ، وأغبيائهم، وكان يسترهما بثيابِه.

فلمّا طالت أيّامه وعمَّ النّاسَ جَورُه، كان من سوءِ عاقبةِ ذلك أن ظهر بإصبَهان رجلٌ يقال لَه: «كابى»[٥] من أثناءِ[٦] العامّة، وكان الضحّاك قتل له ابنين. فلمّا بلغ الجزعُ من كابى هذا على وَلَدَيه مابلغ، أخذ عصًا، فعلّق بطرفها[٧] جِرابًا.[٨] ـ ويقال: إنّه كان حَدّادًا وإنّ الّذى علّقه نَطعٌ[٩] كان يتوقّىٰ به من النّار ـ فجعله عَلمًا ودعا النّاسَ إلى مجاهدة بيوراسب[١٠]، فأجابهُ خلقٌ كثير، لِما كانوا فيه من البلاءِ وفُنونِ الجَور. فاستفحل[١١] أمرُه وقَوى، وتفألَ الفُرسُ بذلك العَلم، وعظّموا أمرَهُ، وزادوه ورصّعوه بعد ذلك بالجواهر، حتّىٰ جعله مُلوكُ العجمِ علمَهم الأكبرَ الّذى يتبرّكونَ بِه، وسموهُ «درَفْشِ كابيان». فكانوا لايسيّرونه إلاّ فى الأمور العِظام.

ولمّا استعلى كابى الإصبهانى، وأشرف على بيوراسب، هرب [13] عن منازله. واجتمع أشراف النّاس على كابى، وناظروهُ فى المُلك. فقال لهم كابى: إنّه لا يتعرّض لِلمُلك، لأنّه ليس

---

١) فى الأصول: ازدهاق، أژدهاك، دهاك. شا: أژدها، أژدهافش. بالأفستائيّة: Agi-dahaka. بالفهلوية: Azhi-dahak (ف)

٢) فى سائر الأصول: بيوراسب، بيوراسف، بهراسب. بالفهلويّة: Bēvarasp (ف)؛ اى: مَن له عشرة الاف حصانٍ (فم).

٣) السّلعة: زيادةٌ تحدث فى الجسد. ٤) مط: حركهما ٥) كذا فى الطّبرى (١: ٢٠٧)، وابن الأثير (١: ٧٥)، والثّعالبى (ص ٣٤). فى الفارسية الحديثة: كاوه. بالفهلوية: Kavagh (حب). ٦) مط: من أبناء العامّة.

٧) فى الأصل: بأطرافها، والتصحيح من مط. ٨) الجراب: الوعاء، أو: المزود من إهاب الشاء.

٩) النّطع: بساطٌ من الأدَم أى من الجلود المدبوغة. ١٠) مط: هوراسب. ١١) استفحل أمره: تفاقم واشتدّ.

من أهله. وأمرهم أن يُملّكوا بعضَ وُلْدِ جمٍّ. وكان أفريذون[١] بنُ أثفيانَ[٢] مستخفيًا من الضّحّاك في بعضِ النّواحي، فوافىٰ هو ومَن معه إلى كابي، فاستبشر النّاس به، لأنّه كان مرشّحاً لِلمُلكِ. فصار كابي أحدَ أعوان أفريذون حتّى احتوىٰ[٣] على منازلِ بيوراسبَ[٤]، و حتّى تبعَه و أسره بِدُنباوَند[٥]، فقتله.

ولم يُسمع من أمور الضّحّاك بشيءٍ يُستحسن، ولا نُقل من أخباره مايُكتب غير شيءٍ واحدٍ. وهو أنّ بليّته[٦] لمّا اشتدّت، وطالت أيّامه وتراسلَ وجوهُ النّاس في أمره، وأجمعوا على المصيرِ إليه من البُلدان، وافىٰ بابه العظماءُ والوجوهُ من النّواحي والأقطار، وتناظروا في الدُّخول عليه والتأتّي له[٧] واستعطافه، وأجمعوا على تقديم كابي الاصبهاني، وذلك لِما رأوا مِن تحرُّقِه على ولديه، [14] وجُرأته على الكلام. فلمّا اجتمعوا ببابه أُعلِم بمكانهم، فأذِن لهم، فدخلوا يقدُمهم كابي. فَمثُل بين يديه، وأمسك عن السّلام،

ثُمّ قال:

- «أسلّم عليكَ سلامَ مَن يملكُ الأقاليمَ كلَّها، أم سلامَ مَن يملكُ هٰذا الإقليمَ؟»

فقال: «بل سلّم سلامَ مَن يملكُ الأقاليمَ كلَّها، فإنّي ربُّ الأرض.»

فقال له كابي: «فإن كنتَ مالِكَ الأقاليمِ كلِّها، فما بالُك خَصصتَ بتحاملك ومُؤَنِك[٨] وإساءتك ناحيةً كذا؟ وهلاّ قسمتَ أمرَ كذا بينَ الأقاليمِ؟»

ثمّ عدّد أشياءَ، وجرّد له الصّدقَ، حتّى انخزل[٩] له الضّحّاكُ وأقرَّ، ووعدَ النّاسَ بما يُحبّون، وأمرَهُم بالانصرافِ لِيتّدِعُوا[١٠]، ثُمّ يَعُودوا إليه ليقضيَ حاجاتِهم.

وكانت له أمٌّ فاحشةٌ بذيئةٌ[١١] جبّارةٌ، وكانت تسمع كلامَهم لمّا دخلوا عليه، فاغتاظت منهم وأنكرت إقرارَه للقوم. فكلّمت بيوراسب[١٢] منكرة عليه وقالت:

---

١) في سائر الأصول: افريدون، افريذون، في بندهش: Frētōn. بالأفستائيّة: Thraetaon. في فيدا: Traitana (يد ١: ١٨٨). ٢) مط: ايقبان. في سائر الأصول: اثقابان، اثقيان، اثقيال (حب). يد: آسپيان (١٨٨:١) بالأفستائيّة: Atawya. في فيدا Aptya (حص: ٤٦٥، يد ١٩٩:١). بالفهلويّة Asfiān, Asviān (ف) Asviyān, Asfiyān (وب: ٣١). بالفارسيّة الحديثة: آتبين، ثمّ آبتين. ٣) احتوى الشّيءَ وعليه: حواه: استولىٰ عليه وملكَهُ. ٤) مط: هوراسب. ٥) دنباوند، دمباوند، دباوند، دماوند: كورة من كور الرّي،جبلٌ عالٍ جدًّا، مستديرٌ قُربَ الرّيّ. سَجَن افريذون بيوراسبَ في رأسه (مع). ٦) مط: نكبته. ٧) تأتّي للأمر: ترفّق وأتاه من وجهه. ٨) المُؤَن: جمع مفرده: مؤنه (= مؤونه): الشدّة والثِّقل. ٩) انخزل: انقطع. وفي مط: «تحرك» بدل «انخزل». ١٠) ليتّدعوا: لاتوجد في مط. اتّدَعَ: سكن واستقرّ. ١١) بذاء: فحش في قوله. ١٢) مط: هوراسب.

ـ «هلاّدمّرتَ عليهم وأمرتَ بهم؟»

فقال لها [15] الضّحّاكُ على عُتُوّه:

ـ «إنّكِ لم تُفكّرى فى أمر، إلاّ وقد سُبِقتِ إليه. إنّ القوم بدهونى[١] بالحقّ. فلمّا هَمَمتُ بالسُّطوةِ بهم، وقفَ الحقُّ بينى وبينهم، واعترضَ كالجبلِ، فحال بينى وبينَ ماأردتُ.»

فهذا مااستُحسِنَ من فعلِ الضّحّاك وقوله، ولايُعرف له شىءٌ مستحسنٌ غيرهُ.

ثمّ مَلَكَ أفريذُون

وهو من ولد جَمٍّ. ويقال: إنّه كان التّاسعَ مِن وُلده. فردَّ مظالمَ النّاس، وأمر بالإنصافِ والإحسانِ، ونظر إلى ماغصب عليه الضّحّاكُ من الأرضين وغيرِها، فردّها كلّها على أهلِها، إلاّ مالم يَجد له أهلاً، فإنّه وقفه على المساكين ومصالح العامّة. وكانَ مُوثِرا للعلمِ وأهلِه، وكان صاحبَ طبٍّ ونجومٍ وفلسفةٍ. وكان له ثلاثةُ أولادٍ: سَرْم، وَطُوج، و إيرَج[٢]. فخَشِيَ ألاّ يتّفقوا بعدَهُ، وأن يبغىَ بعضهم [16] على بعضٍ. فظنَّ أنّه إذا قَسّم المُلكَ بينَهم أثلاثاً فى حياته، بَقِىَ الأمرُ بعده على انتظامٍ وصَلاحٍ. فجعل الرُّومَ[٣] وناحيةَ المغربِ لسرمٍ، والتُّركَ والصّينَ لطوجٍ، والعِراقَ والهِندَ لإيرجَ وهو صاحبُ التاجِ والسّريرِ. فلمّا ماتَ أفريذون، وثَبَ طوج وسرم بإيرج، فقتلاهُ، ومَلَكا الأرضَ بينَهما.

---

١) بَدهَهُ: فَجَأَهُ، بَغَتَهُ. ٢) فى الطّبرى: سرم (سلم)، طوج، إيرج (١:٢٢٢، ٢٣٠). المسعودى: سلم، اطوج، ايراج = ايران (١: ٢٤٧). الثعالبى: سلم، توز، ايرج (ص ١٤). حمزة: سلم، طوج، ايرج (ص ٢٥). البيرونى: سلم (شرم)، طوج (توژ)، إيرج (ص ١٠٤). شا: سلم، تور، ايرج (١:٧٩). تور = تورج (بق) = توژ (لد) = توج (اليعقوبى ٢: ١٣٤)= طوس (الدّينورى ١:٩). فى الفهلوية: Tutch, (Turch) Sarm, Eretch. بالافستائيّة: Sairimyana أى: بلاد سرم، أى: الرّوم. و: Tūiryana أى: بلاد التّرك. و: Airyana أى: بلاد الايرانيين (حص: ٤٦٩-٤٧٤، يد ١:١٩٤، يد ٢:٥٢). ٣) لقد ذُكر انقسام مُلك فريدون بين أبنائه الثلاثة فى «چهرداد نَسك» الّذى هو من الأنساك المفقودة لأفستا، وهذا مانفهمه من «دينكرد» الفصل الثالث الفقرتين التّاسعه والعاشرة. وفى «فَروَردين يَشت» ذُكرت خمسةُ أقوام، فأضيف على الثلاثة المذكورة قومان وهما: «سائى‌نى» و «داهى». وقد أخذت الفرسُ هذه القصّة من الهندواوروبيين ولايمكن إرجاع تاريخها إلى أبعدَ من عصر الأشكانيين الّذين ماكانوا يعرفون القومين Tūra و Sairima اللّذين ذُكرا فى «فَروَردين يَشت»، ولكنّهم كانوا يُطلقون الاسمين على أعدائهم القاطنين فى الشّمال وشرقىّ الشّمال والمغرب من بلادهم، فأطلقوا Sairima على اليونان، والروم، واللآن، كما أطلقوا Tūra على أقوامٍ عاشوا فى شرقىّ الشمال، أى قبائل «تخار»، و «خيون»، ثمّ على الهياطلة، وأخيراً على قبائل التّرك (حص: ٤٦٩-٤٧٤).

وأفريذونُ أوّلُ مَنْ تَسمّى بِ «كَى[١]». فكان يُقالُ له: كَىْ أفريذون[٢]، وهى كلمة تعنى التَّنزيه، اى: روُحانِىٌ، اى: هو منزَّهٌ متَّصلٌ بالرُّوحانيّة.[٣] وكان جسيمًا وسيمًا حسنَ البَهاء، مِحـرَبًا[٤] عظيمَ القوّة.

ويقال: إنَّ بيوراسب[٥] قال له لمّا ظفربه:

ـ «لاتقتلنى بجدِّك جَمٌ.»

فقال له أفريذون منكراً لِقوله:

ـ «لقد سَمَت بِكَ نفسُك وهِمَّتُك، وَعَظُمتَ فى نَفسِـك، حينَ قَـدَرتَها لهـذا. جـدّى كان أعظمَ [17] قدرًا من أن يكون مِثلُك كُفوًّا له فى القَوَدِ[٦]، ولكنّى أقتُلك بِثَور كان فى دارِ جدّى.»

وأفـريذون أوّلُ من عُرِفَ ذَلَّ[٧] الفِيَلة[٨]، وقـاتَلَ بهـا الأعداءَ. ثُمَّ قسـم الأرض كما ذكرنا بينَ أولاده. ولأجل ماصار بين أولاده من العـداوة، بقيت الذُحـول[٩] بينَ التُركِ، ومُلوكِ إيرانشَـهرَ[١٠]، والرّومِ، وطلبَ بعضُهم بعضًا بالدِّماء والتِّراتِ[١١].

وكان إبراهيمُ النبىُّ ـ صلّى الله عليه ـ فى أيام الضّحّاك. ولذلك زعم قوم أنّه نُمرود وأنّ نُمرودَ عاملٌ من عُمّالِه. ولم يُنقَـل من أخبارِهِ ـ عليه السَّـلام[١٢] ـ شـىءٌ من النّمط الّذى هَمّنا بإيراده فـى هذا الكتاب، إلاّ أشياءَ حكاها مانى[١٣]، وهى بعيدةٌ من الحقّ، فلذلك لم أُوردها، ولم أتعرَّض لذكرها.

---

١) بالأفستائيّة: Kavi. بالفهلويّة: Kay اى: المَلِك(فم) وبمعنى العزيز، والقهّار، والجبّار (لد). ٢) مط: افريذون

٣) مط: متصل الرّوحانيّة. ٤) مط و الطّبرى: مجرّباً. والمحرب: الخبير بالحرب، الشجاع. ٥) مط:هوراسب.

٦) القَوَد: القصاص. ٧) مط: عرف تذليل الفيلة. والأصل هو الأصح نصًا، لأنّ اسـلوب التّعبير هذا معهـود من مسكويه فـى مواطـن كثيرة من الكتاب. انظر مثلاً: ص 7, 17, 18, 227. ٨) الفيلة: جمعُ مفـرده الفيل. ٩) الذّحول جمعُ مفرده الذَّحل: الحِقد والثّار. ١٠) إيران = ايراج. شهر: المُلك(المسـعودى١: ٢٤٨). بالفهلويّة: Ērān-Shatr اى: أرض إيران كما كان يستعمل فى العصر الساسانى (فم). ١١) مط: التراب. والتِّرات جمعُ مفرده التِّرة: الظّلم فى الذَّحل عامّةً: الجناية على الغير من قتلٍ ونهبٍ وسَبىٍ. ١٢) فى مط: بدون «عليه‌السلام».

١٣) مانى: بالأفسـتائية: Namānya. بالفهلوية: Mānik اى: المنسـوب إلى البيت (باروچـا: ٣١٢). مانى: الفـذّ، عديم النّظير (بق). ولد عام ٢١٥ م فى مردينو ببابل (البيرونى: ٢٠٨)، ويقـال: إنّه وُلد فـى همدان، ثمّ انتقـل إلى بابل، وقُتل ٢٧٤ م، وادّعى بأنّه فارقليط، ومزج بين الزراد شتيّة والمسيحيّة (حب، لد، فم). له من الآثار: ❋ سابورقان (شـابورگان) فى المعاد. ❋ *كنزالأحياء*. ❋ *سِفر الأسـفار*. ❋ *فـراقماطيا (بنگـاهيك)*. ❋ *سِفرالجبابرة (كوان)*. ❋ *إنجيل زند (إنجيل مانى)* مكتوبًا بِ ٢٢ حرفًا من حروف الهجاء الّتى ابدعها، ملحقًا بمجموعةٍ من الصّور سُمّيت باللّغـات الايرانيّة: اردهنگ، ارثنگ، ارتنگ، ارژنگ، ارجنگ، وباليونانيّة: ايقون، وبالقبطية: ايقونس (لد، حب، فم).

[مَنوشِهْر]

فكان من سوءِ عاقبة وثوب طوج وسـرم بإيرجَ وقتلهما إيّاهُ، أن نَشأ ابنُ لايرج بن أفـريذون[١] يقال له: منوشهر [18] حقد على طوج، فدبَّر عليه، إلى أن قاومهُ، وتغلَّب على ملك أبيه إيرج. ثمَّ نشأ وَلَدٌ لطوج التُّركى، فنفى منوشهر[٢] عن بلاده. وكانت بينهما حروبٌ لم يُنقل منها شيءٌ يُستفادُ منه تجربةٌ. ثمّ[٣] أُديل[٤] منه منوشهر، فنفاه عن بلاده، وعاد إلى مُلكه.

وكان منوشـهر موصـوفاً بالعـدل والاحسـان. وهو أوّلُ من عُرِفَ خَندَقَ الخنادقَ وجمع آلةَ الحروب، واوّلُ مَن وَضع الدِّهقنة، فجعل لكل قرية دهقـاناً،[٥] وجعـل أهلَهـا عبيداً وخَـولاً،[٦] والبسهم لباسَ المذلَّة، وأمرهم بطاعته. ولمّا قـوى سـار نحـو التُّرك وطلب دم جـدّه إيرج بن أفريذون، فقتل طوج بن أفريذون وأخاه سرمًا، وأدرك ثاره وانصرف.

ثم نشأ فراسياب[٧] بن تُركِ الّذى يُنسب إليه التُّرك من ولد طوج بن أفـريذون، فحـارب [19] منوشهر، وحاصره بطبرستان. ثُمَّ إنّ منوشهر وفراسياب اصطلحا، وضربا بينهما حـدًّا لايُجـاوزه واحدُ منهما، وهو نهر بلخ ـ والفرس تحكى فى ذلك حكايات[٨] لا فـائدة فـى إيرادها ـ فـانقطعتِ الحربُ بينَ فراسياب ومنوشهر.

[خُطبةُ مَنُوشهرَ]

فَمِمّا حكى ونقل من تدابير منوشهر أنّه لمّا مضى من مُلكه نحو ثلاثين سـنة، تناولت الأتراك

---

١) مط) افريدون. ٢) فى سائر الأصول: منوشهر، منوشجهر، منوجهر. مط: منوچهر. بالافستائيّة: Manūsh-Chithra (يو: ١٩١). ٣) ثمّ: سقطت من مط. ٤) قال الحجّاج: يوشك أن تُدالَ الأرض منّا، اى: يجعل لها الكرّة والدّولة علينا، فتاكلَ لحومَنا كما أكلنا ثمارَها، وتشربَ دماءَنا كما شربنا مياهَها (لع). ٥) بالفهلويّة: dē-hikan: مالك الأرض ورئيس القرية (حب، فم). ٦) الخَـول: عطيّة الله من النَّعـم، والعبيد، والاماء، والأتباع، والحشم. ٧) مط: افراسياب. فى سائر الأصول: فراسيات، فـراسياب، أفـراسياب (الطبرى ١: ٤٣٤، ٥٢٨، البيرونى: ١٩٤، ٢٢٢، حمزة: ٢٠، المسعودى ١: ٢٤٩)، بالفهلوية: Frāsyāk (يَرتُلمه: ٩٨٦). ٨) منها أسطورة أرش شواتير المسّمى فى الأفستا بـ: Eroxsha Xshwivi-isu أى: آرش الصّلبَ القوس، أو: صاحب السّهم السّريع (اليشت ٨، الفقرات ٦-٨). بالفهلويّة: Erexsh shepāk-Tir (حص: ٥٨٨ لد، حب). ورد اسمه فى المصادر كمايلى: إيرش، ارششياطير، ارشسياطير (الطبرى ٢: ٤٣٥)، ارش (الثعالبى: ١٠٧، البيرونى: ٢٢٠)، ارسنا س(الدينورى ص ١١)، ايرشى (ابن الأثير ١: ١٦٦).

←

أطراف أعماله، فجمع قومه، ووبّخهم، ثمّ خطب عليهم، وهذه أوّل خطبةٍ[١] عرفناها، ونقلت إلينا. قال:

«أيُّها النّاس: إنّكم لم تلدوا النّاس كُلَّهم. وإنّما النّاس ناسٌ ماحفظوا أنفسهم[٢]، ودفعوا العدوَّ عنهم. وقد نالت التُّرك منكم،[٣] ومن أطرافكم، وليس ذلك إلاّ من ترككم جهادَ عدوِّكم، وقلَّةِ المُبالاة، وإنّ الله تعالى أعطانا هذا المُلك ليبلوَنا: أنشكر فيزيدنا[٤]، أم نكفر فيعاقبنا؟ ونحن أهل بيتِ خيرٍ[٥]، ومعدِنُ [20] المُلك.[٦] فاذا كان غداً، فاحضروا.»

فاعتذر النّاس، و واعدوه الحضور. فلمّا كان من غدٍ، أرسل إلى أهل بيت المملكة وأشرافهم، وإلى الأساورة[٧] وكبارهم، فدَعاهم، وأذِن للرُّؤساءِ من النّاس ودعا «مُوبَذان مُوبَذ[٨]»، وأقعده على

← جاء فى الأفستا: «نحمد تيشتريا Tishtrya النّجمة الساطعة الرّائعة الّتى تسير إلى بحر فوروكش: Vouru Kasha [بالفهلوية: فَراخ كَرت] بسرعةٍ ينطلق بها سَهم إرخشَ Erexsha الصّلب القوس، ذلك الآرىّ الّذى كان أصلب الآريّين قوساً، ورَمى من جبلِ خشُوثَ Xshutha إلى جبل خَفَنْفَنْت Xvanvant، ومسْتهُ نفحةٌ من أهورا مزدا، وشَقّ له الماءُ والكلأُ والشّمسُ صاحبةُ السّهولِ الفسيحة، منهجًا عريضًا.» والمراد بجبل خشُوثَ: جبال «البرز» وبجبل خَفَنْفَنْت: أحد جبال منطقة جيحون (حص: ٥٨٩، ٥٩٠، زند اوستا ٢: ٤١٦).

وأما أبوريحان البيرونى فيروى الأسطورة بقوله: «زعموا أنّ أفراسياب لمّا تغلّب على إيرانشهر، وحاصر منوشجهر بطبرستان، طلب منه أمراً، فانعم به عليه، على أن يردَّ إليه من إيرانشهر رَمية نُشابةٍ فى مثلها. فحضر مَلكٌ من الملائكة اسمهُ إسفندارمُذ، وأمرَ أن يتّخذ قوسًا ونشابةً، على مقدارٍ مَثّلَهُ لِصانعها على مابُيّنَ فى كتاب الأبستا [= الافستا، الابستاق، بالفهلوية: Apistak، Avistak، بالفارسية الحديثة: اوستا (بالواو الفارسية)]، واحضرَ آرشُ، وكان شريفًا دَيِّنًا حكيمًا، وأُمِرَ بأخذ القوس ورَمىِ النّشابة. فقام، وتعرّىٰ وقال: ايّها الملك، وايّها النّاسُ! ابصروا بَدَنى، فإنّى برىءٌ من كلّ جراحةٍ وعلّةٍ، وإنّى موقنٌ بأنّى إذا رميتُ بهذه القوس والسّهم، تقطّعتُ قِطعًا وتَلِفَت نفسى وقد جعلتُها فداءًا لكم. ثمّ تجرّد، ومدّ القوسَ بما أعطاهُ اللهُ من القُوة، فرمى بها، وتقطّعَ قِطَعاً، وامر اللهُ الرّيحَ حتّى اختطفتِ النّشابةَ من جبل الرّويان، وبلغ بها إلى أقصى خراسان بين فرغانةَ وطبرستانَ، فاصابت أصلَ شجرةٍ من شجر الجوز كبيرة، لم يكن لها فى الدّنيا شبيهٌ من الأشجار كِبَرًا. ويقال: إنّ من مَوضع الرّمية إلى مَوقع النّشابةِ ألفَ فرسخ. فاصطلحا على تلك الرّمية. وكانت فى هذا اليوم: التيرَكان فاتّخذهُ النّاس عيدًا..» (البيرونى: ٢٢٠).

إنّ منطَلق السّهم كما جاء فى الأفستا والمصادر الاسلاميّة هو أحد هذه الأمكنة: خشوثَ، قمّة دماوند، آمُل، سارى، جرجان، رويان، طبرستان. ومَوقِعُهُ: خَفَنْفَنْت، ساحل جيحون، مرو، نهر بلخ (= جيحون = آمودريا).

١) هذه الخطبة تجدها كاملةً عند الطّبرى أيضاً (١: ٤٣٧)، كما تجد ملخّصَها بنسبةِ أقلّ من النّصف عند ابن الأثير (١: ١٦٦). وقد قارنّا فى تحقيق نصّها بين الأصل و مط والطبرى. ٢) أوّل الخطبة فى مط: أيّها النّاس بئس ماحفظوا أنفسهم. وفى الطّبرى:... ماعقلوا من أنفسهم. ٣) منكم: غير موجودة فى الطبرى. ٤) مط: فنزيد. ٥) فى الطّبرى: عزّ. ٦) فى الطبرى: الملك لله. ٧) الأساورة: جمعُ مفردهُ الإسوار: الرّامى، وقيل: الفارس (المعرّب)، القائد(لد)، الحُر، العظيم(قاب١: ٢٢٣). بالأفستائية: asbāray ركوب الفرس، بالفارسيّة القديمة: asa-bāra، بالفهلوية: aspābārak, aspāvār الأسوار: الرّاكب مقابل الرّاجل (حب). ٨) = موبدان موبد: أعلى درجةٍ فى رُتَبِ ←

كرسىٌ مقابلَ سريره، ثم قام على سريره خطيبًا. فقام أشراف النّاس، وأهلُ بيت المملكة والأساورة، فقال: إجلسوا. فإنى إنّما قُمت لأُسمِعَكم. فجلسوا، فقال:

«أيُّها النّاس، إنّما الخَلق للخالق، والشُكرُ لِلمُنعم، والتَّسليمُ للقادر، ولابُدَّ مِمّا هو كائن، وإنّه لا أضعفَ من مخلوق، طالباً كان أو مطلوبا، ولا أقوىٰ من خالق، ولا أقدرَ مِمَّن طِلبته[١] فى يده، ولا أعجزَ مِمَّن هو فى يد طالبه.

«ألا وإنَّ التَّفكُّرَ نورٌ، والغفلةَ ظُلمةٌ، والجهالةَ ضلالةٌ. وقد وَرَدَ الأوّل، ولابُدَّ للآخر من اللحُوق[٢] بالأوّل، وقد مضت قبلنا [21] أصولٌ نحن فروعها، فما بقاء[٣] فرعٍ بعد[٤] ذهاب أصله، وإنّ الله - عزّوجلّ - أعطانا هذا المُلكَ، فله الحمد، ونسأله إلهام الرُشد والصِّدق واليقين.

«ألا وإنَّ لِلمَلِك على أهل مملكته حقًّا، ولأهل مملكته عليه حقًّا[٥]. فحقُّ الملك على أهل مملكته، أن يُطيعوهُ ويُناصِحوه ويقاتلوا عدوَّه؛ وحقُّهم على الملك أن يُعطيهم أرزاقَهم فى أوقاتها، إذ لا مُعْتَمَدَ لهم على غيرها، وإنّه تجارتهم[٦] وحقَّ الرَّعيّة على الملك، أن ينظرَ لهم، ويَرفُقَ بهم، ولا يُحمِّلَهم مالايطيقون. فإن أصابتهم مصيبةٌ تَنقص من ثمارهم، لآفة أوضرر من السَّماء أو الأرض، أن يُسقِطَ عنهم خَراجَ مانَقص وإن اجتاحتهم[٧] مصيبةٌ، أن يُعوِّضَهم مايُقوّيهم على عمارتهم[٨]، ثمَّ يأخذَ منهم بعد ذلك على قدر مالا يُجحِفُ بهم فى سنةٍ أو سنتين. والجُند لِلمَلِك بمنزلة جناحَى [22] الطَّير[٩]. فهم أجنحة المَلِكِ. ومتى قُصَّ من الجناح ريشةٌ، كان ذلك نقصاناً منه، وكذلك المَلِكُ، إنّما هو بجناحه وريشه.

«وإنَّ المَلكَ ينبغى له أن يكون فيه ثلاثُ خِلال[١٠]: أوّلها أن يكون صدوقاً فلايكذب، وأن يكون سخيًا فلا يبخل، وأن يملك نفسَه عند الغضب، فإنّه مسلَّطٌ[١١]، ويَدُه مبسوطةٌ، والخراج يأتيه. فينبغى له أن لايَستأثِرَ[١٢] عن جنده ورعيّته، بما هم أهل له، وأن يُكثِر

← رجال الدين الزرداشتى. (فم) بالفهلويّة: ,magupat (= مغ بَد).

١) الطِّلبة والطَّلِبة: المطلوب. ٢) فى الطَّبرى: اللّحاق. ٣) فى الطبرى: بقى. ٤) مط: مع ذهاب.

٥) سقطت من مط: «حقًا، ولأهل مملكته حقًا. فحقَّ الملك على أهل مملكته». ٦) فى الأصل ومط: وإنّه تجارتهم. فى الطبرى: وإنّها تجارتهم. ابن الأثير: وإنّه خازنهم. ٧) اجتاحتهم مصيبةٌ أو جائحة: أهلكت مالهم.

٨) فى الطَّبرى: عماراتهم. ٩) كذا فى الأصل ومط. وفى الطَّبرى: الطائر. ١٠) الخلال: جمع الخَلّة: الخصلة، الخُلق. ١١) مط: سلط. ١٢) استأثر بالشّىء: خصَّ به نفسهُ.

العفوَ. فإنّه لا مُلكَ أبقى من مُلكٍ فيه العفوُ[١]، ولا أهلَك من مُلكٍ فيه العقوبة. وإنّ المرءَ لأن[٢] يخطئَ في العفو، خيرٌ له من أن يُخطئَ في العُقوبة. فينبغي له أن يَتثبّتَ[٣] في الأمر الّذي فيه قتلُ النّفس وبَوارها. وإذا رُفع إليه من عاملٍ من عُمّاله ما يَستوجبُ به العقوبةَ، فلا ينبغي له أن يُحابيه[٤]، وليجمع بينه وبين المتظلّم، فإن صحّ عليه [23] للمظلوم حقٌّ خرج إليه منه، وإن عجز عنه أدّى[٥] المَلكُ عنه[٦]، وردّه إلى موضعِه، وأخذه بإصلاح ماأفسد. فهذا لكم علينا. ألا ومن سفك دمًا بغير حقٍّ، أو قطع يدًا بغير حقٍّ، فإنّي لا أعفو عن ذلك إلاّ أن يعفوَ عنه صاحبه. فخذوا هذا عنّي.

«ألا وإنّ التُّركَ قدطمعت فيكم فاكفونا[٧]، فإنّما تكفون أنفسكم. وقد أمرت لكمبالسّلاح والعُدّة، وأنا شريككم في الرّأي. وإنّما لي من هذا المُلك اسمه مع الطّاعة منكم. ألا وإنّ المَلك مَلكٌ إذا أُطيع، فإذا خولف، فذلك مملوكٌ وليس بملِكٍ. ومهما[٨] بَلَغَنا من الخِلاف، فإنّا لانقبله من المُبلغ، حتّى نتيقّنَهُ. فإذا صحّت معرفةُ ذلك، أنزلناه[٩] منزلةَ المُخالف.

«ألا وإنّ أكمل الأداة عند المصيبات، الأخذُ بالصّبر، والرّاحةُ إلى اليقين. فمن قُتل في مجاهدة العدوّ، رَجَوتُ له الفوزَ برضوان الله. وأفضل الأمور التّسليمُ [24] لأمر الله، والرّاحةُ إلى اليقين، والرِّضا بقضائه. أين المهربُ مِمّا هو كائنٌ، وإنّما تتقلّبُ[١٠] في كفّ الطّالب. وإنّما هذه الدّنيا سَفَرٌ. أهلها لايَحلّون عُقَدَ الرِّحال إلاّ في غيرها[١١]. إنّما بُلغَتُهم فيها بالعواري[١٢]. فما أُحسنَ الشُّكرَ للمنعم، والتّسليمَ لِمَرِّ قضاءِ الحقّ[١٣]، ومن أحقُّ بالتّسليم لمن فوقه مِمّن لايجد مَهربًا إلاّ إليه [ولا معوّلاً إلا عليه][١٤]. فَثِقوا[١٥] بالغلبة إذا كانت نيّاتُكم أنّ النّصرَ من عندالله. وكونُوا على ثقةٍ من دَرَكِ[١٦] الطّلبة إذا صحّت نيّاتكم. واعلموا أنّ هذا الأمرَ لايقوم إلاّ[١٧] بالاستقامة، وحسن الطّاعة، وقمع العدوّ، وسدّ الثّغور، والعدل لِلرّعيّة، وإنصافِ المظلوم. فشفاؤكم عندكم، والدّواءُ الّذي لاداءَ فيه الاستقامةُ

١) العفو...العقوبة:سقطت من مط. ٢) كذا في مط. في الطّبري:ان يُخطئ. ٣) تثبت في الأمر والرّأي: تأنّى فيه ولم يعجّل. ٤) حاباه محاباةً: اختصّه ومال إليه. ٥) مط: اذى! ٦) مط: عند. ٧) في الأصل: «فاكفوها» والتصحيح من الطبري. ٨) مط: مما. ٩) في الطّبري: وإلاّ انزلناه. ١٠) في الطّبري: يتقلّب. ١١) مط: في غيربناء. ١٢) جمع العارية. ١٣) مط: لمن قضاء الحقّ. في الطبري: لمن القضاء له. ١٤) زيادة من مط والطّبري. ١٥) مط: فتقوّوا. ١٦) الدّرك: اسم مصدر من الإدراك: الوصول، والبلوغ. ١٧) لا: غير موجودة في مط.

والأمرُ بالخير والنّهيُ عن الشرّ، ولاقوّة إلاّ بالله.

«أنظروا للرّعيّة، فإنّها مَطعمُكم ومشربُكم، ومتى عدلتم فيهم، رغبوا فى العمارة، فزادَ ذلك فى خراجكم، وتبيّن فى زيادة أرزاقكم. وإذا [25] جفتم[1] على الرّعيّة زهدوا فى العمارة وعطّلوا أكثرَ الأرض، فنقص ذلك من خراجكم، وتَبيَّن فى نقص أرزاقكم. فتعاهدوا الرّعيّة بالإنصاف. وماكان من الأنهار، والبُثوق[2]، مِمّا نفقته على السّلطان، فأسرعوا فيه قبلَ أن يكبر[3]. وماكان من ذلك على الرّعيّة، فعجزوا عنه، فأقرضوهم من بيت مال الخراج، فاذا جاءت[4] أوقات خراجهم[5]، فخذوا من خراج غلاّتهم على قدر ما لا يُجحف بهم. ذلك رُبعٌ فى كلّ سنة، أو ثلثٌ، أو نصفٌ، لكيلا يتبيّن[6] عليهم.

هذا قولى وأمرى. يامُوبَذ مُوبَذان، إلزم هذا القولَ، وجِدّ[7] فى الّذى سمعتَ فى يومك. أسمعتم أيّها الناس؟»

قالوا: «نعم.»

وأثنوا عليه، ودَعَوا له. ثم أمر بالطّعام. فَوُضع، وأكلوا وشربوا، وخرجوا وهم له شاكرون. ثم كان من أمره ماكان مِمّا ذكرناه.

[منوشهرُ والرّايش بن قيس]

وفى أيّامه غزا الرّايش بن قيس بن صيفى بن يشجب بن يعرب بن قَحطان [26] من ملوك[8] اليمن. وكان اسم الرّايش الحارث. غزا الهند، فغنم غنائمَ عظيمةً، فأنفذ رجلاً من أصحابه يعرف بشمر بن العطّاف، فدخل التّركَ من أرض آذربيجان، وهى يومئذٍ فى أيديهم، فقتل وسبى وغنم.

وغزا بعده ذومنار بن الرّايش بعد أبيه، وانّما سُمّىَ ذامنار لأنّه غزا بلاد المغرب، فوغل فيها برًا وبحرًا، وخاف على جيشه الهلاك عند قفوله،[9] فبنى المنارَ ليهتدوا بها. ثُمّ وجّه ابنَه إلى أقاصى المغربِ، فغنم، وأصابَ مالاً، وقدم عليه بسبىٍ لهم خِلقةٌ منكرة، فذُعِرَ النّاسُ منهم، فسمّوه ذا الأذعار.

١) حاف عليه: جارَ وظلم. وفى مط: جنفتم. ٢) البُثوق: جمع البَثق: موضع انبثاق الماء. ٣) الطّبرى: يكثر.
٤) فى الطّبرى: حان. ٥) فى مط: اخراجهم. ٦) فى مط: يتبيّن ذلك عليهم. ٧) كذا فى مط: جدّ. فى الطّبرى: خذ. ٨) ملوك اليمن... بشمر: سقطت من مط. ٩) القفول: الرجوع.

وإنّما ذكرتُهم فى هذا الموضع، لاتصال ذلك بذكر[١] منوشهر، وأنّ الفرسَ تدّعى أنّ ملوك اليمن كانت عمّالاً لملوك الفرس بها، وأنّ الرّايش كان من قِبَلِ منوشهر يغزو التُّركَ وغيرَهم. والعربُ تنكر ذلك، وتزعم أنّ مُلكهم لم يكن قطُّ من قِبَلِ أحدٍ، وإنّما كانوا برؤوسهم.

[ظهور موسى فى أيّام منوشهر]

وفى أيّام منوشهر [27] ظهر موسى ـ صلّى الله عليه ـ ويقال: إنّ عمره ـ عليه السلام ـ كان مائةً وعشرين سنة، منها فى أيّام أفريذون عشرون سنة، وفى أيّام منوشهر مائة سنة. وكان من حديث موسى مع فرعون وما أنزل الله من الآيات على يده، ماهو مشهورٌ. وقد اعتذرنا من ذكر هذه الأخبار وتركِها.

ثمّ كان من حديث التّيه[٢] ماكان، إلى أن أخرَجَ بنى إسرائيل منه يوشعُ بنُ نون بعد موت موسى، وغزا الكنعانيّين، ونفاهم إلى السّواحل، وافتتح مدينةَ الجبّارين. فيقال إنّ إفريقس بن قيس بن صيفى بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان مرَّ بهم متوجّها إلى إفريقية[٣]، فاحتملهم من سواحل الشّام، حتّى أتى بهم إفريقيةَ، فافتتحها، وقتل مَلِكَها جرجيرًا[٤]، وأسكنها البقيّةَ التّى كانت بقيت من الكنعانيّين الّذين كان احتملهم من سواحل الشّام، فهم البرابرة. وإنّما سمّوا بذلك لأنّ إفريقس [28] قال لهم: «ما أكثرَ بَربَرَتَكُم!» فسمّوا بذلك «بربرًا»[٥].

وكان إفريقس هذا عاملاً لمنوشهر على ماتزعم الفرس. وكان تدبير يوشع أمرَ بنى اسرائيل، من لدن مات موسى إلى أن تُوُفّى يُوشعُ فى زمان منوشهر، عشرين سنةً، وفى زمان فراسياب سبع سنين. ولمّا هلك منوشهر، تغلّب فراسياب على مملكة فارس، وطلب بالذُّحول. وصار إلى أرض بابل وأقام بمهرجاقذق[٦]، وأكثر الفساد، وخرّب ماكان عامراً، ودفن الأنهارَ والقُنِيَّ، فقحِطَ النّاسُ فى سنة خمسٍ من مُلكه، إلى أن أُخرِج، ورُدَّ إلى بلاد التُّرك. فغارت[٧] المياه فى تلك السّنين، وحالت[٨] الأشجار المثمرة.

١) مط: بذكر. ٢) التّيه: حيث تاه بنو إسرائيل، اى حاروا، ولم يهتدوا للخروج منه. ٣) مط: فريقيه.
٤) مط: جرجيز. وفى الطّبرى: جرجير. ٥) بَربَرَ: ثَرثَرَ، فهو بَربارٌ اى: ثرثارٌ. وفى لغة الاغريق والرّومان: barbares الأجنبى (حب). ٦) مهرجاقَذَق، مهرجانقَذَق: معرّبٌ من «مهرگان كَدَه (= كَذَك). بالفهلويّة: Mitragā n-Katak اى: بيت ميترا (حب). ولاية محيطة على صيمرة (لج: ٢١٨) وصيمرة بلدةٌ بين ديار الجبال وديار خوزستان (يا). ٧) غار الماء: ذهب فى الأرض وسفل فيها. ٨) حالتِ النّخلةُ: حملت عامًا ولم تحمل آخرَ.

[زَوُ بنُ طَهماسبَ]

ولم يزل النّاس فى أعظم بليّةٍ إلى أن ظهر زَوَ[١] بن طهماسب، ويقول بعضهم: زاغ، وبعضهم: زاب، وبعضهم: زاسب، وهو من أولاد منوشهر، وبينه وبينه عدّةُ آباء.

فلمّا ظهر زَوُ طرد فراسيابَ عن مملكة فارس، حتّى ردّه إلى التّرك بعدَ حروبٍ [29][٢] كثيرةٍ جرت بينهما لم يُذكر لنا منها مانستفيد منه تجربةٌ. وكانت غلبةُ فراسياب على إقليم بابل اثنتَى عشرةَ سنةً من لدن تُوُفّى منوشهر إلى أن طرده زَوُبن طهماسب، إلى تركستان.

ثم ابتدأ زَوَ فى عمارة ماخرّبه فراسيابُ. فامر ببناءِ ماهدم من الحصون وإعادة ماطمَّر[٣] وعوَّر[٤] من الأنهار والقُنِىِّ وكرى[٥] ماكان اندفن من المياه حتّى عاد جميع ذلك إلى أحسن ماكان، ووضع عن النّاس الخراجَ سبع سنين. فَعَمرت البلادُ فى أيّامه، وكثرت المياه، ودرّت معائش النّاس، واستخرج بالسَّواد[٦] نهرًا، وسمّاه: الزّاب، وبنى على حافتيه[٧] مدينةً، وهى الّتى تسمّى: المدينةَ العتيقةَ، وكوَّرها كورةً[٨]، وجعلها ثلاث طساسيج[٩]: الزّاب الأعلى، والزّاب الأوسط، والزّاب الأسفل، ونقل إليها بذورَ الرّياحين وأصولَ الأشجار من الجبال. و زَوُ هذا أوّل من عُرِفَ [30] اتَّخذَ[١٠] ألوانَ الطّبيخ، وأصنافَ الأطعمة، وأعطى جنودَه مِمّا غنم بالخيل[١١]، ومِمّا أوجف[١٢] عليه من أموال التُّرك وكان وزيرُهُ «كرساسفُ» من أولاد طوج بن افريذون. وقد حُكى أنّ زَوًا وكرساسفَ[١٣]، اشتركا فى المُلك. والصّحيح من أمره انه كان وزيرًا لِزَوُ و مُعينًا له. فكان جميع ملك زَوُ ثلاث سنين.

---

١) بالأفستائية: Uzava إبن Tumāspa (يد ٢: ٤٦). بالفهلويّة: Ōzav, Uzav (ف). ٢) فى الأصل (مصورة ليدن): حصل تقديمٌ وتأخيرٌ بين صفحتى 29 ,30. ٣) طمّره: بالغ فى طَمره، اى دفنه. ٤) مط: غور. عوّر عيون المياه: دفنها وسدّها. ٥) كرى النّهرَ: حفر فيه حفرةً جديدة. ٦) السّواد: رُستاق من رساتيق العراق. وحدّ السّواد على قول أبى عبيدٍ: مِن حديثة الموصل طولاً إلى عبّادان، ومن عذيب القادسية إلى حلوان عرضًا، فيكون طوله مائةً وستّين فرسخًا (يا). ٧) مط: حافته. ٨) الكورة: لفظٌ فارسىٌ معرّبٌ، وأصله: «خوره» (= خُره): النّاحية. البقعة الّتى يجتمع فيها قُرىً ومَحالّ (فم، مو). ٩) طساسيج: جمع مفرده: طَسّوج، اى المحلّة والناحية، وطسّوج تعريبٌ لِ «تسو». وأصله فى الفهلوية: Tasuk (يد ٢: ٣٣٠). ١٠) مط: «أوّل من عرف اتخاذ». أسلوبٌ للكتابة عند مسكويه تجده فى مواطن كثيرة من الكتاب، انظر مثلاً: ص، 7, 17, 18, 227. ١١) مط: الجبل. ١٢) أوجف: أسرع فى السّير. ١٣) مط: كركاسب. بالأفستائيّة keresāspa، بالفهلويّة: Karshasp (حب).

[الكَيِيَةُ ومَن عاصَرَهُم]

[كَيقُباذُ بنُ زَوٌ]

ثمَّ ملك بعدَه كيقباذ بنُ زَوٌ، وسلك سبيل أبيه. فكوَّر الكُوَرَ، وَبَيَّنَ حدودَها وحريمَها، وأمر النّاس بالعِمارات، وأخذ العُشرَ من الغلاّت لأرزاق الجند، وكان حريصًا على العمارة، ومانعًا لحوزته. والملوكُ الكَيِيَةُ من نسله. وجرت بينه وبين التُّرك حروبٌ كثيرة. وكان مقيمًا فى الحدّ الّذى بين مملكةِ الفُرس والترك بناحية بلخ، يمنع التُّركَ من تطرّفِ[1] شىء من حدود فارس. فجميع هذه العَداوات والحروب سببها سوءنظرِ مَن قسم المُلكَ بين أولاده، ثمَّ وثوبُ من وثب من الإخوة [31] بأخيه، واستمرار الشّحناء بعد ذلك والعداوات.

وأمَّا القيّم بأمر بنى إسرائيل بعد يوشع، فكان كالب بن توفيل[2]، ثُمَّ حزقيل الّذى يُقالُ له: ابن العجوز ـ وكانت لهما أخبار مشهورة تركنا ذكرها لأنّها معجزات لاتستفاد منها تجربةٌ[3] ـ وحزقيل هو صاحب القوم «الّذينَ خَرَجُوا مِن ديارِهم وهُم أُلوفٌ حَذَرَ المَوتِ، فَقالَ لَهُمُ اللهُ: مُوتوا، ثُمَّ أحياهُم»[4] لأنّهم وَدُّوا لَوماتوا فاستراحوا من بَلاءٍ كان أصابهم: إمّا طاعون، أو ما أشبهه، فخرجوا فرارًا من ذلك.

ثُمَّ إلياس، ثُمَّ اليسع، ثُم إيلاف. وفى خلال هؤلاء، كان يتملّك عليهم قوم من الكنعانيّين وغيرهم، فيسومونهم البلايا والعظائم، وليس فى ذكرهم فائدة. إلى أن جاءهم شَمويل النبىُّ. وكان من خبره مع جالوت وطالوت ماذكره الله تعالى. وملكَ داود[5] لما كان منه من مبارزة جالوت. والخبر [32] مشهور مقرون بمعجزة الأنبياء. ثمّ ملك سليمان، وأخباره ومعجزاتُه مذكورةٌ.

---

١) مط و الطّبرى: تطرّق: ابتغى إليه طريقًا. تطرّف الشّىء: أخذ من أطرافه. ٢) مط: يوفنا. ٣) أنظر الطّبرى ٢: ٥٣٥. ٤) س ٢ البقرة: ٢٤٣. ٥) سقط من مط: داود.

[كَيقابُوسُ وماجرى على ابنه سياوخش]

ثمّ ملك بعد كيقباذ، كيقابوس[١] بنُ كينةَ[٢] بن كيقباذَ الملك. فتشدّد على أعدائه وقتل خلقا من عظماء البلاد، مِمّن كان يُنكر أمرُهم وسكن بلخَ. ووُلِدَ له ابنٌ لم يُرَ مِثلُه فى عصره جمالاً وتمامَ خِلقةٍ، وسمّاه «سياوَخشَ»[٣]، وضمّه إلى «رُستَم»[٤] الشّديد بن دَستان من وُلدِ كرساسفَ الّذى ذكرناه قُبيلُ، وكان إصبهبذَ سجستانَ ومايليه من قِبَله، وأمره بتربيته وأوصاه به. فأخذه رستم، ومضى به إلى سجستانَ وتَخَيّر له الحواضنَ والمرضعاتِ، حتّى أدرك[٥]، فجمع له المعلّمين، وأدّبه، ثمّ علّمه الفروسة[٦]، حتى فاق فيها، وقدم على والده رجلاً كاملاً، فامتحنه كيقابوس والدُه، فوجده كاملاً نافذاً[٧] بارعًا.

وكان لكيقابوس زوجةٌ بارعةُ الجمال، يُقال: إنّها بِنتُ [33] فراسياب ملك التُرك، ويقالُ: إنّها بنتُ ملك اليمن. فَهوِيَت سياوَخشَ، وهَويَها. والفرس تحكى أموراً طويلةً، وتزعم أنّها كانت ساحرةً، وأنّها سحرته. إلاّ أنّ آخرَ أمرها آلَ إلى أن عَلِمَ كيقابوسُ بمايجرى بينَهما.

فكان من عاقبة ميلهما إلى الهَوى، وظَنّهما أنّ ذلك ينكتم، أن تغيّر كيقابوسُ لابنه سياوخش، وأشفق سياوخش على نفسه. فسأل رستَم أن يسألَ أباهُ توجيهَه لحربِ فراسيابَ. وكان قد تجدّدت وحشةٌ بين كيقابوسَ وفراسيابَ. وأراد سياوخشُ بذلك البُعدَ من والِده، والتّنحىَ عما تَكيدُه به امرأةُ أبيه[٨]. ففعل ذلك رستم وخاطب أباه فيه، واستأذن له فى جندٍ يضمُّهم إليه. فأذِنَ له، وضمّ إليه جندًا كثيفًا وأشخص[٩] سياوخشَ إلى بلاد التُرك. فلمّا التقى سياوخشُ وفراسيابُ، جرىٰ بينهما صلحٌ. وكتب بذلك سياوخش إلى أبيه يُعلمه ماجرى بينه وبين [34] فراسيابَ.

فكتب إليه أبوه بإنكار ذلك، وأمره بِمناهضته ومُناجَزَتِه الحربَ. فرأى سياوخشُ أنّ فى فِعلِه ماكتب به أبوه من محاربة فراسياب ـ بعد الّذى جرى بينهما من الصُلح والهُدنة، من غير

---

١) البيرونى ص ١٠٧ وحمزة ص ٣٠: كيكاوس. بالفهلوية: Kai Kāyūs (ف). فى الأفستا: Kaviusan الملك الثانى من الأسرة الكيية. ٢) مط: كية. فى الطبرى وحواشيه: كسه (مهملةً)، كتيه!، كيه، كيبه، وتصحيفاتٌ أخرى (٢: ٥٩٧). أصله حسب الروايات الايرانيّة القديمة: أئى ييفنگهو Aipivanghu (فم ٦: ١٦٤١ «كيكاوس»)، والشّبه ظاهرٌ بين الأصل وصورة التعريب خاصّةً إذا أدخلنا عليه: Kavi. ٣) بالأفستائية: Syavarshan. بالفهلوية: Siavaxsh (ف). ٤) بالأفستائية: Rosataxm (–tahm) . بالفهلوية: Rostahm. ٥) أدرك الصّبىّ: بلغ الحلم. ٦) مط: الفروسية. ٧) مط: ناقدًا. ٨) فى الطبرى: كان يقال لها سودابه. ٩) أشخص فلانًا إليه: بعث به إليه.

نقض[١] فراسيابَ شيئًا من أسبابِ ذلك ـ عارًا ومنقصةً. فامتنع من إنفاذ أمرِ أبيه فـى ذلك. ورأى أنّه يُؤتَى فى كُلِّ ذلك من زوجةِ أبيه[٢]. فمال إلى الهَرَبِ من أبيه. فراسل فراسيابَ فى أخذ الأمانِ لنفسه منه، واللّحاقِ به وفِراقِ والِده. فأجابه فراسيابُ إلى ذلك. وكان السَّفيرُ بينهما رجلاً من عظماءِ التُّرك يقال له: فيران[٣]. فلمّا فعل ذلك سياوخش، انصرف عنه من كان[٤] معه من جند أبيه، إلى أبيه. وأكرم فراسيابُ سياوخشَ، وزوّجه ابنةً له، وهى أمُّ كيخسرو، ولم يزل على إكرامه[٥]، إلى أن ظهر له من أدب سياوخش وإربه[٦] وكماله، ونجدته ماأشفق منه، وضَـرَّبَ[٧] بينهما أخٌ كان [35] لفراسيابَ وإبنان له حـذرًا على مُلكهـم. وله خبرٌ طـويل فـى ذلك، إلى أن قُتِلَ وامرأةُ سياوخش ـ وهى إبنة فراسياب ـ حاملٌ منه، بابنه كيخسرو. فطلبوا له الحيلةَ، لإسقاطها ما[٨] فـى بطنها، فلم تُسقِط.

ثُمَّ إن فيرانَ الّذى توسّط الصُّلحَ بين سياوخش وبين فـراسياب، أنكر ماجـرى مِن فِعـلِ فراسياب، وحذّرهُ عاقبةَ الغَـدرِ والطّلَبِ بالثّأرِ، وأشـار عليه أن يدفـع ابنتَه إليه، يعنى: زوجـةَ سياوخشَ، لِتكونَ عنده إلى أن تَضعَ، ثمَّ إن أراد قتْله قتَله[٩]. ففعل فراسياب ذلك. فلمّا وَضَعَت، إمتنع فيران من قتلِ الوَلَدِ، وستَرَ أمرَهُ حتّى بَلَغَ المولودُ، وهو كيخسرو.

ويُحكى: أنَّ كيقابوس بعث بيبَ[١٠] بنَ جُوذَرز إلى بلادِ التُّرك، وأمره بالبحث عن أمر المولود الّذى لِسياوخش، والتاتّى لإخراجِه مع أمّه. ففعل بيبُ ذلك، وبقى زماناً طـويلاً يبحـث عن أمره، إلى أن وقف على خبره. فاحتال [36] فيه وفى أمّه، حتّى أخرجهما من أرضِ التُّرك. فاستقبلهما رُستَمُ الشّديدُ فى جندٍ عظيمٍ من أُولى الباسِ والنَّجدةِ، وطلب التُّرك أثر كيخسرو، فجرت بينهم وبين رُستَم حروبٌ ظفر فيها رُستمُ.

فللفرس هاهنا خُرافاتٌ، وتزعم أنَّ الشّياطين كانت مُسخّرةً لكيقـابوس، وقـومٌ يزعمون أنَّ سليمانَ بن داود ـ عليهما السّلام ـ أمرهم بذلك، فى خرافاتٍ كثيرةٍ ظاهرةِ الإحالةِ، من الصُّعود إلى السّماءِ، وبناءِ مدينةِ كَنكِرز[١١] بأسوار ذهبٍ وفضّةٍ وحـديدٍ ونُحـاسٍ، وأنّهـا بين السّـماء

١) «الّذى... نقض»: سقطت من مط. ٢) الطبرى: من زوجة أبيه الّتى دعته إلى نفسها، فامتنع عليها (٢:٥٢٩).
٣) بالفارسية: پيران. ٤) «كان... سياوخش»: سقطت من مط. ٥) مط: الكـرامة. ٦) الإرب: الدّهاء والفطنة. ٧) ضرّب بين القوم: سعى، أغرى بعضَهم ببعضٍ. ٨) فى الأصل: وما. ٩) قتله: سقطت من مط. ١٠) الطّبرى: بىّ بن جوذرز. حمزة: ويو بن جوذرز. بالفهلوية: Viv i Gūtarzan. شا: گيو ((Giv).
١١) مط: كندر. الطّبرى: كيكدر، قيقدور (٢:٦٠٢). الثعالبى: كَنكدِز. التصحيفات والمترافات كماوردت فى الأصول هى: كنكرز، كنگـدز، گنگـدز، گنگـدژ، گنگـديز، گندز، بهشتِ گنگ، گنگبهشـت، گنگ دژ هُوخـت (= هخت، هوخ)، ←

والأرض، وأشباهِ ذلك مِمّا لافائدةَ فی ذکره.

إلاّ أنَّ جملةَ أمره، أنه تَجَبَّرَ لَمّا تمّ له أكثرُ ماكان يقصده. وسار من خراسانَ حتی نزل بابلَ، وترك ماكان يسوسه بنفسه، ويباشـره برأيه. وأوحشَ النّاسَ بالحُجّـابِ والتّـعـظُّمِ، وآثرَ الخلوة. فكان من عاقبة ذلك أن فسد عليه مُلكُه، وكثرتِ الملوكُ فی النّواحی، حتّی كان يغزوهم بعد ذلك ويغزونه، [37] فيظفَر مرّةً ويُنكب أخری، إلی أن غزا بلادَ اليمن والمَلِكُ يومئذٍ بهـا ذو الأذعاربن أبرهةَ بنِ ذی المنارِ بن الرّايش. فلمّا أظلّه[١] كيقـابوسُ، خـرج إليه ذو الأذعار فـی جموع حمير وَوُلدِ قحطانَ، فَظَفِرَ بكيقابوسَ، وأسرهُ واستباحَ عَسكَرَهُ، وحبسه فی بئر وأطبَقَ عليها طبقًا.

فخرج من سَجِستانَ رُستَمُ الشّديدُ فی من أطاعه من النّاس. وأمّا الفـرس فتحكـی حكـاياتٍ لافائدةَ فيها عن شدّة رُستمَ وبأسِه، وأنّه وَغَلَ فـی البلادِ بلادِ اليمنِ، واسـتخرجَ كيقـابوسَ من محبسه[٢]. وأمّا اليمن فتزعمُ أنّه لم يكـن من ذلك شـیءٌ، وأنّ ذا الأذعار لَمّا بلغـه إقبالُ رستمَ، خرج إليه فی جنودٍ عظيمةٍ، وخَندقَ كلُّ واحدٍ منهما علی نفسه وعسكره، وأنّهما أشـفقا من البوار علی جنديهما، وتخوّفا ـ إن تَزاحَمَا ـ أن لا يكونَ لهما بقيّةٌ. فاصطلحا علی دفـعِ كيقـابوسَ إلی رستم ووَضعِ [38] الحربِ. فـانصرفَ رسـتمُ بكيقـابوسَ إلی بابل، فكتب له كيقـابوسُ كتاباً بالعِتق، وأقطعه[٣] سَجِستانَ وزابُلستانَ. وكانتِ[٤] الكُتُب يومئذٍ والرسـائلُ يسـيرةً نزرةَ الكـلام، لايُذكر فيها الأسبابُ والعِللُ. و نسخة الكتاب:

«من كيقابوسِ بنِ كيقباذَ، إلی رُستَم.

إنّی قد أعتقتُكَ من العُبودة، وملّكتُك علی بلادِ سجستانَ. فـلا تُقِـرَّنَّ لأحـدٍ بِعُبودةٍ. واملِك سجستانَ كما أمرتُكَ. واجلِس علی سـريرٍ من فِضّـةٍ مُمَوَّهةٍ بالذّهبِ. والبَس قَلَنسُـوَةً منسـوجةً بالذّهبِ متوّجةً[٥]».

وممّا يدلُّ علی صدقِ ماحكيناه من أمر كيقابوسَ، قولُ الحسن بن هانی:

وَقاظَ[٦] قابُوسُ فی سَلاسِلنا سِنِينَ سَبعًا وَفَت[٧] لِحَاسِبِها

→ دژهوخت: مدينة أو: فی ماوراء بحر فراخكرت (بند هش)، أو: أرض الترك (شا)، أو: قهندز بخارا (تاريخ بخـارا)، أو: فـی ماوراءَ بحر «فوروكش»، أو: بيت المقدس (فهرست شا). أو إسمٌ لقلعةٍ بناها الضّحاك فـی بابل (بق). انظر أيضًـا: حـب، لد، كيا: ١٢٣.

١) أظلَّ فلانًا: دَنامنه، وأقبلَ عليه. ٢) مط: من جبسه. ٣) الإقطاعُ يكون تمليكًا وغير تمليك (لع).

٤) مط: كاتب. ٥) مط: مموّهة. ٦) قاظ بالمكان: اقام فيه فی زمن القيظ ای الحرّ. ٧) وفت: تمّت.

ثمّ مَلَكَ كيخسرو[١] بن سياوخشَ[٢] بن كيقابوسَ

فعقد التّاج على رأسه، وخطب رعيّته خُطبةً بليغــةً، أعلَمَهُــم فيهــا أنّه على الطّلبِ بدمِ أبيه سياوخشَ قِبَلَ فراسيابَ. ثُمّ كتب إلى [39] جُـوذَرزَ بإصبهانَ وكان إصـفهبذَهُ[٣] على خـراسان، يأمره بالمصير إليه، وأمره أن يَعـرضَ جندَه وأن [يَنتَخِب][٤] ثلاثينَ ألفَ رجـلٍ، وضــمَّهم إلى «طوس»[٥]، وكان فى من أشخص معـه بُرزافُـرةُ[٦] عمُّ كيخســرو، وابنُ لجُــوذرزَ، وجماعةٌ من إخوته. وتقدّم[٧] كيخسرو إلى طوس أن يكون قصـدُه لفـراسيابَ وطـراخِنَته[٨]، وحـذَّره من ناحيةِ بلادِ التُّرك فيها أخٌ له يقال له: فُـروذ بن سـياوخش، من بعضِ نسـاءِ الأتراك، كان سـياوخش تزوَّجها أيامَ صار إلى فراسياب، فولدت له فُروذَ، وأقام بموضعه إلى أن شبّ.

فكان من غلط طوس أن خالف كيخسـرو. وذاك أنّه لمّا صـار بالقـرب من المدينة الّتى فيهـا فروذ، هاجت الحرب، وقُتل فروذ. واتصّل خبرُه بكيخسـرو. فكتب إلى بُرزافُـرَةَ عمّه كتابًا غليظًا يُعلمه فيه ماورد عليه من خبر طوس، ومحاربته فروذ، وقتله إيّاه. وأمره بتوجيه طـوس إليه مقيّدًا مغلولاً. وتقدَّم إليه فى القيام بالعسكر، [40] والتَّوجُهِ إليه لوجهِـه[٩]. ففعـل برزافـرة ذلك، وتولّى أمر العسكر، وعَبَرَ النّهر المعروف بِ «كاسـرود»[١٠]، وانتهـى خبره إلى فـراسياب. فـوجَّه إلى بُرزافُرة جماعةً من إخوته وطراختته لمحاربته. فـالتقَوا وفيهـم «فيران» وإخـوتُه. فـاقتتلوا قتالاً شديدًا، وظهر من بُرزافُرَةَ فى ذلك اليوم فشلٌ لَمّا اشتدَّ الحربُ، وكثُرَ القتلى فَهَرَبَ وانحاز بالعَلَم إلى رؤوس الجبال، واضطرب على وُلدِ جوذرزَ أمرُهم، فقُتل منهم فـى تلك الملحمة، فـى وقعـةٍ واحدةٍ سبعون رجلاً، وقُتِل بشرٌ كثيرٌ.

وانصرف بُرزافُرة ومن أفلَتَ معه إلى كيخسرو. فَرُئيت الكآبةُ فـى وجهـه، وامتنع من الطَّعـام والشّراب، إلى أن مضت أيّامٌ. ثمّ راسل جـوذرزَ. ولمّا دخـل عليه شكـا إليه برزافُـرة، وأعلمه أنّه كان سبَبَ الهزيمة بالعَلَم وخذلانِه وُلدَهُ.

---

١) بالفهلويّة: Kai Husravē (حب). ٢) = سـياوش. بالفهلوية: Siāvaxsh. ٣) الاصـفهبذ: لقـبٌ لملوك جبال طبرستان (البيرونى: ١٠٩). ٤) الأصـل غير واضـح، وما أثبتناه من مط. ٥) قـال نولدكه: طـوس (= توس) إن كان اسمَ شخصٍ فأصله: Tūs، وإن كان اسمَ مكانٍ فأصله: Tōs. ثمّ حصـل الخلط بينهما فـى الكتابة، وهذا أدّى إلى وحدة التلفّظ بينهما، فقيل لكليهما: Tūs (يد). ٦) شا: فريبرز. ٧) تقدّم إلى فلانٍ بكذا: أمره به، أو طلبه منه. ٨) الطراخنة: جمعٌ مفرده طرخان (= ترخان): ملك التّرك (لف)، اسـمٌ عامٌ لأمراء سـمرقند (لد). يُقـال لملوك سمرقند: طرخون (البيرونى: ١٠١١). ٩) مط: التوجه لوجهه. ١٠) شا: كاسـهرود. اسـمٌ قـديمٌ لنهر يسمّى: «چرم»، أو: «لائين» (حب ٥: ٢٥٥).

فقال كيخسرو: «إنّ حقّك لازم لنا لخدمتك أبانا[١]، وهذه جنودنا وخزائننا[٢] مبذولةٌ لك. فاطلُب تِرَتَك[٣]، واستعِدّ [41] وتهيّأ لِلتّوجّهِ إلى فراسيابَ.

فنهض جوذرزُ، فقبّل يده وقال: «أيّها الملك، نحن رعيّتُك وعبيدُك. فإن كانت آفةٌ، أو نازلةٌ، فلتكن بالعبيد، دون الملوك. وأولادى المقتولون فداؤك، ونحن من وراء الانتقام من فراسيابَ والاشتفاء من التّرك.»

وكتب كيخسرو إلى رؤساء أجناده ووجوه عسكره يأمرهم بموافاته فى صحراءَ تُعرفُ بِـ «شاه اسطون»[٤] من كورةِ بلخ، فى وقتٍ وقّتَهُ لهم. فوافت رؤساء الأجناد فى ذلك اليوم، وشخص إليه كيخسرو بإصبهبذيه وأصحابهم وفيهم بُرزافُرةُ عَمُّه، وجوذرزُ وبَقيّةُ وُلدِه. فتولّى كيخسرو بنفسه عَرضَ الجندِ، حتّى عَرَفَ مَبلغَهم، وفَهِمَ أحوالَهم. ثمّ دعا بجوذرزَ وثلاثةِ نفرٍ معه، فأعلمهم أنّه يُريد إدخالَ العساكر على التّرك من أربعةِ وجوه، حتّى يحيطوا بهم برًّا و بحرًا، وقوّد على تلك العساكر، وجعلَ أعظمَها إلى جوذرزَ وجماعةٍ من الإصبهبذين [42] كثيرةٍ. ودفع إليه يومئذٍ العلمَ الأكبرَ الّذى يُسَمّونهُ «دَرفش كابِيان»، ولم يكن يُدفع قبل ذلك إلى أحدٍ من القوّاد، وإنّما كانوا يسيّرونه مع أولاد الملوك[٥]، وأمر أحدَ القوّاد[٦] بالدُّخول ممايلى الصين، وضمّ إليه جماعةً كثيرةً، وأمر آخَرَ بالدّخولِ من ناحيةِ الخَزَر، وضمّ إلى آخر ثلاثين ألفَ رجلٍ وأمرهم بالدُّخول من طريقٍ بين[٧] جوذرز، وبين الّذى دخل من طريق الصّين.

ودخل جوذرزُ من ناحيةِ خراسانَ، وبدأ بِفيرانَ. فالتحمت بينهما حربٌ مذكورةٌ، تحكى فيها الفرسُ عجائبَ، بارزَ فيها بيژنُ[٨] بنُ بيب حمان وهو أخو فيران، فقتله مبارزةً وقتل جوذرز فيران مبارزةً أيضًا. وقصد جوذرزُ فراسيابَ، وألحّت عليه العساكرُ من كلّ وجه، واتّبع القومَ كيخسرو بنفسه، وجعل قصدَه للوجهِ الّذى كانَ فيه جوذرزُ، وصيّر مدخَلَه مِنه. فوا فى عسكرِ جوذرزَ، وقد أثخن[٩] [43] فى القتل. وقتل فيرانُ إصبهبذَ فراسيابَ والمرشّحَ لِلمُلكِ بعدَه، وجماعةً كثيرةً من إخوته وأولادِه، وأسر بروينَ[١٠] قاتلَ سياوخشَ، ووَجد جوذرزَ قد أحصى القتلى والأسرى وما غنم من الكُراع[١١] والأموال، فوجد مبلغَ مافى يدِه من الأسرىٰ ثلاثين ألفًا ومن القتلى خمسمائةِ ألفٍ

---

١) مط: إبانا. ٢) مط: وخزانتنا. ٣) التِّرة: الثّار. ٤) = شاهستون: كانت ناحية من أعمال بلخ (لد).
٥) وانّما... الملوك: سقطت من مط. ٦) مط: «وأمره» بدل «وأمر أحد القوّاد». ٧) مط: بنى جوذرز.
٨) = بيژن، وبژن، وبجن. الطّبرى: بيزن بن بىّ خمان (٢: ٦١٠). ٩) أثخن فى الأمر: بالغ فيه. مط: بيرن بن كيب خمان. ١٠) مط: روبن. الطّبرى: بروا بن فشنجان (٢:٦١١). ١١) الكُراع: اسمٌ يجمع الخيل والسّلاح.

ونيّفًا وستين ألفًا على ماتزعُم الفرسُ، وحاز من الكُراعِ والأموال ما لايُحصى كثرةً، وأمر كلَّ واحدٍ من الوجوه الّذين كانوا معه، أن يجعلَ أسيرَهُ أو قتيلَهُ عند عَلَمه، لِيَنظُرَ إليه كيخسرو عند موافاته.

فلمّا وافى كيخسرو العسكَرَ موضعَ الملحمة، إصطفَّت الرّجالُ له وتلقّاه جوذرزُ. فلمّا دخل العسكَرَ، جعل يمُرُّ بعَلَمٍ عَلَمٍ. فكان أوّلُ قتيلٍ رآه جثّةَ فيرانَ. فنظر إليه، وخاطبه بما يجرى مَجرىَ الاِشتفاءِ، ولم يَزَل يفعلُ ذلك حتى وقف على علم بيبِ بنِ جوذرز، ووجدَ تحتَهُ بروينَ حيًّا أسيرًا، فسأل [44] عنه، فأُخبر أنّه قاتِلُ سياوخش الّذى مَثّلَ به بعد قتله. فقرُبَ منه كيخسرو، ثمّ طأطأ رأسَهُ بالسُّجودِ، ثمّ قال: «الحمد لله الّذى أمكنني منك.» ووبّخه طويلاً. ثمّ أمر بقطعِ أعضائه حيًّا. فلمّا لم يَبقَ له طابقٌ[١] ذَبَحَهُ. ثمّ استقرَّ فى مضربه، وأجلس عمّه عن يمينه، ودعا بجوذرز[٢]، فأحسن صلتَه ومخاطبَته، وحمد ماكان منه، وفوّض إليه الوزارة الّتى يقال لها: برزج فرمَذار[٣]، وهو مرتبة الوزارة، وجعل إليه مع ذلك إصبهانَ وجرجانَ، وفعل مِثلَ ذلك من الحباء[٤] و الكرامةِ بكلِّ من أبلى[٥] من قُوّاده ورجاله.

ثمّ أتَتْهُ الأخبار من الوجوهِ الثّلاثةِ الأُخَر: أنّهم قد أحاطوا بفراسيابَ. وَبَرَزَ فراسيابُ، وماكان بقى من ولده إلاّ «شيذَه»[٦]، فتوجّه نحو كيخسرو بعُدّةٍ وعَتادٍ. فيقال: إنّ كيخسرو أشفقَ يومئذٍ، وَهَابَهُ، وظنَّ أن لاطاقة له به، وأنّ القتال بقى متّصلاً [45] بينهما أربعةَ أيّام، إلى أن انهزم شيذه واتّبعه كيخسرو، فَلَحِقه وضربه بالعمودِ على رأسه فخرَّ مَيّتًا، وغَنِم كيخسرو مالَه.

وبلغ الخبرُ فراسيابَ. فاقبل فى جمع عظيم. فلمّا التقى مع كيخسرو، نَشِبت بينهما حربٌ يقال: إنّه لم يُرَ مثلُها قطُّ على وجه الأرض، حتّى اختلط رجالُ إيرانشهرَ برجال التُّرك. ثمّ انهزم فراسيابُ وكَثُرَ القتلُ. فتزعمُ الفُرس أنّه بلغ عددُ القتلىَ أمرًا عظيمًا، لم أستحسن ذِكره لكثرته. وجدَّ كيخسرو فى طلبه، حتى لحقه بآذربيجان، فظفر به واستوثق منه بالحديد. ثمّ وبّخه، وسأله عن سبب قتله سياوخشَ. فلم تكن[٧] له حُجّةٌ، فذبحه كما ذبح سياوخشَ. ثم انصرف غانمًا مسرورًا.

وكان لفراسياب أخٌ يقال له: كى شواسف[٨]، صار إلى بلاد التُّرك بعد أخيه، وكان له ابنٌ يقال

١) الطابِق والطابَق: العضو، كاليد والرّجل. ٢) مط: وعا بحقّ جوذرز. ٣) بالفارسية: بزرگ فرماندار: الوزير الأعظم (لد). بالفهلويّة: Vazurg Farmatār (ف). ٤) فى الأصل: الحيا. مط: الحبى. الحباء: العطاء. ٥) أبلى فى الأمر: اجتهد فيه وبالغ. ٦) الطبرى: شيده (٢: ٦١٥). ٧) فلم تكن... ذبح: سقطت من مط. ٨) مط والطبرى: كى شراسف (٢: ٦١٧).

له: خرزاسف[١]، فملك البلاد بعدَ أبيه كى شواسفُ، وهو ابنُ أخى فراسيابَ الّذى حاربَ منوشهرَ.

ولمّا فرغ كيخسرو [46] من المطالبةِ بِوتره[٢]، واستقرّ فى ملكه، زَهِدَ فى الملك، وتنسّك وأعلَمَ الوجوه من أهل بيته ومملكته، أنّه على التّخلّى. فاشتدّ جَزَعُهم، وتضرّعوا إليه، وراوَدُوه[٣] على المُقامِ على تدبير مُلكهم. فأبىٰ عليهم، ولمّا ئيسوا، قالوا: «فاذا قمتَ[٤] على ما أنتَ عليه، فَسَمِّ مَن يقوم به.» وكان لهراسفُ حاضراً، فأشار بيده إليه، وأعلمهم أنّه خاصّتُهُ ووَصيُّه. فَقَبِلَ لهراسفُ الوصيةَ، وأقبَلَ النّاسُ عليه، وفُقِدَ كيخسرو. فبعض النّاس يقول: إنّه غاب للتّنسُّكِ، ولايُدرى أينَ ماتَ. وبعضهم يقول غيرَ ذلك. وكان مُلكُه ستّين سنةً. ثمّ مَلَكَ بعدَه لُهراسبُ[٥].

[لُهراسب وماكان من امر بُختَنَصّر]

ويُقال: إنّه ابن أخى كيقابوس. واتّخذ سريراً من ذهبٍ مكلّلاً بالجوهر، للجلوس عليه. وبُنيت له بأرض خراسان مدينةُ بلخ[٦] وسمّاها: «الحسناء». وهو أوّلُ من دَوَّنَ الدّواوينَ، وقوّى مُلكه بانتخابِ الجنودِ لنفسه [47] وعَمَرَ الأرضَ. وذلك أنّ الأتراكَ اشتدّت شوكتُهم فى زمانه، فجعل منزلَه بلخ ليقاتل[٧] الأتراكَ. ووجّه بُختَنَصّر[٨] إصبهبدًا لما بين الأهواز إلى أرض الرّوم من غربىّ دِجلةَ. ويقال: إنّ اسمَه بالفارسية: «بُختَ نَرسى». فشخص حتّى أتى دمشق، فصالحه أهلها. ووجّه قائدًا له، فأتى بَيتَ المَقدِس، فصالح ملك بنى اسرائيل، وهو رجلٌ من ولدِ داود، وأخذ منه رهائن وانصرف. فلمّا بلغ طبرية وثبتْ بنواسرائيل على مَلكهم، فقتلوه وقالوا: «داهنتَ أهلَ بابل وخذلتَنا»، واستعدّوا للقتال.

فكان من عاقبة جنايتهم[٩] على مَلكهم أن كتب قائد بختنصّر إليه بماكان. فكتب إليه يأمره أن يُقيم بموضعه حتى يوافيهُ، وأن يضرب أعناقَ الرّهائن الّذين معه، وسار بختنصّر، حتّى أتى بيت المقدس، فأخذ المدينة عَنوةً، وقَتَلَ المقاتلة، وسَبَى الذُرّية، وهرب الباقون إلى مصر.

فكتب بختنصّر إلى مَلِكِ مصر: [48] «إنّ عبيدًا لى هربوا مِنّى إليك. فَسَرِّحهم[١٠] إلىّ، وإلاّ

---

١) فى الطبرى ايضاً: خرزاسف. بالفارسية: ارجاسب. بالفهلوية: Arjasp او: Archasp. بالأفستائية: Arjataspa اى: مالك الأفراس الثّمينة (حص: ٦٢٦، يد ١: ٢٨٥). ٢) الوتر والوَتر: الذحلُ، الثار، الإنتقام. ٣) راوده على الأمر: طلب منه فعله. ٤) قام على الأمر: دام وثبت. مط: ماذا أقمت عليهم. ٥) بالفهلوية: Luhrasp. ٦) بالفهلوية: bāxl (ف). ٧) مط: ليقابل. ٨) الطّبرى: اسمه بالفارسيّة: بخترشه، بخت نرسه، بخت سه (٦٤٥:٢). بالبابليّة: Nabukadurriusur اى: نَبُو يحرس التّاج (حب) = بنوخذ نصر، بنوخذ راصر (المفصل ١: ٣٥٠). ٩) مط: خيانتهم. ١٠) فسرحهم... مصر: سقطت من مط.

غزوتُك واْوطاتُ بلادَك الخيلَ.»

فكتب إليه ملك مصر: «ماهم عبيدك، ولكنّهم الأحرارُ أبناءُ الأحرارِ.»

فغزاه بُختنَصّر، فقتله، وسَبىٰ أهلَ مصرَ. ثمّ انصرف بسبىٍ كثيرٍ من أهل فلسطينَ والأردنِ. فيهم دانيالُ النّبىّ وغيرُه من أبناءِ الأنبياء، وخرب بَيتُ المَقدِسِ منذُ ذاك.

وكان لُهراسفُ بعيدَ الهِمّة، طويلَ الفكر، شديدَ القمع للملوكِ المحيطةِ بإيرانشهرَ. وكانت ملوكُ الرّوم والمغربِ والهندِ يحملون إليه فى كُلّ سنةٍ وظيفةً معروفةً وإتاوةً[1] معلومةً، ويُقِرّون له أنّه مَلِكُ المُلوكِ هيبةً له. وكان بختنَصّر حمل إليه من بيتِ المَقدِسِ خزائنَ وأموالاً عظيمةً. ثم كَبِرت سِنُّه، وأحسَّ بالضّعف. فملّك ابنَه بُشتاسِفَ[2]، واعتزلَ المُلكَ، وكان عمره ومُلكه فيما ذكر مائةً وعشرين سنةً. [49]

وقد قيل: إنّ بُختنَصّر كان فى خدمةِ لهراسفَ، وتوجّه من قِبَلِه إلى الشّام وبيتِ المَقدِسِ، ليُجلِىَ اليهودَ عنها، ففعل، ثُمّ انصرف. ثمّ كان فى خدمةِ ابنه بُشتاسفَ، ثمّ فى خدمة ابنه بهمنَ، وإنّ بَهمنَ أقامَ ببلخ الّتى كانت تسمّى الحسناءَ، وأنفذ بختنَصّر إلى بيتِ المَقدِسِ لإجلاءِ اليهود، وإنّ السّببَ فى ذلك كانَ وثوبَ صاحبِ بيتِ المَقدِسِ على رُسُلِ بهمنَ وقتلِه بعضَهم. فمضى بُختنَصّر، فَسَبىٰ وَهَدَمَ بيتَ المقدِسِ وانصرف إلى بابِلَ، وملّك [متنيا»[3] وسمّاهُ: «صِدقيا»[4].

فلمّا صار بختنَصّر ببابلَ، خالَفَهُ صدقيا. فغزاه بختنَصّر ثانياً، وظفِر به. فاخربَ المدينةَ والهيكلَ وأوثقَ صِدقيا وحَمَلَهُ إلى بابل، بعد أن ذبحَ ولدَه وسَمَلَ عينيه. فمكث بنواسرائيل ببابل، إلى أن رجعوا إلى بيتِ المقدس. فكانت غلبةُ بُختنَصّر - وهو بُختَ نَرسى - إلى أن ماتَ، فى هذا القولِ الّذى حكيناه آنفا، أربعينَ سنةً.

ثمّ قام بعدَه ابنٌ له يقال له: نَمرُوذ، [50] ثمّ ابنٌ له يقال له: بُلتَنَصّر[5]، فخلّط ، ولم يرتضِ بهمنُ أمرَه، فعزلهُ، وملّك مكانَه:

---

١) الإتاوة: الجزية، الخراج، مايؤخذ كُرهًا. ٢) الطبرى: بشتاسب (٢: ٦٤٧) = گشتاسب، ويشتاسب. بالفهلويّة: Vishtasp (ف). ٣) الأصل غيرواضح. مط: سيبا. وما أثبتناهُ من الطبرى المطابق لقاموس الكتاب المقدس. فى حواشى الطبرى: شيبا، منيثا، مثينا (٢: ٦٤٢، لد). ٤) مط: صندقيا. الطبرى صديقيا، صيدقيا (٢: ٦٤٣).

٥) فى الأصول الأخرى: بلتشر، بلطشاصر، Besazar, Belsharrasur (المفصل ١:٦١١). جاءَ فى الطبرى (٢:٦٥٢): «فلمّا ملك بلتشر خلط فى أمره، فعزله بهمن وملّك مكانه على بابل وما يتصل بها من الشام وغيرها داريوش الماذوى... حين صار إلى المشرق، فقتل بلتشر وملك بابل وناحية الشام ثلاث سنين، ثمّ عزله بهمن وولّى مكانه كيرش الغيلمى....»

كيرُش[١]

وتقدّم إليه بَهمنُ أن يرفقَ ببنى إسرائيل، ويُطلِقَ لهم النزولَ حيثُ أحبُّوا، والرُّجوعَ إلى أرضهم وأن يُولِّىَ عليهم مَن يختارونَه، فاختاروا دانيالَ النَّبىَّ ـ عليه السَّلام ـ فولاّه أمرَهم. وكان مُلكُ كيرُشَ ومدّةُ سِنيه معدودةً من خرابِ بيت المقدِسِ، منسوبةً إلى بُختنَصَّر ومبلغُها سبعون سنةً. ثمّ مَلكَ بابلَ وناحيتَها من قِبل بهمن[٢] رجلٌ من قرابته يقال له:

اخشَوارس[٣]

إبن كيرُشَ بنِ جَاماسِبَ المُلقَّبُ بِ «العالم»،

وُولِدَ لاخشَوارِسَ وَلَدٌ مِن امرأةٍ مِن سَبىِ بنى اسرائيل يقال لها: أشيرُ[٤]، صُنعًا مِن الله لِبَنى إسرائيل، فسمّاهُ:

كيرُش

فملكَ بعد أبيهِ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وعلّمه خالُه التَّوراة، وفَهِم أمرَ دانيالَ ومن كان معه: مثل حَنَنيا، وعازَريا، و عُزَير[٥]. وتأدّبَ وعَلِمَ العلومَ. وسألَه [51] بنوإسرائيل أن يأذنَ لهم فى الخروج إلى بَيتِ المقدِس فأبىٰ وقال:

«لوكان معى منكم ألفُ نبىٍّ، مافارقنى، مادمتُ حيًا».

ووَلّى دانيالَ القضاءَ، و أمره أن يُخرجَ كلَّ شىءٍ فى الخزائن ممّاكان بختنَصَّر أخذه من بَيتِ المقدس، فبُنِىَ وعُمِرَ فى أيّامِ كيرُشَ، وماتَ بهمنُ لِثلاثَ عشرةَ سنةً خلت مِن قيام كيرُشَ ببابلَ.

وقد حكى أهلُ التَّوارةِ فى أمر بُختنَصَّر أقوالاً مختلفةً تركنا ذكرها. إلاّ أنّهم ذكروا أنّ بُختنَصَّر لمّا خرّب بيتَ‌المقدِس، أمرَ جنودَه أن يَملأ كلُّ رجلٍ منهم تُرسَهُ تراباً، ثمّ يقذِفَه فى بيتِ المقدس. فَقَذَفُوا فيه من التُّراب ماملأهُ. ولمّا انصرفَ إلى بابلَ، اجتمعَ مَعَهُ سبايا بنى إسرائيلَ، وأمرَهُم أن يَجمَعوا مَن كان فى بيتِ‌المقدس كلِّهم. فاجتمع عنده الكلّ، فاختار منهم سبعين ألفَ صبىٍّ. فلمّا خرجت غنائمُ جندِه، سألوه أن يَقسِمَ فيهم الصِّبيان. فَقَسَمَ فى الملوك [52] منهم،

---

١) بالفارسيّة القديمة: كوروش، كورو. بالعيلاميّة: Ku-rash. بالبابلية: Ku-ra-ash. بالرّوميّة: Cyrus (پاب، Kent). فترة الحكم: ٥٥٩-٥٢٩ ق م (فم). ٢) بالفهلوية Vahman (ف) ٣) = اخشوارش، اخشويرش = خشايارشا. وفى النقش الخاصّ به: Xashi-arsha. ٤) الطبرى: اشتر (٢: ٦٥٣). ٥) مط: حنينا، وعادنريا، وغرير، الطبرى. حننينا وميشايل وعازريا (٢:٦٥٤).

فاصاب كلَّ رجلٍ منهم أربعة. فكان من اولئك الغِلمةِ: دانيالُ النّبيّ، وحننيا، و ميشايل، وسبعةُ آلاف من أهل بيت داود، وأحدَ عشَر ألفًا من سبطِ آسرِبن[1] يعقوبَ، وعلى ذلك سائر أولادِ يعقوبَ الأسباطِ.

ثمّ غزا بُختنَصَّر العرب. وذلك فى زمن مَعدّ بن عدنانَ. فوثب على مَن كان فى بلاده من تُجّار العرب، وكانوا يقدِمون عليه بالتجاراتِ، ويمتارون[2] من عندِهم الحبَّ والتّمرَ والثّيابَ وغيرها. فجمع من ظَفِرَ به منهم، وبَنىٰ لهم حَيرًا[3] على النَّجف، وحصّنه، وضمَّهم فيه، ووكّل بهم حرسًا. ثمّ نادى فى النّاس بالغزو، فتاهّبوا لذلك، وانتشر الخبرُ فى من يليهم من العرب، فخرجت إليهم طوائفُ منهم مسالمين فاحسن إليهم، وأنزلهم بُختنَصّر شاطئَ الفراتِ، فابتَنوا موضعَ معسكرهم، وسمّوه: «الأنبار» وخلّى عن أهل الحيرة، فاتّخذوها منزلاً مدّة حياة بختنَصّر. فلمّا مات انضمّوا إلى أهل الأنبار وبقى ذلك الحَيرُ خراباً. [53]

وملك كَى بشتاسِفُ بنُ كَى لُهراسِفَ

فبنى مدينة فَسًا، وهو أوّل من عُرف بَسَطَ دواوين الكتّاب، لاسيّما ديوان الرّسائل، وأمر الكُتّاب أن يُطيلوا كتب الرّسائل، ويذكروا فيها الأسباب والعلل. وكان له ديوانان: أحدهما ديوان الخراج، والآخر ديوان النّفقات. فكان كلُّ مايَردُ، فإلىٰ ديوان الخَراجِ، وكلُّ مايخرُجُ من جيشٍ وغيره، فإلىٰ ديوان النّفقات. وكان من رسم الوزير ـ واسمهُ: «بُرزج فرمَذار»[4]ـ أن يكون له خليفة يسمّى: «إيرانمارغَر»[5]، يصل إلى المَلِكِ، ويعرض عليه وينوبُ عن الوزير. فامّا المتقلّدُ لديوانِ الرّسائل فيُسمّى: «دَبيرفَذ»[6]، وكان له كاتبٌ موكّلٌ بدار المملكة، فان وقع على أحدٍ تقصيرٌ فى منزلةٍ، أوحَطٌ فى درجةٍ، رجعَ إلى ذلك الكاتبِ حتّى يُبيّن حالَ مَرتَبَته، فيُجرىٰ على رَسمه.

---

١) الطَّبرى: اشر، اشير (١: ٣٥٥، ٣٥٧). ٢) امتار لنفسه أو أهله: جمع الميرةَ. والميرة: الطعام ونحوُه يُجمع للسّفر ونحوه. ٣) الحير: شبه الحظيرة أو الحِمىٰ. مدينةٌ على الفرات غربيّ بغداد، كانت الفرس تسميها: فيروز سابور، أوّل من عمرها سابور ذوالأكتاف (يا). بالفارسيّة: فيروز شابور، باليونانيّة: Perisabor (لج: ٧٢). ٤) مط: برزج فريدار. ٥) مط: ابدأ مارعن! بالفهلوية: ēran-āmargar: المحاسب، أو المُحصى لايران (حب). ٦)= ذبيربَد. بالفهلويّة: Dipir-Pat (حب).

[ظُهورُ زَردُشتَ]

وظهر في أيّامه زَردشت[١]، وأراده على قبول دينه، فامتنع من [54] ذلك، ثمّ صدّقه، وقَبِلَ مادعاه إليه وأتاه به، من كتابٍ يُكتبُ في جلدِ اثنَي[٢] عَشرَ الفَ بَقَرةٍ، حفرًا في الجلود، ونقشًا بالذّهب. وصيّرَ بُشتاسِفَ ذلك بإصطخرَ ووكّل به الهرابِذةَ[٣]، ومَنَعَ تعليمَه العامّةَ، وبنى ببلاد الهند بيوتًا للنّيران، وتنسّك واشتغل بالعبادة. وهادَنَ خرزاسف بن كي سواسف ابن أخي فراسياب وملكَ التّركَ على ضربٍ من الصُّلح. وفي شريطة الصُّلح أن يكون ببلاد خرزاسف دابّةٌ موقوفةٌ في منزلة الدّوابِّ التي تكون على أبواب الملوك[٤]. فأشار زردشت على بشتاسف، بنقض الهدنة[٥]، ومفاسدة مَلكِ التُّرك. فقَبِلَ منه، وبعث إلى الدّابّةِ، والموكَّلِ بها، أن ينصرفَ، وأظهر الغدر. فغضب خرزاسف، وكتب إليه كتاباً غليظًا، وأمره بتوجيه زردشت إليه، وأقسم - إن امتنع - أن يغزوَه حتّى يسفكَ دمَه ودماءَ أهل بيته.

فلمّا ورد الرّسول بالكتاب، كَتَبَ كتاباً أغلظَ منه [55] جوابًا عن كتابه، وآذَنه بالحرب، وأعلَمه أنّه غير مُمسِكٍ [عنه][٦] إن أمسكَ، فسار بعضُهما إلى بعضٍ، ومع كُلٍّ واحد منهما إخوتُه وأهلُ بيته. فقُتِل بينهما خلقٌ كثير، وأحسن الغناءَ[٧] ابنُ بشتاسف إسفنديار، وقَتل بيدرفشُ السّاحرَ[٨] بيده مبارَزةً. فصارت الدَّبَرةُ[٩] على التُّرك، فقُتِلوا قتلاً ذريعًا، ومضى خرزاسفُ هاربًا على وجهه،

---

١) الطّبرى: زرداشت بن اسفيان (٢: ٦٧٥). بالأفستائيّة: Zarathushtra: صاحب البعران الصّفراء. اسم أسرته Spitama. (حب) بالفهلويّة: Zaratusht Spitaman (ف). حول مكان الولادة: قيل: الرّيّ، وفي الأغلب يُقال: الشّمال الشّرقي لإيران. زمان الولادة: هناك اختلافٌ أيضًا. دأبَ أتباعُه وأغلب المستشرقين على تحديده بحوالي عام ٦٠٠ ق. م. قُتل زرادشت في الحملة الثّانية الّتي شنّها أرجاسب التّركي على إيران (حب). ٢) في الأصل: اثنتى. وهو خطأ. في الطّبرى: في موضعٍ من إصطخر يُقال له: دَربيشت (٢: ٦٧٦). إنّ كور فارس خمسةٌ، أكبرها وأصلها كورة إصطخر (مع). ٣) جمع هِربَذ = هيربَد. بالأفستائيّة: Aethrapaiti: المعلّم. (الجزء الأوّل بمعنى التّعليم، والجزء الثّاني لاحقةٌ تفيد معنى الاتصاف والملكيّة.) واستعمل بمعنى التّلميذ أيضًا، ثمّ استعمل بمعنى مُوبَد، ثمّ بمعنى رجل الدّين على الإطلاق (كسا: ٤١٧)، وبمعنى عميد الجامعة (دات: ٩٢). بالفهلويّة: Ehrpat، وفي النّقوش: Herpat أنظر أيضًا (حب). ٤) في الطّبرى: أن يكون لبشتاسف «بباب» خرزاسف دابّةٌ موقوفةٌ بمنزلة الدّواب الّتي «تنوب» [وفي نسخةٍ «تكون»] على أبواب الملوك (٢: ٦٧٦). ٥) الهُدنة: المصالحةُ بعد الحرب، أو فترةٌ تعقب الحرب يتهيّأُ فيها العَدوّانِ للصُّلح، ولها شروطٌ خاصّةٌ (مر). ٦) عنه: تكملةٌ من الطّبرى (٢: ٦٧٧). ٧) مط: وأحسن الفناء. في الطّبرى: وأحسن الغناءَ عنه ابنُه اسفنديار (٢: ٦٧٧). بالفهلويّة: Spendat، Espandyaz (يد ٢: ٢٨٨). ٨) بالفهلويّة: Vēdarafsh (ياز). كان بيدرفش بطل جيش أرجاسب ملك التّرك. في الطّبرى: بيدرفش السّاحر (٣: ٦٧٧) = بيدرفش جاذو (حب، لد). ٩) الدّبرة: الهزيمة في القتال.

ورجع بُشتاسفُ إلى بلخ.

فلمّا مَضَت لتلك الحرب سِنون، سعىٰ على اسفنديار رجلٌ يقال له: فَرُّوخ[١]. فأفسد قلبَ بُشتاسفَ عليه. وذاك أنّه أعلمه: أنّه يَنتَدِبُ[٢] لِلمُلك، ويزعُم أنّه أحقُّ به، وأنّ النّاسَ مائلون إليه. فصدّق بُشتاسفُ بذلك، وتَرَكَ الرِّفقَ ومعالجةَ الأمور على تُؤدةٍ، وأخذ فى أن يندبَه لحربٍ دون حرب[٣]. فكان ينجح فيها كلِّها، ثمّ أمر بتقييده، وصيَّرهُ فى الحصن الّذى فيه حبسُ النّساء. وصار بشتاسف إلى جبلٍ يُقال له: «طَميذَر»[٤]، لدراسة دينه، والتّنسُّكِ هناك، وخلَّف أباه لهراسفَ [56] فى مدينة بلخ شيخًا هَرِماً قد أبطله الكِبَرُ، وترك خزائنَهُ وأموالَه على[٥] امرأته.

فكان من عاقبة ذلك، أن حَمَلتِ الجواسيسُ خَبَره إلى خرزاسف، فَجَمعَ جنودًا لايُحصَونَ كثرةً، وشَخَصَ من بلاده نحوَ بلخ. فلمّا انتهى إلى تُخومِ[٦] مُلكِ فارِسَ، قدّم أمامَه جوهَرمَز[٧] أخاه ـ وكان مرشّحًا لِلمُلكِ ـ فى جماعةٍ من المقاتلة كثيرةٍ، وأمرهم أن يُغِذّوا[٨] السَّير، حتّى يتوسَّطوا المملكة، ثمّ يُوقعوا[٩] بأهلِها ويُغيروا على المدن والقُرىٰ. ففعل جَوهرمزُ ذلك، وسفك الدِّماء، واستباحَ الحُرَمَ، وسبىٰ ما لايُحصىٰ كثرةً، واتّبعه خرزاسف، فأحرق الدّواوين، وقتل لهراسف والهرابذةَ، وهَدَم بيوتَ النّيران، واستولى على الأموالِ والكنوز، و سبى ابنتينِ[١٠] لِبُشتاسفَ، وأخذ فيما أخذ «دِرَفش كابيان»، وشخص يتبع بشتاسف، فهرب منه بشتاسف، حتّى تحصّن فى الجبل الّذى يُعرف بِطَميذَر مِمّايلى فارِسَ، ونزلَ بِبُشتاسفَ ماضاق به ذَرعًا [57] ونَدِمَ على ماصَنَعَهُ بإسفنديار.

فيقال: إنّه وجّه إليه بجاماسِفَ[١١]، حتّى استخرجه من محبسه، وصار به إلى أبيه. فلمّا دخل عليه، اعتذر إليه ووعده عقدَ التّاج على رأسه، وأن يَفعلَ به مثلَ الّذى فعَل به لهراسف، وقلّده عسكره، وأمره بمحاربة خرزاسف. فلمّا سمع إسفَنديارُ كلامَ أبيه، طابت نفسُهُ، وكفَّر[١٢] بين يديه، وتولّى الأمرَ، وتقدّم فيما احتاج إليه.

---

١) بالفهلويّة: Farraxv: المُشعَ، الجميل (حب). ٢) ينتدب: يُسرع، يجيب الدّعوة إلى الأمر. ٣) كذا فى الأصل ومط: لحربٍ دون حرب. وفى الطّبرى: لحربٍ بعد حربٍ. (٢: ٦٧٧). ٤) طميذر، طميدر: جبلٌ حصينٌ فى بلخ (لد). ٥) فى الطّبرى: مع امرأته. ٦) التّخوم: جمع مفرده تُخم و تَخم: الحدّ الفاصل بين أرضَين. ٧) جوهَرمَز = گوهرمزد. گو gaw, gow: البطل، أى: هرمزد البطل فى الثعالبى و ترجمة زوتنبرغ: كُهرم Kohram (ص ٣٣٦). ٨) أغذّ فى السّير: أسرع. ٩) أوقع بالأعداء: بالغ فى قتالهم. ١٠) وهما خمانى، وباذافره (الطبرى ٢: ٦٧٨) = هماى و بهآفريد (شا). ١١) الطبرى: جاماسب العالم (٢: ٦٨١). بالفهلويّة: Jāmāsp ١٢) كفّر لسيّده: انحنى وَوَضع يَدهُ على صدره وطأطأ رأسه تعظيمًا له.

ثمّ عبّى ليلتَهُ أصحابَهُ، فلمّا أصبح، أمرَ بنفخ القُرون، وسار بالجنود نحو عسكر التُرك. فلمّا رأت التُرك عسكَره، خرجوا إليه على وجوههم يتسابقون وفى القوم جَوهَرمَزُ وأندرمان[١]. فالتحمت الحرب بينهم، وانقضَّ إسفنديار [و][٢] بيده الرُّمح كالبرق، حتّى خالط القوم، وأكبَّ عليهم بالطَّعن. فلم تكن هُنيهةً حتّى ثلمَ فى القوم ثُلمَةً عظيمةً، وفَشا فى التُرك أنَّ اسفنديار قد أُطلِقَ من الحبس، فانهزموا لايلوُونَ على شيء، وانصرف إسفنديارُ وقد ارتجعَ العَلَمَ الاكبَر، [58] وحُمِل معه منشوراً.

فلمّا دَخلَ على بشتاسف، استبشر بِظفَره، وأمره باتّباعِ القومِ وقتلِ خرزاسف إن قدر عليه، بلهراسف، وبقتلِ جوهرمز وأندرمان، بمن قُتل من ولده، وبهدم حصون التُركِ وبحرق مُدُنِها وبقَتلِ أهلها، بمن قُتِلوا من حملة الدّين، وباستنقاذ السَّبايا، ووجَّه معه من القُوّاد والعظماءِ خلقا كثيرا. فدخل اسفنديارُ بلادَ التُركِ، ورام مالم يَرُمه أحدٌ، واعترض ـ على ماتزعُم الفرسُ ـ العنقاءَ المذكورة[٣]، ورماها، ودخل مدينةَ الصُفر[٤] عَنوةً، حتّى قتل مَلِكَها وإخوتَه ومقاتِلتَه، واستباح أموالَهُ، وسَبىٰ ذَراريَهُ ونساءَه واستنقذ أُختيه، وكتب بالفتح إلى أبيه.

[ياسر أنعُم]

فامّا ملوك اليمن، فقد كتبناهم إلى عهد سليمانَ وأيّامِه. ثُمّ صار المُلك إلى ياسر[٥] بن عمرو الّذى يقال له: ياسرُ أنعُم[٦]، لإنعامِه على العرب. وكان سار غازيًا نحو المغرب. حتّى بلغ واديًا يقال له: «وادى الرَّمل»، ولم يكن [59] بلغه أحدٌ قبلَه، ولم يجد وراءَه مَجازًا لكثرة الرَّمل. فبينا هو مقيمٌ إذِ انكشف الرَّملُ. فأمر بعضَ أهل بيته أن يعبُرَ هو وأصحابُه. فَعَبَروا، ولم يرجعوا. فأمر بِصَنَمٍ من نُحاسٍ، فصُنع ثمّ نُصبَ على صخرةٍ عظيمةٍ على شفير الوادى، وكتب فى صدره بالمُسنَدِ[٧]:

«هذا الصَّنم لياسر أنعم[٨] الحميرى، ليس وراءَه مذهبٌ، فلا يتكلّفنَّ ذلك أحدٌ فَيَعطَب.»

---

١) = وندريمان، وندريمن. هو أخو جوهرمز وخرزاسف (الطبرى ٢: ٦٧١). ٢) و: زدناها من مط. ٣) انظر الثعالبى: ٣٣٣. ٤) من أسماء مدينة بخارا (لد). فى الطبرى: دزروئين، وتفسيرها بالعربيّة: الصُفريّة (٢: ٦٨٠) = روئين دژ (حص). ٥) مط: ياشر ٦) مط: ناش نعم! هذه التصحيفات العجيبة نوردها بين حينٍ وآخر للإشارة إلى ما لمخطوطة مط من قيمةٍ سلبيّة، حتّى تكون فى حسبان القارئ عند مقارنته بينها وبين الأصل. فى المفصّل: ياسر يهنعم، ياسر ينعم، ياسر أنعم الحميرى ملك سبأ (١: ٤٨). ٧) اسمٌ لخطّ الحمير باليمن (مو). ٨) مط: ناش النعم!

[تُبّع]

ثمّ ملك بعدهُ تُبّعٌ. وهو تُبانُ[١]، وهو أسعدُ، وهو أبوكربِ بنِ مليكيكربَ، تُبّع بنِ زيدِ بنِ عمرو بنِ تُبّعٍ ذى الاذعارِ بنِ أبرهةَ تُبّعٍ ذى المنارِ بنِ الرّائشِ بنِ قيسِ بنِ صَيفى بنِ سبإ.

وكان تُبّعٌ هذا فى أيام بشتاسف وأردشير بهمن بن اسفنديار بن بشتاسف. خَرَجَ و غزا، وبلغ الأنبار، والموصل، ثمّ آذربَيجانَ[٢]، ولَقىَ بها التُّرك، فهزمهم، وقتل بها المقاتِلةَ، وسَبى الذُّرِّيّةَ، فاقام بها دهرًا، وهابَتهُ الملوك، وأهدت إليه، وقدِم عليه رسول ملك الهند بالهدايا والطُّرَفِ من الحرير والمسك، [60] وسائر الطُّرَفِ، فرأىٰ مالايُرى مثلُه.

فقال: «ويحك! أكُلُّ هذا فى بلادكم؟»

فقال: «أبيت اللّعن[٣]، هذا أقلُّ ماترى فى بلادنا، وأكثره فى بلاد الصّين.»

ووصف له بلادَ الصّين، وسِعَتَها، وخِصبَها. فَآلىٰ: ليَغزُوَنّها، وسار بِحِميرَ، حتّى أتى الصّين فى جمعٍ عظيم، حتّى دخلها، فقتل مقاتِلتَها، واكتسح ماوجد فيها. ويزعمون أنّ مَسيرَهُ إليها كان ـ ومقامُه بها ورجعتُه منها ـ فى سبع سنين. وخلّف بالتُّبّتِ[٤] اثنى عشرَ ألفَ فارسٍ من حِميرَ، فهم أهلُ التُّبّتِ اليوم، ويزعمون أنّهم عربٌ، وخِلقُهم والوانُهم خِلَقُ العربِ والوانهم.

[أردَشير بَهْمَن]

وملك بعد بشتاسف أردشير بهمن. وانبسطت يده، وتَناولَ الممالكَ بقُدرةٍ [حتّى][٥] ملك الأقاليم. وابتنى بالسَّواد مدينةً وهى المعروفةُ بِـ «هُمَينيا»[٦] وهو أبودارا [الأكبر][٧]، وأبوساسان أبى الفُرس الأخير[٨] أردشيربن بابك وولده. وكان بهمنُ بنُ إسفنديار كريمًا، [61] متواضعًا، مرضيًّا. وكانت تخرج كُتُبُه: «من أردشير[٩] بهمن[١٠] عبدِالله، وخادمِ اللهِ، والسّائسِ لأمركم».

١) مهملة النقط فى الأصل، وضبطناها حسب الطّبرى (٢: ٦٨٤). وما فى مط: بيان. انظر أيضًا المفصّل ١: ٥٤٧.

٢) بالفهلويّة: Aturpātakān (حب، ف)

٣) أبيتَ اللّعن: من تحيّات الملوك فى الجاهليّة، معناها: أبيتَ أن تأتىَ من الأمور ماتُلعنُ عليه وتُذَمُّ بسببه (لع).

٤)= Tibet: من بلدان آسيا المركزيّة فى غربىّ الصّين.

٥) مافى الأصل غير واضح، وما أثبتناهُ من مط.

٦) جاء فى الطّبرى: وسمّاها: آباد أردشير، وهى القرية المعروفة بِـ «هُمَينيا» من الزّاب الأعلى (٢: ٦٨٧) = همانيا، همانية، هُمنىٰ: قريةٌ كبيرةٌ فى ضفّة دجلة فوق النّعمانيّة (مع).

٧) الأكبر: ليست فى الأصل ومط. فأضفناها من الطّبرى.

٨) كذا فى مط. فى الطّبرى: «الأُخُر»، ضدّ القُدُم: المؤخَّر.

٩) بالفارسيّة القديمة: Artaxshathra: الملك المقدّس (شاك: ٤٨). بلوتارخ: ماكروخير Makroxeir، البيرونى: مقروشير: طويل اليدين (ص ١١)، ويقال له: طويل الباع، أيضًا (لد).

١٠) بالأفستائيّة: Vohamana: النّصيح، الحسن النّيّة. (يپ ١: ٨٨، حب).

ويقال: إنّهُ غزا الرُّوميةَ الدّاخِلةَ[١]، في ألفِ ألفِ مقاتلٍ. ولم تزل ملوك الأرض تحمِل إليه الإتاوةَ، إلى أن هلك، وابنه دارا [الأكبر][٢] فى بطن أمّه. فملّكوا خُماى بنتَه شكرًا لأبيها. وكان من أعظم ملوك الفُرس شأنًا، وأفضلهم تدبيرًا. وله كتبٌ ورسائلُ تفوق كتبَ أردشير وعهدَه. وتفسير «بَهمَن» بالعربيّة: «الحَسَنُ النيّةِ».

[خُماى]

ثمّ ملكت خُماى[٣] بِنتُه. لأنّها حملت منه دارا الأكبر، وسألته أن يعقدَ التّاجَ له فى بطنها، ويُوثِرَه بالملك، ففعل بهمنُ ذلك. وكان ساسانُ[٤] بنُ بهمن فى ذلك الوقت رجلاً يتصنّع لِلملك، [لايشكّ][٥] فيه. فلمّا رأى ساسانُ مافعل أبوه، شقّ عليه، فلَحِقَ بإصطخر، وتزهّد، وخرج من الحِلية، واتّخذ غُنَيمةً، فكان يتولّى ماشيتَه بنفسه، واستشنعتِ العامّةُ ذلك من فعله، وقالوا: «صار ساسانُ راعياً»، وسبّوه به [62] ثمّ لمّا كبر دارا حوّلَ التّاجَ إليه. وكانت خماى ضَبَطَتِ الحكم[٦] بِنَجدَةٍ ورأيٍ، وحَصافةٍ، وأغزتِ الرّومَ جيشًا، وأوتيت ظفرًا. فقمعتِ الأعداءَ وشغلتهم عن تَطرُّفِ[٧] شيءٍ من بلادها، ونال رعيّتَها فى تدبيرها خفضٌ و رفاهةٌ، إلى أن مُلّكَ ابنُها:

دارا[٨] بن بَهمَن

فنزل بابلَ، وكان ضابطًا لِمُلكِه، قاهرًا لِمَن حولَه مِنَ الملوكِ يُؤدُّون إليه الخراجَ. ابتنى بفارسَ مدينةً، وسمّاها: «دارا بجِرد[٩]». وحذف ذَوابَّ البريد[١٠] ورتّبها. وكان مُعجَباً بابنِه «دارا»، وبلغ مِن حُبّه إيّاه أن سمّاه باسم نفسِه، وصيّر له المُلكَ من بعدِه. وكان له وزيرٌ يسمّى:

---

١) الرّوميّة: اسمٌ لمدينتين: مدينة ببلاد الرّوم وأخرى بالمدائن (مع). ٢) الأكبر: تكملةٌ من مط. ٣) فى الطّبرى و حواشيه: خمانى، هماى، خماى (٢: ٦٨٦). هماى (شا). هماك (ياز، كيا: ٤١). بالأفستائيّة: Humāyā: المباركة (حب). ٤) بالفهلويّة: Sāsān: الفقير (يو): هو جدّ الملوك السّاسانيّة. كان من الأشراف ورئيس معبد أناهيذ (= أناهيتا) فى إصطخر وبابك ابنُه (سا: ٨٦). ٥) لايشكُ: مهملةٌ فى الأصل والإعجام من مط. ٦) مط: الملك. ٧) الأصل والطّبرى: كذا. مط و ابن الأثير: تطرّق. ٨) فى سائر الأصول: دارا، داريوش، داريوس، داراب، داريوشن. ٩) بالفهلويّة: Dārāp - kart (ف). ١٠) قال الثّعالبى: هو أوّل مَن وضع البريدَ، ورتّبَ له الذّوابَّ، وأمر بتحذيف أذنابها علامةً لها (ص ٣٩٨). وقال الطّبرى: ... وحذفَ ذوابَّ البُرُدِ، ورتّبها (٢: ٦٩٢). وانظر أيضًا مسكويه ١: 62. حذفُ الشّيء: قطعُه من طرفه. تحذيف الشّعر: الأخذُ من نواحيه وتسويتُه (لع).

«رُشتين[١]» محمودًا فى عقله. فشجر بينه وبين غلامٍ تربّى[٢] مع دارا الأصغر يقال له: «بِيرى[٣]»، شرٌ وعَداوةٌ. فَسَعىٰ رُشتين عليه عند الملك. فيقال: إن الملكَ سقى بيرى شربةً فمات، فاضطغنَ دارا الأصغرُ على رُشتينَ، وعلى جماعةٍ كانوا عاوَنُوه.

[دارا الأصغر]

فلمّا مَلَكَ دارا بنُ دارا بنُ بهمنَ، كانَ أوّل ماتكلّم به حين عَقدَ التّاجَ [63] على رأسه، قال:

ـ «لن نَدفعَ أحدًا فى مَهوىَ الهَلَكَةِ، ومن تردّىٰ فيها، لم نَكفُفه عنها.»

واستكتب أخابيرى، واستوزره، رعايةً لحقِّ أخيه، وأنساً به، ولم يكن فى موضع الوزارة، ولا كان له كفاية رُشتين.

فكان من عاقبة ذلك، أن أفسَدَ قلبَه على أصحابه، وحَمَلَهُ على قتل بعضهم، فاستوحشت منه الخاصّة والعامّة، ونَفَرُوا عنه، وكان حقودًا جبّارًا. فعرفَ خبرَهُ الإسكندرُ فغزاه وقد ملّه أهلُ مملكته، واستوحش جندُه، وأحبُّ الجميعُ الرّاحةَ منه. فلحق كثيرٌ من وجوه أصحابه وأعلام جنده بالإسكندر، فأطلعوه على عَورةِ دارا وقَوَّوهُ عليه، فلمّا التقيا ببلاد الجزيرة[٤]، اقتتلا سنةً. ثُمّ إنّ رجالاً من أصحاب دارا وثبوا به، فقتلوه، وتقرّبوا بذلك إلى الإسكندر، فأمَرَ بقتلهم وقال:

ـ «هذا جزاء من اجترأ على مَلِكِه.»

وتزوّج ابنتَه: روشَنَك[٥]. ثمّ غزا الهِند ومشارقَ [64] الأرض، فملكها. ثُمّ انصرف وهو يُريد الإسكندريّة، فهلك بناحية السَّواد، فَحُمِلَ فى تابوتٍ من ذهبٍ إلى أمّه. وكان مُلكه أربع عشرةَ سنةً. واجتمع مُلك الرُّومِ وكان قبل الاسكندر متفرّقًا، وتفرّق مُلكُ فارس وكان مجتمعًا.

[مِمّا يُحكىٰ عَنِ الاسكندرِ وحِيَلِه]

[الإسكندرُ ودارا]

وقدكان فِيلِفُوسُ أبو الإسكندر، صالحَ دارا، على خراجٍ يحمله إليه فى كُلُّ سنةٍ. فلمّا هلك

١) مط: رستين. والكلمة مهملة النقط فى الطبرى مع تصحيفات فى الحاشية. ٢) مط: ربى. ٣) الكلمة مهملة النقط فى الطبرى مع تصحيفات فى الحاشية. ٤) أنظر مراصد الاطلاع ١: ٣٣١. ٥) بالفهلوية: Roshnak بالأفستائية: Raoxshna. إبنة دارا وزوجة الإسكندر (يو، حب). إبنة دارا هى Stativa وأمّا روشنك ←

الأبُ، وملك الاسكندر، وطَمِعَ فى دارا، منعه الخَراجَ الّذى كان يحمله أبوه إليه. فاسخَطَ دارا، فكتب إليه يؤنّبهُ بسوءِ صنيعه فى تركه حَملَ ماكان أبوهُ يحمله من الخراج، وأنّه إنّما دعاه إلى حبس ذلك، الصِّبَىٰ والجهلُ، وبَعَثَ إليه بِصَولَجانٍ وكُرَةٍ وبقفيزٍ[1] من السُّمسِم: يُعلمه بذلك أنّه إنّما ينبغى أن يلعَبَ مع الصِّبيان بالصَّولَجان[2]، ولا يتقلّدَ المُلكَ، ولا يتلبّسَ به، ويُعلمه أنّه إن لم يقتصر على ما أمره به، وتعاطى المُلكَ، بعث إليه من يأتيه به فى وثاقٍ، [65] وأنّ عِدَّةَ جنودِهِ الّذين يبعث بهم، كعِدّهِ حَبِّ السُّمسِمِ الّذى بعث به إليه.

فكتب الإسكندرُ فى جواب ذلك، أن قد فَهِمَ ماكتب به، ونظر إلىٰ ما أرسله من الصَّولَجان والكُرة، وتيمَّنَ به، لإلقاءِ المُلقى الكرةَ إلى الصَّولجان واجترارِه[3] إيّاها، وأنّه شبّه الأرض بالكرة، وتفأّل بملكه إيّاها، واحتوائه عليها، وأنّه يَجترُّ مُلكَ دارا إلى مُلكِه، وبلادَه إلى حيِّزه من الأرض، وأنّ نَظَرَهُ إلى السُّمسِمِ الّذى بعث به، كنظره إلى الصَّولجان والكرةِ، لِدَسَمِه وبُعدِهِ من المَرارة والحرافة. وبعث إلى دارا مع كتابه بُصرّةٍ من «خَردل»، وأعلمه فى ذلك الجواب: أنّ مابعث به إليه قليلٌ، غير أنّ ذلك مثل الّذى بعث به فى القُوّةِ، والحرافة، والمرارة، وأنّ جنودَه فيما وصف به منه.

فلمّا وصل إلى دارا جواب كتاب الإسكندر، جمع إليه جُندَه[4]، وتأهّب لمحاربة الإسكندر، وتأهّب له الإسكندر، وسار نحو [66] بلاد دارا. فلمّا التقيا، وجرى ماجرى من أمر القائدين اللّذين تقرّبا إلى الإسكندر وطلبا الحَظوةَ عندَه والوسيلةَ، وكان نادى الإسكندر ألاّ يُقتَلَ دارا، وأن يُؤسَرَ أسرًا، فلمّا أُعلِمَ الإسكندرُ بماجرى، سار[5] حتّى وقف عنده، فرآهُ يجودُ[6] بنفسه. فنزل الإسكندر عن دابّتِه، حتّى جلس عند رأسه، وأخبره أنّه ماهمَّ بقتله، وأنّ الّذى أصابه لم يكن عن رأيه.

وقال له: «سَلنى مابَدا لَكَ[7] فإنّى أسعِفُكَ بِه.»

فقال له دارا: «لى حاجتان: إحداهما أن تنتقم لى من الرَّجلين اللّذين فَتَكا بى - وَسَمّاهُما - والأُخرى أن تتزوّجَ ابنتى: روشَنك.»

فأجابه إلى الحاجتين، وأمر بصلب الرَّجلين اللّذين انتهكا من مَلِكِهما ما انتهكا، وتزوّج

← (باليونانيّة: Roxânô) فهى ابنة شريفٍ من شرفاء سُغدٍ، تزوجت من الإسكندر (إيب: ١٧٣٦، ١٨٨٣).

١) القفيز: مكيالٌ كان يُكال به قديمًا ويختلف مقداره فى البلاد (مو). ٢) الصَّولَجان: معرّب چوگان، بالفهلويّة Chōpakan (حب). ٣) مط: واحتياز. ٤) جنده: سقطت من مط. ٥) سار: سقطت من مط. ٦) مط: بحول. ٧) مط: مابذلك.

روشنك وملكَ الأرضَ كلَّها.

ويُقالُ: إنَّ الرَّجلين اللذين قتلا دارا، إنَّما فَعَلاَ ذلك بأمر الاسكندر، وكانَ شَرَطَ لهما شرطًا. فلمّا طعناه، دفع إليهما حُكمهما، ووَفىٰ لهما بشرطهما، [67] ثُمَّ قال:

- «قد وفيتُ لَكُما بالشَّرط، ولم تكونا شرطتُما أنفسَكُما، وأنا قاتِلُكُما، فإنَّه ليس ينبغى[١] لِقَتَلَةِ الملوك أن يُستَبقَوا، إلاّ بذمَّةٍ لاتُخفَر[٢]»؛ فَقَتَلَهما وصَلَبَهما.

ويُقالُ: إنَّ الاسكندر فى الأيّام الَّتى نازل فيها دارا كان يصير إليه بنفسه على أنَّه رسولٌ. فيتوسَّطُ العسكَر، ويعرف كثيرًا مِمّا يحتاج إليه. فكان اذا وصله[٣] دارا، أُعجب به واستحسن سَمتَهُ[٤] ومجاراتَه. إلى أن اتَّهمه وأحسَّ الاسكندر، فَهَرَبَ.

ذِكرُ حيلةٍ لِلاسكَندَر

فلمّا تواقفت[٥] الخيلان يوم الحرب، خرج الاسكندر من صفٍّ أصحابه وأمر مَن ينادى:

- «يا معشر الفُرس! قد علمتم ماكتبنا[٦] لكم من الأماناتِ. فمن كان منكم على الوفاء، فليعتزل عن العسكر، وله مِنّا الوَفاءُ بما ضَمِنّاهُ.»

واتَّهمتِ الفرسُ بعضُها بعضًا. فكان أوّل اضطرابٍ حَدَثَ فيهم.

حيلة اخرى

ومِمّا يُحكى من حِيَلِهِ فى الحروب: [68] أنَّه لمّا شَخَصَ عن فارس إلى أرض الهند، تلقّاه فُورُ مَلِكُها فى جمع عظيم، ومعه ألف فيلٍ عليها السِّلاح والرِّجال، وفى خراطيمها السُّيوف والأعمدة، فلم تقف دوابُّ الاسكندر وانهزم. فلمّا حصل فى مأمنه، أمر باتِّخاذِ فِيلَةٍ من نُحاسٍ مجوَّفَةٍ، ورَبَطَ خيلَه بين تلك التَّماثيل حتّى اِلفَتها، ثمَّ أمر فمُلِئت نفطًا وكبريتًا، وألبسها الدُّروعَ، وجُرَّت على العَجَل إلى المعركة، وبين كلِّ تمثالين منها[٧] جماعةٌ من أصحابه. فلمّا نشبت الحرب، أمر بإشعال النيّران فى أجواف التَّماثيل، فلمّا حميت، انكشف أصحابه عنها، وغشيتها[٨] الفِيَلةُ، فضربتها بخراطيمها، فنشطت وولَّت مُدبرةً راجعةً[٩] على أصحابها، وصارت الدَّبَرَةُ على ملك الهند.

١) ينبغى: سقطت من مط. ٢) مط: لا تخف! خفر بالعهد: وَفىٰ به. خفر العهدَ وبه: نقضه! (مو). ٣) فى الأصل: أوصله. وفضّلنا ضبطَ مط. ٤) السَّمت: السّكينة والوقار، الهيئة. ٥) مط: تواقف. ٦) مط: ماتعالكم! ٧) مط: فيها. ٨) مط: وغشّها. ٩) راجعة: سقطت من مط.

[حيلة اخرى له]

ومِمّا يُحكى أيضًا عنه: أنّه كان نزل على مدينةٍ حصينةٍ. فتحصّن منه أهلُها وعرف[1] خبرها، فاعلم أنّ فيها من الميرة والعيونِ المنفجرة كفايتهم. فدسّ[2] تُجّارًا [69] متنكّرين، وأمرهم بدخول المدينة، وأمدّهم بمالٍ على سبيلِ التّجارة، وتقدّم إليهم ببيع ما معهم، وابتياعِ ما أمكنهم من الميرة، والمغالاة بها. ففعل التُّجار ذلك، ورحل الإسكندرُ عنهم. فلم يزلِ التُّجارُ يشترون الميرةَ، إلى أن حصلَ فى أيديهم أكثرُهُ. فلمّا علم الاسكندرُ ذلك، كتب إليهم أن أحرقوا الميرةَ الّتى فى أيديكم واهرُبوا. ففعلوا ذلك، وزحف الاسكندر إليها، فحاصرهم أيّامًا يسيرةً، فأعطوه الطّاعةَ، وملَكَ المَدينةَ.

وكان أيضًا إذا انصرف عن مثل هذه المدينة، شرَّد مَن حولَها مِن أهل القُرى[3]، وتهدّدهم بالسَّبى، حتّى خرجوا هاربين معتصمين بالمدينة، فلايَزال بذلك حتّى يعلمَ أنّه قد دخلها أضعافُ أهلِها وأسرعوا فى الميرة، فيرجع حينئذٍ، فيحاصرهم، ويفتح المدينةَ.

[الإسكندر وارسطوطالِس]

ومِمّا يُحكى عنه: أنّه كتب إلى أرسطوطالس يُخبره: أنّ فى عسكره مِن الرُّوم [70] جماعةً من خاصّتهِ، لايأمنهم على نفسه، لِمايَرىٰ من بعدِ هِمَمِهِم وشجاعَتِهم وكثرةِ آلتهم، ولايَرىٰ لهم عقولاً تفى بتلك الفضائل، ويَكرَهُ الإقدامَ بالقتلِ عليهم بِالظِّنَّةِ، مع وجوب الحُرمةِ.

فكتب إليه أرسطوطالِس:

- «فَهِمتُ كتابَكَ، وما وصفتَ به أصحابَكَ. فأمّا ماذكرتَ من بُعدِ هِمَمِهم فإنّ الوفاءَ من بُعدِ الهِمّة. وأمّا ماذكرتَ من شَجاعتِهم ونقصِ عقولِهم عنهـا، فمن كانت هذه حالُه، فَرَفِّهْهُ فى معيشته، واخصُصه بحِسان النِّساء. فإنّ رَفاهَةَ العيشِ تُوهى العَزمَ، وتحبِّب السَّلامة، وتُباعدُ من رُكوب الخطإ والغَرَر[4]. وليكُن خُلقُك حسنًا تخلُص لكَ النيّاتُ، ولاتتناول مِن لذيذِ العيشِ مالايُمكن أوساطَ إخوتِك مثلُه. فليسَ مع الاستيثارِ محبّةٌ، ولامعَ المواساة بغضةٌ. واعلم أنّ المملوكَ[5] اذا اشتُرىَ لايَسأل عن مالِ مولاه وانّما يَسأل عن خُلقه.» [71]

---

١) مط: وتعرف. ٢) مط: قدبر. ٣) القرى: سقطت من مط. ٤) مط: الغدر. والغرر: الخطر. التعريض للهلكة. ٥) مط: الملوك!

وكان الإسكندر فى الايام الّتى لقى فيها دارا، وَجِل من محاربته، ودعاه إلى الموادَعةِ، لِما رأىٰ كثرة عُدَّتِه وعَتاده وعددِ جنده. فاستشار دارا أصحابه فى أمره، فغَشُّوه، وزيَّنوا له الحربَ، لفسادِ قلوبهم عليه، وكاتبوا الإسكندر، وأطمعُوهُ فيه. وكان ملك دارا أربعَ عشرةَ سنةً. فهدَم الاسكندر حصونَ الفرس، وبيوتَ النيران، وقتل الهرابذةَ، وأحرق كُتُبَهم، ودواوينَ دارا.

وكاتب[1] معلّمَهُ ووزيرَهُ أرسطوطالِسَ يُعلِمُهُ: أنه شاهَدَ بإيرانشهر رجالاً ذَوى أصالةٍ فى الرّأى، وجَمالٍ فى الوجوه، لهم مع ذلك صرامةٌ وشَجاعةٌ، وأنّه رأى لهم هَيآتٍ وخِلَقاً، لوكان عَرَفَ حقيقتَها، لَما غزاهم، وأنّه إنّما[2] ملكهم بحسن الاتّفاق والبَختِ، وأنّه لايأمَنُ - إن ظَعَنَ عنهم - وُثوبَهم، ولا تسكُنُ نفسُه إلاّ ببوارهم.

فكتب إليه أرسطوطالِس:

- «فَهِمتُ كتابَكَ فى رجالِ فارس. فامّا قتلُهم فهو من الفساد فى الأرض ولو قتلتَهم لأنبتَ البلدُ أمثالَهم [72] لأنّ إقليمَ بابِل يُولِّد أمثالَ هؤلاءِ الرِّجال، من أهلِ العقولِ والسَّدادِ فى الرّأىِ، والاعتدالِ فى التركيب، فصاروا أعداءَك واعداءَ عقِبِك بالطَّبع، لأنّك تكونُ قد وَتَرتَ[3] القومَ، وكثرت الأحقاد على أرضِ الرومِ منهم ومِمَّن بعدَهم، وإخراجُك إيّاهم فى عسكرك مخاطَرةٌ بنفسك وأصحابِك. ولكنّى أشيرُ عليكَ برأيٍ هو أبلغُ لكَ فى كلِّ ماتُريد من القتل، وهو أن تستدعىَ أولادَ الملوكِ منهم، ومَن يُستصلحُ لِلمُلكِ ويَترَشَّحُ له، فتُقَلِّدَهُم البُلدانَ، وتولّيَهُم الولايات، لِيصيرَ كُلُّ واحدٍ منهم مَلِكاً برأسه، فتتفرَّقَ كلمتُهم، ويجتمعُوا على الطّاعةِ لكَ، ولايؤدّىَ بعضُهم إلى بعضٍ طاعةً، ولا يتَّفِقوا على أمرٍ واحدٍ، ولا تَجتمعَ كلمتُهم.»

ففعل الاسكندرُ ذلك، فتمَّ أمرُه، وأمكنه أن يتجاوزَ مُلكَ الفُرسِ فسار قُدُماً إلى أرض الهند، حتّى قتل ملكَها مبارزةً، بعدَ حروبٍ عظيمةٍ هائلةٍ، وفتحَ مُدُنَها، ثمّ صار إلى الصِّين، وصنع بها[4] كصنيعِه بأرضِ الهندِ، ثُمّ طاف ممايلى القُطبَ [73] الشّماليَّ، ورجعَ إلى العراق، وخرج منها بعدَ أن ملَّكَ ملوكَ الطّوائف، فمات فى طريقه بشهرزور[5]، ويقال: بَل فى قرية من قُرىٰ بابِل، وكان

١) مط: وكتب إلى. ٢) مط: لما! ٣) مط: سرت. ٤) بها: سقطت من مط. ٥) شهرزور: مدينةٌ تقع فى ناحيةٍ بنفس الاسم فى الشّمال الغربى من دينور، والمسافة بينهما أربعة منازل (لج: ٢٠٥).

عمرُه ستًّا وثلاثين سنةً، وملك منها ثلاثَ عشرةَ سنةً وأشهرًا. وقَتَل دارا فى السَّنة الثّالثةِ من مُلكِه.

[الإسكندرُ ومَلِكُ الصّين]

وفى الرّواية الصّحيحة: أنّ الإسكندر لمّا انتهى إلى بلاد الصّين، أتاهُ حاجبُه وقد مَضى من اللّيل شطرهُ، فقال: «هذا رسول مَلكِ الصّين بالباب يستأذن فى الدُّخول عليك.» قال: «أدخِله.» فأدخَلَهُ. فوقف بين يَدَىِ الإسكندر، وسلّم، ثمّ قال: «إن رأى المَلِكُ يستخلينى.» فأمر الملكُ مَن بحضرته أن ينصرفوا، فانصرَفوا كلُّهم وبقىَ حاجبُه. فقال: «إن الّذى جئتُ له، لايحتمل أن يسمعَه غيرُك.» قال: «فتّشوه.» فلم يوجَد معه سلاحٌ. فوضع الإسكندر بين يديه سيفًا مسلولاً وقال له: «قِف بمكانكَ وقُل ماشئتَ.» وأخرَجَ كُلَّ مَن كان بَقِىَ عنده.

فقال: «أنا مَلِكُ الصّين، لا رسولُه، جئتُ أسالك عمّا تُريده، [74] فإن كان مِمّا أمكن عملُه، ـ ولو على أصعبِ الوُجوهِ ـ عَملتُه، وأغنيتُكَ عن الحرب[1].»

فقال له الإسكندر: «ما الّذى آمَنَكَ منّى؟»

قال: «عِلمى بأنّك عاقلٌ حكيمٌ، ولم تَكُ بيننا عداوةٌ، ولا مطالَبةٌ بِذَحلٍ، وأنّكَ تَعلم، إن قتلتَنى، لم يكن ذلك سببًا لتسليم أهل الصّين إليك مُلكَهم، ولم يمنعهم قتلى من أن يَنصِبوا[2] لأنفسهم مَلِكاً، ثمّ يُنسَبُ إلى غير الجميلِ، وضدُّ الحزم.»

فأطرق الإسكندرُ، وعلم أنّه رجلٌ عاقلٌ، ثمّ قال له: «الّذى أريد منك ارتفاع[3] مملكتِك لِثلث سنين عاجلاً، ونِصفُ ارتفاعِ مملكتك لكُلِّ سنةٍ».

قال: «هل غير هذا؟»

قال: «لا.»

قال: «قد أجبتُكَ، ولكن سَلنى: كيف تكون حالى بعد ذلك؟»

قال: «قُل، كيف تكون حالك؟»

قال: «أكون أوّلَ قتيلٍ من محاربٍ، أو أوّلَ أكيلةِ مفترسٍ.»

قال: «فإن قنعتُ منك بارتفاع سنتين، كيفَ تكونُ حالُك؟»

قال: «تكون أصلحَ قليلاً وأفسحَ مدّةً.»

---

١) مط: عن الحروب. ٢) مط: أن يصبوا ٣) الارتفاع: ماحصل من الزراعة. الخراج.

قال: فإن قنعتُ منك[١] بارتفاع سنةٍ؟»

قال: «يكون في ذلك بَقاءُ لِمُلكى، وذهابُ جميعِ لَذّاتى.»

قال: «فإن قنعتُ [75] منك[٢] بارتفاعِ الثُلثِ، كيف تكون حالك؟»

قال: يكون السُدس للفقراءِ ومصالح البلاد، ويكون الباقى لجيشى ولسائر أسبابِ المُلكِ».

فقال: «قد اقتصرتُ منك على هذا.»

فَشَكَرَهُ وانصرف. فلمّا طلعتِ الشّمسُ، اقبلَ جيشُ الصّين، حتّى طَبّقَ الأرضَ، وأحاطَ بجيشِ الإسكندر، حتى خافوا الهَلاكَ. وتواثَبَ أصحابُه حتّى ركبوا الخيلَ، واستعدُّوا للحربِ بعدَ الأمنِ والطُمأنينةِ إلى السَّلم. فبينا هم كذلك، إذ طلع مَلِكُ الصّين وعليه التّاج وهو راكبٌ. فلمّا تَراءى[٣] الصَّفّان، ورأى الاسكندرُ مَلِكَ الصّين، قدّر أنّه حَضرَ للحرب.

فصاح به: «أغدرتَ؟»

فترجّلَ، وقال: «لا، واللهِ.»

قال: «فَادنُ مِنّى.»

فَدَنا وقال: «ماهذا الجيشُ الكثير؟»

قال: «إنّى أردتُ أن أريَكَ أنّى لا أطيعك من قِلّةٍ وضعف، ولكنّى رأيتُ العالم العلوى مقبلاً عليك، مُمَكّنًا لك مِمَّن هو أقوى منك واكثرُ عددًا، ومن حاربَ العالمَ العلويَّ غُلب، فأردتُ طاعتَهُ بطاعتِك، والتذلُّلَ له [76] بالتّذلُّلِ لَكَ.»

فقال له الإسكندر: «ليس مثلُكَ من يُسامُ الذُلَّ، ولا مَن يُؤَدّى الجزيةَ، فما رأيتُ بينى وبينَك مِنَ الملوك، من يستحِقُّ التّفضيلَ والوصفَ بالعقلِ، غيرَك، وقد أعفيتُك من جميع ما أردتُه منك، وأنا منصرفٌ عنك».

فقال مَلِكُ الصّين: «فَلستَ تخسَر.»

ثمّ انصرف عنه الإسكندر، فبعث إليه مَلِكُ الصّين بضِعفِ ماقرَّره معه.

□

وبنى الإسكندر اثنتَى عشرةَ مدينةً، وسمّاها كُلّها «الإسكندرية»، منها: مدينة «جيّ[٤]» بإصبهان، وثلاثُ مدنٍ أخرى بخراسان، وهي: هراة، ومرو، وسمرقند. وبنى بأرض بابلَ مدينةً

١) منك: سقطت من مط. ٢) منك: سقطت من مط. ٣) مط: رأى! ٤) جيّ: بالفهلوية: Gay (حب) وكانت تُسمّى شهرستانة (لج: ٢١٩).

لِروشنك، وبنى بأرض يونان سبعَ مدنٍ[١].

[البَطالِسة]

وعُرض على ابنٍ للإسكندر المُلكُ بعد وفاة أبيه، فأبىٰ واختار النُسكَ. ملَكت ِ اليونانيةُ على رواية أكثرِ النّاس بطلميوسَ. ثُمّ ملك عدّةٌ متواليةٌ يُقالُ لكل واحدٍ منهم: «بطلميوس»[٢]، كما يقال لملوك الفرس: «الأكاسرةُ» وتغلّب قومٌ مِنَ اليونانيّين بعدَه على نواحي مصرَ [77] والشام.

١) وليس لهذا الحديث أصلٌ، لأنّه كان مخرّبًا ولم يكن بنّاءًا (حمزة: ٢٩). الرّوايات الخاصّة بالاسكندر تجدها عند الطّبرى ٢: ٦٩٢-٧٠٤.
٢) باليونانيّة: Ptalemaios (حب)

[الأشغانيّة[1] ومَن عاصرَهُم]

واختلف أهل الرّواية فى عدد ملوك الطوائف الّذين ملكوا إقليم بابل، إلى أن قام بالمُلك أردشير بابكان[2]، فنظم مُلك الفُرس. فبعضهم يزعم أنّ آشك[3] ـ وهو ابن دارا الأكبر ـ جمع جمعًا كثيراً وسار إلى أنطيخس[4]، وكان مقيمًا بسواد العراق من قِبَل الرّوم، و زحف إليه أنطيخُس. فالتقيا ببلاد الموصل، فقُتِلَ أنطيخس، وغلب آشك على السّواد، وصار فى يده من الموصل إلى الرّى وإصبهان، وعظّمه سائرُ[5] ملوك الطّوائف لشرفه، وماكان من فعله، وبدأوا به على أنفسهم فى كُتُبهم، وبدأ فيما كان يكتب إليهم بِنفسه، وسمّوه ملكًا، وأهدوا إليه، من غير أن يعزل أحدًا منهم، أو يستعمله.

ثُمّ ملك جُوذَرزُ بنُ اشكان

وهو الّذى غزا بنى إسرائيل المرّة الثّانية. وذلك بعد قتلهم يحيى بن زكريّا. فسلّطه الله عليهم، فأكثر القتلَ فيهم، فلم تَعُد لهم [جماعةٌ بعدَ][6] ذلك [78] و رفع الله عنهم النُبوّة، وأنزل بهم الذُّلّ.

وكان من سُنّة الفرس بعد الإسكندر، أن يَخضعُوا لِمَن مَلَكَ بلادَ الجَبَل. فخضعوا لِلأشغانيّة،

---

١) فترة الحكم: ٢٥٠ ق م - ٢٢٦ م. ٢) أوّل السّلسلة الساسانيّة. فى الأصل: أردشير بن بابكان، فحذفنا «بن» لأنّ الألف والنّون فى آخر «بابك» علامةٌ تفيد نسبة البنوّة. فـ «بابكان» أى: إبن بابك. انظر الطّبرى ٢: ٧٠٤. ٣) أيضا الطّبرى ٢: ٧٠٩. ٤) Antiochus. ٥) مط: «روابو الملوك» بدل «سائر الملوك»! ٦) مافى [] مطموسٌ فى الأصل، وماخوذٌ عن مط.

وأوّلهم: أشكُ[١] بنُ أشكانَ، ثمّ سابوُر بنُ أشكـانَ - و فـى أيامِهِ ظهـر عيســى بنُ مريم بأرضِ فلسطين - ثمّ ملك جوذرزبنُ أشغانانَ الأكبر، ثُمّ بيرى الأشـغانى، ثمّ جـوذَرزُ الأشـغانى، ثم نَرسى[٢] الأشغانى، ثمّ هُرمزُ الأشـغانى، ثمّ أردوانُ الأشـغانى، ثمّ كسـرى الأشـغانىَ، ثمّ بلاشُ الأشغانى، ثمّ أردوانُ الأصغر الأشغانى،ثمّ اردشيرُبنُ بابك. فكان مدّةُ هؤلاء إلى أن وثب أردشير على الأردوان، فقتله وجمع أمرَ الفرس، مائتين وَستًّا وسـتّينَ سـنةً. ولم يقـع إلينا شـىءُ من تدابيرهم يُستفاد منه تجربةٌ إلا خبرُ لبعض الرّوم، وهو:

ذِكرُ حيلةٍ لبعضِ ملوكِ الرّومِ

كان أحد ملوك[٣] الفرس وَجّهَ رجلاً من جِلّةِ قُوّادِهِ فى جيشٍ إلى مَلكِ الرُّوم، فحاربه، فـأجلاه الفارسىُّ عن أكثر بلاده، حتّى فتح [79] أنطاكيةَ[٤]، وجاوزها، وأوغل فـى بلاد الرّوم. فجمع مَلكُ الرّومِ رؤساءَ قومِه، فشاوَرَهم. فأشاروا بأمورٍ مختلفةٍ، حتّى انفرد له رجـلُ من أهل مملكته، ولم يكن من أبناء الملوك،

فقال: «إنّ[٥] عندى رأيًا أشيرُ به. فإن رزق الله الظَّفر، فما لى عندك؟»

قال الملك: «سَل حاجتك.»

قال: «إنّى أرى الرّأىَ الصّحيح، وأخاطر فيه بنفسى، فاجعل لى المُلكَ من بعدِك.»

قال: «نعم»، فوثّق له به.

فقال الرّومى: «إنّ الفُرسَ قد طمعت فى مُلكنا، فلم يبقَ منهم نَجـدٌ[٦] ولا ذورأىٍ إلاّ وجّهـوه فى وجوهنا، وقد ضعُفنا عنهم، وقد حملوا ذراريّهـم إلى الشّام والجـزيرة. فـالرّأى أن تأذنَ لى فأنتخبَ من عسكركَ خمسةَ آلافِ رَجُلٍ، ثم أحملَهم فـى البحـرِ، وأصـيرَ من خَلفِهـم، فأوكلَ بمضائق الطُّرقِ، وصعابِ العِقابِ، رجالاً من أصحابى من أهل البأس والنّجـدة، فـإنّ خبرى إذا بلغهم، فتّ فى عَضُدِهم ونُخِبَت[٧] قُلوبُهم، ورجعوا إلى عِيالاتهم وأموالِهم متقطّعين[٨]، فَـلاَ [80] يَمُرُّ بالمواضع الّتى وَكّلتُ بها، أحدُ من الفرسِ إلاّ قُتِلَ، فلايَسلم إلاّ القليل الّذين إذا صاروا إلى

١) بالفهلويّة: Arshak = أشك: أول الملوك الأشكـانيّين (حـب). ٢) بالفهلويّة: Narsah (حب). ٣) ملوك: سقطت من مط. ٤) أنطاكيه: مدينة على شاطئ النهر العاصى [نهر حماة وحمص ويعرف بالميماس - يا]، ويقال لها أنتوخيا أيضًا (لد). ٥) إنّ: سقطت من مط. ٦) النّجد: الشّجاع. ٧) نخـب الحـربُ فـلانًا: جبّنته، أضعفته. ٨) تقطّع امرهم بينهم: تفرّقوا ؤيه. تقطّعت بهم الأسباب: عجزوا، وانقطعت سبُلُهم.

الشّام أتيتَ عليهم[1] وتُشرّدُهم أنت من خلفِهم.»

فأجابه الملكُ إلى رأيه، وأنفذه إلى الشّام. فلمّا بلغ الفرسَ أنّ الرّوم قد خلفتهم فـي أموالهـم، وأهاليهم، خرج أكثرهم على وجـوههم متقـطّعين لايَلوُونَ على شـيء، ومرّوا بمضـائق الطُرق، فقُتِلَ أكثرهُم، وخرج مَلِكُ الرّوم إلى مَن بَقِيَ منهم، فهزمهم، فلم يسلم منهم إلاّ القليل. فتحَوّلَ المُلكُ بذلك السّبب من أهل بيت المملكـة بالرّوم، إلى قـوم ٍ ليسـوا من أهل بيتهـا، بل هُم مِن أهل ِ إرميناقس[2]، فبقى فيهم إلى هذه الغاية.

ذكرُ سَبَبِ طَمعِ العربِ فى أطرافِ الفُرسِ

كُنّا حكينا من أمر بختنَصّر أنّه أنزلَ الحيرةَ من العـرب جماعةً، فـانتقلوا بعـد موته إلى الأنبار، وبقى الحَيرُ خَرابًا يبابًا، زمانًا طويلاً، لاتطلع [عليهـم][3] طـالعةٌ من بلاد العـرب، ولا يطمع[4] أحدٌ فيهم من الرّيف، بعد ما قصدهم [81] بُختَنَصّرُ. فلمّا غلب الاسكندرُ على مملكةِ الفرس، وجعلها مقسومةً فى ملوكِ الطّوائف، ضعف كُلُّ واحدٍ منهم فـى نفسـه، وصـار عدوُه بالقــرب منه من الأرض ِ، ولكلِّ واحدٍ خَندَقٌ[5] يقصدُه الآخَرُ، فيُغير بعضُهم على بعض ٍ، ثُمّ يرجع كالخَطفةِ.

وقد كان كَثُرَ فى ذلك الزّمان ِ أولادُ معدّ بن عدنان، ومَن كان معهم من قبائل العرب، وملأوا بِلادَهم من تِهامَةَ ومايليهم، وحدثت بينهم أحداثٌ وحروبٌ، فتفرّقوا، وخرجوا يطلبون متّسعًا فـى بلاد اليمن ومشار[ف][6] الشّام، وأقبلت منهم قبائـلُ حتّى نزلوا البحـرينَ وبهـا جماعةٌ من الأزدِ، وكانوا نزلوها فى زمان ِ ابن ماء السّماء، وتحـالف القـوم الّذين خــرجوا من تهـامة على التّنوخ بالبحرين ـ والتّنوخ: المُقام ـ وكان منهم قومٌ من قُضاعةَ، وقومٌ من مَعَدّ، وقومٌ من إياد. فتعاقَدُوا على التّوازرِ والتّناصر، وصارُوا يَدًا على النّاس وصار اسمهم: «تَنوخ».

ثم لمّا بلغهم انتشارُ [82] أمرِ الفرس واختلافُ كلمتِهِم، تطلّعت نفوسُهم إلى ريف العـراق، وطَمِعُوا فى الفرس وفيما يلى بلاد العرب من أعمالهم، أو مُشاركتِهِم فيها، واهتَبَلوا ماوقـع بين ملوكِ الطّوائف من الإختلاف، فأجمع رؤساؤهم على المسـير إلى العـراق. فلمّا سـاروا، وجـدوا

١) أتيت عليهـم: سـقطت من مط. ٢) مط: ارمينافس. وارميناق ناحيةٌ من نواحـى الرّوم القـديمة (لد). ٣) التكملة من الطبرى. والعبارة فى الطبرى: لاتطلع عليهم طالعةٌ من بلاد العرب ولا يقدم عليهم قادمٌ (٢: ٧٤٥). ٤) مط: ولا طمع أحد. ٥) معرّب «هندك»، كنده (لد). ٦) فـى الأصـل: «مشـارق، والتّصـحيح من الطبرى (٧٤٥:٢). والمشارف، جمع مُشرَف: قُرىً قُربَ حَوران منها بُصرىٰ من الشام، ثمّ من أعمال دمشـق. والمشـارف من المُدن: على مثل مسافة الأنبار من بغداد، والقادسيّة من الكوفة (يا).

الأرمانيّين ـ وهم القومُ الّذين بأرضِ بابلَ وما يليها إلى ناحية الموصل ـ يقاتلون الأردوانيّين، وهم: ملوكُ الطّوائفِ، وهم فيما بين نِفَّر[١] ـ قرية من سوادِ العراق ـ إلى الأُبُلّةِ[٢] وأطرافِ البادية. فلم تَدِن لهم، فدفعوهم عن بلادهم. وإنّما قيل: «الارمانيّين» لأنّه كان يقال لعادٍ: «إرَمُ»، فلمّا هلكت، قيل لثمود: «إرَمُ»، ثمّ سُمّوا: «الارمانيّين» وهم بقايا «إرَم»، وهم نَبطُ السّواد. ويُقال لِدمشق: «إرم».

ثمّ طلع قومٌ من تَيمِ الله، وغطفان فى من تَنخَ معهم من الحُلفاءِ والعشائر على الأنبار، على مُلك الارمانيّين. وطلع قومٌ من كِندةَ وبَنى فَهمٍ مع مَن حالفهم. وتَنخَ بعضهم على نِفَّر على [83] مُلكِ الأردوانيّين، فأنزلوا الحيرَ، فلم تزل طالعةُ الأنبار وطالعةُ نِفَّر على ذلك، لايدينون للأعاجم، ولاتدين لهم الأعاجم، حتّى قدِمَها تُبّعُ ـ وهو أسعدُ بنُ مليكيكرب ـ فى جيوشِه، فخلّف بها من لم تكن به قُوّةٌ ومن لم يَقوَ على الغَزوِ معه، ولا الرُّجوعِ إلى بلادِه. فانضمّوا إلى أهل الحيرة، وخرج تُبّعُ فى حِميَر سائرًا، ثُمّ رجع إليهم، فاقرّهم على حالهم، وانصرف إلى اليمن وفيهم من كُلِّ القبائل من بنى لحيانَ ـ وهم بقايا جُرهُمٍ ـ وطيءٍ، وكلبٍ، وتميمٍ وغيرهم، واتّصلت جماعتُهم وقَووا، وكانوا بين الأنبار والحيرة إلى طف[٣] الفراتِ فى المظالّ والأبنية، وكانوا يُسمّون[٤]: «عَرَبَ الضاحية».

[مَن عاصر الأشغانيّين من مُلوك العرب]

فكان أوّل من مَلَكَ منهم:

مالك بن فَهمٍ، وملوكُ الفرس طوائفُ، وقد دخل الوهْن عليهم، وطُمع فيهم.

ثُمّ ملك أخوه عمرُو بنُ فَهمٍ،

ثُمّ جَذيمةُ الأبرشُ بنُ مالكِ بنِ فهمٍ، فقَوىَ أمرُه، وكان جَيّدَ الرّأىِ، شديدَ النّكاية فى الأعداءِ [84] بعيدَ المُغار. فاستجمع له المُلكُ بأرضِ العراق، وضمّ إليه العربَ، وغزا بالجيوش،

١) نِفَّر: بلدة على نهر النَّرس من بلاد الفرس. قال الخطيب: فإن عُنى أنّه من بلاد الفرس قديمًا جاز، فأمّا الآن فهو من نواحى بابل (مع). ٢) الأُبُلّة: بلدةٌ على شاطئ دجلة البصرة (مع). ٣) مط: اطراف. ٤) يسمون: سقطت من مط.

وعظَّمتهُ العربُ، وكنّت - عَن برص بِه - بِـ «الأبرش» وبِـ «الوَضّاح»، فكان تَفِد عليه الوُفـود، وتُجبىٰ إليه الأموالُ.

وكان عنده غلامٌ من إيادٍ يقال له: عَدىُّ بنُ نصر بن ربيعـةَ، وَضـيءٌ، لهُ جمالٌ وظَـرَفٌ، يَلى شَرابَه. فَعَشِقَتهُ أختُ جَذيمةَ رَقاشُ، ومازالت تحتال، وتواطِئُـه، حتّى زوّجهـا الملكُ بِعَـدىٍّ فـى سُكره. فوطِئَها من ليلته وعَلِقت[١] منه. فلمّا أصبح جَذيمةُ وعرف الخَبَر، نَدِمَ ندامةً شديدةً. وعَرَفَ عَدىُّ الخَبَر، فهرَب، ولحق بإياد حتّى هلك. واشتملت رَقـاش على حَبَلٍ، فـولدت غلامًا وسمّته عَمرًا[٢]. فترعرع الغلام وحَسُنَ وبَرَعَ، فالبسته وحلّته، وأزارته خـالَه جَـذيمةَ، فأُعجِـبَ بِه، وأحبَّهُ، وخَلَطه بِوُلدِه، وأمَر فطُوِّقَ، وهو أوّلُ عربىٍّ أُلبِسَ طَوقًا. ثُمّ تزعُم العربُ أنّ الجنّ استهوته[٣] زمانًا إلى أن عاد إلى [85] جَذيمةَ. وله خَبَرٌ[٤].

[عمرُوبن ظرب]

وكان قد مَلَكَ بأرضِ الحيرة ومشار[ف][٥] بلادِ الشّام، عمروُ بن ظَرب بن حَسّان العِمليقـى. فجمع جَذيمةُ جموعَه من العَربِ ليغـزُوَه. وأقبل عمرُوبن ظَـربٍ بجموعه من الشّـام. فـالتقَوا، واقتتلُوا قتالاً شديدًا، فقُتل عمرُو بن ظَرب، وفُضّـت جموعُه، وغَنِمَهُ جَـذيمةُ وانصـرفَ موفـورًا. فملكت مِن بعدِه ابنتُهُ:

الزَّبّاء[٦]

وإسمهُا نائلةُ. وكان جنودُها بقـايا من العَماليق، والعـاربةِ الأولى، وقبائـلَ من قُضـاعةَ. فلمّا استحكم حُكمُها، أجمعت على غزوِ جَـذيمةَ الأبرشِ تَطلبُ بثأر أبيهـا. واسـتشارت أهلَ الرّأى، فأُشيرَ عليها بالعدولِ عن الحرب إلى المكـر، وأعلموها[٧] أنّهـا امرأةٌ، والحـربُ سِـجالٌ[٨] بينَ الرّجال، وأنّها لوقد هُزِمَتْ كان البَوارُ، وأعلموها من غِبِّ[٩] مُباشَرةِ مِثلِها للحرب، ماكَرِهَتهُ. وأشارت عليهـا أختهـا «زنيبة[١٠]» وكانت ذاتَ دَهاءٍ وإربٍ - أن تأتىَ الأمرَ من جهـةِ الخَـدعِ

---

١) علِقَت منه: أحبّها وشُغِف بها. علق بها وعَلِقَهـا: أحبّهـا. علقـت المرأة بالولد: حبلت (لع). ٢) عمرو: يكتب بالواو للفرق بينه وبين عُمَرَ وتسقطها فى النصب لأنّ الألف تخلفها (لع). ٣) استهوى فلانًا: أثر فيه حتّى يتقبل رأيَهُ دون أن يقومَ لديه دليلٌ على صحّته. ٤) انظر الطّبرى ٢: ٧٥٣. ٥) فى الأصل ومط «مشارق»، والتصـحيح من الطّبرى (٢: ٧٥٦). ٦) الزّبّاء: Zenobia (المفصّل ٣: ٩٩). ٧) فى الأصل: اعلموه. ٨) السِّجال: المباراة، والمفاخرة: ٩) الغِبّ من كلّ شىءٍ عاقبته وآخِرتُه. ١٠) زنيبه: مهملةٌ فـى الأصـل، والإعجـام من ←

والمكر، وأن تكتبَ إلى جَذيمةَ [86] تدعوهُ إلىٰ نفسها ومُلكِها. فقبلت ذلك وكتبت إليهِ: أنّها لم تجد مُلكَ النّساءِ إلاّ إلىٰ قُبحٍ فى السّماع، وضعفٍ فى السُّلطان وقلّةِ ضبطٍ للمملكةِ؛ وأنّها لم تجد لِمُلكِها موضعًا، ولا لنفسها كُفوًا «غيرَك. فهَلُمَّ إلىَّ، واجمع مُلكى إلى مُلكِكَ، وصِل بلادى ببلادك، وتَوَلَّ تدبيرى كُلّه وأمرى، لِتموتَ الضّغائنُ والأحقادُ، وتزولَ عن قلوبِ النّاس ماخامَرها مِن العَداوات.»

فلمّا انتهى كتابُ الزَّباء إلى جَذيمةَ، وقَدِمَ عليه رُسُلُها بمخاطباتٍ شبيهةٍ بهذا المعنىٰ، إستخفَّه[١] مادَعَته إليه، ورغِبَ فيما أطمعتهُ فيه، وجمع أهلَ الرّأىِ من أصحابه، فاستشارهم. فأجمعَ رأيُهم على أن يسيرَ إليها، ويَستَولِىَ على مُلكِها. وكان فيهم رجلٌ يقالُ له:

قصيرُ بنُ سَعدٍ[٢]

وكان سعدُ هذا تزوّج أمَةً تخدم لِجَذيمَةَ[٣]، فولدت له قصيرًا، وكانَ حازمًا، أريبًا، أثيرًا عند جَذيمةَ. فخالفهم فى ما [87] أشاروا به عليه، وقال:

- «رأىٌ فاترٌ[٤] و غَدرٌ[٥] حاضرٌ.» - فذهبت مثلاً.

فنازعوه الرّأىَ، فقال لِجَذيمةَ: «أُكتب إليها: فلتُقبِل إليك إن كانت صادقةً. فإن لم تفعل، لم تَسِر إليها مُمَكّنًا [إيّاها][٦] من نفسك وقد وَتَرتَها، وقتلتَ أباها.»

فلم يوافق جَذيمةُ ما أشارَ به عَلَيهِ قصيرٌ، وقال جَذيمةُ:

- «أنت امرُؤٌ رأيُك فى الكِنّ[٧]، لا فى الضَّحّ[٨]» - فذهبت مثلاً.

ودعا جَذيمةُ ابنَ أختِه عمرَوبنَ عدىٍّ، فاستشاره، فشجّعَهُ على المسير، وقال:

- «هناك نُمارةُ[٩] قومى، ولو قد رَأوكَ[١٠]، صاروا معك.»

فأطاعهُ وعَصىٰ قصيراً. فقال قصيرٌ:

- «لايُطاعُ لقصيرٍ أمرٌ.»

← الطبرى. فى مط: «زنيبة» وهى تنطبق على زنوبيا Zenobia أكثر من انطباقها على ما فى الطبرى (زبيبة).

١) استخفّهُ استفزّهُ. ٢) أنظر الطبرى ٢: ٧٥٨. ٣) مط: تزوّج أمه خدمة لجذيمة! ٤) الفاتر: الضعيف. ٥) مط: عذر. ٦) إيّاها: تكلمةٌ منّا. ٧) الكِنّ: كل ما يردُ الحرَّ والبرد من الأبنية والغيران ونحوها. ٨) الضحّ: الشمس أوضوؤها إذا استمكن من الأرض. ما أصابته الشمس. البَراز الظاهر من الأرض. ٩) نمارة بطنٌ من إيادٍ من العدنانية (كحّالة). ١٠) فى الطبرى: ولو قدروا لصاروا معك. بدل: ولو قد رأوك صاروا معك. (٢:٧٥٩).

وفي ذلك يقول الشُعراءُ ماحذَفناه طلبَ الإيجاز.

واستخلف جَذيمةُ عمرَوبنَ عَدیٍّ على مُلكِه وسُلطانه. وسار في وجوهِ أصحابه، فأخذ على الفرات من الجانب الغربيّ. فلمّا نزل رَحبَة[1] مالكِ بن طوقٍ - وكان تُدعىٰ في ذلك الزّمان «الفُرضَة» - دعا قصيرًا، فقال:

- «ما الرّأى؟» فقال:

«بِبقّة[2] تركتَ الرّأىَ.» - فذهبت مثلاً. [88]

واستقبلته رُسُلُ الزّبّاءِ بالهَدايا والألطافِ، فقال:

- « يا قصيرُ كيف تَرىٰ؟» قال:

- «خطَرٌ يَسيرُ في خطبٍ كبيرٍ - فذهبت مثلاً - وستلقاكَ الخيلُ، فإن سارت أمامَك فإنّ المرأةَ صادقة، وإن أخذت جَنبَتَيكَ، فالقومُ غادرون، فاركبِ العصا، فإنّي مُسايركَ عليها.»

وكانت العصا فَرَساً لِجَذيمةَ لاتُجارىٰ، فلقِيَتهُ الخيولُ والكتائبُ، فحالت بينه وبين العصا، فركبها قصيرٌ مولّيًا على متنِها، فقال:

- «ويل اُمّهِ حزماً على ظَهر العصا.» - فذهبت مثلاً.

ونجا قصيرٌ، وأُدخِلَ على الزّبّاءِ. فلمّا رأته كشفت له عن إسبِها[3]، فإذا هو مضفورٌ. فقالت:

- «يا جذيمةُ! أ دأبَ عروسٍ تَرىٰ؟» - فذهبت مثلاً.

فقال: «بَلغَ المَدىٰ، وجفَّ الثّرىٰ، وأمرَ غَدرٍ أرى.» - فذهبت مثلاً.

فتمّت حيلتُها على جَذيمةَ، حتّى قَتَلَته بأن قطعت راهِشَيه[4]، في خبرٍ طويلٍ، وأمثالٍ محفوظةٍ. فهلك جَذيمةُ، وخرج قصيرٌ حتى قَدِمَ على عمرو بنِ عديٍّ [89] وهو بالحيرة.

فقال له قصير: «أ داثِرٌ[5]، أم ثائرٌ؟» فقال: - «بل ثائرٌ سائرٌ.» - فذهبت مثلاً.

ذكر حيلةٍ لقصيرٍ على الزّبّاءِ تمّت له عليها

كانت الزّبّاء قد سألت الكهنةَ والمنجّمين عن أمرها ومُلكِها، فقالوا:

- «نَرىٰ هَلاكَكِ بسبب غلامٍ مهين غير أمين.»

---

١) رحبة مالك بن طوق: على الفرات بين الرّقّة والعانة، أحدثها مالك بن طوق في خلافة المأمون (مع) = رحبة الشّام (لج)

٢) بقّة: إسم موضعٍ قريب من الحيرة، وقيل: حصنٌ كان على فرسخين من هيت كان نز له جذيمة الأبرش (مع).

٣) الإسب: شَعر الفرج، وقيل: شَعر الإست. الشّعر النابت على قُبل المرأة والرّجل.

٤) الرّاهشان: عرقان في باطن الذّراعين.

٥) الدّاثر: الغافل. دَثَرَ السيف: صَدئ. دثر القلبُ: غفل.

ووصفوا قصيرًا وعمرَو بن عدىٍّ، وقالوا:

- «لن تموتى إلاّ بيده. ولكنّ حتفَكِ بيدِكِ، ومن قِبَلِه مايكون.»

فحذرت عَمرًا، واتّخذت نفقًا من مجلسها الّذى كانت تجلس فيه، إلى حِصنٍ لها داخلَ مدينتِها، وقالت: إن فَجِئَنى امرٌ دخلتُ النّفقَ إلى حِصنى.

ثُمَّ دَعَت مَصوِّرًا حاذقًا فجهَّزته، وقالت:

- «سِر حتّى تَقدِم على عمروبن عدىٍّ متنكّرًا فتخلو بحَشَمِه وتخالطهم بما عندك من التّصوير، ثمّ اثبِت[١] عمروَ بن عدىٍّ معرفةً، فصوِّرْهُ جالسًا، و قائمًا، وراكبًا، ومتفضّلاً[٢]، ومتسلّحًا بهيئتِه، ولِبسَتِه، وثيابه، ولونِه. فإذا أحكمتَ ذلك، فاقبِل إلىّ.»

فانطلق المصوِّر، حتّى قَدِمَ على عمروبن عدىّ [90] وبَلَغَ جميعَ ماوصَّتهُ به، ثُمَّ رجع إليها بما وجّهتهُ له من الصُّور. فعرفت عمرًا على جميع هيئاته، وحَذرته.

ثُمَّ إنّ قصيرًا قال لعمرو: «إجدع أنفى، واضربِ ظَهرى، وَدَعنى وإيّاها.»

فقال عمرو: «وما أنا بفاعلٍ، ولا أنت بمستحقٍ مِنّى لذلك.»

فقال قصير: «خَلِّ عَنّى إذًا وخلاكَ ذَمٌّ.»- فذهبت مثلاً.

فقال له عمروٌ: «فانتَ أبصرُ.» فَجَدَعَ قصيرٌ أنفَ نفسِه، وأثّر بظَهره، وقيلت فيه الأشعار، وخرج قصيرٌ كأنّه هاربٌ، وأظهرَ أنّ عَمرًا فعلَ بِه ذلك، وأنّه يزعم أنّه مَكرَ بخاله جَذيمةَ، وغرّه من الزّبّاء.

فسار قصيرٌ حتّى قَدِم على الزّبّاء. فقيل لها: «إنّ قصيرًا بالباب.»

فأمرت به، فأُدخِلَ عليها، فإذا أنفُه قدجُدِع وظهرُهُ قد ضُرِبَ.

فقالت: «ما الّذى أرى بك يا قصيرُ؟»

قال: «زعم عمرٌو أنّى غَرّرتُ خالَهُ، وزيّنتُ له المسيرَ إليكِ، وغَشَشتُهُ، ومالأتُكِ[٣] عليه، ففعَلَ بى ماتَرَينَ، فاقبلتُ إليكِ، وعَرَفتُ أنّى لا أكُونُ مع أحدٍ هو أثقلُ [91] عليه منكِ.»

فأكرمته، وأصابت عنده حزمًا ورأيًا وتجربةً و معرفةً بأمورِ الملوك. فلمّا علم أنّها قد وَثِقَت به، واسترسلت إليه، قال لها:

- «إنّ لى بالعراق أموالاً كثيرةً، وبها طرائفُ وثيابٌ وعِطرٌ، فابعثنى إلى العراق لأحمل مالى، وأحملَ إليكِ من بُزوزِها، وطرائفِ ثيابِها، وصنوفِ مايكون بها من الأمتعةِ، والطِّيب، والتّجاراتِ،

---

١) أثبتهُ: عرفه حقّ المعرفة. ٢) تفضّلَ: لبس الفِضالَ. والفِضال مايُلبسُ فى البيت. ٣) مالأهُ: ساعده.

فَتُصيبينَ مالاغَناءَ لِلملوكِ عنه، مع أرباحٍ عظيمةٍ، فإنّه لاطرائفَ كطرائف العراق.»

فلم يزل بها يزيِّنُ لها ذلك، حتّى سرَّحته، ودفعت إليه اموالاً، وجهزّت معه عيرًا، وقالت:

- «إنطلق إلى العراق، فَبِع بِها ما جهَّزناك به، وابتغ لنا طرائفَ مايكون بها.»

فسار قصيرُ، وأتى الحيرةَ متنكرًا، فَدَخَلَ على عمروٍ، وأخبره بالخبر، وقال:

- «جهِّزنى بالبَزّ والطُّرَفِ من الأمتعـه، لعـلَّ اللهُ يمكّـنُ مِنَ الزَّبّاءِ، فتصـيبَ ثارَكَ، وتقتُلَ عدوَّك.»

فأعطاه حاجتَه، وجهَّزه بصنوف الثّياب وغيرها. فرجع بذلك كُلّه إلى الزَّبّاءِ [92] فعرضَه عليها. فاعجبها ما رأت، وازدادت به ثِقةً، وإليه طُمانينةً. ثمَّ جهزّته باكثرَ مِمّا كانت جهّزته به. فسار حتّى قَدِم العراق، ولقى عمرَو بن عدىٍّ، وحمل مِن عندِه ماظنَّ أنّه موافقٌ للزّباءِ، ولم يترك جهـداً ولا حيلةً فى طُرفةٍ ولامَتاعٍ قَدَرَ عليهِ إلاّ حملَه إليها.

ثمَّ عاد الثّالثةَ الى العراق. فقال لعمروٍ:

- «إجمع إلىَّ ثقاتِ قومِك وأصحابِك وجندِك، وهَيِّئْ لى الغَرائرَ[1] والمُسوحَ[2].»

وحَمَلَ كلَّ رجلين فى غرارتين، وجَعَلَ معقَدَ رؤوسِ الغرائر من باطِنها، وقال:

- «إذا دخلنا مدينةَ الزَّبّاء، أقمتُك على بابِ نَفَقِها، وخَرجتِ الرِّجالُ من الغرائر، فصـاحوا بأهلِ المدينةِ، فَمن قاتلهم قتلوهُ، وإذا أقبلتِ الزّبّاء تُريدُ النَّفق، حلَّلتَها بالسَّيف.»

ففعل عمرُو بن عدىَ جميعَ ذلك. فلمّا قرب من المدينة، تقدَّم قصيرُ إليها، وبشّـرها، وأعلمهـا كثرةَ ماحمل إليها من الثّياب، وسالهـا أن تخـرجَ فتنظرَ إلى قُـطُراتِ تلك الابلِ، وما عليهـا من الأحمال. وكان قصير يَكمُنُ النّهـارَ ويسـير باللّيل. فخـرجت الزّبّاء فابصـرت [93] الابلَ. فلمّا توسَّطتِ الابلُ المدينةَ أُنيخت، ودلَّ قصيرُ عمرًا على باب النفق، وخـرجتِ الرِّجـالُ من الغـرائر، وصاحوا بأهل المدينة، ووضعوا فيهم السّـلاح. وقـام عمروُ بنُ عدىٍّ ببابِ النَّفـقِ، واقبلتِ الزّبّاء مبادرةً تريد النَّفقَ لتدخله. فابصرت عَمرًا قائمًا، فعرفته بالصُّورة الّتى صـوَّرها المُصـوِّرُ، فمصَّـت خاتَمَها وكان فيه سمٌ، وقالت:

- «بيدى، لا بيدِكَ يا عمرُو!»

فحلَّلها بالسَّيف، فقتلها وأصابَ ما أصابَ، وانكفأ[3] سالمًا.

---

١) الغرائر: جمع مفردهُ الغِـرارة، وهى وعاءُ من الخيش يوضـع فيه القمح ونحـوه، وهو اكبر من الجـوالق. ٢) المُسوح: جمع المِسح: الكساء من شعر. ٣) انكفأ: رجع، انصرف.

[عمرُو بنُ عدىٍّ]

وصار المُلكُ بعد جذيمة لعمرو بن عدىّ بن نصر بن ربيعةَ بن الحارثِ بن مالك بن عمرو بن نُمارةَ بن لَخمٍ، وهو أوّلُ من اتَّخذ الحيرةَ منزلاً من ملوكِ العرب، وإليه تُنسب ملوكُ آل نصر، ومات وهو ابنُ مائةٍ وعشرين سنةً، لايَدين لملوك الطّوائف، ولايَدينون له، حتّى قدِم أردشيرُ بن بابك فى أهل فارسَ، فكان من أمرهم ماكان.[1]

ولم يكن لملوك اليمن نِظامٌ قبلَ آل نصر، وإنّما كان الرّئيسُ يكونُ مَلِكًا على مِخلافِه[2] ومَحجَره[3]، لايتجاوزُه، [94] فإن نَبغَ منهم نابغٌ مثل تُبَّعٍ وغيره، فَتجاوزَ ذلك، فإنّما هو عن غير نظامٍ ولا مُلكٍ مُوَطَّدٍ [له][4] ولا لآبائه، ولا لأبنائه، ولكن كالّذى يكونُ من بعض من تشرَّدَ، فيُغير عند الغِرَّةِ، فإذا قصده الطَّلبُ، لم يكن له ثباتٌ. فكذلك كان أمر ملوكِ اليمن كان الواحدُ منهم بعد الواحد، فى قديم الدّهرِ، يخرج من مخلافه ومحجره أيّامًا، فيُصيبُ مامرَّ به، ثُمّ يتشمَّرُ عند الطَّلب[5] راجعًا إلى موضعه من غير أن يَدينَ له احدٌ من غير أهل مخلافه ومحجره بالطّاعةِ، أو يؤدّىَ إليه خرجا إلاّ مايُصيبُ على جِهةِ الغارة، حتى كان عمرُو بن عدىٍّ، إبن أختِ جذيمةَ، فإنّه اتّصل له ولعَقِبِه ولأسبابه المُلكُ على من كان بنواحى العراق، وباديةِ الحجاز، باستعمال ملوكِ فارسَ إيّاهُم واستكفائهم أمرَ منَ وليهُم من العرب.

[طَسْمُ وجَديسُ]

وممّن أساء السّيرةَ فاصطُلِمَ[6]، طسمُ وجديس[7]، وكانوا فى أيّام ملوك الطّوائف. فامّا طسمُ فكان المَلِكُ [95] فيهم، وكانوا ساكنى اليَمامَة، وهى إذ ذاك من أخصب البِلاد وأعمرِها وأكثرِها خيرًا، لهم فيها صنوفُ الثّمار، ومعجِباتُ الحدائقِ والقصورِ الشّامخةِ. وكان ملكُهم ظلومًا غشومًا راكبًا هواه. فكان مِمّا لَقُوا مِن ظلمه: أنّه أمَرَ ألاّ تُهدى بِكرٌ من جَديسٍ إلىٰ زوجها حتّى تدخُلَ عليه فيفترعَها[8]. فَغَبَرَ على ذلك دهرًا، حتى أنِف منهم رجلٌ يقال له: الأسودُ بن عفار[9].

فقال لرؤساءِ قومه:

---

١) انظر الطبرى ٢: ٧٦٨. ٢) المخلاف: الكورة، وهى المحافظة، أو المديرية فى الإصطلاح الحديث. ٣) المَحجَر: مَحجرُ القَيل من أقيال اليمن: حوزته، وناحيته، وحِماهُ. ٤) تكملةٌ أوردناها لما يبدو هنا من نقص. ٥) عند خوف الطلب (الطبرى ٢: ٧٦٩). ٦) اصطلمهم العدوّ أو الموت: استأصلهم وأباذهم. ٧) أنظر الطّبرى ٢: ٧٧١؛ وابن الأثير ١: ٣٥١. ٨) افترع البِكرَ: افتضّها. ٩) الطبرى: غفار.

- «قد ترون مانحن فيه من العـار والذُّلّ، الّذى ينبغـى لِلكِـلاب أن تَعـافَه، وتمتعِضَ منه، فأطيعونى، فإنّى أدعوكم إلى عزّ الدّهر ونَفىِ الذُّلّ.»

قالوا: «وماذاك؟»

فأخذ عهودَهمَ إلى أن وَثِقَ ثُمَّ قال:

- «إنّى صانعٌ لِلملك طعامًا، فاذا حضر نهضنا إليهم بأسـيافنا، فـانفردتُ به فقتلتُه، وأجهـز كلُّ رجلٍ منكم على جليسه.»

فأجابوه إلى ذلك، و اجتمع رأيهم عليه. فاتّخذ طعامًا وأمر قومَه، فانتضَوا سيوفَهم ودفنوها فى الرّملِ، وقال:

- «إذا أتاكم [96] القومُ يرفلون فى حُلَلِهِم فخذوا سيوفكم ثمّ شُـدُّوا عليهـم قبلَ أن يأخـذوا مجالسَهم، ثم اقتلوا الرُؤساءَ، فإنّكم إذا قتلتموهم لم تكن السَّفِلةُ شيئاً.»

وحضر الملك، فقُتِلَ وقُتِل الرُؤساءُ، ثم شَدُّوا على البقيّة، فأفنوهم.

فهرَب رجلٌ من طَسمٍ يقال له: رياح بن مُرّة، حتّى أتى حسّانَ بن تُبَّعٍ، فـاستغاثَ به. فخـرج حسّانُ بن تُبَّعٍ فى حِميرٍ، فلمّا كان من اليمامة على ثلاثٍ، قال له رياحُ:

- «أبيتَ اللّعن، إنّ لى أختًا متزوّجةً فى جَديسٍ يُقـالُ لهـا: اليمامة، ليس على وجـه الأرض أبصرَ منها. إنّها لَتُبصر الرّاكبَ من مسـيرة ثلاثٍ، وإنّى أخـاف أن تُنذِرَ القـومَ، فَمُرْ أصـحابَك، فَليقطع كلُّ رجلٍ منهم شجرةً فيجعلها أمامَه.»

ففعلوا ذلك، فأبصرتهم، فقالت لجَديسٍ:

- «لقد سارت حِميرُ.»

فكذّبوها وقالوا:

- «ما الّذى تَرَيْنَ؟»

قالت: «أرى رجلاً فى شجرٍ معه كَتِفٌ يتعرّقُها[١] أو نعلٌ يخصفها.»

فلم يستمعوا منها، واستهانوا، فكان كما قـالت. وصبّحهَم حسّـان فأبادَهم [97] وأخـربَ بِلادَهم، وهدّم قصورَهُم وحصونَهم. وأتى حسّانُ باليمامةِ فَفَقَأ[٢] عينَها، وقـالتِ العـربُ فـى ذلك الأشعارَ، وهى معروفةٌ.

---

١) تَعرّقَ العَظمَ أكل ما عليه من اللّحم نهشًا بأسنانه. ٢) فقأ العينَ: شقّها فخرج مافيها.

[الساسانيّة[1] ومَن عاصرَهم]

[أردشيرُ بنُ بابَك]

ثُمَّ لما استولى أردشيرُ بن بابك[2] على الارمانيّين (وهم ملوك العراق وأنباطُ السَّوادِ، وكان كلُّ واحدٍ منهم يُقاتل صاحبَه، فاستولى أردشيرُ عليهما، وقَتَل الأردوانَ - ويُسمّى «شاهَنشاه»)، كَرِهَ كثيرٌ من تَنوخَ أن يُقيموا فى مملكتِه، فخرجُوا، فَلحِقوا بالشام، وانضمُّوا إلى مَن كان هناك وكان ناسٌ من العرب يُحدِثونَ الأحداثَ لو تضيق بهم المعيشة، فيخرجون إلى ريف العراق وينزلون الحيرةَ على ثلاثةِ أثلاثٍ: الثُلث [الأوّل[3]]: «تَنوخُ»، وهو مَن كانَ يسكنُ المظالَّ وبيوتَ الشَّعر والوَبَر فى غربىِّ الفراتِ فيما بين الحيرة والأنبار ومافوقَها. والثُلثُ الثانى: «العِبَادُ»، وهم الّذين سكنوا الحيرةَ وابتنَوا بها. والثُلثُ الثّالث: «الأحلافُ»، وهم الّذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيهم مِمَّن لم تكن من تنوخِ الوَبَرِ [98] ولا مِنَ العُبّادِ الّذين دانوا لأردشيرَ. وكانتِ الحيرةُ والأنبارُ جميعاً بُنِيَتا فى زمن بختنصَّرَ، فخَرِبتِ الحيرةُ لمّا تحوّلَ أهلُها عند هلاكِ بختنصَّرَ إلى الأنبار، وعَمَرتِ الأنبارُ خَمسَمائةٍ وخمسينَ سنةً إلى أن عَمَرَتِ الحيرةُ فى زمنِ عمرو بنِ عدىٍّ باتّخاذِه إيّاها مَنزِلاً، فعَمَرتِ الحيرةُ خمسَمائةٍ وبضعًا وثلاثينَ سنةً، إلى أن وُضعتِ الكوفةُ، ونَزلها المسلمون.

ودبّر أردشيرُ أمرَ الفُرسِ والعَرب، وردَّ نِظامَ المُلكِ، وكان حازمًا أريبًا كثيرَ الاستشارةِ طويلَ الفكرِ، معتمدًا فى تدبيره على رجلٍ فاضلٍ من الفرس يُعرف بِـ «تَنسَر»، وكان هِربَذًا. فلم يزل يدبِّر أمرَه ويجتمع معه على سياسة الملك، إلى أن أطاعه مَن جاوره مِن مُلوك الطّوائفِ، وعرفُوا فضلَه، ودخلُوا تحتَ رايته رَهبةً ورَغبةً، وحارب مَن امتنع منهم عليه.

---

١) فترة الحكم: ٢٢٤ - ٦٥٢ م (فم). ٢) انظر الطبرى ٢: ٨١٣. ٣) الأوّل: تكملةٌ منّا.

وله مكائدُ وحروبٌ يطولُ الكتابُ بذكرها. فمن أحسن ماحُفظ له عهدُه إلى الملوك بعدَه، وهذه نسخته: [99]

[عَهدُ أردَشير]

ـ «باسم ولىِّ الرَّحمةِ[١]. مِن مَلكِ المُلوكِ أردشيرَ بنِ[٢] بابَكَ، إلى مَن يخلُفُه[٣] بعَقِبِهِ من مُلوكِ فارسَ. السَّلامُ والعافيةُ. أمّا بعدُ[٤]، فإنَّ صيغَ[٥] الملوكِ على غير صِيغِ[٦] الرَّعيَّة، فالمَلكُ يطبَعُه[٧] العِزُّ والأمنُ والسُّرورُ والقدرةُ، على طِباع الأنَفَةِ والجُراةِ والعَيثِ[٨] والبَطَرِ. ثُمَّ كلّما ازدادَ فى العُمر تَنَفُّسًا وفى المُلك سلامةً، زادَهُ[٩] فى هذِه الطَّبائعِ الأربعِ[١٠]، حتّى يُسلِمَهُ[١١] إلى سُكرِ السُّلطان الّذى هو أشدُّ مِن سُكرِ الشَّرابِ، فَيَنسى النَّكباتِ والعَثَراتِ[١٢] والغِيَرَ والدَّوائرَ وفُحشَ تسلُّطِ الأيّامِ، ولُؤمَ غَلَبةِ الدَّهرِ، فَيُرسلُ يَدَه ولِسانَه بالفعلِ والقولِ. وقد قال الأوَّلون مِنّا: عند حُسنِ الظَّنِّ بالأيّام تَحدُثُ الغِيَرُ. وقد كان مِن الملوك مَن يُذكِّره عِزُّه الذُّلَّ، وأمنُهُ الخَوفَ، وسُرورُه الكَآبَةَ، وبَطَرُهُ [السُّوقةَ][١٣]، [وقُدرتُه المَعجزةَ][١٤]، ولا حزمَ إلاّ فى جميعها.

ـ «إعلموا أنَّ الّذى أنتم [100] لاقُون بعدى، هو الّذى لَقِينى[١٥] من الأمورِ، وهى بعدى واردةٌ عليكم [بِمِثلِ الّذى وَرَدَت به علىَّ][١٦]، فيأتيكم السُّرور والأذىٰ فى المُلك من حيثُ أتَيانى، وإنَّ منكم من سيركبُ المُلكَ صَعبًا فيُمنى مِن شِماسه[١٧] وجِماحه وخَبطه واعتراضِه بمِثلِ الّذى مُنيتُ به[١٨]. ومنكم من سَيرِثُ المُلكَ عَنِ الكُفاةِ المذلِّلينَ له

١) ر: بدون بسملة. غ: بسم الله الرّحمن الرّحيم.
٢) غ: من أردشير ملك الملوك.
٣) غ: يخلف.
٤) غ: بدون «أما بعد».
٥) مط: منع.
٦) مط: منع.
٧) غ: بطبعه.
٨) غ: البطر والعيث.
٩) غ: «ثمّ له كلّما ازداد... زيادة» بدل «ثم كلّما ازداد... زاده»
١٠) فى الأصل: الأربعة. والتّصحيح من غ.
١١) غ: يسلّمه ذلك منه.
١٢) غ: بدون «العثرات».
١٣) فى الأصل: بالسّوقة، مهملة، فاعجمناها وحذفنا الباء. فى مط أيضًا: بالسوقة.
١٤) زيادة من غ. وقدرته المعجزة، فإذا هو قد جمع مهجة («بهجة» ـ رسائل البلغاء) الملوك، وفكرة السّوقة («وحذر الرّعيّة ـ رسائل البلغاء) ولاحزم إلاّ فى جمعها» بَدَل: «بطره... جميعها».
١٥) غ: لقيته.
١٦) زيادة من غ.
١٧) الشماس: الإباء.
١٨) غ: منيت به منه. يقال: مَنَى الله (يمنى مَنيًا) فلانًا بكذا. أى ابتلاه به وأصابه.

مَركبَهُ، وسيجرى على لسانه ويُلقىٰ فى قلبهِ[١] أن قد فُرِغَ[٢] له، وكُفِىَ، واكتفى وفَرَغَ للسَّعى فى العَبَثِ، والملاهى[٣]، وأنّ مَن قَبلَه مِن الملوك إلى التّوطيد له أجرَوا، وَفى التّمكين له سَعَوا، وأن قد خُصَّ بما حُرِموا، وأُعطِىَ مامُنِعوا، فَيُكثِرُ أن يقولَ مُسِراً ومُعلنًا: خُصُّوا بالعمل، وخُصِصتُ بالدَّعَةِ، وقُدِّموا قبلى إلى الغَرَر، وخُلّفتُ فى الثّقةِ.

وهذا الباب من الأبواب الّتى تَكسرُ سُكورَ[٤] الفسادِ، ويُهاجُ بها قُربات[٥] البَلاء، ويُعنى البصيرَ اللّطيفَ مايَنتَهِك من الأمور فى ذلك[٦]. فإنّا قد رَأينا المَلِكَ الرّشيدَ السَّعيدَ المنصورَ المَكفِىَّ المظفَّرَ [101] الحازمَ فى الفُرصة، البصيرَ بالعورة، اللّطيف [لِلشّبهة][٧] المبسوطَ له فى العلم والعُمرِ؛ يجتهد فلا يعدو[٨] صلاحُ مُلكه حياتَه[٩]، إلاّ أن يتشبَّه به متشبِّهٌ. ورأينا الملكَ القصيرَ عُمرُه، القريبةَ مُدَّتُه، إذا كان سعيُهُ بإرسال اللّسان بما قال، واليدِ بما عملت، بغير تدبيرٍ[١٠] يُدرِكُ، أفسدَ جميعَ ماقدَّم له من الصَّلاح قبلَه، ويُخلِّف المملكةَ خرابًا على مَن بعدَه[١١].

ـ «وقد علمتُ أنّكم ستُبلون[١٢] مع المُلكِ بالأزواجِ والأولادِ والقُرَناءِ والوزراءِ والأخدانِ والأنصارِ والأصحابِ والأعوانِ والمتنصّحينَ والمتقرِّبينَ والمُضحكينَ والمُزَيِّنين[١٣]: كلٌّ هؤلاء ـ إلاّ قليلاً ـ أن يأخذَ لنفسه أحبُّ إليه من أن يُعطِىَ منها، وإنّما عمله لِسوُق يَومه وحياةِ غدِه. فنصيحتُهُ الملوكَ[١٤] فَضلُ نصيحتِه لنفسِه، وغايةُ الصَّلاح عندهُ صلاحُ نفسِه، وغايةُ الفسادِ عِندهُ فسادها. يجعل نفسَه هى العامّةَ، والعامّةَ[١٥] هى الخاصّةَ: فإن[١٦] خُصَّ بنعمةٍ دون النّاس فهى عندهُ نعمةٌ عامّةٌ، وإذا عَمَّ [102] النّاس بالنّصر على العَدوّ، والعدلِ فى البيضةِ، والأمنِ على الحريم، والحفظِ للأطراف، والرأفةِ من المَلِك، والاستقامةِ من المُلكِ، ولم يُخصَص من ذلك بما يُرضيه، سَمّى تلك النّعمةَ نعمةً خاصّةً. ثمّ أكثرَ شكيّةَ[١٧] الدّهر، ومَذَمّةَ الأمور. يقيمُ لِلسُّلطانِ سُوقَ المَودّةِ ما أقام له سُوقَ الأرباحِ، ولايَعلمُ ذلك

١) غ: امنيّته. ٢) غ: فرغ، بالغين المعجمة. وفَرَغ (بالعين المهملة) الفرس: كَبَحهُ. ٣) غ: فى السّعى فى الملاهى واللّعب. ٤) جمعُ مفرده السَّكرُ: مايسدُّ به النّهر ونحوُه. ٥) ر: دواهم، بدل: «قربات» ٦) غ: بدل «تكسر... فى ذلك»: يكثربها فنون البلاء، وتعيى البصر عن لطيف مايتهتّك من الأمور فى ذلك». ٧) زيادة من غ. ٨) فى الأصل: يعدو. ٩) حياته: مهملة فى الأصل والتصحيح من مط. ١٠) غ: صواب تدبير.
١١) غ: بدل «أفسد... مَن بعده»: أفسد واستفسد جميع ماقدّم له مَن قبلَه، وخلّف المملكة خراباً من بعده.
١٢) غ: ستبتلون. ١٣) المزيِّن: الحلاّق. غ: المتزيِّنين. ١٤) غ: لملوك. ١٥) غ: ويجعل العامّة.
١٦) غ: فإذا. ١٧) غ: شكاية.

الوزيرُ والقرينُ أنّ فى التماسِ الرّبح على السُّلطانِ فسادَ جميعِ الأمورِ[١]، وقد قال الأوّلون منّا: رَشادُ الوالى خيرٌ للرّعيّةِ من خِصبِ الزّمانِ[٢].

- «واعلموا أنّ المُلكَ والدّينَ أخوانِ توأمانِ، لاقِوامَ لأحدِهما إلاّ بصاحبه، لأنّ الدّين أسُّ المُلك وعماده[٣]. وصار الملكُ بعدُ حارسَ الدّين، فلابُدَّ لِلمُلكِ من أُسّه، ولابُدَّ لِلدّين من حارسه، فَإنّ[٤] مالا حارسَ له ضائعٌ، وإنّ ما[٥] لا اسَّ له مهدومٌ. وإنّ رأسَ ما أخاف عليكم مبادرةُ السَّفِلةِ إيّاكم إلى دِراسةِ الدّينِ [وتلاوته والتّفقُّهِ فيه، فتحملكُمُ الثّقةُ بقوّةِ السُّلطان][٦] على التّهاونِ بهم[٧]، فتحدثَ فى الدّين رئاساتٌ مُستَسِرّاتٌ فى مَن قد وَتَرتُم[٨] وجَفَوتُم [103] وحَرَمتُم وأخَفتُم وَصَغَّرتُم مِن سَفِلَةِ[٩] النّاس والرّعيّةِ وحشو العامّة، ولم يجتمع[١٠] رئيسٌ فى الدّين مُسِرٌّ، ورئيسٌ فى المُلكِ مُعلنٌ، فى مملكةٍ واحدةٍ قطُّ، إلاّ انتزعَ الرّئيسُ فى الدّينِ ما فى يَدِ الرّئيسِ فى المُلك، لأنّ الدّينَ أسٌّ والمُلكَ عمادٌ، وصاحبُ الأسِّ أولىٰ بجمع[١١] البُنيانِ من صاحبِ العِماد.

- «وقد مضى قبلَنا ملوكٌ كان المَلِك منهم يتعهّدُ الجملةَ بالتفسير[١٢] والجماعاتِ بالتّفصيلِ[١٣]، والفَراغَ بالأشغال، كتعهُّدِه جَسَدَهُ بقصِّ فضولِ الشّعر والظُّفرِ وغَسلِ الدَّرَنِ والغَمَر[١٤] ومداواةِ ماظهرَ من الأدواءِ ومابطنَ. وقدكان مِن أولئك الملوكِ مَن صِحّةُ مُلكِه أحبُّ إليه من صِحّةِ جَسَدِه، وكان بما يُخلِّفه من الذّكر [الجميل[١٥]] المحمود، أفرحَ وأبهجَ منه بما يسمعه بأذُنه فى حياته. فتتابعت تلك الأملاك بذلك كأنّهم مَلِكٌ واحدٌ، وكأنّ أرواحَهم روحٌ واحدة، يُمكّنُ أوّلُهم لآخرهم، ويصدّق آخرهم اوّلَهم بجميع أنباءِ أسلافهم، ومواريث آرائهم[١٦]، وصياغات عقولهم، عند الباقى منهم بعدهم، فكأنّهم جُلوسٌ [104] معه، يُحدّثونه، ويشاورونه[١٧]، حتّى كان على رأسِ دارا بنِ دارا ماكان، وغلبة[١٨] الاسكندر على ماغلب[١٩] من مُلكِنا. فكان إفسادُهُ أمرَنا، وتفريقُه جماعتَنا، وتخريبُه عُمرانَ

---

١) غ: بدل «ولا يعلم ذلك الوزير... فساد جميع الأمور»: «ولا يعلم ذلك الوزير انّ الوضيعة عنده فى التماس الرّبح على السلطان». ٢) فى رسائل البلغاء: رشادالملك. فى كامل المبرّد: عدل السّلطان. ٣) غ: بدون «عماده» ٤) غ: لأنّ. ٥) غ: بدون «إنّ». ٦) مابين [ ] زيادةٌ من ر، غ. ٧) مط: به. ٨) وَتَرَهُ: قتل حميمَهُ وأدركَهُ بمكروه. ٩) السَّفِلةُ والسّفلة من النّاس: أسافلهم وغوغاؤهم. ١٠) غ: واعلموا أنّه لن يجتمع. ١١) غ: بجميع. ١٢) ر: بالتفتيش. ١٣) والجماعة بالتحضيل ١٤) الغَمَر: الحِقد والغِلّ. ١٥) زيادةٌ من غ. ١٦) غ: آبائهم. ١٧) غ: ويشاورهم. ١٨) غ: من غلبة. ١٩) غ: غلب عليه.

مملكتنا، أبلغَ له فى ما أراد من سفك دمائنا. فلمّا أذِن الله فى جمع مملكتِنا ودولةِ أحسابِنا، كان مِن ابتعـاثه[١] إيّانا ماكان، وبالاعتبار[٢] تُتّقـى الغِيَرُ، ومن يَخلُفنا أوجـدُ للاعتبار، مِنّا، لِما استدبروا من أعاجيب ما أتى علينا.

ـ «اعلموا أنّ سلطانكم إنّما هو على أجسادِ الرّعيّة، وأنّه لاسلطانَ للملوك على القلوب. واعلموا أنّكم إن غَلبتم النّاسَ على ذات[٣] أيديهم، فَلَن تغلبوهم على عقـولهم. واعلموا أنّ العاقل [المحروم][٤] سالٌ عليكم لسانَه، وهو أقطع سـيفيه، وإنّ أشـدَّ مايضـربكم[٥] به من لسانه، ماصَرَفَ الحيلةَ فيه إلى الدّين: فكأنّ بالدّين يحتجُّ وللدّين ـ فيما يُظهر ـ يغضـب، فيكون للدّين بكـاؤه، وإليه دعاؤه، و[٦] هو أوجـدُ التّابعين والمصـدّقين والمناصـحين والمؤازرين [105] منكـم. لأنّ بِغضـةَ النّاس هى موكَّلةٌ بالملوكِ، ومحبّتَهـم ورحمتَهـم موكَّلةٌ بالضُّعفاءِ المغلوبين. وقد كان مَن قبلَنا مِن المُلوكِ يحتالون لِعقـولِ من يحـذَرون، بتخريبها، فانّ العاقلَ لاتنفعـه [جَـودَةُ][٧] نحيزته[٨] إذا صُـيِّرُ عقلُه خَـراباً [مواتاً][٩]، وكانوا يحتالونَ للطّاعنين بالدّين على الملوك، فيُسـمُّونَهم المبتدعين. فيكـونُ الدّينُ هو الّذى يقتلهم ويُريح الملوكَ منهم. ولا ينبغى لِلمَلِكِ أن يعترفَ للعبّادِ والنُّسّاكِ [والمُتبتّلين][١٠] أن يكـونوا أولى بالدّين، ولا أحـدبَ[١١] عليه، ولا أغضـبَ لهُ منه. ولا ينبغـى للملك أن يَدَعَ النُّسّاكَ بغير الأمرِ والنّهيِ لهم فى نسكِهم [وديـهم][١٢] فإنّ خروجَ النُّسّاكِ وغيرِ النُّسّاك مِنَ الأمرِ والنّهـيِ عيبٌ على الملوكِ، وعيبٌ على المملكـةِ، وثُلمةٌ يَتسَـنَّمُها النّاسُ بنيّةِ[١٣] الضّررِ لِلملكِ ولِمَن بعدَه.

ـ «واعلموا أنّ مصيرَ الوالى إلى[١٥] غير أخدانه، وتقـريبَه غير وزرائـه، فتحٌ لأبواب [الأنباءِ][١٦] المحجـوبِ[١٧] عنه عِلمهـا. وقـد قيل: إذا اسـتوحشَ الوالى مِمّنَ لم [106] يُوطّن[١٨] نفسَه عليه، أطبقت عليهِ ظُلَمُ الجَهـالةِ[١٩]، وقيل: أخـوفُ ماتكـون العـامّةُ آمن

١) غ: ابتعاث الله. ٢) غ: العثار. ٣) غ: مافى. ٤) زيادة من غ. ٥) غ: مايضـرّكم. ٦) غ: «ثمّ» بدل «و». ٧) زيادة من غ. ٨) النحيزة: الطبيعة. ٩) زيادةٌ من غ. ١٠) زيادة من غ.
١١) حَدِب عليه: عطف. ١٢) زيادةٌ من غ. ١٣) غ: بينة الضرر. ١٤) غ: تصبُّر. ١٥) مط: على.
١٦) الأنباء: زيادة من غ. ١٧) ر: لأبواب محجـوب. ١٨) ص: مما يوطّـن. ١٩) قس هذه السطوربما جاء فى رسائل البلغاء: «وإذا أذن الملك للعقلاءِ من مناصحى دولته، فى إنهاءِ مايتجدّد عندهم من النصائح الّتى لايعلمها خواصُّه، أو يعلمونها ويكتمونها، انفتحت له أبوابٌ من الأخبار المحجوبة عنه، فيحذر وزراؤه وخواصُّه من الاتّفاق على أمر يكرهُهُ، خوفًا من أن يُطالع به، فيامنَ مكائدَهم، وتسـلم الرّعيّة من ظلمهـم؛ ومَن غلبت عليه خـواصُّه، حتّى منعـوا عنه النّاسَ، فلايصل إليه إلاّ من يُحبّون، أطبقت ظُلَمُ الجهالة عليه».

مايكون الوزراءُ.

- «إعلموا أنّ دَولتكم تُوتىٰ مِن مَكانين: أحدُهما غلبةُ بعض الأمم المخالفةِ لكم، والآخرُ فسادُ أدبِكم[١]. ولن يزالَ حريمُكم من الأمم محروسًا، ودينُكم من غلبة الأديانِ محفوظًا، ماعُظِّمتْ فيكم الوُلاةُ، وليس تعظيمُهم بتركِ كلامِهم، ولا إجلالُهم بالتنحّى عنهم، ولا المحبّةُ لهم بالمحبّةِ لِكُلِّ مايُحبّون. ولكن تعظيمُهم تعظيمُ أديانِهم وعُقولِهم، وإجلالُهم إجلالُ منزلتِهم مِن اللهِ، ومحبّتُهم محبّةُ إصابتِهم، وحكايةُ الصّوابِ عنهم.

- «واعلموا أنّه لاسبيلَ إلى أن يُعظِّمَ الوالى إلاّ بالإصابةِ فى السّياسةِ، ورأسُ إصابةِ السّياسةِ أن يَفتحَ الوالى لِمَن قِبَلَه مِن الرّعيّةِ بابين: أحدُهما بابُ رِقّةٍ ورحمةٍ [ورأفةٍ وتضرُّعٍ، وبذلٍ، وتَحَنُّنٍ، وإلطافٍ ومواساةٍ ومؤانسةٍ][٢] وبِشرٍ وتهلُّلٍ، [وعفوٍ][٣] وانبساطٍ وانشراحٍ؛ والآخرُ: بابُ غِلظةٍ وخَشيةٍ[٤] وتَعَنُّتٍ [107] وتسدُّدٍ وإمساكٍ ومباعدةٍ وإقصاءٍ ومخالفةٍ ومَنعٍ، وقُطوبٍ[٥] وانقباضٍ، [وتضييقٍ، وعقوبةٍ][٦] ومحقَرةٍ إلى أن يبلغَ القتلَ. واعلموا أنّى لم أُسَمِّ [هذين البابين][٧] بابَ رِفقٍ، وبابَ عُنفٍ، ولكنّى [سمّيتهما][٨] جميعًا «بابَى رفقٍ»، لأنّ[٩] فتحَ بابِ المكروهِ مع بابِ الشُّرورِ هو أوشكُ لِغَلْقه[١٠]، حتّى لايُبتَلىٰ به أحدٌ. و[١١] فى الرّعيّةِ مِن الأهواءِ الغالبةِ للرّأى، والفجورِ المستقلّ للدّينِ، والسِّفلةِ الحَنِقةِ على الوجوهِ بالنّفاسةِ والحسدِ، ما لا بُدَّ معه أن يُقرَنَ ببابِ الرّأفةِ بابُ الغِلظةِ، وببابِ الاستبقاءِ بابُ القتلِ، وقد يُفسِد الوالى بعضَ الرّعيّة من حرصه على صَلاحِها، ويَغلُظُ[١٢] عليها من رِقّتِه لها[١٣]، ويقتل[١٤] فيها من حِرصه على حياتِها.

- «واعلموا أنّ قِتالَكم الأعداءَ مِنَ الأمم قَبلَ قِتالِكم الأدبَ مِن أنفسِ رعيّتِكم، ليس بحفظٍ، ولكنّه إضاعةٌ. وكيف يُجاهَد العدوُّ بقلوبٍ مختلفةٍ، وأيدٍ متعاديةٍ. وقد علمتُم أنّ الّذى بُنِىَ عليه النّاسُ، [108] وجُبلت عليه الطِّباعُ[١٥]، حُبُّ الحياةِ وبُغضُ الموتِ، [وأنّ الحربَ تُباعدُ مِن الحياة، وتُدنى مِن الموتِ][١٦]، فلادفعَ ولامنعَ[١٧] ولاصبرَ ولا محاماةَ مع هذا، إلا بأحد وجهين: إمّا بِنيّةٍ، والنّيّةُ مالَن يَقدرَ عليهِ الوالى عِندَ النّاس بعدَ النّيّة الّتى

---

١) ص: رأيكم. ٢) زيادة من غ. ٣) زيادة من غ. ٤) غ: وخُشنةٍ وتعصّبٍ وتشديد وجفاءٍ بدل «وخشيةٍ وتعنّتٍ وتسدّدٍ وإمساكٍ». ٥) غ: «عبوسٍ» بدل «قُطوبٍ». ٦) زيادة من غ. ٧) فى الأصل: هذا الباب، والتصحيح من غ. ٨) فى الأصل: سميّتها، والتصحيح من غ. ٩) غ: واعلموا أنّ. ١٠) غ: لاغلاقه. ١١) غ: واعلموا أنّ. ١٢) غ: وقد يغلظ. ١٣) غ: من شدّة رافته بها. ١٤) غ: وقد يقتل. ١٥) غ: الطبائع. ١٦) مافى [ ] زيادة من غ. ١٧) ليس فى غ: فلا دفع ولا منع.

تكون فى أوّل الدّولة، وإمّا بِحُسن الأدب وإصابةِ السّياسة.

«واعلموا أنّ بدءَ ذهابِ الدّول[١] مِن قِبَل إهمال الرّعية بغير أشغال معروفةٍ، ولا أعمال معلومةٍ. فإذا فشى الفَراغُ [فى النّاس][٢]، تولّد منه النّظرُ فى الأمور، والفكرُ فى الأصول. فاذا نظروا فى ذلك، نظروا فيه بطبائعَ مختلفةٍ، فتختلِفُ بهم المذاهبُ، ويتولّدُ من اختلافِ مذاهبِهِم، تَعادِيهم وتَضاغُنُهم وتطاعُنُهم[٣]، وهم فى ذلك مجتمعون ـ فى اختلافهم ـ على بُغض الملوك، لأنّ كلَّ صِنفٍ مِنهم إنّما يَجرى إلى فجيعةِ المَلِكِ بمُلكِه، ولكنّهم لايَجِدون سُلّمًا إلى ذلك[٤] أوثقَ مِن الدّين، ولا أكثرَ أتباعًا، ولا أعزَّ امتناعًا، ولا أشدَّ على النّاس صَبرًا[٥]. ثُمّ يتولّد مِن تَعاديهم [109] أنّ المَلِكَ لايستطيع جَمعَهم على هوىً واحدٍ، فإذا انفرد ببعضهم، فهو عَدوٌّ بقيّتِهم، ثُمّ تتولّدُ من عَداوتِهم [للمَلِك][٦] كثرتُهم، فإنّ مِن شأنِ العامّةِ الاجتماعَ على استثقال الوُلاةِ والنّفاسَةِ[٧] عليهم. لأنّ فى الرّعيّةِ المحرومَ، والمضروبَ، والمُقامَ عليهِ وفيهِ وفى حميمه الحدودُ، والدّاخلَ عليهِ بِعزّ المَلِكِ الذُّلُّ فى نفسه وخاصّتِه. فكلُّ هؤلاءِ يجرى إلى متابعةِ أعداء المَلِك. ثُمّ يتولّدَ مِن كثرتِهم أن يَجبُنَ المَلِكُ عَنِ الاقدام عليهم، فإنّ إقدامَ المَلِكِ على جميع الرّعيّةِ تغريرٌ[٨] بمُلكِه ونفسِه، ويتولّدُ من جُبن الوُلاةِ عن تأديب العامّةِ تضييعُ الثُّغور الّتى فيها الأُمم من ذوى الدّين والبأس، لأنّ المَلِكَ إن سدَّ الثُّغورَ بخاصّتِه المناصحينَ له، وخَلَت[٩] به العامّةُ الحاسدةُ المعاديةُ[١٠]، لم يَعدُ بذلك تدريبَهم فى الحربِ، وتقويتَهم فى السّلاح، وتعليمَهم المكيدةَ مع البِغضةِ، فهم عند ذلك أقوى عدوٍّ [وأضرُه، وأحنقُه][١١]، وأحضرُه، وأخلقُه بالظّفر، ولابُدَّ مِن استطرادِ [110] هذا كُلّه إذا ضُيِّعَ أوّلُه.

ـ «فمَن ألفىٰ منكم الرّعيّةَ بَعدى وهى على حال أقسامها الأربعةِ الّتى هى: أصحابُ الدّين، والحربِ، والتّدبير، والخدمةِ ـ من ذلك: الأساورة صنفٌ، والعُبّادُ والنُّساكُ وسَدَنة النّيران صنفٌ، والكُتّابُ والمنجّمون والأطبّاءُ صنفٌ، والزُّرّاعُ والمُهّانُ والتُّجارُ صنفٌ ـ فلايكونَنَّ بإصلاح جَسَدِه أشدَّ اهتمامًا منه بإحياءِ تلك الحال، وتفتيشِ مايحدُثُ فيها من الدّخلات[١٢]، ولايكوننَّ لانتقاله عن المُلكِ بأجزعَ مِنه مِن انتقال صنفٍ من هذه الأصناف

١) غ: واعلموا أنّ ذهاب الدّول يبدو. ٢) زيادةٌ من غ. ٣) غ: بدون «تطاعنهم». ٤) غ: مع ذلك مُجمعون. ٥) غ: صوابًا. ٦) زيادة من غ. ٧) النّفاسة: الحسد. ٨) غرر به: عرّضه للهلكة. ٩) خَلَت به: خادعته. ١٠) غ: المعادية المنافسة، وإن التمس سدّ الثغور بالعامّة الحاسدة لم يعد. ١١) زيادة من غ. ١٢) الدخلات: النيّات. دَخلة الأمر: بطانته. الدخلة: المذهب.

إلى غير مرتبته. لأنَّ تنقُّلَ النّاسِ عن مراتبهم سريعٌ فى نقل المَلِك عن مُلكه: إمّا إلى خلعٍ، وإمّا إلى قتلٍ. فلايكوننَّ مِن شىءٍ مِنَ الأشياءِ أوحشَ بتّةً[1] مِن رأسٍ صار ذَنَبًا، أو ذَنَبٍ صارَ رأسًا، أو يدٍ مشغولةٍ أحدثت فراغًا، أو كريمٍ ضريرٍ، أو لئيمٍ مرحٍ. فإنّه يتولّدُ مِن تَنقُّلِ النّاس عن حالاتهم، أن يلتمسَ كُلُّ امرئٍ منهم أشياءَ فوقَ مرتبته. [111] فإذا انتقل أوشكَ أن يَرىٰ أشياءَ أرفعَ مِمّا انتقلَ إليه، فَيَغبط ويُنافِس. وقد علمتم أنَّ مِنَ الرَّعيّةِ أقوامًا هم أقربُ النّاسِ من الملوكِ حالاً. وفى تَنقُّلِ النّاسِ عَن حالاتهم مَطمعةٌ لِلّذين يَلونَ المُلوكَ فى المُلكِ، ومطمعةٌ لِلّذين دونَ الّذين يَلونَ الملوكَ فى تلك الحال، وهذا لِقاحُ بَوارِ المُلكِ.

- «ومن ألفىٰ منكم الرَّعيّةَ وقد أضيعَ[2] أوّلُ أمرها، فالفاها فى اختلافٍ مِن الدِّين، واختلافٍ[3] من المراتبِ، وضياعٍ من العامّةِ، وكانت به على المكاثرةِ قُوّةٌ، فليُكاثِر[4] بقوّتِه ضَعفَهم، وليبادِر بالأخذِ بأكظامهم قبلَ أن يبادروا بالأخذ بكَظَمِه[5]، ولايقولنَّ: أخافُ العَسفَ[6]. فإنّما يخاف العسفَ مَن يخافُ جريرةَ العسفِ على نفسه، فأمّا إذا كان العسفُ لبعضِ الرَّعيّةِ صلاحًا لبقيّتِها، وراحةً له ولِمَن بَقىَ معهُ مِن الرَّعيّة، مِن النَّغل[7] والدَّغَل والفساد، فلايكوننَّ إلى شىءٍ بأسرعَ مِنهُ إلى [112] ذلك، فإنّه ليس نفسَه ولا أهلَ موافقته يَعسفُ، ولكنّما[8] يَعسفُ عدوَّهُ.

- «ومَن ألفىٰ منكم الرَّعيّةَ فى حال فسادِها، ولم يَرَ بنفسه عليها قُوّةً فى [إ]صلاحها[9]، فلايكوننَّ لقميصٍ قَمِلٍ[10] بأسرعَ خلعًا منه لِما لَبِس من ذلك المُلكِ، وليأتِه البَوارُ - إذا أتاه - وهو غير مَذكورٍ بِشُؤمٍ، ولامُنوَّهٍ بِه فى دنياه[11]، ولا مَهتوكٍ به سترُ ما فى يَدَيه.

- «واعلموا أنَّ فيكم مَن يستريح إلى اللَّهوِ والدَّعَةِ، ثُمَّ يُديم من ذلك ما يُورثه خُلقًا وعادةً. فيكون ذلك لِقاحَ جِدٍّ لا لهوَ فيه، وتَعبٍ لاخَفضَ[12] فيه[13]، مع الهُجنةِ فى الرّأىِ، والفضيحةِ فى الذِّكرِ. وقد قال الأولون مِنّا: لهوُ رَعيّةِ الصِّدقِ بتقريظِ الملوكِ، ولهوُ ملوكِ الصِّدقِ بالتَّودُّدِ إلى الرَّعيّة.

- «واعلموا أنّ مَن شاءَ منكم ألاّ يسيرَ بسيرةِ إلاّ[14] قُرِّظت له فَعلَ، ومَن شاءَ منكم

---

١) بتّةً: قطعًا. غ: منه بدل: بتّة. مط: نية. ٢) غ: ضاع. ٣) غ: واختلال. ٤) كاثره: غالبه بالكثرة.
٥) أخذ بكَظَمِه: كَرَبَهُ وغمَّهُ. ٦) العسف: الظّلم. ٧) النَّغَل: الإفساد بين القوم. نغلت نيّتُهُ: ساءت.
٨) غ: ولكنّه. ٩) الهمزة، زدناها. ١٠) القميص قَمِلٌ إذا كثُرَ عليه القمّلُ. ١١) غ: دناءة.
١٢) الخفض: لين العيش وسعتُهُ. ١٣) غ: معه. ١٤) مط: بدون «إلاّ».

بَعثَ العيونَ على نفسِه فأذكاها، فلم تَكُن الناسُ بِعيبِ نفوسِهم بِأعلَمَ مِنهُ بعيبِه.

ـ «ثُمَّ إنَّه ليس منكم [113] مَلِكٌ إلاّ كثيرَ الذِّكر لِمَن يَلِي الأمرَ بعدَه، ومِن فسادِ الرَّعيّةِ[1] نَشرُ أمورِ وُلاةِ العهودِ، فإنَّ في ذلك مِن الفساد أنَّ أولَه دخولُ عداوةٍ مُمضّةٍ[2] بينَ المَلِك، ووَليِّ عهدِه، وليس يتعادىٰ متعاديان بأشدَّ مِن أن يسعىٰ كُلُّ واحدٍ منهما في قطعِ سُؤلِ[3] صاحبِه. وهكذا المَلِكُ ،ووليُّ عهدِه: لايَسُرُّ الأرفعَ أن يُعطَى الأوضعُ سُؤلَه في فنائه، ولايَسُرُّ هذا الأوضعَ أن يُعطىَ الآخَرُ سؤلَه في البقاء، ومتى يَكُن فرحُ أحدِهما في الرّاحةِ مِن صاحبِه، تدخل كُلَّ واحدٍ منهما وحشةٌ مِن صاحبه في طعامِه وشرابِه، ومتى تداينا[4] بالتُّهمةِ، يَتَّخذ كُلُّ واحدٍ منهما [أحِبّاءَ واخدانًا وأهلاً، ثم يدخل كُلَّ واحدٍ منهما][5] وَغرٌ[6] على أحبّاءِ صاحبه. ثمَّ تَنساقُ الأمور إلى هلاكِ أحدِهما لِما لابُدَّ منه مِن الفَناءِ، فتُفضي الأمور إلى الآخر وهو حَنِقٌ على جيلٍ من النّاس، يَرىٰ أنّه مَوتورٌ إن لم يَحرمهم، ويَضَعْهم، ويُنزِلْ بهم الّتي كانوا يُريدون إنزالَها به لَو وَلُوا. فاذا وَضَعَ بعضَ الرّعيّة وأسخطَ بعضًا على هذه الجِهةِ، [114] تَولَّدَ من ذلك ضِغنٌ وسَخَطٌ من الرَّعيّةِ، ثُمَّ تَرامىٰ ذلك إلى بعض ما أحذرُ عليكم بَعدي. ولكن لِيَختَرِ الوالي مِنكم للهِ، ثُمَّ لِلرَّعيّة، ثم لنفسه، وَليًّا للعَهد من بعدِه، ثُمَّ ليكتب اسمَه في أربع صَحائفَ، فيختمها بخاتَمه، فيضعها عند أربعةِ نفرٍ[7] من خِيارِ أهلِ المملكةِ. ثم لايكونَنّ[8] منه في سرٍّ ولا في علانيةٍ أمرٌ يُستدلُّ به علىٰ وليِّ ذلك العهدِ، لا في إدناءٍ وتقريبٍ يُعرف به، ولا في إقصاءٍ وتنكُّبٍ يُستَرابُ لَه، وليَتّقِ ذلك في اللَّحظةِ والكلمةِ. فإذا هلك، جُمِعت تلك الكُتب الّتي عند الرَّهط الأربعة، إلى النُّسخة الّتي عند الملك، فَفُضِضنَ جميعًا، ثُمَّ نُوِّه بالّذي وُضع اسمُهُ في جميعهنَّ. فيَلقى المُلكَ ـ إذا لَقيَه ـ بحداثةِ عهده بحال السُّوقة[9]، فلبس ذلك المُلكَ ـ إذالبسه ـ ببصرِ السُّوقة، وسمعِها، ورأيِها. فإنّ في سُكر السُّلطانِ الّذي سَيَنالُه،[10] مايكتفي به له[11] من سُكر ولاية العهدِ مع سُكر المُلك. فيصَمُّ ويعمىٰ قبلَ لقاء المُلك لصَمَمِ الملوك وعماهم،

---

١) غ: الملك. ٢) أمضّه الأمرُ: أحرقه وشقّ عليه. ٣) غ: شوكة. ٤) تداينا: تحاكما. ٥) زيادةٌ من غ. ٦) الوَغرُ والوَغَرُ: الحقد والضّغن والعداوة. ٧) النّفر: الجماعة من الرّجال من ثلاثة إلى عشرة أنفار. ويقال: ثلاثة نفر، أو: ثلاثة أنفار، أي: ثلاثة أشخاص. ٨) في الأصل: لايكون. ونون التأكيد من غ. ٩) السّوقة للمفرد والجمع: الرّعيّة، ويقال للجمع: سُوَقٌ كغُرَف. ١٠) غ: «بيّناه»، بدل «سيناله». مط: نسبنا له.
١١) غ: بدون «له».

ثمّ يَلقىَ المُلكَ، فيزيدُهُ صَـمَمًا وعمًى مع ما يَلقـىٰ فـى ولاية [115] العهـدِ من بَطَر السُلطان، وحيلةِ العُتاة، وبغى الكذّابين و [تَرقيةِ][1] النَّمّامين وتحميل الوُشاة بينه وبين مَن فَوقَه.

- «ثُمّ اعلموا أنّه ليس لِلملكِ [أن يبخلَ، لأنّه لايخاف الفقـرَ، وليس له][2] أن يكـذب، لأنّه لايَقدرُ أحدٌ على استكراهِه، وليس له أن يَغضِبَ، لأنَ الغضـبَ والعـداوةَ لِقـاحُ الشـرِّ والنَّدامةِ، وليس له أن يلعبَ ولايعبثَ، لأنَّ العبثَ واللَّعـبَ من عمل الفَـرّاغِ، وليس له أن يَفرُغَ، لأنَّ الفَراغَ من أمر السُوَق، وليس له أن يَحسُدَ إلاّ ملوكَ الأمم على حُسن التَّدبير، وليس له أن يَخافَ، لأنَ الخوفَ مِن المُعور[3]، وليس له أن يتسلَّطَ، إذ هُوَ معورٌ[4].

- «واعلموا أنَّ زَينَ الملوك، فـى اسـتقامةِ الحـال: أن لا تختلفَ مِنه سـاعاتُ العملِ والمباشَرة، وساعاتُ الفراغِ والدَّعَةِ، وساعاتُ الرُكوب والنُّزهةِ، فإنَّ اختلافَهـا منه خِفَّـةٌ، وليس للملكِ أن يَخفَّ.

- «إعلموا أنّكم لَن تَقدِرُوا على خَتم أفواهِ النّاسِ مِن الطَّعنِ والازراءِ عليكم، ولا قدرةَ بكم[5] على أن تجعلوا القبيحَ حَسَنًا [116].

- «واعلموا أنَّ لِباسَ الملكِ ومَطعمَه مُقاربٌ لِلِباسِ السُـوقةِ ومطعمهـم، وبالحـرىٰ أن يكونَ فرحُهما بما نالا من ذلك واحـدًا. وليس فضـلُ الملك على السـوقةِ إلاّ بقـدرتهِ على اقتناءِ المحامِد واستفادةِ المكارم. فإن المَلِك إذا شاءَ أحسنَ، وليس السُوقة كذلك.

- «واعلموا أنّه يحقُّ على المَلِكِ منكم أن يكونَ الطفَ مايكـون نظرًا، أعظم مايكـون خطرًا، والاّ يُذهِبَ حُسنَ أثره فى الرّعيّةِ خَـوفُه لهـا، والاّ يسـتغنِىَ بتدبيرِ اليومِ عَن تدبيرِ غدٍ، وأن يكونَ حذرُه للمَلاقين أشدَّ من حَذَره للمباعدين، وأن يَتّقىَ بطانةَ السَوءِ أشـدَّ من إتِّقائه عامّةَ السّوء، ولا يطمعنَّ مَلِكٌ فى إصلاح العامّةِ إذا لم يبدأ بتقويم الخاصّةِ.

- «واعلموا أنَّ لكُلِّ مَلِكٍ بِطانَةً، وأنَّ لِكلِّ رجـلٍ من بطانَتِه بِطانةً، ثمّ لكـلِّ امرئٍ من بطانةِ البطانةِ بِطانةً، حتّى يجتمع فى ذلك [جميعُ][6] أهلِ المملكةِ! فاذا أقـام المَلِكُ بطانَته على حالِ الصَّواب، أقامَ كُلُّ امرئٍ منهـم بطانَته [117] على مثلِ ذلك حتّى يجتمعَ على

---

١) رقّى فى الحديث: زاد فيه. مط: «وتتبع الكذابين» بدل «وترقية النّمامين». ٢) مابين [ ] زيادةٌ من غ، ورسائل البلغاء. ٣) مط: المعوز. غ: من أمر المُعور. رجلٌ مُعورٌ: قبيح السيرة. أعور الرّجل والمرأة: بَدَت عَورتهُما. ٤) غ: إن هو أعور. مط: إذ هو معوز. ٥) غ: لكم. ٦) مافى [ ] زيادةٌ من غ.

الصّلاح عامّةُ الرّعيّة.

ـ «اعلموا أنّ الملكَ منكم قد تَهُونُ عليه العيوبُ، لأنّه لا يَستقبل بها وإن عمِلَها حتى يرى أنّ الناسَ يَتَكاتَمُونَها بينَهم كُمكاتَمتِهِم إيّاه تلكَ العيوبَ. وهذا من الأبواب الدّاعية إلى طاعة الهَوى، وطاعةُ الهوىٰ داعيةٌ إلىٰ غلبته، فاذا غلب الهوى اشتدَّ عِلاجُه من السُّوقة المغلوب[1] فضلاً عن المَلِكِ الغالب.

ـ «إتّقوا بابًا واحدًا طالَما أمِنتُه فضرّني، وحَذِرتُه فَنفعَني: إحذَرُوا إفشاءَ السِّر عندَ الصِّغار مِن أهليكُم وخَدَمِكم، فإنّه لا يصغُر أحدٌ منهم [عن][2] حمل ذلك السِّرّ كاملاً! لا يقول منه شيئًا حتّى يَضعَه حيثُ تكرهونَ، إمّا سَقَطًا وإمّا غِشًّا[3]، والسَّقَطُ أكثرُ ذلك. إجعلُوا حديثَكم لأهلِ المَراتِب، وحِباءَكم[4] لأهلِ الجهادِ، وبِشرَكم لأهلِ الدّين، وسِرَّكم عندَ مَن يلزمُهُ خيرُ ذلك وشرُّه وزَينُه وشَينُهُ. [118]

«واعلموا أنّ صِحّةَ الظُّنونِ مفاتيحُ اليقينِ، وأنّكم ستَستيقنونَ مِن بعضِ رعيتِكم بخيرٍ وشرٍّ، وستظنّونَ ببعضِهم خيرًا وشرًا، فمَن استيقنتم منه بالخير والشَّرّ، فليستيقِن منكم بهما، ومن ظننتُموهُما به[5]، فليظنّهما بكم في أمره، فعند ذلك يَبدُو مِنَ المُحسنِ إحسانُه، فيخالفُ الظَّنُّ فَيغتَبِط[6]، ومن المُسيءِ إساءتُه، فيصدُق الظَّنّ به فيندَم.

«واعلموا أنّ للشيطانِ في ساعاتٍ من الدّهر طمعًا في السُّلطان عليكم، منها: ساعاتُ الغَضبِ والحرصِ والزّهو، فلاتكونوا له في شيء من ساعات الدّهر أشدَّ قتالاً منكم عندَهنّ حتّى يَتَقَشّعنَ. وكان يُقال: إتّق مقارنةَ الحريصِ الغادر، فإنّه إن رآك في القُرب، رأىٰ منك أخبثَ حالاتِكَ، وإن رآك في الفضول، لم يَدَعكَ وفضولَك.

أسعدوا[7] الرّأيَ على الهَوىٰ، فإنّ ذلك تمليكٌ لِلرّأي. واعلموا أنّ من شأن الرّأي الاستخذاءَ[8] للهوىٰ، إذا جرى الهوى على عادتِه. وقدعرفنا [119] رجالاً كانَ الرّجلُ منهم يؤيَس من قُوّةِ طباعِه، ونبالةِ رأيه ماثريهِ نفسه أنّه على إزاحة الهوى عنه، وإن جَرىٰ على عادته، ومعاودتِه الرّأيَ، وإن طال به عهدُه، قادرٌ، لثقةٍ يجدها بقوّة الرّأي. فاذا تمكّن

١) يبدو أنّ تذكير الصّفة باعتبار معنى «السّوقة» المفرد. في مط أيضًا: المغلوب. ٢) في الأصل: «على» ولم نجد لها وجهًا من الصحّة. ٣) الغِشّ: إسمٌ لِلغَش. ٤) الحباء: العطاء. ٥) مط: منه. ٦) مط: فيسقط. ٧) أسعدوا: ساعدوا. غ: استعدوا: استعينوا. (الأوّل من الإسعاد والثاني من الاستعداء). ٨) استخذى له: إنقاد واتّضع.

الهوى منه، فسخ عزمَ رأيه، حتّى يُسمّيه كثيرٌ من النّاسِ ناقصًا في العَقلِ. فأمّا البُصراءَ فيستبينون من عقله عندَ غلبةِ الهوى عليه مايُستبان مِن الأرضِ الطَّيِّبةِ الموات.

- «واعلموا أنّ في الرَّعيَّة صِنفًا من النّاسِ هم بإساءَة الوالي أفرحُ منهم بإحسانِه، وإن كانَ الوالي لم يَتِرْهُم، وكان الزّمانُ لم يَنكُبهم، وذلك لاستطرافِ حادثاتِ الأخبار، فإنّ استطرافَ الأخبارِ معروفٌ من أخلاق حَشوِ النّاس. ثمّ لاطُرفةَ عندهم فيما اشتَهرَ، فجمعوا في ذلك سرورَ كلِّ عدوٍّ لهم ولِعامّتِهم مع ماوتَروا به أنفسَهم ووُلاتَهم. فلا دواءَ لأولئك إلاّ بالأشغال. وفي الرّعيةِ صِنفٌ وتَروا[١] النّاسَ [120] كلَّهم وهم الّذين قَوُوا على جَفوةِ الوُلاة، ومن قَوِي على جَفوتِهم فهو غيرُ سادٍّ ثَغرًا ولامُناصحٍ[٢] إمامًا، ومن غَشَّ الإمامَ فقد غشَّ العامّةَ وإن ظنَّ أنّه للعامّةِ مناصحٌ، وكان يُقال: لم ينصح عملاً مَن غَشَّ عامِلَه.

«وفي الرّعيّةِ صنف تركوا إتيان الملوكِ من قِبلِ أبوابِهم وأتوهُم من قِبَلِ وُزرائهم. فليَعلمِ المَلكُ منكم أنّ مَن أتاهُ مِن قِبَلِ بابِه فقد آثَرَهُ بنصيحته[٣] إن كانت عنده، ومن أتاه من قِبلِ وُزرائه فهو مُوثِرٌ للوزير على المَلِكِ في جميع مايقول ويفعل.

«وفي الرَّعيّة صنفٌ دَعَوا إلى أنفسهم الجاهَ، بالإباءِ والرّدِّ له، ووجدوا ذلك عند المُغَفَّلين نافقًا[٤]، و ربّما قرّب المَلِكُ الرّجُلَ من أولئك لغير نُبلٍ في رأيٍ، ولا إجزاءٍ[٥] في العمل، ولكنّ الإباءَ والرّدَّ أغرَياهُ به[٦].

- «وفي الرّعيّة صنف أظهروا التّواضعَ، واستشعَروا الكِبرَ. فالرّجلُ منهم يَعِظُ الملوكَ زاريًا عليهم بالموعِظةِ، يَجدُ ذلك أسهلَ طريقَي طعنِه عليهم [121] ويسمّى هو ذلك - وكثيرٌ مِمّن مَعَهُ - تحرّيًا[٧] للدّين. فإن أراد المَلِكُ هَوانَهم لم يعرف لهم ذَنبًا يُهانون عليه[٨]؛ وإن أرادَ إكرامَهم فهي منزلةٌ حَبَوا بها أنفسَهم على رغم الملوكِ، وإن أراد إسكاتَهم كان السَّماعُ في ذلك أنّه استثقلَ ما عندَهم مِن حفظِ الدّين؛ وإن أُمِروا بالكلامِ قالوا [ما يُفسِدُ ولا يُصلح][٩]. فأولئك أعداءُ الدُّول وآفاتُ الملوكِ. فالرّأيُ للملوك تقريبُهم من الدّنيا، فإنّهم إليها أجرَوا[١٠]، وفيها[١١] عَمِلوا، ولَها سَعَوا، وإيّاها أرادُوا. فاذا تَلوَّثُوا[١٢] فيها بَدَت

١) غ: ضروب وتَروا. ٢) غ: بدون «لا». ٣) غ: بنصيحة. ٤) مط: نافعًا. نفقت السّوقُ: قامت وراجت تجارتها. ٥) الإجزاءُ: الكفاية والإغناء. ٦) به: الأصل مطموس، والمثبت من غ. ٧) غ: محرزًا. ٨)وفي غ:به. ٩)الضّبط من غ،وفي الأصل:إنّما تَفسُدُ ولا تَصلحُ. وفي رسائل البلغاء: وإن اطلق لسانه، قال بوعظه بين الملأ ما أفسد حالَ الدولة. ١٠) أجرىٰ إلى الشّيء: قصده. ١١) غ: لها. ١٢) مط: تكونوا.

فضائحُهُم، وإلاّ فإنّ فيما يُحدِثون مايجعل للملوك سُلّمًا إلى سَفكِ دمائهم. وكان بعض الملوكِ يقول: القتل أقلُّ لِلقتل.

ـ «وفى الرَّعيّةِ صِنفٌ أتوا الملوكَ مِن قبلِ النّصائح لهم، والتمسوا صلاحَ منازلِهم بإفسادِ منازلِ النّاس. فأولئكَ أعداءُ النّاسِ وأعداءُ الملوك، ومَن عادى الملوكَ وجميعَ الرَّعيّةِ، فقد عادىٰ نفسَه.

ـ «واعلموا أنَّ الدّهرَ [122] حاملكُم على طبقاتٍ، منهنّ: حالُ السَّخاء حتّى تَدنوَ من السَّرَفِ، ومنهنّ: حالُ التّقتير[١] حتّى تقرُبَ من البُخلِ، ومنهنّ: حالُ الأناةِ، حتّى تصيرَ إلى البلادةِ، ومنهنّ: حالُ المناهَزةِ للفرصة حتى تدنوَ مِنَ الخِفّةِ، ومنهنّ حالُ الطّلاقةِ فى اللّسانِ حتّى تدنوَ من الهَذرِ، ومنهنّ: حال الأخذ بحكمِ الصّمتِ حتّى تدنوَ مِنَ العِيّ. فالمَلِكُ منكم جديرٌ أن يبلغَ من كلّ طبقةٍ فى محاسنها حدّها، فإذا وقَفَ على الحدودِ الّتى ماوراءَها سَرَفٌ، ألجمَ نفسَه عَمّا وراءَها.

ـ «واعلموا أنَّ المَلِكَ منكم ستعرض له شهواتٌ فى غير ساعاتها. والملكُ إذا قَدَّرَ ساعةَ العملِ، وساعةَ الفَراغِ، وساعةَ المطعمِ، وساعةَ المشربِ، وساعةَ الفضيلةِ[٢]، وساعةَ اللّهو، كان جديرًا ألاّ يُعرَفَ منه[٣] الإستقدامُ بالأمور، ولا الاستيخارُ عن ساعاتِها. فإنّ اختلافَ ذلك يُورث مضرَّتين: إحداهما السُّخفُ، وهى أشدُّ الأمرين، [123] والأخرى نَقصُ الجسدِ، بنقص أقواتِه وحركاتِه.

ـ «واعلموا أنّ مِن ملوككم مَن سيقول: لى الفضلُ على مَن كانَ قبلى مِن آبائى وعُمومتى ومَن وَرِثتُ عنه هذا الأمر، لبعض الإحسانِ يكون منه. فاذا قال ذلك، سُوعِدَ[٤] عليه بالمتابَعةِ[٥] له. فليَعلَم ذلك المَلِكُ والمتابِعون[٦]: إنّما[٧] وضعوا أيديهم وألسنتهم فى قَصبِ[٨] آبائه مِنَ الملوكِ وهم لايشعُرونَ. ولَبِالحَرِىّ أن يشعُرَ بعضُ المتابعين له فَيُغمِضَ[٩] على ما لايحزنُه من ذلك.

ـ «واعلموا أنّ ابنَ الملكِ وأخاهُ وعمَّه[١٠] وابنَ عمِّه كلُّهم يقول: كدتُ أن أكُونَ مَلِكًا، وبالحرىّ ألاّ أموتَ حَتّى أكونَ ملكًا، فاذا قال ذلك، قال مالايَسُرُّ المَلِكَ. فإن كتمه، فالدّاءُ

---

١) غ: حال الاقتصاد. قتّر على عياله: بَخِلَ، وضيّق عليهم فى النفقة. ٢) غ: الفضلة. ٣) مط: بدون «منه»
٤) غ: وسوعد. ٥) مط: بالمبايعة. ٦) مط: والمبالغون. ٧) مط: بدون «إنما». ٨) قَصَبَهُ: شَتَمَهُ. ٩) غ: فيُغضى. ١٠) مط: «وابن أخى الملك» بدل «عمّه وابن عمّه».

فى كُلُّ مكتومٍ، وإن أظهرهُ كَلَمَ[١] فى قلبِ الملكِ كَلمًا[٢] يكونُ لِقاحًا للتّبايُنِ والتّعادى. وستجدون[٣] القائلَ ذلك مِن المتابعين والمحتملين[٤] والمتمنّين، ماتمنّى لنفسه مايُريده[٥]، إلاّ[٦] [124] مااشتاق إليه شوقًا. فاذا تَمكّنَ فى صدره الأملُ، لم يَرجُ النَّيلَ له، إلاّ فى اضطرابٍ من الحَبل[٧]، وزَعزعةٍ تدخلُ على المَلكِ وأهلِ المملكة. فاذا تمنّى ذلك فقد جعلَ الفسادَ سُلّمًا إلى الصّلاح، ولم يكن الفساد سُلّمًا إلى صلاحٍ قطُّ. وقد رسمتُ لكم فى ذلك مِثالاً لامَخرجَ لكم منه إلاّ به. اجعلوا أولادَ الملكِ من بنات عُمومَتهِم. ثُمَّ لايصلح من أولاد بناتِ الأعمامِ، إلا كاملٌ غير سخيفِ العقل، ولا عازبُ الرّأى، ولا ناقص الجوارح، ولا معيوب عليه فى الدّين. فإنكم اذا فعلتم ذلك، قلَّ طلاّبُ المُلكِ، وإذا قلَّ طلاّبهُ استراح كلُّ امرئٍ على جديلته، وعرف حالَه[٨]، وغضَّ بصرَه، ورضِىَ بمعيشته واستطاب زمانَه.

- «واعلموا أنّه سيقول قائلٌ من عُرضٍ[٩] رعيّتِكم، أو مِن ذوى قرابتكم: ما لأحدٍ علىَّ فضلٌ و[١٠] لوكان لى مُلكٌ... فإذا قال ذلك فانّه قد تمنّى المُلكَ [125][١١] و هو لايشعُر، ويُوشِكُ أن يَتمنّاهُ بعد ذلك وهو يشعُرُ. فلا يَرى ذلك من رأيه خطَلاً[١٢]، ولامن فعله زَللاً، وإنّما يستخرجُ ذلك فَراغُ القلبِ واللّسان مِمّا يُكلَّف أهلَ الدّين والكُتّابَ والحُسّابَ، أو فَراغُ اليدِ مِمّا يكلّفُ الأساورةَ، أو فراغُ البَدَنِ مِمّا يكلّف التُّجارَ، والمَهَنَةَ، والخَدَمَ. واعلموا أنّ الملكَ ورعيّته جميعًا يحقّ عليهم ألاّ يكونَ لِلفراغِ عندهم موضعٌ، فإنّ التّضييعَ فى فَراغِ المَلِكِ، وفسادَ المملكةِ فى فراغِ الرّعيّة.

- «واعلموا أنّا على فضلِ قُوّتِنا، وإجابةِ الأمورِ إيّانا، وجِدّةِ دولتنا، وشدّةِ بأسِ أنصارِنا، وحسنِ نيّةِ وُزرائنا، لم نستطع إحكامَ تفتيشِ النّاسِ، حتّى بلغنا مِن الرّعيّة مكروهَها، ومن أنفسنا مجهودَها.

- «واعلموا أنّه لابُدَّ من سَخَطٍ سيحدُث منكم على بعض أعوانكم المعروفين بالنّصيحة

---

١) الكَلم: الجرح. ٢) غ: كلّ ما. ٣) فى الأصل: وستجد. غ: وستجدون. ٤) غ: «والمخيّلين له» بدل «المحتملين والمتمنّين». ٥) غ: مايزيده. ٦) فى الأصل ومط: إلى والتصحيح من غ. ٧) الحَبلُ: العَهد والذّمة. ٨) غ: «واقتصر على مايليه، واستكثر كلّ امرئٍ حاله» بدل «على جديلته وعرف حاله». الجديلة: الطّريقة، والشاكلة. ٩) هو من عُرض الناس: من العامّة. ١٠) غ: بدون «و». ١١) حصل تقديمٌ وتأخيرٌ بين صفحتى 125 و 126 من مصوّرة ليدن، فصحّحناه. ١٢) الخَطَل: الحمق. المنطق المضطرب الفاسد. الكلام الكثير الفاسد. الطول والاضطراب يكون فى الانسان والرمح والفرس.

لكم، ولابُدَّ مِن رضىً سيحدثُ لكم مِن بعضِ أعدائكم المعروفينَ بالغِشِّ لكم، فلا تُحدثوا، عندما يكون من ذلك، إنقباضًا عن المعروفِ [126] بالنصيحة، ولا استرسالاً إلى المعروفِ بالغِشّ.

ـ «قد خلَّفتُ لكم رأيى، إذ لم أستطع تخليفَ بَدَنى، وقد حَبوتُكم بما حَبَوتُ به نفسى وقضيتُ حقّكَم فيما آسَيتُكم به مِن رأيى. فاقضُوا حقّى بالتّشفيع لى فى صلاح أنفسكم والتّمسّكِ بِعَهدى إليكم. فإنّى قد عَهِدتُ إليكم عَهدى، وفيه صلاحُ جميعِ مُلوكِكُم وعامّتِكم وخاصّتِكم. ولَن تَضِيعُوا ما احتفظتُم بِما رسمتُ لكم مالم تَصنَعُوا[١] غيرَه. فإذا تمسّكتم به، كان علامةً فى بقائكم مابَقِىَ الدّهرُ.

ـ «ولولا اليقينُ بالبوار النّازل على رأس الألف من السّنين[٢]، لَظننتُ أنّى قد خلّفتُ فيكم ما إن تمسّكتم به، كان علامةً فى بقائكم ما بقى الدّهرُ. ولكنّ القضاء إذا جاءت أيّامُه، أطعتم أهواءَكم، واستثقلتم وُلاتَكم، وامِنتُم، وتنقّلتم عن مراتبكم وعصيتُم خِيارَكم [وأطعتم شِرارَكم][٣]، وكانَ أصغرُ ماتُخطِئون فيه سُلّمًا إلى أكبر منه حتى تَفتُقُوا مارتَقنا، [وتُوهُوا ما وثّقنا][٤]، وتُضيّعُوا ماحَفِظنا. والحقُ[٥] علينا وعليكم [127] ألاّ نكونَ[٦] للبوار أغراضًا، وفى الشُّؤم أعلامًا. فإنّ الدّهرَ إذا أتى بالّذى تنتظرون، إكتفى بوحدته[٧]. ونحن ندعو اللهَ لكم بنماءِ المنزلةِ، وبقاء الدّولةِ، دعوةً لايُفنيها فناءُ قائلِها حتّى المنقَلبِ[٨]، ونسألُ اللهَ الّذى عجّل بنا وخلّفكم، أن يَرعاكُم رِعايةً يَرغى بها ما تَحتَ أيديكم [وأن يَرفعَكم رِفعةً يَضعُ بها مَن عاداكم][٩]، و يُكرِمَكُم كَرامةً يُهينُ بها من ناوَأكم. ونستودعكم اللهَ وديعةً يكفيكُم بها الدّهرَ الّذى يُسلِمكم إلى[١٠] زِيالِه[١١] وغِيَره [وعثراته][١٢] وعداوتِه، والسّلام على أهلِ المُوافَقةِ مِمّن يأتى عليهِ العهدُ[١٣] من الأُمَمِ الكائنةِ بَعدى[١٤].»

ثُمّ انتهى المُلكُ إلى سابوربن اردشير[١٥]

فمن وجوه المكائد الغريبه[١٦] ماتمّ على رجلٍ من الجرامقة[١٧] يقال له: السّاطرون، وهو الّذى

---

١) مط: مالم تضعوا. ٢) غ: الف سنة. ٣) زيادة من غ. ٤) زيادةٌ من غ. ٥) غ: ويحقّ. ٦) نكون: من غ. وفى الأصل ألاّ تكونوا. ٧) غ: حدّته (بالتشديد). ٨) المنقلب: المعاد. ٩) زيادة من غ. ١٠) من مط. وما فى الأصل: إلاّ. ١١) غ: زواله. الزيال: الفراق. ١٢) زيادة من غ. ١٣) غ: هذا العهد. ١٤) غ: بعدى إلى يوم القيامة. ١٥) انظر الطّبرى ٢: ٨٢٣. ١٦) فى الأصل ومط: «القريبة». ١٧) جمع مفرده: الجرمقانى: قوم من العجم هبطوا الموصل أوائل الإسلام.

تُسميّه العرب: «الضَيزنَ»، وكان ينزل بجبالِ تكريتَ بين دجلةَ والفرات فى مدينةٍ يقالُ لها: الحَضرُ[١]. وزعم هشام بن الكلبى أنّه من العرب من قُضاعةَ وأنّه ملَكَ أرضَ الجـزيرةِ، وكان معهُ من قبائلِ قُضاعةَ [128] مالا يُحصىٰ، وبلغ مُلكُه الشامَ.

ثُمَّ إنّه تطرَّف[٢] بعضَ السّواد فى غيبةٍ لسابور إلى ناحيةِ خراسان. فلمّا قدِمَ من غيبته، شَخَصَ إليهِ حتّى أناخ على حصنه، وتحصّنَ الضَيزنُ، كما قال الأعشى ميمونُ بنُ قيسٍ، سنتين، لايَقدِر سابورُ على الوصولِ إليه، وهو قوله:

أَ لَم تَرَ لِلحَضرِ إِذ أَهلُه   بِنُعمَى، وهَل خالدٌ مَن نَعِم
أَقامَ بِه شاهَبورُ الجُنُو   دِ[٣]حولَينِ يضربُ فيه القُدُم[٤]

وكان لِلضَيزنِ هذا ابنةٌ يقال لها: النَّضيرة، عركت[٥] فأخرجت إلى رَبَضِ المدينةِ - وكذلك كان يُفعل بالنِّساءِ إذا عركنَ - وكانت من أجمل نِساءِ زَمانِها، وكان سابورُ أيضًا مِن أجملِ رجالِ زمانِه. فاطّلعت عليه يومًا، فرأته، فَعشِقته، وأرسلت إليه:

- «ماتجعل لى، إن دَلَلتُك على ماتهدم به سُورَ هذه المدينة، وتقتل أبى؟» قال:

- «حُكمكِ، وأرفعُكِ على نسائى، وأخصُّكِ بِنفسى دونَهنّ». فـاحتالت للحـرس حتّى سَقَتهم الخمرَ وصرَّعتهم، وأظهرت علامةَ ذلك لِسابور. فَنَصَبَ السُّور حتّى [تسـوَّرَ][٦] وفتحهـا عَنوةً [129]، وقَتلَ الحرسَ والضَّـيزنَ، وأبادَ قُضـاعةَ الّذين كانوا مع الضَّـيزنِ، فلم يَبقَ منهـم باقٍ يُعرفُ إلى اليوم، وأخربَ سابورُ المدينةَ. وفى ذلك يقول عمروبن إله:

أَ لم يحزُنكَ والأنباءُ تَنمى   بما لاقَت سَراةُ بَنى العَبيدِ
ومصرعُ ضَيزنٍ وبَنى أبيهِ   وأحلاسُ الكتائبِ مِن تَزيدِ[٧]
أتاهُم بالفُيولِ مُجَلَّلاتٍ   وبالأبطالِ سابُورُ الجُنُودِ
فهدَّمَ مِن أَواسى الحِصنِ صَخرًا   كأنّ ثِفالَه زُبَرُ الحَديدِ

واحتمل سابورُ النضيرةَ بنتَ الضَيزنِ، فاعرسَ بها بعين التَّمر. فذُكر أنّها لم تَنَم، وتضوَّرت[٨]

١) الحَضر: باليونانيّة: حترا (= هترا): شيّدها الفرتيّون على بعد أربعة كيلومترات من وادى الثّرثار بين دجلة والفرات فى القرن الأوّل، كانت حصنًا دفاعيًا لهم ضدّ التوسّع الرّومانىّ ومركزًا تجاريًا (لج، مع، ام). ٢) مط: تطرّق. فى الطّبرى: تطرّف السّواد. ٣) والعرب تلقّبهُ: سابور الجنود (المسعودى ١: ١١٣). ٤) فى بعض الأصول: القمم. والأبيات تجدها ستة فى الطبرى (٢: ٨٢٨). ٥) عركت: حاضت. ٦) فى الأصل غموضٌ، وما أثبتناه من مط. تسوّر السّور أو الحائط: صعد عليه. ٧) من تزيد بن حلوان (الطّبرى ٢: ٨٢٩). ٨) تضوّر: تلوّى وصاح من وجع الضّرب والجوع ونحوهما.

لَيلتَها من خشونةِ فُرُشِها وهى من حرير، محشُوّةً بالقزّ. فالتُمس ماكان يُؤْذيها. فـاذا ورقـةُ آس مُلتزِقةٌ بِعُكنةٍ[١] من عُكَنِها قد اثَّرت فيها من لين بَشَرَتِها.

فقال لها سابورُ: «ويَحكِ! بأىِّ شىءٍ كان يَغذُوكِ أبوكِ؟»

فقالت: «بالزُّبدِ، والمخّ، وشَهدِ الأبكار مِن النَّحلِ، وصَفوِ الخَمرِ.»

قال: «وأبيكِ لأَنَا احدثُ عهدًا بكِ وأوتَرُ[٢] لكِ مِن أبيكِ الذى غذّاكِ بما تذكرين.»

فأمر رجلاً، فركب فرسًا جموحًا، ثمّ عَصبَ غدائـرَها بِذَنَبِه، ثمّ اسـتركضَها، فقـطّعها قِـطَعًا.

[130] وقد اكثر الشُعراءُ فى ذكر الضَّيزنِ هذا، وإيّاه عَنى عدىُّ بنُ زيدٍ بقوله:

وأخو الحَضرِ[٣]، إذبناه وإذ دِجـ ـلةَ تُجبىٰ إليه، والخابورُ
شادَهُ مَرمَراً، وجلّلَهُ كِلـ ـسًا، فلِلطَّيرِ فى ذُراه وُكورُ
لم يَهَبهُ رَيبُ المَنونِ فَبادَ الـ ـمُلكُ عَنهُ، فبابُه مهجورُ[٤]

[توالى ستّة مُلوكٍ]

ومضت أيّامُ سابورَ، وهى ثلاثونَ سنةً، حميدةً. وفـى أيّامه ظهـر مانى الزّنديق[٥]، وكذلك أيّامُ إبنه هرمزَ الملقّبِ بالبطلِ والجرىءِ. وكان عظيمَ الخَلقِ جَريئًا. له حكـاياتٌ عظيمةٌ جـدًّا، وكَوَّرَ مدينةَ «رامهُرمُز» وملكَ سنةً. ثُمّ مضـت أيّامُ ابنه بهـرامَ بنِ هرمزَ كذلك، وقتل مانى وسلَخَهُ. ومضت أيّامُ ابنه بهرامَ بنِ بهرامَ، ثم [أيّام][٦] ابنه بهرامَ بنِ بهرامَ بنِ بهرامَ، ثُمّ [أيّامُ][٧] نَرسـى بنِ بهرامَ أخى[٨] بهرامَ الثّالثِ، ثُمّ أيّام هرمزَ بنِ نَرسى، وكان فَظًّا، إلاّ أنّه رَفِـقَ بالرّعيّة، وسـار بأعدلِ سيرةٍ فيهم، وحرص على العِمارة وانتعاش الضُعَفاء، ثُمّ هلك وببعضِ نسائه حَبَلٌ. فبعضُ النّاس يزعم أنّه وصّىٰ بالمُلك لِذلك الحملِ فـى بطنِ أمّه، وبعضـهم زعم أنّ النّاسَ لمّا شـقّ عليهم موتُ هرمزَ، سألوا عن نِسائه. فلمّا عرفوا [131] أنّ ببعضِهنّ حَبَلاً، عقدوا التّاجَ عليه فـى بَطنِ أمّه. ثمّ وُلِدَ:

١) العكنة: ما انطوى وتثنّىٰ من لحم البطن. ٢) الطبرى: أوثر، آثر. ٣) مط: الحصن. ٤) تجد الأبيات فـى الطّبرى ٢: ٨٣٠؛ وفـى الوفيات ٧: ٢٤٥؛ وفـى ديوان عدىّ: ٨٤. ٥) الزنديق: المخـالف لأوامر زند و پازند (بق). بالفهلويّة: Zandik. فى المانويّة: فاسد العقيدة. فى الأفستائيّة: قـاطع الطريق، السـاحر، ناقض العهـد، الخـادع. وفى العربيّة: المرتدّ، الدّهرى، مَن لادين له (حـب). ٦ و ٧) ما فـى [ ] تكملةٌ منّا. وتجـد أخبار هؤلاء الملوك فـى الطبرى ٢: ٨٣١ - ٨٣٦. ٨) فى الأصل أخو بهرام.

سابورُ المقلَّبُ بذى الأكتاف[١]

وهو سابورُ بنُ هرمزَ بنِ نَرسى بنِ بهرامَ بنِ بهـرامَ بن هرمز بن سـابور بن أردشـير. فكتب إليه النّاسُ الكتبَ من الآفـاق، ووجَّـه البُرُدَ إلى الأطـراف، وقلّدَ الوزراءَ والكُتّابَ، والعُمّالَ الأعمالَ الّتى كانوا يعملونها فى مُلك أبيه.

فممّا حدث فى أيّامه: أنّ خَبَرَهُ لمّا فشا وشاع، وَعلمَ أصحابُ الأطراف أنّ مَلِكَ الفُرسِ صـبىٌّ يُدبَّرُ، ولايُدرىٰ مايكونُ مِنه، طمع فيهم وفى مملكتهم الرّومُ، والتُّرك، والعربُ. وكانت أدنى بلادِ الأعداءِ إلى فارس بلاد العرب، وكانوا من أحـوج الأمم إلى تَناولِ شـىءٍ من المعـايش، لسـوءِ حالهم وشَظَفِ عيشهم. فسار جمعٌ عظيمٌ منهم فـى البحـر، من ناحية بلاد عبدالقيس والبحـرين وكاظمة[٢]، حتّى أناخوا براشهر[٣] وسواحل أردشير خُرّه، وأسياف[٤] فـارس، وغلبوا أهلَهـا على [132] مواشيهم وحُـروثهم ومَعَـايشهم، وأكثروا الفسـادَ فـى تلك البلادِ، ومكثوا بذلك حينًا لايغزوهم أحدٌ من الفرس لِقلّةِ الهيبةِ، وانتشارِ الأمر، وكثرةِ المدبِّرين، ولأنّ المَلِكَ طفـلٌ، حتّى ترعرع سابورُ، وجعـلَ الوزراء يَعـرِضون عليه أمرَ الجنود الّتى فـى الثغـور، ووردتِ الأخبارُ بأنّ أكثرهم قـد أحـلّ. وعظّموا عليه الأمرَ بعـدَ الأمر. وكان ممّا عُرضَ عليه، أمرُ الجنودِ الّتى فـى الثّغور، ومَن كان منهم بإزاءِ الأعداء، وأنّ الأخبارَ وردت بإحـلالِ أكثرهم. وهوّلوا عليه الخَـطبَ فى ذلك.

فقال لهم سابور: «لايكبرنّ عليكم هذا فإنّ الحيلةَ فيه يسيرة»،

وأمر بالكِتابِ إلى أولئك الجنود بأنّه:

- «إنتهى إلىّ طولُ مكثكم فـى النّواحـى الّتى أنتم فيهـا، وعِظَمُ غناءِكم عن إخـوانكم وأوليائكم، فمن أحبَّ منهم الانصـراف إلى اهله، فَلينصـرف مأذونًا له فـى ذلك، ومن أحبّ أن يستكمل الفضلَ بالصّبر فى موضعه عُرِف له ذلك.»

وتقدّم إلى من اختار الإنصراف، فى لزوم أهله وبلادِه إلى وقتِ [133] الحاجةِ إليه.

فلمّا سمع الوزراءُ ذلك من قوله ورأيه، استحسنوهُ وقالوا: «لوكان هذا قدأطال تجـربةَ الأمور وسياسةَ الجنود، مازاد رأيه على ماسمعنا منه.» ثمّ تتابعت آراؤه فى تقويم أصحابه وقمع أعدائه، حتّى إذا تمّت له ستُّ عشرةَ سنةً، وأطاق حَملَ السّلاح وركوبَ الخيل، واشـتدّ عَظمُه، جَمعَ إليه

١) لقبه: هوبه سُنبا (البيرونى: ١٢١؛ والطبرى ٢: ٨٣٦؛ والمسعودى ١: ٢٧٩). ٢) كاظمة: جوٌ على سيف البحـر فى طريق البحرين من البصرة، بينهـا وبين البصرة مرحلتان (مع). ٣) راشهر (= ريشهر): مدينةٌ إزاءَ بوشهر (لج). ناحيةٌ من كورة أرجان (مع) ٤) الأسياف: جمعٌ مفرده السّيف: ساحل البحر، ساحل الوادى.

رؤساءَ أصحابه وأجناده، ثُمّ قامَ فيهم خطيبًا. فذكر اللهَ عزّوجلّ، وذكر ما أنعم به عليه وعليهم بآبائه، وما أقاموا مِن إربهم، ونَفَوا من أعدائهم، وما اختلّ من أمورهم فى الأيّام الّتى مضت من أيّام صباهُ، وأعلمهم: أنّه يستأنف العَمَلَ فى الذّبِّ عن البيضة، وأنه يُقدِّرُ الشّخوصَ[1] إلى بعض الأعداءِ لمُحاربته، وأنّ عدّةَ من يشخص معه من المقاتله ألفُ رجلٍ. فنهض إليه القوم داعين متشكّرين، وسألوه أن يُقيمَ بموضعه ويوجّه القوّادَ والجنود ليَكفُوهُ ماقدَّر من الشُّخوص فيه. فأبى أن يجيبَهم إلى المقام. فسألوه الازدياد على العدّة الّتى ذكرها، فأبى. ثمّ انتخب ألفَ فارسٍ من صناديد [134] جُندِه وأبطالِهم وأغنيائهم، وتقدّم إليهم فى المُضيّ لأمره، ونهاهُم عن الإبقاءِ على العربِ وعلى من لَقُوا منهم، ووصّاهُم ألاّ يُعرّجوا[2] على مالٍ ولا غنيمةٍ ولا يلتفتوا إليه.

ثمّ سار بهم، حتى أوقع بمن انتجع بلاد فارس من العربِ وهم غارّون[3]. فقتل منهم أبرحَ القتلِ، وأسر أعنفَ الأسر، وهرب بقيّتُهم. ثُمّ قطع البحرَ فى أصحابه فَورَدَ الخَطَّ[4]، واستبرى بلادَ البحرين. فجعل يقتل أهلَها ولايقبل فِداءًا ولايُعرّج على غنيمةٍ. ثمّ مضى على وجهه، فَورَدَ هَجَرَ[5] و بها ناسٌ من تميم وبكربن وائل وعبدالقيس. فسفك فيهم من الدّماءِ سفكًا سالت كسيل المطر، حتّى كانَ الهاربُ منهم يَرىٰ أن لَن يُنجيَه غارٌ ولاجَبَلٌ ولابحرٌ ولا جزيرةٌ. ثُمّ عَطفَ إلى بلادِ عبدالقيس، فأباد أهلَها إلاّ مَن هرب منهم. فلحق بالرّمال، ثُمّ أتى اليَمامَةَ[6]، فقتل بها مثل تلك المقتلهِ. ولم يَمُرّ بماءٍ من مياه العرب إلاّ عوّره[7] ولاجُبٍّ من جِبابِهم إلاّ طَمّهُ. ثُمّ أتى قُربَ المدينةَ، فقتل من وجد هنالك من العرب وأسَر. ثمّ عطفَ نحوَ [135] بلاد بكرٍ وتَغلبَ وفيما بين مملكة فارس ومَناظِرِ الرّوم بأرضِ الشّام. فقتل مَن وجد بها من العرب وسبىٰ وطَمّ مياههم.

ثمّ أسكن قومًا من بنى تغلبَ ومَن سكن منهم البحرين، دارينَ[8] والخَطَّ؛ ومن كان من عبدِالقيس وطوائِف تميمٍ، هَجَرَ؛ ومَن كان مِن بكربن وائلٍ، كَرمانَ؛ ـ وهم الذين يُدعَون بكرَ إياد ـ ومن كان منهم من بنى حنظلةَ، بالرُّمَيلةِ من بلاد الأهواز. وبَنىٰ بالسّواد مدينة بُزُرج سابورُ[9]، وبنى الأنبارَ، وبنىٰ السّوس والكرخَ. وغزا بعدَ ذلك أرضَ الرّوم، فسبى سَبيًا كثيرًا. وبنى

١) يُقدّر الشّخوصَ: ينوى الخروج. ٢) عرّج: مالَ. ٣) مط: غازون. الغارّون: الغافلون. ٤) أرضٌ تنسب إليها الرّماح، وهو خطّ عُمان فى سيف البحرين، والسِّيف كلُّه الخطّ، وفيه: القطيف، والعقير، وقطر (مع).
٥) هَجَر: ناحية البحرين، وقيل: مدينةٌ هى قاعدة البحرين (مع). ٦) اليمامة: بلدٌ كبيرٌ فيه قُرىً وحصونٌ ونخلٌ، وكان اسمها أوّلاً جوّاً (مع). ٧) عوّر: عيونَ المياه: طمّها، دفنها، سدّها، كبسها بالتّراب. ٨) فرضةٌ بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند فينسب إليها (مع). ٩) بُزُرج سابُور: من طساسيج بغداد، حدّه من أعلى العلث من شرقىّ دجلة (مع).

بخراسانَ نيسابورَ. ثُمّ هادن قسطنطينَ[١] مَلِك الرّومِ الّذى بَنى قُسطنطينيّةَ[٢]، وهو أوّلُ من تَنصَّر من ملوكِ الرُّومِ.

ذِكرُ حيلةٍ لِقُسطَنطينَ

كان قسطنطينُ لمّا ملك الرّومَ كبرت سِنُّه، وساء خُلقُه، وظهـر به وَضَـحٌ. فأرادت الرّوم خلعه وكاشفتهُ وقالت:

- «إعتزِلِ المُلكَ، فإنَّ لكَ مِن المالِ مالاتفقدُ معه شيئًا مِمّا أنتَ فيه مِن نِعَمتك.»

فشاور نُصَحاءَهُ [136] فقالوا له:

- «لاطاقةَ لك بالقوم، فقد اجتمعت كلمتُهم على خلعك.»

قال: «فما الحيلة؟»

قالوا: «تحتال بالدّين ـ وكانت النصرانيّةُ قد ظهرت وهى خفيّةٌ ـ وذلك بأن تستأذنَ فـى زيارةِ بيت المَقدِس، وتستمهلَهم مُدّةً ماتَعُودُ. فإذا حَصَلتَ بهـا دخلتَ فـى هذا الدّين النَّصـرانّى تحمل النّاس عليه، فإنّهم يفترقون فرقتين، فتقاتل بمن أطاعك مَن عصاك، وماقاتل قومٌ على دينٍ قطُّ إلاّ غَلبوا.»

ففعل قسطنطين ذلك، فظفر بالرُّوم. فأحرق كُتُبهم وحكمتَهم، وبنى البِيَعَ، وحملَ النّاسَ على النَّصرانيّة، ونقلَهم من الرّوميّةِ وكانت دارَ مملكتهم، وبَنىٰ قُسطَنطينيّةَ ولم يَزلِ المُلكُ محـروسًا بالنَّصرانيّةِ، وغَلبَ على الشّام، إلى أن ظهرَ الاسلام.

ثمّ ملك من الرُّوم ليانوس[٣]

وكان يدين بملةِ اليونانيّةِ القديمةِ[٤] الّتى كانت قبلَ النّصرانيةِ. فلمّا مَلَكَ، اظهـرَ مِلّتَه، واعادها

---

١) Constantinus ٢) قسطنطينيّة = Constantinople = اسطنبول، استانبول (تغيّر هذا الاسم فـى العصـر العثمانى إلى إسلامبول، أى: مدينة الاسلام، وإلى الآستانة)، وهو معرّبٌ من الأصل اليونانىّ: Eis ten bolin أو من اليونانىّ البيزنطى: Estin bolin. أى: إلى المدينة. = بوزنطيا، بوزنطة، بيزنطه، من الأصل اليونانى: Byzantion باللاّتينيّة والانجليزية: Byzantium؛ بالفرنسيّة: Byzance. و يطلق هذا الاسم، من باب تسمية الكلّ بالجزء (العاصمة)، على إمبراطوريّة الرّوم الشّرقيّة. بالفرنسيّة: ,Empire Romain d'Orient أو: Empire Byzantin بالانجليزيّة: ,Eeast Roman Empire أو: Byzantine Empire تأسّست فى الفترة الواقعة بين ٣٣٠ إلى ٣٩٥ م. فى القطاع الشّرقىّ من الامبراطوريّة الرّوميّة الكبرىٰ ودامت حتى عام ١٤٦١ م (لد، فم، .Col. New Age Enc).

٣) ليانوس: Julian، جوليان، يوليان (المفصّل ٢: ٦٤٢). ٤) فى الطبرى بملّة الرّوم القديمة (٢: ٨٤٠).

كهيئَتِها، وأمر بهدم البِيَع، وجمع جموعًا من الرّوم والخزر ومن كان في مملكته من العرب. [137]

[عاقبة سَرَفِ سابُور في القتل]

فكان من عاقبة ذلك السَّرف الّذي أقدم عليه سابور من قتل العرب: أن اجتمع في عسكر لُليانوس مِنَ العربِ مائةٌ وسبعونَ ألفَ مقاتلٍ. فوجَّهَهم مع بَطريقٍ[١] له في مقدّمته. وأقدموا على فارسَ حَنِقِينَ مَوتورينَ. وذلك أنَّ سابور لم يقتصر على الانتقام مِمَّن أذنبَ وتجاوزَ حدَّهُ، حتّى قتلَ البَريءَ، وسفكَ من الدّماءِ مالا يُحصى.

فلمّا انتهى إلى سابُورَ كثرةُ مَن معَ لليانوسَ من الجنودِ، وشِدَّةُ بصائرِهم، وحَنَقُ العربِ، وعددُ الرّومِ والخزرِ، هالَهُ ذلك، ووجَّهَ عُيونًا تأتيهِ بأخبارِهم، ومبلغِ عددِهم، وشَجاعَتِهم، وعُدَّتِهم. فاختلفت عليه أقاويلُ أولئك العيونِ في ما أتَوهُ به من الأخبار عن لليانوسَ وجُندِه. فتنكَّر سابورُ، وسار في ثِقاتِه لِيُعايِنَ عسكرَهم.

[تخلُّصه بحسن الاتّفاق]

فكان[١] ممّا جنى فيه على نفسه وتخلّص منه بحسن الاتّفاق: أنّه لمّا قرب من عسكر البَطريق الّذي كان على المقدّمة وكان اسمه [138] يوسانوس[٢] ومعه العربُ والخزرُ، وجَّه قومًا ليتجسَّسوا الأخبارَ ويأتوهُ بحقائقها. فَنَذِرَت[٣] بهم الرّومُ، فأخذوهم ودفعوهم إلى يوسانوسَ. فأقَرَّ من جملتهم رجلٌ واحدٌ، وأخبر بالقصّةِ على وجهها وبِمكانِ سابور، وسألهُ أن يوجِّهَ معه جُندًا فيدفعَ إليهم سابور. فأرسل يوسانوسُ رجلاً من بِطانته إلى سابور يُعلمه[٤] ما أُلقِيَ إليه من أمره ويُنذِرُه. وإنّما فعل ذلك لِميله إلى النّصرانية الّتي قصدها لليانوس. فارتحل سابور من الموضع الّذي كان فيه وصار إلى عسكره. ثم زحف لُليانوس بمسألة العربِ إيّاه، فقاتل سابورَ وفضَّ جَمعَه، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً، وهربَ سابورُ في من بَقِيَ من جنده، واحتوى لليانوسُ على مدينةِ طيسبونَ محلّةِ سابور، وظَفِر ببيوت أمواله وخزائنه فيها. ثمَّ اجتمع إلى سابور من آفاق بلاده جنودُه، وحاربَ لُليانوس، واستنقذ منه طيسبون، واختلفت الرُسُل بينه وبين لُليانوس.

---

١) بطريق: معرّبٌ أصله اليونانيّ البيزنطيّ: Patrikios، معناه بالروميّة: أميرالجيش، وفي المسيحيّة: القسيس، باللاتينية: patricius (لد، فم). ٢) مط: بوسابوس. وهو Juvian (المفصّل ٢: ٦٤٢). ٣) نَذِرَ به: علمه، فَحَذِرَهُ. ٤) في الأصل و مط: ويُعلمه. فحذفنا الواو، كما يتطلبه السياق.

[سوءُ تحفُّظ لُليانوس]

فكان من سوءِ تحفُّظ لُليانوس فى تلك الحال واسترساله: [139] أن كان يومًا جالسًا فى حُجرةٍ من فُسطاطه، والرُسل تختلفُ بينه وبينَ سابور، فجاءَه سَهمٌ غَربٌ فأصاب مقتلَه من فؤادِه، فسقط ومات، وأسقِطَ[1] فى روع جُنده وهالَهم مانزل به، ويئسوا من التقصّى فى بلاد فارسَ، فصاروا نشرًا لامَلِكَ عليهم. فطلبوا إلى يوسانوس أن يتولّى المُلكَ لهم ليُملّكوهُ عليهم. فأبى ذلك، وألحّوا عليه، فأعلمهم أنّه على مِلّة النَّصرانيةِ، وأنه لايلى قومًا هم له مخالفون فى دينه. فأخبرتهم الرّوم أنّهم على ملّته، وأنّهم كتموها مخافَةَ لُليانوسَ. فأجابهم حينئذٍ، فلمّا ملّكوه[2] أظهروا النَّصرانيةَ.

ثمَّ إنَّ سابور لمّا علم بهلاك لُليانوس، أرسل إلى قُوّاد جُنودِه الرّوم يقول:

ـ «إنَّ اللهَ قد أمكننا منكم، وأدالَنا عليكم، ونرجو أن تَهلكوا ببلادنا جوعًا من غيرِ أن نهزَّ لقتالكم سيفًا، أو نشرعَ له رُمحًا، فسرِّحوا إلينا رئيسًا إن كنتم رأستموه عليكم.»

فعزَم يوسانوس على إتيان سابور لِماكان بينَهُ وبينَهُ، لِما أنذره ومَنَّ عليه. فلم يُتابعه أحدٌ [140] من قُوّادِ جُندِه. فاستبدَّ برأيه، وجاء إلى سابور فى ثمانينَ رجلاً مِن أشرافِ مَن كان فى عسكره وجُندِه، وعليه تاجُهُ. فبلغ سابورَ مَجيئُهُ إليه، فتلقّاه، وتساجدا، فعانقه سابور شكرًا لماكان منه فى أمره، وطَعِم عنده يومئذٍ ونَعِمَ. وإنَّ سابورَ أرسل إلى قُوّاد جند الرّوم وذوى الرئاسة فيهم يُعلمهم: أنّهم لوملّكوا غيرَ يوسانوس، لجرىٰ هلاكُهم فى بلادِ فارسَ، ولكن تمليكهم إيّاه يُنجيهم مِن سطوته. ثُمَّ قوّى أمرَ يوسانوسَ بكلّ جهدٍ، وقال له عند مُنصَرَفِه:

ـ «إنَّ الرُّوم قد شنُّوا الغارة على بلادنا، وقتلوا بشرًا كثيرًا، وقطَعوا بأرض السَّواد من الشَّجر والنَّخلِ ماكان بها، وخَرَّبوا عُمرانَها، فإمّا أن تدفعوا إلينا قيمةَ ما أفسدوا وخرّبوا، وإمّا أن تُعوِّضُونا من ذلك نصيبين وحيِّزها.»

فأجاب يوسانوسُ وأشرافُ جُندِه سابورَ إلى ماسأل من العِوض، ودفعوا إليه نصيبين. فبلغ ذلك أهلها، فجلَوا عنها إلى مُدنِ للرّومِ، خوفًا على أنفسهم من مَلكٍ مخالفٍ مِلّتَهم. فبلغ ذلك سابورَ، فنقل اثنَى عَشَرَ ألفَ [141] أهلِ بيتٍ من أهل إصطخرَ وإصبهانَ وكُورٍ أُخر، من بلادِه إلى نصيبين، فأسكنهم إيّاها. وانصرفَ يوسانوسُ إلى الرّوم وملكها يسيرًا ثم هلك.

وضَرِى سابورُ على قتل العرب، ونزعِ أكتافِ رؤسائهم زمانًا طويلاً، فَسَمَّتهُ العرب

---

١) أسقِطَ فى روعهم: فزعوا، خافوا. ٢) فى الأصل ومط: ملكوا بدون «ه»

«ذالأكتاف». ثم إنَّه استصلح العربَ وأسكنَ من بعضِ تَغلبَ وعبدِ القيسِ وبكرٍ، كرمانَ وتَوَّجَ[١] والأهوازَ. وبنى مدينةَ نيسابورَ ومدائنَ أُخَر بالسِّند وسجستان[٢]، ونقل طبيبًا من الهند، فأسكنه السُّوسَ، فوَرِث طِبَّه أهلُ السُّوس. وهلك سابورُ بعدَ اثنتينِ وسبعينَ سنةً من ملكه.

[أردشير بن هُرمز][٣]

وقام بالمُلك بعد سابور، أخوه أردشير بن هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك. فلمّا استقرَّ به المُلكُ ظَهَر منه شرٌّ، وقَتَلَ [مِن][٤] ذوى الرِّئاسة والعظماء خلقًا كثيرًا، فخلعه النّاس بعد أربعِ سنينَ من مُلكه، وملّكوا:

سابور بن سابورَ ذى الاكتاف

فاستبشرت الرّعيّةُ به وبرجوع مُلكِ أبيه إليه. فأحسن السِّيرةَ ورفق بالرَّعيّة، إلى أن سقط عليه فسطاطٌ كان ضُرِبَ عليه، فمات ومُلِّك بعدَه [142] أخوه:

بهرام بنُ سابورَ ذى الأكتاف

وكان يُلقَّب بِكرمانشاه، لأنَّ سابور ولّاه «كرمانَ»، فمضت أيّامُه محمودةً، وكان جميلَ السِّياسةِ مُحبَّبًا[٥]. ثمّ قام بالملك:

يزدجردُ المعروفُ بالأثيم ابنُ بهرامَ بنِ سابورَ ذِى الأكتافِ[٦]

ومن الفرس من يقول: هو أخو بهرام وهو يزدجردُ بنُ سابورَ ذى الأكتافِ. وكان فظًّا غليظًا ذاعيوبٍ كثيرة، وكان من أشدِّ عيوبه وضعُه ذكاءَ ذهنٍ وحُسنَ أدبٍ كانا فيه، غيرَ موضعِهما. وذلك أنّه كان كثيرَ الرؤية فى الضّارِ[٧] من الأمورِ، واستعمل عِلمَه الّذى أوتيَه، فى الدَّهاءِ والخَتلِ، واستخفَّ بكلِّ علمٍ كان عند النّاس، واحتقر آدابَهم واستطالَ بما عنده، وكان مع ذلك معجَبًا، غَلِقًا، سَيِّءَ الخُلق، ردىءَ الطُّعمه[٨]، حتّى بلغ من شدّة غَلَقِه وحدّته أن يستعظم صغيرَ

١) مط: نوخ. و توّج: مدينةٌ بفارس على شاطئ نهر سابور خربت فى القرن السادس (لج: ٢٨٠). ٢) سجستان = سگستان = سيستان (لج: ٣٨٥). ٣) انظر الطّبرى ٢: ٨٤٦ ٤) مافى [ ] تكملةٌ من مط. ٥) مط: مجيبًا. ٦) انظر الطّبرى ٢: ٨٤٧. ٧) مط: الصغار من الأمور. ٨) ردىء الطُّعمة: ردىء السّيرة فى الأكل.

الزّلّات ولا يرضى فى عقوبتها إلاّ بما لايُستطاعُ أن يبلغ مِثلَها. ثُمّ لم يقدر أحدٌ من بطانته ـ وان كان لطيف المَنزلةِ منه ـ أن يشفع لمن ابتلى به، وان كان ذنب المبتلى [143] به يسيرًا. ولم يكن يأتمن أحدًا على شىءٍ من الأشياء. ولم يكن يُكافئُ على حسن البَلاءِ. وكان يعتدُّ بالخسيس من العُرفِ إذا أولاهُ ويستجزل ذلك. فإن جَسرَ على كلامه أحدٌ فى أمرٍ قال له:

ـ «ماقدرُ جعالتك[١] فى هذا الأمر الّذى كلّمتنا فيه، وما الّذى بُذِلَ لك؟»

وما أشبه ذلك. فلقى النّاس منه عَنَتًا. فلمّا اشتدّت بليّتُه، وكثُرَ إهانتُه للعظماءِ، وحمل على الضُّعفاءِ، وأكثر مِن سَفكِ الدّماء، اجتمعوا وتضرّعوا إلى ربّهم فى تعجيل إنقاذهم منه.

فتزعم الفرس: أنّه كان مطّلعًا من قصره ذات يوم إذ رأى فرسًا عائرًا[٢] لم يُرَ مِثلُه قطُّ فى الخَيل، حُسنَ صورةٍ وتمامَ خَلقٍ، حتّى وقف على بابه، فتعجّب النّاس منه، لأنّه كان متجاوز الأمر[٣]. فأمر يزدجرد أن يُسرَج ويُلجَم ويُدخَل عليه. فحاول ساستُه وأصحابُ مراكبه إلجامَهُ وإسراجَه، فلم يمكّن أحدا منهم من نفسه. فخرج بنفسه إلى الموضع الّذى فيه الفرسُ، فألجمه بيده وأسرجهُ ولبَّبَه[٤] فلم يتحرّك، فلمّا استدار به [144] ورفع ذَنَبَه ليُثفره[٥]، رَمَحَهُ الفَرسُ على فؤاده رَمحةً هلك منها مكانَه. ثم لم يعايَن ذلك الفرسُ. فأكثرت الفُرسُ فى حديثه وظنّتِ الظُّنونَ. وكان أحسنهم مذهبًا مَن قال: «إنّما استجاب الله دعاءَنا».

ثمّ ملك بعد يزدجرد الأثيم ابنه:

بهرام جُور[٦]

وكان أسلمه يزدجرد إلى المنذر بن النّعمان ليربّيهُ فى ظَهر الحيرةِ، لصحّةِ التربةِ والهَواءِ، وليتعلّمَ هناك الفروسيّةَ. وتكفّله النُّعمانُ وعظّم يزدجرد المنذرَ بن النّعمان، وشرّفه، وملّكهُ على العربِ، وسار به المنذرُ، فربّاهُ، واستدعى له الحواضنَ من الفُرسِ والعربِ، ثُمّ أحضرهُ المؤدّبينَ، وحرص بهرام على الأدب.

فتحكَى عنه حكاياتٌ من النّجابة فى صِغَره، فمنها أنّه قال للمنذربن النُّعمان وهو ابنُ خَمسِ سنينَ:

---

١) مط: جمعًا إنك! بدل: جعالتك. ٢) عارَ: ذهب وجاء مترددًا. ٣) فى الطّبرى: متجاوز الحال. ٤) مط: وكتبه! ٥) أثفر الدابّةَ: شدّها بالثَّفر: سَيرٌ فى مؤخّر السّرج يُشَدُّ على عَجُزِ الدّابّة تحتَ ذَنَبِها. ٦) انظر الطّبرى ٢: ٨٤٥.

- «أحضرنى مؤدّبين ليُعلّمونى الكتابة والفقه والرّمى والفروسيّة.»

فقال له المنذر: «إنّك بعدُ صغيرُ السّنّ، ولم يأنِ لكَ ذلك بعدُ.»

فقال له بهرام: «أما تعلمُ أيها الرَّجلُ، أنى من وُلدِ الملوك، وأنّ المُلك [145] صائرٌ إلىّ، وأولىٰ ماكُلّف به الملوكُ وطلبوهُ، صالحُ العلمِ، لأنّه زينٌ لهم وركنٌ، وبه يفوقون؟ أما تعلمُ أنّ كلّ مايُتقدّم فى طلبه يُنالُ وقتَهُ، وما لايتقدّم فيه، بل يُطلبُ فى وقتهِ، يُنالُ فى غيرِ وقتِه، وما يُفرّطُ فيه وَفى طَلبه، يَفوتُ فلايُنال؟ عَجّل علىّ بما سألتُك!»

فوجّه المنذرُ ساعةَ سَمعَ مقالةَ بهرامَ، إلى بابِ الملكِ مَن أتاه برهطٍ مِن المعلّمينَ والفقهاءِ ومُعلّمى الرّمىِ والفروسيّةِ، و جمعَ له حكماءَ الرُّومِ وفارسَ ومحدّثى العرب، فألزمهم إيّاهُ، ووقف أوقاتًا لِكُلِّ قومٍ منهم. فتفرّغَ بهرامُ لِتَعلّمِ كُلّ ماسأَلَ أن يُعلَّمَ، واستمعَ من أهلِ الحكمةِ، ووَعى ماسَمِعَ، وثَقِفَ كلّ ماعُلّم بأيسرِ سَعىٍ، وبلغ أربعَ عشرةَ سنةً وقد فاق معلّميه، واستفادَ كُلّ ما أفيدَ وحَفِظ وفاقَ. ثُمّ حرص على انتخاب الأفراس العربيةِ وركوبها وإحضارها والرّمىِ عليها، فَبَرَع فى ذلك. وتحكى الفُرس عنه حكاياتٍ عظيمةً جدًّا[1].

ثُمّ أعلم المنذر أنه على الإلمام بأبيه، فشخص، [146] وكان أبوه لايحفل بوَلَدٍ له، فاتّخذ بهرامَ للخدمةِ، ولقى بهرام من ذلك عَنَتًا. واتّفقَ أن وَرَدَ على يَزدجردَ وفدٌ مِن قيصر - وفيهم أخو قيصر - فى طلب الصُّلح والهُدنة، فسأله بهرامُ أن يكلّم يزدجردَ فى الإذنِ له فى الانصراف إلى المنذِر. فأذن له أبوه وانصرف إلى بلاد العرب وقد عرَّض بأبيه ورآى، قِلّةَ نفاقٍ[2] أدبِه عليه، ولقى شِدّةً وهوانًا. فاقبل على التّنعّم والتّلذّذِ، إلى أن هلكَ أبوهُ يزدجردُ وبهرامُ غائبٌ.

فتعاقد قومٌ من العظماء ألاّ يُملّكوا أحدًا من نسلِ يزدجرد، وأظهروا: أنّ وُلدَ يزدجردَ لايحتملون المُلكَ، وليس فيهم نجيبٌ غير بهرام، وبهرامُ لم يتأدّب بأدبِ الفُرس، وإنّما أدبُه أدبُ العربِ، وأخلاقُه أخلاقُهم، لِنَشئه فى ما بينهم وبين أظهُرهم، واجتمعت كلمةُ العامّةِ معهم على صرفِ المُلك عن بهرامَ إلى رَجُلٍ من عترةِ أردشيرَ بنِ بابك يُقال له:

كِسرىٰ

فملّكوه، وانتهى هلاكُ يزدجرد وماكان مِن تمليكهم كِسرى إلى بهرام. [147] فدعا بالمنذرِ

---

١) انظر الطَّبرى ٢: ٨٥٦ والثعالبى: ٥٣٩ وابن الأثير ١: ٤٠١.

٢) كذا فى مط والأصل: «قلّة نفاق». والظاهر أنّ إحدى الكلمتين زائدة لأنّ النفاق بمعنى النفاد، والفناء، والقلّة.

وبالنّعمان ابنه وناسٍ من عليةِ العربِ. فذكّرهم إحسانَ والدِه إليهم وإنعامَه عليهم مع فظاظته وشدّته على الفُرس، واخبرهم بموتِ والدِه وماكان من الفُرس من تمليك غيره، ومنّاهُم من نفسه ووَعدَهُم بما أنِسوا به. فقال المنذر:

ـ «لايَهُولنّكَ ذلك حتّى ألطُفَ لِلحيلة.»

ثمّ إنّ المنذر جهّز عشرة آلافٍ من فرسان العرب مع ابنه إلى طيسبون و بهاردشير[1] مَدينتَى المُلكِ، وأمرهُ أن يُعسكر قريبًا منهما، وأن يُغيرَ على ما والاهُما، وإن تحرّكَ أحدٌ لقتاله قاتله. وأذِنَ لهُ فى الأسرِ والسَّبى، ونهاهُ عن القتلِ.

فسار النُّعمان حتّى نزل قريبًا من المدينتين، ووجّه طلائعهُ إليهما واستعظم قتالَ الفُرس. فاجتمع رأىُ العظماء وأهلِ البيوتات على إنفاذ حُواى[2] على تأدية رسالةٍ ـ وحواى هذا صاحبُ رسائلِ يَزدجردَ ـ إلى المنذر ويستكفونَهُ أمرَ النُّعمانِ ابنهِ، ويُخوّفونه مِن عُقبىٰ جنايته عليه.

فلمّا ورد حواى على المنذر قال له: «إلقَ الملكَ بهرامَ.» [148]

ووجّه معه مَن يُوصله إليه. فلمّا دخل عليه راعه منظر بهرام وما رأى من وَسامَتِه. فكلّمه بهرامُ ووعدَهُ ومنّاهُ و ردّهُ إلى المنذر، ورسمَ له أن يُجيب عمّا كُتبَ إليه.

فقال المنذر لحواى: «قد تدبّرتُ ماجئتَنى به، وقرأتُ الكتابَ ولستُ صاحبَ النُّعمان، وإنّما صاحبُه الملكُ بهرام، وهو الّذى وجّهه إلى ناحيتكم، ورسم له ماهو لامحالةَ متمثّلُه، لأنّ المُلكَ صار له بعدَ أبيه، ولا حظَّ لغيره فيه.»

فلمّا سمع حواى مقالَتَه، وتذكّر ماعاينَ مِن بهاءِ بهرامَ ورُوائه[3] وحُسنِ كلامِه، علِمَ أنّ جميعَ مَن يشاورُ فى صرفِ المُلكِ عنه مخصومٌ[4] محجوجٌ. فقال للمنذر:

ـ «انّى لست محيرًا[5] جوابًا، ولكن سر ـ إن رأيتَ ـ إلى محلّةِ الملوكِ فيجتمع إليك مَن بها من العظماءِ وأهلِ البيوتات، وَآتِ فى الأمر مايَجمُلُ، فإنّهم لَن يُخالفوكَ فى شىءٍ مِمّا تُشير به.»

فردّ المنذرُ حواى، واستعدّ، وسارَ بعدَه بيومٍ مع بَهرامَ فى ثلاثين ألفَ رجلٍ من فرسانِ العربِ [149] وذوى البأسِ والنجدةِ منهم إلى مدينتَى الملك. فلمّا وَرَدَهما، جمع النّاسَ وجلسَ

---

١) مهملة النقط فى الأصل وأعجمناها كما فى مط والطّبرى. أصلها: ويه أرتخشر. صور التعريب: بهرسير، بردسير، بردشير، گواشير، جواسير، جواشير. و بهادرشير هى كرمان (لج: ٣٢٥). ٢) حوابى، فى الطّبرى: جوانى، جوابى، حوانى (٢:٨٥٩). ٣) الرُّواء: حسن المنظر. ٤) المخصوم: المغلوب فى الخصومة؛ والمحجوج: المغلوب فى الحجّة. ٥) أحار الجواب: ردّهُ، ومنه: لم يُحر جوابًا.

على منبرٍ مِن ذهبٍ مكلَّلٍ بالجوهر، وجلس المنذرُ عَن يمينِه، وتكلَّم عظماءُ الفرس، وفَرَشُوا[١] للمنذر بكلامِهم فَظاظةَ يزدجردَ كانت[٢] وسوءَ سيرتِه[٣]، وأنَّه أخرب الأرضَ وأكثر القتلَ ظلمًا حتى قلّ الناس. وذكروا أمورًا فظيعةً، وذكروا أنّهم إنّما تعاقدوا على صرف الملك عن وُلد يَزدجرد لذلك. وسألوا المنذرَ ألاّ يُجبِرَهم فى أمر المُلكِ على مايكرهونه.

فقال المنذر لبهرام: «أنت أولى بإجابة القوم.»

فقال بهرامُ: «إنّى لستُ أكذِّبكم فى شىءٍ ممّا نسبتم إلى يَزدجردَ لِما استقرّ عندى من ذلك. ولقد كنتُ مُنكرًا سوءَ هَديِه متنكّبًا طريقتَه، ولم أزل أسألُ اللهَ أن يُفضِىَ بالمُلك إلىَّ فأُصلحَ كُلَّ ما أفسدَ، وأرأبَ ماصَدَعَ، وسأُعيدُ الأمورَ بمشيئة الله إلى أتمّ ماكانت عليه فى وقتٍ من الأوقات انتظامًا، وأعمرُ البلادَ، وأرفقُ الرّعيّة، [150] و أوسعُ لهم، وأوطّئُ جانبى[٤]، وأدِرُّ أرزاقَ الجُنودِ وأهلِ الطّاعةِ، وأسُدُّ الثّغور، وأنفى أهلَ الفسادِ. فإن أتت لِمُلكى سنةٌ ولم أفِ لكم بهذِه الأمورِ الّتى عددتُ عليكم، تبرّأتُ من المُلك طائعًا، وأُشهدُ اللهَ بذلك وملائكتَه ومُوبَذان مُوبَذ.»

فسمع أكثرُ النّاس ورَضُوا، وتكلّمت طائفةٌ كان رأيُها مع كسرى.

فقال بهرام: «فإنّى على ماضَمِنتُه لَكُم، واستيجابى[٥] لِلمُلكِ، وأنّه حقٌ لى. قدرضيتُ أن يوضع التّاجُ والزّينةُ بين أسدينِ مُشبلينِ، فَمَن تناولَهُ فهو المَلِك.»

[بهرام يتناولُ التّاجَ والزّينة من بين أسدين مُشبلين]

فلمّا سمع القوم هذه المقالةَ، مع ما وعد من نفسه، سكنوا، وأظهروا الاستبشار والرضايةَ، وقالوا:

ـ «إنّا إن تمّمنا صرفَ الملك عن بهرام، لم نأمن هلاكَ الفُرس على يده بمن يرىٰ رأيَه ولكثرة من استجاش من العرب. وقد عَرضَ علينا ما لم يَدعُهُ إليه أحدٌ، لولا ثقتُهُ ببطشه وجُرأتِه. فإن لم يكن على ماوصف به نفسَه، فليس الرأىُ إلاّ تسليمَ المُلكِ إليه والسّمع والطّاعة، [151] وإن يهلك ضعفًا وعجزًا فنحن بُرءاءُ منه، آمنون لِشرّه وغائلته.»

فتفرّقوا على هذا الرّأى، وجلس بهرام من الغد فى مثل مجلسه بالأمسِ، وحضر من كان

---

١) فرشوا: بسطوا: شرحوا. ٢) كذا فى مط والطّبرى. ٣) ابن الأثير: فذكروا فظاظة يزدجرد أبى بهرام وسوءَ سيرته (١: ٣ ٤٠٣). ٤) مط: بدون «جانبى». وطَّأ جانبَه: كان سهلَ الأخلاق، كريمًا، مضيافًا. ٥) كذا فى مط. وما فى الأصل غير واضح.

يُحاذُه فقال:

- «إمّا أن تجيبونى عمّا تكلّمت به أمس، وإمّا أن تسكتوا باخعين لى بالطّاعة.»

فقال القوم: «قد رضينا بحكمك، وأن يُوضَعَ التاجُ والزّينةُ بين الأسدين كماذكرتَ بحيثُ رسمتَ، وتُنازعاهُما أنتَ وكسرى.»

فأُتِىَ بالتّاجِ والزّينة، وتولّى مُوبَذان مُوبَذ الّذى كانَ يعقد التّاجِ على رأسِ كلّ ملكٍ يَملِك، فوضعهما ناحيةً، وجاء إصبهبذُ مع ثقاتِ القوم بأسدين ضاريين مُجوَّعين مُشبِلَين. فوقف أحدهما عن جانبِ الموضعِ الّذى وُضع فيه التّاجُ والزّينةُ، والآخر بحذائه، وأُرخِىَ وثاقُهما.

ثم قال بهرام لكسرى: «دونَكَ التاجَ والزّينةَ!»

فقال كسرى: «أنت أولى بالبدءِ مِنّى، لأنّك تطلب المُلكَ بوراثةٍ، وأنا فيه دخيلٌ.»

ولم يَكره بهرامُ قولَه لِثقتِه بنفسه، وحمل جُرزًا وتوجّه نحو التّاج والزّينة.

فقال له مُوبَذان مُوبَذ: «إستماتتك فى هذا الأمر الّذى تُقدم عليه [152] هو تطوّعٌ منك، لا عن رأيى، ولا عَن رأى أحدٍ من الفُرسِ، ونحن بُرءاءُ إلى اللهِ من إتلافِك نفسَك.»

فقال بهرام: «نعم، أنتم بُرَءاءُ، ولاوزرَ عليكم.»

ثمّ أسرع نحو الأسدين. فلمّا رأى مُوبَذان مُوبَذ جِدّه، هتف به وقال:

- «بح بذنوبكَ وتُب منها، ثمّ أقدِم إن كنتَ لا محالةَ مُقدمًا.»

فباح بهرام بما سلف مِن ذنوبه، ثُمّ مَشىٰ نحو الأسدين، فَبَدَرَ أحدُهما، فلمّا دَنا من بهرام، وثب وثبةً، فإذا هو على ظهر الأسدِ، وعَصَرَ جَنبَى الأسدِ بفَخِذَيهِ حتّى أثخنه[1]، فجعل يضرب على رأسه بالجُرزِ، ثمّ قرب من الأسد الآخر. فلمّا تمكّن منه قبض على أُذُنيه وعَرَكَهُما[2] بكلتى يديه، ولم يزل يضرب رأسَه برأسِ الأسدِ الّذى كان ركِبَ ظَهرَه، حتّى دَمَغهما، ثُمّ قتلَهما ضربًا على رأسهما بالجرز، وذلك كُلّه بمشهدٍ من جميع مَن حَضَر ذلك الموضعَ وبمرأى من كسرى.

فتناولَ بهرامُ التّاجَ والزّينةَ، وكان كسرى أوّل مَن هتف به وقال:

- «عمّرَك الله بهرام، الّذى يَسمعُ له مَن حولَه ويطيع، ورزقه الله مُلكَ [153] أقاليمِ الأرض السّبعة.»

ثمّ هتف النّاس وجميع من حضر ذلك المجلس، وقالوا:

---

١) أثخنه: تكاثر عليه وغلّبه. ٢) عرك الشىء: حكّه حتى محاهُ.

ـ «أذعَنّا لِلملك بهرام ورضينا به مَلكًا.»

وكثر الدّعاء والضّجيج. ولقى الرُؤساءُ المُنذرَ بعد ذلك وسألوه أن يُكلّم بهرامَ في التَّغمُّدِ لإساءتِهم والصّفحِ عنهم. فسأله المنذرُ وأسعَفَهُ المَلِكُ. ثمّ جلسَ بهرامُ ـ وهو ابن عشرين سنةً ـ سبعةَ أيّامٍ متواليةٍ للجندِ والرّعيّة، يَعِدُهم الخيرَ من نفسه ويحضُّهم على تقوى‌الله وطاعتِه، وغَبَرَ زمانًا يُحسنُ السّيرةَ ويعمرُ البلادَ ويُدِرُّ الأرزاقَ.

ثُمَّ آثرَ اللّهوَ على ذلك، وكثرت خلواتُه بأصحاب الملاهى والجوارى، حتّى كثرت ملامةُ رعيّتِه إيّاهُ على ذلك، وطمع مَن حولَه من الملوك فى استباحة بلاده والغلبةِ على بلادِه.

وكان أوّلُ مَن سبَقَ إلى مُكاثَرَتِه ومُغالبَتِه خاقانَ مَلِكَ التّركِ. فإنّه غزاه فى مائتين وخمسين ألفًا مِن الأتراك. فبلغ الفُرسَ إقبالُ خاقانَ فى هذا الجمع العظيم فهالهم وتعاظَمهم، ودخل إليه من عظمائهم قومٌ من أهل الرّأى [154] فقالوا:

ـ «أيّها الملك، قد أزِفَك[1] من بائقة[2] هذا العدوّ مايَشغَلكَ عمّا أنت فيه من اللّهو والتلذُّذ، فتأهّبْ له، كَى لايلحقَك منه أمرٌ يَلزمك فيه مسبّةٌ وعارٌ.»

فكان بهرام لثقته بنفسه ورأيه، يُجيب القوم: بأنّ اللهَ ربّنا قويٌ ونحنُ أولياؤه، ثُمَّ يُقبل على المُثابَرةِ واللّزوم لِما فيه من اللّهو والصّيد.

حيلةُ بَهرام جُور على خاقان[3]

إلى أن أظهر ذات يوم التّجهزَ إلى آذربيجان لِينسُكَ فى بيتِ نارِها ويتوجّهَ منها إلى إرمينية ويطلبَ الصّيدَ فى آجامها، ويلهوَ فى مسيره، فى سبعةِ رهطٍ مِن العلماءِ وأهلِ البيوتات وثلاثمائةِ رجُلٍ من رابطتِه، ذوى بأسٍ ونَجدةٍ. واستخلف أخًا له يقال له: «نَرسى»، على ماكان يُدبّرُ من مُلكِه. فلم يشكَّ النّاس حين بلغهم مسيرُ بهرام فى مَن سار بهم، واستخلافُه أخاه على ما استخلف، فى أنّ ذلك هربٌ من عَدوّه، وإسلامٌ لِمُلكِه. وتَوامَروا[4] فى إنفاذ وفدٍ إلى خاقان، والإقرارِ له [155] بالخراج، مخافةً منه، لاستباحةِ بِلادِهم، واصطلامِه[5] مقاتلَتَهم ووجوهَهُم، إن هم لم يفعلوا ذلك ويبادروا إليه. فبلغ خاقانَ الّذى أجمع عليه الفُرسُ من الإنقيادِ والخضوعِ. فأمنهم وتودَّعَ وتَرَكَ كثيرًا من الجِدِّ والاستعداد، وآثر جندهُ أيضًا ذلك. وأتى بهرامَ

---

١) أزف: إقترب و دنا، ومنه أزفتِ الآزفة، وازفتِ السّاعة. ٢) البائقة: الشّر. ٣) انظر الطّبرى ٢: ٨٦٣.

٤) توامَروا = تآمروا. ٥) اصطلمه: استأصله. صلمه: قطعه من أصله.

عينٌ له من جهة خاقانَ، فأخبره بحاله، وحالِ جُندِه، وفتورهم عن الجدِّ الّذى كانوا عليه.

فسار بهرام فى العِدّة الّذين كانوا معه، فَبَيّتَ خاقانَ وقتله بيده، وانهزم مَن سلم من القتل منهم، وخلّفوا عسكرهم وأثقالهم. فأمعن بهرامُ فى طلبهم يَقتلُهم، ويحوى الغنائمَ ويَسبى الذّرارىَّ، وانصرف هو وجندُه سالمين، وظَفِرَ بتاج خاقانَ وإكليله، وبَخَعَ له أهلُ البلاد المتاخِمةِ لِما غَلَبَ عليه، بالطّاعةِ. وسألوهُ أن يَحُدَّ لهم حدًّا بينه وبينهم فلا يتعدّوه. ثُمّ بعث قائدًا له إلى ماوراءَ النّهر، فأثخنهُم وأقرّوا له بالعُبوديّةِ وأداءِ الجزيةِ. وانصرف بهرام بالغنائم العظيمةِ والتّاجِ والإكليلِ [156] وما فيهما من الياقوتِ الأحمرِ وسائرِ الجواهر فنحلها[١] بيتَ النّارِ بآذربيجان، ورفع الخراجَ عن النّاس ثلاث سنين، وقسم فى الفقراء مالاً عظيمًا، وفى البيوتاتِ وأهلِ الأحساب عشرينَ ألفَ ألفِ [٢٠,٠٠٠,٠٠٠] درهمٍ، وكتب كتبًا إلى الآفاق يذكر فيها أنّ الخبرَ كان ورد عليه بوُرودِ خاقان بلادَه وأنّه مجّدَالله وتوكّلَ عليه، وسار فى سبعةِ رهطٍ من أهل البيوتات، وثلاثمائة فارسٍ من نُخبةِ رابطتِه على طريقِ آذربيجان، وجبلِ القَبق[٢]، حتّى نفذ إلى برارى خوارزمَ ومفاوزِها، وأبلاه الله أحسنَ بلاءٍ، وذكر فى الكتاب ما وَضَعَهُ عن النّاس من الخراج، وهذا الكتابُ كان بليغًا، والفُرس يحفظونَهُ.

ويُقال: إنّ بهرام تَرَكَ من حقّ بيتِ المال مِن الخراجِ سبعينَ ألفَ ألفِ [٧٠,٠٠٠,٠٠٠] دِرهمٍ بقسطِ تلكَ السَّنَةِ، وكان هذا مقدارَ مابَقِىَ مِنه. ثُمّ [أمر بترك][٣] الخراج ثلاثَ سنين أُخَر.

ثُمّ إنّ بهرام لَمّا انصرف من غَزوه خاقان مظفَّرًا قَصَدَ الهِندَ، فيُحكى له حكاياتٌ عظيمةٌ وأمورٌ كبارٌ تولاّها، وغَلَبَ عليها، وزوّجه [157] مَلِكُ الهند ابنتَهُ ونَحَلَهُ الدَّيبُلَ[٤] ومُكرانَ ومايليها، فضمَّها بهرامُ إلى أرضِ الفُرسِ، وحُمِلَ خراجُها إلى بهرام.

ثُمّ أغزى بهرامُ «مِهرنَرسى» إلى بلاد الرّوم فى أربعين ألفَ مُقاتلٍ، وأمره أن يقصد عظيمَها ويُناظِرَه فى أمر الإتاوه وغيرِها. فتوجّهَ مهرنرسى فى تلك العُدّةِ، ودخل قسطنطينيّة، ومُقامُه مشهورٌ هناك، فهادنَه مَلِكُ الرّوم، وانصرف بجميع ماأرادَ بهرام ـ وكان مهرنرسى هذا من وُلدِ بهمن بن اسفندياذ بن بشتاسف، وربّما خُفّفَ اسمُه، فقيل: «نَرسى»ـ وبلغ مبلغًا، وكُلُّ ذلك بهيبةِ بهرامَ وما تمكّن له فى قلوب الملوكِ وأهلِ الأطرافِ والجُندِ من جَودةِ الرّأى وحسنِ التّدبير والشّجاعةِ ونفاذِ العزيمةِ، وقلّةِ الإتّكال على غيره.

---

١) نَحلَ: أعطى وتبرّعَ. ٢) جبال قفقاز (لد). ٣) كلمةٌ مطموسة فى الأصل، وما أثبتناه من مط.
٤) دَيبُل: كرسىّ ارمينية فى الحكم الاسلامى (لج: ١٩٦). انظر الطبرى ٢: ٨٦٨، وابن الأثير ١: ٤٠٦.

وذُكر أنَّ بهرامَ بعد فراغه مِن أمر خاقانَ وأمرِ ملوكِ الرّومِ والسِّندِ مضى إلى بلادِ السُّودان[١] من ناحيةِ اليمن، فأوقعَ بِهم، وقتل منهم مقتلةً عظيمةً، وسَبىٰ منهم خلقًا، وانصرف إلى مملكته وهلك بعد ذلك فى «ماه»[٢] وذلك أنّه توجّه إليها للصّيد [158] فشدَّ على عَيرٍ وأمعن فى طلبه فارتطم فى ماءٍ فى سَبِخَةٍ[٣] وغرقَ هناك. فسارت والدتُه إلى ذلك الموضعِ بأموالٍ عظيمةٍ، فاقامت قريبةً منها، وأمرت بإنفاقِ تلك الأموالِ على مَن يُخرجُه. فنقلوا طينًا عظيمًا وحَمأةً كثيرةً، وجمعوا مِنهُ إكاما عِظامًا، ولم يَقدِروا على جُثّةِ بهرام. وكان مُلكُه ثلاثًا وعشرين سنةً.

ثم مَلَكَ بعدَه:

يزدجردُبنُ بَهرام جُور

فكان يَسيرُ بسيرةِ أبيه، ولم يزل قامعًا لَعُدوّه رؤوفًا برعيَّته وجنودِه. وكان له ابنان: أحدهما يُسمّى هُرمُزَ، والآخرُ فيروزَ. فغلب هرمز على المُلكِ بعد أبيه يَزدجردَ، وهَرَبَ فيروز منه ولِحقَ ببلاد الهَياطِلة[٤]، وأخبر مَلِكَها بقِصَّتِه وقصةِ أخيه هُرمزَ، وأنّه أولى بالمُلك منه، وسأله أن يُمِدَّه بجيشٍ يقاتل بهم أخاه. فأبى عليه مَلِكَ الهياطلة وقال:

- «سأعلَمُ عِلمه ثمّ أُمِدُّك إن كنت صادقًا.»

فلمّا عَرفَ ملكُ الهياطلة أنّ هرمز مَلِكٌ ظلومٌ غشوم، قال:

- «إنّ الجَورَ لايرضاه اللهُ، ولايَصلحُ عليه المُلكُ، ولاتقوم به سياسةٌ، ولا يَحتَرِفُ[٥] [159] النّاسُ فى مُلكِ المَلِكِ الجائرِ إلاّ بالجور، وفى هذا هلاكُ النّاس وخرابُ الأرضِ.»

فأمدَّ فيروزَ، ودفع إليهِ الطّالقان[٦]. فأقبل فيروز من عندِه بجيشِ طخارستان[٧] وطوائف خراسان[٨]، وسار إلى أخيه هرمزَبنِ يَزدجردَ وهو بالرَّيِّ، وكانت أمُّهما واحدةً، وكانت بالمدائن تدبِّر مايليها مِنَ المُلكِ، فظفِر فيروز بأخيه، فَحَبَسه وأظهرَ العدلَ وحُسنَ السِّيرة، وكان يتديَّن،

١) ما فى الأصل يُشبه «السردان»، وما أثبتناه يؤيّدهُ مط والطّبرى ٢: ٨٧١. ٢) بالفارسية القديمة: Māda. بالفهلويّة: Māy: البلاد، بلاد ماد (ميد)، عراق العجم و آذربيجان، أرض الجبل (حب). ماه البصرة: الدينور. ماه الكوفة: نهاوند (حب، نقلاً عن جماهر البيرونى: ٢٠٥). ٣) السَّبخة: أرضٌ ذات سِباخ، والسَّباخ مايعلو الماءَ من طُحلبٍ ونحوه. ٤) الهياطلة: المنسوبون إلى هيطل وهو معرّب Heptal أو Hefral. وفى بندهش: Hêftalan (انكساريا: ٢١٥). بالفارسية: هيتال (حب). ٥) مط: لايحترق. ٦) الطالقان مدينةٌ على ثلاث منازل من مرو الروذ من جهة بلخ، وكانت مدينةً ذات أهميّة فى القرن الثالث الهجرى (لج: ٤٤٩). ٧) طخارستان: ولاية فى شرقىّ بلخ على الساحل الجنوبى من جيحون تمتدّ إلى بدخشان (لج: ٤٥٣). ٨) مط: خوارسان.

إلاّ أنّه كان مُحارِفًا[١] مشؤومًا على رعيّته، وقَحِطَ النّاسُ فى زمانه سبعَ سِنينَ، فأحسنَ فيها إلى النّاس، وقَسَمَ ما فى بُيوتِ الأموالِ، وكفَّ عن الجِبايةِ، وساسَهم أحسنَ سياسةٍ.

ويُقال: إنّ الأنهار غارت فى مُدّةِ هذه السّبعِ السّنين، وكذلك القُنِيُّ والعيونُ، وقَحِلَتِ[٢] الأشجارُ والغِياضُ[٣]، وتَماوتَتِ الوُحوش والطُيورُ، وجاعتِ الأنعامُ والدّوابُّ، حتى كانت لاتُطيقُ أن تحملَ حمولةً، وعَمَّ أهلَ البلادِ الجَهدُ[٤] والمَجاعة.

[حُسنُ سياسةٍ مِن فيروز]

فبلغ مِن حُسنِ سياسةِ فيروزَ لذلك الأمر [160] أن كتب إلى جميع أهلِ رعيّتِهِ: أنّه لاخَراجَ عليكم ولاجِزيةَ ولاسُخرةَ، وأنّه قد مَلّكَهُم أنفُسَهم وأمَرَهم بالسّعىِ فيما يقوتُهم[٥] ويصلحهم. ثُمّ كتب إليهم فى إخراجِ الهُوى[٦] والطَّعام والمطامير[٧] لِكُلِّ مَن كان يَملِكُ شيئًا من ذلك مِمّا يقوتُ[٨] النّاسَ، والتّأسى فيه، وتَركِ الاستيثارِ به، وأن يكونَ حالُ الفَقرِ والغِنىٰ وأهلِ الشرفِ والضّعةِ فى التّأسى واحدةً، وأخبرهم أنّه إن بَلَغَه أنّ إنسيًّا ماتَ جُوعًا، عاقبَ أهلَ تلك المدينةِ أو القَريةِ أو الموضع الّذى يموت فيه ذلك الإنسىُّ، ونكّلَ بهم أشدَّ النَّكال.

ويقال: إنّه لم يهلك فى تلك اللّزبةِ[٩] والمجاعةِ أحدٌ من رعيّتِهِ إلاّ رجلٌ من رُستاقِ كورةِ أردشير خُرّة.

ثمّ إنّ فيروزَ لمّا حَيِيَت بِلادُهُ، وأغاثه اللهُ بالمطر، وعادت المياهُ، وصَلُحتِ الأشجارُ، واستوسق[١٠] له المُلكُ، أثخن[١١] فى الأعداءِ وقهرهم، وبنى مدنًا: إحداها بالرَّىِّ، والأخرى بين جُرجانَ وصُولٍ[١٢]. والأخرى بناحيةِ آذربيجانَ. ثُمّ سارَ بجنودِهِ نحوَ خراسانَ مُريدًا حربَ أَخشُنْواز[١٣] [161] مَلِكِ الهياطلةِ، لأشياءَ كانت فى نفسه، ولأنّ هؤلاء القوم كانوا يأتون الذُكرانَ ويرتكبون الفواحشَ، فتأوّل بها وسار إليهم. فلمّا بلغ أَخشُنوازَ خَبَرُهُ اشتدّ منه رُعبُه وعَلِم أن لاطاقةَ له بِه.

١) المحارف: المجازى على الخير والشرّ. ٢) قحِلَ: يَبِسَ. ٣) الغيضة: الأجمة. الموضع الّذى يكثر فيه الشجر ويلتفّ. ٤) الجَهد: المشقّه والفقر. ٥) مط: يقويهم. ٦) الهُوى: جمع الهُوّة: الحُفرة، البئر المغطّاة. ٧) المطامير: جمع المطمورة: مكانٌ تحت الأرض قد هُيّئَ لِيُطمَرَ فيه البُرُّ والفُولُ ونحوُه. ٨) مط: يفوت! انظر إلى كاتب مط كيف يعامل مع كلمتين من اصلٍ واحدٍ فيكتبهما: «يقوّيهم» و «يفوت». ٩) اللّزبة: الشدّة، الأزمة. القحط. ١٠) استوسق: انتظم. ١١) أثخن فى الأعداء: بالغ فى قتالهم. ١٢) صُول: معرّب «چول» مدينةٌ فى بلاد الخزر فى نواحى باب الأبواب وهو الدّربند (يا). ١٣) الطبرى: أخشُنواز، خوشنواز (٨٧٥:٢). بالفهلوية: Xshunvāz (فم).

[حِيلَةٌ تمّت لِمَلِكِ الهَياطلةِ على فيروز]

فكان مِمّا تَمَّ له على فيروزَ من الحيلة حتّى قَهَرَهُ وقَتَلَهُ وقَتَلَ عامّةَ مَن كان معه: أنّ رجلاً مِن أصحابِ أخشُنواز، لَمّا علم أنّ مَلِكَهُ قد بَعِلَ[١]، وأنّه قد أشرف على الهلاك هو وأهلُ بِلاده، تنصّحَ اليه وقال:

- «إنّى رجلٌ كبيرُ السّنِ قريبُ الأجَلِ وقد فديتُ الملكَ وأهلَ مملكتِه بنفسى[٢]، فاقطعْ يَدَىَّ ورجلَىَّ وأظهِر فى جسمى وجَنبى آثارَ السِّياط والعقوبات، وألقِنى فى طريقِ فيروزَ، وأحسِن إلى وَلدى وعِيالى بَعدى، فإنّى أكفيكَ أمرَ فيروزَ.»

ففعل ذلك أخشُنواز بذلك الرّجل، وألقاه فى طريق فيروز. فلمّا مرّ به أنكر حالَه ورأى شيئًا فظيعًا. فسأله عَن أمره، فأخبَرَهُ: أنّ أخشُنوازَ فَعَلَ به ذلك، لأنّه قال له: «لاقِوام لك بالمَلِك فيروز وجنودِه»، وأشار عليه بالانقياد [162] له والعُبودة.

فرقّ له فيروز، و رحمهُ، وأمر بحمله معه، فأعلمه على وجه النُّصح، أو فى ما زعم، أنه يَدُلّه على طريقٍ قريبٍ مختصر لم يدخل أحدٌ منه قطُّ إلى أخشُنواز على طريق المفازةِ، وسأله[٣] أن يَشتفىَ له منه. فاغترّ فيروز بذلك منه وأخذ الأقطعُ[٤] بالقوم فى الطريق الّذى ذكره له، فلم يزل يَقطعُ بهم مَفازةً[٥] بعد مَفازةٍ. فلمّا شكوا عَطَشًا أعلمهم أنّهم قد قربوا من الماء ومن قطع المَفازةِ، حتّى بلغ بهم موضعًا عَلِمَ أنّهم لايقدرون فيه على تقدُّمٍ ولاتأخُرٍ، بيَّنَ لهم أمرَهُ.

فقال أصحابُ فيروز لِفيروز:

- «قدكنّا حذّرناك، أيّها المَلِكُ، فلم تحذَر، فأمّا الآنَ فلابُدَّ منَ المُضِىِّ قُدُمًا، فإنّه لاسبيلَ إلى الرُّجوعِ، فلعلّك توافى القومَ على الحالات كُلّها.»

فمضوا لوجوههم وقَتَلَ العطشُ أكثرَهُم، وصار فيروز بمن نجا معه إلى عدوّهم. فلمّا أشرفوا عليهم - وهم بأسوإ حالٍ من الضُرِّ والضَعفِ - دَعَوا أخشُنواز إلى الصُّلح، على أن يُخلّىَ سبيلَهم حتّى ينصرفوا إلى بلادِهم، على أن يَجعلَ له فيروز عَهدَ [163] اللهِ وميثاقَه ألاّ يَغزُوَهم ولايَرومَ أرضَهم ولايبعثَ إليه جُندًا يقاتلونَهم، ويجعلَ بينَ المملكتين حدًّا لايجوزُه. فرضىَ أخشُنواز بذلك، وكتب له كتابًا مختومًا وأشهد له على نفسِه شهودًا، ثُمّ خلّى سبيلَه وانصرفَ. فلمّا صار إلى مملكته حَمَلَهُ الأنَفُ على مُعاوَدَةِ أخشُنوازَ.

---

١) بَعِلَ بامره: دهش وتحيّر. ٢) مط: بنفسه. ٣) وساله...ومن قطع المفازة: سقطت من مط. ٤) الأقطع: المقطوع اليد. ٥) المفازة: الصحراء، المهلكة.

[عاقبةُ غدره]

فكان من عاقبةِ غَدرِه: أنّه غزاه بعد أن نهاه وزراؤه وخاصّتُه عن ذلك، لما فيه من نقض العهد، فلم يقبل منهم و أبىٰ إلاّ ركوبَ رأيِه. وكان فى مَن نهاه عن ذلك رجلٌ يخصُه ويجتبى رأيَهُ يقال له: مربوذ[١] . فلمّا رأىٰ لجاجَتَه، كتب مادار بينهما فى صحيفةٍ، وسألَه الختمَ عليها. ومضى فيروزُ لوجهه نحو بلادِ أخشُنواز. فلمّا بلغ فيروزُ منارةً كان بناها بهرام جور فى ما بين تخوم[٢] بلادِ خراسان وبلادِ التُرك ـ لِئَلاّ يجوزَها التُركُ إلىٰ خراسان، لميثاقٍ كان بين التُرك والفُرس على تَركِ الفريقينِ التَّعدّى لها، وكانَ فيروزُ عاهد [164] أخشُنواز أن لا يجاوِزَها إلى بلاد الهياطلة ـ أمَرَ فيروز فَصُمِدَ[٣] فيها خمسون فيلاً وثلاثمائة رجلٍ، فَجُرَّت أمامَه جرًّا واتّبعها، وزعم أنّه يُريد بذلك الوفاءَ، وتركَ مُجاوَزَةِ ماعَاهَدَ عليه.

فلمّا بلغ أخشُنواز ذلك من فعلِ فيروز، أرسل إليه يقول له: «إنّ الله عَزَّ وجلَّ لايُخادِع ولا يُماكر، فانتَهِ عمّا انتهى عنه أسلافُك، ولاتَقدِم على مالم يُقدِموا عليه». فلم يحفل فيروز لقوله، ولم يكتِرث برسالته، وجعل يستطعم مُحاربَةَ أخشُنواز ويَدعوهُ إليها، وجعل أخشُنوازُ يمتنع من محاربته ويتكرّهها لأنّ جُلَّ محاربةِ التُركِ انّما هو بالخِداع والمكر والمكائد.

ثم إنّ أخشُنواز أمر فَحُفِرَ[٤] خلفَ عسكره خندقُ عرضُه[٥] عشرة أذرعٍ وعُمقُهُ عشرون ذراعًا، وغُمّىَ بِخُشُبٍ ضِعافٍ، وألقى عليه التُّراب. ثُمّ ارتحل فى جُندِه ومضى غيرَ بعيدٍ. فَبَلَغَ فيروزَ رحلةُ أخشُنواز بِجُندِهِ مِن مُعسكرِه، فلم يشكَّ أنّ ذلك هزيمةٌ منهم وأنّه قد انكشف[٦] وهرب. فأمر بضرب الطُبول، وركب فى جنده فى [165] طَلَبِ أخشُنواز وأصحابه وأغذَوا[٧] السَّيرَ. وكان مَسلَكُهم على ذلك الخندق. فلمّا بَلغوهُ اقتحموهُ على عَمايةٍ، فتردّىٰ فيها فيروزُ وعامّةُ جُندِه، وهلكوا من آخرهم[٨]. وعطف أخشُنواز إلى عسكر فيروز واحتوى على كُلِّ شىءٍ فيه، وأسَرَ مُوبَذان موبذَ، وصارت فيروزدُخت بنتُ فيروز فى مَن صار فى يده من نساءِ فيروزَ.

ثُمّ قام بالمُلكِ بعدَ فيروزَ بنِ يزدجردَ ابنُه:

بلاشُ بنُ فيروز بنِ يزدجردَ بنِ بهرام جور[٩]

وكان حَسَنَ السّيرةِ، حريصًا على العِمارة. وبلغَ مِن حُسنِ نَظَره أنّه كان لايبلُغُه أنّ بيتًا خرب

---

١) مط: مرديو. الطبرى: مُزدبوذ، مربود. ٢) جمع التّخم: الحدّ الفاصل بين أرضين. الحدّ. ٣) صُمِدَ: قُصِدَ.
٤) مط: أن يخف! ٥) مط: عهته! ٦) انكشف: انهزم فى الحرب. ٧) مط: اعدوا. اغذّ السّيرَ: اسرع.
٨) أنظر الطّبرى ٢: ٨٧٦. ٩) نفس المصدر ٢: ٨٨٢.

وجلا اهلُه عنه، إلاّ عاقبَ صاحبَ القريةِ الّتى فيها ذلك البيتُ، على تَركِه إنعاشَهم وسدَّ فاقتِهم، حتّى لايُضطَرُّوا إلى الجَلاءِ عن اوطانِهم.

ثم ملك قباذبن فيروز اخو بلاش[1]

وكانَ صارَ إلى خاقانَ يستنصرُهُ على أخيه بلاش ويَذكر انّه احقُّ بالمُلكِ منه. فبقى هناك اربعَ سنين، ثُمَّ جهَّزَهُ خاقان. فلمّا عاد وبلغ نيسابورَ [166] بلغهُ موتُ أخيه بلاش[2]. وكان فى وقتِ اجتيازِه تزوَّج إبنةَ رجلٍ مِن الأساورةِ متنكِّرًا، وواقعها، فحملت بانوشروان[3]. ولمّا عاد فى هذا الوقتِ الّذى ذكرناه، سَألَ عن الجارية، فأُتِىَ بها وبابنِه انوشروانَ. فتبرَّكَ به وبها. ولما بلغ حدودَ فارسَ والأهوازِ بَنى مدينةَ ارجان[4]، وبنى حُلوانَ، وبنى قباذخُرَّه[5]، وعدةَ مُدنٍ أُخَرَ.

[من آرائه الجيِّدة]

فكان من آرائه الجيِّدةِ وعزائمه النّافذة، قبضُه على خالِه «سُوخَرا[6]». وكان سببُ ذلك انّ فيروز لَمّا جرى عليه ماجرى من الهياطلة كان سوخرا يخلفه على مدينةِ المُلكِ بالمدائن. فجمع جموعًا كثيرةً من الفرس، وقصد أخشُنواز مَلِكَ الهياطلةِ وحاربهُ وانتقمَ منه وتحكَّم عليه. وكان وقع فى يده دفاترُ الدّيوان الّذى صحب فيروز. فتقاضىٰ بجميع ماكان فى خزائنِه وخزائن قُوّادِه وأهلِه، وطلب الوجوهَ من الأسارى الّذين بَقوا فى يَدِ أُخشُنواز. ولم يزل يحاربُ أُخشُنواز ويكيده ويبلغ منه [167] مايتحكّم به عليه، حتّى استنقذ من يدِه عامّةَ الفُرس، وأكثرَ ما احتوى عليه من خزائن فيروز.

فكان له اثرٌ حسنٌ عند الفُرسِ وعند ابنَى فيروزَ، اعنى: بلاش وقباذ. فَعظَّموهُ ورفعوا منزلتَه إلى حيثُ ليس بينه وبين المَلِكِ إلاّ مرتبةٌ واحدةٌ. فتولّى سياسةَ الأمر بحُنكةٍ وتجربةٍ، واستوى على الأمر، ومالَ إليه النّاسُ واستخفّوا بِقُباذ، وتهاونوا بِه. فلم يحتمل قباذُ ذلك، وكتب إلى سابور الرّازى[7]ـ الّذى يُقال للبيت الّذى هو منه مهران، وكان اصبهبذَ البلاد ـ فى القدوم عليه فى

١) نفس المصدر ٨٨٣:٢. ٢) مط: بلاس. ٣) بالفهلوية: **Anōshakruvan**. ٤) ارجان: ولاية فى اقصى غربىّ فارس، خرائبها قريبةٌ من بهبهان (لج: ٢٩٠). ٥) قُباذ خرَّة: ولاية فى فارس، ومدنها: كارزين، قير، ابرز (لج: ٢٧٤). ٦) Sukhray من الأصل الافستائى: سوخره، وهو فى الفارسيّة «سُرخ» اى: الأحمر (وب).
٧) مط: بدون «الرازى».

مَن قِبَلَهُ من الجُند، فقدِمَ بهم سابورُ، فواضَعه قتالَ خالِه سوخرا، وأمره فيه بأمره، على لطفٍ وكتمانٍ شديدٍ خَفِيٍّ. فغدا سابورُ على قُباذ، فوجد عندَه سوخرا جالسًا. فَمشىٰ نحو قباذ مجاوزًا له، وتغفّل سوخرا. فلم يَأبَه سوخرا لإرب سابورَ، حتّى القىٰ وَهَقًا كان معه فى عنقِه، ثُمَّ اجتذبه، فأخرجه، وأوثقه ، واستودعه السُّجنَ. فحينَئذٍ ضَربت الفرسُ المثل بأن قالوا: «نَقَصت ريحُ سوخرا، وهَبَّت ريح مِهران». ثم قتل قباذُ سوخرا. فكان هذا رأيًا تَمَّ على سكون، ولم يضطرِب فيه أمرٌ. [168]

[سوء تدبير قباذ عند ظهور مزدك
و زوال مُلكه]

وكان ممّا أساءَ فيه التَّدبيرَ والرّأىَ حتى اجتمعت كلمةُ مُوبَذان مُوبَذ وجماعةُ الفرس على حبسه وإزالةِ مُلكِه عنه، أنّه اتّبع رجلاً يُقالُ له «مَزدَك»، مع أصحابٍ له يُقال لهم: «العَدليّة».

قالوا: «إنَّ الله جعل الأرزاق فى الأرض مبسوطةً ليقسمها عباده بينهم بالتآسى، ولكنَّ الناسَ تظالموا.»

وزعموا: أنّهم يأخذون للفقراءِ من الأغنياءِ ويَرُدُّون من المُكثِرينَ على المُقلّين؛ وأنّه مَن كان عنده فَضلٌ فى المالِ والقوتِ، أو النِّساءِ والأمتعَةِ، فليس هو أولىٰ بِه مِن غيره.

فافترص السَّفِلَة ذلك واغتنموهُ، وكانفوا مزدكَ وأصحابَه حتّى قَوىَ أمرهُم. فكانوا يدخلون على الرَّجل فى داره، فيغلبونَه على مالِه ونسائه، فلايستطيعون الامتناعَ منهم. وقوّاهُم قبولُ المَلِكِ رأيَهم، ودخولُه معهم. فلم يلبثوا إلاّ قليلاً حتّى صار الرَّجلُ لايعرفُ اباه، ولا الأبُ ولَدَه، ولايَملكُ احدٌ شيئًا ممّا يَتَّسعُ به. وصيّروا قباذَ فى مكانٍ لايَصِلُ إليه غيرُهم فيه. فاجمَعَتِ الفرس ـ حين رأوا فسادَ المُلكِ ـ على تَمليكِ اخيه جاماسفَ بنِ فيروزَ.

وقد حُكى ايضًا: انَ المزدكيةَ [169] هم الّذين اجلسوا جاماسفَ ليكونَ الملكُ من قِبَلِهم لامِنَّةَ لغيرهم عليهم، إلاّ انَّ الحكايةَ الأولى اشبهُ بالحقِّ.

ذِكرُ حيلةٍ تَمَّت لأختِ قباذَ حتّى اخرجتهُ من الحَبسِ

ثُمَّ إنَّ اختًا لِقُباذ اتَت الحبسَ الّذى كان فيه قباذ. فحاولتِ الدّخولَ إليه، فمنعها الموكَّل الّذى كانَ ثِقةً عليه، وطمع أن يفضحَها بذلك السَّبب والقى طَمَعَه فيها. فاخبرتهُ أنّها غيرُ مخالفةٍ له فى شىءٍ مِمّا يهواه منها. فاذِن لها حتّى دخلتِ السُّجنَ واقامت عند قباذ يومًا. ثُمَّ امرت فَلُفَّ قباذُ فى

بِساطٍ، وحُمِلَ على عاتقِ غُلامٍ قَوِيٍّ ضابطٍ كان معه فى الحبس. فلمّا مرَّ الغـلامُ بوالى الحبس، سالَهُ عمّا يحمِلُهُ. فافحمَ، فاضطربَ. فلَحِقَتْهُ اختُ قُباذَ فاخبرته انّه فِـراشٌ كانت افترشَـتْهُ فـى عِراكِها[١]، وانّها إنّما خَرَجت لِتَتَطهّرَ وتنصرفَ. فصدَّقَها ولم يَمَسَّ البساطَ، ولم يَدنُ منه استقذارًا له على مذهبهم، وخلّى عن الغُلام الحـامل لِقباذَ. فمضـىٰ به، وخـرجت فـى أثَرِه، وهرَبَ قباذُ، فلَحِقَ بأرضِ [170] الهياطلة، ليستمدَّ مَلِكَها فيحاربَ مَن يُخالِفُه.

فيُقال: إنّه نزل فى مسيره بِـ «أبرَشهر[٢]» على رجـلٍ من عظمائهـا. فتزوّج ابنةً له مُعصِـرًا[٣]، وإنّها امُّ كِسرى أنوشروانَ وإنَّ نِكاحَه لأمِّ أنوشروان فى سـفره هذا. ثُمَّ إنَّ قُباذ رجـع من سـفره هذا بابنه أنوشروان. وغلب أخاه جاماسف بعـد أن ملك أخـوه سـتَّ سِـنينَ. ثم غزا الرُّوم وافتتح آمِدَ[٤] وبنى مُدنًا منها: أرجـانُ وغيرُها، وملّكَ ابنَه كسـرى أنوشـروان واعطاه خـاتَمهُ. وهلك قباذ وكان مُلكُه بِسنى مُلكِ[٥] أخيه ثلاثًا وأربعين سنة.

[سببُ هلاكِ قُباذ]

وكان سبب هلاكه سوءُ رأيه، وفسادُ عقيدته، وضعفُ مُلكـه. وذلك انه لمّا التَقـى الحـارث بن عمرو بنِ حجــرِ الكِندىِّ والنّعمان بن المنذر بن إمرئِ القيس، قتله، وأفلتَ المُنذرُ بن النُّعمان الأكبر، ومَلَكَ الحـارث بن عمرو الكِندى ماكان يملك النّعمان. فبعـث قباذُ بن فيروزَ مَلِكُ فـارِسَ إلى الحـارث بن عمرو الكندىَّ أنّه: «قـد كان بيننا وبين المَلِك الّذى كان قَبلَكَ عهـدٌ وإنّى احـبُّ لِقاءَك». [171] وكان قباذ زنديقًا يُظهِرُ الخيرَ، ويكرهُ سفكَ الدِّماءِ، ويُدارى اعداءَه فـى ما يكـرهُ من سفكِ الدِّماءِ، وكَثُرَتِ الأهواءُ فى زمانِه واستَضعفه النّاسُ.

فخـرج إليه الحـارثُ بنُ عمرو فــى عَدَدٍ وعُدَّةٍ، حتّى التَقَيا بقنطرةِ الفَيُّوم. فأمر قباذُ بطَبَقٍ من تَمرٍ. فنزعَ نَواهُ، وأمرَ بطبقٍ آخَرَ، فَجُعِلَ فيه تَمرٌ بِنَواهُ. ثُمَّ وُضِـعا بين أيديهما، وجُعِـل الّذى فيه النَّوى بين يَدَىِ الحارثِ بن عمرٍو، والّذى لانَوىٰ فيه بين يَدَىِ المَلِكِ قُباذَ. فكان الحـارثُ يأكُلُ التَّمرَ ويُلقِى النَّوىٰ، والملكُ يأكلُ التَّمرَ ولايَحتاجُ إلى إلقاءِ النَّوىٰ.

فقال للحارث: «مالك لاتأكل كما آكلُ؟»

---

١) العِراك: الحيض. ٢) مط: ايرانشهر. وابرشهر اسمٌ لنيسابور فى أوائل الحكم الاسلامى، وكان يُقـال لهـا ايرانشهر أيضًا (لج: ٤٠٩). ٣) اعصرت المراة: ادركت وكأنّها دخلت شبابها فهـى مُعصِرٌ. ٤)آمِد: أكبر مدن ديار بكر على الدّجلة العليا (لج: ٩٣). ٥) الأصل و مط: بملك سنى أخيه. والباء بمعنى مع. أنظر الطبرى ٢:٨٨٨. وابن الأثير ١: ٤١٤.

فقال الحارث: «إنّما ياكُل النّوى إبلُنا وغَنَمُنا.»

وعلم أنّ قباذ يَهزَأبه. ثم افترقا على الصُلح وعلى أن لا يتجاوزَ الحارثُ وأصحابُه الفرات. إلاّ أنّ الحارث استضعفَهُ وطمعَ فيه. فأمر أصحابَهُ أن يعبروا الفراتَ ويُغيروا على قُرى السّوادِ. فأتى قباذ الصّريخُ وهو بالمدائن، فقال: «هذا من تحت كنف ملكهم».

ثمّ أرسلَ إلى الحارث بن عمرو: أنّ لصوصًا من العرب قد أغاروا على السّواد [172] وأنّه يحُب لقاءَه.

فلقيه، فقال قباذ كالعاتب:

- «لقد صَنَعتَ صنيعًا ماصنَعهُ أحدٌ قبلَكَ.»

فَطَمعَ الحارثُ فى لينِ كلامِه فقال:

- «ما علمتُ ولا شعرتُ، ولا أستطيع ضَبطَ لُصوصِ العربِ، وما كُلُّ العربِ تحتَ طاعتى، وما أتمكّنُ منهم إلاّ بالمالِ والجنودِ.»

فقال له قباذ: «فما الّذى تُريد؟»

قال: «أريد أن تُطعِمَنى من السّواد ما أتّخِذُ به سِلاحًا.[1]»

فأمَرَ له بمايلى جانبَ الغربِ من أسفلِ الفرات وهى ستّةُ طَساسيجَ.

فأرسل الحارث بن عمرو الكندى إلى تُبعِ وهو باليمن:

- «إنّى قد طمعتُ فى مُلك الأعاجم، وقد أخذتُ منه ستّةَ طساسيجَ، فاجمعِ الجنود وأقبِل، فإنّه ليس دون مُلكِهم شىءٌ، لأنّ المَلِكَ عليهم لاياكل اللّحمَ، ولا يَستحِلُّ هراقةَ الدّماءِ، وله دينٌ يمنعه من ضَبطِ المُلكِ، فبادِر بُعدّتِك وجُندِك.»

فجمع تُبّعٌ الجنودَ، وسار حتى نَزَلَ الحيرةَ، وقَرُبَ من الفُراتِ، فآذاه البَقُّ، فأمر الحارثَ بنَ عمرو أن يَشُقّ له نهرًا إلى النّجف، ففعل، وهو نهر الحيرة، فنزل عليه، ووجّهَ ابنَ أخيه[2] شمرًا ذاالجَناح [173] إلى قُباذ. فقاتله، فهَزَمَه شمرٌ، حتى لحق بالرّىّ، ثم أدركه بها فقتله.

ذكر ماتمّ لِتُبّعِ وابنِ اخيه شمر وابنه حسّانِ بَعدَ احتوائهم على مملكةِ الفُرسِ

ثمّ إنّ تُبّعًا أمضى شمرًا ذا الجناح إلى خُراسان، ووجّه ابنَه حَسّان إلى السُّغدِ[3] وقال:

---

١) مط: ملاجًا! ٢) مط: ابن أخته. ٣) مط: السفه. الطبرى: الصغد.

ـ «أيُّكما سَبَقَ إلى الصّين فهو عليها.»

وكان كلُّ واحدٍ منهما فى جيشٍ عظيمٍ يُقالُ: إنّهما كانا ستّمائةِ الفٍ وأربعين الفًا. وبعث ابنَ أخيه الآخرَ واسمهُ: «يَعفُر» إلى الرّوم. فأمّا يَعفُر فإنّه سار حتّى أتى قسطنطينية. فأعطَوه الطّاعةَ والإتاوةَ. ثُمَّ مضى إلى روميّةَ فحاصرها. ثُمَّ أصابهم جوعٌ، ووقع فيهم طاعون فَرَقُوا[1]. وعلم الرّوم بذلك، فوثبوا عليهم فلم يُفلِت منهم أحدٌ.

وأمّا شمرٌ ذوالجناح فإنّه سار حتّى انتهى إلى سمرقند، فحصرها، فلم يظفر منها بشىء. فلمّا رأى ذلك، أطاف[2] بالحَرَسِ حتّى أخذ رجلاً من أهلها، فاستمال بقلبه، ثُمَّ سأله عن المدينة ومَلِكِها.

فقال: «أمّا مَلِكُها فأحمقُ النّاسِ ليس له همٌّ إلاّ الشُّربُ والأكلُ والجِماعُ، ولكن له بنتٌ [174] هى الّتى تَقضى أمرَ النّاسِ.»

فمنّاه ووَعَدَهُ حتّى طابت نفسُه. ثُمَّ بعث معه هديّةً إليها وقال:

ـ «أخبِرها أنّى إنّما جئتُ من أرض العرب لِلّذى بلغنى من عَقلِها، لِتُنكِحَنى نفسَها، فأُصيبَ منها غلامًا يملكُ العرَبَ والعَجَم، وأنّى لم أجئْ إلتماسَ المالِ، وأنَّ معى من المال أربعةَ آلافِ تابوتٍ ذهبًا وفِضّةً هاهُنا، وأنا أدفعها إليها وأمضى إلى الصّين، فإن كانت لى الأرض، كانت امرأتى، وإن هلكتُ كان المال لها.»

فلمّا انتهت رسالتُه إليها قالت: «قد أجبتُه. فَليبعث بالمالِ.»

فأرسَلَ إليها بأربعةِ آلافِ تابوتٍ، وفى كُلِّ تابوتٍ رجلان. وكان لسمرقندَ أربعةُ أبوابٍ، على كُلِّ بابٍ منها أربعةُ آلافِ رجلٍ. وجعل شمرٌ العلامةَ بينه وبينهم أن يَضرِبَ لهم بالجُلجُلِ. وتقدَّم فى ذلك إلى رُسُله الّذين وجَّه معهم. فلمّا صاروا فى المدينة ضرب لهم بالجلجل. فخرجوا، فأخذوا بالأبواب ونَهَدَ[3] شمرٌ فى النّاس فدخل المدينةَ، وقتلَ أهلَها وحَوىٰ مافيها[4].

ثُمَّ صار إلى الصّين. فلقى زحوفَ التُّركِ [175] فهزمهم، وانتهى إلى الصّين. فوجد حسّانَ [بن][5] تُبعٍ قدكان سبقه إليها ثلاثَ سنين. فأقاما بها ـ فى بعض الرّوايات ـ حتى ماتا، وكان مُقامهما إحدى وعشرين سنةً. وفى بعض الرّوايات ـ وهو المُجمعُ عليه ـ: أنّ شمرًا وحسّانًا إنصرفا فى الطّريق الّتى كانا أخذا فيه، حتى قَدِما على تُبعٍ بما حازا من الأموال بالصّين وصنوف

---

١) رَقّ: نَحُفَ ولطف. ٢) مط: أطاق. أطاف بالشىء: ألمَّ به، وأحاط به. طرقه ليلاً. ٣) نَهَدَ: نهض ومضى. نهد لِعدوّه: صَمَدَ، وشرع فى قتاله. ٤) انظر الطبرى ٢: ٨٩٠. ٥) زيادة من الطبرى ٢: ٨٩٢.

الجوهر والطِّيب والسَّبى، ثمّ انصرفوا جميعًا إلى بلادهم. وذلك انّه كانت هِمّةُ ملوكِ العربِ الغزوَ والغنيمةَ ولم يطمعوا فى الملك الثّابتِ. وكان احدُهم إذا ملأ يَدَه من الغنائم وارضى جُندَهُ وظَفِروا بما فى نفوسهم، إنكفَأوا إلى بلادهم. وكانت وفاة تُبّعٍ باليمن ولم يَخرج احدٌ من مُلوكِ اليمن بعدَه غازيًا إلى شىء من البلادِ. وكان مُلكُه مائةً وإحدى وعشرين سنةً.

وامّا فى الرّواية الأخرى: فإنّه اقام تُبّعٌ وَ واطأ ابنَ اخيه شمرًا وابنَه حسّانًا ان يملكا الصّين، ويَحمِلا إليه الغنائم، ونَصَبَ بينَه وبينَهم المنارَ. فكان إذا حَدَثَ [176] حَدَثٌ اوقدوا النّارَ، فاتَى الخبرُ فى ليلةٍ. وكان جعل آيةَ مابينَهُ وبينهم [انّه][1]: «إن أنا اوقدتُ نارَين مِن عندى فهو هلاك يَعفُرَ، وإن او قدتُ ثلاثًا فهو هلاكُ تُبّعٍ. وإن كانت مِن عندِهم نارٌ فهو هلاكُ حسّانٍ، وإن كانت نارَين فَهُوَ هلاكُهُما». فمكثوا بذلك. ثمّ إنّه اوقَدَ نارَين فكان هلاك يَعفُرَ، ثمّ اوقد ثلاثًا فكان هلاكُ تُبّعٍ.

وقد ذكر بعض الرُّواة: انّ الّذى سار إلى المشرق من التّبابعة، تُبّعُ الآخرُ وهو: تُبّعُ تبان اسعدُ ابوبكر بن مليكيكرب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار وهو ابوحَسّان.

وقام بالمُلكِ بعدَ قُباذ ابنُه كِسرىٰ انوشِروان

فَاستقبلَ الأمرَ بِجِدٍّ وسياسةٍ وحَزمٍ. وكان جَيِّدَ الرّأى، كثيرَ النظرِ، صائبَ التّدبير، طويلَ الفِكر ثُمّ الاستشارةِ. فجدّدَ سيرةَ اردشير، ونَظَرَ فى عَهدِهِ[2]، واخذ نفسه به، وادّب به رعيّتَهُ وبِطانَتَهُ، وبحث عن سياساتِ الأمم، واستصلحَ لِنفسِه منها مارَضِيَهُ، ونظر فى تدابير[3] اسلافِه المُستحسنةِ [177] فاقتدى بها.

وكان اوّل مابَدَأ به ان ابطَلَ مِلّةَ زرداشت الثّانى الّذى كان من اهل فَسًا، وكان مِمّن دعا إليها مزدكُ بن فامارد[4]، وكان مِمّا امَنَ به النّاسُ ـ لِما زيّنَه لهم وحثّهم عليه ـ التّاسى فى اموالِهم

١) تكملة يقتضيها السّياق. وفى الطبرى: ان إذا اوقدت. ٢) انظر العهد ص 99ـ127. ٣) فى الأصل ومط: تدبير. فاثبتناها «تدابير» لظهوركون «المستحسنة» صفةً ! «تدايير» لا ! «الاسلاف». ٤) كذا فى مط: مزدك بن فامارد. بالفهلويّة: Mazdak. فى الطبرى: مزدق بن بامداذ (٢: ٨٩٣). فى البيرونى: مزدك بن همدادان من اهل نسا (الآثار: ٢٠٩). وقيل: هو من اصطخر فارس، ونسا ,Nesa من نواحى شيراز، تغيّر اسمها إلى بيضاء، لقلعةٍ بيضاء كانت فيها على حدّ قول الاصطخرى (فم). وعلى ما فى الطبرى: كان من مدريه Mādhraya اى كوت العمارة حاليًا. دعا إلى دين زردشت بونده (= بوندس) المسمّى «دريست دين» والّذى كان فى إصلاح الدّين المانوى. وزردشت بونده (الزرادشت الثانى ـ مسكويه) كان من اهل فسًا (معرّب Pasa وهى ناحيةٌ فى فارس شرقىّ شيراز مركزها مدينة ←

وأهاليهم. وذكر انّ ذلك من البِرّ الّذى يَرضاهُ اللهُ ويُثيبُ عليه أحسنَ الثّواب، وانّه لو لم يكن الّذى أمَرَهُم به من الدّين، لكان مكرمةً فى الفَعال ورضًى فى التّفاوض. فحضّ السّفلةَ بذلك على الأشراف واختلط أجناس اللّؤماءِ بعناصر الكُرَماءِ. وسهّل سبيلَ الظّلمةِ إلى الظّلم، والعُهّار[١] إلى قضاء نَهمتهِم وإلى الوُصول إلى الكرائم. فشمل النّاسَ بَلاءٌ عَظيمٌ.

فلمّا أبطل المَلكُ انوشروانُ ملّةَ هذين، وقتل عليه بشرًا كثيرًا، وسفك من الدّماءِ ما لا يُحصى كثرةً مِمّن لاينتهى، وقتل قومًا من المانوية وثبّتَ ملّةَ المجوسيّةِ القديمةِ؛ كتب[٢] فى ذلك كُتُبًا بليغة إلى أصحاب الولايات والاصبهبذين، وقوّى المُلكَ بعدَ ضعفِه بإدامة النظر، وهَجَر الملاذَّ وترَكَ اللّهوَ إلاّ فى أوقاتٍ [178] حتّى نظّمَ اموره وقوّىٰ جنوده بالأسلحة والكُراع، وعَمّر البِلادَ، وحَفظَ الأموال، وَفرّقَ منها ما لايَسعُ حِفظُهُ من الأرزاق والصّلاتِ الموضوعةِ مَواضعَها، وسدَّ الثّغورَ، وردّ كِثيرًا من الأطراف الّتى غَلَبَ عليها الأمَمُ بعِللٍ وأسباب شَتّىٰ، منها: السّندُ، والرُّخج[٣]، وزابلستان، وطُخارِستان[٤]، ودَروستان[٥] وغيرها. وقتل امّةً يقال لها: البافرز[٦]، واستبقى منهم من فَرّقهم واستعبدهم واستعان بهم فى حروبه. وأسرت له امّةٌ يقال لهم: صول، وقُدِمَ بِهم عليه، فقتلهم واستبقى ثمانين رجلاً من كُماتِهم، وعَملَ أعمالاً عظيمّة منها: بنيانه الحصونَ و الآطام[٧] والمَعاقِلَ لأهلِ بِلادِه، يكون حِرزًا لهم يلجاون إليها مِن عدوٍّ إن دَهَمَهم.

[من ثمرة اعماله]

فكانَ مِن ثَمَرَةِ هٰذِهِ الأعمال: انّ خاقانَ ـ واسمهُ سنجوا[٨] ـ كان فى ذلك الوقت أمنعَ التُّركِ وأشجَعَهم. وهو الّذى قاتل «وَرز[٩]» مَلِكَ الهياطلة، غيرَ هائبٍ كثرةَ الهياطلةِ ومَنعَتَهم، وبأسَهم. [179] فقتل وَرز[١٠] وعامّةَ جُندِه، وغنم اموالَهم واحتوى على بِلادهم إلاّ ماكان كسرى غلبَ عليه مِنها. واقبلَ فى جُموعِه مع امَمٍ استمالهم، وَهُم: ابجَرُ، وبَنجرُ، وبَلَنجرُ. وبلغت عِدّةُ

⟵ بنفس الاسم ـ فم). كان ظهور زردشت بونده قبل ظهور مزدك بقرنين (C. R. K، والطبرى ٢: ٨٨٥، ٨٩٣).

١) اى سبيل العُهّار. ٢) فى الأصل ومط: «وكتب» فحذفنا الواو. ٣) مط: الزنج. والرُّخج ولايةٌ فى اطراف قندهار وشرقىّ بُسْت (لج: ٣٧١). ٤) طخارستان: ولاية واسعة فى شرقى بلخ (لج: ٤٥٣). ٥) فى الطبرى و حواشيه: دردستان، دروستان، دورستان. مط: روستان. ٦) الطّبرى: البامرز، البارز. ٧) الآطام: جمع مفردهُ الأطم، والأُطُم: الحصنُ. ٨) مط: مسجوا! فى الطبرى: سنجبوا، سجنوا سجبوا (٢: ٨٩٥). ٩) مط: وزر. فى الطبرى: ورز، ورد. ١٠) مط: وزرة.

الجميع مائةَ الفٍ وعشرةَ آلافٍ مُقاتلٍ أنجادٍ.

فأرسل إلى كسرى يتوعّدهُ ويطلب منه اموالاً، وأنّه إن لم يُعجّل بالبعثة إليه ماساله، وَطِئَ بلادَه وناجزه[1]. فلم يحفل كسرى به ولم يُجِبهُ إلى ماسأل، لتحصينه نواحيَهُ لاسيّما ناحية صول الّتى أقبلَ منها خاقان، ولِمَناعةِ السُّبُلِ والفِجاج، ولمعرفتِه بمقدرتِه على ضَبطِ ثغرِ إرمينية. فاقدم خاقانُ على ناحية صُول من نواحى جرجان، فرأى من الحُصُون والرُجالِ الّذين أعدّهم كسرى ما لا حيلة له فيه، فانصرف خائبًا.

فامّا تدبيرُه للمزدكيّةِ
[وردُّه المظالمَ وما دبّر فى امر النّساءِ المغلوبات على أنفسهنّ]
[و تدابيره الأخرى]

فإنّه ضرب أعناقَ روّسائهم، وقسم اموالَهم فى أهل الحاجةِ، وقتَل جَماعةً كثيرةً مِمّن كان دخل على النّاس فى أموالهم وأهاليهم مِمّن عُرفَ، [180] وردَّ الأموال إلى اربابها، وامر بكُلّ مولودٍ اختلِفَ فيه، أن يُلحقَ بِمن هو فى سيما ذلك منهم إذا لم يُعرف أبوه، وأن يُعطى نصيبًا من مال الرّجل الّذى يُسنَد إليه، إن قبله الرّجل، وبِكُلّ امراةٍ غُلِبَت على نفسها أن يُوّخَذ الغالبُ لها حتى يَغرمَ لها مهرَها ويُرضِيَ اهلَها، ثُمّ تُخيّرَ المراةُ بين الإقامة عليه وبين تزويج غيره، إلّا أن يكونَ لها زَوجٌ أوّلُ فَتُردَّ إليه. وأمر بِكُلّ مَن كان اضرَّ بِرَجُلٍ فى ماله، اوركب أحدًا بمظلمةٍ أن يؤخَذَ منه الحقّ ثمّ يُعاقبَ الظّالمَ بعد ذلك بِقَدرِ جُرمِه. وأمر بعيالِ ذوى الأحساب الّذين مات قَيّمهم فكتبوا له، فأنكحَ بناتِهم الاكفاءَ، وجَعَلَ جهازَهم من بيتِ المالِ، وانكح بَنيهم من بيوتات الأشراف وأغناهم، وأمرهم بملازمة بابه ليُستعانَ بهم فى أعماله. وخيّرَ نساءَ والِدِه أن يَقمن مع نِسائه فيواسَين ويُصيّرن[2] فى الاجراء امثالَهنّ، أو تُبتغى لَهنّ اكفاؤهن من البعولة. وأمر بِكَرى الأنهار وحَفرِ القُنىّ [181] وإسلاف [أصحاب][3] العِمارات وتقويتِهم. وأمَرَ بإعادة كُلّ جسرٍ او قنطرةٍ خَرُبت أن تُردَّ إلى احسن ماكانت عليه. وأمر بتسهيل سُبُلِ النّاسِ، وبنى فى الطُّرُق القُصورَ والحصونَ، وتخيّرَ الحُكّامَ والعُمّالَ، وتقدّمَ[4] إلى مَن وَلّىَ منهم أبلغ التّقدُّم، وتقدّم بكُتُبِ سِيَرِ أردشير ووصاياهُ، فاقتدى بها وحَمَلَ النّاسَ عليها[5].

١) مط: فاخره. ٢) فى الطبرى: ويصرن فى الأجر امثالهن (٢: ٨٩٧). ٣) مزيدٌ من الطبرى. ٤) تقدّم إليه: أمره. ٥) ومن وصاياه، عَهدُه الّذى تركهُ لِلملوك الآتين بعدَهُ. أنظر: ص 99 إلى 127.

[فتوحُ انوشروان]

فلمّا انتظمت له هذه الأمورُ واستوسق مُلكُه ووثِق بِجُندِه وقُوَّتِه، سار نحـو انطاكية فـافتتحها وأمر أن تُصَوَّرَ له المدينةُ على ذرعِها وطُرُقِها وعِدَّةِ منازلهـا، وأن يُبنىٰ على صـورتها له مدينةٌ إلى جـانب المدائـن، فَبُنيتِ المدينة المعـروفة بالرُّوميّة. ثم حَمَلَ أهلَ انطاكيّةَ حتّى أسكنهـم إيّاها. فلمّا دخلوا بابَ المدينة مضى أهلُ كُلِّ بيتٍ منهم إلى مايُشبهُ منازلَهـم الّتى كانوا فيهـا بانطاكيه. ثُمَّ قصد لمدينة هِرَقلَ فافتتحها، ثُمَّ الإسكندرية، وأذعنَ له قيصرُ، وحَمَلَ إليه الفِديةَ.

ثُمَّ انصرف من الرّوم وأخذ نحـو الخَـزَرِ، فادرك فيهـم تَبلَهُ[1]، وماكانوا وتروه به [182] فـى رعيَّتِه، ثمّ نحو عَدَن، فَسَكر[2] هناك ناحيةً من البحر بين[3] جبلين بالصُّخور وعُمُدِ الحديد. ثُمَّ سـار إلى الهياطلةِ مطالبًا لهم بدم فيروز، بعد أن صـاهَرَ خـاقان واسـتعان به. فأتاهم، فقتل مَلِكَهـم، واستأصل أهلَ بيته، وتجـاوز بلخَ وماوراءَها، وأنزل جنودَه فـرغانةَ[4]. ثُمَّ انصـرف إلى المدائـن، وبعث قومًا إلى الحبشةِ فى جُندٍ من الدَّيلم. فقتلوا مسروقًا الحبشى باليمن. وأقامَ مظفَّرًا منصـورًا يَهابُه جميعُ أمرائهم، ويحضرُ بابَه وفودُ التُّركِ والصِّينِ والخزرِ ونظرائهم. وكان مُكـرِمًا للعلماءِ. وقد كان غزا بُرجانَ[5]. ثُمَّ رجع فبنى الباب[6] والأبوابَ. وفى زمانه وُلِدَ عبدُاللهِ أبوالنّبىِّ ـ صـلى‌الله عليه وسلّم. ـ والنّبىُّ أيضا ـ عليه‌السّلام ـ وملك ثَمانى[7] وأربعين سنةً. أمّا عبدالله بن عبدالمطّلب فإنّه وُلِدَ لأربعٍ وعشرين سنةً من مُلكه. وبعث إلى المنذربن النُّعمان ـ وأمُّه ماء السَّماء إمرأةٌ مِن اليمن[8]ـ فملَّكه الحيرةَ وماكان يليه آلُ الحارثِ بنِ عمرو، وردَّ الأمرَ إلى نِصابِه.

[تدابير انوشروان لاستغزارِ الأموالِ وتثميرها]

ومن أحسنِ ماذَبرَّه أنوشروانُ فى استغزارِ الأموال وتثميرها [183] أنّه بعدَ فَراغِه من الثُّغور وملوكِ الأطراف، وتوظيفِـه الوظـائفَ على أقـاصى الملوك من التّركِ والخَــزر والهند وغيرِهم، وبَيعِه مُدُنَ الشّامِ ومِصرَ والرُّومِ على مَلِكِ الرُّوم بأموالٍ عظيمةٍ، وإلزامِه جِزيةً يحملُها فـى كُلِّ سنةٍ على ألاّ يغـزُوَ بلادَه؛ نَظَر فـى الخـراج وأبواب المالِ الّتى كان يسـتأديها الملوكُ قبلَه مِن

١) التَّبل: الحِقد والعداوة. ٢) سكره: سدّه. ٣) فـى الطبرى: بين جبلين ممّايلى أرض الحبشـة بالسّفن العظام والصّخور وعُمُدِ الحديد والسـلاسل (٢: ٨٩٨). ٤) فـرغانة: ولايةٌ على سـاحل جيحـون (لج: ٥١٩).
٥) فى مط : «عمر بن خان» بدل «غزابُرجانَ»! بُرجـان، بالفهلويّة: Varjan : بلدٌ من نواحـى الجَـزر (مع)، والجَـزرُ: مصحّف الجُرز، والجُرزُ: معرّب گُرج. بالفارسيّة: گُرجسـتان (مت). ٦) الباب والأبواب، باب الأبواب، الدّربند، دربند نوشروان: مدينةٌ على بحر الخزر (مع). ٧) فى الطبرى: سبعًا (٢: ٨٩٩). ٨) فى الطَّبرى: من النَّمر.

بِلاده. فإذا رسومُ النّاس كانت جاريَة على الثُلثِ من الارتفاع خراجًا، ومن بعضِ الكُوَرِ الرُبع، ومن بعضِها الخُمس، ومن بعضِها السُدس، على حَسَبِ شربِها[١] وعمارتِها، ومن جزيةِ الجَماجِم[٢] شيئًا معلومًا.

وكان الملك قباذُبن فيروز تقدّم ـ فى آخر مُلكِه ـ بِمَسح الأرض سهلِها وجَبَلِها، لِيَصحّ الخَراجُ عليها، فَمُسحت. غيرَ أنّ قباذَ هَلَكَ قَبلَ أن يستحكمَ له أمر تلك المساحة. فلمّا ملك أنوشروان أمر باستتمامِها وإحصاءِ النَّخلِ والزّيتونِ وغير ذلك، والجَماجِمِ. ثمّ أمَرَ الكُتّابَ فأخرجوا جُمَلَ ذلك غيرَ مفصّلةٍ، وأذِنَ للنّاسِ إذنًا عامًّا، وأمر كاتِبَ خَراجِه أن يقرأ [184] عليهم الجُمَلَ المستخرَجَةَ من أصنافِ الغلاّتِ وعدَدِ النَّخلِ والزّيتونِ والجَماجِمِ. فقرأ ذلك عليهم.

ثم قال لهم كسرى:

«إنّا رأينا أن نَضعَ على ما أُحصِيَ من جُربان هذه المساحة ومِن النخل والزّيتون والجماجِمِ وَضائعَ، ونأمر بإنجامها[٣] فى السَّنةِ فى ثلاثه أنجُمٍ. ونجمع فى بيوت أموالنا من الأموال ما لَو أتانا عن ثَغرٍ من الثُغور، أو طَرَفٍ من الأطرافِ، فَتقٌ أو شيءٌ نَكرَهُه واحتجنا إلى تداركِه أوحَسمِه بِبَذلِنا فيه مالاً؛ كانتِ الأموالُ عِندَنا مُعَدَّةً موجودةً، ولم نُرد استينافَ اجتبائها على تلك الحالِ. فماتَرَونَ فى ما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه؟»

فلم يُشِر عليه أحدٌ منهم بمَشورةٍ ولم يَنبِس بِكلمةٍ. فكرَّرَ كِسرى هذا القولَ عليهم ثلاثَ مرّاتٍ.

فقامَ رجلٌ من عُرضِهم وقالَ لكسرى:

ـ «أتَضعُ أيّها الملكُ ـ عمَّرَكَ الله خالدًا ـ مِن هذا الخراجِ على الفانى مِن كَرمٍ يموتُ، وزرعٍ يَهيج[٤]، ونَهرٍ يغَيضُ، وعينٍ أوقناةٍ ينقطعُ ماؤُها؟»

فقال له كسرى: «ياذا الكُلفةِ المشؤوم! من أىّ طبقات النّاس أنت؟»

قال: «أنَا رَجُلٌ مِنَ الكُتّاب.» [185]

فقال كِسرى: «إضربوه بالدُّوى[٥] حتّى يَموتَ.»

فضربوه بها الكُتّاب خاصّةً تَبَرّيًا منه إلى كسرى مِن رأيِه وما جاء منه حتّى قَتَلوهُ.

---

١) الشُرب: الماء. النصيب من الماء. وقت الشُرب. ٢) الجماجم: جمعُ مفرده الجمجمة: البئر تُحفر فى السَبخة، أو ضربٌ من المكاييل (مو). ٣) الانجام: تعيين مواقيت تادية الدَّين. والنَّجم: الوقت المضروب، أو القسطُ من الدين (مو) ٤)يَهيج: ييبسُ ويَصفرُ. ٥) الدُّوى جمع الدَواة: المحبرة.

وقال النّاس:

ـ «نحن راضونَ أيُّها الملكُ بما أنت مُلزِمُنا مِن خَراجٍ.»

وإنّ كِسرى اختارَ رجالاً من أهلِ الرّأى والنّصيحةِ. فأمرهم بالنَّظَرِ فى أصنافِ ما ارتفعَ إليه من المساحةِ وعددِ النّخلِ والزّيتونِ ورؤوسِ الجزية، وَوَضعِ الوَضائع على ذلك بقدر مايَرَونَ أنّ فيه صَلاحَ الرّعيّةِ ورفاغة[1] معايشهم، ورَفعِ ذلك إليه.

فتكلّم كُلُّ إمرئٍ منهم بمبلغِ رأيه فى ذلك وفى قدرِ الوضائع، وأداروا الأمرَ بينَهم، فاجتمعت كلمتهُم على وضعِ الخراج على مايعصِم النّاس والبهائم وهو: الحنطة، والشّعيرُ، والأرزُّ، والكَرمُ، والرِّطاب[2]، والنّخلُ، والزّيتون. وكان الّذى وضعوا على كلّ جريبِ أرضٍ من مَزارع الحنطةِ والشّعير درهمًا، وعلى كُلّ جريب كرمٍ ثمانيةَ دراهمَ، وعلى كُلّ جريب أرضٍ رطابٍ سبعةَ دراهمَ، وعلى كُلّ [186] أربعِ نخلاتٍ فارسيةٍ درهمًا، وعلى كُلّ ستّ نخلاتِ دَقَلٍ[3] مثلَ ذلك، وعلى كُلّ ستّةِ أصول زيتونٍ مثلَ ذلك. ولم يَضَعُوا إلاّ على كُلّ نخلٍ فى حديقةٍ، أو مجتَمعٍ غير شاذّ[4]، وتركوا ماسوى ذلك من الغَلاّتِ السّبع.

فَقَوىَ النّاسُ فى معايشهم، وألزموا النّاسَ الجزيَةَ ماخلا أهلَ البيوتاتِ، والعظماءَ، والمقاتلةَ، والهرابذةَ، والكُتّابَ، ومَن كان فى خدمةِ الملك. وصيّروها على طبقاتٍ: إثنى عشر درهمًا، وثمانيةً، وستّةً، وأربعةً، على قدر إكثارِ الرّجلِ وإقلالِه. ولم يُلزِموا الجزيةَ مَن كان أتىٰ له من السّنين دون العشرين، أو فوقَ الخمسين. ورَفعوا هذه الوَضائعَ إلى كسرى. فَرَضِيَها، وأمرَ بإمضائها، والاجتباءِ عليها فى ثلاثة أنجُمٍ كُلّ سَنَةٍ، وسمّاها «أبراسيار»[5] ـ وتأويلُه: الأمرُ المتراضىٰ به ـ وهى الوضائع الّتى اقتدى عُمربن الخطّاب ـ رَضى الله عنه ـ بها حين افتتح بلادَ الفُرس، وأمر باجتباءِ النّاس من أهلِ الذّمّةِ عليها. إلاّ أنّه وَضعَ على كُلّ جريبٍ[6] غامرٍ[7] على قدر

١) مط: رفاهة. فى الطبرى: رفاغة. نقطة الغين مطموسةٌ فى الأصل. الرّفاغة: لين العيش وسعتُها وبهذا المعنى تلائم ما فى مط (رفاهة). ٢) الرِّطاب: جمع رُطَبَة (رُطَب): مانضج من البُسر قبل أن يصيرَ تمرًا. كلّ مايؤكل من النّبات غضًا طريًا. ٣) الدَّقَل: أردأ التّمر. ٤) الشاذّ: المنفرد الخارج عن الجماعة. ٥) ابراسيار: مهملةٌ فى الأصل ومط، والإعجام من الطبرى. فى هامش الطّبرى: ابن ابسار، ابرسيار (٢: ٩٦٢). ابراسيار تحريفٌ للكلمة الفارسيّة «همداستانى» [أى: اتفاق النظر والتصميم]، ويؤيّد ذلك أنّ الكلمة وردت فى ترجمة البلعمى (ص ٢٥٠) بمعنى التّراضى والإصلاح الضّرائبى من قبل أنوشروان. انظر الدكتور محمدى: «نظرة فى المرجع»، الدراسات الادبية، السنة الخامسة، العدد الثانى، ص ١١٢، الحاشية ٢. ٦) الجريب: معرب «گرى» = عشرة آلاف ذراع (حب). ٧) أعجمنا العين كما فى الطبرى: غامر. والغامر خلاف العامر. الأرض الخراب.

احتماله مثلَ الّذى وَضَعَ على الأرض المزروعة، [187] وزاد على كُلِّ جـريب أرضٍ - مزارعِ حنطةٍ أو شعير - قفيزًا من حِنطةٍ إلى القفيزين، ورزق منه الجندَ. ولم يخالِف بالعراقِ خاصّةً وضائعَ كِسرى على جُربانِ الأرضِ وعلى النّخلِ والزّيتون والجَماجِم، وألغى ماكان كِسرى ألغاه فى معايش النّاس.

ذكرُ قِطعةٍ من سيرةِ أنوشروانَ وسياساتِه

كتبتُها على ماحكاه أنوشروانُ نفسُه فى كتابٍ[١] عَمِلَهُ فى سيرتِه وماساسَ به مَملكتَهُ

وقرأتُ فيما كتبه أنوشروانُ من سيرةِ نفسِه قال:

[رجلٌ اخترطَ السّيفَ وأرادَ الوُثوبَ علينا]

«كُنتُ يومًا جالسًا بالدَّسكرة[٢] وأنا سائرٌ إلى همذان لنُصيف هناك وقد أُعِدَّ طعامٌ للرّسُل الّذين بالباب من قِبَلِ خاقانَ، والهَياطلةِ، والصّينِ، وقيصرَ، وبغبورَ، إذ دخل رجلٌ من الأساورةِ مُخترطًا سيفَه حتّى وصل إلى السّتر[٣]. فقطع السّترَ فى ثلاثةِ أماكنَ، وأراد الدُّخولَ حيثُ نحنُ، والوثوبَ علينا. فأشار علىّ بعضُ خَدَمى أن أخرجَ إليه بسيفى. فعلمتُ أنّه إن كان إنّما هو رجلٌ واحدٌ، فسوف يُحال بَينَنا وبَينَه، وإن كانوا جماعةً فإنّ سيفى لايُغنى شيئًا، فلم أخف ولم أتحرّك من مكانى. فأخَذَهُ بعضُ الحرسِ، فإذا هو رجلٌ رازىٌّ من حَشَمِنا وخاصّتِنا [188] فلم يشكُّوا أنّ مَن هو على رأيه كثيرٌ، فسألونى ألاّ أجلسَ ولا أحضرَ الشُّربَ فى جَماعةٍ حتّى أستبينَ الأمرَ. فلم أُجِبهُم إلى ذلك لِئلاّ يَرى الرُّسُلُ مِنّى جُبنًا، فخرجتُ لِشُربى، فلمّا فرغنا هدّدتُ الرّازىَّ بقطع اليمينِ والعُقوبات، وسألت أن يَصدُقَنى عن الّذى حمله على ذلك، وأنّه إن صدَقنى لم تَنَلهُ عقوبةٌ بعد ذلك. فذكر أنّ قومًا

١) هو نفس ماذكره ابن النّديم باسم: كتاب التّاج فى سيرة أنوشروان» أو: «الكارنامج فى سيرة أنوشروان» نقله ابن المُقفع من الفهلويّة إلى العربيّة (الفهرست: ١١٨، ٣٠٥؛ مت: ٤٣). ٢) الدَّسكرة = دستگرد Dastgard = دستگرد خسرويه، دسكرة الملك: على طريق طيسفون - همدان (حب) على ١٠٧ كم. من الشمالىّ الشرقى لطيسفون (C.I.S، مت: ٥٣). ٣) السّتر: ماكان يُسدَلُ بين الملك والنّدامىٰ (التاج: ٤٨).

وَضَعوا من قِبَلِ أنفسهم كُتُبًا وكلامًا، وذكروا أنّه من عندِ اللهِ، أشاروا عليه بذلك وأخبَرُوهُ أنَّ قتلَه - إن قتَلَنى - يدخِلُه الجنَّةَ. فلمّا فَحَصتُ عن ذلك وجدتُه حقًّا، فأمرتُ بِتخليةِ الرّازى وبِرَدِّ ماأُخِذَ منه من المالِ، وتقدّمتُ بضربِ رِقابِ أولئك الّذينَ انتحلوا الدّين، وأشاروا به عليه حتّى لم أدَع منهم أحدًا.»

وقال أنوشروان:

[إستحلالُ قَتلى]

«إنّى لمّا أحضرتُ القومَ الّذين اختلفوا[1] فى الدّين وجَمَعتهم للنّظَرِ فيما يقولونه، بلغ من جُرأتِهم وخُبثِهم وقُوَّةِ شياطينهم أن لم يُبالوا بالقَتلِ والموتِ فى إظهارِ [دينهم][2] الخبيثِ، حتّى أنّى سألتُ أفضلَهم رجلاً، على رؤوسِ النّاس، عن استحلالِه [189] قتلى فقال:

- «نَعَم! أستحِلُّ قتلَكَ وقتلَ من لايُطاوعُنا على ديننا.»

«فلم آمُرْ بقتلِه حتّى إذا حَضَرَ وقتُ الغَداءِ، أمرتُ أن يُحتَبَسَ للغَداءِ، وأرسلتُ إليه بظرفٍ من الطّعامِ، وأمرتُ الرّسولَ أن يُبلِّغَهُ عَنّى: أنَّ بقائى أنفعُ له مِمّا ذَكَرَ. فأجابَ رسولى: أنَّ ذلكَ حَقٌّ، ولكن سألَنى الملكُ أن أصدُقَهُ ذاتَ نفسى ولا أكتمهُ شيئًا مِمّا أدين به، وإنّما أدينُ بِما أخَذتُه من مُؤَدِّبى[3].»

وقال أنوشروانُ:

[تصدّقتُ على مَساكين الرُّوم]

«لَمّا غَدَرَ بى قيصرُ وغَزَوتُهُ فَذَلَّ وطَلَبَ الصُّلحَ وانفذَ إلىَّ بمالٍ واقرَّ بالخَراجِ والفِديةِ، تَصَدَّقتُ[4] على مساكين الرّومِ وضُعَفاءِ مُزارعيها مِمّا بَعَثَ إلىَّ قيصر بعشرةِ آلافِ دينارٍ وذلك فى ما وَطِئتُه من أرضِ الرّومِ دون غيرها.»

وقال:

[تخفيف الخراج لعمارة الأراضى]

«لَمّا هَمَمتُ بتصفُّحِ أمرِ الرَّعيَّة بنفسى، ورفعِ البَلاءِ والظُّلم عنهم، ومايَنوبهم من ثقل الخَراجِ - فإنَّ فيه مع الأجرِ تزيينَ المملكة، وغِناهم، وقُدرةَ الوالى على مايجب أن يَستخرجَ منهم، إن هو إحتاج إلى ذلك، وقد كان فى آبائنا مَن يَرى أنَّ وضعَ الخراجِ

---

١) اختلفوا فى الدين: سقطت من مط. ٢) دينهم من مط، والأصل غير واضح. ٣) مؤدّبى: الباء ليست واضحة فى الأصل. مط: مودى. وهو من الإيداء بمعنى المحسن والمنعم. ٤) فى الأصل: «صدقت» وما أثبتناه من مط.

[190] عنهم للسَّنَةِ والسَّـنتين والتَّخفيفَ احيانًا، مِمّا يقـوّيهم على عِمارة أرَضـيهم ـ فجمعتُ العُمّالَ ومَن يؤدّى الخَـراجَ، فـرايتُ مِن تخليطهـم مالم أرَ له حيلةً إلاّ التَّعـديلَ والمُقاطَعَةَ على بلدةٍ بلدةٍ، وكورةٍ كورةٍ، ورُستاقٍ رستاقٍ، وقـريةٍ قـريةٍ، ورَجُـلٍ رَجُـلٍ، واستعملتُ عليهم اهلَ الثِّقةِ والأمانةِ فـى نفسـى، وجعلتُ فـى كُلِّ بلدٍ مع كُلِّ عاملٍ امَناءَ يحفظون عليه، ووليّت قـاضىَ كُلِّ كورةٍ النَّظَرَ فـى اهل كورته، وامرتُ اهلَ الخـراجِ ان يرفعوا مايحتاجون إلى رفعه إلينا، إلى القاضى الّذى ولّيتُهُ امرَ كُوَرِهم، حتّى لايَقدِرَ العاملُ ان يزيدَ شيئًا، وان يؤدّوا الخراجَ بمشهدٍ من القاضى، وان يُعـطىَ به البراءَة[١]، وان يَرفَـعَ خراجَ مَن هلك منهم، ولايُراد الخراجُ مِمَّن لم يُدرِك[٢] مِنَ الأحـداثِ، وأن يَرفـعَ القـاضى وكاتبُ الكورةِ وامينُ اهلِ البلدِ والعامِلُ، محاسبتَهم إلى ديواننا، وفرّقتُ الكتبَ بذلك.»

وقال:

[ما رَفعَ إلَينا مُوبَذان مُوبَذ]

«رَفعَ إلينا مُوبَذان مُوبذ: انّ قـومًا سـمّاهم من ذوى الشَّـرف ـ بعضُـهم بالبابِ كان شاهدًا[٣] [191] وبعضُهم ببلادٍ أُخَرَ ـ دينُهـم مخـالفٌ لِما وَرِثنا عن نَبيِّنا وعلمائنا، وأنّهـم يتكلّمونَ بدينهم سِـرًّا ويدعُون إليه النّاسَ، وانّ ذلك مَفسَـدَةٌ للمُلكِ، حيث لاتقـومُ الرَّعيَّةُ على هوىً واحدٍ: فيُحرِّمون جميعُهم مايُحَرِّم المَلِكُ ويستحلّون مايَستحِلُّ المَلِك فى دينه، فإنَّ ذلك إذا اجتمع لِلمَلِكِ، قَوِىَ جنده لأجل الموافَقَةِ بينَهـم وبينَ الملك، فـاستَظهَرَ على قِتالِ الأعداءِ. فاحضرتُ اولئك المختلفين فـى الأهواءِ [ثمّ أمرتُ][٤] ان يُخـاصَموا[٥] حتّى يَقفُـوا على الحـقّ ويُقـرِّرُوا[٦] به، وامرت ان يُقصَــوا عن مدينتى وعن بِلادى ومملكتى، وبتتبعِ كُلِّ من هُوَ علىٰ هَواهُم، فيُفعَلٍ به ذلك.»

وقال:

[ماسَألَتهُ التركُ ومَسيرُنا إلى باب صُول]

«إنَّ التُّرك الّذين فى ناحية الشَمال، كتبوا إلينا بما قـد اصـابَهم مِنَ الحـاجةِ، وأنَّهـم لايجدون بُدًّا ـ إن لم نُعطِهم شيئًا ـ مِن ان يَغزُونا، وسالوا خِصـالاً، احـدها: ان نَتَّخِـذَهُم

---

١) الهمزة فى «البراءة» من مط. وفـى الأصـل: البراة. ٢) ادرك الصّـبىُ: ادرك الحُلُمَ. ٣) مط: حـاضرًا.
٤) ما بين [ ] لم يكن لا فى الأصل ولا فى مط، فزدناه بوحى السّياق. ٥) خـاصمه: جادله، ونازعه.
٦) تقرير الانسان بالشيء: جعلُه فى قراره.

فى جُندِنا ونُجرىَ عليهم ما يعيشون به، وأن نُعطيهَم من أرضِ الكَنج[١] وبَلَنجَر[٢] وتلك النّاحية، مايتعيَّشون منه. فرأيت أن أسيرَ فى ذلك الطَّريق إلى باب صول[٣]، [192] وأحببتُ أن تَعرفَ الملوكُ من قِبَلِنا هناك نَشاطَنا للأسفار وقُوَّتَنا عليها متى هَمَمنا، وأن يَرَوا ماراْوا مِن هيبة[٤] المُلوكِ، وكثرة الجنودِ، وتَمامِ العُدَّةِ، وكمالِ السِّلاحِ مايَقوونَ به على أعدائهم ويعرفون به قُوَّةَ من خَلفَهم إن هُم احتاجوا إليه، وأحببنا ـ بمسيرنا ـ أن يُجرىٰ لهم على أيدينا الجوائزُ والحُملان[٥] والقُربُ من المجلس واللُّطفُ فى الكلام، ليزيدَهم ذلك مودّةً لنا، ورغبةً فينا، وحرصًا على قتالِ أعدائنا. وأحببتُ أيضًا التَّعهُّدَ لحصونهم، وأن أسألَ أهلَ الخراج عن أمرهم فى مسيرنا، فَسِرتُ فى طريق همذانَ وآذربَيجان. فلمّا بلغتُ بابَ الصُّولِ ومدينة فيروز خُسرَه[٦]، رمَمتُ تلك المدائنَ العتيقة والحدود، وأمرتُ ببناءِ حُصونٍ أُخَر.

«فلمّا بلغ خاقانَ الخزرِ نُزولُنا هناك، تخوَّف أن نَغزُوَهُ. فكتب: أنّه لم يزل ـ منذ ملكتُ ـ يُحِبُّ مُوادعتى، وأنّه يَرى الدُّخولَ فى طاعتى سعادةً، ورأى بعضُ قُوّادِه لمّا شاهدَ حالَه تَركَهُ، فأتانا فى [193] الفين من أصحابه، فقبلناه، وأنزلناه مع أساورتنا فى تلك النّاحيةِ، وأجريتُ عليه وعلى أصحابه الرِّزق، وأمرتُ لهم بحصنٍ هناك، وأمرتُ بِمُصلى لأهل ديننا، وجعلتُ فيه مُوبذًا وقومًا نُسّاكًا، وأمرتُهم أن يعلّموا من دَخَلَ فى طاعَتِنا من التُّركِ، ما فى طاعة الوُلاة من المنفعة العاجلةِ فى الدُّنيا، والثّوابِ العاجلِ فى الأخرىٰ، وأن يَحُثُّوهم على المَودّة والصِّحّةِ والعَدلِ والنَّصيحةِ ومجاهَدةِ العدُو، وأن يُعلِّموا أحداثَهم رأيَنا ومَذهبَنا. وأقمتُ لهم فى تلك التَّخوم[٧] الأسواقَ وأصلحتُ طُرُقَهم، وقَوَّمتُ السِّكَك، ونظرنا فيما اجتمع لنا هناك من الخيل والرِّجال، فإذا بحَيثُ لَوكانَ فى وسط فارسَ، لَكانَ مَنزِلُنا بِها فاضلاً.»

١) الكنج: معرّب «گنجه»: مدينة عظيمةٌ هى قصبة بلاد أرّان، وأهل الأدب يُسَمّونها: جنزة (مع). ٢) بَلَنجر: مدينةٌ ببلاد الخزر خلف الباب والأبواب (مع). ٣) صول: مدينةٌ فى بلاد الخزر فى الباب والأبواب (مع). ٤) فى الأصل: هيئة. وهو تصحيف. ٥) الحُملان: مايُحمل عليه من الدّواب فى الهبة خاصّةً. ٦) كذا فى الأصل ومط. و فيروز خسرو: مدينةٌ بالقرب من باب الأبواب باسم فيروز قباد. بنى هناك أنوشروان قصرًا وسمّاه باب فيروز قباد (يا). وبعد أن بنى هناك كسرى قصرًا وعمرها سُمّيت باسمه: فيروزخسرو، ثمّ غلب عليه الإسم الأول: فيروزقباد (مت: ٦٤). ٧) مط: النجوم.

قال:

[تجديدُ النَّظر فى أمرِ المَملكة]

«ولمّا أتى لِمُلكِنا ثمانٍ وعشرون سنةً جَـدَّدتُ[١] النَّظرَ فـى أمرِ المَملكـةِ والعَـدلِ على الرَّعيّة، والنَّظَرَ فى أمرِهم وإحصاءِ مظالمِهم وإنصافِهم، وأمرتُ موبذَ كُلِّ [ثغر][٢] و مدينةٍ وبَلَدٍ وجندٍ[٣] بإنهاءِ ذلك إلىَّ، وأمرتُ بعـرض الجُندِ مَن كان منهـم بالبابِ، [194] بمشـهدٍ مِنّى ومن غابَ فى الثّغور والأطراف، بمشهدِ القائد وباذوسبان[٤] والقاضى وأمينٍ من قِبَلِنا، وأمرتُ بجمع أهلِ كُوَرِ الخراج فى كُلِّ ناحيةٍ مِن مملكتى إلى مصرِها، مع القائدِ وقـاضى البَلدِ والكاتبِ والأمينِ، وسرَّحتُ مِن قِبَلى مَن عرفتُ صحَّتَه وأمانتَه ونُسكَـه وعِلمَهُ، ومن جـرَّبتُ ذلك منه إلى كُلِّ مصـرٍ ومدينةٍ، حيث أولئـك [الغلمان و][٥] العُمّال وأهل الأرض، ليجمعوا بينهم وبين أهلِ أرَضيهم وبين وضـيعِهم وشـريفِهم، وأن يُرفـعَ الأمرُ كُلّه على حقّه وصدقه: [فما][٦] نُفِّذ فيه لهم أمرٌ - لَوصَحَّ فيه القضـاءُ ورضـى به أهلُه - فـرَغوا منه هنالك، وما أشكل عليهـم رفعـوه[٧] إلىَّ. وبلغ اهتمامى بتفقُّـد ذلك ما لولا الّذى أدارى من الأعداءِ والثُّغور، لباشرتُ أمرَ الخراج والرَّعيّةِ بنفسى قريةً قريةً، حتّى أتعهّدَها وأكلّم رجلاً رجلاً من أهلِ مملكتى، غيرَ أنّى تخوَّفتُ أن يضيع بذلك السَّببِ أمرٌ هو أعظم منه، والأمر الّذى لايُغنى فيه غَنائى [195] ولايقـدر على إحكـامِه غيرى، ولا يَكفينيهِ كافٍ، مع الّذى فى الشُـخوصِ إلى قَـريةٍ قَـريةٍ، من المؤونة على الرَّعيّةِ مِن جندِنا، ومن لانَجِـدُ بُدًّا من إشخاصِه معنا. وكرهنا أيضًا إشخاصَهم إلينا، مع تخوّفنا أن يَشغَلَ أهلَ الخراج عن عمارة

---

١) فى الأصل: حذدت. ونقطه الجيم من مط. ٢) الكلمة غير واضحة فى الأصـل فأثبتناها حسـب مط. ٣) جُند: معرّب «گُند» سمّى المسلمون كلّ صقعٍ جُندًا، بجندٍ عيّنُوا له يقبضـون أعطياتهـم فيه منه. فكـانوا يقـولون: هؤلاء جندكذا، حتى غلب عليهم وعلى النّاحية (يا) والجُند معرب Gond: إحدى وحـدات الجيش السّـاسانى، ورئيسـها «گُند سالار»، ويليها «درفش Drafsh، ثمّ «وشت» Vasht بالواو الفارسية (مت: ٦٦ C.I.S., P. 205). ٤) باذوسـبان، پاذوسبان، پادگسپان Padgospan: درجة من درجات أصحاب المناصب. وقد كان هذا اللّقب يختلف ارتفـاعًا وانخفـاضًا حسب العصور المختلفة. ففى بعضها، كان الپادوسبان معاونا لحاكم القضاء، وكان تابعًا للإصفهبذ، وفى بعضها الأخر، كانت للپادوسبان صلاحية المرزبان. وكان كلّ ناحية من نواحى الشمال والجنوب والشرق والغـرب تُسـمى فـى بعض العصـور پادگُش Padgosh(C.I.S.,P.46) ، ودام هذا الترتيب إلى أوائل حكم أنوشروان، إلا أنّ أنوشروان استبدل الپاذوسبانين الأربعة، بأربعة إصفهبذين (مت: ٦٧). ٥) مابين [ ] تكملةٌ من مط. ٦) ما فـى الأصـل ومط: «فيما» وهو خطأ نظرًا لسياقِ العبارة. ٧) مافى الأصل ومط: «ورفعوه» بالواو، فرأينا الواو زائدةً مقحمةً فحـذفناها بوحـىٍ من السّياق.

أرَضيهم، أو يكونَ فيهم من يَدخلُ عليه فى ذلك مؤونةٌ فى تكلُّف السَّير إلى بابِنا، وقد ضَيَّعَ قُراهُ وأنهارَهُ وما لايَجدُ بُدًّا من تعهُّدِه فى السَّنَةِ كلِّها فى أوقات العمارةِ. ففعلنا ذلك بهم، ووكَّلنا موبذان موبذ وكتبنا به الكُتُب وسرَّحنا مَن وثِقنا بِه ورَجَونا أن يَجرىَ مجرانا، وشَخَّصنا وقلَّدناه ذلك.»

قال:

[جلوسنا مع أهل الكُوَر للفحص عن الرَّعيَّة وأمناء الخراج]

«ولَمّا آمَنَ اللهُ جميعَ أهلِ مملكتنا من الأعداء. فلم يَبقَ منهم إلاّ نَحوٌ من ألفى رجُلٍ من الدَّيلم الَّذين عسر افتتاحُ حصنِهم لصعوبة الجبال عليها؛ لم نَجِدْ شيئًا أنفعَ لمملكتنا من أن نفحص عن الرَّعيَّةِ وأولئك الأمناءِ الَّذين وصَّينا هم بإنصافِ أهل الخراج، وكان بلغَنا أنَّ أولئك الأُمَناءَ لم يُبالغوا على قدرِ رأينا فى ذلك، فأمرتُ بالكُتبِ [196] إلى قاضى كورةٍ كورةٍ: أن يَجمعَ أهلَ الكورةِ بغير عِلمِ عاملهم وأولى أمرهم، فيسألَهم عن مظالمهم وما أُستخرجَ منهم، ويفحَصَ عن ذلك بمجهود رأيِه، ويبالغَ فيه، ويكتُبَ حالَ رجلٍ رجلٍ منهم، ويختِمَ عليه بخاتَمِه وخاتَمِ الرِّضا من أهل تلك الكورة، ويَبعثَ به إلىَّ، ويُسرِّحَ مِمَّن يجتمعُ رأىُ أهلِ الكورةِ عليه بالرِّضا نَفرًا، وإن أحبُّوا أن يكونَ فى من يَشخَصُ، بعضُ سَفِلَتِهم أيضًا؛ فُعِلَ ذلك.

«فلمّا حضروا جلستُ للنّاسِ وأذِنتُ بمشهدٍ من عُظماء أرضنا ومُلوكِهم، وقُضاتِهم وأحرارِهم وأشرافهم، ونظرتُ فى تلك الكُتُب والمظالم. فأيةُ مظلمةٍ كانت من العُمالِ ومن وكلائنا، أو من وكلاءِ وكلائنا، ونسائنا، وأهل بيتنا، حَطَطنا عنهم بِغيرِ بيِّنةٍ، لِعلمِنا بِضَعفِ أهلِ الخراج عنهم وظُلمِ أهلِ القُوَّةِ من السّلطانِ لهم (كذا)، وأيّةُ مظلمةٍ كانت لبعضِهم من بعضٍ ووضحت لنا، أمرتُ بإنصافِهم قبل البراح[1]، وما أشكل، أو وجب الفحصُ عنه، بشهود البلد [197] وقاضيها، سَرَّحتُ معه أمينًا مِن الكُتّابِ، وأمينًا مِن فقهاءِ دينِنا، وأمينًا مِمَّن وثِقنا به مِن خَدَمِنا وحاشيتنا، فأحكمتُ ذلك إحكامًا وثيقًا، ولم يجعلِ اللهُ لذوى قرابتنا وخدمنا وحاشيتنا منزلةً عندنا دونَ الحقِّ والعدلِ، فإنَّ من شأنِ قرابةِ المَلِكِ وحاشيتِه أن يستطيلوا بِعِزَّةٍ وقوَّةٍ. فإذا أهملَ السُّلطانُ أمرَهم هلك من حاوروه[2] إلاّ أن تكون فيهم متأدِّبٌ بأدبِ مَلِكِه، محافظٌ على دينِهِ، شفيقٌ على رعيَّتِه،

---

١) بَرح المكانَ براحًا: زال عنه وغادره. ٢) فى مط: حاوزوه. حاوروه: جادلوه.

وأولئك قليلٌ. فدعانا الّذى اطّلعنا عليه مِن ظلم أولئك، إلى أن لانطلبَ البيِّنَةَ عليهم فى ما ادُّعِيَ قِبَلَهم، ولم نُرِد ظُلْمَ أحدٍ أيضا مِمَّن كان عزيزًا بنا، ومنيعًا بمكانه ومنزلته عندنا، فإنّ الحقَّ واسعٌ للضُّعفاءِ والأقوياءِ، والفقراءِ والأغنياءِ، ولكنّا لمّا أشكلتِ الأمورُ فى ذلك علينا، كان الحَملُ على خواصّنا وخَدَمِنا، أحبَّ إلينا من أن تحملَ على ضُعفاءِ النّاسِ ومساكينهم وأهلِ الفاقةِ والحاجةِ منهم. وعَلِمنا أنّ أولئكَ الضُّعفاءَ لايَقدِرون على ظلم مَن حولَنا [198] وعَلِمنا مع ذلك أنّ [الّذين][١] اعدينا[٢] عليهم مِن خاصّتِنا يرجعون من نعمتنا وكرامتنا إلى ما لايرجع إليه أولئك الضُّعفاء. ولعَمرى، إنّ أحبَّ خواصّنا إلينا، وأبرَّ خَدَمِنا فى أنفسِنا، الّذين يحفظون سيرتَنا فى الرّعيّة، ويرحمون أهلَ الفاقَةِ والمسكنة، ويُنصِفونهم، فإنّه قد ظَلَمَنا مَن ظَلَمهم، وجار علينا مَن جارَ عليهم، وأرادَ تعطيلَ ذِمّتِنا الّتى هى حِرزُهم وملجأهم.»

قال:

[ما كتبه إلينا أربعةُ أصنافٍ من تُركِ الخَزَر]

«ثمّ كتب إلينا على رأسِ سبعٍ وثلاثينَ سنةً من مُلكِنا أربعةُ أصنافٍ من التُّركِ من ناحيةِ الخزر، ولِكلِّ صِنفٍ منهم مَلِكٌ، يذكرون ما دَخَل عليهم من الحاجة، وما لهم من الحظِّ فى عبودتِنا، وسألوا أن نأذنَ لهم فى القدومِ بأصحابهم لِخدمتِنا والعملِ بما نأمرُهم به، ولا نحقدَ عليهم ماسلفَ منهم قَبلَ مُلكِنا، وأن نُنزلَهم منزلةَ سائرِ عبيدِنا، فإنّا سَنَرىٰ فى كُلِّ ما نأمرهم به من قِتالٍ وغيره كأفضلِ ماتَرىٰ مِن أهل نصيحتِنا.

«فرأيتُ فى قبولى إيّاهم عدّةَ مَنافِعَ، منها: [199] جَلَدُهم وبأسهم، ومنها: أنّى تخوّفتُ أن تحملَهم الحاجةُ على إتيانِ قيصرَ أو بعضِ الملوك فيقوَوا بهم علينا. وقدكان فى ما سلف يَستاجر قيصرُ منهم لقتال ملوك ناحيتنا بأغلى الأجرةِ، فكان لهم فى ذلك القتالِ بعضُ الشّوكة بسبب أولئك الأتراك، ولأنّ التُّركَ ليس عندهم لذّةُ الحياةِ، فهو الّذى يُجَرِّيهم مع شقاءِ معيشتهم على الموت،

فكتبتُ إليهم: أنّا نقبلُ من دَخَلَ فى طاعتِنا ولا نبخلُ على أحدٍ بما عندنا. وكتبتُ إلى مرزبانِ البابِ آمُرهُ أن يُدخِلَهم أوّلاً فأوّلاً.

«فكَتَبَ إلىَّ أنّه: قد أتاه منهم خمسون ألفًا بنسائهم وأولادهم وعيالاتهم، وأتاه من

---

١) فى الأصل و مط: الّذى. ٢) اعدينا عليهم: ظلمناهم.

رؤسائهم ثلاثة آلافٍ بأهل بيتهم ونسائهم وأولادهم وعيالاتهم.

«ولمّا بلغنى ذلك أحببتُ أن أقرِّبَهم إلىّ، لِيعرفوا إحسانى إليهم فى ما أكرمهم به، وأعطيهم ولِيَطمئنُّوا إلىٰ فُؤَادِنا حتى إذا أردنا تسريحَهم مع بعضِ فُؤَادِنا، كان كُلُّ واحدٍ بصاحبه واثقًا. فَشَخَصتُ إلى آذربَيجان. فلمّا نزلتُ آذربَيجان أذِنتُ لهم فى القدوم، وأتانى عِندَ [200] ذلك طرائفُ من هدايا قيصر، وأتانى رسولُ خاقان الأكبر ورسولُ صاحبِ خوارزم، ورسولُ ملكِ الهند، والدّاور[1]، وكابلشاه، وصاحب سرنديب[2]، وصاحب كَلَه[3]، وكثيرٌ من الرّسل، وتسعةٌ وعشرون ملكًا فى يومٍ واحدٍ، وانتهيتُ إلى أُولئك الأتراك الثّلاثة والخمسينَ الألفِ، فأمرتُ أن يُصفُّوا هناك، وركبتُ لذلك، فكان يومئذٍ من أصحابى، ومن قَدِمَ علىَّ، ومن دخل فى طاعتى وعُبودتى، مَن لم يَسَعهم مَرْجٌ كان طولهُ نَحوَ عشرة فراسخ. فحمدت الله كثيرًا، وامرت أن يَصنُفَ أُولئك الأتراك فى أهل بيوتاتهم على سَبعِ مراتب وَرَأستُ عليهم منهم، واقطعتُهم، وكسوتُ أصحابَهم، واجريتُ عليهم الأرزاقَ، وامرتُ لهم بالمياه والأَرَضينَ، وأسكنتُ بعضَهم مع قائدٍلى بِبُرجانَ، وبعضَهم مع قائدٍ لى باللاَّن[4]، وبعضَهم بآذربيجان، وقسمتُهم فى كُلِّ ما احتجنا إليهم من الثُّغور، وَضَمَمتُهُم إلى المرزبان. فلم أزل أرىٰ من مناصَحتِهم واجتهادهم فى ما نُوَجِّهُهُم له ما [201] يَسُرُّنا فى جميع المدائن والثُّغورِ وغيرِها.»

قال:

[خاقان الأكبر يَعتذرُ إلىَّ ويَسال التّجاوز]

«وكتب إلىَّ خاقان الأكبر يعتذرُ إلىَّ من بعض غَدَراتِه، ويسالُ المُراجعَةَ والتّجاوزَ، وذكر فى كتابه و رسالته: أنّ الّذى حَملَه على عداوتى وغَزوِ أرضى مَن لم ينظر له، وناشَدَنى اللهَ أن أتجاوزَ عنه، ويُوثِّقَ لى بما أطمئنُّ إليه، وذكر أنّ قيصَرَ قدأرسل إليه، وزعم أنّه يستأذننى فى قبول رُسُلِه، وأنّه لايعمل فى قبولِ رُسُلِ أحدٍ إلاّ بما أمرتُه، ولا يجاوزُ أمرى، ولا يَرغبُ فى الأموال ولا فى المودّات لأحدٍ إلاّ برضاىَ. وكان دسيسٌ لى فى التُّرك كاتبنى بِنَدَمِ خاقان ونَدَمِ أصحابه على غَدرِه وعداوته إيّاى.

---

١) الدّاور: ولاية واسعة مجاورة لولاية رُخج وبست والغور، وهى ثغر الغور من ناحية سجستان. ومدينة الدّاور تل وغور، وهما على نهر الهندمند (مع). ٢) سرنديب: جزيرة عظيمة فى بحر هركند باقصى بلاد الهند. (مع) ٣) كَلَه: فُرضة بالهند، وهى منتصف الطّريق بين عُمان والصّين فى وسط خطّ الاستواء (مع). من جزر الخليج الثانى من بحر الهند (لد). ٤) اللاَّن (= ارّان، اران): بلادٌ واسعة منها كنجه، بينَها وبين اذربيجان نهر الرّسّ [= ارَس] (مع).

«فأجبته: إنّي لعَمري لاأبالي أبطبيعة نفسك وغريزتك غَدَرتَ بنا، أم أطعتَ غيرَكَ في غدرك بِنا، وما ذنبكُ في طاعة من أطعت في ذلك إلاّ كذنبك في ما فعلتَه برأيِ نَفسِك، وأنّك قد استحققت أشدَّ العقوبة. ـ وكتبتُ[١]: ـ أنّي لا أظنُّ شيئًا ممّا وجب بيني وبينكم إلاّ وقد كنتُ صَنَعتُهُ، ولا أظنُّ شيئًا من الوثيقة بقي لكم إلاّ وقد وثّقتَ [202] لَنَا[٢] به قبل اليوم ثم غَدَرتُم، فكيف نطمئنُّ إليك ونثقُ بقولك، ولسنا نأمنُكَ على مثلِ ما فعلتَ من الغَدرِ ونقضِ العهدِ والكذبِ في اليمين؟ وذكرتَ أنّ رُسُلَ قيصر عندك، ووقفنا على استيذانك إيّانا فيهم، وإنّي لستُ أنهاكَ عن مودّة أحدٍ. و كرهتُ أن يَرىٰ أنّي أتخوّفُ مصادقَتَهُ وأهابُ ذلك منه، وأحببتُ أن أعلِمَهُ أنّي لا أبالي بشيء ممّا يجري بينهما،

«ثُمّ سرّحتُ لِمَرَمّةِ المدائن والحصون الّتي بخراسان وجمعِ الأطعمة والأعلاف إليها مايحتاج إليه الجند، وأمرتُهم أن يكونوا على استعدادٍ وحَذَرٍ، ولايكونَ من غَفلتِهم ماكان في المرّة الأولى وهم على حال الصُّلح.»

قال:

[المقاتِلةُ وأهلُ العمارة سَواءٌ]

«وكان شُكري لله تعالى لِمَا وهب لي وأعطاني متّصلاً بِنِعَمِه الأُولِ[٣] الّتي وَهَبَها لي في أوّلِ خلقِه إيّايَ، فإنّما الشُكر والنِّعَمُ عِدلانِ ككفّتيِ الميزان، أيُّهما رَجَحَ بصاحبِه احتاجَ[٤] الأخفُ إلى أن يُزادَ فيه حتّى يعادِلَ صاحبَه. فإذا كانت النِّعمُ كثيرةً والشُّكرُ [203] قليلاً، انقطع الجملُ وهَلَكَ ظَهرُ الحاملِ، وإذا كان ذلك مستويًا استَمَرّ[٥] الحامِلُ. فكثيرُ النِّعمِ يحتاج[٦] صاحبُها إلى كثير الشُّكرِ، وكثير الشُّكر يجلب كثيرَ النِّعَمِ. ولمّا وجدتُ الشُّكرَ بعضَه بالقول، وبعضَه بالعملِ؛ نظرتُ في أحبِّ الأعمالِ إليه، فوجدتُه الشيءَ الذي به أقام السّماواتِ والأرض، وأرسى به الجبالَ، وأجرى به الأنهارَ، وبَرأَ به البَريّةَ، وذلك الحقُّ والعدلُ فلزمتُه، ورأيتُ ثمرةَ الحقِّ والعَدلِ عِمارة البُلدان الّتي بها مَعاشُ النّاس والدّوابِّ والطَيرِ وسكّانِ الأرضِ.

---

١) الكلمة مطموسة في الأصل قرأناها بقرينة مافي مط. ٢) لنا به: في الأصل غموض وما في مط: لما به.
٣) مط: الأولى. ٤) احتاج... صاحبَهُ: سقطت من مط. ٥) الكلمة غير واضحة في الأصل وخاصة في الحرف الأخير منها بحيث يمكن أن تقرأها «استم» لولاقرينة مافي مط: «استمر». ٦) يحتاج... كثير الشكر: سقطت من مط.

«ولما نظرتُ فى ذلك، وجدتُ المقاتلةَ أجَراءَ لأهل العمارة، ووجدتُ أيضا أهلَ العمارة أجراءَ للمقاتلة. وأمّا المقاتلة فإنّهم يطلُبون أجورَهم من أهلِ الخراج وسُكّانِ البُلدان لمدافعتهم عنهم، ومجاهدتهم من ورائهم. فحقٌ على أهل العمارةِ أن يوفّوهم أجورَهم. فإنّ عمارتَهم تتِمّ بهم، وإن ابطأوا عليهم بذلك أوهَنوهم، فَقَوِيَ عدوُّهم. فرأيت من الحَقّ [204] على أهل الخراج ألاّ يكونَ لهُم من عمارتهم إلاّ ما أقام معايشَهم، وعَمَرُوا به بُلدانَهم. ورأيتُ أن لا أجتاحَهم واستفرغَ ذاتَ أيديهم للخزائن[1] والمقاتلةِ، فإنّى إذا فعلتُ ذلك ظَلَمتُ المقاتِلةَ مع ظلمِ أهلِ الخراجِ، وذلك أنّه إذا فَسَدَ العامِرُ فَسَدَ المعمورُ، وذاك أهلُ الأرضِ والأرضُ، فإنّه إذا لم يكن لأهلِ الخراج مايُعيشُهم ويَعمُرون به بِلادَهم، هَلكتِ المقاتلةُ الّذين قوتُهم بعمارةِ الأرض وأهلِ العمارةِ. فلا عِمارةَ للأرض إلاّ بفضلِ مافى يَدِ أهل الخراج، فمِنَ الإحسان إلى المقاتلة، والاكرام لهم أن أرفُقَ بأهلِ الخراجِ وأعمُرَ بِلادَهم وأدَعَ لهم فضلاً فى معايِشِهم. فأهلُ الأرض و ذوُو الخراجِ أيدى المقاتِلةِ والجُندِ، وقُوّتُهُم، والمقاتلةُ أيضًا أيدى أهلِ الخراج وقُوّتُهُم.

«ولقد فكّرتُ وميّزتُ ذلك جَهدى وطاقتى، فما رأيتُ أن أفضّلَ هؤلاء على أولئك ولا أولئك على هؤلاءِ، إذ وجدتُهما كاليدين المتعاونتين[2]، وكالرّجلين المترافدتين. ولعمرى ماأعفىٰ أهلَ [205] الخراج من الظُّلمِ من أضرَّ بالمقاتلة، ولاكفَّ الظّلم عن المقاتلةِ من تعدّى على أهل الخراج، ولولا سفهاءُ الأساورة لأبقَوا على الخراج والبِلاد إبقاءَ الرَّجُلِ ضَيعتَه الّتى منها معيشتُه وحياتُه وقُوّتُه. ولولا جُهّال أهلِ الخراج لَكفّوا عن أنفسهم بعضَ مايحتاجون إليه من المعايش إيثارًا للمقاتلة على أنفسهم.»

قال:

[اقبلنا بعدَ ذلك على السِّيَر والسُّنَن]

«ولمّا فرغنا[3] من إصلاح العامّة والخاصّةِ بهذين الرُكنين من أهل الخراج والمقاتلة، وكان ذلك ثمرةَ العدلِ والحَقّ الّذى به دَبّر اللهُ العظيم خلائقَه، وشكرتُ الله على نِعَمِه فى أداءِ حقّه على مواهبه، وأحكمنا أمورَ المقاتلة وأهلِ الخراج ببسط العدلِ ؛ اقبلنا بعد ذلك على السِّيَرِ والسُّنَنِ. ثم بدأنا بالأعظم فالأعظم نفعًا لنا والأكبر فالاكبر عائدةً على

١) مط: للخزان. ٢) فى الأصل ومط: المتعاونين، المترادفين. فأنثناهما. ٣) مط: ماعرفنا.

جُندِنا ورعيَّتنا. ونظرنا فى سِيَرِ آبائنا من لدن بُشتاسفَ، إلى مُلكِ قباذَ أقربِ آبائنا مِنّا، ثم لم نترك صلاحًا فى شىءٍ إلاّ أخذناه ، ولا فسادًا إلاّ أعرضنا عنه، [206] ولم يَدعُنا إلى قبول مالاخيرَ فيه من السُّنَنِ حُبُّ الآباءِ، ولكنّا آثرنا حُبَّ اللهِ وشكرَه وطاعتَهُ.

«ولمّا فرغنا من النَّظَرِ فى سِيَرِ آبائنا، وبدأنا بهم، وكانوا أحقَّ بذلك، فلم نَدَع حقًّا إلاّ أكثرناه، ووَجَدنا الحقَّ أقربَ القرابة؛ نَظَرنا فى سِيَرِ أهل الرّوم والهند، فاصطفينا محمودَها، وجعلنا عِيارَ ذلك عقولَنا، وميَّزناهُ بأحلامِنا[١]، فأخذنا من جميع ذلك ما زَيَّن سلطانَنا، وجعلناه سُنَّةً وعادةً، ولم تُنازعنا أنفسُنا إلى ماتميلُ إليه أهواؤنا، وأعلمنا هُم ذلك وأخبرناهم به، وكتبنا إليهم بما كَرِهنا لهم من السِّيَرِ ونَهيناهُم عنه، وتقدّمنا إليهم فيه، غيرَ أنّا لم نُكرِه أحدًا على غيردينه ومِلَّتِه ولم نَحسُدهُم ماقِبَلَنا، ولا مع ذلك أنِفنا مِن تعلُّمِ ماعِندَهُم، فإنَّ الإقرارَ بمعرفة الحقِّ والعلمِ، والاتّباعَ له، مِن أعظم ماتزيَّنت به الملوك، ومِن أعظم المضرّةِ على الملوك الأَنَفَةُ من التّعلُّمِ، والحميّةُ من طلبِ العلم، ولايكونُ عالِمًا مَن لايتعلَّمُ. [207]

«ولمّا استقصيتُ ما عند هاتين الأمّتين من حكمة التّدبير والسِّياسة، وصلتُ[٢] بين مكارم أسلافى، وما أحدثتُه برأيى، وأخذتُ به نفسى، وقبلتُه عن الملوكِ الذين لم يكونوا منّا وَثَبتُّ على الأمر الّذى نلتُ به الظَّفَر والخيرَ. ورفضتُ سائرَ الأمم، لأنّى لم أجد عندهم رأيًا ولا عقولاً، ولا أحلامًا، ووجدتُهم أصحابَ بَغىٍ وحسدٍ وكَلَبٍ وحِرصٍ وشُحٍّ وسوءِ تدبيرٍ وجَهالةٍ ولؤمِ عهدٍ وقلّةِ مكافأةٍ. وهذه أمورٌ لاتصلح عليها ولايةٌ، ولاتَتِمُّ بها نعمةٌ.»[٣]

□□□

وقرأتُ مع هذه السِّيرة فى آخر هذا الكتاب، الّذى كتبه أنوشروان فى سيرة نفسه، أنّ أنوشروان لمّا فرغ من أمور المملكة وهذّبها، جمع إليه الأساورة مع القُوّادِ والعظماءِ والمرازبةِ والنُّساكِ والمَوابذةِ وأماثلِ النّاس معهم، فخطبهم فقال:

---

١) جمعٌ مفرده الحِلم: العقل. ٢) فى الأصل ومط: «ووصلت» بواو العطف. فحذفنا الواو لوجود «لمّا» فى بداية الجملة. ٣) قال ابن الأثير، بعد ذكر كلماتٍ من أنوشروان فى الحكمة وإصلاح أمر الخراج: فانظر إلى هذا الكلام الّذى يدلّ على زيادة العلم وتوفّر العقل والقدرة على منع النفس، ومن كان هذا حاله استحقّ أن يُضربَ به المثلُ فى العدل إلى أن تقوم الساعة (١: ٤٧٥).

خُطبةُ أنوشِروانَ

«أيّها النّاسُ! احضِرونی فهمَكم، وأرعونی[١] أسماعَكم، وناصِحونی أنفُسَكم، [208] فإنّی لم أزل واضعًا سيفی على عُنُقی ـ مُنذُ وَليتُ عليكم ـ غَرَضًا للسُّيوفِ والأسنّة، كُلُّ ذلك للمدافعة عنكم والإبقاء عليكم، وإصلاح بِلادكم مرّةً بأقصى المشرقِ، وتارةً فی آخر المغرب، وأخرى فی ناحيةِ الجنوب، ومثلها فی جانب الشّمال. ونقلتُ الّذين اتّهمتُهم إلى غير بِلادهم، ووضعتُ الوضائعَ فی بلدانِ التُّرك، وأقمتُ بُيوتَ النّيرانَ بقسطنطينيّة، ولم أزل أصعد جبلاً شامخًا وأنزل عنه، وأطأُ حُزُونَه[٢] بعد سهولِه، وأصبر على المخمصةِ والمخافة، وأكابد البردَ والحرَّ، وأركب هَولَ البحرِ وخَطَرَ المفازةِ، إرادةَ هذا الأمر الّذی قد أتمَّهُ الله لكم مِن الإثخانِ فی الأعداء، والتّمكينِ فی البلاد، والسّعة فی المعاش ودركِ العِزِّ، وبلاغِ ما نِلتُم. فقد أصبحتم بحمدالله ونعمته على الشّرَفِ الأعلى من النّعمةِ والفضلِ الأكبر من الكرامة والأمن، وقد هزم اللهُ أعداءَكم وقَتَلَهُم. فهُم بين مقتولٍ هالكٍ، وحیٍّ مطيعٍ لكم سامعٍ.

«وقد بقی لكم عَدوٌّ عددُهم[٣] قليلٌ، وبأسُهم شديدٌ، وشوكتُهم [209] عظيمةٌ، وهؤلاءِ الّذين بَقوا، أخوَفُ عندی عليكم، وأحرىٰ أن يهزموكم ويغلبوكم، من الّذين غَلَبتُموهُم مِن أعدائكم أصحابِ السُّيوفِ والرِّماحِ والخُيول. فإن أنتم ـ أيّها النّاسُ ـ غلبتُم عدوَّكم هذا[٤] الثانی غَلَبَتَكُم لِعدوِّكم الّذين قاتلتُم وحاصرتُم، فقد تَمّ الظّفَرُ والنّصرُ، وتَمّت فيكم القوّةُ وتَمَّ لكم العِزُّ، وتمّت عليكم النّعمةُ، وتَمَّ لكم الفَضلُ، وتمّ لكم الاجتماعُ والأُلفةُ والنّصيحةُ والسّلامةُ. وإن كنتُم قصّرتُم ووَهَنتُم، وظفرَ هذا العَدوُّ بكم، فإنّ الظّفَر الّذی كان منكم على عَدوِّكُم بالمغربِ والمشرقِ وفی الجنوب والشّمال، لم يكن ظفرًا مِنكم، فاطّلبوا أن تقتلوا من هذا العدوِّ الباقی مِثلَ الّذی قتلتُم من ذلك العَدُوِّ الماضی، ولْيَكُن جِدُّكم فی هذا واجتهادُكم واحتشادُكم أكبرَ وأجلَّ وأحزمَ وأعزمَ وأصحَّ وأسدَّ. فإنّ أحقَّ الأعداءِ بالإستعدادِ له أعظمُهم مَكيدةً وأشدُّهم شوكةً، وليس الّذی كنتم تخافون من

---

١) أرعونی: أرعى فلانًا سمعَهُ: أصغى إليه واستمع لكلامه. ٢) الحُزون: جمع الحَزن: ماغلظ من الأرض.

٣) عدوٌّ عددهم: بضمير الجمع، باعتبار المعنى. ٤) مط: «هذا الآتی عليكم لعدوّكم الّذين قاتلتم» بدل «هذا الثانی غلبتَكم لعدوّكم الّذين قاتلتم.»

عدوَّكم الَّذى قاتلتُم، بقريبٍ [210] من هؤلاءِ الَّذين آمُرُكُم بقتالهم الآنَ. فاطلبوه، وَصِلوا ظَفَرًا بظَفَرٍ، ونصرًا بنصرٍ، وقُوّةً بقُوّةٍ، وتأييدًا بتأييد، وحزمًا وعزمًا بِحَزم وعَزمٍ، وجهادًا بجهادٍ. فإنَّ بذلك اجتماعَ صلاحِكم، وتمامَ النِّعمةِ عليكم، والزِّيادةَ فى الكرامة من اللهِ لكم، والفوزَ برضوانه فى الآخرةِ.

«ثم اعلموا أنَّ عَدوَّكم من التُّركِ والرُّوم والهندِ وسائرِ الأمم، لم يكونوا لِيبلُغوا منكم - إن ظهروا عليكم وغلبوكم - مثلَ الَّذى يبلغ هذا العدوُّ منكم، إن غلبكم وظهر عليكم. فإنَّ بأسَ هذا العدوِّ أشدُّ، وكيدُه أكبرُ، وأمرُهُ أخوَفُ من ذلك العدوِّ.

«يا أيها النّاسُ، إنّى قد نَصِبتُ[1] لكم كما رأيتُم، ولقيتُ ماقد علمتم بالسَّيف والرُّمح والمفاوزِ والبحارِ والسُّهولةِ[2] والجبالِ أقارِعُ عدوًّا عدوًّا، وأكالِبُ جندًا جندًا، وأكابِدُ مَلِكًا مَلِكًا، لم أتضرَّع إليكم هذا التَّضرُّعَ فى قتالِ أولئك الجنودِ والملوكِ، ولم أسالكم هذه المسألةَ فى طلبِ الجدِّ والاجتهاد والاحتفالِ [211] والاحتشادِ[3]، وإنّما فعلتُ هذا اليومَ لِعِظَمِ خَطَره، وشِدّةِ شوكتِه ومخافةِ صولتِه بِكم، وإن أنا - أيُّها النّاسُ - لم أغلب هذا العدوَّ وأنفِه[3] عنكم، فقد أبقيت فيكم أكبرَ الأعداءِ، ونفيتُ عنكم أضعفَها. فأعينونى على نفى هذا العدوِّ المخوفِ عليكم، القريبِ الدّارِ[4] منكم. فأنشدُكم الله - أيُّها النّاسُ - لمّا أعنتمونى عليه حتّى أنفيَهُ عنكم وأخرجَه مِن بينِ أظهركم، فيتمَّ بلائى عندكم، وبلاءُ الله فيكم عندى، وتتمَّ النِّعمةُ علىَّ وعليكم، والكرامةُ من اللهِ لى ولكم، ويتمَّ هذا العزّ[5] والنَّصرُ وهذا الشّرفُ والتّمكينُ، وهذا الثّروةُ والمنزلةُ.

«يا أيُّها النّاسُ! إنّى تفكّرتُ بعدَ فراغى من كتابى هذا وما وصفتُ من نعمة اللهِ علينا فى الأمر الَّذى، لمّا غلب «دارا» الملوكَ والأمَمَ، وقهرَها واستولىٰ على بلادِها، ثم لمّا لم يُحكم أمرَ هذا العدوِّ؛ هلك [بِسَبَبِه][6] وهلكت جنودُه، بعدَ السَّلامةِ والظَّفرِ والنَّصرِ والغلبةِ. وذلك أنه لم يرضَ بالأمر الَّذى تمَّ له به المُلكُ، واشتدَّ به له السُّلطان وقوىَ به على [212] الأعداءِ، وتمّت عليهِ بهِ النِّعمة، وفاضت عليه من وجوه الدُّنيا كلّها الكرامةُ، حتّى احتيلَ له بوجوه النَّميمةِ: البغىِ، فدعا البغىَ، والحَسَدِ، فتقوّىٰ به و تمكّنَ. ودعا الحسدَ

---

١) نَصِبَ نَصَبًا: أعيى وتعب. ٢) السّهولة: جمع السَّهل. ٣) الكلمة غير واضحة فى الأصل وما أثبتناه من مط. ٤) مط: القريب الدّانى ٥) كذا فى مط: العز، وفى الأصل غموض. ٦) تكملةٌ اقتضاها السِّياق، فأضفناها.

بعضُ أهلِ الفقرِ لأهلِ الغنىٰ، وأهل الخُمولِ لأهلِ الشرف. ثمَّ أتاهم الإسكندرُ على ذلك مِن تفرُّق الأهواءِ، واختلافِ الأمور، وظهورِ البغضاء، وقُوّةِ العَداوةِ فيما بينَهم، والفسادِ منهم. ثم ارتفع ذلك إلى أن قتلهُ صاحبُ حَرَسِه وأمينُه علىٰ دمِه، لِلّذى شَمَلَ قلوبَ العامّةِ من الشرِّ والضَّغينةِ، وثَبَتَ فيها مِنَ العَداوةِ والفُرقَةِ، فكفى الأسكندرَ مَؤُنَةَ نَفسِه. وقد اتعَظْتُ بذلك اليوم فذَكَرتُه.

« يا أيُّها النّاسُ! فلا أسمعَنَّ فى هذه النِّعمةِ تفرُّقًا ولابَغيًا ولاحَسَدًا ظاهرًا ولا وشايةً ولا سِعايةً، فإنَّ اللهَ قدطَهَّر من ذلك أخلاقَنا ومُلكَنا وأكرمَ عنه ولايَتنا. ومابَلِتُ مابَلتُه ـ بنعمة ربِّنا وحمدِه ـ بشىءٍ مِن هذه الأمورِ الخبيثةِ الّتى نَفَتها العُلماءُ، وعافَتها الحُكَماءُ، ولكنّى بَلِتُ هذِهِ الرُّتَبَ [213] بالصِّحّةِ والسَّلامةِ، والحُبِّ للرَّعيَّةِ، والوفاءِ والعدلِ والاستقامةِ والتُّؤَدَةِ. وإنّما تركنا أن نأخُذَ عن هذه الأُمَمِ الّتى سَمّيناها أعنى: مِنَ التُّركِ والبَربَرِ والزَّنج والجبالِ وغيرهم مِثل ما أخذنا عن الهند والرّوم، لظهورِ هذه الأخلاق فيهم وغَلَبَتِها عليهم. ولم تَصلح أمّةٌ قطُّ ولامَلِكُها علىٰ ظهورِ هذه الأخلاقِ فيها. وإنَّ أوّلَ ماأنا نافٍ وتاركٌ مِن هذِه الأمورِ، هذه الأخلاقُ الّتى هى أعدى أعداءِكم.

«يا أيُّها النّاس! إنَّ فيما بَسطَ اللهُ علينا بالسَّلامَةِ والعافيةِ والاستصلاحِ، غِنىً لَنا عمّا نطلب بهذه الأخلاقِ المُردِيَةِ المشؤومةِ. فاكفُونى فى ذلك أنفُسَكم فإنَّ قَهرَ هذه الأعداءِ أحبُّ إلىَّ وخيرٌ لَكُم مِن قهرِ أعدائكم من التُّركِ والرُّوم. فأمّا أنا ـ يا أيُّها الناسُ ـ فقد طِبتُ نفسًا بتركِ هذه الأمورِ ومَحقِها وقَمعِها ونَفيِها عنكم، لا حاجةَ لى بما فيها، ولا بالّذى علىَّ منها، فطيبوا أنفُسًا بالّذى طِبتُ [214] به نفسًا منكم.

«يا أيُّها النّاسُ! إنّى قد أحببتُ أن أنفىَ عنكم عدوَّكم الباطِنَ والظّاهِرَ، فأمّا الظّاهر منهما، فإنّا بحمدِاللهِ ونعمتِه، قدنفيناه وأعانَنا اللهُ عليه وخَضَدَ[١] لنا شوكتَه، وأحسنتم فيه وأجملتم وآسَيتُم وأجهدتم. فافعلُوا فى هذا العَدُوِّ كما فعلتم فى ذلك العدوِّ، واعملوا فيه كالّذى عملتم فى ذلك، واحفظوا عنّى ما أوصيكم به، فإنّى شفيقٌ عليكم ناصحٌ لكم.

«أيُّها النّاسُ! من أحيى هذه الأمورَ فينا، فقد أفسد بلاءَه عندنا بقتاله مَن كان يقاتلنا من أعدائنا، فإنَّ هذه أكثر مضرَّةً وأشدُّ شوكةً وأعظم بليّةً وأضرُّ تَبِعةً. واعلموا أنَّ خيركم ـ يا أيُّها النّاسُ! ـ مَن جَمعَ إلى بلاءِهِ السّالفِ عندنا، المَعونةَ لنا على نفسه فى هذا الغابِر.

---

١) خضد الشىء: كسره من غير فصل. خضد الشجر: نزع الشوك عنه.

واعلموا أنّ مَن غَلَبَهُ هذا غَلَبَ عليه ذاك، ومن غَلَبَ هذا فقد قَهرَ ذاك. وذلك أنّ بالسّلامة، والأُلفةِ، والمَودّة، والاجتماعِ، والتّناصح منكم يكونُ العزُّ والقُدرةُ [215] والسلطانُ، ومع التّحاسُدِ، والبغى، والنّميمة، والتّشتُتِ، يكون ذهابُ العزِ وانقطاعُ القُوّةِ، وهلاكُ الدُّنيا والآخرةِ. فعليكم بما أمرنا كم به، واحذروا ما نهيناكم عنه، ولاقُوّةَ إلا باللهِ. عليكم بِمُواساة أهلِ الفاقةِ وضيافةِ السّائلةِ. وأكرِموا جِوارَ مَن جاوَرَكم ، وأحسِنُوا صُحبَةَ مَن دَخلَ من الأُمَمِ فيكم، فإنّهم فى ذِمّتى. لاتَجبَهوهم[١] ولا تَظلِمُوهم، ولا تَسلّطوا عليهم، ولاتُحرِجُوهم، فإنّ الإحراجَ يدعو إلى المَعصيةِ، ولكن اصبِرُوا لهم على بعضِ الأذى، واحفظوا أماناتِكم وعهدَكم واحفظوا ما عهدتُ إليكم من هذه الأخلاق، فإنّا لم نَرَ سلطانًا قطُّ ولا أُمّةً هلكوا إلاّ بترك هذه الأخلاق، ولاصَلحوا إلاّ مَعَها. وباللهِ ثِقَتُنا فى الأمور كُلِّها.»

□□□

ثُمّ هلك أنوشروان بعد ثمانٍ[٢] وأربعين سنة من مُلكِه، وملك ابنُه:

هُرمُزُ بنُ أنوشِروانَ

[216] وكانت أمُّه بنتَ خاقان الأكبر، و كان كثير الأدبِ، حَسَنَ النّيّةِ فى الإحسان إلى الضُّعفاءِ والمساكين، إلاّ أنّه كان يحمل على الأشراف، فعادَوهُ وأبغضُوه فعلم بذلك منهم، فكان فى نفسه منهم مثلَ مافى أنفسهم منه.

[من سيرته المرتضاة]

وكان من سيرته المرتضاة: أنّه تحرّى الخيرَ والعدلَ على الرّعيّة، وتشدّدَ على العُظَماء المستطيلين على الضُّعفاءِ، وبلغ من عدله أنّه كان يسيرُ إلى ال «ماه» ليُصيفَ هناك، فأمر فنودى فى مسيره ذلك فى مواضع الحروث أن يُتحامىٰ، ولايسيرَ فيها الرّاكب لئلاّ يُضِرُّوا بأحدٍ وَ وكُلّ بتعهُّدِ مايجرى فى عسكره، ومعاقبةِ من تعدّى أمرَه، وتغريمِه عِوَضًا لصاحب الحرث.

وكان ابنُه كسرى فى عسكره، فَعارَ[٣] مركبٌ من مَراكبِه، ووَقعَ فى مَحرَثةٍ من المَحارثِ الّتى

١) لاتجبهوهم: لاتقابلوهم بما يكرهون. ٢) فى الأصل ومط: ثمانية. ٣) عار يعير عَيرًا: ذهب وجاءَ متردّدًا.

كانت على طريقه، فَرَتَعَ فيها، وأفسد منهـا. فأُخِـذَ ذلك المركبُ، وَرُفِـعَ إلى الرَّجُـلِ الّذى وكّله هرمزُ بمعاقبةِ مَن أفسَدَ[217]هو أو دابّتُه شيئًا مِن المحارثِ وتغـريمه، ولم يَقـدِر الرَّجُـلُ على إنفـاذ أمر هُرمُز فى كسرى ابنه، ولا أحدٌ من حَشَمِه. فَـرَفعَ ماراىٰ من إفسـاد ذلك المركبِ إلى هُرمُزَ، فأمَرَهُ أن يَجدَعَ[1] أُذُنيه، ويُبَتِّرَ ذَنَبَهُ، ويُغَرِّمَ كِسرىٰ. فخرجَ الرَّجلُ لإنفاذ الأمر. فَـدَسَّ له كسـرى رهطًا من العُظماءِ ليسألوه التَّغبيبَ[2] فى أمره، فلقوهُ وكلَّموهُ فى ذلك، فلم يُجِـب إليه، فسألوهُ أن يؤخِّرَ ماأمربه هرمزُ فى المركبِ حتّى يُكلِّموهُ. فأمر بالكفِّ عنه، فَفَعِلَ. فلقى أُولئك الرَّهطُ هرمزَ، وأعلموهُ أنَّ بذلك[3] [المركب][4] الّذى عار، زعارةً، وأنّه أُخِـذَ لِلوقــتِ. وسألوه أن يأمُرَ بالكفِّ عن جَدعه وتبتيره لِما فيه من سوءِ الطِّيَرَة. فلم يُجِبهم إلى ماسألوه، وأمر بالمركب، فَجُـدِعَ أُذُناه وبُتِّرَ ذَنَبُهُ وغُرِّمَ كِسرى كما يُغَرِّمُ غيرهُ فى هذا الحَدِّ، ثُمَّ ارتحلَ.

وأيضا: ركب ذاتَ يومٍ فى أوان إيناعِ الكَرمِ إلى سـاباط[5] المدائـن [218] وكان مَمَرُّهُ على بساتينَ وكُرومٍ. فاطَّلع[6] بعضُ أساورته فى كَرمٍ، فرأىٰ فيه حِصرِمًا فأصابَ منها عناقيدَ، ودفَعَهـا إلى غلامه وقال:

ـ «إذهب بها إلى المنزل، واطبُخها بِلَحمٍ، واتَّخِذ منها مَرقَةً، فإنّها نافعةٌ فى هذا الإبّان.»

فأتاه حافظُ ذلك الكَرمِ، فلَزِمَهُ وصَرخَ. فَبلغ إشفاقُ الرَّجـلِ مِن عقـوبةِ هرمزَ على تناوله من ذلك الكرم، أن دفع إلى حافظ الكَرمِ مِنطَقةً[7] مُحلاةً بذهبٍ كانت عليه، عِوَضًـا له من الحِصـرمِ الّذى رَزَأَه[8] من كرمه، وافتدى بهـا نفسَـهُ، ورأى أنَّ قَبضَ الحـافِظ إيّاها منه، وتَخلِيَتَهُ عنه، مِنّةٌ منَّ بها عليه[9].

فهذه كانت سيرة هُرمُزَ فى العدلِ والضَّبط والهَيبةِ، وكان مظفرًا منصورًا لايَمُدُّ يَدَه إلى شىءٍ إلاّ وأتاهُ، وكان مع ذلك أديبًا، أريبًا، داهيًا، إلاّ عِرقًـا قـدنزعه[10] أخـوالُه من التُّركِ. فكـان لذلك مُقصيًا لِلأشراف وأهلِ البيوتاتِ والعلماءِ.

وقيل: إنّه قَتَل ثلاثةَ عَشَرَ ألفَ رَجُلٍ وستَّمائةِ رجلٍ. ولم يكن [له رأىٌ][11] إلاّ فـى [تألُّفِ][12]

---

١) جدعه: قطع أنفَهُ أو طـرفًا من أطـرافه. ٢) غبّب فـلانٌ فـى الأمر: لم يُبالغ فيه. ٣) مط: أنّ بتلك الدّابّة الّتى غارت غازة وأنه أخذ للوقت! ٤) فى الأصل: «الدّابّة» فـاستبدلناها بـ «المركب» مراعاةً لتذكير مايرتبط به من موصولٍ وضمير. ٥) ساباط: قرية كانت قريبةً من المدائن وهى ـ حسب معجم البلدان ـ ساباط كسرى، بناها الملك بلاش (= ولاش)، ولذلك قديُسمّى: بلاش آباذ. ٦) إطّلع: مالَ. وفى مط والطبرى: إطّلع. ٧) المنطقة والمنطق: مايُشدُّ به الوسط. ٨) رزاه مالَهُ: أصـاب منه شيئًا فنقصـه. ٩) انظر الطّبرى ٢: ٩٩٠. ١٠) نَزَعَهُ عرقٌ: أشبَهَ أصلَهُ. ١١) الأصل غير واضح وما أثبتناه من مط. ١٢) الأصل غير واضح، ←

السَّفِلَةِ واستصلاحِهِم. وحَبَسَ خَلْقًا من العظماءِ، وحَطَّ [219] مَراتِبَ خلقٍ، وقَصَّرَ[١] بالأساورةِ، [ففسدت][٢] عليه نِيّاتُ جُندِهِ من الكُبَراءِ، [واتّصل][٣] ذلك بما جَناهُ على بَهرام شُوبين مِمّا سَنَحكيهِ. فكان ذلك سببَ هلاكِهِ.

ذِكرُ سوءِ اختياره
جُندَهُ وبَهرامَ جوبين[٤] حتّى هَلَكَ

خرج على هرمز خَوارِجُ منها: «شابة[٥] ملكُ التُّركِ الأعظم فى ثلاثمائة ألفِ مقاتل. وصار إلى باذغيس[٦]، وذلك بعد إحدى عشر سنةً من مُلكِهِ، وخرجَ عليه مَلِكُ الرّومِ فى ثمانين ألف مقاتلٍ قاصدًا له، وخرج عليه مَلكُ الخزر حتّى صار إلى بابِ الأبواب، وخرج عليهِ من العربِ خَلقٌ نزلوا فى شاطئِ الفراتِ، وشنّوا الغارةَ على أهلِ السّوادِ واجترأ عليه أعداؤه، وغزَوا[٧] بِلادَهُ.

فامّا شابة مَلِكُ التُّركِ فإنّه أرسل إلى هُرمز وإلى عظماءِ الفُرسِ يُؤذِنُهُم بإقباله ويقول:

- «رُمُّوا لى قناطِرَ أنهارٍ وأوديةٍ أجتازُ عليها إلى بلادِكم، واعقِدُوا القناطرَ على كُلِّ نهرٍ لاقَنطَرَةَ له، وافعلوا ذلك فى الأنهار والأودية الّتى عليها مَسلَكى مِن بِلادِكم إلى بلادِ الرُّومِ، فإنّى مُجمِعٌ على [220] المسير إليها مِن بلادِكُم.

فاستفظع هرمز ماورد عليه من ذلك، فشاور فيه، فأُجمِعَ له على قصدِ مَلِكِ التُّركِ وصَرفِ العنايةِ إليه. فوجّه إليه رجلاً من أهل الرَّيِّ يقال له: بهرام بن بهرام جُشنَس[٨] ويُعرف بِـ «جوبين». فاختار بهرامُ من الجُند اثنى عشر ألفَ رجُلٍ على عَينَيهِ من الكهولِ دون الشّباب، وكانت عِدّةُ من يشتمل عليه الدّيوان سبعينَ ألفَ مُقاتِلٍ.

فمضى بهرامُ بجِدٍّ وإغذاذٍ، حتّى حاز هراةَ وباذغيسَ، ولم يشعُر شابة ببهرامَ حتّى نزل بالقربِ منه معسكِرًا. فجرت بينهما حروبٌ ورسائلُ، إلى أن قَتَلَ بهرامُ شابةَ برميةٍ رماها إيّاه، فاستباح

← وقرأناه بصعوبة. مط: الف السلفة! تألفه: تكلّف الفته وداراه.

١) قصّر عن الأمر: تركه. قصّر فى الأمر: تهاون فيه. قصّر فى العطيّة: قلّلها. ٢) الأصل غير واضح، وما اثبتناه من مط. ٣) الأصل غير واضح وما اثبتناه من مط. ٤) بالفارسية: چوبين. وقد تكرّر هذا الاسم فى النّصّ، فتارة ورد «جوبين» واخرى «شوبين» فوحّدنا هما فى الإثبات على الصّورة الأولى: جوبين. ٥) مط: شانه. ٦) باذغيس، بادغيس. بالفهلويّة: Vatgis: ولايةٌ بين هراة ومروالرود (لج). ٧) انظر الطّبرى: ٢: ٩٩١. ٨) جُشنس: معرّب گُشنَس، وهو مخفّف گُشنَسب. بالفهلويّة: Vushnasp, Gushnasp (حب).

عسكَره، وأقام موضعَه، فوافاهُ بَرمودَةُ[١] بنُ شابةَ، وكان يُعدَلُ بأبيه، فحارَبَه، فهزمَه، وحَصرهُ فى بعضِ الحصون، ثُمَّ ألحَّ عليه حتَّى استسلم له، فوجَّهَه أسيرًا إلى هُرمُز، وغَنِمَ كنوزًا عظيمةً.

فيقال: إنه حَمَلَ إلى هرمز من الأموالِ والجواهر والأوانى وسائر الأمتعه مِمّا غَنِمَهُ وِقرَ مائتينِ وخمسينَ ألفَ بعير فى مُدّة تلك الأيّام. فشكره هرمز على [221] ذلك، إلاّ أنّه أرادَ منه أن يتقدَّمَ بِمَن معهُ إلى بلادِ التُرك، وكاتَبَهُ فى ذلك، فلم يَرَ بهرامُ ذلك صَوابًا. ثُمَّ خاف بهرامُ سطوةَ هُرمزَ. وحُكى له: أنَّ الملكَ يستقلُّ ماحمله إليه من الغنائم فى جَنبِ ماوصلَ إليه وأنه يقولُ فى مجالسه: «بهرامُ قدتَرَفَّهَ، واستطابَ الدَّعَةَ». وبلغ ذلك الجُندَ، فخافوا مثلَ خَوفِه.

فيقال: إنَّ بهرامَ جمع ذات يومٍ وجوه عسكره، فأجلسهم على مَراتبِهم، ثُمَّ خَرَجَ عليهم فى زِىِّ النِّساءِ، وبيده مِغزَلٌ وقُطنٌ، حتى جلس فى موضعه، وحُمِلَ لِكُلِّ واحدٍ من أولئك القومِ مِغزلٌ وقُطنٌ، فَوُضِعَ بين أيديهم، فامتعضوا من ذلك وأنكروهُ. فقال بهرام:

«إنَّ كِتابَ الملكِ وَرَدَ عَلَىَّ بذلك، ولابُدَّ من امتثالِ أمره إن كنتم طائعين.»

فاظهَروا أنَفَةً وَحَمِيَّةً، وخَلَعُوا هرمزَ، وأظهروا أنَّ ابنَه أبَرويز[٢] أصلحُ للمُلكِ مِنه، وساعَدَهم على ذلك خَلقٌ كثيرٌ مِمَّن كان بحضرةِ هُرمزَ.

وأنفذ هرمزُ جيشًا كثيفًا مع آذينجشنس لمحاربة بَهرام، وأشفق أبرويزُ من الحديثِ وخافَ سطوةَ [222] بهرامَ، فَهَرَبَ إلى آذربَيجان. فاجتمع إليه هناك عِدّةٌ من المرازبة والإصفهبذينَ، فأعطَوه بيعتَهم. ولم يُظهر أبرويز شيئًا، وأقام بمكانه إلى أن بَلَغَهُ قتلُ آذينجُشنَسَ الموجَّهِ لِمحاربةِ بهرام جوبين، وانفضاضُ الجمعِ الّذى معه، واضطرابُ أمرِ أبيه هُرمزَ.

وكَتَبَت إليه أختُ آذينخشنس ـ وكانت تِربهُ ـ تُخبره بِضعفِ أبيهِ هُرمُز، وأعلمتهُ أنّ العظماءَ والوجوهَ قد أجمعوا على خَلعِه، وأعلمته أنَّ جوبين ـ إن سَبَقَهُ إلى المدائن ـ احتوى على المُلكِ. ولم تَلبَثِ العُظماءُ بذلك أن وَثَبَت على هرمز وفيهم بُندويه[٣] وبَسطام خالا أبرويز. فَخَلَعُوهُ وسملوا عَينَيهِ وتَركوهُ تحرجًا من قَتله. فلمّا بلغ ذلك أبرويز، بادر بمن معه إلى المدائن وسبق إليها بهرام جوبين، وتتوَّج وجَمعَ إليه الوجوه والأشرافَ، وجَلَسَ لهم على سريره، ومَنّاهُم ووَعَدَهم وقال:

ـ «إنَّ هُرمُزَ كان لهم قاضيًا عادلاً ومن نِيَّتِنا البِرُّ والإحسانُ، فعليكم بالسَّمع والطّاعةِ.»

فَاستَبشَرَ له النّاسُ، ودَعَوا لَهُ.

فلمّا كان اليومُ [223] الثّانى، أتى أباه، فَسَجَدَ له وقال: «عمَّرك اللهُ أيُّها المَلِكُ، إنّك تعلم

---

١) مط: رموز بن شانه. ٢) بالفهلويّة: Aparvēj: المنتصر (حب) ٣) فى الطّبرى: بِندى.

أنّى بَرِىءٌ مِمّا آتاه إليك المنافقون، وإنّما هَرَبْتُ خوفًا منك.»

فصدَّقَهُ هرمز وقال له:

- «يا بُنَىّ! لى إليك حاجتان، فاسعِفنى بهما: إحداهما أن تنتقِمَ مِمّن عاوَن على خَلعى والسَّملِ لِعَينى، ولا تأخذك بهم رأفةٌ، والأُخرى أن تؤنِسَنى كُلَّ يومٍ بثلاثة نَفَرٍ لهم أصالةُ رأى، وتأذنَ لهم فى [الوُصول][1] إلىَّ.»

فتواضع له أبرويز وقال:

- «عمرَكَ الله أيُّها المَلِكُ، إنّ المارِقَ بهرامَ قد أظلّنا[2] ومعه الشجاعةُ والنَّجدةُ، ولسنا نقدرُ أن نَمُدَّ يدًا إلى مَن أتى إليك ما أتى، فإنّهم وُجوهُ أصحابِك. ولكن إن أدالَنى اللهُ مِن المنافق، فأنا خليفتُك وطوعُ أمرِك.»

ذكرُ الحيلةِ التى تَمّت لأبَرويزَ حتّى أفلتَ مِن بهرامَ بعدَ ظَفَرِهِ بِه ورجُوعِه بعدَ ذلك وقَتلِه إيّاه ببلادِ التُّركِ واستيلائه على المُلكِ

إنّ أبرويزَ خرجَ إلى النَّهروانِ لمّا وَرَدَها بهرام، وواقفه[3] وجَعَلَ النَّهرَ بينَهُ وبينَهُ، ودار بينَهما كلامٌ كثيرٌ[4]، كلُّ ذلك يدور على استصلاح بهرام، فلايَرُدُّ [224] عليه بَهرامُ إلاّ مايسوءُهُ، حتى يَئِسَ مِنهُ وأجمع على حربِه. ولهما أخبارٌ كثيرةٌ وأحاديثُ طويلةٌ آخرها: أنّ أبرويز ضعف عنه بعد أن قتلَ بيدِهِ ثلاثةَ نفرٍ من الأتراكِ كانوا وثَقوا ببهرامَ مِن أبرويز، وضمِنَ لهم عليه مالاً عظيمًا، وكان هؤلاءِ الثّلاثةِ مِن أشدِّ الأتراك وأعظمِهم أجسامًا وشجاعةً. ثُمَّ رأى أبرويزُ من أصحابه فتورًا وحرَّضَ أصحابَه فتبيَّنَ منهم فشلاً. فصار إلى أبيهِ وشاورهُ، فرأى له المصيرَ إلى مَلِكِ الرُّومِ. فأحرزَ نِساءَهُ، وشَخَصَ فى عِدّةٍ يسيرةٍ فيهم: بُندُويَه، وبَسطام، وكُردى[5] أخو بهرام. لأنّ كُردِى هذا كان ماقِتًا لأخيه، مُعاديًا له، شديدَ الطّاعة والنّصيحةِ لأبرويزَ. فلمّا خرجوا، مِن المدائن خاف القوم مِن بهرام وأشفقوا أن يَرُدَّ هُرمزَ إلى المُلكِ، ويكاتِبَ مَلِكَ الرّومِ عَن هُرمزَ فى ردِّهم، فَيَتلَفُوا. فأعلموا أبرويزَ ذلك واستأذنوا فى إتلافِ هرمزَ فلم يُحِر[6] جوابًا. فانصرف

١) الأصل غير واضح. مط والطبرى: فى الدّخول علىّ (٢: ٩٩٦). ٢) أظلّنا: دنا مِنّا. أقبل علينا. غَشِيَنا.
٣) واقفه فى حرب أو خصومة: وقف معه. ٤) أنظر الطّبرى: ٢:٩٩٦. ٥) أنظر الطبرى ٢: ٩٩٨.
٦) أحار الجواب: ردّه.

بندويةُ وبسطام وطائفة معهما إلى هُرمزَ حتّى أتلفوهُ خنقًا، ثُمّ رَجَعُوا [225] إلى كسرى وقالوا:

- «سِر على خيرِ طائرٍ.»

فحثُوا دَوابَّهم، وصاروا إلى الفراتِ، فقطعوهُ، وأخذوا طريق المفازةِ، بِدلالةِ رجلٍ يُقال له: خُرشيذان[١]، وصاروا إلى بعض الدّيارات فى أطرافِ العمارة. فلمّا أوطِنوا الرّاحةَ، لحقتهم خَيلُ بهرامَ. فلمّا نَذِروا بهم، انبَهَ بُندُويَه ابرويزَ مِن نومِه وقال له:

- «إحتَل لنفسِك، فإنّ القومَ قد أظلُّوكَ.»

فقال كسرى: «ماعندى حيلةٌ.»

فقال بُندُويَه: «فإنّى سأحتالُ لك بأن أبذلَ نفسى دونك.»

قال: «وكيف ذلكَ؟»

قال: تدفع إلىَّ بِزّتك[٢] وزينتَكَ لأعلُوَ الدّيرَ وتنجوَ أنتَ ومَن مَعَكَ مِن وراء الدّيرِ، فإنّ القومَ إذا وصلوا إلىَّ ورأوا هيئتَكَ علىَّ، اشتغلوا عَن غيرى وطاولتُهم[٣] حتّى تفوتَهم.»

ففعلوا ذلك وبادَرُوهم حتى توارَوا بالجَبَلَ. ثُمّ وافاهم خَيلُ بهرام وعليهم قائدٌ له يقال له: بهرام بن سياوَش. فاطّلع عليهم بُندُويَه من فوقِ الدّيرِ وعليهِ بِزّةُ ابرويزَ، وأوهَمَهُ أنّه هو، وسألَه أن يُنظِرَهُ[٤] إلى غدٍ لِيَصيرَ فى [226] يَدِه سلمًا، ويَصيرَ بِه إلى بَهرام جوبين. فأمسكَ عنه وحَفِظ الدّيرَ بالحَرَسِ ليلتَهُ.

فلمّا أصبح اطّلعَ عليه فى بِزّتِه وحِليتِه وقال:

- «إنّ علىَّ وعلىٰ أصحابى بقيّةَ شُغلٍ من استعدادٍ لصلواتٍ وعباداتٍ، فأمهلنا.»

ولم يَزَل يُدافعُ حتى مضى عامّةُ النّهارِ. وأمِنَ ابرويزُ وعلم أنّه قدفاتَهم. فَفَتَحَ البابَ حينئذٍ، وأعلَمَ بهرامَ بأمره. فانصرف به إلى جوبين فحبسه فى يَدِ بهرام بن سياوش.

فأمّا بَهرام جوبين فإنّه دخلَ المدائنَ، وجلس على سريرِ المُلكِ، وجَمعَ العُظَماء، فَخَطَبَهُم وذمَّ ابرويزَ، ودار بينهم كلامٌ. فكان كُلُّهم منصرفًا عنه إلاّ أنّ بهرامَ تَتوَّجَ وانقاد له النّاس خوفًا.

ثُمّ إنّ بهرامَ بنَ سياوش واطأ بُندُويه على الفتك بجوبين وظهر[٥] جوبين على ذلك فقتله، وأفلت بُندُويَة ولحق آذربيجان. وسار ابرويز حتّى أتىٰ انطاكيةَ، وكاتب مَلِكَ الرُّومِ عنها وراسَلَهُ بجماعةٍ مِمَّن كانَ معه، وَسَألَهُ نُصرتَه، فأجابه إلى ذلك [227] وانساقت الأمورُ بالمقادير، إلى أن

١) مط: خرشندان. ٢) البزة: الثياب، السلاح، الهيئة. البَزُّ: السّلاح، الثّياب من الكتّان والقطن.
٣) طاولتهم: ماطلتهم. ٤) أنظره أمهَلَهُ. ٥) ظَهَرَ على الأمر: اطّلع عليه.

زوّجه إبنَتَهُ مَريَمَ وحملها إليه، وبعث إليه بـ «تياذوس»[1] أخيه ومعه ستّون ألفَ مقاتلٍ، عليهم رَجلٌ يقال لَه: سرجس[2] يتولّى تدبيرَ أمرهم، ورجلٌ آخر يقال له: «الكمىّ»[3]ـ كان يُعدَلُ بألف رجلٍ ـ معظّمٌ فى الرّومِ، وساله تَركَ الإتاوة الّتى كان آباؤه يسالونَها مُلوكَ الرّوم، إذا هو مُلّك. فاغتبط بهم أبرويزُ، وأراحَهُم خمسةَ أيام، ثُمّ عَرَضَهُم[4] وعَرَّفَ[5] عليهم العُرفاءَ، وفى القوم تياذوسُ، وسرجسُ، والكمىُّ الّذى وصفناه، وسار بهم حتى نَزَلَ من آذربيجان فى صحراء تُدعى الدّنَقَ، فوافاهُ هناك بندويةُ ورجلٌ من إصبهبذى النّاحية ـ ويقال له: موسيل ـ فى أربعين ألفَ مقاتلٍ وانفضّ إليه النّاسُ بالخيل من إصبهانَ وخراسانَ وفارسَ، وانتهى إلىَ بهرامَ مكانُهُ بصحراء الدّنق، فشخص نحوَه من المدائنِ، فَجَرَت بينَهما حربٌ شديدةٌ قُتِلَ فيها الكمىُّ الرّومىّ[6] بضربةٍ ضَرَبَهُ بِها بعضُ الفُرسِ على رأسه، فَقَدَّ رأسَهُ ويَدَهُ، وعار[7] فَرَسُه بنصفِ بَدَنِه الباقى إلى معركةِ أبرويزَ ومُعسكَره، [228] فاستضحك أبرويز، وعظُمَ ذلك على الرّومِ حتّى كثر الكلامُ فيه، وعُوتِبَ أبرويزُ، وقيل له:

ـ «هذا جَزاؤنا منك، يُقتل كَمِيُّنا وواحدُ عَصرِه فى طاعتِكَ، وبينَ يَدَيكَ، فتضحكُ؟»

فاعتذر بأن قال:

ـ «إنّى واللهِ ماضحكتُ لِما تَكرَهُونَ. ولقد شَقَّ عَلَىَّ أن فقدتُ مِثلَه أكثرَ مِمّا شَقَّ عليكم، ولكنّى رأيتُكُم تستصغِرون شانَ بَهرام جوبين، وتُنكرون هَرَبى منه، فذكرتُ ذلك من قولكم الآنَ، وعلمتُ أنّكم بِرُؤيَتِكم هذه الضَربةَ وأثرَها على هذا الكَمىِّ تَعذرونَنى وتَعلمون يقينًا أنّ هَرَبى إنّما كانَ من أمثال هؤلاءِ القومِ الّذين هذا مبلغُ نكايَتِهم فى الأبطالِ.»

ويُقال: إنّ أبرويز حاربَ بهرام منفردًا عن العَسكرِ بأربعةَ عَشَرَ رجلاً منهم كُردِى أخو بهرام، وبندويه وبسطام حربًا شديدةً وَصَلَ فيها بعضُهم إلى بعضٍ، والمجوسُ تحكى حكاياتٍ عظيمةً لافائدةَ فى ذكرها مع امتناعِها، وجُملتُها: أنّ أبرويز استظهر استظهاراً أَيِسَ معه بهرامُ جوبين، [229] وعلم أنّه لاحيلةَ له فيه، فانحازَ عنهُ نحوَ خراسانَ، ثُمّ صار إلى التُركِ، وصار أبرويزُ إلى المدائنِ بعدَ أن فَرّقَ فى الجنودِ من الرُّوم أموالاً عظيمةً وصَرَفَهم إلى ملكِ الرُّوم.

وَلَبِثَ بهرامُ فى التُّركِ مُكرَّمًا عندَ المَلِكِ، حتّى احتال عليه أبرويزُ بتوجيه رجلٍ يقالُ له هُرمُز:

---

١) تياذوس: كذا فى الطّبرى ٢: ٩٩٩. (C. I. S) Theodosius. ٢) Sergius (C. I. S) ٣) الكمىّ: الشجاع، أو لابس السّلاح لأنّه يكمى نفسَه أى يسترها بالدرع والبيضة. ٤) عَرَضَ الجُند: أمرّهم عليه، واحدًا واحدًا. ٥) عرّف عليهم عريفًا (أى سيّدًا، قيّمًا): أقامه ليعرف فيهم من صالح أو طالح. ٦) انظر الطّبرى ٢: ١٠٠٠. ٧) مط: عاد فرسه.

إلى التُّرك بجوهرٍ نفيسٍ وغيره، حتّى احتال لخاتون امرأةِ المَلِكِ، ولاطفَها بذلك الجوهرِ وغيره مِن الهَدايا حتّى دَسَّت لبهرامَ مَن قَتَلَهُ. فاغتَمَّ خاقان لِمَوته، وأرسَلَ إلى أختِه كُرديةَ وامرأتِه يُعلِمها[١] بلوغ الحادث ببهرام منه، ويسأل أن يتزوَّجَها وطَلَّقَ امرأتَه خاتونَ بهذا السَّببِ، فأجابته كُرديةُ جوابًا لَيِّنًا، وضمَّت مَن كان مع أخيها مِن المقاتلةِ إليها، وخرجت بهم من بِلاد التُّركِ إلى حدودِ مملكة فارسَ فاتبَعَها مَلِكُ التُّرك أخاهُ بُطرًا[٢] فى اثنَى عَشَرَ ألفَ فارسٍ.

فيُقال: إنَّ كُرديةَ قاتَلَت، وقَتَلَت بُطرًا بِيَدِها، ومَضَت لِوَجهِها [230]، حتّى تلقَّتها خيولُ الفُرسِ مِن الحدودِ. وكَتَبَت إلى أخيها كُردى، فأخَذَ لها أمانًا من أبرويزَ. فلمّا قَدِمت عليه اغتبطَ بِها، وتزوَّج بِها أبرويزُ.

ذِكرُ سوءِ سِياسَةِ اتُّفق على أبرويز فى جُندِه حتّى ظَهَرَ الرُّومُ عليه

لم يَزَل أبرويزُ يُلاطفُ مَلِكَ الرُّومِ. الّذى كان نَصرَهُ، ويُهادِيه[٣]، إلىٰ أن وَثَبَتِ الرُّومُ عليهِ فى شَىءٍ أنكروهُ مِنهُ، فَقَتَلوهُ، وملّكوا غيرَهُ. فبلغ ذلك أبرويزَ، فامتَعَضَ، وأخذتهُ الحفيظةُ، فآوىٰ ابنَ المَلِكِ المقتولِ اللاجئَ إليه، وتوَّجَهُ، وملّكَهُ على الرّومِ، ووَجَّهَ معهُ جُنودًا كثيفةً مع شَهرَبَراز[٤]، فَدَوَّخَ بهم البِلادَ، ومَلَكَ صاحبُ كِسرىٰ بيتَ المقدس، وأخذ خشبةَ الصَّليبِ، وبعث بها إلى كِسرىٰ فى أربعٍ وعشرينَ سنةً من مُلكِه. ثُمَّ احتوى على مِصرَ، والاسكندريةِ، وبلادِ نوبةَ، وبعثَ مَفاتيحَ مدينة الإسكندريةِ إلى كِسرىٰ فى سَنَةِ ثمانٍ وعشرينَ من مُلكِه. وقصدَ قسطنطينيةَ، فأناخ على ضَفَّةِ الخليج القريبِ منها، وخيَّم[٥] هناك. فأمَرَ كِسرىٰ فخرَّبَ بلادَ الرّوم، غضبًا مِمّا انتهكوا من مَلِكِهم وانتقامًا له، ولم يخضَع لابنِ مَلِكِهِم [231] المقتولِ أحَدٌ، ولامَنَحُوا الطّاعةَ، غير أنّهم قتلوا المَلِكَ الّذى ملّكوهُ بعدَ أبيه المسمّى قُوقا[٦] لما ظَهَرَ من فُجوره وسوءِ تدبيرِه، وملّكوا عليهم رجلاً يقال له: هِرَقل[٧]. فلمّا رأى هِرَقل عظيمَ مافيه بلادُ الرُّومُ من تخريبِ جنودِ فارسَ إيّاها، وقتلِهم مقاتِلَتَهُم، وسَبيِهِم ذراريَّهم، واستباحتِهم أموالَهم؛ تَضرَّعَ إلى الله، وأكثَرَ الدُّعاءَ والابتهالَ.

---

١) كذا فى مط والطَّبرى: يُعلمها بلوغ الحادث ببهرام منه (٢: ١٠٠١). ٢) كذا فى مط: بطر. فى الطَّبرى: نطر، بطو. ٣) يُهادِيه: يُهادِنُهُ (مل). ٤) مط: شهريرار. Shahrvaraz (I.S. حب). ٥) مط: وجشم.
٦) فى الاصل والطَّبرى: قوقا، وما أثبتناه من مط. وهو معرّب Phocas (C. I. S). ٧) Heraclius.

فيقال: إنّه رأى فى مَنامِه رجلاً ضَخمَ الجُثّةِ رفيعَ المجلس، عليه [بِزّةٌ، قائمًا فى ناحيةٍ عنه][١]، فدخل عليهما داخلٌ، فألقى ذلك الرّجلَ عَن مجلِسه وقال لِهرقل:

ـ «إنّى قدسلَّمتُه فى يَدِك.»

فلم يقصُص رُؤياهُ تلك فى يقظتِه على أحدٍ حتّى توالَت عليه أمثالُه. فرأى فى بعضِ لَياليه: كأنّ رجلاً دخل عليهما وبيدِه سلسلةٌ طويلةٌ، فألقاها فى عُنُقِ صاحبِه، أعنى صاحبَ المجلس الرّفيع عليه[٢]، ثمّ دفعه إليه وقال له:

ـ «هاقد دفعتُ إليك كِسرىٰ بِرُمّتِه.»

فلمّا تتابعت هذه الأحلامُ، قصّها على عظماءِ الرّوم وذوى العلم منهم، فأشاروا [232] عليه أن يَغزُوَهُ. فاستعدَّ هِرَقلُ، واستخلفَ ابنَه على مدينةِ قسطنطينية، وأخذَ عن الطّريق الّذى فيه شهريار صاحبُ كِسرى، وسارَ حتّى وغل فى بلادِ إرمينية، ونزل نصيبين سنةً، وقد كان صاحب ذلك الثّغر مِن قبلِ كسرى قد استُدعى لِمَوجدةٍ كانت من كسرى عليه. وأمّا شهربَراز فقدكانت كُتُبُ كِسرى تَرِدُ عليه فى الجثوم على الموضعِ الّذى هُوَ بِه[وتَركِ البَراحِ منه][٣]. ثم بَلغ كِسرىٰ تساقُطُ[٤] هِرَقلَ فى جنودِهِ إلى نَصيبين. فوجّه لمحاربةِ هِرَقل رجلاً من قُوّادِهِ يُقال لهُ: راهزاذ[٥]، فى اثنى عَشرَ ألفَ رجلٍ من الأنجادِ، وأمرَهُ أن يُقيمَ بِنينوىٰ ـ وهى الّتى تُدعى الآنَ المَوصِل ـ على شاطئِ دجلةَ، ويَمنعَ الرّومَ أن يَجوزُوها.

وكان كِسرىٰ بلغه خبرُ هِرَقلَ، وأنّه مُغِذٌّ، وهو يومئذٍ مُقيمٌ بدسكرةِ المَلِكِ. فنفذ راهزاذُ لأمرِ كِسرى، وعَسكَرَ حيثُ أمرَهُ. فقطع هِرَقلُ دِجلةَ فى مَوضعٍ آخرَ، إلى النّاحية الّتى كان فيها جُندُ فارس. فأذكى راهزاذُ [233] العيونَ عليهِ، فانصرفُوا إليه، فأخبروهُ أنّه فى سَبعينَ ألفَ مُقاتلٍ، فأيقنَ راهزاذُ ومن معهُ مِنَ الجُندِ، أنّهم عاجزون عن مناهَضتِه. فكتب إلى كِسرىٰ غيرَ مَرّةٍ، دَهمَ هِرَقلَ إيّاه بِمَن لا طاقةَ لهُ ولِمَن معهُ بِهم، لكثرتِهم وحُسنِ عُدَّتِهم. كلُّ ذلك يُجيبُهُ كِسرىٰ بأنّهُ إن عَجزَ عَنِ الرّومِ فلن يَعجزَ عن استقتالِهم[٦] وبذلِ دمائهم فى طاعتِه.

فلمّا تَتابعَت على راهزاذَ جواباتُ كِسرىٰ بذلك، عَبّى جُندَه وناهض الرّومَ بِهم. فقتلتِ الرّومُ راهزاذَ وَسِتّةَ آلافِ رجلٍ، وانهزمت بقيّتُهُم وهَرَبُوا علىٰ وجوههم. وبلغ كِسرى قَتلُ الرّومِ

---

١) العبارة سقطت من الأصل، فأضفناها من الطّبرى. ٢) الرفيع عليه: كذا فى الأصل ومط. ٣) فى الأصل ومط: «ونزل البراح» وما أثبتناه من الطّبرى. ٤) تساقط وسقط إليه القوم: نزلوا. ٥) فى الطّبرى: راهزار (٢: ١٠٠٤). ٦) مط: استقبالهم.

راهزاذُ ومانالَ هِرَقلُ مِنَ الظَّفر، فَهَدَّهُ ذلك، وانحازَ مِن دسكرةِ المَلِكِ إلى المدائنِ، وتحصّن بها لعجزه كان عن محاربة هِرَقلَ، وسار هِرَقلُ حتى كان قريبًا من المَدائن. فلمّا تساقَط إلى كِسرى خَبَرُهُ واستعدَّ لِقِتالِه انصرف إلى أرضِ الرُّوم. وكتب كِسرىٰ إلى قُوّاد الجُندِ الّذين انهزموا، يامُرهم أن يَدُلُّوهُ [234] على كُلِّ رجلٍ منهم ومِن أصحابه، مِمَّن فَشِلَ في تلك الحَربِ ولم يُرابِط مركزَه فيها؛ فامر بأن يُعاقَب بِحَسَبِ مااستوجبَ. فاحوَجهَم[١] بهذا الكتابِ إلى الخِلافِ عليه وطَلَبِ الحِيَلِ لِنَجاة أنفسِهم منه. وكتب إلى شَهرَبراز يامره بالقُدوم عليه ويستعجله فى ذلك، ويَصِفُ له مانال هِرَقلُ منه ومن بِلادِه[٢].

وقد حُكى: أنَّ كسرى عرف امرأةً فى فارِسَ لاتَلِدُ إلاّ الملوكَ الأبطالَ، فدعاها وقال:

- «إنى أريد أن أبعثَ إلى الرّومِ جيشًا، واستعملَ عليهم رجلاً من بنيك، فأشيرى: على أيّهم استعملُ؟»

فوصفت أولادَها فقالت:

- «هذا فرّخانُ أنفذُ من سَنانٍ، وهذا شهربَرازُ أحكم من كذا، وهذا فلانُ أروغُ مِن كذا.»

فاستعملَ شهربَرازَ. فَسارَ إلى الرُّوم، فَظَفَر عليهم وهزمَهم وخَرَّب مدائنَهم. فلمّا ظهرت فارِسُ على الرّومِ، جلس فرّخانُ يشربُ، فقال لأصحابه:

- «لقد رأيتُ كأنّى جالسٌ على سَريرِ كِسرىٰ.» [235]

فبلغت كِسرىٰ، وكَتَب إلى شهربَراز:

- «إذا أتاك كتابى هذا، فابعث إلىَّ برأسِ فرّخان.»

فكتب إليه:

- «أيُها الملكُ إنّك لَن تَجِدَ مِثلَ فرّخان، فإنَّ له نكايةً فى العَدُوِّ وصوتًا، فلاتفعل.»

فكتب إليه:

- «إنَّ فى رجالِ فارِسَ خلفًا منه، فعجِّل علَيَّ برأسه.»

فراجعه، فغضب كِسرىٰ ولم يُجبه. وبعث بريدًا إلى أهل فارِس:

- «إنّى قد نَزَعتُ عنكم شهربَراز، واستعملتُ عليكم فرّخان.»

ثُمَّ دفع إلى البريد صحيفةً صغيرة وقال:

- «إذا وَلِىَ فَرُخان المُلكَ، وانقاد له أخوه، فأعطِه.»

---

١) فى الطَّبرى: فاخرجهم. ٢) مَظانُ نُزولِ «آلم، غُلِبَتِ الرُّومُ...» أنظر الطبرى ٢:١٠٠٥.

فلمّا قرأ شهربَرازُ الكتابَ قال:

- «سمعًا وطاعةً.»

ونزل عن السرير، وجَلَسَ فرّخان، ودفعَ الصَّحيفةَ إليهِ، فقال:

- «إيتونى بشهربَراز.»

فقدّمه ليضربَ عُنُقَه، فقال:

- «لا تَعجَل، حتّى أكتبَ وَصيّتى.»

قال: «إفعل!»

فدعا بِسَفَط وأعطاهُ ثَلاثَ صَحائفَ، وقال:

- «كُلّ هذا راجعتُ فيك كسرى وانتَ أردتَ أن تقتلَنى بكتابٍ واحدٍ!»

فَرَدَّ المُلكَ على أخيه.

فكتب شهربَراز إلى قيصر [236] مَلِك الرّوم:

-«إنّ لى حاجةً لا تحملها البُرُدُ ولا تُبَلِّغُها الصُّحُفُ. فالقَنى، ولا تَلقَنى إلاّ فى خمسين رُوميًا، فإنّى[١] أيضًا ألقاكَ فى خمسين فارسيًا.»

فأقبل قيصرُ فى خمسمائةِ رُومىٍّ، وجعل يَضعُ العُيُونَ بين يَدَيهِ فى الطّريق، وخافَ أن يكونَ قد مَكَر به حتّى أتاه عيونُه أنّه: ليس معه إلاّ خَمسونَ رجلاً. ثُمّ بُسِطَ لَهُما، والتَقَيا فى قُبّةِ ديباج ضُربت لهما، واجتمعا ومع كُلّ واحدٍ منهما سِكّينٌ، ودَعَوا تَرجمانًا بينَهما.

فقال شهربَراز:

- «إنّ الّذين خَرَّبوا مَدينتَكَ، وبَلَغُوا مِنكَ ومن جندك[٢] مابَلَغُوا أنا وأخى بشَجاعَتِنا وكيدِنا، وإنّ كِسرىٰ حَسَدَنا، فأراد أن أقتُلَ أخى فأبَيتُ، ثُمّ أمرَ أخى أن يقتُلَنى. فقد خَلَعناهُ جميعًا، فنحنُ نقاتلُه مَعَكَ.»

قال: «قد أصَبتُما وَوُفِّقتُما.»

ثمّ أشار أحدُهما[٣] إلى صاحبه: أنّ السّرّ إنّما يكونُ بين اثنين، فإذا جاوزَ اثنين فَشا.

قال صاحِبُه: «أجل!»

فقاما جميعًا إلى التّرجمان بسِكّينِهما، فقتلاهُ! واتّفقا على قِتالِ كِسرىٰ. [237]

١) فإنّى... فارسيا: سقطت من مط. ٢) مط: جدك. ٣) أحدهما... صاحبه: غير واضحة فى الأصل، وما أثبتناه من مط.

فممّا اتّفق فى أيّام كِسرىٰ
مِن الحَوادِثِ الّتى تُستفادُ منها تجربةٌ ماكان مِن
يَوم ذى قار وحربِ العرب والفُرسِ

وكان سبب ذلك قتل النُعمان بن المنذر اللّخمى، قَتَلَهُ كِسرىٰ لأسبابٍ نَذكُرُ جُمَلَها إن‌شاءَالله:

كانَ عدىُّ بنُ زيدٍ العِبادىُّ وابنُهُ زيد بن عَدِىٍّ سبَبَ ولايةِ النُعمانِ وسبَبَ هلاكه جميعًا.

[قتلُ النُعمانِ بنِ المُنذرِ وأسبابُه]

وذلك أنّ عَديًّا و أخَوَيهِ ـ وهُما: عمّارٌ، وعمرٌو، ويُعرَفُ عَمّارٌ بِ «أُبَىٌّ»، وعمرٌو بِ «سُمَىٌّ» ـ كانوا فى خدمةِ الأكاسرة[١]، ولَهُم مِن جهتهم قطائعُ. وكان قابوس الأكبرُ عَمُّ النُعمانِ وإخوتِه، بَعَثَ إلى كسرى أبرويزَ بعدىِّ بنِ زيدٍ وأخَوَيهِ، لِيكُونُوا فى كُتّابِه يُترجِمون له.

فلمّا ماتَ المُنذرُبنُ المُنذرِ تَرَكَ مِن أولادِه اثنى عَشَرَ رجلاً، وهُمُ الأشاهب، سُمُّوا بذلك لِجَمالهم، وفيهم يقولُ الأعشىٰ:

فَبَنُو المُنذرِ الأشاهِبُ بِالحيـ ـرَةِ يَمشُونَ غُدوةً كالسُيُوفِ[٢]

فجعل المنذرُ ابنَهُ النُعمانَ فى حَجرِ[٣] عَدِىٍّ، وجَعَلَ ابنَهُ الأسودَ فى حَجرِ رجلٍ [238] يقال له: عَدِىُّ بنُ أوسِ بنِ مَرينا. وبنومرينا قومٌ لهم شَرَفٌ وهم من لخمٍ، وبنوالمنذرِ الباقونَ، وهم عَشرةٌ، مستقلُونَ بأنفسهم.

وكان المنذرُ جَعَلَ على أمره كُلّه، إياسَ بنَ قبيصةَ الطّائى، فكان فى مكانه أشهرًا يُدبِّرُ أمرَ العربِ كُلّه. وطَلَبَ كِسرىٰ مَن يُمَلِّكُهُ على العربِ، فدعا عدىَّ بنَ زيدٍ فقال له:

ـ «مَن بَقِىَ مِن بنى المنذرِ، وَماهُم، وهل فيهم خيرٌ؟»

فقال: «بقيَّتُهم من وُلدِ هذا الميِّتِ ـ يعنى المنذرَ بنَ المنذر ـ وهم رجالٌ نُجباءُ.»

فكُتِبَ إليهم، فقَدِموا عليه، فانزلَهم على عدىِّ بنِ زيدٍ. فكان عَدِىٌّ يُفَضِّلُ إخوةَ النُعمان عليه فى النُزُلِ[٤]، ويُريهم أنّه لايَرجوهُ، ويخلو بهم رجلاً رجلاً، ويقول لهم:

ـ «إن سالكم المَلِكُ: أتكفوننى العَرَبَ؟ فَقُولوا: نكفيكَهم إلاّ النُعمان.»

وقال للنُعمان:

---

١) فى الطّبرى:... وكان عدىٌّ من تراجمة أبرويز كسرى بن هرمز [٢: ١٠١٦]. ٢) فى الطبرى: بالسُيوف (٢: ١٠١٧). ٣) فى حَجره: فى كنَفِه وحمايته. ٤) مط: المنزل.

- «إن سألَكَ المَلِكُ عَن إخوتِكَ، فقل: إن عجزتُ عنهم فإنّى عَن غيره أعجَزُ.»
وكان عدىُّ بنُ أوس بنِ مَرينا داهيةً أريبًا. فكان يُوَصّى الأسودَ بن المنذر ويقول له:
- «قد عَرفتَ [239] أنّى لك راجٍ، وأنّ طلبتى ورَغبَتى إليك أن تخالفَ عدىَّ بنَ زيدٍ فى ما يُشيرُ به عليك، فإنّه والله لاينصح لك أبدًا.»
فلم يلتفتِ الأسودُ إلى قوله. فلمّا أمَرَ كِسرى عَدِىَّ بنَ زيدٍ أن يُدخِلَهم عليه، جَعَلَ يُدخلُهم رجلاً رجلاً فيُكلِّمهُ. فكان الملك كِسرىٰ يَرىٰ رجالاً قلَّ مارأى مثلَهم. فإذا سألهم:
- «هل تكفُوننى ماكنتم[1] تَلُونَ؟»
قالوا: «نكفيكَ العربَ إلا النُّعمانَ.»
فلمّا دخل النُّعمان عليه، رأى رجلاً دَميمًا[2] قصيرًا أحمَرَ، فكلّمه، وقال:
- «أتستطيع أن تكفَينى العَرَبَ؟»
قال: «نعم.»
قال: «وكيف تصنعُ بإخوتِكَ؟»
قال: «أيّها الملك، إن عَجَزتُ عنهم، فأنا عن غيرهم أعجَزُ.»
فملّكَه، وكَساهُ، وألبَسَهُ تاجًا قيمتُهُ ستُّونَ ألفَ دِرهمٍ فيه اللُّؤلُؤُ، والذهبُ. فلمّا خرجَ وهو مَلِكٌ على العَربِ، قال عَدِىُّ بنُ أوسِ بنِ مَرينا للأسودِ:
- «دونَكَ، فإنّك خالفتَ الرّأىَ.»
ثمّ إنّ عدىَّ بنَ زيدٍ صَنَعَ طعامًا فى بيعةٍ، وأرسَلَ إلى ابن مَرينا أن: إئتِنى معَ مَن أحببتَ، فإنّ لى حاجةً. فأتاه فى ناسٍ، فتغدّوا فى البيعة غَداءَهم المُعَدَّ، وَشَرِبوا. [240] فقال عَدِىُّ بنُ زيدٍ لِعدىِّ بنِ أوسٍ:
- «ياعَدِىُّ! إنّ أحقَّ مَن عَرَفَ الحقَّ ثمّ لم يَلُم عليه، مَن كان مِثلَكَ. إنّى عَرَفتُ أنّ صاحِبَك الأسودَ بنَ المنذر كان أحبَّ إليك أن يَملِكَ مِن صاحبى النُّعمان، فلا تلُمنى على شىءٍ كنتَ على مثلهِ، وأنا أحِبُّ ألاّ تحقِدَ عَلَىَّ شيئًا لوقَدرتَ عليه رَكِبتَه، وأحِبُّ أن تُعطِيَنى من نفسِكَ ماأعطيك من نفسى، فإنّ نَصيبى مِن هذا الأمر ليس بأوفرَ من نَصيبِكَ.»
فقام عدىُّ بنُ زيدٍ إلى البيعةِ، فَحَلَفَ ألاّ يَهجوَهُ، ولا يَبغيَهُ غائلةً أبدًا، ولايَزوىَ عنه خيرًا. فلمّا

---
١) مط: ماكنت تكون!   ٢) مط: ذميمًا. والذميم: قبيح الوجه.

فرغ عَدِىُّ بن زيدٍ، قام ابنُ مَرينا فحلفَ على مِثلِ يَمينه ألاّ يَهجُوَهُ[١] أبدًا، ويبغيَه الغوائل مابَقِىَ. وخرج النّعمان حتّى نَزَلَ منزلَه بالحيرة، وافترق العَدِيّان على وحشةٍ كما ذكرتُ.

[حيلةُ لِعَدىِّ بنِ أوسٍ علىٰ عَدىِّ بن زَيدٍ]

فقال عَدِىُّ بنُ مَرينا للأسود:

ـ «وإذا لم تظفر[٢]، فلا تعجزْ أن تطلبَ بثأرك مِن هذا المعدىّ الّذى عَمِلَ بك ما عَمِلَ. فقد كنتُ أخبرك أنّ مَعَدًا لايَنام مكرُها، وأمرتُ أن تخالِفَهُ فَعَصيتنى.»

قال: «فما تريدُ؟»

قال: «أريدُ أنْ لا [241] تأتيَكَ فائدةٌ من مالِكَ وأرضِك إلاّ عرضتَها علَىَّ.»

فَفَعَلَ. وكان ابنُ مرينا كثيرَ المالِ واسعَ الضَّيعَةِ. فلم يَمُرُّ به يومٌ إلاّ بَعَثَ فيه إلى النُّعمان هديّةً أو تُحفةً. فلمّا توالى ذلك وكَثُرَ عند النّعمان هدايا ابن مَرينا صار من أكرم النّاسِ عليه، وكانَ لايقضى فى مُلكِه شيئًا إلاّ بأمرِ ابن مرينا، وكانَ إذا ذُكِرَ عَدِىُّ بنُ زيدٍ عِندَهُ أحسنَ ابنُ مرينا الثّناءَ عليه، وذكر فَضلَهُ وقال:

ـ «إنّه لا يصلح المَعَدىُّ إلاّ أن يكون فيه مَكرٌ وخدِيعةٌ.»

فلمّا رأى من يُطيفُ بالنُّعمان منزلةَ ابنِ مرينا عنده، لزموه وتابعوه[٣]، فَجَعَلَ يقول لمن يثِقُ به من أصحابه:

ـ «إذا رأيتمونى أذكرُ عدىَّ بن زيدٍ عند المَلِكِ بخير، فقُولُوا: إنّه لكما يقول، ولكنّهُ لايَسلَمُ عليه أحدٌ، وإنّه يقول: إنّ المَلِكَ ـ يعنى النُّعمانَ ـ إنّما هو عاملُهُ، وإنّه هو الّذى ولاّه ما ولاّهُ.»

ولم يزالوا بهذا وأشباهِه، حتّى أضغَنُوهُ عليه. ثُمّ إنّهم كتبوا كتابًا عن عَدِىٍّ إلى قَهرَمانٍ[٤] كان له، ودسُّوا له حتّى أُخِذَ الكتابُ، وأُتِىَ به النُّعمانُ، فَقَرَأهُ وأغضبَهُ. [242]

فأرسَلَ إلى عدىَّ بن زيدٍ: «عَزَمتُ عَلَيك إلاّ زُرتَنى، فإنّى قد اشتَقتُ إليك»، وهو عِندَ كِسرىٰ. فاستأذَنَ كِسرىٰ، فأذِنَ لَهُ. فلمّا أتاه، لم ينظُر إليه، حتى حُبِسَ فى محبسٍ لايدخلُ عليهِ فيهِ أحدٌ. فَجَعَلَ عدىُّ بن زيدٍ يَقولُ الشّعر، ويُبلغُهُ النُّعمانَ، وكان أوّلُ ما قاله فى السِّجنِ:

---

١) فى الأصل ومط: «ألاّ يزال يهجوه»، فحذفنا «يزال» حتّى يستقيم المعنى. فى الطبرى أيضًا: ألاّ يهجوه (٢: ١٠١٩). ٢) غير واضح فى الأصل، وما أثبتناه يؤيّده ما فى مط والطبرى: نفس الصفحة. ٣) مط والطبرى: وبايعوه. ٤) القهرمان: أمين المَلِك ووكيله الخاصّ بتدبير دَخله وخرجه.

لَيتَ شِعرى عَنِ الهُمامِ وَيَأتيـ — ـكَ بِخُبرِ الأنباءِ عَطفُ السُّؤالِ[1]

وقال أشعارًا كثيرة[2]، وكان كُلّما قـال عدىٌّ من الشّـعر شـيئًا بلغ النُّعمانَ وسَـمِعَه، فَنَدِمَ على حَبسِه إيّاه، وعَلِمَ أنّه كِيدَ فيه. فكان يرسِلُ إليه، ويَعِـدُهُ ويُمَنّيه، ويَفـرَق[3] أن يُرسِـلَهُ[4] فيبغِيَهُ الغوائلَ. فلمّا طال سِجنُ عَدِىٍّ وأعياهُ التَضـرُّعُ إلى النُّعمان بالأشـعارِ الّتى يسـتعطِفُه فيهـا مَرّةً ويُخبِرُه فيهـا بِما كِيدَ به مَرّةً، ومَرّةً يُذكِّره بالموتِ، ويُخبِرُهُ بِهلاكِ مَن هَلَكَ قَبلَهُ، كتب إلى أخيه أُبَىٍّ وهو معَ كِسرى:

أ بلِـغْ[5] أُبَيًّـا عَلىٰ نَأيِهِ — فَهَل يَنفَعُ المَرءَ مَاقـد عَلِم [243]
بِأَنَّ أخاكَ شَقيقَ الفُـؤا — دِ كُنتَ به واثِقًـا[6] ما سَلِم
لَدىٰ مَلِكٍ مُوثَقٌ فى الحديـ — ـدِ إمّا بِحَقٍّ و إمّـا ظُلِم
فلا أعرِفَنكَ كذاتِ الغُلا — م[7] ما[8] لم تَجِدِ عارمًا[9] تَعترِم
فأرضَكَ أرضَكَ إن تأتِنا — تَنَم نَومَةً ليس فيها حُلُم

فكتب إليه أخوه:

إن يَكُن خانَكَ الزَّمانُ فَلاعا — جِزٌ قَومٍ وَلا أَلَفٌ[10] ضَعيفُ
ويَمينُ الإله لَو أنّ جَأوا[11] — ءَ طَحُونًا[12] تَضِيءُ فيها السُّيوفُ
ذاتَ رِزٍّ[13] مُجتابَةً غَمرَةَ المَو — تِ صَحِيحٌ سِربالُها[14] مَكفُوفُ[15]
كُنتُ فى حَمِيها لَجِئتُك أسعىٰ — فاعلَمَن لو سَمِعتُ إذ تَستَضيفُ[16]
إن تَفُتنى واللهِ أَلفَ جَزُوعًا — لا يُعَفّيكَ ما يَصوتُ الخَريف
فلعمرى لَئِن جَزِعتُ عليه — لَجَزُوعٌ على الصَّديق أسوفُ

١) تجد البيت عند الطبرى ٢: ١٠٢٠، وفى أيام العـرب: ١٥. ٢) أنظر الطَبرى ٢: ١٠١٩، وأيام العرب: ١٤. ٣) يَفرَقُ: يخاف، يفزع. ٤) يُرسله: يُطلقه من السّجن. ٥) فى الأصل والنصوص المختلفة وكذلك فى أيام العرب: «أبلغ» وما فى مط: «أ بلّغ» بتشديد اللام من باب التفعيل. فـالهمزة إذن للنّداء بتقدير المنادى، اى: «اصاحبى بلّغ» من باب «ياترى» اى: «يا رجلُ هل ترى» وهذا أوفق للوزن. ٦) الطبرى: والهًا. ٧) ذات الغلام: الأمّ المرضع. ٨) مط والأصل: «إذا لم تجد» وما اثبتناه من الطَبرى. ٩) العارم: الرّاضع، يُقال: اعترمتِ المرأة: تبغت مَن يعرمها أو يمصّ ثديها، والمراد: إن لم تجد من تُرضعه درّت هى فحلبت ثديها. قال ابن الأعرابى: يقال هذا لمن يتكلّف ماليس من شانه. ١٠) الألف: البطىءُ الثقيل. ١١) الجأواء: الكتيبة الّتى يعلو لونها السّوادُ لكثرة الدروع. ١٢) الطَحون: الّتى تطحن مالقيت. ١٣) الرِزّ: الصوت. ١٤) السربال: القميص. ١٥) المكفوف: الثوب الّذى خطت حاشيته، ولعلّه يُريد انها كتيبةٌ سالمة. ١٦) تستضيف: تستجير.

وَلَعَمرى لَئن مَلَكتُ عَزائى لقليلٌ شَرواكَ[١] فى ما أطوفُ

[كِسرىٰ يكتب فى إرسالِ عَدىٍّ وعَدىٌّ يُقتَلُ]

ويقال: إنَّ عَديًا لمّا كاتب أُبيًا، قام أُبىٌّ، فدخَلَ على كسرىٰ، فكلّمه، فكتب له وبعث مَعَهُ رجلاً، وأذِنَ له فى المسير لاستنقاذ اخيه. فكتب خليفة النَعمان المُقيم بباب الملكِ إليه أنّه: قد كُتِبَ إليك فى امر عدىٍّ. فأتاه أعداء [244] عَدِىٍّ من غسّان، فأشاروا على النَعمان بقتل عدىٍّ.

وقالوا: «افرُغ منه السّاعَةَ.»

فأبىٰ عليهم، وجاءَ الرَّجل، وكان تقدّم أخوعدىٍّ إليه فَرَشاهُ، وأمرهُ ان يَبدأ بِعَدِىٍّ. فدخَلَ عليه وهو محبوسٌ وكان قال له:

- «إبدأ بالدُّخول إليه فى الحَبس فانظر ما يأمرك به.»

فلمّا دَخَلَ الرَّسولُ على عَدِىٍّ قال له:

- «إنّى قد جئتُكَ بإرسالِكَ[٢] فما عندك؟».

قال: «عندى الّذى تُحِبُّ.»

وَوَعَدَهُ، وسألَهُ الاّ يخرجَ مِن عِنده، وقال:

- «أعطنى الكتابَ حتى أرسِلَ به أنا، فإنّك إن خرجتَ مِن عندى، قُتِلتُ.»

فقال الرَّسول: «لا استطيع إلاّ ان آتىَ النُّعمانَ بالكتابِ فأوصِلَهُ بنفسى إليه.»

فانطلق مُخبِرٌ[٣]، فأتى النُّعمانَ، فقال:

- «إنَّ رسولَ كسرى قد دَخَلَ على عدىٍّ وهو ذاهبٌ به، وإن فَعَلَ لم يَستَبقِ[٤] مِنّا احدًا، ولم تَنجُ انتَ ولا غيرُك.»

فبعث إليه النَعمان بأعداءِه، فَغَمُّوه حَتّى ماتَ، ثُمَّ دَفَنُوهُ.

ودخل الرَّسول على النَّعمانِ بالكتاب.

فقال: «نَعَم وكرامةً وسمعًا وطاعةً.»

وبعث إلى الرَّسولِ بأربعة آلافِ مِثقالٍ [245] ذهبًا، وجاريةٍ، وقال له:

- «إذا أصبحتَ فادخُل عليه وأخرجه أنتَ بنفسِك.»

---

١) شرواك: مثلك. شرح الأبيات من أيّام العرب: ١٧. ٢) بإرسالك: بإطلاقك. ٣) الأصل غير واضح، وما أثبتناه من الطبرى. مط: بخبر. ٤) مط: لم يسبق احد.

فلمّا اصبح رَكِبَ، فَدَخَلَ السِّجنَ، فقال له الحرس:

- «إنّه قـدماتَ منذ ايّام، فلم نجترئ على ان نُخبِرَ المَلِكَ النُّعمانَ فَـرَقًا مِنه، لِعلمنا بكـراهيَتِه لذلك.»

فرجع الرَّسول إلى النّعمان فقال:

- «إنّى كنتُ بدأت به، فدخلتُ إليه وهو حَىٌّ.»

فقال النعمان: «يَبعثُكَ الملكُ إلىَّ فتدخلُ إليهِ قَبلى! كذبتَ ولكنّكَ اردت الرُّشوَةَ والخبث.»

وتهدَّدَه. ثُمَّ إنّه استدعاهُ بعدَ ذلك، وزادَهُ جـائزةً وكسـوةً، واكرَمَهُ واسـتوثق منه أن لا يُخبِرَ الملك، الّاأنّهقدمات قَبل ان يَقدمَ عَليهِ. فَرَجعَ الرَّسولُ إلى كسرىٰ، فقال:

- «إنّه مات قَبلَ أن ادخُلَ عليه.»

[زيدبنُ عدىٍّ يَخلفُ اباهُ عند كِسرىٰ]

ونَدِمَ النُّعمان على قتلِ عدىٍّ ندامةً شديدةً، واجترأ اعداءُ عدىٍّ على النُّعمان، وهابَهـم النُّعمانُ هيبةً شديدةً، فخرج النُّعمان فى بعضِ صـيدهِ ذاتَ يومٍ فلقـى ابنًا لعـدىٍّ يُقـالُ له: زيدٌ. فلمّا رآه عَرَفَ شَبَهَهُ، فقال:

- «من أنت؟»

فقال: «أنا زيدُ بنُ عدىٍّ بن زيدٍ.»

فكلّمه، فإذا [246] غلامٌ ظريفٌ، فَفَرِحَ به فَرَحًا شـديدًا، وقَـرَّبَهُ، واعتذر إليه من أمرِ أبيه. ثُمَّ جهَّزَهُ وكَتَبَ إلى كِسرىٰ:

«انَّ عديًا كان مِمَّن أُعِينَ به المَلِكُ فى نُصحِه ولُبِّه، فاصابَه مالابُدَّ منه وانقضتْ مُدَّتُه وانقـطعَ اجَلُه، ولم يُصَبْ به احدٌ اشدَّ من مصيبتى، وامّا المَلِكُ فلم يَكُن ليفقِدَ رجُلاً مِن عبيدِه إلاّ جعل اللهُ له منه خلفًا لما عظَم اللهُ من مُلكِه وشانه، وقـد ادرك له ابنٌ ليس دونه وقـد سَـرَّحتُه إلى المَلِكِ. فإن رأىٰ ان يجعَلَه مكانَ ابيه ويُصرفَ عَمَّهُ إلى عملٍ آخَرَ فَعَلَ.»

فكان هو الّذى يلى ما يكتب به إلى ارضِ العرب وخاصّةِ المَلِكِ، وكانت لهُ من العَرَبِ وظيفـةٌ فى كُلِّ سنةٍ من الأفراسِ المِهـارة[١]، ومن الكَمأةِ الرَّطبةِ واليابسـةِ، والأَقِـطِ[٢]، والأُدُمِ، وسـائرِ تجاراتِ العرب. وكذلك كان عدىُّ بن زيدٍ له هذه الرُّسومُ.

١) المهارة: جمع المهر: ولد الفرس.   ٢) الأقِط: الجبن.

فلمّا وقعَ عندالملك هذا الموقع سالَ كِسرىٰ عن النُعمان، فاحسن الثَّناءَ عَليه، فمكثَ سنواتٍ بمنزلة أبيه، وأُعجِبَ به كِسرىٰ وكان يُكثِرُ الدُخولَ إليه.

[فُرصةٌ انتهزَها زَيدٌ]

فلمّا كان فى بعضِ [247] دخلاته على كسرى جَرىٰ حديثُ النِّساءِ[1]، وطَلَبَ المَلِكُ امرأةً لها صفاتٌ ونعوتُ مكتوبةٌ عند المُلوكِ. وكان مِن رسمِ الملوك أن يُطلَبَ لهم جاريةٌ تَجمعُ تلكَ النُعوتَ فى ممالكهم، فكُتِبتْ تلك الصِّفةُ. فدخل زيدٌ على كِسرىٰ فكلَّمه فى ما دَخَلَ فيه، ثم قال:

ـ «إنّى رأيتُ المَلِكَ كَتَبَ فى نسوةٍ يُطلَبنَ له، فقرأتُ الصِّفةَ، وانا خبيرٌ بآلِ المنذر، وعند عبدك النُعمانِ مِن بَناتِه وبناتِ عَمِّه واهلِه اكثَرُ مِن عشرين امراةً على هذه الصِّفةِ.»

قال: «فتكتب فيهنَّ.»

فقال: «أيّها المَلِك، إنَّ شرَّ شىءٍ فى العربِ وفى النُعمان انّهم يتكرَّمون ـ زعموا فى أنفسهم ـ عن العَجَمِ. فانا اكرهُ أن يُغَيِّبَهُنَّ، وان قدمتُ أنا عليه على معرفتى، لم يَقدِر على تَغييبِهِنَّ، فابعَثنى وابعث معى رجلاً يَفقَهُ العربيّةَ.»

فبعث معه رجلاً جَلدًا حصيفًا، فخرج به زيدٌ، فجَعَلَ يُكرم ذلك الرَّجلَ ويُلطِفُه حتّى بلغ الحيرةَ. فلمّا دَخَلَ عليه، أعظَمَ المَلِكَ وقال:

ـ «إنّه قد احتاج إلى نساءٍ لأهلِه وولدِه، وأراد كرامتَكَ [248] وبَعَثَ إليك.

فقال: «وما هؤلاءِ النِّسوةُ؟»

فقال: «هذه صِفَتُهنَّ قد جِئنا بها.»

[صِفة جاريةٍ اهداها المنذر الأكبر إلى انوشروان]

وكانت الصِّفة أنَّ المنذِرَ الأكبر أهدى إلى انوشروانَ جاريةً كان أصابَها لمّا اغار على الحارث الأكبر الغَسّانىِّ ابن ابى شَمِر، فكتب إلى انوشروان يَصِفُها لَهُ:

«هى معتدلةُ الخَلقِ، نَقيّةُ اللّونِ والثَّغرِ، بيضاءُ، قَمراءُ، وَطفاءُ[2]، دَعجاءُ[3] حَوراءُ[4]،

---

١) انظر الطبرى ٢: ١٠٢٥.
٢) الوطفاء: غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين.
٣) الدّعج: شدّة سواد العين، وشدّة بياض بياضها.
٤) الحَور: اسوداد العين كلّها مثل الظّباء.

عيناء[١]، قَنواء[٢]، شَمَّاء[٣]، زجّاء[٤]، برجاء[٥]، أسيلةُ الخَدّ [شهيّة المُقبّل][٧] جثلة[٨] الشَّعر، عظيمةُ الهامةِ، بعيدةُ مَهوى القُرطِ، عَيطاء[٩]، عريضةُ الصَّدر، كاعِبُ الثّدى، ضخمةُ مُشاشةِ[١٠] المَنكِبِ والعَضُدِ، حسنةُ المِعصَم، لطيفة الكَفّ، سَبطة[١١] البَنان، لطيفةُ طَىّ البَطن، خميصة[١٢] الخَصر، غرثى[١٣] الوشاح، رَداح[١٤] القُبُل، رابيةُ الكَفَل، مُفعَمةُ السّاق، لفّاء[١٥] الفَخِذين، ريّا[١٦] الرّوادِفِ، ضَخمَةُ المَاكَمتين[١٧]، عَظيمةُ الرُّكبةِ، مُشبَعَة[١٨] الخلخال، لطيفةُ الكَعبِ والقَدمِ، قَطوف[١٩] المَشى، مِكسال[٢٠] الضُّحى، بَضّة[٢١] المُتَجَرَّدِ، سَموعٌ لِلسّيّد، ليست بخَنساء[٢٢] ولاسَفعاء[٢٣] ذليلةُ الأنفِ، عزيزة النَّفس، لم تُغذَ فى بؤس، حَيِيّةٌ، وَزِينَةٌ، حَليمةٌ، ركينةٌ، كريمةُ الخال، تقتصِرُ بِنَسَبِ أبيها دونَ فَصيلتِها، وبفصيلتِها دونَ [249] جماعِ قبيلتِها، قد أحكَمَتها التّجاربُ فى الأدبِ، فرأيُها رأىُ أهلِ الشّرفِ، وعَمَلُها عَمَلُ أهلِ الحَاجةِ، صَناعُ الكَفَّين، قطيعةُ اللّسان[٢٤]، رَهوة[٢٥] الصّوتِ، تَزينُ البيتَ وتشينُ العدوَّ، إن أرَدتَها اشتهتْ، وإن تَركتَها انتهتْ، تحملِقُ عيناها، وتَحمَرُّ وجنتاها، وتُذبذِبُ شفتاها وتُبادِرُكَ الوَثبَةَ.»

فقبلها أنوشروان، وأمر بإثبات هذه الصّفة فى ديوانه، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كِسرى بن هرمز.

فقرأ عليه زيدُ هذه الصّفَة، فشقّ عليه، فقال لزيدٍ وللرّسُول:

١) العيناء: هى المرأة الّتى عظم سواد عينها فى سعة مشهودة. ٢) القنا: ارتفاعٌ فى أعلى الأنف، واحديدابٌ فى وسطه، وسبوغٌ فى أعلاه. ٣) الشَمَم: ارتفاع القصبةِ فى الأنف. ٤) الزَّجاء: دقيقة الحاجبين فى طول. ٥) البرجاء: جميلة العين. والّتى بياضُ عينها محدق بالسّوادِ كلّه. ٦) الخدّ الأسيل: اللّيّن الأملس الطويل المسترسل. ٧) زيادة من الطّبرى وابن الأثير. ٨) الجثل من الشّعر: الكثيف الأسود. ٩) العيطاء: الطويلة العنق. ١٠) المشاشة: رأس العظم الممكن المضغ. ١١) سبطة البنان: الكريمة. ١٢) خميصة الخصر: مَن خَصرُها ضامرٌ دقيقٌ. ١٣) الغَرثى: الجوعىُ، وغرثى الوشاح: دقيقة الخصر. ١٤) الرّداح: العجزاء الثقيلة الأوراك التّامّة الخلق، والقُبُل: ما استقبلك من مشرف. ١٥) اللّفاء: مكتنزة الفخذين. ١٦) ريّا الرّوادف: مَن كثر لحم أردافها. ١٧) الماكمتان: اللّحمتان اللّتان على رؤوس الوركين. [وفى ابن الأثير: المنكبين]. ١٨) مشبعة الخلخال: كنايةٌ عن السّمن. ١٩) قطوف المشى: تقارب الخطو. ٢٠) المكسال: المرأة الّتى لاتكاد تبرح مجلسها وهو مدحٌ عندهم! ٢١) البضّة: النّاعمة. ٢٢) الخنسُ قريبٌ من الفطس. ٢٣) السّفعاء: السّوداء. ٢٤) ليست سليطة. ٢٥) رهوة الصّوت: رقيقة الصوت. (جُلُّ هذه الشروح منقولة عن أيّام العرب).

ـ «أمّا فى عينِ السّوادِ وفارسَ ماتبلغون بِه حاجتكم!»

فقال الرّسول لِزيدٍ: «ما العين؟»

فقال: «البَقرُ.»

فقال زيدٌ للنعمان: «إنّما أراد كرامتَك، ولو عَلِمَ أنّه يَشقُّ عليكَ لم يكتب به إليكَ.»

فانزلهما يومين، ثم كَتَبَ إلى كسرى: «إنَّ الّذى طلب المَلِكُ ليس عِندى.»

وقال لزيد: «إعذِرنى عندَهُ.»

فلمّا رجعا إلى كسرى، قال زيدٌ للرّسولِ الّذى جاءَ معه:

ـ «أصدُقِ المَلِكَ الّذى سَمِعتَ منه، فإنّى ساحدّثُه بِحَديثِك، ولا أُخَالِفُكَ فيه.»

فلمّا دخَلاَ [250] على كِسرىٰ قال زيدٌ: «هذا كتابُه.» فقراه عليه.

فقال كسرى: « فأين ماكنتَ خبّرتنى بِه؟»

فقال: «قد كنتُ أخبرتُكَ بضَنَّهِم بنسائهم على غيرهم، وإنّ ذلك من شقائهم: اختيار هم الجوعَ والعُرىَ على الشّبعِ والرّياشِ، واختيارهم السَّمومَ والرّياحَ علىٰ طيب أرضِك هذه، حتّىٰ إنهُم لَيسمُّونَها السّجنَ، فَسَل هذا الرّسولَ معى عن الّذى قال، فإنّى أكرهُ أن أحكِىَ لِلمَلِك قَولَهُ أو أرُدَّ عليه الفاظَهُ.»

فقال للرّسول: «ما قال؟»

قال: «انّه قال ـ أيّها المَلِك ـ: أما فى بقر السّواد ما يكفيهِ حتّى يطلبَ ماعندَنا؟»

فعُرِفَ الغَضَبُ فى وَجهه، ووَقع فى قلبِه منه ماوقعَ، ولكنّه قال:

ـ «ربَّ عبدٍ قد قال هذا، فصار أمرُه إلى التَّبابِ.»

[كِسرىٰ يَدعُو النُعمانَ وهو يَحملُ السّلاحَ]

وشاع هذا الكلامُ، فَبَلَغَ النّعمانَ وسكتَ كسرى على ذلك أشهرًا، وَجَعَلَ النُعمانُ يستعِدُّ ويتوقَّعُ حتّى أتاهُ كِتابهُ أن:

ـ «أقبِل، فإنَّ لِلمَلِكِ إليكَ حاجةً.»

فانطلق حين أتاه كتابُه، فَحَمَلَ سلاحَهُ وما قَوىَ عليه، ثُمّ لَحِقَ بِجَبَلَى طَىءٍ، وكانت عِندَهُ فرعةُ بنتُ سعدِ بن حارثةَ بنِ لأمٍ [251] وقد ولَدَت له رجلاً وكانت عنده أيضًا زينب بنتُ أوسِ بنِ حارثةَ. فأراد النُعمانُ طيئًا على أن يُدخلوهُ ويَمنَعُوهُ، فأبَوا ذلك وقالوا:

ـ «لولا صِهرُكَ لقاتلناكَ، فإنّه لاحاجة لنا فى معاداة كِسرىٰ.»

فاقبلَ ليس أحدٌ من النّاس يَقبَلُهُ حتّى نزلَ بذى قار، فى بنى شيبانَ سِرًّا، فلَقِىَ هانِئَ بنَ قبيصةَ بنِ هانئِ بنِ مسعود، وكان سيِّدًا منيعًا، وكان كسرى قد أطعم قَيسَ بنَ مسعود الأُبُلَّةَ. فَكَرِهَ النّعمانُ لذلك أن يدفعَ إليهِ أهلَهُ، وعَلِمَ أنّ هانئًا مانِعُهُ مِمّا يمنعُ مِنه نفسَهُ، فاودَعَه سلاحَهُ، وتوجّه بنفسه إلى كِسرىٰ، فلَقِىَ زيدَ بنَ عدىٍّ على قنطرةِ ساباط.

فقال: «أنجُ نُعَيمُ!»

فقال: «أنتَ يازيدُ فعلتَ هذا، أما واللهِ لئن انفلَتُّ لأفعَلَنَّ بك ولأصنَعَنَّ.»

فقال له زيدٌ: «إمضِ نُعيمُ! فقد ـ والله ـ وَضَعتُ لَكَ عنده آخيّةً[1] لا يقلعُها المُهرُ[2] الأرِنُ[3].

فلمّا بلغ كسرى أنّه بالبابِ، بعثَ إليه، فقيّدهُ، وأنفذهُ إلى خانقين، فلم يَزَل فى السِّجن حتّى وَقَعَ الطّاعونُ، فماتَ فيه، والنّاسُ يظنُّونَ أنّهُ [252] ماتَ بساباط، لبيتٍ[4] قاله الأعشى. والصَّحيحُ ماقُلناه.

[إياسُ وما أدّىٰ إلىٰ يومِ ذى‌قار]

وأمر كسرى إياسَ بنَ قبيصةَ الطّائىَّ أن يضمَّ ماكان النُّعمان ينظر فيه، ويجمع مالَه ويبعث به إليه. فبعثَ إياس إلى هانئَ أن:

ـ «أرسِل ما استودَعَك النُّعمان من السِّلاحِ وغيره»

وكان ثمانمائةِ درعٍ. فأبىٰ هانئٌ أن يُسلِّمَ خُفارتَهُ.

فلمّا مَنَعَها هانئٌ غَضِبَ كِسرىٰ، وأظهرَ أنّه يستأصِلُ بكرَبنَ وائلٍ وعندهُ يومئذٍ النّعمانُ بنُ زُرعةَ التَّغلبى ـ و هو يُحِبُّ هلاكَ بكر بنِ وائلٍ ـ فقال لكسرى:

ـ «ياخيرَ المُلوكِ، أدُلُّكَ على غِرَّةِ بكربن وائل؟»

قال: «نَعَم.»

قال: «أمهِلها حتّى تَقيظَ[5]، فإنّهم يجتمعون إلى مَالِهم يُقالُ له: ذوقار، فيتساقطون عليه

---

١) الآخيّة: عُروةٌ تثبت فى الأرضِ أو الحائط لربط الدّابه بها. الحرمة والذّمة. ٢) المُهر: أوّل ماينتج من الخيل والحُمُر الأهليّة وغيرها. ٣) الأرِن: النّشط. ويقال: شددتُ له آخيّةً لايحلّها المُهرُ الأرِنُ. ٤) والبيت كما فى الطبرى (٢: ١٠٢٨):

فذاكَ وَما أنجىٰ من المَوتِ رَبَّهُ ... بِساباطَ، حتّى ماتَ وهو مُحَرزَقُ

٥) قاظ اليوم: اشتدّ حرّهُ. قاظ القوم بالمكان: اقاموا به أيّام الحرّ.

تَساقُطَ الفَراشِ فى النّار، فتأخذهم كيف شئت، وأنا أكفيكَهُم.»

فتُرجِمَ له، فاقَرَّهُم، حتّى إذا قاظُوا جاءَت بكرُبن وائل، فنزلت حِنوَ ذى قارٍ، وهو على ليلةٍ مِن ذى قارٍ[1]. فارسل إليهم كِسرى النّعمان بنَ زُرعةَ أن: اختاروا واحدًا من ثلاث خصالٍ. فنزل النُّعمان على هانئٍ وقال:

ـ «أنا رسولُ المَلِكِ إليكم، اُخَيِّرُكم فى ثلاثِ [253] خصالٍ: إمّا أن تُعطُوا بأيديكم فيحكُمَ المَلِكُ فيكم بماشاءَ، وإمّا أن تَدَعُوا الدِّيارَ، وإمّا أن تأذَنوا بحربٍ.»

فتآمروا، فولُّوا أمورَهُم حنظَلَةَ بن ثعلبةَ بن سيّارٍ العَجَلى، وكانوا يتيمَّنون به، فقال:

ـ «لا أرى إلاّ القتالَ، لأنكم إن أعطيتُم بأيديكم، قُتِلتُم، وسُبِيَت ذَراريكم، وإن هَرَبتُم قَتَلَكُمُ العطَشُ، وتلقّاكم تميمٌ فتُهلِكُكُم، فاْذَنوا المَلِكَ بحربٍ.»

فبعث المَلِكُ كسرىٰ إلى إياسٍ، وإلى الهامُرزِ[2] التُّستَرى، وكان مَسلَحَهُ[3] بالقُطقُطانيَة[4] وإلى جَلابزين[5] وكان مَسلَحَهُ ببارقٍ. وكتب إلىٰ قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذِى الجَدَّين ـ وكان كِسرىٰ استعمَلَهُ على طَفِّ سَفوان[6] ـ أن يُوافوا إياسًا، فاذا اجتمعوا، فإياسُ على النّاس. وجاءَت الفرسُ ومَعَها الجنودُ والفيولُ عليها الأساورة، وقد بُعِثَ النّبىُ ـ صلّى اللهُ عليه وسلّم ـ.

فقال ـ عليه السلام ـ :

ـ «أليومَ انتَصَفَتِ العَرَبُ مِنَ العَجَمِ[7].»

فَحُفِظَ ذلك اليَومُ، فإذا هُوَ يومُ الوقعةِ.

رأىٌ جَيِّدٌ رَآهُ قيسُ بنُ مَسعُودٍ لِهانِئٍ [254]

لمّا دَنت جُيوشُ الفُرسِ بِمَن معهم انسَلَّ قيس بن مسعود ليلاً، فأتىٰ هانئًا فقال:

ـ «اعطِ قومَكَ سِلاحَ النُّعمان فيَقووا، فإن هلكوا كان تَبَعًا لنفوسهم وكنتَ قد أخذتَ بالحَزمِ، و إن ظَفِروا ردُّوه عليك.»

---

١) ذوقار: ماءٌ لِبكرِبن وائل قريبٌ من الكوفة (مع). ٢) Hāmerz. ٣) المَسلح، والمَسلَحة: كلّ موضع مَخافة يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة والمحافظة. القوم المسلّحون فى ثغر، أو مخفر للمحافظة. ترجمةٌ لكلمة «زينستان» الفارسيّة المركّبة من «زين» (بالفهلويّة: Zēn) أى السّلاح، و «ستان» أى المكان (حب). ٤) القطقطانيّة: موضعٌ قُربَ الكوفة (مع). ٥) ما فى الأصل ومط غيرواضح وما أثبتناه يوافق الطّبرى (٢: ١٠٣٠). ٦) طفّ سفوان: ماءٌ على قدر مرحلة من المربد بالبصرة به ماء كثير (مع). ٧) انظر الطّبرى: ٢: ١٠٣١، والعقد ٥: ٢٦٢.

ففعل، وقسم الدُروع والسِّلاحَ فى ذَوى القُوى والجَلَدِ مِن قَومِه، فلمّا دَنا الجمعُ مِن بكر بن وائل، قال لهم هانئٌ:

- «يا معشر بكر، إنّه لا طاقةَ لكم بجنودِ كِسرىٰ ومَن معهم من العرب، فاركَبُوا الفَلاةَ.»

فتسارعَ النّاسُ إلى ذلك، فوثب خنظلةُ بنُ ثعلبةَ بن سيّار. فقال:

- «إنّما أراد نجاتَنا، فلم يزد على أن ألقانا فى الهَلَكةِ.»

فرَدّ النّاسَ، وقَطعَ وضُنَ الهَوادجِ لِئَلاّ تستطيعَ بكرٌ أن تَسوقَ نِساءَها إن هَرَبُوا[١]، فسُمّى: «مُقطّعَ الوُضُن[٢].»

فضَربَ حنظلةُ على نفسِه قُبّةً ببطحاءِ ذى قار، وآلىٰ: لايَفرّ حَتّى تَفرّ القُبّةُ. فمضى من مضى من النّاسِ ورَجعَ أكثرهم، واستُقَى[٣] ماءُ لِنصفِ شهر. فأتَتهم العَجَمُ، فقاتلتهم بالحِنو، فجزعَتِ العَجَمُ مِنَ العطش، ولم تقم لمحاصَرَتِهم فهربت إلى الجُبابات[٤] فتبعتهم[٥] بكرٌ وعِجلٌ أوائلُ بكر، [255] فتقدّمَت عجلٌ، وأبلت يَومئذٍ بلاءً حسنًا، واضطمّت عليهم جنودُ العجم، فقال النّاسُ: هَلَكَت عجلُ. ثمّ حملت بَكرٌ، فوجدت عِجلاً ثابتةً تُقاتِل، وامرأةٌ تقول:

إن يظفَروا يُحوِّزُوا[٦] فينا الغُرَل[٧] إيهًا[٨] فداءً لَكُمُ بَنى عِجِل

وتقول أيضًا:

إن تَهزِموا نُعانِق ونَفرشِ النّمارِق[٩]
أو تَهرُبُوا نُفارِق فِراقَ غَيرِ وامِق[١٠]

فقاتلوهم بالجبابات يومًا، فعطشَ العجمُ، فمالوا إلى بطحاءِ ذى قار.

فأرسلت إيادُ إلى بكرٍ سِرًّا - وكانوا مع إياسٍ عَونًا على بكر -:

- «أىُّ الأمرين أعجب إليكم: أن نَطيرَ تحتَ ليلتِنا فنذهبَ، أو نُقيمَ، ونَفِرّ حينَ تتلاقون؟»

قالوا: «بل تُقيمون، فإذا التقى القومُ انهزَمتُم بهم.»

فصبّحتهم بكرُ بن وائلٍ والظُعُن[١١] واقفةٌ يذمُرن[١٢] الرّجالَ على القتل. فقال يزيدُ بنُ حمار

١) الأصل غير واضح، وما أثبتناه يؤيده مط والطبرى. ٢) فى الطبرى (٢: ١٠٣١): الوُضُن: حُزم الرِّحال. ويُقال: مقطع البُطن. والبُطن: حُزمُ الأقتاب. ٣) مط: واستقى. فى الطبرى: واستقوا. ٤) الجبابات: موضع قريب من ذى‌قار كان بها يوم العرب (مع). ٥) مط والطبرى: وتبعتهم. ٦) فى الطبرى: يُحرِزُوا. ٧) الغُرَل: جمع غُرلة: جِلدة الصّبىّ الّتى تُقطع فى الختان. ٨) إيهًا: اسم فعلٍ معناه: لاتحدّث.وقد ترِدُ بمعنى التّصديق والرّضا بالشّىء. إيهِ: اسم فعلٍ معناه الاستزادة من حديثٍ أو عملٍ. أو الإسكات والكفّ بمعنى: حَسبُكَ. ٩) النّمارق: جمع النّمرقة، وهى الوسادة الصغيرة، أو الطنفسة فوق الرّحل. ١٠) الوامق: المحبّ. ١١) الظُعُن: جمع الظّعينة: الرّاحلة، الهودج، الزّوجة! ١٢) ذمَرَ: حضّ على الأمر.

السّكونى وكان حليفًا لبنى شيبان:

ـ «يابنى شيبان، أطيعونى واكمنُوا[١] لهم كمينًا.»

ففعلوا، فكمَنُوا فى مَكانٍ مِن ذى قارٍ يُسمَّى إلى اليوم «الخَبء[٢].» فاجتلدُوا على[٣] ميمنةِ إياس بن قبيصةَ وفيها[٤] الهامرزُ، وعلى ميسرته وفيها[٥] الجَلابزينُ [256]، وعلى ميمنةِ هانئُ بن قبيصةَ رئيسِ بكرٍ يَزيدُ بنُ مُسْهِرِ الشّيبانى، وعلى ميسرتِه خنظَلَةُ بنُ ثعلبَة بنِ سيّار العِجلى وحنظلةُ يرتجزُ ويقول:

قد شاع أشياعُكُمْ فَجِدُوا ماعِلَّتى وأنا شَيخٌ جَلدٌ[٦]

والقوسُ فيها وَتَرٌ عَرُدٌ[٧] مِثلَ ذِراعِ البَكرِ أو أشَدُّ

ثُمّ صَيّروا الأمرَ بعد هانئٍ إلى حنظلةَ. فمالَ إلى ماريةَ ابنتِه وهى أمُّ عشرةِ نفر، فَقَطعَ وَضينَها، فوقعت على[٨] الأرضِ، وقَطعَ وُضُنَ النِّساءِ، فَوَقَعنَ على الأرضِ. ونادَت بنتُ القرينِ الشّيبانية حينَ وقعتِ النِّساءُ إلى الأرض:

وَيهًا بنى شيبان صَفًّا بَعدَ صَفّ إن تُهزَموا يُصَبِّغُوا[٨] فينا القُلَف[٩]

فَقَطع سبعمائةٍ مِن بنى شيبانَ أيدىَ أقبيتهِم مِن قبل مناكبِهِم، لتخفَّ أيديهِم بالضّربِ، فجالَدُوهم،ونادى الهامرزُ لمّا رأى جِدَّ القومِ وثباتَهم للحرب وصَبرَهم للموتِ:

ـ «مَرْد وَمَرْد!»

فقال بُردُ بن حارثةَ اليشكرى: «ما يقول؟»

قال: «يدعو إلى البِراز ويقول: رَجُل ورَجُل.»

فقال: «وأبيكم لقد أنصفَ.» [257]

وبرز لهُ بردُ، فلم يَلبَث بُردُ أن تمكّن مِن الهامُرز فَقتَلَهُ، ونادىٰ حنظلةُ بنُ ثعلبةَ:

ـ «ياقوم، لاتقفوا لهم فيستغرقكم النُّشّابُ.»

فحملت ميسرةُ بكر ـ وعليها حنظلةُ ـ على ميمنةِ الجيش، وقد قُتِلَ الهامُرزُ رئيسُهم، قَتَلَهُ بُردُ،

---

١) الأصل ومط والطّبرى: «واكمنونى لهم» فحذفنا «نى» وفقًا لابن الأثير (١: ٤٩٠). ٢) فى الطّبرى: الجبّ، الحبّ. مط: حب. وفى الأصول: الخبئ. ٣) فى الطّبرى: وعلى. ٤) فيها: سقطت من الطّبرى. ٥) فيها: أيضًا سقطت من الطبرى. ٦) فى الطّبرى: مؤدٍ. أى: ذوأداةٍ من السّلاح تامّةٍ، أى: لاعُذرَلى. ٧) عَرُدٌ: صلبٌ شديدٌ. ٨) مط: «يصنعوا» وقد زالت نقطتا الياء. ما فى الاصل: «يُضَيّعوا» وقد يكون له معنىً!. وما أثبتناه من الطّبرى (٢: ١٠٣٣)، وابن الأثير (١: ٤٩٠). ٩) القُلَف: جمع القُلفة: الجلدة الّتى يقطعها الخاتن من ذكر الصّبىّ. وقوله: يُصَبّغوا فينا القُلَفَ، أى: إن هُزمتم افتضُّوا أبكارَنا.

وحملت ميمنةُ بكر ـ وعليها يزيدُ بنُ مُسهِر ـ على ميسرة الجيش، وعليهم الجلابزينُ، وخرج الكمينُ من خَبءِ ذیقارٍ من ورائهم [وعليهم][1] يزيدُبنُ حمارٍ، فشدّوا على قلبِ الجيش، وفيهم إياسُ بنُ قبيصةَ ووَلّت إيادُ منهزمةً كما وعدتهم. وانهزمت الفُرسُ واتّبعوهم يسعون، لم ينظروا إلى سَلَبٍ ولا إلى شيءٍ حتى تعارفوا «بِاذَم» ـ موضع قريب من ذیقار ـ فَوُجِدَ ثلاثون فارسًا، من عِجلٍ، ومن سائرِ بكرٍ ستّون فارسًا وقتلُوا جلابزينَ، قَتَلَهُ حنظلةُ بنُ ثعلبة، وذلّتِ الفرسُ بعد ذلك، وذَلَّ أمرُهم.

ذكر حيلةٍ لأبرويزَ على مَلِكِ الرُّوم

كان أبرويزُ وجّهَ رجلاً من جِلّةِ أصحابِه فى جيش جرّار إلى بلاد الرّوم [258] فنكا فيهم، وبلغ منهم، وفتح الشاماتِ وبلغ الدّربَ فى آثارهم فَعَظُمَ أمرهُ وخافَهُ أبرويزُ. فكاتَبَه بكتابين أمرهُ فى أحدهما أن يستخلفَ على جيشِه مَن يثِقُ به ويُقبِل إليه، ويأمُره فى الآخر أن يُقيمَ بموضعه، فإنّه لمّا تدبّر أمرَهُ وأجالَ الرّأىَ، لم يَجِد من يَسدُّ مسدَّه، ولم يأمَن الخَلَلَ، إن غابَ عن موضعه، وأرسلَ بالكتابين رسولاً من ثِقاتِه وقال له:

ـ «أوصِلِ الكتابَ الأوّلَ بالأمر بالقُدوم، فإن خَفّ لذلك فهو ما أردتُ، وإن كَرِهَ وتثاقلَ عن الطّاعةِ، فاسكُت عليه أيامًا، ثُمّ أعلِمهُ أنّ الكتابَ الثانى وَرَدَ عليك، وأوصِلهُ إليه ليُقيمَ بموضعه.»

فخرج رسولُ كسرىٰ حتّى وردَ على صاحبِ الجيشِ ببلاد الشامِ، فأوصل الكتابَ إليه، فلمّا قرأه قال:

ـ «إمّا أن يكونَ كسرى قد تغيّر لى وكَرِهَ مَوضعى، أو يكونَ قد اختلط عقلُه بصرفِ مِثلى وأنا فى بحرِ العَدُوّ.»

فدعا الأصحابَ وقرأ عليهم الكتابَ فأنكروهُ. فلمّا كانَ بعدَ ثلاثةِ أيام، أوصلَ الكتابَ الثانى بالمُقام، وأوهَمَهُ أنّ رسولاً [259] وَرَدَ به. فلمّا قرأه قال: «هذا تخليط.» ولم يقع منه موقعًا، وَدَسَّ إلى مَلِكِ الرّومِ مَن ناظَرهُ فى إيقاعِ صُلح بينهما، على أن يُخلّىَ الطّريقَ لملك الرّومِ، حتى يَدخلَ بِلادَ العراق على غِرّة من كسرى، وعلى أنّ لملك الرّوم ماتغلّبَ عليهِ من دونِ العراقِ، وللفارسىّ ماوراءَ ذلك إلى بلادِ فارس.

فأجابه مَلِكُ الرّوم إلى ذلك وتنحّى الفارسىُّ عنه فى ناحيةٍ من الجزيرة، وأخذ أفواهَ الطُّرُقِ،

---

١) فى الأصل ومط: «من ورائهم الجلابزين» فحذفنا «الجلابزين» وأثبتنا مكانها «وعليهم» كما فى الطّبرى.

فلم يعلم كِسرى حتّى وردَ خبرُ مَلِكِ الرّومِ من ناحية قَرقيسياءَ[١]، وكسرى غيرُ مُعدٍّ، وجندُه متفرّقون فى أعمالِه. فوثبَ من سريره مع قراءةِ الخبر، وقال:

ـ «هذا وقتُ حيلةٍ لاوقتُ شِدَّةٍ.»

وجعل ينكتُ فى الأرضِ مَلِيًّا. ثُمَّ دعا بِرَقٍّ، وكتب فيه كتابًا صغيرًا بخطٍّ دقيقٍ إلى صاحبِه بالجزيرةِ يقول فيه:

«قد علمتَ ماكنتُ أمرتُك بِه مِن مواصلةِ صاحبِ الرّومِ، وإطماعِه فى نفسِكَ وتخليةِ الطّريقِ له حتّى إذا تولَّجَ فى بِلادِنا أخذتَه مِن أمامه وأخذتَه أنتَ ومَن نَدَبناهُ لذلك مِن خلفِه، فيكونَ ذلك بَوارَه، وقد تَمَّ فى هذا الوقتِ مادبَّرناهُ وميعادُك [260] فى الإيقاع بِه يومَ كذا!»

ثُمَّ دعا راهبًا كان فى دَيرٍ بجانبِ مدينتِه وقال له:

ـ «أىَ جارٍ كنتُ لك؟»

قال: «أفضل جارٍ.»

قال: «قد بَدَت لنا إليك حاجةٌ.»

قال الرّاهبُ: «الملك أجَلُّ مِن أن يكونَ له حاجةٌ إلى مثلى، ولكن عندى بذلُ نفسى فى الّذى يأمر به الملكُ.»

قال كسرى: «تحملُ لى كتابًا إلى فلانٍ صاحبى؟»

قال: «نعم.»

قال كسرى: «فإنّك تجتاز بأصحابك النّصارىٰ، فأخفِه.»

قال: «نعم.»

فلمّا وَلّىٰ عنه الرّاهب قالَ له كسرى:

ـ «أ علمتَ ما فى الكتاب؟»

قال: «لا.»

قال: فلا تحمله حتّى تعلَمَ مافيه.»

فلمّا قرأهُ أدخلَهُ فى جَيبِه ثُمَّ مَضى.

فلمّا صار فى عسكر الرُّوم ونَظرَ إلى الصّلبان والقِسِّيسين وضَجيجِهم بالتقديس والصّلواتِ

١) فى الأصل: قرقيسا. وقرقيسياء: بلدٌ على الخابور عند مصبّه، وهى على الفرات، جانبٌ منها على الخابور، وجانبٌ آخر فوق رحبة مالك بن طوق (مع) = Circesium (C. I. S).

احترق قلبُه لهم واشفق مِمَا خاف أن يَقعَ بهم. **وقال فى نفسه**

- «أنَا شَرُّ النَاسِ إن حَملتُ بيدى حَتفَ النصرانية، وهلاكَ هؤلاءِ الخلقِ.»

فصاح: «أنَا لم يُحمِّلنى كِسرى رِسالةً ولامعى كِتابٌ.»

فأخذوهُ ووجدوا الكتابَ معهُ.

وقد كان كِسرى وجّهَ رسولاً قبلَ ذلك اختصرَ الطَريقَ حَتى مَرَّ بعسكرِ الرُومِ وكَأنّه رسولٌ إلى كسرى [261] مِن صاحِبه الّذى طابَقَ[1] مَلِكَ الرُومِ ومعهُ كتابٌ فيه:

«إنَ المَلِكَ كان قد أمرنى بمقاربة ملك الرُوم وأن اختدِعَهُ وأخلّىَ له الطريقَ، فيأخذَهُ الملكُ من أمامِه، وآخُذَه أنَا مِن خلفِه وقد فعلتُ ذلك، فرأىُ الملكِ فى إعلامى وقتَ خرُوجه إليه.»

فأخذ ملك الرُوم الرَسولَ وقرأ الكتابَ وقال:

- «قد عجِبتُ أن يكونَ هذا الفارسىُ أدهَنَ[2] على كسرى.»

ووافاه ابرويزُ فى من أمكنه مِن جُندِه، فوجد مَلِكَ الرُوم قد ولّى هاربًا، فاتّبعَهُ يقتُل ويأسِر مَن أدركَ، وبلغَ صاحبَ كسرى هزيمةُ الرُومِ، فأحبَ أن يُجَلّىَ نفسَهُ ويستُرَ ذنبَهُ لِما فاته مادبرَ، فخرج خلفَ الرُوم الهاربين، فلم يسلم منهم إلاَ القليل[3].

ذكر سببِ هلاكِ ابرويز وقتله

كان سبب هلاك ابرويز وقتلِه تَجبُرهُ، واحتقارُه العظماءَ، وعُتُوُهُ. وذاك أنَه استخفَ بما لا يستخفُ به الملكُ الحازمُ. [262] وكان قدجَمعَ من المالِ ما لم يجمعهُ أحدٌ مِنَ الملوكِ، وبلغت خيلُه قسطنطينيَةَ وإفريقيَةَ، وكانت لَهُ اثنتا عشرةَ ألفَ امرأةٍ وجاريةٍ، وألفُ فيلٍ إلاَ فيلُ واحدُ، وخمسونَ ألفَ دابّةٍ، ومِنَ الجواهرِ، والآلاتِ والأوانى مايليقُ بذلك. وأمرَ أن يُحصَى ما اجتُبِىَ من خراج بِلادِه وسائر أبوابِ المالِ سنةَ ثمانى عشرةَ من مُلكِه. فرُفِعَ إليه: أنَ الّذى اجتُبِىَ فى تلك السَنةِ مِن الخراجِ وسائر الأبوابِ ستُمائةَ ألفِ ألف [٦٠٠،٠٠٠،٠٠٠] دِرهَمٍ. وأمر فحُوّلَ إلى بيتِ مالٍ بُنى بمدينةِ طيسبونَ من ضربِ فيروزَ بنِ يزدجردَ وقباذَ بن فيروز اثنتا عشرة ألفَ [١٢،٠٠٠] بدرةٍ فى أنواعٍ من الجواهر والكُسىِّ وغير ذلك. فَعتا واستهان بالنَاس والأحرار.

---

[1] طابَقَ: وافق، عاون. [2] أدهن: أظهر خلافَ ما أضمر، أو خَدَعَ وغشَ. أدهن عليه: أبقى. أدهن فلانًا: داراه ولاينهُ. [3] إنَ ماذكره مسكويه تحت عنوان «حيلة ابرويز» لم نعثر على ذكرٍ له عند كلٍّ من الطَبرى، والمسعودى، والدينورى، والثعالبى، وابن الأثير.

وبلغ من جُرأته أنّه أمَرَ رجلاً كان على حرسِ بابه الخاصّة يقال له: زاذا نُفـرُّوخ، أن يقتُل كُلَّ مَقيَّدٍ فى سجنٍ مِن سجونه. فأُحصوا، فَبَلَغوا ستَّةً وثلاثينَ ألفًا. فلم يُقدِم زاذا نفرُّوخ على قتلهم، وتقدَّم بالتَّوقُّف عَمّا أمرَ به كسرى وَأعَدَّ عِلَلاً له فى ما أَمرَ [263] به فيهم.

فكان هذا أحدُ ما كسب به كِسرى عداوةَ أهلِ مملكته.

والثانى: احتقارُه إيّاهم واستخفافه بعظمائهم.

والثالث: أنّه سلَّطَ عِلجًا[١] يقال له «الفرّخان زاذ» عليهم، حتّى استخرج بقـايا الخـراج بُعنفٍ وعذابٍ، وكان ضَمِنَ من ذلك مالاً عظيمًا، فسلّطه على النّاسِ.

والرّابع: إجماعُهُ على قتل الفلّ[٢] الّذين انصرفوا إليه من قِبلِ هِرَقلَ.

فمضى قومٌ مِنَ العظماءِ إلى عقرِ بابل وفيه شيرى[٣] بنُ أبرويزَ مع إخوته بهـا، وقـد وُكّل بهـم مؤدِّبون وأساورةٌ يحولون بينهم وبين براح ذلك الموضع، فاقبلوا به، ودخلوا مدينة بَهـرسير ليلاً. فخلّى عمَّن كان فى سُـجونها واخـرج مَن كان فيهـا، واجتمع إليه الفَـلُّ الّذين كانوا علموا بأمر كِسرى بقتلهم. فنادَوا: «قُباذ شاهنشاه»، وصاروا حين أصبحوا إلى رحبةِ كِسرى، فَهَرَبَ الحَرَسُ من قصرِ أبرويزَ، وانحازَ كسرى بنفسِه إلى باغٍ له قريبٍ من قَصره يُدعى: «باغَ الهِندُوان» فارًّا[٤]. فاخِذَ وحُبِسَ خارجًا [264] عن دارِ المملكةِ فى دارِ رجُلٍ يقال له: مارِسـفند[٥]. إلى ان قُتِلَ، بعـدَ حديثٍ طويلٍ[٦] ومراسلاتٍ بينَه وبينَ شـيرى بِمواطأة العـظماءِ، وبعـدَ تقـريعٍ كثيرٍ وتوبيخٍ على ماكان منه فى أشياءَ عدَّدُوها عليه. فأجاب عَنِ الكُـلِّ بجــواباتٍ مُقنِعــةٍ صــحيحةٍ لم نذكرها لخروجِها عَمّا بَنينا عليهِ غَرَضَ هذا الكتاب.

وكان هلاكُه بعدَ ثمانٍ وثلاثين سنةً. ولِمُضـيِّ اثنين وثلاثين سـنةً و خَمسـةَ عَشَـرَ يوما من مُلكِه، هاجر النّبىُّ ـ صلى اللهُ عليه ـ من مكّةَ إلى المدينة.

وخلّف فـى بيتِ المالِ يومَ قُتِلَ من الوَرِقِ أربعمائـةِ الفِ [٤٠٠،٠٠٠] بدرة، سـوى الكنوزِ والذّخائرِ والجواهرِ وآلاتِ المُلكِ، وفى تلك الكنوزِ «كنزباذ آورد»[٧].

ثُمَّ ملك شيرويةُ بنُ أبرويزَ.

---

١) العِلج: الجافُ الشّديد. ٢) الفَلّ: المنهزم. (للواحد والجمع). ٣) شيرى = شيرويه، واسمه قباذ (الطّبرى ٢:١٠٤٣،١٠٤٥) = قباذ الثانى (C. I. S). ٤) مط: هاربًا. ٥) مط: ماراسفند. ٦) انظر الطّبرى ٢: ١٠٤٤. ٧) گنج ى واذ آورد، گنج باد آورد (C. I. S). وگنج باداورد اسمٌ للحنِ من ألحـان باربد، قيل: إنّ الموسيقار باربد (Bārbad) لحّنه بعد أن أتى ابرويز بذلك الكنز (فم).

ذكر عاقبة شيرُوية بن ابرويز

قَتَلَ شيرويةُ أباه، وقَتَلَ سبعةَ عشر أخًا له ذوى آدابٍ وشَجاعةٍ، [265] بمشورةِ وزرائه، فابتُلِىَ بالأسقام، وانتقض عليه بَدَنُهُ، فلم يلتذَّ بشىءٍ مِن لَذّاتِ الدُّنيا، وجزع بعد قتلِ إخوتِه جَزَعًا شديدًا، وكان يبكى إلى أن رَمىٰ بالتّاج عَن رأسِه، وعاشَ ماعاشَ مهمومًا حزينًا مُدنِفًا. وكان الطّاعون فشا فى أيّامه، فأهلكَ أكثرَ الفُرسِ. وكانَ مُلكُه ثمانيةَ أشهرٍ.

ثم مَلكَ اردشيرُ بنُ شيرويةَ

وكان طفلاً، وقيل: إنّه كان ابنَ سبعِ سنينَ، لأنّهُ لم يوجَد غيرهُ من أهلِ بيتِ المملكةِ، وحَضَنَهُ رجلٌ يقال له: مِهاذَر جُشنَس[١]، فأحسنَ سياسةَ المُلكِ فبلغَ مِن إحكامِه ذلك أنّه: لم يُحَسَّ بحداثةِ أردشير سوى أنّه غلط فى أمرِ شهرَبَرازَ المقيم بثغرِ الرُّومِ.

ذكر غَلَطِه فى ذلكَ واستهانتِه بامره حتّى كان سببَ هلاكِه

كان شهربَراز فى جندٍ ضمَّهم إليه كسرى، وكان كسرى وشيرويةُ لايزالان يكتبان إليه فى الأمر يُهِمُّهما ويستشيرانه. فلمّا لم يشاوره عظماءُ [266] الفُرسِ فى تمليك أردشير، ولم يكاتبهُ أيضًا مهاذَر جشنس، تعنّتَ الفُرسَ، وتبغّىٰ عليهم، وبسطَ يدَه، وجعله سببًا للطَّمع فى المُلكِ، واستطال، واحتقر اردشيرَ لحداثةِ سنِّه، ودعا النّاسَ إلى التّشاورِ فى المُلكِ. ثُمَّ اقبل بجندِه وقد عمد مهاذَر جشنَس، فحصّنَ سورَ مدينةِ طيسبونَ وأبوابها، وحوّلَ أردشيرَ ومَن بَقِىَ مِن نسلِ الملوكِ ونسائهم، وماكانَ فى بيتِ مالِ أردشيرَ مِن مالٍ وخزائنَ وكراعٍ، إلى مدينةِ طيسبونَ.

فلمّا ورد شهربراز أناخ إلى جانب مدينة طيسبون، وحاصر من فيها، ونصب المجانيقَ عليها، فلم يَصِل إليها. فلمّا رأى عجزَه عن افتتاحها أتاها مِن قِبَلِ المكيدة، فلم يَزَل يخدع رجلاً يقال له: نيو خُسرَو[٢]، ورجلاً كان اصبهبذَ نيمروزكان[٣]، حتّى فتحا له بابَ المدينة، فدخلها، وأخذ جماعةً من الرّؤساء، فقتلهم، واستصفى أموالهم، وقتل اردشيربن شيروية. وكان مُلكُهُ سنةً وستّةَ أشهرٍ. [267]

١) وجاءَ فى الطبرى: كانت مرتبته رئاسة أصحاب المائدة (٢: ١٠٦٢). ٢) الأصل مهمل النقط. فى الطّبرى: نيوخسرو. كان رئيس حرس أردشير (٢: ١٠٦٢). ٣) فى الأصل: نيمروزكان، بالذّال المعجمة. فى الطّبرى: نامدار جشنس بن آذرجشنس اصبهبد نيمروز (نفس الصفحة).

ثُمَّ مَلَكَ شَهربَرازُ

ولم يكن من أهل بيتِ المملكةِ ودعا نفسَـه مَلِكًـا، ولمّا جَلسَ على سـريرِ المُلكِ ضَـرَبَ عليه بطنُه، وبلغ من شدّة ذلك عليه أنّه لم يقدِر على إتيان الخـلاء، فـدعا بالطَّسـتِ، فَـوُضِعَ أمام ذلك السَّرير، ومُدَّ فى وجهِه ماسترَه، فَتَبَرَّزَ فى الطَّستِ!

ثُمَّ امتعض رجلٌ يقال له «بُسفَرُّوخ[1]» وأخـوين له، مِن قَتلِ شـهربراز أردشـيرَ بنَ شيـرُويَةَ، وغَلَبَتِه على المُلكِ، فتحـالفوا على قتلِه. وكان من السُّنّةِ إذا ركب المَلِكُ أن يَقِفَ له حَـرَسُه سماطين عليهم الدُّروعُ، والبيضُ، والتّرسةُ، والسُّـيوفُ، وبأيديهـم الرماحُ، فـإذا حـاذاهُمُ المَلِكُ وضعَ كُلُّ رجلٍ منهم تُرسَهُ على قربوسِ سَـرجِه، ثُمَّ وضـع جَبهتَه عليه كهيئـة السُّـجود. وإنَّ شهربراز ركبَ بعدَ أن مَلَكَ بأيّام، فوقف له بُسفرُّوخ، ثُمَّ طعنَه أخواهُ، فسـقطَ عَن دابّتِه، [268] فشدّوا فى رِجله حَبلاً وجَرُّوهُ إقبالاً وإدبارًا ساعةً، وسـاعَدهُم قـومٌ مِن العُـظماء وقتلوا عِدّةً عاونُوا فى الفتكِ بأردشيرَ، وملّكوا بُورانَ بنتَ كِسرىٰ. وكان جميعُ مامَلَكَ شهربرازُ أربعينَ يومًا.

ومَلَكَت بُورانُ بنتُ كسرى أبرويزَ

فأحسنتِ السِّيرةَ، وبَسَطتِ العـدلَ، وأمرت بِرَمِّ القناطِـر والجسـورِ وإعادةِ العِماراتِ، وَوَضَـعَت بقايا الخَراجِ، وكتبت إلى النّاس عامّةً كُتبًا تُعلِمُهـم ماهى عليه مِنَ الاحسـانِ، وأنّهـا ترجـو أن يُريَهُمُ اللهُ مِن الرِّفاهةِ والاستقامةِ بمكـانها، ومِنَ العـدلِ وحفـظِ الثُّغـورِ مايعلمون به أنّه ليس ببطشِ الرِّجالِ تَدوَّخ البِلادُ، ولا ببأسِهم تُسـتباحُ العسـاكرُ، ولا بمكـائدهم يُنال الظَّفَـرُ، وتُطفأُ النَّوائرُ، ولكنَّ ذلك كُلَّه باللهِ عَزَّوجلَّ، وحسنِ النِّيّةِ، واستقامةِ التّدبير. وأمرت بالمناصحةِ وحسنِ الطّاعةِ، وَرَدَّتْ خشبةَ الصَّليب على مَلِكِ الرُّوم. وكان مُلكُها سنةً وأربعةَ أشهُر. [269]

ثُمَّ مَلَكَ بعدَها رجلٌ يقالُ له: جُشنَسبَندَه[2]

وكان مُلكُه أقلَّ مِن شَهرٍ، ولم يَظهَر له أثرٌ تستفاد منه تجربةٌ.

---

١) فى الطبرى: فسفرّوخ بن ماه خُرشيدان (٢: ١٠٦٣) = Pus Farrukh (C. I. S).

٢) فى الطَّبرى: جُشنَسده (٢: ١٠٦٤)، وابن الأثير: خشنشبنده (١: ٤٩٩)، والصحيح: جشنسبنده، معرّب گُشنَسب بَنذك Gusnasp Bandak. وجاء فى بعض الأصول: جشنسفنده

ثمّ ملكت آزرمیدُخت إبنةُ كسرى أبرويز

كانت آزرمیدُخت من أجملِ نساءِ دَهرها، وكان عَظيم فـارسَ يَومئـذٍ «فَـرُّخ هُرمُز» إصـهبذ خُراسانَ، وأرسلَ إليها: يسألها ان تزوِّجَه نفسَها، فأرسلت إليه:

- «انّ التَّزويجَ لِلملكةِ غيرُ جائز، وقد علمتُ انَّ إربَك فيما ذهبت إليه قضاءُ حاجتِك مِنّى، فَصر إلىَّ ليلةَ كذا وكذا.»

ففعل [فرّخ هرمز][1]، وركب إليها فى تِلك اللّيلةِ، وتقدّمت آزرمیدخت إلى صاحب حَـرَسِها ان يترصَّدَه فى اللّيلةِ الّتى تواعدا الالتقاءَ فيهـا، حتى يَقتُلَهُ. فنفـذ صـاحبُ حَـرسِها لأمرِها، وأمَرَ به فَجُرَّ برجلِه، وطُـرح فـى رَحبَةِ دارِ المَملكـةِ. فلمّا اصـبحَ النّاسُ ورأوهُ، علموا انّه لم يُقتل إلاّ لِعظيمةٍ. فأمرت بِجُثّتِهِ فَغُيِّبَت.

وكانَ رستمُ بنُ فَرُّخ هرمزَ هذا عظيمَ الباسِ قويًا فـى نفسـه وهو [270] رُسـتمُ صـاحبُ القادسيّةِ الّذى تولّى قِتالَ العربِ مِن قِبَلَ يزدجردَ فـى ما بعدُ، وسـنحكى خَبَرَهُ هناك. فلمّا بَلغـهُ ماصُنِعَ بِأبيه، اقبل فى جندٍ عظيم، حتّى نزلوا المدائنَ، وسَمَلَ عَينَى آزرمیدُخت، وَقَتلهـا، وكان مُلكُها ستّةَ أشهر. واختُلف[2] فيمن مَلَكَ بعدَ آزرمیدخت، فقيل: أُتىَ برجلٍ من عَقِبِ أردشـيرَبن بابكَ، كان ينزل الاهوازَ يقال له:

كسرى بن مِهرجُشنَس

فلَبِس التّاجَ وقُتِلَ بعدَ ايّامٍ. ويقالُ: بل كان رجلاً يسكن ميسانَ[3] يقال له:

فيروز

فلمُلّكوهُ كُرهًا، وكان ضَخمَ الرّأسِ. فلمّا تُوِّجَ قال:

-«ما اضيقَ هذا التّاجَ!»

فتطيَّر العظماءُ من افتتاحِ كلامِه بالضِّيقِ، وقَتَلوهُ[4]. ثم أُتى برجلٍ من أولادِ كِسرى كانَ لَجأ إلى مَوضعٍ مِن المغربِ قريبٍ من نصيبين يُقالُ له: «حِصنُ الحجـارة»، حين قُتِلَ شـيرويةَ بن كسرى، يقال له:

---

١) فى الأصل: «خره هرمز» وما اثبتناه يؤيّده الطّبرى ومط. ٢) انظر الطّبرى ٢: ١٠٦٥. ٣) كورة واسعةٌ كثيرة القُرى والنّخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان (مع) ٤) وقتلوه بعد أن مَلَكَ ايّامًا (الطّبرى ٢: ١٠٦٧).

فرُخ‌باذ خُسرو[١]

فانقاد له النّاسُ طوعًا زمنًا يسيرًا، ثُمّ استعصَوا عليه وخالفوه [271] وكان مُلكُه ستّةَ أشهر، وكان أهلُ إصطخَر ظَفِروا بيزدجردَ بن شهريارَ بن أبرويزَ باصطخرَ، قد هرَبَ إليها حين قتَلَ شيرويةُ إخوتَه، فلمّا بلغ عظماءَ إصطخر أنّ من بالمدائن خالفوا فرّخزاد خسرو، أتَوا بيزدجردَ بيتَ نارٍ يُدعىٰ: «بيتَ نارِ أردشير»، فتَوّجُوهُ هناك وملّكوه وكان حَدَثًا. ثُمّ أقبلوا به إلى المدائن، وقتلوا «خرهذاد خسرو» بحيلٍ احتالوها له وساغ الملك ليزدجردَ.

مُلكُ يَزدجردَ بنِ شهريارَ بنِ ابرويزَ

فَمَلَكَ يزدجردُ. غيرَ أنّ مُلكَهُ كانَ عند مُلكِ آبائه كالخَيالِ وكالحُلُم، وكانت العظماءُ والوُزراءُ يُدبرّون مُلكَه لِحداثةِ سِنِّه، وكان أشدَّهم نَباهةً فى وزرائه[٢] وأذكاهم رئيس الخَوَلِ[٣]. وضعُفَ أمرُ مملكةِ فارِسَ، واجترأ عليهِ أعداؤهُ مِن كُلِّ وجوهٍ، وتطرّفوا[٤] بِلادَه، وأخربوا منها، وغزَتِ العربُ بِلادَه بعدَ أن مَضىٰ مِن مُلكِه ثلاث أو أربع سنينَ، [272] وكان عُمرُه كُلُّه إلى أن قُتِلَ بِمَرو عِشرينَ سنةً.

وله أحاديثُ وسِيَرٌ، سنذكرها بعدَ فَراغِنا مِنَ الأحوالِ الّتى تَمّت مِن جِهةِ الرّأىِ والتدبيرِ فى أيّام النّبىِّ ـ صلى‌الله عليه وسلّم ـ والخُلفاءِ من بعدِه، إلى أن يَتّصل بذكر يَزدجردَ، وماكان منه[٥].

---

١) يُذكر هذا الاسم هنا فى ثلاثة مواضع. ففى مط: فرخ باذخسرو، فرخزاد خسرو، خره داد خسرو، فى الطّبرى (٢: ١٠٦٦): فرخزاد خسروا (فى المواضع الثلاثة). وأما عند البيرونى وحسب الجداول الأربعة: فرخزاد خسرو، خرّه زاد خسرو، خره داذ خسرو، فرخزاد خسرو (ص ١١٢- ١٢٨)- وامّا فى الأصل فكما يراه القارئ، لأنّنا آثرنا إثباتَها كما هى مع العلم بأنّ الصّحيح هو احد هذه الأشكال. ٢) فى الأصل: «وزارته» وما أثبتناه من مط والطّبرى. ٣) الخَوَل: عطيّة الله من النّعم، والعبيد، والإماء، وغيرهم من الأتباع والحشم. ٤) فى الطّبرى أيضًا: تطرّفوا. مط: تطرّقوا. ٥) انظر الطّبرى ٢: ١٠٦٧.

[عصر النَّبىِّ(ص) والخُلفاءِ الرّاشدين]

[مماجرىٰ فى غزوات الرَسول(ص)]

[من تدابيره البشريّة فى غزوة الخندق]

فممّا جرىٰ فى غَزواتِ رسولِ الله ـ صلّیالله علیه ـ مِن التدابیر البشـریّة والحیل الانسـانیّة[1] ماکان منه ـ علیه السّلام ـ فی غزوةِ الخندق. وذلك انّ النبیّ ـ صلّیالله علیه ـ لمّا اجلی الیهودَ من بنی النَّضیر عن دیارهم، إجتمع رؤساؤهم، وفیهم سلامُ بن ابی الحقیق وحُیَیُّ بنُ اخطب وغیرهما، فقدِموا مكّةَ، ودَعَوعم إلی حرب رسول‌الله ـ صلّیالله علیه ـ وحزّبوا الأحزابَ الّتی ذكرها الله تعالی، وطمِعوا فی استیصالِ النّبیّ ـ صلّیالله علیه ـ فنشطت قریشٌ لذلك، وتذكّروا احقادَهم ببدرٍ، فخرجوا وقائدُهم ابوسفیان بن حربٍ. وخرجت غطفانُ وقائدُهم عُیینةُ بن حصن [273] بن حذیفة بن بدرٍ، وبنوفزارة[2] وغیرُهم مِن الأحزاب.

فاشار سلمانُ علی رسول‌الله ـ صلّیالله علیه ـ لمّا رآهُ یَهُمُّ بالمُقام بالمدینةِ، ویُدبرَ[3] ان یترکَهم[4] حتّی یَرِدُوا، ثمّ یحاربَهم علی المدینة وفی طُرقِها؛ أن یُخَندِقَ. ففَعلَ ذلك، ووردت قُریش بعَددها وعُدّتها، ووردت الأحزابُ، وکثر النّاسُ والأعداءُ علی رسول‌الله ـ صلّیالله علیه ـ وکان قد وادع بنی قُریظةَ وهم اصحابُ حُصونٍ بالمدینة، وصاحبُ عَقدِهم وعَهدِهم کعبُ بن اسدٍ القُرظیّ.

فاحتالَ حُیَیُّ بنُ اخطب لکعب بن اسدٍ، حتّی وصل إلی حِصنه، فاغلق کعبُ دونَه بابَ الحصن،

---

۱).. فاستشار رسول‌الله(ص) سعد بن مُعاذ وسعدَ بن عُبادة، فقالا: «شیءٌ تحبّ ان نصنعهُ، ام شیءٌ امرك الله به، ام شیءٌ تصنعُه لنا؟» قال: «بل [اصنعه] لکم، والله مااصنع ذلك إلاّ انّی رایت العرب قد رمتکم عن قوسٍ واحدةٍ وکالبُوکم من کُلّ جانبٍ، فاردت ان اکسر عنکم شوکتهم...» (الطبری ۳: ۱۴۷۴؛ إبن الأثیر ۲: ۱۸۱).

۲) مط: بنوقراوة.

۳) مط: بدو!

۴) مط: بترکهم!

وقال:

ـ «بينى وبين محمّدٍ عقدٌ، ولن انقضَ مابينى و بينه.»

قال: «إفتحِ البابَ اكلّمك.»

فقال: «ما أنَا بِفاعلٍ.»

فقال: «والله إن اغلقتَ دونى البابَ إلاّ على جَشيشتِك[١] ان آكُلَ معك منها.»

فاحفظ[٢] الرّجلَ حتّى فتح له. فقال:

ـ «ويحك ياكعب! جئتُكَ بقريشٍ على قادتها وسادتها حتّى انَختُهم بالمدينةِ، وجئتُكَ [274] بغطفان على قادتها وسادتها، وقدعاهَدونى الاّ يبرحُوا حتّى يستأصلوا محمّدًا ومَن معه.»

فتأبّى كعبٌ، ولم يزل به، يفتِلُه[٣] فى الذّروة والغارب، حتّى أعطاهُ عهدًا من اللهِ وميثاقًا أن يكون معه. ونَقضَ كعبٌ مابينه وبين رسول الله ـ صلّى‌الله عليه ـ وبَرِئَ ممّاكان عليه له[٤].

فلمّا صحّ عند رسول‌الله ـ صلّى‌اللهُ عليه ـ ذلك، ضاق ذرعًا وخَشِيَ ان يفُتَّ ذلك فى أعضاد المسلمين. فعظُم البلاءُ، واشتدّ الخوف، وأتاهم عدوُّهم من فوقهم ومِن اسفلَ منهم حتّى ظنّ المؤمنون كلّ ظنٍّ ونجم النّفاقُ مِن المؤمنين، وكثر الخوض[٥]، وأقام رسولُ الله ـ صلّى‌الله عليه ـ وأصحابُه فى ماوصف‌الله من الخوف والشّدّة، لِتظاهُرِ الأعداءِ عليهم، وإتيانهم من فوقهم ومن أسفلَ منهم، حتّى أتاه نعيمُ بن مسعود بن عامرِ بن أنيف[٦] بن ثعلبةَ الغطفانى مسلمًا، فقال:

ـ «يا رسولَ الله، إنّى قد أسلمتُ وإنّ قومى لم يعلموا بإسلامى، فَأمُرنى بما شئتَ، أنتهِ إليه.»

فقال رسول‌الله [275] ـ صلّى‌الله عليه ـ:

ـ «إنّما انت رجلٌ واحدٌ فينا، وإنّما غَناؤك[٧] أن تُخذّلَ[٨] عنّا ما استطعتَ، وعليك بالخِداع، فإنّ الحربَ خدعةٌ.»

فخرج نُعيمُ بن مسعودٍ حتّى أتىٰ بنى قريظةَ وكان نديمًا لهم، فقال:

١) الجشيشة: واحدة الجشيش. وهو طعامٌ مطبوخ من الحنطة المطحونة طحنًا جليلاً، بلحمٍ او تمرٍ (أيّام العرب ص ٦٠). ٢) احفظه: اغضبه. ٣) مط: يقبله! قوله: «لم يزل به يفتله فى الذّروة والغارب» اى مازال يخادعه ويتلطّفه حتّىٰ اجابه. واصله ان الرّجل إذا اراد تاليف البعير الصّعب يُمرّ يده عليه ويمسح غاربه ويفتل وبره حتى يستأنس ويوضع فيه الزّمام (أيّام العرب: ٦٠). ٤) مط: عليه وله. ٥) الخوض: التفاوض فى الحديث. ٦) مط: اسف. ٧) غناؤك: نفعُك وكفايتُك. ٨) مط: تخذل. تخذّل عنّا: اى تدخل بينهم حتى يخذل بعضهم بعضًا.

- «يابنى قريظة، قد عرفتُم وُدّى إيّاكم وخاصّةَ ماببنى وبينكم.»

قالوا: «صدقتَ، لستَ عندنا بمتّهمٍ.»

فقال لهم:

- «إنّ قريشًا وغطفانَ ومن التفّ معهم، جاءوا لحرب محمّدٍ، فإن ظاهرتموهم عليه، فليسوا [كهيئتكم][١]، وذاك أنّ البلدَ بلدُكم، به أموالكم وأولادكم ونساؤكم، لاتقدرونَ أن تتحوّلوا إلى غيره. فأمّا قريشٌ وغطفانُ فإنّ أموالَهم وأبناءَهم ونساءَهم ببلادٍ غير بلادكم. فإن رأوا نُهزةً وغنيمةً أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلّوا بينكم وبين الرَّجلِ، والرَّجل[٢] ببلادكم لاطاقة لكم به. و[٣] إن خلابكم فلا تقاتلوا القومَ حتّى تأخذوا منهم رُهُنًا من أشرافهم يكونونَ بأيديكم ثقةً لكم، على أن يُقاتِلوا معكم محمّدًا حتّى يُناجزوه[٤].»

قالوا: «لقد أشرتَ علينا [276] برأىٍ ونُصحٍ.»

ثُمّ خرج حتّى أتىٰ قريشًا. فقال لأبى سفيان بن حربٍ ومَن معه:

- يا معشرَ قريشٍ! قدعرفتم وُدّى إيّاكم وفِراقى محمّدًا، وقد بلغنى أمرٌ رأيتُ حقًّا علىّ أن أبلغَكم، نُصحًا لكم، فاكتموا علىَّ.»

قالوا: «نفعل.»

قال: «إعلموا أنّ معشرَ يهود قد ندموا على ماصنعوا بينهم وبين محمّدٍ وقد أرسلوا إليه أن قد ندِمنا على ماصنعنا[٥]، فهل يُرضيك عنّا أن نأخذ من القبيلتين: من قريشٍ وغطفانَ، رجالاً من أشرافهم وكُبرائهم ونعطيَكم[٦] فتُضربَ أعناقُهم، ثمّ نكونَ معك[٧] على مَن بَقىَ منهم. فإن بَعثت إليك[٨] يهودُ يلتمسون منكم رُهُنًا من رجالكم، فلاتدفعوا إليهم رجلاً واحدًا.»

فوقع ذلك من القوم.

وخرج حتّى أتىٰ غطفانَ. فقال:

- «يا معشرَ غطفانَ! أنتم أصلى وعشيرتى، وأحبُّ النّاس إلىَّ، ولا أراكم تتّهمونى.»

قالوا: «صدقتَ.» قال: فاكتموا علىَّ. قالوا: «نفعلُ.»

---

١) مط: كهيئاتهم، وفى بعض الأصول: فليسوا مثلكم. إبن الأثير (٢: ١٨٣): ليسوا كأنتم. فى الأصل: «كهيئتكم» وصحّحناها كما فى الطّبرى ٣: ١٤٨. ٢) والرجلُ: غير موجود فى مط. ٣) «و»: غير موجودة فى مط. ٤) مط: تناجزوه. المناجزة: المنازلة والمقاتلة. ٥) وفى الأصل: «ماصنعوا» وما أثبتناه من مط. ٦) مط: ونعطيك إيّاهم. ٧) مط: معكم. ٨) مط: تبعث إليكم.

ثمّ قال لهم مِثلَ ماقالَ لقريشٍ، وحذّرهم مثلَ ماحذّرهم.

[إتّفاقٌ جَيّدٌ]

فكان مِنَ الاتّفاق الجيّدِ [277] ان ارسلَ بعد ذلك ابوسفيان و رؤوسُ غطفانَ إلى بنى قريظةَ عكرمةَ بن أبى جهلٍ فى نَفرٍ من قُريشٍ وغطفانَ. فقال لهم:

- «إنّا لسنا بدارِ مُقامٍ، وقد هلك الخُفُّ والحافِرُ[١]، فاغدُوا[٢] للقتالِ حتّى نُناجزَ محمّدًا ونفرغَ ممّا بينَنا وبينه.»

فأرسلوا إليه:

- «انّ اليومَ السّبتُ ـ وكان اتّفق ذلك ـ وهو يومٌ لا نعمل فيه شيئًا، ومع ذلك فلسنا نقاتل معكم حتّى تعطونا رُهُنًا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقةً لَنا حتّىٰ نُناجز محمّدًا، فإنّا نخشىٰ ـ إن ضَرَستكم الحربُ واشتدّ عليكم القِتالُ ـ ان تُشمّروا إلى بلادكم، وتتركونا والرّجلَ فى بلدنا، ولاطاقةَ لنا بذلك من محمّدٍ.»

فلمّا رجعتِ الرُسلُ بالّذى قالت بنو[٣] قريظة، قالت قريشٌ وغطفانُ:

- «والله إنَ الّذى حدّثكم نعيم بن مسعودٍ لحقٌ.»

فأرسلوا إلى بنى قريظةَ:

- «إنّا والله ماندفع إليكم رجلاً واحدًا من رجالنا. فإن كنتم تُريدون القتالَ فاخرُجوا فقاتلوا.»

فقالت بنو قريظةَ[٤] حين اتت إليهم الرُسلُ:

- «إنَ الذى ذكر لكم نُعيمُ بن مسعودٍ [278] لحقٌ. مايُريد القوم إلاّ أن يُقاتلوا. فإن وجدوا فرصةً انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا[٥] إلى بلادهم، وخلّوا بينكم وبين الرّجلِ.»

فأرسلوا إلى القوم:

- «إنّا واللهِ لانقاتل معكم حتّى تعطونا رُهنًا.»

وتخاذل القوم. واتّهم بعضهم بعضًا، وذلك فى زَمَنٍ شاتٍ[٦] وليالٍ باردةٍ كثيرةِ الرّياح تَطرح[٧] أبنيتَهم، وتَكفأ[٨] قدورَهم. وضاق ذرعُ القوم وبلغ رسولَ‌الله ـ صلّى‌الله عليه وسلّم ـ اختلاف

١) الخُفّ والحافر: الابل والخيل (لع). ٢) فى الأصل: «فاغدوا» وما أثبتناه من مط، ويؤيّده مافى الأصول الأخرى. ٣) «بنو»: سقطت من الأصل ومط. ٤) وفى الأصل: «بنو قريظ» وما أثبتناه يوافق مط.
٥) مط: تشمرّوا. ٦) شتا اليومُ: أوالشتاءُ: إشتدّ بردُه. ٧) مط: طرح. ٨) تكفأ: تقلب.

القوم وما هم فيه من الجَهدِ. فدعا حُذيفةَ بن اليمان. فبعثهُ إليهم لِينظُرَ مافعلَ القومُ ليلاً. فذهب حذيفة بن اليمان. حتّى دخل فى القوم. قال حذيفة: فذهبتُ فرأيتُ من الرِّياح امرًا هائلاً لايُقِرُّ لهم نارًا ولابِناءًا.

فقام أبوسفيان ابن حرب، فقال:

ـ «يا معشرَ قريشٍ، لِيَنظُرِ امرُؤٌ جليسَه.»

قال: فبادرتُ وأخذتُ بيد الرَّجل الّذى إلى جانبى، فقلتُ: «مَن أنت؟» قال: «أنا فلانُ بنُ فلان.»

ثمّ قال أبوسفيان:

ـ «إنّكم ياقومِ ما أصبحتم بدارِ مُقامٍ. لقد هلك الكُراعُ[1] والخُفُّ، وأخلفتنا [279] بنوقُريظةَ، وبلغَنا عنهم مانَكرَه، ولقينا مِن الجَهدِ والشدّةِ وهذه الريح ماتَرَونَ. فارتحِلوا، فإنّى مرتحِلٌ.»

ثمّ قام إلى جَمَلِه، وقام النّاسُ معه. وسمعت غطفانُ بما فعلت قريشٌ، فانصرفوا إلى بلادهم، وتفرّق ذلك الجمعُ من غير قِتالٍ، إلاّ ماكان مِن عدّةٍ يسيرةٍ اتّفقوا على الهجومِ على الخندقِ، يُحكى أنّ فيهم عَمرَوبن عبدِ وَدٍّ، فقُتلوا. امّا عَمرو فقتلَهُ علىُّ بنُ أبى طالبٍ مبارزةً لمّا اقتحم[2] عليه الخندقَ. وانتقض ذلك الجمعُ والتّدبير كلُّه.

[ومن ذلك ماكان يومَ حُنين]

[وفيه ذكرٌ لدُرَيد بن الصِّمّة وبعض آرائه]

ومِن ذلك أنّه لمّا افتتح رسولُالله ـ صلّى الله عليه ـ مكّةَ، وأقام خمسةَ عَشَرَ يومًا، جاءت هوازنُ وثقيفُ لمحاربته، فنزلوا بحُنينٍ. وذاك أنّهم كانوا قبل ذلك قدجمعوا له حين سَمِعُوا بمخرجه من المدينة، وظنُّوا أنّه يُريدهم. فلمّا قصد مكّةَ اقبلوا عامدين إليه، ومعهم الأموال والنِّساءُ والصِّبيان، ورئيس هوازن يومئذٍ مالكبن عوفٍ. وأقبلت معهم ثقيفُ، ونَصر[3]، وجُشَم. [280] ولم يشهد معهم من هوازن كعبُ ولا كلابُ. وفى جُشَم دُريدُ بنُ الصِّمَّة [وهو][4] شيخ كبيرٌ، لاشىءَ فيه إلاّ أنّهم يتيمّنونَ برأيِه ومعرفتِه بالحربِ ودُربَتِه بها.

فلمّا نزل بأوطاسٍ، اجتمعَ النّاسُ إلى رئيسهم مالك بن عوفٍ وفيهم دريدُ بنُ الصِّمّة يُقادُ به

---

۱) الكراع: الخيل. ۲) كذا فى مط: «اقتحم عليه الخندق». (انظر: الطبرى ۳: ۱۴۷۵).

۳) مط: مضر! ۴) مابين [ ] تطلّبه السياق فزدناه.

وهو فى شجار له. فقال:

- «بأىِّ وادٍ أنتم؟»

قالوا: «بأوطاسٍ.»

قال: «نعم، مجالُ الخيل، لاحَزنٌ[١] ضَرِسٌ، ولا سَهلٌ دَهِسٌ[٢]. مالى أسمعُ رُغاءَ[٣] البعيرِ، ونُهاقَ الحميرِ، ويُعارَ[٤] الشاءِ، وبُكاءَ الصَّغيرِ؟»

فقالوا له: «ساق مالكُ بنُ عوفٍ مع النّاس أبناءَهم، ونساءَهم، وأموالَهم.»

فقال: «أين مالكٌ؟»

فدُعِىَ له، فقال:

- «يا مالكُ، إنّك قد أصبحتَ رئيسَ قومِك، وإنّ هذا يومٌ له مابعدَه من الأيّام، مالى أسمعُ رغاءَ البعيرِ، ونُهاقَ الحميرِ، وبُكاءَ الصَّغيرِ، ويُعارَ الشاءِ؟»

قال: «سُقتُ مع النّاس أبناءَهم، ونساءَهم، وأموالَهم.»

قال: «ولِمَ؟»

قال: «أردتُ أن أجعلَ خلفَ كلِّ رجلٍ أهلَه ووَلَده ومالَه، ليُقاتِل عنهم.»

قال: فأنقضَ[٥] به. ثم قال:

- «راعى ضأنٍ [281] واللهِ. ويحك! هل يَرُدُّ المنهزمَ شىءٌ؟ إنّها إن كانت لك، لم ينفعكَ إلاّ رجلٌ بسيفِه ورُمحِه، وإن كانت عليكَ، فُضِحتَ فى أهلك ومالِكَ. مافَعَلت كَعبٌ وكلابٌ؟»

قالوا: «لم يَشهدها منهم أحدٌ.»

قال: «غابَ الجِدّ والحَدُّ؛ لوكان يومَ علاءٍ ورِفعةٍ لم تَغِب عنه كعبٌ ولا كِلابٌ؛ فمن شهدها منكم؟»

قالوا: «عمروبن عامرٍ، وعوفُ بنُ عامرٍ.»

قال: «[ذانك][٦] الجَذَعان من بنى عامرٍ لا ينفعانِ ولا يَضرّانِ. يا مالكُ إنّك لن تصنعَ بتقديم البيضةِ، بيضةِ هوازن، إلى نحور الخيلِ شيئًا، إرفعهم إلى متمنع بلادِهم

---

١) الحَزنُ من الأرض ماغلظ وخشن. والضّرِسُ منها مافيه الحجارة كأنها أضراس. ٢) الدَّهِسُ والدَّهْسُ: المكان اللّيّن ليس برملٍ ولاترابٍ ولاطينٍ (لع). ٣) الرُّغاءُ: صوت الإبل. ٤) وفى مط والأصل: النعار، وهو تصحيفٌ وما أثبتناه هو من سائر الأصول. اليُعار: صوتُ الغَنم أو المعزىٰ وقيل: الشّديد من أصوات الشاء (لع)، والنُّعار: التّصويت بالخَيشوم. ٥) فانقض به: زجَرهُ، من الإنقاض، وهو أن تلصق لسانك بالحنك الأعلىٰ، ثمّ تصوِّت فى حافتيه من غير أن ترفع طرفه عن موضعه. ٦) فى النصّ وفى مط: «ذلك» وهو خطأ. وما أثبتناه من الطّبرى.

وعُليا قومِهم[١]، ثمَّ القَ هؤلاءِ الصُّباءَ[٢] على مُتونِ الخيلِ، فإن كانت لك، لَحِقَ بك مَن وَراءَك، وإن كانت عليك قد أحرزتَ أهلَك ومالَكَ.»

قال: [والله لا افعلُ ذلك، إنك قدكبرتَ وكبر علمُك][٣]، والله لَتطيعُنّى يامعشرَ هَوازن، أو لأتّكِئَنَّ على سَيفى هذا حتّى يَخرجَ مِن ظَهرى».

وكَرِهَ أن يكون فيها لدُريدٍ ذِكرٌ ورأى.

فقال دُريد: «هذا يومٌ لم أشهدهُ ولم يَفُتنى.»

يا لَيتَنى فيها جَذَع [282] أخُبُّ فيها وأضع[٤]
أقُودُ وَطفاءَ الزَّمع كأنّها شاةُ صَدَع[٥]

وكان دُريدُ رئيسَ قومِه بنى جُشَم وسيِّدَهم وأوسطَهم مع شجاعتِه ودُربتِه وتجاربِه، ولكنَ السّنَّ أدركته حتّى فَنِىَ.

ثم قال مالكُ للنّاس:

- «إذا رأيتم القَومَ فاكسروا جفونَ[٦] سُيوفِكم، وشُدُّوا شِدَّةَ رَجلٍ واحدٍ عليهم.»

فلمّا استقبل خيلُ رسولِالله، صلّى الله عليه - وكان يومئذٍ اثنى عشر ألفًا، منهم عشرة آلافٍ فتحوا مكّةَ، وألفانِ ممّن أسلمَ وانضافَ إليهم بوادى حُنين - انحدروا فى وادٍ من أودية تهامةَ أجوفَ، إنّما ينحدرون[٧] فيه انحدارًا، وذلك فى عَمايَةٍ[٨] مِنَ الصّبح، وكان القومُ قد سبقوا إلى الوادى[٩]، فكمنوا فى شِعابِه وأحنائه ومَضايقِه، وتهيّأوا وأعدوا. فماراعَ خيلَ رسولِ الله - عليه السّلام - وهم منحطّون، إلاّ الكتائبُ، قد شدّت عليهم، فانشمروا[١٠] لايلوى أحدٌ على أحدٍ.

وانحازَ رسولُالله - صلّى الله عليه - ذاتَ اليمين وصاح:

- «أيّها النّاسُ، أين؟ هَلُمّوا إلىَّ، أنا رسولُالله، [283] أنا محمّدُبنُ عبدِالله.»

وبَقِى مع النّبىِّ - صلّى الله عليه - نفَرٌ من أهلِ بيته، فيهم علىُّ بنُ أبىطالبٍ، والعبّاسُ، وابنُه الفَضلُ، وجماعةٌ من المهاجرين[١١].

---

١) مط: وعلياء قريبهم. ٢) الصُّباء: جمع الصّابئ. يريد المسلمين، كانوا يسمّونهم بهذا الاسم لأنّهم عندهم صَبَئوا عن دينهم، أى خرجوا من دين الجاهلية إلى الاسلام (العقد الفريد ١: ١٣٣ - الهامش). ٣) تكملة من الطّبرى والعقد. ٤) الجَذَع: الشّاب، أخُبُّ: أعدو، أضعُ: أسرعُ فى سيرى. ٥) الوطفاء: الطّويلة الشّعر، والزَّمع: الشّعر الّذى فوق مربط قيد الدّابّة، يريد فرسًا صفتها هكذا، والشّاة (هنا): الوعل، والصّدَعُ من الأوعالِ والظّباءِ والحُمُر: الفتىّ الشّابُ القوىّ (العقد ١: ١٣٣ - الهامش). ٦) الجفون: جمع الجَفن والجِفن، أى: الغمد. ٧) مط: انحدروا.
٨) فى عماية من الصّبح: فى ظلامٍ منه. ٩) مط: وادٍ. ١٠) إنشمر: مرّ جادًا ومضى: هرب.
١١) وفى بعض الأصول: والأنصار.

فقال رسولُ الله ـ صلّى الله عليه ـ للعباس:

ـ «اصرخ: يامعاشرَ الأنصار، يا أصحابَ السَمُرة[١].»

فأجابوهُ مِن كلّ ناحيةٍ وحَمَلوا على النّاس فكانت إيّاها[٢]. وقَتلَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ ـ عليه السّلام ـ صاحبَ الرّايَةِ، وقُتل خيلُ مالكِ بنِ عَوفٍ كلَّ مَقتَلةٍ، وغَنِم المسلمون تلكَ الأموالَ، وسَبَوا النِّساءَ والأولادَ، وقُتِلَ دُريدٌ. وكان عدّةُ السَّبيِ يومئذٍ من هوازن ستّةَ آلافٍ من النّساءِ والأولاد. فلمّا قدِمت وفودُ هوازن على النّبيِّ ـ عليه السّلام ـ مسلمين، أعتَقَ لهم أبناءَهم ونساءَهم كلَّهم، في حديثٍ طويلٍ.

[ومن ذلك]

[ماكان بعد ظهور الأسودِ العَنسيِّ الكذّاب]

ومن ذلك: انّه لمّا ظهر الأسودُ العَنسي الكذّاب مُتنبِّئًا باليمن وحَضرموت وصَنعاء، حاربهُ شهرُبنُ باذام[٣]، وكان رسولُ الله ـ صلّى الله عليه ـ استخلفه بعد أبيه باذام على الأبناءِ[٤] وعلى بعض أعمالِ [284] أبيه. فهزمه الأسودُ، وفرّق الأبناءَ عنه، وظفِر به بعدُ، فقتلهُ وغلبَ على صنعاء، وهربَ عُمّالُ رسولِ الله ـ صلّى الله عليه ـ وجعل أمرُ الأسودِ الكذّابِ يعلُو ويستطير استطارةَ الحريقِ. وكانَ جَعَلَ عمرَو بنَ مَعديكرب خليفتَه في مذحجٍ بعدَ أن ارتدَّ عمرُو، وجَعَلَ أمرَ جُندِه إلى قيسِ بنِ عبدِ يغوثَ، وأسندَ أمرَ الأبناء إلى فيروز الدَّيلمي وداذَوَيه، وكان شهرُ قد تزوّج بنتَ عمِّ فيروز، وكانت جميلةً، فلمّا قُتِل شهرُ تزوّج بها الأسود.

فأنفذ رسولُ الله ـ صلّى الله عليه ـ إلى فيروز، وإلى جُشنس، وغيره من الأبناءِ يأمرهم بالقيامِ على دينهم، وأن ينهضوا في الحربِ والعملِ في الأسودِ، إمّا غيلةً وإمّا مُصادَمةً. فالقى كتابَ[٥] رسولِ الله ـ صلّى الله عليه ـ إلى أصحابه، تَغَيَّرَ[٦] الأسودِ لقيسِ بن عبد يغوث.

---

١) مط: الشجرة. والسَمرة: الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان عام الحديبية. ٢) الضّمير في «كانت» يرجع إلى «الحملة» المفهومة من «حملوا» اي كانت هي هي، وانتهى كلّ شيء (أنظر اللسان، «إيّا»). ٣) مط: بالخام! وباذام (= باذان) كان عامل كسرى على اليمن واسلم في السنة العاشرة من الهجرة. ٤) الأبناء: ابناء فارس، او أبناء اليمن، إسمٌ اطلق على أخلاف جنود الفرس الّذين بعثهم أنوشروان إلى اليمن، ليدفعوا الأحباش من السّاحل الجنوبي للجزيرة العربية، ثمّ اقاموا في اليمن بامر من أنوشروان. ٥) غير واضح في الأصل وفي مط ايضا. ٦) مط: «يغير»! وفي الطّبري: قال عبيدالله عن جشيش بن الديلمي (كذا) قال: قدم علينا وَبْرُ بن يُحنّس بكتاب النّبيّ (ص) يامرنا فيه بالقيام على ديننا والنّهوض في الحرب والعمل في الأسود إمّا غيلةً وإمّا مصادمةً، وان نُبلغ عنه من راينا انّ عنده نجدةً ←

فقال أصحاب[١] رسول‌الله ـ عليه‌السّلام ـ:

ـ «إنّ قيسًا يَخافُ على دَمِه، وهوَ لأوّل دعوةٍ، فَهَلُمّ ندعوه[٢].»

فـاجتمعوا لذلك [285] ثمّ دَعَوهُ، وأبثّوهُ أمرَهم، وأبلغـوهُ عن النبىّ ـ صـلّى‌الله عليه ـ وكأنّما وَقَعوا عليهِ من السّماءِ، لأنّه كانَ فى غَمٍّ وضيقٍ بأمره، فأجابهم إلىٰ ما أحبُوا.

ثمّ إنّ عامرَ بنِ شهرِ بنِ باذام[٣] اعترض[٤] فى قومٍ منهم: ذومرّانٍ، وذوالكـلاعِ، وذوظَليمٍ. فكاتبوا أصحابَ النّبىّ ـ صلّى‌الله عليه ـ وبذلوا لهـم النّصـرَ، وكانَ النّبىُّ ـ صـلّى الله عليه ـ قـد كاتبهم، فكان أصحابُ النّبىّ فى سِرٍّ قد اتّفقوا عليه، فأجابوا القـومَ بالتوقُّفِ. وذاكَ أنّ الأمرَ كان استتبَّ للأسودِ واستفحلَ، فهابوهُ هيبةً شديدةً.

ثمّ إنّه دخلَ جُشنَسُ الدّيلمىَ على آزاذ ـ وهى امرأةُ الأسودِ الّتى خَلفَ عليهـا شـهرَ بنَ باذام ـ فقال:

ـ «يا ابنةَ عمٍّ، قد عرفتِ بلاءَ هذا الرّجلِ عند قومِكِ. قَتَلَ زوجَـكِ وطأطأ[٥] فـى قـومِكِ القتلَ، وسفَكَ بالإباحة[٦] دماءَ مَن بَقِىَ منهم، وفَضحَ النّساءَ. فهل عندكِ ممالأةٌ[٧] عليه؟»

فقالت: «وعلى أىّ أمره؟»

قال جُشنَسُ:

فقلت: «إخراجُه.»

فقالت: «أو قتلُه؟»

قلت: [286] «أو قتلُهُ.»

قالت: «نعم. والله، ما خلقَ‌الله شخصًا أبغضَ إلىَّ مِنهُ، ما ينتهى عن حرمةٍ لله[٨]. فإذا عزمتُم فأعلِمونى أُخبركم بِمَأتىٰ هذا الأمرِ.»

قال جشنس:

← ودينًا. فعملنا فى ذلك، فرأينا أمرًا كثيفًا ورأيناه قد تغيّر لقيس بن عبد يغوث وكان على جنده، فقلنا: يخـاف على دمه، فهـو لأوّل دعوة، وأنبأناه الشّأنَ وأبلغناه عن النّبىّ (ص) فكأنّما وقعنا عليه من السّماء وكان فـى غمٍّ وضـيقٍ، فأجـابنا إلى ما أحببنا..» (الطبرى ٤: ١٨٥٦)

١) مط: «فقال رسول‌الله» بدون «أصحاب». ٢) والكلمة مهملة فى كلتا النّسختين وقرأناها حسب السّياق.
٣) مط: «بالخام» وهو خـطأ. ٤) وفـى الطّبرى:... إذجـاءنا اعتراضٌ ذى زود، وذوى الكَـلاع، وذى ظُلَيم عليه، وكاتبونا وبذلوا لنا النّصـرَ.. (٤: ١٨٥٧). ٥) طأطأ فـى قتلهـم: بالغ فيه. ٦) مط: بالاجـابة! ٧) الممالأة: المعاونة والمساعدة. ٨) فى الطّبرى: ما يقوم لله على حقٍّ، ولا ينتهى له عن حرمة (٤: ١٨٥٨).

فأخْرُجُ فاذا فَيروز وداذويه ينتظرانى، وإذا قيسُ قد دعاهُ الأسودُ. فدخل إليه فى عشرةِ من مَذحج وهَمدان.

فقال له الأسودُ: «يا قيس! ألم أفعل بِكَ، ألم أصنع؟»

يعتدُّ عليه بنعميته.

فقال: «بلى.»

قال: «فإنّه يقولُ ـ يعنى الشيطان الّذى معه ـ:

ـ «إنّ قيسًا عَلىَ الغَدرِ بِكَ، إيه، ياسَوءَة، ياسَو ءَة، إلاّ تَقطع من قَيسٍ يَدَه، يَقطع قُنّتَكَ العُليا.»

حتّى ظنّ أنه قاتِله. فقال:

ـ «كذِبكَ وذِى الخمار، فإمّا قتلتَنى، فإنّها مَوتةُ مُريحةُ أهونُ علىّ مِن مَوتاتٍ أموتُ بها كلّ يومٍ، خوفًا وفَرَقًا، وإمّا صدّقتَنى.فوالله لأنت أهيبُ وأجلُّ فى نفسى، مِن أن أحدّثها بغَدرٍ لكَ.»

فَرَقّ له، وأخرجَه.

قال:

فخرج قيسُ علينا وطوانا، غيرَ أنه قال: [287]

ـ «اعمَلوا عَمَلَكُم.»

ثمّ خرج الأسودُ علينا، فَقُمنا مُثولاً بينَ يديهِ بالبابِ، فقال:

ـ «يا فيروزُ، أحقُّ مابَلَغنى عنكَ؟ ـ وهيّأ له الحربةَ ـ لقد هَممتُ أن أنحرَكَ.»

فقال فيروزُ:

ـ «إختَرتَنا أيُّها الملِكُ لِصِهركَ، وفضّلتَنا على الأبناءِ، ولو لم تكن نبيًّا ما بِعنا نصيبَك ونصيبَنا منك بشىءٍ، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمرُ آخِرةٍ وأولىٰ، لاتقبَلَنّ عَلينا أمثالَ مايبلُغُك، فإنّا بحيث تُحبُّ.»

ثمّ ذَبحَ الأسودُ مئةً من بين بقرةٍ وبعيرٍ غير محبَّسةٍ ولا معقَّلة، بحربتِه، وقال لِفيروز:

ـ «إقسم هذه، فانتَ أعلمُ بِمَن هاهنا.»

قال فيروز[١]:

---

١) وفى الطَبرى مكان «قال فيروز» إلى «بعزيمتنا»: «فاجتمع إلىّ أهل صنعاء، وجعلت أمرٌ للرّهط بالجزور، ولأهل البيت بالبقرة، ولأهل النّخلة بعدّة، حتّى أخذ كلُّ ناحيةٍ بقسطهم. فلحق به قبل أن يصل إلى داره وهو واقفٌ على رجلٍ يسعى ←

ففعلتُ هذا ولحقتُه قبلَ أن يصلَ إلى داره، فاذا رجلٌ يسعىٰ إليه بى، فاستمع له وهو يقول:

ـ «أنا قاتلُه غدًا وأصحابَه، فاغدُ علىَّ.»

ثمَّ التَفتَ فاذا هو بفيروز، فقال:

ـ «مَه؟»

قال: «قد قسمتُها كما أمرتَنى.»

قال: «أحسنتَ.»

وضرب دابّتَه ودخل. فرجع فيروزُ إلى أصحابه، فأخبرَهم بالخَبَر.

قال جُشنَس:

فأرسلنا إلى قيسٍ فجاءَنا. فاجتمع [288] مَلَؤُهم أن أعودَ إلى المرأة فأخبرَها بعزيمتنا لِتُشير علينا برأيها. فأتيتُ المرأةَ وقلتُ:

ـ «ماعندكِ؟»

قالت: «هو متحــرِّزٌ محترسٌ، وليس مِنَ القصرِ شــىءٌ إلاّ والحــرسُ مُحيطونَ به غيرَ هذا البيتِ، فإنَّ ظَهرَهُ إلى مكانِ كذا وكذا مِنَ الطَّريقِ، فاذا أمسيتُم فـانقُبوا عليه، فـإنكُم من دون الحرسِ، وليسَ دونَ قتله شىءٌ.»

وقالت: «إنكُم ستجدون فيه سِلاحًا وسِراجًا وهو علامةٌ لكم.»

فخرجت من عندها وتلقّانى الأسودُ خارجًا مِن بعض منازِله، فقال:

ـ «ما أدخلكَ علىَّ؟»

ووجَأ رأسى حتّى ســقطتُ، وكان شــديدًا، وصــاحتِ المرأةُ ـ فادهشــته عنّى، ولولا ذلك لقتلَنى ـ وقالت:

ـ «إبنُ عمّى جاءَنى زائرًا، فقصَّرتَ بى.»

فقال: «اسكتى لا أبًا لكِ! فقد وهبتُه لكِ.»

فتحاملتُ وأتيتُ أصحابى فقلتُ:

ـ «النَّجاءَ، الهربَ.»

إليه بفيروز. فاستمع له، واستمع له فيروز وهو يقول: أنا قاتله غدًا وأصحابَه فاغدُ علىَّ. ثمّ التفت فاذا به. فقال: مَه! فأخبره بالّذى صنع. ثمّ ضرب دابّتَه داخلاً. فــرجع إلينا. فأخبرنا الخبرَ. فارســلنا إلى قيسٍ فجــاءنا. فاجمعَ ملؤهم أن أعود إلى المرأة، فأخبرها بعزيمتنا...» (الطّبرى ٤: ٦٠-١٨٥٩).

وأخبرتُهم الخبرَ. فإنا على ذلك خَيارىٰ إذ جاءنى رسولُها يقولُ:

ـ «لاتَدعَنَّ مافارقتُك عليه، فإنّى لم أزَل به حتى اطمانَّ [289] واعتذر.»

فقُلنا لفيروز: «إيتِها وتَثبَّت، فامّا أنا فلاسبيلَ لى إلى الدُخول بعدَ النَهى.»

ففعل. وكان فيروزُ افطنَ مِنّا. فلما أخبرتُه الخبرَ قال:

ـ «وكيف ننقُبُ[1] على بيوتٍ مبطَّنةِ الأبواب؟ ينبغى لنا أن نقلع بِطانةَ الباب.»

فدخلا، فاقتلعا البِطانةَ، ثمّ أغلقاه وجلسا عندَها كالزائر. فدخل عليها فـاستخفّته غيرةٌ وأخبرته برضاع وقرابةٍ، مِثلُها[2] محرَمٌ. فصاح به وأخرجه وجاءَ بالخبر. فلمّا أمسَينا عمِلنا فـى أمرِنا وقـدكنّا واطأنا أشياعَنا، ولكن عجّلنا عَن مراسَلتهم. فَنَقَبنا البيتَ مِن خارج، ثمّ دَخلناه، وفيه سِراجٌ تحـتَ جَفنةٍ[3]، واتّقينا بِفيروز لأنّه كانَ أنجدَنا وأشدَّنا. فقُلنا:

ـ «أنظُر ماذاترىٰ وأينَ موضعُه؟»

فدخل ونحن بينَهُ وبينَ الحرسِ الذين معهُ فى مقصورته. فلمّا دَنا من بابِ البيتِ سَمع غطيطًا شديدًا، فاذا المرأةُ جالسةٌ. فلمّا قام على الباب فتح عينيهِ فقال أيضًا:

ـ «مالى ومالك يافيروز!»

فخشى أن يرجعَ لأخـذِ السِّـلاح وإعلامِنا فنهلَك وتَهلكَ المرأةُ فعـاجلهُ ـ وكان مِثلَ الجَملِ ـ فاخذ برأسه فدقّ [عُنقَهُ][4] [290] ووضعَ رُكبتَهُ فى ظَهره فـدقّه، ثم قـام ليخـرجَ. فأخـذَتْ بثوبه وهى تَرى أنّه لم يقتله، وقالت:

ـ «أينَ تَدَعُنى؟»

قال: لاباس، أُخبرُ أصحابى وأعودُ معهم.»

فأتانا وقُمنا معه فأردنا حزَّ رأسه. فتحرّكَ واضطربَ فلم نضبطه، فقلتُ:

ـ «اجلسوا على صدره.»

فجلس الإثنان على صـدره وأخـذت المرأةُ بشـعره، وسـمعنا بَربَرَةً، فالجمَتهُ بميلاةٍ[5]، وأمرُّ الشَفرةَ على حَلقِه، فخار كأشدُ خُوارٍ مِن ثورٍ سَمِعتُه قطُّ.

فابتدَرَ الحرسُ البابَ وهم حَولَ المقصورة:

---

١) مط: «ينقب» ٢) فى الطبرى: منها. ٣) نقـطة الجيم غير واضـحة. فتقـرا «جفنة» و «حفنة» مط: «حفته»! وما أثبتاه يؤيّده الطّبرى. ٤) فى الأصل: فدقّ فى مط: فـدقّه. و«عنقـه» من ابن الأثير. ٥) مط: ميلاه. الميلاة: خرقة الحائض: الخرقة تمسكها النائحة وتشيربها.

ـ «ماهذا، ماهذا؟»

فقالتِ المرأة: «النّبىّ يوحىٰ إليه، إهدأوا!»

[فخمد[١]].ثم سهرنا[٢] لَيلَتنا ونحن نأتمر: كيف نُخبر أشياعنا ليس[٣] غيرنا ثلاثتنا: أنا وفيروز وقيس. فأجمعنا على النّداء بشعارنا الّذى بينَنا وبين أشياعنا، ثم ننادى الأذان. فلمّا طلع الفجرُ فعلنا ذلك فتجمّع الحرس فناديتُهم:

ـ «أشهَدُ أنّ محمدًا رسولُ اللهِ وأنّ عَبهَلةَ كذّابٌ.»

وألقينا إليهم برأسه، وخلصت صَنعاءُ والجَنَدُ[٤]، وأعزّ الله الإسلام، وتنافسنا الإمارةَ، وتراجع أصحابُ رسولِ اللهِ ـ صلّىالله عليه ـ إلى أعمالهم [291] فاصطلحوا على معاذٍ، فكان يصلّى بِنا. وكتبنا إلى رسولالله ـ صلّىالله عليه ـ بالخبر، وذلك فى حياته فقدمَت رُسُلنا وقد ماتَ النبىُّ ـ صلّىالله عليه ـ صبيحةَ الّليلةِ التى قَتَكنا فيها بالأسود فأجابَنا أبوبكرٍ رضىالله عنه.

أسماءُ كُتّابِ النّبىِّ صَلّىالله عليه وَسلّم

كانَ علىّ بنُ أبىطالبٍ وعثمانُ بنُ عفّان يكتبانِ الوحىَ، فإن غابا كتبهُ أبىُّ بنُ كعبٍ وزيدُ بن ثابتٍ، فإن لم يشهد هؤلاءِ كتبهُ سائرُ الكُتّاب، وهم: عُمر بن الخطّابِ، وطلحةُ، وخالدُ بنُ سعيدٍ، ويزيدُ بنُ أبى سُفيان، والعلاءُ الحضرمى، وأبوسلمةَ بنِ عبدِ الأشهلِ، وعبدُالله بنِ أبى سرحٍ، وحُوَيطِبُ بنُ عبدِ العُزّىٰ، وأبوسفيان بنُ حربٍ، ومعاويةُ، وعُثمان، وأبانُ: إبنا سعيدٍ، وحاطبُ بنُ عمرو، وجُهَيمُ بنُ الصَّلتِ.

وكان خالدُ بن سعيدِ بنِ العاصِ ومعاويةُ بنُ أبى سفيان يكتبانِ بينَ يديهِ فى حوائجه. وكانَ المغيرةُ بنُ شعبةَ والحُصينُ بنُ نُمير يكتبانِ بينَ النّاسِ وينوبانِ عن خالدٍ ومعاويةَ، إذا غابا. وكان عبدُالله بنُ الأرقم ربما كتب [292] إلى الملوك عن النّبى ـ عليه السّلام. وكان زيد بن ثابتٍ مع مايكتبه من الوحى، يكتب إلى الملوك، وكان يُحسن بالفارسيّة وبالرّومية وبالحبشيّة. وكان حنظلةُ بنُ الرّبيع خليفةَ كلّ كاتبٍ من كُتّابِ النّبىّ ـ عليهالسلام ـ غاب عن عمله، فغلب

---

١) فى الأصل ومط: «فحمد» بالهاءِ المهملة. فى الطبرى: «فخمد» بالخاء المعجمة. ومالا يناسب السياق: «فخمدوا» كما فى ابن الأثير ٢: ٣٤٠.

٢) «سهرنا» من مط. وفى الأصل «شمّرنا». شَمّرَ لِلشّىء: تهيّأ. وفى الطّبرى: «سمرنا» أى: لم ننم وتحدّثنا ليلاً.

٣) مط: «ليس ثلاثتنا» وما اثبتناه يوافق الطبرى (١٨٦٢:٤).

٤) أعمال اليمن فى الإسلام مقسومةٌ على ثلاثة وُلاة: فوالٍ على الجَنَدِ ومخاليفها، ووالٍ على صنعاء ومخاليفها، ووالٍ على حضرموت ومخاليفها (يا).

عليه اسم الكاتب من بينهم. وكان النّبىُّ ـ عليه‌السلام ـ يَضعُ عندَه خاتَمه، وقال له:

ـ «الزمنى وأذكرنى بِكلِّ شىءٍ لثالثةٍ.»

فكان لايأتى على مالٍ ولا حاجةٍ ثلاثةُ أيامٍ إلاّ ذكّره به، فلايبيت ـ عليه‌السلام ـ وعنده منه شىءٌ.

فامّا عبدُاللهِ بنُ سعد بن أبى‌سَرحٍ، فإنّه ارتدّ بعد كتابته للنّبىِّ ـ عليه‌السلام. وكان يتكلّم، فَسمِعه رجلٌ من الأنصار، فحلف بالله: لئن أمكنَهُ الله مِنهُ لَيضرِ بَنّهُ بالسّيف. فلمّا كان يومُ فتحِ مكّة، جاء به عثمان ـ وكان بينَهما رِضاعٌ ـ فقال:

ـ «يا رسولَ‌الله، هذا عبدُالله، أقبلَ تائبًا.»

فاعرضَ عنه، والأنصارىُ حاضِرٌ بيدِه السّيفُ. فأعادَ عليه عثمان القولَ. فأعرض عنه. فلمّا أعاد الثالثة مدّ ـ صلّى‌الله عليه ـ يَدَهُ، فبايَعَهُ وقال للأنصارى:

ـ «لَقَد تلوّمتَ[١] أن تُوَفّىَ بِنَذرِكَ.»

فقال: «فهلاّ [293] أومضتَ[٢] إلىّ؟»

فقال: «إنّه لايَنبَغى للنّبىّ أن يُومِضَ.»

□□□

---

١) تَلوَّمَ على الأمر وفيه: تلبّث عليه وانتظر وتمكّث (مو).

٢) أومض: أومأ. أشار إشارةً خفيّةً رمزًا أو غمزًا. أومضتِ المرأةُ: سارقتِ النّظرَ.

[مِمّا حَدَثَ في خلافةِ أبي بكرٍ]

وَمِن صَرامَةِ الرّأيِ وخصافتِه ماكانَ مِن أبي بكرٍ رضي اللهُ عنه

وذلك أنّه لمّا مات النّبيُّ - صلّى الله عليه - ارتدّتِ العربُ واضطرمتِ الأرضُ واشتغل النّاس بالمرتدّين وتروخى[1] عن مسيلمةَ وطُليحةَ. فاستغلظَ أمرهما وارتدّت من كل قبيلةٍ عامّةٌ وخاصّةٌ إلا قُريشًا وثقيفًا. فتشدّد أبوبكر وكان فيه لينٌ، إلاّ أنّه حَزْمٌ وحَصفَ وخالفَ النّاسَ، وكانوا أشاروا عليه بالمقاومة. وذلك أنّ أسامةَ بنَ زيدٍ كانَ غائبًا بالجيش الّذي جهّزه رسولُ اللهِ - عليه السّلام - معه إلى حيث قُتل فيه أبوه زيدٌ، وكان أهلُ المدينة في قلّةٍ، وكان طليحةُ قدقوِيَ بأسَدٍ وغطفان وطيءٍ. فبعثوا وفودًا إلى أبي بكرٍ - رضي الله عنه - مِن كلِّ قبيلةٍ، ونزلوا على وجوهِ النّاس على أن يُقيموا الصّلاةَ ولا يؤتُوا الزّكاةَ. فَجرّدَ أبوبكرٍ العزيمةَ وقال:

- «لو مَنعوني عِقالاً لَجاهدتُهم عَليه.»[2]

فرجعوا فأخبروا عشائرَهم [294] بقِلّةِ من[3] أهلِ المدينةِ وأطعَمُوهُم فيها.

فكانَ مِن حَصافةِ أبي بكرٍ أن جَعلَ على أنقابِ المدينة بعدَ خروجِ الوفدِ عَليًا والزّبيرَ وطلحةَ ونَفرًا مَعَهم. وأخذ أهلَ المدينةِ بِحضورِ المَسجدِ، وقال لهم:

- «إنّ الأرضَ كافِرَةٌ، وقد رَأىٰ وَفدُهم منكم قِلّةً، وأنّكم لا تَدرونَ أ ليلاً تُؤتَونَ، أم نهارًا؟ وأدناهُم مِنكُم على بَريدٍ[4] وَقَدكانَ القَومُ يأملونَ أن نُوادِعَهم، ونَقبلَ مِنهُم. وقد أبَينا عَلَيهِم، وَنَبَذنا إلَيهِم[5] فاستَعدُّوا وأعِدُّوا.»

---

١) في الطبري: وتَوَخى مسيلمة وطُليحة (٤: ١٨٧١). توخى: أسرع.

٢) ويضيف الطّبري هنا: وكان عُقُلُ الصّدقةِ على أهل الصّدقة مع الصّدقة (٤: ١٨٧٢)

٣) مط: بدون «من».

٤) البريد: الرّسول، ثمّ استعمل في المسافة الّتي يقطعها بين كلّ منزلين وهي اثنا عشرَ ميلاً (الأقرب) انظر تعاليقنا على ص 9.

٥) نَبَذَ إلى العَدُوِّ: رَمَى إليه بالعَهدِ.

فما لبثوا إلاّ ثلاثًا حتّى طَرَقُوا المدينَةَ غارّةً[١] مع اللّيل وخلّفوا رِدءًا[٢] لهم بِذى حُسىً، فوافوا الأنقابَ[٣] وعليها المقاتلَة ودونهم أقوامٌ[٤] يدرجون. فنهنهوهم[٥] وأرسلوا إلى أبى بكر بالخبر. فخرج ابوبكر فى أهل المسجد على النّواضح إليهم فانهزموا واتّبعهم المسلمون على إبلهم حتى بلغوا ذا حُسىً. فخرج عليهم الرِّدءُ بأنحاءٍ قد نفخوها وجعلوا فيها الحِبالَ، ثم دهدهوها[٦] بأرجلهم فى وجوه الابل فَتَدَهدَهَ كلُّ نَحىٍ فى طِوَلِه[٧] فنفرت الابلُ إبلُ المسلمين وهم عليها، ولاتنفرُ [295] من شىءٍ نفارها من الأنحاءِ. فعاجت بهم مايملكونها[٨] حتى دخلت بهم المدينة، إلا أنّه لم يُصرَع مسلمٌ ولم يُصَب، وظَنَّ القومُ بالمسلمين الوهنَ فبعثوا إلى النّاس بالخبر فقدموا عليهم أعمارًا[٩].

وبات أبوبكر ليلته يتهيّأ، فعبّى الناس، ثم خرج فى تعبئته من أعجاز[١٠] ليلته يمشى، فماطلع الفجر إلاّ وهم مع العدوّ فى صعيدٍ واحدٍ. فما سمعوا لأحدٍ من المسلمين همسًا ولاحِسًّا حتّى وضعوا فيهم السّيوف. فما ذَرَّ[١١] قرنُ الشّمس حتّى ولُّوهم الأدبارَ وغَلَبُوهم على عامّةِ ظَهرِهم[١٢]، وقُتل رئيسُهم حِبالٌ وكان صاحبَ طُلَيحةَ، واتّبعهم أبوبكر ـ فكان أوّلَ فتحٍ ـ فلمّا بَلَغَ ذا القصّة وَضَعَ بها النّعمانَ بن مُقرّنٍ فى عدَدٍ، ورَجعَ إلى المَدينةِ، فذلَّ المُشركونَ وعزَّ المسلمونَ بوقعة أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ فوثب بنوذُبيانَ وعبسٌ على مَن فيهم من المسلمين فقتلوهم كلَّ قِتلةٍ، وفَعل مَن وراءَهم فِعلَهم. فحلف أبوبكرٍ ليقتُلَنَّ فى كل قبيلةٍ قَتَلَةَ مَن قُتِلُوا وليَزيدنَّ وَلَيفعلَنَّ وَلَيصنعَنَّ[١٣].

فوفىٰ بذلك، فازدادَ المسلمونَ ثَباتًا على دينهم وتفرّق [296] أمرُ المشركينَ، وطرقَت المدينةَ صدقاتُ صفوان والزّبرقان وعدىٌّ. فاستَبشرَ لذلك أبوبكرٍ والمسلمونَ، وذلك لستّين يومًا من خروجِ أسامةَ.

ثم قدم أسامة واستخلفَهُ أبوبكرٍ على المدينةِ وقال له ولجنده: «أريحُوا واستَريحُوا.»

ثمّ خرج بنفسه مع الّذين كانوا على الأنقاب، فقال له المُسلمونَ:

---

١) فى مط والطّبرى (١٨٧٤:٤) غارة. ويمكن ان تقرأ فى الأصل «غارّة» او «عارّة». ٢) مط: ازدأ.والرِّدءُ: العون والنّاصر. ٣) الأنقاب: جمعٌ مفرده النُّقب: الطّريق فى الجبل. ٤) مط: بدون «اقوام». ٥) نَهنَهَهُ: كفّهُ وزَجَرَهُ. نَهنَهَ الدّابّةَ: صاح به لتكُفّ. ٦) دَهدَهَهُ: دَحرَجَهُ. تَدَهدَهَ: تَدَحرَجَ. ٧) الطِّوَلُ: الحَبلُ يُربطُ فى وَتَدٍ ونحوه للدّابّة، فترعى مقيّدةً (مو). ٨) فى الأصل ومط: «ما يملكوها» ٩) جاء غمْرًا: بطيئًا. فى الطبرى: اعتمادًا فى الّذين. فى هامشه: اعتمارًا فى الدّين. ١٠) وفى الطّبرى: ثمّ خرج على تعبئةٍ من اعجاز ليلته. ١١) فماذَرَّ قرن الشّمس: فما طلعت. ١٢) عامّة ظهرهم: لعلّ المراد «اقرانُ الظّهر الّذين يجيئونك من ورائك أو من وراءِ ظهرك». ١٣) مط: ولينصَحَنَّ.

- «ننشدك الله أن تُعرِّضَ نفسَكَ، فإنَّك إن تُصَب لم يكن لِلنَّاسِ نِظامٌ. ومُقامُكَ أشدُّ على العدوِّ. فابعَث رَجُلاً إن أُصيبَ امَّرتَ آخَرَ.»

فقال: لاوَالله حَتَّى أواسيَكم بِنَفسى.»

فخَرَجَ فى تعبئته إلى ذى القصَّة وَالنُّعمانُ وأصحابُه على ماكانوا عليه، حتَّى نزل على أهلِ الرَّبذه بالأبرقِ. فاقتتلوا، فَهُزِم القومُ واخِذَ الحُطَيئَةُ أسيرًا، وطارت عبسٌ وبنو بكر. فاقام أبوبكرٍ على الأبرقِ أيامًا وقد غَلَبَ بنى ذُبيانَ على البلادِ، وقال:

- «حرامٌ على بنى ذبيان البِلاد أن يَطأُوها بعد أن غَنَّمَناها اللهُ.»

فلمَا غُلِبَ أهلُ الرِّدَّةِ وَدَخَلوا فيما خرجوا منه، جاءت بنوثعلبةَ ومَن كان ينازِلُهم. فَمُنِعُوا منها فأتوه فى المدينةِ [297] فقالوا:

- «عَلامَ نُمنعُ مِن لُزومِ بِلادِنا؟»

فقال: كذِبتم، ليست لكم ببلادٍ.»

[عَقدُ احدَ عشرَ لِواءً لِمُحاربة أهل الرِّدَّةِ]

ثمَ حَمىَ بلادَ الرَّبذةِ كلَّها لِصدقاتِ المُسلمينَ وجاءَت الصَّدقاتُ الكثيرةُ. فلمَا أراحَ أسامةُ وجنودُه ظهورَهم وجَمُّوا، عَقَدَ ابوبكرٍ أحدَ عشرَ لِواءً وقَطعَ عليها البعوثَ: عَقَدَ لخالدِ بنِ الوليدِ وأمره بطُليحةَ بن خُوَيلدٍ، فاذا فَرَغَ منه سارَ إلى مالك بن نُويرةَ بالبِطاحِ إن قامَ لَهُ؛ وَعَقَدَ لعكرمةَ بنِ أبى جهلٍ وأمَرَهُ بمسيلمةَ؛ وَعَقَدَ للمهاجرِ بنِ أبى اميّةَ وأمَرَهُ بجُنودِ الأسودِ العَنسى ومَعُونَةِ الأبناءِ على قيسِ بنِ المكشوحِ وَمَن أعانَهُ مِنَ اليَمنِ عَلَيهم، ثم يمضى إلى كندةَ بحضرموت؛ وَعَقد لخالد بنِ سعيد بن العاصِ وكانَ قَدِمَ من اليَمنِ، وتَرَكَ عملَه؛ ولعمرو بن العاص إلى جُمّاعِ قضاعةَ ووديعةَ والحارثِ؛ ولحذيفَة بنِ مِحصَنٍ، وأمَرَهُ بأهلِ دَبا؛ ولعرفجةَ بنِ هرثمةَ، وأمَرَهُ بمَهرَةَ؛ ولشرحبيلَ بنِ حسنةَ على قضاعة؛ ولطُرَيفَة بن حاجزٍ، وأمَرَهُ ببنى سُلَيمٍ وهوازن؛ ولسويدِ بنِ مُقرِّنٍ وأمَرَهُ بِتهامةِ اليمنِ؛ وللعلاء بن الحضرمى، وامره بالبحرين.

ففصل الأمرَ من ذى القصّة وقد كتب لهم عهدَهم، فلحق بكلٍّ أمير جندُه. [298] وكَتَبَ إلى جميعِ المُرتدَّةِ كتبًا بليغةً بالإعذارِ والإنذارِ والتَّرغيبِ والتَّرهيبِ، ونَفَذَتِ الرُّسُلُ أمامَ الجنودِ بالكتبِ ونفذ خالدُ إلى طُليحةَ، فهزمَه وفَضَّ خَيلَه.

وكان طُلَيحةُ ارتدَّ فى حَياةِ رسولِ اللهِ - صلّى الله عليه - وادَّعى النُّبوَّةَ. فوجَّه النَّبىُّ - صلّىالله عَليهِ - ضرارَ بن الأزوَر عاملاً على بنى أسَدٍ وأمَرهم بالقيام فى ذلك على كلِّ مَن ارتدَّ فاشجَوا

طُليحةَ وأخافوهُ ونقص أمره، حتّى لم يبقَ إلاّ أخذُه سلمًا. سوى أنّه كانَ ضُربَ ضَربةً بالجُراز، فَنَبا عنه. فشاعت فى النّاس وأتى المسلمينَ ـ وهم على ذلك ـ موتُ نبيّهم. وقال ناسٌ:

ـ «إنّ السِّلاحَ لايَعملُ فى طُلَيحَة.»

فقَوِىَ أمرُهُ ونقصَ أمر المسلمين لذلك، حتّى إنّهم قالوا عرفنا[١] ذلك فى أنفسنا يَومَ وَرَدَ علينا الخبرُ بوفاةِ رسولِ اللهِ ـ صلّى الله علَيه.

وقامَ عُيَينةُ بن حِصنٍ بنَصره، وقام فى غطفان فقال:

ـ «ما أعرفُ حُدُودَ غطفان منذُ انقَطعَ مابيننا وبين بنى أسَدٍ، وإنّى مجـدِّدُ الحِلفَ الّذى كان بينَنا فى الجاهليةِ، ومُتابعُ [299] طُلَيحةَ، واللهِ لأن نَتّبعَ نَبيًّا مِن الحَليفينِ احبُّ إلينا من ان نتّبعَ نبيًّا مِن قُريشٍ.»

وقد مات رسولُ اللهِ ـ صلّى الله عَلَيه ـ وبقِى طُلَيحةُ، فطابقوه على رأيه. فلمّا قَوِىَ أمرُ طليحة واستفحلَ، هَرَبَ ضرارٌ وأصحابُ النَّبىِّ ـ صلّىاللهُ عَليه ـ وطارُوا كُلَّ مَطارٍ.

قال ضرارُ بنُ الأزوَر: «فما رأيتُ أحدًا ـ لَيسَ رسُولَ اللهِ ـ أملأ لِحَربٍ شَعواء من أبى بَكرٍ، لَجَعلنا نُخبِرهُ ولكأنّما نُخبرُهُ بما لَهُ، لا عليه.»

[صَرامة عُمر و حَصافتُه فى هذا الوقت]

وَمِمّا ظَهَرَ مِن عُمَرَ ـ رَضِىَ الله عَنهُ ـ فى هذا الوقتِ صَرامةٌ وحَصافَةٌ: أنّ عَمرو بنَ العاصِ كانَ بِعُمان. فلمّا ماتَ رسولُ الله ـ صلّى الله عليهِ ـ أقبل حتّى انتهىٰ إلى البحرين، وسارَ فى بنى تميمٍ، وفى بنى عامرٍ، حتّى قَدِمَ المدينةَ، فأطافت به قريشٌ وسألُوهُ. فأخبرهم أنّ العساكِرَ معسكِرةٌ من دَبا إلى حيثُ انتهيت إليكم. وأخبرهم من اضطرابِ الإسلام وقوّةِ الأعداءِ ماكسرَهم. فتفرّقُوا وتحلّقوا حَلَقًا. واقبل عُمرُبنُ الخطّاب يُريد [300] التّسليم على عمرو. فمرّ بحلقةٍ وهم فى شىءٍ مِمّا سَمِعُوا مِن عمرو، وفى تلك الحلقةِ عثمانُ وعلىٌّ وطلحةُ والزّبيرُ وعبدُالرحمان بنِ عوفٍ وسعدٌ. فلمّا دَنا عمرُ منهم سكتوا.

فقال عمرُ: «فيم أنتم؟»

فلم يُخبروهُ، فقال: «ما أعلمنى بالّذى خلَوتُم له.»

فغَضِبَ طلحةُ وقال: «يا ابنَ الخَطّابِ أتخبرنا بالغيب؟»

---

١) كذا فى مط. وما فى الأصل: عرقنا. وفى الطبرى (١٨٩٢:٤): حتّى عرفوا النقصان.

فقال: «لا يعلم الغيبَ إلاّ اللهُ، ولكن أظُنُّ أنّكـم قُلتم: ما اخـوفَنا على قـريشٍ، من العَـرَبِ واخلقَهم الاّ يُقِرُّوا بِهذا الأمرِ.»

قالوا: «صدقتَ.»

قال: «فلا تخافوا هذه المنزلةَ. أنا والله مِنكم عَلَى العَربِ اخوفُ منّى عَلَيكم مِنَ العَرَبِ، والله لَوتدخُلونَ معاشرَ قريشٍ جُحرًا لدَخلَته العَرَبُ فى آثارِكم. فاتَّقُوا اللهَ فيهم.»

ثم مَضىٰ عُمَرُ إلى ابى بكر واجتمع مع عمرو.

[إسلام طُليحةَ بعدَ ارتداده وادّعائه النُبوّةَ]

فامّا طُليحةُ، فإنّه لمّا هُزم اصحابُه، هَرَبَ حتّى نزل على كَعبٍ على النَّقعِ[١]. فاسـلم، ولم يَزَل مُقيمًا فى كَلبٍ حتّى مات ابوبكر. وإنّما أسلمَ هنالك حتّى بَلغـهُ انَّ اسـدًا وغطفـانَ وعامرًا قـد اسلموا. فلمّا ماتَ ابوبكرٍ، [301] اتى[٢] عُمَرَ للبَيعةِ، فقال له عُمَر:

ـ «انتَ قاتلُ عَكاشةَ وثابتٍ، واللهِ لاأُحبُّك ابدًا.»

فقالَ يا امير المُؤمنينَ، ما تنقم علىَّ من رجلين اكرمَهُما اللهُ بِيدى وَلم يُهنّى بِأيديهِما.»

فبايعَه عُمرُ. ثمّ قال له خُريم:[٣]

ـ «مابَقِىَ من كهانَتِكَ؟»

قال: «نَفخةٌ او نفخَتانِ بالكير[٤].»

ثُمّ رجع إلى دار قومِه، واقام بها حتّىٰ خرج إلى العراقِ.

وَلَمّا اعطىٰ اهل بُزاخة من اسدٍ وغطفانَ وطيٍّ بأيديهم على الاسلام، لم يقبل خالدُ من احـدٍ منهم ولا من هوازنَ وسُلَيمٍ إلاّ على ان ياتُوا بالّذين حرقوا ومثّلوا وعدَوا على اهل الإسلام فـى حالِ رِدّتِهم. فاتَوهُ بهم، فقتلَ منهم إلاّ قُـرّةَ بن هُبَيرة ونفـرًا معـه او ثقَهـم، ومثّل بالّذين مثّلوا بالمسلمين، واحرقهم بالنّيران، ورضخهم[٥] بالحجـارة، ورَمىٰ بهـم من الجِبالِ، و نَكّسَـهُم فـى الآبارِ، وخرق بعضَهم بالنّبالِ، وكَتب بخبرهم وماصَنعَ، إلى ابى بكر.

فكَتَبَ إليه ابوبكر:

«ليزدك اللهُ ماانعم به عليك خيرًا، فاتّقِ اللهَ، ولاتظفرنَّ باحدٍ قَتلَ المسلمينَ إلاّ قَتلتَه ونَكلتَ

---

١) مط: المنع. ٢) مافى الأصل غير واضح، فاثبتنا الكلمة كما فى مط. ٣) مط: حريم.

٤) الكيرُ: جهازٌ من جلدٍ او نحوه يستخدمه الحدّاد وغيره للنّفخ فى النّار لاشعالها. ٥) رضخ النّوى: كَسَرهُ بالحجر.

به غيرَه، وإن كُنتَ [302] أحيَيتَ مِمَن حادَّ اللهَ وضادَّهُ فاقتُلهُ.»

فأقام خالدُ شهرًا على بُزاخةَ يصعَدُ ويُصَوّبُ ويرجع فى طلبِ القوم، فمنهم مَن يُحرقُ، ومنهم من يرضخُه، ومنهم مَن يرمى به من الجبل.

[مكيدةُ للفُجاءَةِ تمّت عليه]

وقدم الفُجاءَة[١] بنُ إياسِ بن عبدِ ياليل على أبى‌بكر، فقال:

ـ «اعِنّى بِسِلاحٍ، ومُرنى بماشِئتَ، ومَن شِئتَ مِن أهلِ الباديةِ.»

فأعطاه سِلاحًا، وأمَرَهُ أمرَهُ، فخالفَه، وخَرجَ، ونَزلَ الجِواءَ[٢]، وبعث نجبة بن ابى الميثاءِ[٣]، وأمرَهُ بالمسلمين، فشنَّها[٤] غارةً على كلِّ مسلمٍ فى سُليمٍ وهوازنَ، وبَلغَ ذلك أبابكر، فأرسلَ إليه مَن حاربَه بالجواءِ حربًا شديدًا، فقُتِل نجبةُ، وهَربَ الفُجاءةُ، فلَحِقَهُ من أسَرَه وبَعثَ به إلى ابى‌بكر، فأُوقِدَ له فى مُصلَّى المدينةِ حَطَبُ كثيرُ، ثمَّ رُمِىَ به فى النّار مقموطًا.

[قتلُ مُسيلمةَ فى حَديقةِ المَوتِ ومكيدةُ لمُجاعةَ علىٰ خالدٍ]

وَمِن وُجُوهِ المَكائدِ فى الحَربِ أنّ خالدًا لمّا مَضىٰ نحوَ اليَمامَةِ قاصدًا مُسَيلمةَ، فضرب [بها][٥] عسكره، خرج أهلُ اليَمامةِ معَ المُسَيلمةِ. ثمَّ التقى النّاسُ، ولم تلقهم حربُ قطُّ مِثلُها [303] مَن حَربِ العرب. فاقتتلَ النّاسُ قِتالاً شديدًا حتّى انهزم المسلمونَ، وخاضوا إلى فُسطاطِ خالدٍ، فَزالَ خالدُ عنه، وأسلمَ امرأته أمَّ تميمٍ. فَزعبَلوا[٦] الفُسطاطَ بالسُّيوفِ.

ثمّ إنَ المسلمينَ تداعَوا وتبرّأوا إلى اللهِ مِمَّن انهزَمَ، وجالَدُوا حتى قُتِلَ زيدُ بن الخطابِ وعِدَّةُ من خِيار النّاسِ، وخَلَصُوا[٧] إلى مُحَكَّمِ اليَمامةِ[٨]، وكان سيّدًا فيهم، فقاتلَ قِتالاً شديدًا حتىٰ قُتِل، وزحف المسلمون، واشتدَ القِتال. فكانت يومئذٍ سجالاً إنما يكونُ مَرّةً على المسلمين، ومرّةً على الكافرين. واستحرَّ القتالُ فى المهاجرين والأنصار، وثَبتَ مسيلمةُ، ودارت رَحاهم عليه.

فعرف خالدُ بنُ الوليدِ أنّها لاتركُدُ إلاّ بقتلِ مُسيلمةَ، ولم تحفِل بنوحنيفَة بقتلِ مَن قُتِلَ منهم.

١) وفى الأصل ومط: ألفجاه. وما فى الطبرى «الفجاءة» (٤: ١٩٠٣). ٢) مط: «وترك الحوى». ٣) مط: «محة» فى الطبرى ايضًا: نجبة وفى ابن الأثير (٢: ٣٥٠): نُجبة. ٤) كذا فى النسختين و الطبرى.

٥) فى الأصل ومط: به. ٦) زَعبَلَ: قطعَ، مَزقَ. ٧) خَلَصَ إلى الشىء: وصل. ٨) وفى الطَبرى: خلصوا إلى محكَمِ اليمامة وهو محكَمِ بنُ الطُفَيلِ (٤: ١٩٤٣).

فبرزَ خالدُ حتّى إذا كان أمامَ الصفّ دَعا إلى البراز، و انتمىٰ وقال:

ـ «أنَا ابن الوليدِ العود، أنَا ابنُ عامرٍ وزيدٍ.»

فَجَعَلَ لايبرز له أحدٌ إلاّ حطَّمه وقَتَلَهُ. ودارت عليه رَحى المسلمين فطَحنت.

ثمّ دنا خالدُ من مُسيلمةَ، فدعاهُ مناديًا بأعلىٰ صوته [304] ليطلب غِرّتَه[١]، وذلك لما علم أنّ الحربَ لاتزولُ إلاّ بِزوالِه، فأجابه مُسيلمةُ. فعرَضَ عليه أشياءَ ممّا يشتهى مُسيلمةُ، ثمّ قال له:

ـ «إن قبلنا النّصف، فأىُّ الأنصاف تُعطينا؟»

فكان إذا همَّ بجوابِه، أعرضَ عنه مستشيرًا شيطانَهُ، فكان شيطانُه ينهاه أن يَقبلَ، فأعرضَ بوجهِه مرّةً من ذلك، فركِبَهُ خالدُ فأرهقَهُ، فادبَرَ، وزالوا، فذَمَرَ خالدُ الناسَ، وقال:

ـ «دُونَكم لاتُقيلوهُم.»

فاقتحمُوا حديقةَ المَوتِ[٢]، فاقتحم النّاسُ عليهم، فقتَلُوا منهم عشرةَ آلاف، وقُتِلَ مُسيلمةُ. قتَلَهُ وحشىُّ بِحَربته، وأعانه رجُلٌ من الأنصار.

وكان خالدُ ظَفِرَ قبلَ هذه الوَقعةِ بمُجّاعةَ مع نَفَرٍ معه كانوا خرَجُوا فى سَريّةٍ لَهُم، وكان ظَنَّ أنّهُم استقبلوه. فلمّا سالهم صَدَقوه. ولو عرفوا خَبَرَه لقالوا: إنّما استقبلناك، فسلموا. فعرضهم على السّيف، فقتلهم عَن آخرهم إلاّ مُجّاعة، فإنّه استحياه طمعًا فى الانتفاع به. فلمّا فُرغ من قتلِ مسيلمةَ وأُخبرَ به أخرجَ مُجّاعة يرسُف فى الحديدِ ليدُلَّه على مسيلمةَ، [305] فجعل يكشف له القتلىٰ حتّى مرَّ بمُحكَّم اليمامة، وكان وسيمًا حَسَنًا. فلمّا رآه خالدُ قال:

ـ «هذا صاحبكم؟»

قال: لا، هذا واللهِ خيرٌ منه وأكرمُ، هذا محكَّم اليمامة.»

ثمّ مَضىٰ خالدُ يكشف له القتلىٰ. فإذا رُويجل أصفر[٣] أخَينِس، فقال مُجّاعةُ:

ـ «هذا صاحبكم، قد فرغتم منه.»

فقال خالدُ لمُجّاعةَ: «هذا فعل بكم ما فَعَل.»

قال: «قدكان ذلك ياخالدُ، وإنّه والله ماجاءَك إلاّ سَرَعانُ الخيلِ، وإنّ الحصونَ لَمملوءَةٌ رِجالاً، فهلُمّ أصالحكَ على قومى.»

يقول ذلك لِرجلٍ قدنهكتهُ الحربُ، وأصيب معه من أشراف النّاس مَن أصيبَ، فقد رقّ،

---

١) فدعا مسيلمة طلبًا لعورته! (الطبرى: ٤: ١٩٤٨). ٢) والحديقة: بُستان كان لِمُسيلمة الكذّاب، كانوا يُسمُّونه: «حديقة الرّحمان»، وعنده قُتل مُسيلمة، فسمّوهُ: «حديقة المَوت» (يا). ٣) الطَبرى: أُصَيفر (٤: ١٩٤٩).

واحبَ الدَّعةَ والصُّلح.

فقال: «هلُمَّ أصالحك. فصالَحَهُ على الصَفراءِ والبَيضاءِ والحَلقة[١] ونِصفِ السبى.»

ثمّ قال: «فآتى القومَ فأعرِضُ عليهم ماقد صنعتُ.»

قال: «إنطلِق إليهم.»

فذهب وقال للنّساءِ ـ وليس فى الحصون إلاّ النّساء والصِّبيان ومَن ليس به طِرق[٢] من الشّيوخ:

ـ «إلبَسنَ الحديدَ، ثمّ أشرفنَ على الحُصونِ، وانشُرنَ شُعورَكنّ.»

ثمّ كرَّ نحوَ خالدٍ وقال:

ـ «أبوا[٣] ماصالحتُك عليه، ولكن صالِحنى على رُبع السّبى لأعزم[٤] على [306] القومِ.»

قال خالدٌ: «قد فعلتُ.» فسرّحه وقال:

ـ «أنتم بالخيار ثلاثًا، واللهِ لئن لم تُتِمّوا ولم تَقبلوا، لأنهدنَ إليكم، ثمّ لا أقبلُ منكم خَصلةً أبدًا إلاّ القتلَ.»

فكان خالدٌ إذا نظر إلى الحصونِ رآها مملوءَة الحيطانِ بالسّلاح والسّواد، فيراها رجالاً وإنّما هى النّساءُ.

فلمّا رجع مجّاعة إليهم قال: «فأمّا الآن فاقبلُوا.»

ورجع إلى خالدٍ، وقال: «بعد شرٍّما قَبِلوا[٥]، اكتُب كتابَك.»

فكتب:

«هذا ما قاضىٰ عليه خالدُ بنُ الوليدِ مُجّاعَةَ بنَ مرارةَ وفلانًا وفلانًا، قاضاهم على الصُّفراءِ، والبيضاءِ، ورُبعِ السّبى، والحَلقةِ، والكُراعِ، وحائطٍ مِن كلّ قريةٍ ومَزرعةٍ، على أن تُسلموا، ثمَّ أنتم آمِنون بأمانِ اللهِ ولكم ذِمّةُ خالدِ بن الوليدِ، وذمّةُ أبى بكرٍ خليفةِ رسولِ اللهِ ـ صلّى الله عليه ـ وذِمَمُ المُسلمين على الوَفاءِ.»

فلمّا فرغ خالد بن الوليد من هذه الوقعةِ والصَلح، فُتحتِ الحصونُ، فإذا ليس فيها إلاّ النساءُ والصبيانُ! فقال خالدٌ لمجّاعة:

وَيحكَ، خدعتَنى!»

---

١) الحَلقة: السّلاح عامّة والدرع خاصّةً. ٢) الطِّرق: الشّحمُ. القُوّة (مو). ٣) فى الطبرى وابن الأثير (٣٦٥:٢) أيضًا: ابوا. مط: ابو. وفى الأصل: آبَوا. وهو تصحيف. ٤) عزم على فلانٍ: أمَرَهُ وشدّد عليه (مو).
٥) الطّبرى: بعد شرٍّما رَضُوا (٥: ١٩٥٤).

قال: «قومى، ولم أستطع إلاّ ماصنعتُ.[١]»

ولمّا فرغ خالدُ من هذه الوقعة أمَرهُ [307] أبوبكرٍ بالمسير إلى العِراق، وكان ماكانَ من أمره مع الفُرس، ولم أجد فى تلك الحروب والوقَعات مع عِظَمِها وشدَّتِها موضعَ حيلةٍ، ولا موقعَ تدبيرٍ تُستفادُ منه تجربةٌ إلاّ اليَسير مِمّا سنذكرُهُ، وباقيه كلُّه جهادُ من القَوم ونصرُ مِنَ اللهِ واجتهادُ مِن المسلمين، وخذلانُ لِلفُرسِ، وانصرامُ لِمُدّتِهم، وانقضاءُ لمُلكهم. وكانَ شَرطنا فى أوّلِ الكتاب ألاّ نُثبِتَ من الأخبار إلاّ مافيه تدبيرُ نافعُ للمستقبَل، أو حيلةُ تمّت فى حَربٍ، أو غيرها، ليكونَ مُعتَبرًا وأدبًا لِمَن يَستأنِفُ مِنَ الأمرِ مثلَه، فلذلك تركنا إثباتَ هذه الوقائع، وعلى أنّا سنذكُرُ الجُمَل التى فيها أدنى تنبيهٍ على موضعِ فائدةٍ، ولأجلِ ذلك، تركنا ذِكرَ أكثرَ مغازى رسولِ الله ـ صلّى‌الله عليه ـ ووقعاته، لأنّها كلّها توفيقُ‌اللهِ ونَصرُهُ وخذلانُ أعدائه، ولا تجربةَ فى هذا، ولاتُستفادُ منه حيلةُ، ولا تدبيرُ بَشرى[٢].

ومن الآراءِ السَّديدةِ ماكان من خالدٍ بالشام

[يومَ اليرمُوك][٣]

[308] وذلك أنَ خالدًا افتتح السَوادَ الّذى بينه وبين دجلةَ، وحازَ غربىَّ دجلةَ كلّها بوقائعَ كثيرةٍ وحروبٍ عظيمةٍ، وشغِل الفرسُ عن أمر المُلك. فإنَ أردشيرَبنَ شيرى ماتَ وقد كانَ هَلكَ العُظماءُ وأهلُ بيتِ كِسرىٰ بما أفناهم شيرى، وبغزواتِ خالدٍ للعظماءِ، وتفرّغ أبوبكرٍ للشام، وكانَ أمرَ خالدًا ألاّ يَقتحِمَ على الفُرسِ، لأنّ مسالحَ لهمُ كانت مِن وراءِ المسلمين. فَخشىَ أن يُؤتَوا مِن ورائهم، وقدكان المسلمون أشرفوا على الهلاكِ بالشامِ لكثرةِ جُنودِ الرُوم. فكتب أبوبكرٍ إلى خالدٍ يأمُرُه أن يستخلِفَ على جُنده، ويسيرَ فى عددٍ وافرٍ إلى إخوانه المسلمين بالشامِ.

ولمّا اهتمّ بأمر الشام كَتبَ إلى عَمرو بنِ العاصِ، وإلى الوليدِ بن عُقبةَ، وكانا على عملٍ من الصَّدقاتِ. أمّا عمرُو فكان على صدقاتِ هُذَيمٍ وعُذرةَ ومَن لفَّ لِفَّها. وأمّا الوليدُ فكانَ على النِّصفِ من صدَقاتِ قُضاعةَ. فكتبَ أبوبكرٍ إليهما يُرَغّبُهُما فى الجهاد ويُخَيّرهُما بين أعمالهما وما ندَبَهُما إليه، فكتَبا بإيثارِ الجهادِ، فكتب [309] أبوبكرٍ بأن يَندُبا مَن يليهما، ويستخلِفا على أعمالِهما. ثمّ نَدَبَ أبوبكرٍ مَن كان اجتمعَ إليه، وقوّىٰ بهم عَمرًا، وأمّرَه على فلسطين وأمره

١) كذا فى الطّبرى: (١٩٥٣:٤). ٢) إنتبه إلى الاصرار الّذى يبديه مسكويه على منهجه فى كتابة التاريخ.

٣) انظر الطبرى ٤: ٢٠٩٠.

بطريقٍ سمّاها له. وولّى الوليدَ الأردنَ، وامدّه ببعضِ من كان اجتمع إليه. ودَعا يزيدَ بنَ أبى سفيانَ فأمّره على جُندٍ عظيمٍ هُم جُمهورُ مَن انتدبَ له، وفى جُندِه سُهيل بن عَمرو، واشباهُه. واستعملَ أبا عُبيدةَ وامّره على حِمصٍ مع جُندٍ[1].

وكان قد قدّم خالدُ سعيدَ بن العاصِ، وامَره أن يأتى تَيماءَ، ويُقيم بها، فلا تتجاوزَها، وينتدِبَ إليه مَن حولَه ويتقوّىٰ به، حتّىٰ تأتيهُ الجنودُ. وسمّى ليزيدَ بنِ أبى سفيانَ دِمَشقَ، ولشُرحبيل بن حسنة الأردنَ. فتوافَى الجندُ أطرافَ الشامِ مع الأمراءِ الأربعةِ، وهم سَبعةٌ وعشرونَ ألفًا. وأمَرَ أبوبكرٍ معاويةَ وشرحبيل على ثلاثة آلافٍ، وكان عِكرمةُ بن أبى جهلٍ رِدءًا[2] لهم فى ستّةِ آلاف. وكان فى ثغر الرّوم أبوعُبيدةَ، فشَجِىَ[3] بالرّوم وكثُروا عليه، فكتب إلى [310] أبى‌بكرٍ يستمِدُّ، وامدّهم بخالد بن الوليد من العراق فى عشرة آلافٍ، فكانوا ستّةً واربعين ألفًا، وكان قتالُهم على تساندٍ: كلُ جندٍ واميرهم، لايجمعُهم اميرٌ واحدٌ حتّى قدم عليهم خالدُ بنُ الوليد مِنَ العراقِ.

فلمّا قدِم خالدُ، وجدَ الرّومَ فى جمعٍ عظيم وقد استمدّوا المستعربةَ ونصارى العربِ ومَسالحِ[4] الفُرسِ، فكانُوا فى مائتى ألفِ مُقاتلٍ على حَنقٍ شديدٍ، وهم يُقاتلون بنشاطٍ واجتماعٍ. ورأى المسلمينَ متساندين، يُقاتل كلُ قومٍ مع أميرِهم.

فقال لهم: «هل لكم يا معشرَ الرّؤساءِ فى أمرٍ يُعِزّ اللهُ به الدّينَ، ولايد خلكُم منه نقيصةٌ ولا مكروهٌ؟»

قالوا: «وما ذلك؟»

قال:

- «إنّ هذا يومٌ من أيّام الله، لاينبغى فيه الفَخرُ ولا البَغىُ، أخلصوا جهادَكم وأريدوا اللهَ بعملكم، فإنّ هذا يومٌ له مابعدَه، ولا تقاتِلوا قومًا على نِظامٍ وتعبئةٍ على‌تساندٍ وانتشارٍ فإنّ ذلك لاينبغى ولا يَحِلُ، وإنّ مَن وراءَكم لويعلمُ علمَكم، حالَ [311] بينكم وبينَ هذا. فاعملُوا فى ما لم تؤمَروا به، بالّذى تَرونَ انّه الرّأىُ من واليكم ومحبّتُه.»

قالوا: «هاتِ ما الرّأى؟»

قال:

---

١) مط: جنده. ٢) الرِّدء: الّذى يتبع غيرَه مُعينًا له. قال تعالى: فأرسله معى ردءًا يُصدّقنى.

٣) شَجِىَ بقرنه: قهَره قرنُه. اهتمّ وحزن. ٤) المسالح: جمع مفرده المَسلح والمسلحة: كلّ موضعٍ مخافةٍ يقفُ فيه الجُند بالسِّلاح للمراقبة والمحافظة. القومُ المسلّحون فى ثَغر او مَخفر للمحافظة.

ـ «إنّ[۱] أبابكرٍ لم يبعثنا إلاّ وهو يَرىٰ أنّا سنتياسَرُ، ولو علم بالّذى كان ويكون لقد جمعكم. إنّ الّذى أنتم فيه أشدّ على المسلمين ممّا غَشِيَهم، وأنفع[۲] للمشركين مِن أمدادهم. ولقد علمتُ أنّ الدّنيا فرّقت بينكم، فاللهَ اللهَ فى دينكم، فقد أفرد كلّ رجلٍ ببلدٍ من البُلدان لاينتقصُه منه أن دان لأحدٍ من أمراءِ الجُنودِ، ولايزيدُه أن دانُوا له. إنّ تأميرَ بعضِكم لاينقصُكم عندالله ولا عندَ خليفةِ رسول اللهِ، هَلُمُّوا، فإنّ هؤلاءِ قد تهيّأُوا، وهذا يومٌ له ما بعدَهُ. إن رَدَدنا القومَ إلى خندقهم اليومَ لم نَزل نَرُدّهم. وإن هزمُونا لم نُفلح بعدَها. فهَلُمُّوا، فلنتعاوَر الإمارة، فَلْيَكُن عليها بعضُنا اليومَ، والآخَرُ غدًا، والآخَرُ بعدَ غدٍ حتّى يتأمّرَ كلُّنا. دَعونى ألِكُمْ[۳] اليومَ.»

فأمّروه وهم يَرونَ أنّها كخرجاتهم قبل قُدومِ خالدٍ [312] وأنّ الأمرَ طويلٌ والإمارة تصل إلى كلّ واحدٍ منهم.

فخرجت الرّوم فى تعبئةٍ لايكون أحسن منها، ولم يَرَ المسلمون مثلَها قطُّ. وخرج خالدٌ فى تعبئةٍ لم تُعبِّ مثلَها العربُ. وذلك أنه لمّا رأىٰ كثرةَ عددِ الرّوم، قال:

ـ «إنّه ليس فى التعبئة تعبئةٌ أكثر فى رأىِ العين من الكراديس[٤]. فجعلَ القلبَ كراديسَ كثيرةً، وأقام فيها أبا عُبيدةَ؛ وجعلَ الميمنةَ كراديس، وعليها عمرُو بن العاص؛ وجعل الميسرة كراديسَ، وعليها يزيدُ بن أبى سفيان، وجميعُها ستّةٌ وثلاثون كُردُوسًا. وفى الجماعة ألفُ رجلٍ من أصحابِ رسولِ الله ـ صلّى‌الله عليه ـ فيهم نَحوٌ من مائةٍ من أهلِ بَدرٍ. وكان أبوسفيان يدورُ ويُحرّضُ النّاسَ.

فقال رجلٌ لخالدٍ: «ما أقلّ المسلمينَ وأكثرَ الرّوم!»

فقال خالدٌ: ما أكثرَ المسلمينَ وأقلّ الرّومَ، إنّما تكثُر الجنودُ بالنّصر، وتَقِلُّ بالخِذلانِ، لا بعددِ الرّجالِ. واللهِ، لوددتُ أنّ الأشقرَ بَراءٌ مِن تَوَجُّيه[٥]، وأنّهم أُضعِفوا[٦] فى العَددِ.»

وكان فرسُه قدحَفِيَ[۷] فى مسيره.

ثمّ أنشبَ القتالَ والتحم [313] النّاسُ وتَطاردَ الفُرسانُ. فبينهم على ذلك، إذ قدِمَ البَريدُ من

۱) سقط من مط: «إنّ أبابكر... أشدّ على». ۲) فى الاصل: أنقع. وما أثبتناه مطابق لما فى مط والطّبرى ٤: ۲۰۹۲. ۳) مط والطّبرى: «اليكم» والصّحيح ما فى الأصل، لأنّ الفعل [إلى] مجزوم هنا جوابًا لشرط متصيَّدٍ ممّا قبلُ كما يقول النّحاة. ٤) الكراديس: جمعٌ مفرده الكُردُوس والكُردُوسة: طائفة عظيمةٌ من الخيل والجيش. ٥) التّوجّى: رِقّةُ القَدَم أو الحافر أو الخُفّ من كثرة المشى (مو) ٦) أُضعِفُوا: جُعلوا ضِعفَين. ۷) حَفِى: مشى بلانعلٍ ولا خُفٍّ.

المدينة. فأخذته الجنود، وسألوه الخبرَ. فلم يُخبرهم إلاّ بسلامةٍ، وأخبرهم عن أمدادٍ، وإنّما جاء بموتِ أبى‌بكرٍ وتأمير أبى عُبيدةٍ، فأبلغوهُ خالدًا، فأخبرهُ الخبرَ، وأسرَّه إليه، وأخبره بماقال للجُندِ، فقال: «أحسنتَ، فقِف.»

وأخذ الكتابَ، فجعله فى كنانتِه وخاف ـ إن أظهر ذلك ـ أن ينتشرَ أمرُ الجندِ. وجدَّ خالدٌ فى القتالِ، وصلّى النّاسُ الأولىٰ والعصرَ إيماءًا، وتَضعضعَ الرّومُ، ونهد خالدٌ بالقلب، حتّى كان بين خَيلهم ورَجلِهم.

وكان موضعهم الّذى اختاروهُ للقتالِ واسعَ المطَّردِ، وضَيِّق المَهربِ. فلمّا وجدت خيلُهم مهربًا ذهبوا وتركوا رَجلَهم فى مصافِّهم، وخرجت خيلُهم تشتدّ بهم فى الصّحراءِ. ولمّا رأى المُسلمونَ خيلَ الرّومِ توجَّهت للهرَبِ، أفرجوا لها ولم يُحرجوها. فذهبت متفرِّقةً فى البلاد، وأقبل خالدٌ والمسلمون على الرَّجلِ، ففضُّوهم. فكأنّما هُدِمَ بِهم حائطٌ، فاقتحموا فى خندقهم [314] فاقتحم عليهم فعمدوا إلى الواقوصةِ[1] حتّىٰ هَوى فيها المقترنون وغيرهُم، فمن صبرَ من المقترنين للقتالِ هَوَىٰ به من جشِعَت نفسُه، فيهوى الواحدُ بالعشرةِ لايُطيقونه، كلّما هَوَىٰ اثنان كانت البقيّةُ أضعفَ. فتهافتَ فى الواقوصةِ عشرون ومائة ألف [١٢٠،٠٠٠] إنسانٍ منهم ثمانون ألف مقترنٍ وأربعون ألفَ مُطلَقٍ، سوى مَن قُتل فى المعركة من الخيل والرَّجل، وتجلّل أخو ملك الرّوم وأشرافٌ مِن أشرافهم بَرانِسَهَمُ وقالوا:

ـ «لاتحبُّ أن نرى يومَ السّوءِ إذ لم نستطع أن نرى يومَ السُّرور، وإذ لم نستطع أن نمنعَ النّصرانيّةَ.»

فأصيبوا فى تزمُّلهم.

وقد كان عِكرمة بن أبى جهلٍ فى بعض جَولاتِ الرّوم نَزَل عن فرسه وقال:

ـ «قاتلتُ عن رسولِ اللهِ صلّى‌الله عليه فى كلّ موطنٍ وأفرُّ اليومَ!»

ثمّ نادى:

ـ «من يُبايع على الموتِ؟»

---

١) الواقوصة: وادٍ بالشام فى أرض حوران نزله المسلمون أيّام أبى‌بكر الصدّيق على اليرموك لغزو الرّوم... وفى كتاب أبى حذيفة: أنّ المسلمين أوقعوا بالمشركين يومًا باليرموك، فشدَّ خالدٌ فى سرَعان النّاس وشدَّ المسلمون معه يقتلون كلّ قتلةٍ، فركب بعضهم بعضًا، حتّى انتهوا إلى أعلى مكانٍ مُشرفٍ على أهويةٍ، فأخذوا يتساقطون فيها وهم لايبصرون وهو يومُ ذوضباب، وقيل كان ذلك باللّيل وكان آخرهم لايعلم بماصار إليه الّذى قبلَه حتّى سقط فيها ثمانون ألفًا... وسُمّيت هذه الأهوية بالواقوصة من يومئذٍ حتّى اليوم لأنّهم واقصوا فيها. (يا، والطبرى: ٤، ٢٠٩٩).

فبايعه ضِرارُ بن الأزْوَر فى اربعمائةٍ مِن وجوهِ النّاس والفرسان، فقاتلوا قُدّامَ فُسطاط خالدٍ، حتّى أُثبِتوا جميعًا جراحًا، وقُتلوا إلّا الأمَن [315] بَرَأ ومنهم ضِرارٌ.

وقاتل النّساءُ يومئذٍ وجُرحت جُويريةُ بنتُ ابى سفيان، وكانت مع زوجها، بعد قتالٍ شديدٍ، وكان الأشتر مِمّن شهد هذا اليومَ ـ وهو اليَرمُوك ـ فأبلىٰ بلاءًا حسنًا.

ولمّا فرغ خالدٌ من حربِ القوم نعىٰ إلى النّاس ابابكرٍ وقال:

ـ «الحمدُلله الّذى قضىٰ على ابى‌بكرٍ الموتَ، وكان احبَّ إلىَّ من عمرَ؛ والحمدلله الذى ولّىٰ عمرَ وكان ابغضَ إلىَّ من ابى‌بكرٍ، ثمّ ألزمَنى طاعتَه.»

وانتهت الهزيمةُ إلى هِرَقل وهو دون حِمص، وبلغه قتلُ اخيه مع الصّناديد وعامّةِ الخيلِ والرَّجلِ، فارتحل وصار الأمرُ لأبى عُبيدة.

[من عجيبِ ماركَبهُ خالدُ]

ومن عجيب ماركبه خالد بن الوليد فى سفرته هذه الّتى خرج فيها من العراق لمعاونة ابى عبيدة على الرُّوم، انّه: لمّا هَزمتِ الرُّوم خالد بن سعيد بن العاص، وقتلوا ابنَه وقتلوا الجيشَ الّذى معه، واجتمعت الرُّوم باليرموك، قالوا:

ـ «والله لَنشغَلنّ أبابكرٍ والعربَ فى انفسهم عَن توردِ بلادِنا.» ثمّ نزلوا الواقوصة [316] مستعلين.

فبلغ ذلك أبابكرٍ، فقال:

ـ «والله لأُنسيَنّ الرُّومَ وساوسَ الشيطانِ بخالد بنِ الوليد.»

فكتب إليه أن: «سِر حتّىٰ تاتىَ جموعَ المسلمين باليرموك، فانّهم قدشَجُوا بالرُّوم، وإنّه لم يُشجِ الجموع من النّاس بعون الله شجاك[1]، ولم ينزع الشّجا من النّاس نزعَك، فلتَهنِئك[2] ـ أبا سليمان ـ النيّةُ والحظوةُ، فاتمِم ـ تمّم الله لَكَ ـ ولا يدخُلَنّكَ عُجبٌ فتخسرَ وتُخذلَ، وإيّاك أن تُدلَّ بعملٍ، فإنّ الله لهُ المَنُّ وهو ولىُّ الجَزاءِ. فاستخلِفِ المثنّى بنَ الحارثة بالعراق، فاذا فتح الله على المسلمين الشّامَ فارجع إلى عملك بالعراق.»

فقال خالدٌ: «كيفَ لى بطريقٍ أخرج فيه من وراءِ جموعِ النّاس.»

فجمع الأدِلاءَ وأهلَ الخبرةِ، فكلُّهم قالوا:

---

١) فى الأصل ومط: شجيك. ٢) فى الأصل ومط: فلتهنك وما اثبتناه يؤيده الطّبرى ٢: ٢١١٠.

ـ «لا نعرف إلاّ طريقًا لايحمِل جيشًا، يأخذُه الفذُّ والرّاكب[١].»

ونهَوه أن يُغرِّرَ بالمسلمين. فعـزم عليه، ولم يُجبهُ [317] احـدٌ إلاّ رافـع بن عُميرة على تهيُّبٍ شديدٍ. فقام فيهم وقال:

ـ «ياقوم لايخلفن[٢] هَديُكـم، ولا يضـعُفَنَّ يقينُكـم، واعلموا أنّ المؤونةَ تأتى على قـدر النِّيَّة، والأجرَ على قدرِ الحسبة.»

فأجابه نفرٌ، وقالوا لخالدٍ: «انت رجلٌ مَصنوعٌ لك، فشأنك[٣].»

فطابقوه ونَوَوا، واحتسبوا.

فقال لهم رافعٌ: «ترَوَّوا لِلشَّفةِ لِخِمسٍ.»

فظَمَّأ كلُّ قائدٍ من الإبل الشُّرفِ الجِلالِ مايكتفى به، ثمّ سقَوها العَلَّ بعدَ النَّهَـلِ، ثمّ صَـرُّوا آذان الإبل وكعَموها وخلُّوا أدبارَها.

ثمّ رَكبوا من قُراقرِ مفوِّزين إلى سُوى[٤] وهى إلى جانبها الآخر ممّا يلى الشامَ. فلمّا ساروا يومًا افتظُّوا لكلِّ من الخيل كُروشَ عَشـرٍ من تلك الإبل فمزجُـوا ما فـى كُروشـها بما كان من الألبانِ. ثمّ سقَوا الخيلَ وشربوا للشَفةِ جُرَعًا، فعلوا ذلك أربعة أيّامٍ. فلمّا نزلوا بسُوىً وخشىَ أن يفضحَهم حَرُّ الشّمس نادىٰ خالدٌ رافعًا:

ـ «ما عندك يارافع؟» [318]

قال: «خَيرٌ، أدركتم الرِّيَّ وأنتم على الماءِ.» وكان يشجِّعهم وهو متحيِّرٌ به رَمَدٌ.

ثمّ قال: «أيُّها النّاس، أنظُروا عُلَيمَين[٥] كأنّهما ثَديان.»

فأتَوا عليهما وقالوا: «عَلَمان.»

فقام عليهما فقال: «اضربوا يَمنةً ويَسرةً لِعَوسَجةٍ كقِعدَةِ الرَّجلِ.»

فقالوا: «لانَرىٰ شيئًا.»

فقال: «إنّا لله، هلكتم وهلكت معكم، أنظروا.»

فنظروا فوجدوا جِذمَها، فقالوا: «جِذمٌ[٦]، ولانرىٰ شجرةً.» فقال: «احتفروا حيث شئتم.»

---

١) كذا فى مط. وفى الطَبرى: الفذُّ الراكب (٤:٢١١٢). ٢) كذا فى مط، وفى الطبرى: لايختلفنّ.
٣) وفى الطبرى: انت رجلٌ قدجمع الله لك الخير فشأنك. ٤) سُوىٰ: ماء لبهـراء من ناحية السَّماوة. ٥) مط والطَبرى: عَلَمين (٤: ٢١١٣). وانظر ابن الأثير (٢: ٤٠٨). ٦) الجِذم والجَذم: الأصل والمنبت.

فاستثاروا أو شالاً[1] وأحساءً[2] رَواءً[3]. فقال رافعُ:

ـ «أيّها الأمير، ماوردتُ هذا الماءَ منذ ثلاثين سنةً، وماوردتُه إلاّ مرّةً وأنا غلامٌ مع أبى.»

فانحاز خالدُ من سُوىٰ على مُصَيَّخ[4] بَهراءَ، وإنّهم لغارّون وناسُ منهم يشربون خمرًا لهم فى جفنةٍ قد اجتمعوا عليها ومغنّيهم يقول:

ألا عَلِّلانى قَبلَ جَيشِ ابىبكرِ   لَعلَّ مَنايانا قَريبٌ وَما نَدرى
أظُنُّ خُيولَ المسلمينَ وخالدًا   سَيَطرقُكم قَبلَ الصَّباحِ مِنَ البِشرِ[5]
فهل لَكُمُ فى السَّيرِ قَبلَ قِتالِهِم   وقَبلَ خُروجِ المُعصِراتِ مِنَ الخِدرِ

فيزعمون أنّ مُغنّيهم قُتل، وسالَ دمُه فى الجَفنةِ عند الغارة. وقال شاعرُ المسلمين: [319]

لله عَينَا رافعٍ أنّى اهتدىٰ   فَوَّزَ[6] مِن قُراقرٍ[7] إلىٰ سُوىٰ
خِمسًا[8] إذا ماساره الجَيشَ بكىٰ   ما سارها قبلَك إنسىٌّ أرىٰ

فلمّا انتهىٰ خالدُ إلى سُوىٰ أغار على أهله وقد خلّف ثغورَ الرُّوم وجنودَها مِمّا يلى العراق، فصار بينهم وبين اليرموك، ثمّ صمد لهم الطّريقَ حتّىٰ صار إلى دمشق، ثمّ مَرَجَ الصُّفر. فلقىَ غسّانَ وعليهم الحارث بن الأيهَم، فانتسف عسكرَهم وعيالاتِهم وبعث بالأخماس إلى أبى بكر، ثمّ خَرج حتّىٰ نزل مياه بُصرىٰ، فكانت أوّل مدينةٍ فتحها خالدُ من الشّام بمن معه من جُنود العراق، فخرج منها فوافىٰ المسلمين بالواقوصةِ فى عشرة آلافٍ.

ولمّا تراءَى العسكران بعثَ القيقلار[9] أخو ملكِ الرُّوم ـ وهو صاحب الجيش ـ رجلاً عربيًّا من قُضاعةَ وقال له:

ـ «أُدخُل فى هؤلاءِ القوم، فاقِم فيهم يومًا وليلةً، ثمّ ائتِنى بخبرهم.»

فدخل فى النّاس رجلُ عربىُّ لايُنكَر، فأقام فيهم، ثمّ أتاه.

---

١) الوَشَل: الماءُ القليل يتحلّب من جبلٍ أو صَخرٍ ولا يتصل قَطرُه. والوَشَل أيضًا: الماء الكثير ـ ضدُّ. ٢) والأحساءُ: جمعُ مُفردهُ حَسْىٌ، وحِسْىٌ وحِسًى: سهلٌ من الأرض يُستنقع فيه الماء، وقيل: غِلَظٌ فوقَه رملٌ يجمع ماءَ المطر وكلّما نزحت دلوًا اجتمعت أخرى. ٣) الرُّواءُ: الماء العذب. الكثير المُروى. ٤) مضيح بهراء: ماءٌ بالشّام.
٥) وما فى مط: من النّشر. والبِشر من منازل تغلب بن وائل (الأيام: ٢٠٨). ٦) فوّز الرّجل: دخل المفازةَ.
٧) قُراقِر: وادٍ لِكلبٍ بالسّماوة من ناحية العراق، نزله خالد بن الوليد عند قصده الشّامَ. قُراقِر، جنو قُراقِر، وجنوذى قار، وذات العجرم، والبطحاء، كلّها حول ذى قارٍ (يا). ٨) الخِمس: من الفلوات مابَعُد ماؤها حتّىٰ يكون ورود الإبل فى اليوم الخامس، والخِمس أن تَرِدَ الإبلُ الماءَ فى اليوم الخامس من ورودها السابق. ٩) فى الطبرى: القُبُقلار، وفى حواشيه: القنقلال، القنقلار، القيقلان، القلنقار (٤: ٢١٢٥).

فقال: «مَهْ، ماوراءَك؟»

قالَ: «هُم رهبانٌ بالليل فرسانٌ [320] بالنّهار، لوسرق ابنُ مَلِكهم قطعوا يدَه، ولو زنىٰ رجمُوه إقامةً للحدّ.»

فقال القيقلارُ: «لئن كنتَ صادقًا لبطنُ الأرضِ خيرٌ من لِقاءِ هؤلاءِ علىٰ ظَهرِها.»

[المثنّى بنُ الحارثة والفُرس]

فامّا المثنّى بن حارثة، فكان مِن حديثِه بعدَ خالدِ بن الوليد: انّ الفُرسَ اجتمعوا على شهربراز ابن أردشيرَ بنِ شهريارَ بنِ أبرويزَ، وجَدوهُ بميسان، فوجَّهَ إلى المثنىٰ جُندًا عظيمًا عليهم هُرمُزُ المعروف بِجاذُوية فى عشرةِ آلافٍ، ومعه فيلٌ، فكتبتِ المَسالحُ بإقبالِه، فخرج المثنىٰ مِن الحيرة، وضمَّ إليه المَسالحَ.

وكتبَ شهربَراز إلى المثنّىٰ:

ـ «إنّى قد بعثت إليك جُندًا من وَحشِ اهل القُرىٰ إنّما هم رُعاةُ الدّجاجِ والخنازير، وَلستُ اقابلك إلاّ بهم.»

فاجابَهُ المثنىٰ:

«من المثنّى إلى شهربَراز، إنّما انت احدُ الرَّجلين: إما باغٍ، فذلك شرٌّ لك وخيرٌ لنا، وإمّا كاذبٌ، فاعظم الكاذبين فضيحةً وعُقوبةً عنداللهِ والنّاسِ المُلوكُ، وامّا الّذى يَدُلّنا عليه الرأىُ، فانّكم إنّما اضطُررتم إليه، فالحمدُ للهِ الّذى ردَ كيدَكُم إلى رُعاةِ الدّجاج [321] والخنازير.»

فلمّا وقف الفُرسُ علىٰ كِتابه جزعوا وقالوا:

ـ «إنّما أُتِيَ شهربراز مِن لُؤمِ منشأيهِ.[1]»

وقالوا لَهُ: «جرّأتَ علينا عدوَّنا بما كتبتَ إليه، فإذا كاتبتَ احدًا فاستشر.»

ثمّ التقوا ببابِل، فاقتتلوا بعُدوةِ الصَّراة[2] الدنيا قتالاً شديدًا.

ثمّ إنّ المثنّى وناسًا مِنَ المسلمين اعتوَرُوا الفيلَ، وكان يفرّقُ بين الصُّفوف والكَراديس، فاصابوا مقتلَه، فقتلوه، وهزموا اهلَ فارسَ واتّبعَهم المسلمون يقتلونهم حتّىٰ جازُوا بهم مسالحهم، وطلبُوا الفَلّ[3] حتّىٰ بلغوا المدائنَ. ومات شهربرازُ مُنهزمَ[4] هرمُزَ جاذوية، واختلف اهلُ

---

١)مط: «متشابه». ٢) انظر الطبرى ٤:٢١١٧. ٣) الفَلّ: المنهزم، للواحد والجمع. انظر الطبرى: ٤: ١٨-٢١١٧. ٤) اى وقتَ انهزامِ هُرمُز. أنظر ايضًا الطبرى: ٤: ٢١١٩.

فارسَ بعدَه، وأبطأ خبرُ أبی‌بکرٍ علی المسلمین لِمَرَضِه.

فخرَجَ المثنّی نحوَ أبی‌بکرٍ لِیُخبِرهُ خبر المسلمین ویستأذنَه فی الاستعانة بمن ظهرت تَوبتُه من أهل الرِّدَّةِ ـ وکانَ أمرَ أبوبکرٍ ألاّ یُستعانَ بِهم ـ ولِیُخبِرَه أنّه لم یُخلِّف أحدًا أنشطَ لقتالِ فارس ومعونةَ المهاجرین منهم. فقدم المدینةَ واستخلف علیٰ عسکره بشیربن الخصاصیّة[1] [322] فوجَد أبابکرٍ ـ رضی‌الله عنه ـ مریضًا مرضَه الّذی مات فیه، فأخبرهُ الخبرَ.

فدعا أبوبکرٍ عُمرَ ـ وکان قد عقَدَ لَهُ ـ فقال:

ـ «یا عُمرُ، إسمع ما أقول لک، ثمّ اعمل علیه. إنّی أظنُّ أن أموتَ مِن یومی هذا ـ وذلک یوم الاثنین ـ فإن أنا متُّ، فلاتُمسینَّ حتّیٰ تندبَ النّاسَ معَ المثنّی، ولا تشغلنَّکم مُصیبةٌ ـ وإن عظُمت ـ عن أمر دینکم، ووصیّةِ ربِّکم، وقد رأیتَنی متوفّی[2] رسولِ اللهِ ـ صلّی‌الله علیه ـ وما صنعتُ، ولم یُصَبِ الخَلقُ بمثلِه. وباللهِ لو أنّی أنی عن أمرِ اللهِ لخَذَلنا ولاضطرمتِ المدینةُ نارًا. وإن فتح اللهُ علی أمرائنا فارُدد أصحابَ خالدٍ إلی العراقِ، فإنّهم أهلُه وَوُلاةُ حدِّه، وأهل الضَّراوَة بهم، والجراةِ علیهم.»

ومات أبوبکرٍ رضی اللهُ عنه مع اللّیلِ، وندبَ عُمرُ النّاسَ مع المثنّی. وقال عمر:

ـ «کانَ أبابکرٍ عَلِمَ أنّه یَسوءُنی أن أوَمِّر خالدًا علی العراق حینَ أمرنی بِصَرفِ أصحابِه، وتَرکَ ذِکرَهُ.»

وتشاغل أهلُ فارسَ فیما بینهم عن إزالة المسلمین عن السَّوادِ فیمابین خلافة أبی‌بکرٍ إلی قیامِ عُمر، ورُجوعِ [323] المثنّیٰ مع أبی عُبیدٍ[3] إلی العراقِ، وکان جُمهورُ جُندِ العراق بالحیرةِ بالسَّیبِ[4] والغاراتُ تنتهی بهم إلی شاطیء دجلةَ، ودجلةُ حجازٌ بین العربِ والعَجَمِ.

اسماءُ کُتّابِ ابی‌بکر رَضِیَ اللهُ عَنهُ

کتب لأبی بکرٍ رَضِیَ‌اللهُ عنهُ: عثمانُ بنُ عُفّان، وزیدُ بنُ ثابتٍ، وعبدُاللهِ بنُ الأرقمِ، وحنظلةُ ابن الرَّبیعِ.

□□□

۱) الأصل: غیر واضح. مط: الحصافة. وما أثبتناه یؤیّده الطّبری (٤: ٢١٢٠). ۲) ای: حینَ تُوُفّی رسولُ‌الله.
۳) وقد وردت هذه الکنیة بکلا الوجهین: («أبوعبید»، «ابوعبیدة») فی مواضع من النّصّ. ٤) کورةٌ من سواد الکوفة، وهما سیبان: الأعلی والأسفل من طسّوج سورا عند قصر ابن هبیرة (یا).

[مِمّا حدث فى خلافة عُمر]

[عُمر يُقاسم خالدًا مالَهُ]

فلمّا اســتُخلِفَ عُمرُ كان اوّل ماتكلّم به عزل خــالد بن الوليد. وكتبَ إلى ابى عُبيدة بتأميره عليه، وقال له:

ـ «أدعُ خالدًا، فإن اكذَبَ نفسَه فى حـديثٍ تكلّم به خـالدُ فهــو اميرُ علىٰ ماهو عليه، وإن لم يُكذِب نفسَه فانت الأميرُ. ثمّ انزع عمامتَه عن راسِه، وقاسِمهُ مالَهُ نِصفين.»

فلمّا ذكر ذلك أبوعبيدة لخالدٍ قال:

ـ «أنظِرنى استشِر فى امرى.»

ففعلَ أبوعبيدةَ. فدَخَلَ خالدُ على اختِه فاطمةَ بنتِ الوليد، وكانت عند الحارث بن هشام، فـذكر لها الحديث، فقالت:

ـ «واللهِ لا يُحبّك عُمرُ ابدًا، وما يُريدُ إلاّ أن تُكذبَ نفسَك ثُمّ ينزعك.»

فقبّلَ راسَها وقال:

ـ «صَدَقتِ.»

وتمّ على امره وابىٰ [324] أن يُكذِبَ نفسَه.

فقام بلالُ مولىٰ ابى‌بكرٍ، فقال:

ـ «ما اُمِرتَ به فى خالدٍ؟»

قال: «اُمِرتُ أن انزعَ عمامَتَهُ واقاسِمَهُ مالَهُ.»

ففَعلَ، وقاسمَهُ مالَهُ حتّىٰ بقيت نَعلاهُ. فقال ابوعبيدةَ:

ـ «إنّ هذا لايصلح إلاّ بهذا.»

فقال خالدُ: «أجل، وما انَا بالّذى اعصى اميرَ المؤمنين. فاصنع مابَدا لَكَ.»

فأخذَ نَعلاً واحذاهُ نعلاً.

ثمَّ قدم خالدُ المدينةَ على عُمرَ. فكان كلّما مرَّ بخالدٍ، قال:

ـ «ياخالدُ أخرج مالَ المسلمينَ مِن تحتِ إستِكَ.»

فيقول: «واللهِ ماعِندى مالٌ لهم.»

فلمّا أكثر عليه عُمرُ قال لهُ خالدُ:

ـ «يا أميرالمؤمنين، قيمةُ ما أصبتُ فى سلطانكم أربعونَ ألفَ درهمٍ.»

قال عمرُ: «قد أخذتُ ذلك منك.»

قال: «هُوَ لك.»

قال: «أخذتُه.»

ولم يكن لخالدٍ مالٌ إلاّ عُدّةٌ ورقيقٌ. فحُسِبَ ذلك، فبلغت ثمانينَ ألفَ درهمٍ، فناصفه عمرُ على ذلك وأعطاهُ أربعينَ ألفَ درهمٍ وأخَذَ مالَه.

فقيل: «يا أميرالمؤمنين، لورَدَدتَ على خالدٍ مالَه.»

فقال: «إنّما أنا تاجرٌ للمسلمين. والله لا أرُدُّه عليه أبدًا.»

فكان عمرُ يَرىٰ أنّه [325] قد اشتفىٰ مِن خالدٍ حينَ صَنَعَ به ذلك.

[من حديث خالدٍ وفتحِ دِمَشق]

وكانَ خالدُ قبل أن ينقضىَ حربُ الرُّوم، على مقدّمةِ خيلِ أبى عُبيدة، وهو الّذى فتحَ دِمَشق بيتَ المملكة. وكانَ مِن حديثِه أنّ عُمرَ كاتَبَ المسلمين عندما هزَموا الرُّومَ باليرموك: أن يقصدوا لدِمَشق، فإنّها مَقرُّ عِزّ الرُّوم، وأن يشغَلُوا أهلَ فِحلٍ[١] وفلسطين، وأهلَ حمصٍ بخيلٍ تكون بإزائهم. فإن فتَحَها اللهُ قبلَ دِمَشق فذاك؛ وإن تأخَّرَ فتحُها حتّىٰ تفتحَ دمشق، فلينصرف أبوعُبيدة وخالدُ إلى حِمصٍ، وعَمرُو إلى فلسطين. وكان أبوعُبيدة بعثَ ذا الكَلاع لِيكونَ بين دِمَشق وحمصٍ رِدءًا. ففَعَل أبوعُبيدة كما أمرَهُ، وقدّم خالدًا ـ وهِرَقلُ يومئذٍ بحِمص ـ فحاصرَ أهلَ دِمشق حِصارًا شديدًا نحوًا من سبعينَ ليلةً، وقاتلوهم بالمجانيق وهم معتصمون بالمدينة، يرجُون الغياثَ مِن هِرَقل. وجاءت خُيولُ هِرَقل مغيثةً لأهلِ دمشق، فاشجَتها خُيولُ ذى الكلاعِ

١) فحل: موضع بالشام، كانت للمسلمين مع الرُّوم به وَقعةٌ، قُتِلَ فيها ثمانون ألفًا من الرُّوم، وهى مشهورةٌ. وتسمّى «يوم فحلٍ»، كما تُسمّى «يومَ الرَّدغةِ» و «يومَ بَيسان» (مع).

وشغَلَتها عن النّاسِ.

فلمّا أيقنَ أهلُ [326] دمشق انّ الأمداد لاتصل إليهم فشلوا، وطمع فيهم المسلمون، وكانوا يَرَونَ أنّها كالغارات قبلَ ذلك إذا هَجَم البردُ قَفَلَ[1] النّاسُ، فسقط النَّجمُ[2] والقوم مُقيمون. فعند ذلك انقطع رجاؤهم ونَدِموا على دُخول دِمَشق.

[اتّفاقٌ جيّدٌ لِلمُسلِمينَ]

وكان من الاتّفاقِ الجيّدِ للمسلمين: أن وُلِدَ للبطريق الّذى على أهلِ دمشق مَولودٌ. فصنعَ طعامًا، فأكل القومُ وشربوا، وغفَلوا عن مواقفهم، ولا يشعُر بذلك أحدٌ مِنَ المسلمينَ إلاّ ماكانَ مِن خالدٍ، فإنّه كان لايَنام ولايُنيم، ولا يخفىٰ عليهِ شىءٌ مِن أمورِهم، عُيونُه ذاكيةٌ، وجواسيسُه مُفرّقةٌ، وهو مَعنىٌ بما يليه. وكانَ كلُّ جانبٍ من المدينةِ إلى قومٍ. وكانَ قد اتّخذَ خالدٌ حِبالاً كهيئةِ السّلاليمِ وأوهاقًا. فلمّا أمسىٰ ذلك اليَوم وعَرفَ خبرَ القومِ نهد هو ومَن مَعه من جُندِهِ الّذين قدِمَ بهم، وتقدّمَهُم هو والقعقاعُ بنُ عَمرو ومَذعورُ بنُ عَدِىٍّ [327] وأمثاله مِن أصحابه فى أوّلِ نومةٍ وقالوا:

ـ «إذا سَمِعتُم تكبيرَنا على السُّورِ فَارقَوا إلينا وانهدوا للبابِ.»

فلمّا انتهىٰ إلى البابِ الّذى يَليه هو وأصحابُه المتقدّمونَ، رَمَوا بالحِبالِ الشُّرَفَ وعلى ظهورِهم القِربُ الّتى قطعوا بها خَندقَهُم. فلمّا ثَبتَ لَهُم وَهَقانِ تسلّق فيهما القَعقاعُ ومَذعورٌ. ثمّ لم يَدَعا أحبولةً إلاّ أثبَتاها والأوهاقَ بالشُّرَف، وكان المكانُ الّذى اقتَحَمُوا منه أحصَنَ مكانٍ بدِمَشق، أكثَرَهُ ماءًا وأشدَّه مَدخلاً. ولم يَبقَ مِمَّن خرَج مع خالدٍ تلك اللّيلةَ أحدٌ إلاّ رَقىٰ أو دَنا من الباب، حتّىٰ إذا استَوَوا عَلى السُّور حَدَرَ عامّةَ أصحابه وانحَدَرَ معهُم، وخلَّف مَن يَحمِى ذلك المكانَ لِمَن يَرتَقِى، وأمرَهُم بالتّكبير. فكبّر الّذين عَلَى السُّور، فَنَهَدَ المسلمونَ إلى البابِ، ومالَ إلى الحِبالِ بَشَرٌ كثيرٌ فَوَثَبوا فيها. وانتهىٰ خالدٌ إلى أوّل مَن يَليهِ، فأنامَهُم، وانحدرَ إلى البابِ، فقتَلَ البَوّابين، وثارَ أهلُ المدينةِ، وفزِعَ سائر النّاسِ، فأخَذُوا مَواقِفَهم ولايَدرُونَ [328] ما الشّأنُ، وتشاغل كُلُّ ناحيةٍ بمايَليهم، وقطع خالدُ بنُ الوليدِ ومَن معهُ أغلاقَ البابِ بالسُّيوفِ، وفَتَحُوا للمسلمين، فأقبَلوا عليهم من داخل، حتّىٰ مابَقِىَ مِمّايلى بابَ خالدٍ مقاتلٌ إلاّ أُنيم.

---

١) مط: فقتل فى النّاسُ. وفى الطبرى أيضًا: قفل (٤: ٢١٥٢).

٢) النّجمُ: السُّعال. سقط النّجمُ: أقبلَ. وهذا مِن قولهم: «سقَطَ الحَرُّ أو البَرد»: أقبَلَ (مو). وفى الطّبرى: النجم (نفس الصّفحة).

ولمّا شدّ خـالدُ علىٰ مَن يليه، وبَلغَ منهـم ما أرادَ عَنوةً، وأرَزَ[1] مَن افلت إلى أهلِ الأبواب الّتى تلى غيرَه، دَعَوا المسلمين إلى الصُلحِ. فأجـابُوهُم وقَبِلوا منهـم ولايَدرون بماكان من خـالدٍ. ففتحوا لَهم الأبوابَ وقالوا:

ـ «ادخُلوا، وامنعونا من أهلِ ذلك الباب.»

فدَخَلَ أهلُ كُلّ بابٍ، بِصُلحٍ[2] من يَليهِم، ودخَل خالدٌ بمايليهِ عَنوةً. فالتقىٰ خـالدُ والقُـوّادُ فـى وَسَطِها، هذا استعراضًا و انتهابًا، وهذا صلحًا وتَسكينًا. فأجرَوا ناحيةَ خالدٍ مُجرَى الصُلح.

ولمّا فرغ المسلمون من فتح دِمشق، ساروا إلى فِحلٍ وبَيسـان، ولاقَـوا حـربًا شـديدًا، وافتَتَحُوها بعدَ شدائدَ وبأسٍ كثيرٍ.

[عُمرُ وانتدابُ ابى عُبيد للخروج إلى فارس]

فأمّا خبرُ فارسَ، فإنّ عُمَرَ نَدبَ النّاسَ معَ المُثَنّى بن حارثة، وقد ذَكرنا فيما تقدّم قُـدومَ المثنّىٰ على ابى‌بكرٍ [329] ووَصـاة[3] ابى‌بكـرٍ عُمَرَ بِه. فلم ينتدِب أحـدٌ معَ المثنّىٰ. وذاك أنّ هذا الوجـهَ أعنى فارِسَ كانت أكرهَ الوجُوهِ إلى النّاس، لِشدّةِ بأسِ الفُـرسِ وعِظَمِ شـوكتِهم، وقهـرِهِم الأُمَمَ.

فكانَ المثنّىٰ يُحَرّضُ النّاسَ ويقول:

«أيُها النّاسُ، إنّا قد غلبناهُم على نِصفِ السّوادِ، وقد ضَرِىٰ مَن قِبلَنا، واجترأنا عليهـم، ولنا مِن بعدُ ما ينتظرُهُ المسلمُ مِن الكافرِ.»

وقام عُمَرُ فى النّاسِ، وخَطَبَهُم، وحضـّهُم وأذكَرَهُم وَعدَ اللهِ فـى كتابه أن يورِثَهـم الأرضَ، وقولَه عزّوجلّ: «لِيُظهِرَهُ عَلىَ الدّينِ كُلِّهِ، وَلَو كَرِهَ المشركون.»[4] اين «عبادُاللهِ الصّالحون؟»[5]

فكانَ اوّلَ مَن انتدبَ أبوعُبيد ابن مسعودٍ الثّقفى، وقال: «أنا لَها.» ثمّ سَليطُ بنُ قيسٍ.

فلمّا اجتمع ذلك البَعثُ قيل لِعُمَرَ:

ـ «أمّر عليهم رجلاً من المهاجرين والأنصارِ.»

---

١) أرَزَ إلى المكان: لَجأ إليه. ٢) والعبارة فى الطّبرى: «فدخل أهلُ كلِّ بابٍ بصلحٍ مِمّايليهم، ودخل خـالدٌ ممّا يليه عنوةً....» وفى هامش الطبرى: «بصَلحٍ مايليهـم.» و: «بصـلحٍ مَن يليهـم» (٤: ٢١٥٣). ٣) مط: وصـى. الوصاةُ: الوصيّة، جمعُها: وَصَى. ٤) س ٩ التوبة: ٣٣. ٥) إشارة إلى قوله تعالى: «وَلَقَد كَتَبنا فى الزّبُور من بَعدِ الذّكرِ، أنّ الأرضَ يَرِثُها عِبادِىَ الصّالِحُونَ.» (س ٢١ الأنبياء: ١٠٥).

قال: «لا واللهِ لا افعلُ. إنّما رفعكم اللهُ بسَبقِكُم إلى الجهادِ، وسُرعتِكم إلى العدُوِّ. فإذا جَبُنتُم وكَرِهتُمُ اللِقاءَ، واثّاقَلتُم إلى الأرض، فأولىٰ بالرئاسةِ مِنكم مَن سبقَ إلى الدَّفعِ، وأجابَ إلى الدُّعاءِ. [330] لا واللهِ، لا اؤمِّرُ عليهم إلاّ اوّلَهم انتدابًا.»

ثمّ دَعا اباعُبيدٍ وقال له:

ـ «اسمع مِن اصحابِ رسُول اللهِ ـ صلّى اللهُ عليه ـ، واشركهُم فى الأمرِ. ولا تُسرِعَنَّ حتّىٰ يتبيَّنَ. فإنّها الحربُ، والحربُ لا يَصلحُ لَها إلاّ الرَّجُلُ المَكيثُ الّذى يَعرفُ الفُرصةَ.»

وقال لأبى عبيدٍ:

ـ «إنّه لم يَمنعنى أن اؤمِّرَ سَليطًا إلاّ سُرعتُه إلى الحربِ، وفى التَّسرُّعِ إلى الحَربِ ضَياعٌ إلاّ عَن بَيانٍ.»

[قُدومُ ابى عُبيدٍ مع المثنّى]

[بعد استخراج الفرس يَزدجردَ وتتويج بوران رُستَمَ]

فقدِمَ أبوعُبيدٍ ومعهُ المثنّى بنُ حارثة، وقد استَخرجَ الفُرسُ يزدجردَ. وكانت بورانُ عَدلاً[1] فى ما بينَهم، لمّا افتتنت الفُرسُ وقُتل الفَرُّخزاذُ بنُ البِندوان. وكان سياوخشُ قَدِم، فقتل آزرمىدُخت. وذلك فى غيبةِ المثنّىٰ. وكانَ شُغلُ الفُرسُ طُولَ غيبته فى ما بينَهم. وكانت بُورانُ دَعَت رُستَمَ، وشكَت إليه تضَعضعَ فارسَ، ودعتهُ إلى القيامِ بامرِهم، وتوّجَتهُ.

فقال رُستَمُ: «أنَا عَبدٌ سامعٌ مُطيعٌ.»

فولّتهُ امرَ فارسَ وحَربَها، وأمرت فارسَ أن يَسمعوا لهُ ويُطيعُوا. فقتَل رُستَمُ سياوَخشَ، ودانت له الفُرسُ، وذلك بعد قُدومِ أبى عبيدٍ.

ثمّ إنّ عُمَرَ [331] لمّا فَصَل المثنّىٰ وأبا عُبيدٍ[2]، استعجَلَهُما، وقال لهما:

ـ «النَّجا، النَّجا، بمَن معكم، فإنّى مُمِدُّكم بالنّاسِ.»

ثمّ ندبَ أهلَ الرِّدّةِ، وأذِنَ لهُم فى الغَزو، ورَمىٰ بهم العِراقَ والشّامَ.

فقدِمَ المثنّىٰ قبلَ أبى عُبيدٍ بنصفِ شهرٍ، ونزلَ خَفّانَ[3] لئلاّ يُؤتىٰ مِن خَلفِه بِشىءٍ يكرهُه. وكتبَ رُستَمُ إلى دَهاقين السَّوادِ: أن يَثوروا بالمسلمين. ودَسَّ فى كُلِّ رُستاقٍ رَجُلاً ليثورَ بأهلِه.

---

١) وفى الطَبرى (٤: ٢١٦٣): .. وقد كانت بُورانُ أهدَت للنّبىِّ(ص) فقَبِلَ [هديَّتَها]. ٢) فى الأصل: «ابوعبيدٍ» وما اثبتناه يوافق مط. ٣) خَفّان (بالفتح والتّشديد): موضعٌ قُربَ الكوفة، فوقَ القادسيّة (مع).

وبلغ ذلك المثنّى، وعَجِل جابان، وكان اجتمعَ إليه بَشرٌ كثيرٌ، بالنّمارقِ[١]، ولحقَ أبوعبيدٍ، فاجمَ النّاسَ، ثمّ تعبّىٰ: فجعلَ المثنّى على الخَيل، وعبّى الميمنةَ والميسرةَ. فنزلوا على جابانَ بالنّمارقِ، فقاتَلهم قتالاً شديدًا، ثمّ انهزم جابان، فأُسِرَ. فكان آمَنَهُ مَن أسَرَهُ، فخلّى عنه أبوعبيدٍ. فأخبَروهُ أنّه مَلِكٌ. فأشاروا بقَتلِه. فأبىٰ أبوعُبيدٍ، وقال:

- «إنّ المسلمينَ فى التّوادُ والتّناصُر كالجَسَدِ الواحدِ، مالزمَ بعضَهُم فقد لزم كلَّهم.»

قالوا: «إنّه مَلِكٌ.»

قال: «وإن كان، لاأغدِرُ.»

فتَرَكَهُ، وقَسَم الغَنائمَ، وكان فيها مالٌ وعِطرٌ [332] كثيرٌ، وبَعَثَ بالأخماسِ إلى عُمَرَ.

[السّقاطيَة بِكَسكَر]

وثار نَرسى بِكَسكَر، وكان رُستَمُ أمرهُ بذلك. ونَرسى هذا ابن خالة كِسرىٰ، وكانت كسكرُ قطيعةً لهُ، وكان النّرسيان لهُ يَحميه لا يأكلُه ولا يشربُه ولا يغرسُه غير آلِ كِسرىٰ إلاّ مَن أكرموهُ بشىءٍ منه.

فلمّا انهزمت الفُرسُ يومَ النّمارق اجتمعت الفالّة إلىٰ نَرسى، وهو فى عسكره، ونادىٰ أبوعُبيدٍ بالرّحيل، وقال للمُجرّدَةِ:

- «اتّبعوا الفالّةَ حتّىٰ تُدخلوهُم عسكرَ نَرسى أو تُبيدوهُم.»

ومَضىٰ أبوعبيدٍ حين ارتحل من النّمارقِ حتّىٰ ينزلَ على نَرسى بكسكر - ونَرسى يومئذٍ بأسفَلِ كسكر، والمثنّىٰ معهُ فى تعبئتِهِ الّتى قاتل فيها جابان؛ ونَرسى على مُجَنِّبَتَيهِ ابنا[٢] خالِه وهما: إبنا خالِ كِسرى بِندويه وتيرويه إبنا بَسطام؛ وأهلُ بارُوسما ونَهر جوبَر والزّوابى معه إلى جُندِه.

وكان قد أتى الخبرُ بورانَ ورُستَمَ بهزيمةِ جابانَ. فبعثوا الجالنوس[٣]، وبلغَ ذلك نَرسى ومَن معَهُ، فرَجَوا أن يَلحقَ قبلَ الوقعةِ، وعاجَلهم أبوعُبيدٍ، فالتقَوا أسفلَ من كسكر فى مكانٍ يُدعىٰ السّقاطية، فاقتتلوا فى صَحارىٰ[٤] مُلسٍ قِتالاً [333] شديدًا.

---

١) النّمارق: موضعٌ قرب الكوفة (مع). ٢) كذا فى مط: إبنا خاله. وانظر أيضًا الطّبرى: ٤: ٢١٦٩.

٣) فى الأصل ومط: فبعثوا الجالنوس. وفى الطّبرى: فبعثوا إلى الجالنوس. ٤) فى الأصل ومط: «فى صحار» فأثبتناها «فى صَحارىٰ» - كما فى الطبرى (٤: ٢١٦٩)- بإثباتِ الياء. لأن الكلمة ممنوعةٌ من الصّرف، فهى مفتوحةٌ فى حالة الجرّ، وغير منوّنة، فلا التقاءَ لساكنَين ولا حذفَ، ولا يقاس بقولك: «فى وادٍ».

ثمّ انهزم نَرسى، وقُتِلَ أصحابُه، وغُلِبَ على عسكرِهِ وأرضِهِ، وجَمعَ أبوعُبيدٍ الغنائمَ. وهناك رأى المسلمونَ مِن الأطعمةِ ما لم يَرَوا مثلَهُ، وأُخِذت خزائنُ نَرسى. فلم يكونوا بشىء أفرحَ منهم بالنَّرسيان. لأنّه كانَ حِمىً، فاقتسموه، وجَعَلوا يُطعمونه الفلاّحين، وبَعَثوا بخُمسِهِ إلى عُمَرَ، وكتبوا إليه:

«إنَّ اللهَ أطعمَنا مطاعِمَ كانت الأكاسِرة يَحمُونَها، وأحببنا أن تَروها، وتشكُروا إنعامَ اللهِ وإفضالَهُ.»

وأقام أبوعبيدٍ، وسرَّحَ المثنّىٰ إلى باروسْما، وعاصمًا إلى نهرجوبَر. فأخرَبُوا، وسَبَوا، وهربَ ذلك الجندُ إلى الجالنوس. وسار أبوعُبَيدٍ واستقبلَهُ الجالِنوس، فنهد إليه أبوعُبيدٍ فى المسلمين على تعبئتِه. فهزمَهُم المسلمون، وهرب الجالنوسُ، وأقام أبوعُبيدٍ[1] قد غلبَ على تلك البلادِ.

ولمّا رجع الجالنوس إلى رُستَم ومن أفلت معه قال رستم:

ـ «أىُّ العجمِ أشدُّ على العرب؟»

قال: «بهمن جاذَوَيه.»

وهو ذوالحاجب. فوجَّههُ ومعه فِيَلَةٌ، وردَّ معهُ الجالنوس، وقال لَهُ:

ـ «قدِّمِ الجالِنوسَ، فإن عاد لِمثلِها [334] فاضرب عُنقَه.»

فاقبلَ بَهمنُ جاذَوَيه ومعَه «دِرَفشِ كابِيان». وكانت مِن جُلودِ النَّمرِ، عَرضَ ثَمانى أذرُعٍ، وطولَ اثنَى عَشرَ ذِراعًا. واقبل أبوعبيدٍ، ونزل المَروحَةَ موضعَ البرجِ والعاقولِ.

فبعث إليه بَهمَن جاذَوَيه: «إمّا أن تعبُروا إلينا ونَدَعكم والعُبورَ، وإمّا أن تَدَعُونا نعبُر إليكم.»

فقال النّاسُ: «لاتعبُر يا باعُبَيدٍ[2]! ينهاك عَنِ العُبورِ، قل لهم: فليعبروا!»

وكان مِن أشدِّ النّاسِ عليه فى ذلك سَليطٌ.

فلجَّ أبوعبيدٍ، وقال: «لا يكونون أجرأ على الموتِ مِنّا، بل نعبرُ إليهم.»

فعبَروا إليهم فى منزلٍ ضَيِّقِ المُطَّردِ. فاقتتلوا يومًا، حتّىٰ إذا كان آخر النّهارِ، واستبطأ رجلٌ من ثقيفٍ الفتحَ، ألَّفَ بين النّاسِ، فتصافحُوا بالسُّيوفِ فى أهل فارِسَ، وأصيبَ منهم سِتَّةُ آلافٍ فى المعركةِ ولم يَبقَ إلاّ الهزيمة. فحَمَل أبوعبيدٍ على الفيلِ، وضربَهُ، فخبطَ الفيلُ أباعبيدٍ، وقام

---

١) كذا: قد غلب بدون «و» كما فى الطبرى أيضًا (٤: ٢١٧٢).

٢) كذا فى الأصل ومط وفى الطبرى: يا أباعُبيدٍ (٤: ٢١٧٥).

عليه، وجال المسلمون جولةً، ثمّ تَمّوا[١] عليها وركبهُم أهلُ فارسَ. [335]

[خطأ فى الرأى]

فكان من خَطأ الرأى والعجلةِ فيه[٢] أن بادر رجلٌ من ثقيفٍ الجسرَ فقطعَهُ. فانتهى النّاسُ إليه، والسّيوف تأخذهم من خلفهم، فتهافتوا فى الفُراتِ. فأصابوا يومئذٍ من المسلمين أربعةَ آلافٍ بين غريقٍ أو قتيلٍ، وحَمَى النّاسَ المثنّى وعاصمٌ ومذعورٌ، وقد كان سليطٌ ـ كما قدّمنا الخَبَرَ عنهُ ـ يناشِدُ أباعبيدٍ مع وُجوهِ النّاسِ، ويقولون[٣]:

ـ «إنّ العربَ لم تَلقَ مُذ كانوا، مِثلَ جنودِ فارسَ، وقد حفلوا لنا واستقبلونا من الزُّهاءِ والعُدّةِ، بما لم يَلقَنا به [أحدٌ] قبلُ، وقد نزلتَ منزلاً لنا فيه مجالٌ ومرجعٌ من فَرّةٍ إلى كرّةٍ.»

عبيدٍ، وخبطه وقامَ عليه. وتابع سبعةٌ من ثقيفٍ كلُّهم يأخُذُ اللّواءَ فيقاتلُ حتّىٰ يموتَ. ثمّ أخذ اللّواءَ

فقال سليطٌ: «أنَا واللهِ أجرأُ منك نفسًا، وقد أشرنا عليك بالرأى، فستعلم.»

[رؤيا رأتها امرأةُ أبى عُبيدٍ]

وكانت امرأةُ أبى عُبيدٍ رأت رؤيا وهو[٤] فى المروحة: أنّ رجلاً نزل من السّماءِ بإناءٍ فيه شرابٌ، فشربَ أبوعبيدٍ وابنُه وجماعةٌ من أهلِ بيتِه.

فأخبرت أباعبيدٍ، فقال:

ـ «هذه الشّهادةُ.»

وعَهِدَ أبوعبيدٍ إلى [336] النّاسِ، فقال:

ـ «إن قُتلتُ فعلىَ النّاسِ فلانٌ، فإن قُتِلَ فعليكم فلانٌ.»

إلى أن أمَرَ الّذين شربوا من الإناءِ على الولاءِ.

ـ ثمّ قال: «إن قُتِلَ أبوالقاسمِ فعليكم المثنّىٰ.»

ثمّ نهدَ بالناسِ وعَبَرَ، وعضَلَت[٥] الأرضُ بأهلِها، والتحَمتِ الحربُ. فلمّا نظرت الخيولُ إلى الفِيَلةِ عليها النّخلُ، والخَيلِ عليها التّجافيفُ، والفُرسانِ[٦] عليهم الشُّعُرُ[٧]؛ رأت شيئًا مُنكرًا لم ترَ

---

١) كذا فى مط والطبرى (٤: ٢١٧٥). وفى الأصل: «نموا». تمّ على الأمر: استمرّ عليه. ٢) «فكان... فيه» سقطت من مط. ٣) فى الطبرى (٤: ٢١٧٧): «.. فناشده سليطُ بن قيس ووُجوهُ الناس، وقالوا: إن العرب...». ٤) كذا فى الأصل ومط: وهو. وفى الطّبرى: وهى (٤، ٢١٧٨). ٥) فى مط: غَصّت. عضَلت: غَصّت. ٦) الكلمة غير واضحة فى الأصل، وما أثبتناهُ من مط ويؤيّده الطّبرى. ٧) «الشعر: غير مَشكولةٍ فى الأصل وضبطناها ←

مثله. فجَعَل المسلمون إذا حَمَلُوا لم تُقدِم خيلُهم، وإذا حمَلُوا على المسلمين بالفِيَلَةِ والجَلاجِل فرَّقَت بين كراديسهم لاتقومُ لها الخيلُ إلاّ على نفار. وخرقهم الفُرسُ بالنُّشّاب، وعَضَّ المسلمين الألمُ، وترجّل أبوعُبيدٍ، وترجّل معه النّاسُ، فصافحُوهم بالسُّيوفِ، فصارت الفِيَلَةُ إذا حملت دَفعتهُم.

فنادىٰ أبوعبيدٍ:

- «احتوشوا الفِيَلَةَ وقطّعُوا بُطُنَها[۱]، واقلبوا عنها أهلَها.»

وواثبَ هو الفيلَ الأبيضَ، فتعلّق ببِطانِه فقطّعه، ووقع الّذين عليه. وفعل القومُ مثلَ ذلك: فما تركوا فيلاً إلاّ حَطّوا رَحلَهُ وقتلوا [337] أصحابَهُ. وأهوى الفيلُ لأبی عُبيدٍ، فنَفَحَ مشفره بالسّيفِ، فاتّقاهُ الفيلُ بيدِه ووقع، فخَبَطهُ الفيلُ. وأخذ اللّواءَ، الّذی كان أمّره بعدَه. فقاتَل الفيلَ حتّىٰ تنحىٰ عنهُ، فاجترَّهُ إلى المسلمين، وأحرزُوا شِلوَه. ثمّ تَجَرثَمَ الفيلُ واتّقاه بيدِه، دأبَ أبی عبيدٍ، خبطه وقامَ عليه. وتتابع سبعةٌ من ثقيفٍ كلُّهم يأخُذُ اللّواءَ فيقاتلُ حتّىٰ يموتَ. ثمّ أخذ اللّواءَ المثنّیٰ وهَربَ عنه النّاسُ. فلمّا رأی عبدُالله بنُ مَرثَدٍ الثّقفیّ مايصنعُ النّاسُ، بادرهُم الجِسرَ، فقَطَعَهُ. فلمّا توافاهُ النّاسُ تهافتوا فی الفُراتِ، فغرقَ مَن لم يَصبِر، وقُتِلَ مَن صَبَرَ. وهذا الخبرُ تصديقُ لِدُريدٍ حيثُ قال: «إنّ المنهزمَ لايردُه شیءٌ.» ونادىٰ:

- «أيها النّاس! أنا دونَكم، فاعبُروا.»

وعقَدَ لهم الجِسرَ وقال:

- «لاتَدهَشوا اعبُرُوا على هينتِكُم، فإنّا لن نَدعَ الموضعَ ولَن نزايلَ حتّىٰ نراكُم من ذاك الجانب.»

وأُتِیَ بعبدِالله بن مَرثَدٍ، وكان يمنعُ النّاسَ من العُبورِ. فضَرَبَه المثنّیٰ وقال:

- «ما حَمَلَكَ على مافعلتَ؟»

قال: «ليُقاتِلوا.»

فلمّا ضُمّتِ السّفنُ، وعَبَرَ النّاسُ كان آخِر [338] مَن قُتِلَ عندَ الجسرِ سليط بنُ قيسٍ. وعَبَرَ المثنّیٰ، وحَمیٰ جانِبَه، واضطربَ عسكرُهُ، وارفضّ عنهُ أهلُ المدينةِ، حتّىٰ لَحِقوا بالمدينةِ، وتركَها

← حسب الطّبری. وجاءَ ضبطها فی بعض الأصول «الشّعر» أيضا.

۱) وفی بعضِ الأصول: وُضُنَها. والبُطُن جمعُ مفرده: البِطان: حِزامٌ يُشَدُّ على البطن. وأما الوُضُن فمفردُه: الوَضين: البِطان العريض المنسوج من سُيُورٍ أو شَعرٍ، وقيل: إنّ الوضين للهودج بمنزلةِ الحزامِ للسَّرج.

بعضُهُم فنزلوا البَوادى، وبقىَ المثنّىٰ فى قلّةٍ. ورامَهم ذوالحاجبِ فلم يقدِر عليهم لاعتراضِ الفراتِ، وقَطعِ الجسرِ.

وهلك يومئذٍ من المسلمين أربعة آلاف من بين قتيلٍ وغريقٍ، وهرب الفانٍ، وبقىَ مع المثنّىٰ ثلاثةُ آلافٍ، فكانَ الجميعَ كانوا تسعةَ آلافٍ. وجُرح المثنّىٰ جراحةً شديدةً، واثبِتَ فيه حَلَقٌ من دِرعِه هتكهُنّ الرُمحُ[١].

ولمّا بلغ عُمرَ ماصنعَهُ أهلُ المدينةِ، وأُخبرَ عمّن سار فى البلادِ استحياءًا من الهزيمةِ اشتدَّ عليه، ورحمهم، وقال:

«اللّهمَّ إنَّ كُلَّ مُسلمٍ فى حِلٍّ مِنّى، أنا فئةٌ لكُلِّ مُسلمٍ، يرحم اللهُ أباعبيدٍ، لَو انحاز إلىَّ لكنتُ فئةً لَهُ.»

فبينا ذوالحاجب يرومُ أن يعبرَ إلى المسلمين أتاه الخَبرُ باضطراب الفُرسِ. فرجع بعدَ أن ارفضَ عنهُ جندُهُ، وأتاهُ الخبرُ أنَّ النّاسَ فى المدائن ثاروا بِرُستَم، ونَقضُوا مابينَهم وبينَهُ، وصاروا فرقتين: الفَهلوج على رُستَم، وأهلُ فارسَ على الفَيرزان. [339]

ثمَّ إنَّ جابان ومَردانشاه خَرَجا حتّىٰ أخذا بالطَّريق وهم يَرَونَ أنّهم سيرفَضُون ولا يشعُرون بما جاء ذا الحاجب من فُرقةِ أهلِ فارسَ.

وبلغ المثنّىٰ فعلة جابان ومَردانشاه. فاستخلف على النّاسِ عاصِمَ بن عَمرو، وخرج فى جريدةِ خَيلٍ يُريدهما وظنّا أنّه هاربٌ، فأخذهما أسيرَينِ، وخَرجَ أهلُ أُلَيسٍ[٢] على أصحابهما، فأتَوه بهم أسرىٰ، وعقد المثنّىٰ لهم بها ذمّةً وقدَّمهُما وضرب أعناقَهما وأعناقَ الأسرىٰ، ثمّ رجع إلى عسكرِه. وكان جَرير بن عبدالله البجلى يسألُ قديمًا فى بَجيلة أن تُلتقطَ من القبائل، وكان النّبىُّ ـ صلّى‌الله عليه ـ وَعَدَهُ ذلك، فلمّا ولى عُمرُ دعاه بالبيِّنةِ، فأقامَها. فكتب له إلى عُمّالِه فى العربِ كلّها مِمّن كان فيه أحدٌ يُنسبُ إلى بجيلة فى الجاهليةِ، وثبت عليه فى الإسلام بغير ذلك، فأخرجوه إلى جَرير. فلمّا أُعطىَ جَريرٌ حاجَتَه فى استخراج بَجيلة من النّاسِ وجمعِهم، أخرجوا إلى المثنّىٰ مددًا لَهُ. وكتبَ عُمرُ يستنفر النّاسَ من أهلِ الرِّدّةِ وغيرهم، فلم يَرِد عليه أحدٌ إلّا رَمىٰ به المثنّى. [340]

١) انظر الطّبرى ٤: ٢١٨٠.

٢) أُليس، مصغّرٌ على وزن فُليس: موضعٌ فى أوّل أرضِ العراقِ من ناحية البادية وقيل: قريةٌ من قُرى الأنبار وهى بتشديد اللام (مع)، وانظر الطبرى ٤: ٢١٨٢.

[يَوم البويبِ]

وبعث المثنّى بعد الجِسرِ فى من يليه من المُمِدِّين، فتوافَوا إليه فى جمعٍ عظيمٍ. وبلغ رُستم والفيرزان ذلك، وأتَتهم العيونُ به، وبما ينتظرون من الأمداد، فاجتمعا على أن يَبعثا بمهران الهمذانى حتّىٰ يريا من رأيهما ويجتمعَ أمرُهُما. فخرج مهران فى الخُيولِ، وأمَرَهُ بالحيرةِ. وبلغ المثنّىٰ الخبرُ وهو مُعسكِرٌ بين القادسيّةِ وخَفّان فى الذين أمدّوه من العرب. فاستبطَن فراتَ بادقلىٰ، وأرسل إلى جَريرٍ وعِصمةَ، وإلى كلّ قائدٍ أظلّه أنّه:

ـ «جاءَنا أمرٌ لم نستطع معه المقامَ حتّىٰ تقدِموا علينا، فعجِّلوا اللّحِاقَ بِنا، ومَوعِدُكم البُوَيبُ.»[١]

وسلك المثنّى وسطَ السَّوادِ، وسلك جَريرٌ على الجوفِ ومَن كان معه، حتّى انتَهوا إلى المثنّى وهو على البُويبِ، ومِهرانُ من وراءِ الفرات بإزائه، وكان عُمرُ عَهِدَ إليهم ألاّ يعبُروا بحرًا ولا جِسرًا إلاّ بعدَ ظَفَرٍ. فاجتمعوا بالبُويب، واجتمع العسكرُ علىٰ شاطئ البُويبِ الشرقىّ. وكان البويبُ مَغيضًا للفراتِ أيامَ المُدُودِ أزمان فارس يصبّ[٢] فى الجوفِ [341].

وقَدِمَ على عُمرَ غُزاة بنى كنانة، والأزد، فأمّر على بنى كنانة غالبَ بن عبدِالله، وعلى الأزدِ عرفَجَةَ بن هَرثمةَ، وأمرهم بالعراقِ. فقدموا على المثنّىٰ، وقدِمَ عليه هِلالُ بنُ عُلفةَ فيما اجتمع إليه من الرِّباب[٣]. فأمره عُمرُ وسرَّحَهُ، فقدِم علىٰ المثنّىٰ، وكذلك فَعل بغُزاةِ كُلّ قبيلةٍ من جُشم وخثعم وبنى حنظلة وبنى ضَبّة وغيرِهم. فاجتمعوا عند المثنّىٰ.

واجتمع رُستَم والفَيرُزان معًا، واستأذنا بورانَ ـ وكذلك كانا يعملانِ إذا أرادا شيئًا استأذنا من حجّابِها ـ فكلّماها به، فأخبراها بعددِ الجيش وكثرتِه الذين يُنفذون مع مهران، وكانت فارسُ لاتُكثر البعوثَ.

فقالت بوران: «مابالُ فارسٍ لا يخرجون إلى العربِ كما كانوا يخرجون قبلَ اليوم؟»

قالا: «إنّ الهيبةَ كانت قبلَ اليومِ مع عدوّنا وإنّها اليومَ فينا.»

فعرفت رأيَهم واستصوَبَته.

---

١) والبويب نهرٌ بالعراق يأخذ من الفرات، وقد يسمّى يوم مهران، ويوم الأعشار. كان على المسلمين المثنى بن حارثة، وعلى الفرس مهران الهمداني وذلك سنة ١٣ هـ . ٢) مط والطبرى أيضًا (٤: ٢١٨٧): يصبّ. ٣) مط: الرياب. وفى الطّبرى أيضًا الرِّباب. وكان مجراهُ إلى موضع دار صالح بن على بالكوفة، ومَصَبُّه فى الجوف العتيق، وكان مغيضًا للفُراتِ أيّام المُدودِ ليزيدوا به الجوفَ تحصينًا، وقد كانوا فعلوا ذلك الجوف حتّى كانت السُّفُن ترفأ إلى الجوف (يا).

ولمّا نزل مهرانُ فى جُندِه وراءَ الفُراتِ ـ والفراتُ بينَهما ـ قال:

ـ «إمّا أن تعبرُوا إلينا، وإمّا أن نعبُرَ إليكم.»

فقال المسلمون: «اُعبرُوا إلينا.»

فعبروا، وأقبلوا إلى المسلمين [342] فى صُفوفٍ ثلاثةٍ مع كلّ صفٍّ فيلٌ، ورَجْلُهم أمامَ فيلهم، وجاؤوا [و][1] لهم زَجَلٌ. فقال المثنّىٰ للمسلمين:

ـ «إنّ هذا الزَّجَلَ وَجَلٌ!»

قالوا: «أجل.»

قال: «فالزموا الصَّمت وائتَمِروا[2] هَمسًا.»

فدَنَوا من المسلمين و جاءوهم من قِبَلِ نهرِ بنى سُلَيمٍ اليومَ. فلمّا دَنَوا زحفُوا، وركب المثنّىٰ فرسَهُ الشَّموسَ، وكان لايركبُه إلاّ إذا قاتَلَ. ودُعِيَ الشَّموس[3] للينِ عَريكتِه وطهارتِه. فوقف على الرّايات يحُضُّهم ويذكر أحسنَ مافيهم ويقولُ:

ـ «إنّى أرجو ألاّ يُؤتَى العربُ اليومَ من قِبَلِكُم، والله مايسرُّنى اليومَ لنفسى شىءٌ إلاّ وهو يسرُّنى لعامّتِكم.»

فيجيبونه بمثل ذلك، وأنصفهم المثنّىٰ بالقولِ والفِعلِ، وخلَط النّاسُ فى المكروه والمحبوبِ، فلم يَستطع أحدٌ منهم أن يَعيب له قَولاً ولا عَملاً.

ثمّ قال:

ـ «إنّى مُكبِّرٌ ثلاثًا، فتهيّأوا، ثمّ احملوا مع الرّابعةِ.»

فلمّا كبّروا أوّلَ تكبيرةٍ أعجلَهم فارسُ، فعاجَلُوهم وخالَطُوهم مع أوّلِ تكبيرةٍ. وركدتِ الحربُ مليًّا. فرأىٰ المثنّىٰ خَلَلاً فى بعض صُفوفِه، فأرسل إليهم:

ـ «الأميرُ يقرأ [343] السّلام ويقول: لاتفضَحُوا المسلمين اليومَ.»

فقالوا: «نَعم.» واعتدَلوا.

وكانوا يَرَونَهُ قبلَ ذلك وهو يمُدُّ بلحيتِه لِما يَرىٰ منهم! فلمّا أعتبوه رأوه يضحك فرحًا.

فلمّا طالَ القِتالُ، نظرَ المثنّىٰ إلى نفرٍ من التغلبيِّينَ نَصارىٰ وفيهم جُلّابُ خَيلٍ قَدِموا مع

١) تكملةٌ عن الطّبرى. ٢) مط: واهتمروا. فى الأصل: واتمروا. وفى الطبرى (٤: ٢١٩٠): وائتمروا، كما أثبتناه.

٣) والمعروف أنّ «الشّموس» معرّبٌ أصله الفارسى: «چموش» ومعناه فى اللّغتين: الفَرسُ الّذى لايُمكّن أحدًا من ظَهره، ولامِن الإسراج والإلجام، ولا يكادُ يستقرُّ (حب، قب). فكيف يمكن القول: دُعى الشّموس «للينِ عريكته»!

أنَس بن هليل. فقال:

- «ياأنَسُ، إنك امْرُؤٌ عربيٌ وإن لم تكن على ديننا، فإذا رأيتنى قدحَمَلتُ على مهرانَ، فاحمل معى.»

وقال لابن [مِردَى][1] الفهر مثلَ ذلك. فأجابوه إليه. فحمَل المثنّى علىٰ مهرانَ حتّىٰ أزالَه، فدخل فى ميمنتِه. ثمّ خالَطُوهم واجتمع القَلبان، وثارَ الغُبارُ والمُجَنَّباتُ تقتتِلُ، لا يفرغون لِنَصر أمرائهم، ولا يستطيعونَ ذلك، لا المشركون ولا المسلمون. وقَتَل غلامٌ تغلبيٌ نصرانيٌ مهرانَ. ووقف المثنّى عند ارتفاعِ الغبار حتّىٰ أسفَره وقد فنىَ قلبُ[2] المشركين. فامّا المجنّبات فهى بحالِها، فجعل المثنّى يَدعو لهم، ويُرسلُ إليهم من يذمرهُم ويقولُ:

- «المثنّى [يقولُ][3]: عادتكم فى أمثالهم!»

حتّىٰ هزموهُم. فسابَقَهم المثنّىٰ إلى الجِسر، فسبقهم وأخذَ الأعاجم [344] يفترقون بشاطئ الفُراتِ مُصعِدين ومصوِّبين، واعتورتهم خُيولُ المسلمين فجعلَهم جُثاءًا.

فما كانت بين العَربِ والعَجمِ وَقعةٌ كانت أبقىٰ رِمّةً منها،كانوا يَحرُزُونَها[4] مائةَ ألفٍ، وما عفىٰ عليها إلاّ ادْفانُ البُيوتِ[5].

فيحكى أهلُ تلك النّاحيةِ: أنهم كانوا يأتون البُويبَ، فيَرَونَ فى ما بينَ موضع السَّكونِ اليومَ وبنى سُليمِ عظامًا بيضًا تُلُولاً تلوحُ من هامِهِم وأوصالِهم، يُعتبَرُ بها. وسُمّى يومُ البويبِ يومَ الأعشارِ: أحصىَ مائةَ رجُلٍ قَتَلَ كلُّ واحدٍ منهم عشرةً يومَئذٍ.

ونَدِم المثنّىٰ على أخذِه الجسرَ، وقال:

- «قدعجَزتُ عجزةً وَقَى اللهُ شرَّها بمسابقتى القَومَ إلى الجِسرِ حتّىٰ أحرجتُهُم وإنّى غيرُ عائدٍ. فلاتَعُودوا ولا تقتدُوا بى أيُّها النّاسُ، فإنّها كانت زلّةً، ولاينبغى إحراجُ أحدٍ إلاّ مَن لايقوىٰ على امتناعٍ.»

وكان المثنّىٰ أصابَ نُزلَ مهرانَ غنمًا، وبقرًا، ودقيقًا، فبعثُوا إلى عيالاتِ النّاسِ، وكانوا خلَّفُوهنّ بالقوادِسِ مع عمرو بنِ عبدِالمسيح بنِ بُقيلةَ . فلمّا رُفِعوا للنِّساءِ [345] فرأيَن الخَيلَ،

١) مط: «مودن» والأصل غير واضح (مودى؟ نودى؟ نودبن؟) وما أثبتناه من الطبرى (٤: ٢١٩٢). ٢) مط: غالب المشركين. ٣) مابين [ ] تكملةٌ زيدت عن الطبرى (٤: ٢١٩٤). ٤) حرَزه: قدّرهُ بالحدس، وخمّنَهُ. ليس فى مط: «كانوا يحرزونها مائة الف». ٥) كذا فى الأصل. فى مط: ادفان البويب. وفى الطّبرى: وما عفى عليها حتّى دفنها ادفان البيوت (٤: ٢١٩٣) وفى موطن آخر: وكانت وقعة البويب رمضان سنة ثلاث عشر، قتل الله عليه مِهرانَ وجيشَه، وافعَمُوا جنبَتَى البويبِ عِظامًا حتّى استوى وما عفّى عليها إلاّ التراب أزمان الفتنة . (٤: ٢١٩٩).

تَصايَحنَ وحَسِبنَها غارةً. فقُمنَ دون الصِّبيانِ بالحجارةِ والعُمُدِ. فقال عَمروٌ:

ـ «هكذا يَنبغى لنساءِ هذا الجيشِ أن يكُنّ.» ـ وبشّرهُنّ بالفَلح[١].

وعقد المثنّىٰ الجِسرَ، وسرَّح فى طَلَبِ المنهزمين أصحابَ الجسرِ، فأصابُوا غنائمَ كثيرةً وتَبعوهُم. وكتبَ القُوّادُ والرُّؤساءُ منهم إلى المثنّىٰ:

ـ «انّ الله سلّم ووَجّه لنا مارأيتَ، وليس دون القومِ شىءٌ، أفتأذنُ لنا فى الإقدامِ.»

فأذِن لهُم. فأغاروا حتّىٰ بلغوا ساباطَ، وتحصّنَ منهم أهلُ ساباطَ، واستمكنُوا من الغارةِ على من بينَهم وبين دِجلةَ، ومَخَرُوها لايَخافونَ كيدًا، وانتقضت مَسالحُ العَجمِ، فرجعت إليهم، واعتصَموا بساباطَ.

ثمّ إنّ المثنّىٰ بلغَهُ خَبرُ قريةٍ[٢] يأتيها تُجّار مدائن كِسرىٰ والسَّوادِ، ويجتمعون بها فى كلّ سنةٍ مرّةً ومعهم فيها من الأموالِ كبيتِ المالِ، وتلك أيّام سُوقِهم. فاستدعى المثنّىٰ مَن وثِقَ به مِن أهلِ الحيرةِ فاستشارَهُ.

فقال له:

ـ «إن أنتَ قَدَرتَ أن تغير عليهم وهم لايشعُرون، أصَبتَ فيها مالاً فيهِ غنى المسلمين دَهرَهم وقَوُوا على أعدائهم أبدًا.»

قال: «وكم بينها وبين مدائن كسرى؟» [346]

قال: «بعض يومٍ أو عامّةُ يومٍ.»

قال: «فكيفَ لى بِها؟»

قالوا: نُشير عليكَ أن تأخُذَ طريقَ البَرّ حتّىٰ تَنتهِىَ إلى الخَنافِسِ، فإنّ أهلَ الأنبارِ يَضربون إليها ويُخبِرونَك فيأمَنُون، وتأخُذُ دَهاقين الأنبارِ بالأدِلاءِ، وتَسيرُ سَوادَ لَيلتِك حتّىٰ تأتيَهم صُبحًا، فتُصَبّحُهُم غارةً.»

ففعل المثنّىٰ ذلك، فلمّا انتهىٰ إلى الأنبار، تحصّن منه صاحِبُها وهو لايَدرى مَن هُوَ، وذلك ليلاً. فلمّا عرفَه نزلَ إليهِ، فأطعمَهُ المثنّىٰ واستكتمَه وسألَهُ الأدِلاءَ إلى بغداد حتّىٰ يعبُرَ منها إلى المدائن.

قال: «أنا أجيءُ معك.»

قال: لا أُريدُكَ معى، إبعث معى مَن هُوَ أذلُّ مِنك.»

---

١) مط: الفلاح. والطبرى: الفتح (٤: ٢١٩٧). ٢) انظر الطبرى: ٤: ٢٢٠٣.

فزوّدَهُم الأطعِمةَ والأعلافَ، وبعث معهم الأدِلاّءَ، فساروا.

فلمّا كانوا بالنُّصفِ، قال المثنّىٰ:

- «كَم بينى وبينَ هذه القَريةِ بَغداد؟»

قال: «خمسةُ فراسخَ.»

فندب مِن أصحابِه جماعةً للحرسِ، وبعثَ طلائع فحبَسُوا النّاسَ لئلاّ يسبِق الخبرُ وقال:

- «أيّها النّاسُ، إطعمُوا وتوضّأوا وتهيّأوا.»

ثمّ سَرىٰ آخر اللّيلِ فصبّحَهُم فى أسواقِهم، فوضع فيهم السّيفَ، فأخذوا ما شاؤوا.

وقال المثنّىٰ:

- «لا تأخذوا إلاّ الذّهبَ [347] والفِضّةَ والحُرَّ مِن كُلِّ شىء.»

ثمّ انكفأَ راجعًا حتّىٰ نزل بِنَهرِ السَّيلَحين[1] بالأنبارِ، فسمع همسًا فى ما بينَ النّاس:

- «ما أسرَعَ القومَ فى طَلَبِنا.»

فخطبَهُم وقال:

«أيّها النّاسُ، إحمَدوا اللهَ وتناجَوا بالبِرِّ والتّقوىٰ، ولا تَناجَـوا بالإثمَ والعُـدوانِ، أنظُروا فـى الأمُورِ وقَدِّروها، ثمّ تكلّمُوا. مابَلغَ النّذيرُ مدينتَهم بَعدُ، ولَو بلغَهم لَحالَ الرُّعبُ بينَهم وبينَ طلبكم إنّ لِلغاراتِ رَوعاتٍ تنتشِر عليها يومًا إلى اللّيل. ولَو طلبكـم المَحـاميرُ مِن رأى العين ماأدركوكُم وأنتم على العِرابِ، حتّىٰ تنتهُوا إلى عَسكركُم وجَماعتِكم؛ ولو أدرَكُوكُم لقاتَلتُهُم ورجَـوت النَّصـرَ والأجرَ. فثِقُوا باللهِ، وأحسِنوا به الظَّنَّ، فقد نَصرَكُمُ الله عليهم فى مواطِنَ كثيرةٍ وهُم أعَدُّ منكم، وسأُخبِركم عنّى أنّ أبابكر أوصانا أن نُقَلِّلَ العُرجةَ ونُسرعَ الكَرّةَ فى الغارات.»

ثمّ أقبلَ بِهم ومعهم الأدِلاّءُ حتّى انتهى بهم إلى الانبارِ.

ثمّ إنّ المثنّىٰ أغار على حيٍّ مِن تَغلِبَ على دِجلةَ، وعلى قَومٍ كانوا بِتَكريت، وأصابوا ماشـاؤوا [348] من النَّعم.

[القادسيّة وأيّامُها[2]]

فقال أهلُ فارِسَ لِرُستَم والفَيرزان:

---

١) السَّيلَحين: طسّوجٌ قربَ بغداد بينه وبينها ثلاثةُ فراسخ. وقريةٌ وراءَ عقَرقوف تسـمّيها العـامة «الصـالحين» وهى الّتى بات بها المثنى بن حارثة، وصبح فاغار على سـوق بغـداد (مع). ٢) انظر: الطّبرى ٤: ٢٢٠٨. أيّام القـادسيّة أربعـةٌ: الأول يومُ أرماث، والثانى يومُ أغواث، والثالث يومُ عماس، والرابع: يومُ القادسيّة (يا) واللّيلةُ الّتى تلت يومَ أرماثٍ تسـمّى

ـ «إنّه لم يَبرح منكما الاختلافُ حتّىٰ أو هنتُما أهلَ فارسَ، وأطمعتُما فيهم عَدُوّهُم، ولم يبلغ مِن خَطَرِ كُما أن تُقِرّ كما على هذا الرّأى، وأن تعرّضا فارسَ للهَلَكَةِ. مابعدَ بغداد وساباطَ وتكريت إلاّ المدائن، واللهِ لَتَجتمعانِ أو لَتبدأنّ بكُما قبلَ أن يشمتَ شامتٌ، ونَشفِيَنّ نفوسَنا منكما.»

فاجتمع رُستم والفيرزان عند بورانَ وقالا[١] لها:

ـ «أكتُبى لنا نساءَ كِسرىٰ وسَراريَهُ.» ـ ففعلت.

فأرسلوا فى طَلَبِهِنّ، فلم تَبقَ امرأةٌ إلاّ أتوا بها، فأخذوهُنّ بالرِّجال، ووَضعُوا عليهنّ العَذابَ يَستدِلُونَ على ذَكر من أبناءِ كِسرىٰ. فلم يُوجد عندهُنّ أحدٌ.

فقالت إحداهُنّ:

ـ «لم يَبقَ إلاّ غُلامٌ يُدعىٰ يَزدجِرد من وُلد شهريار بن ابرويز، وأمُّهُ مِن أهلِ باذُوريا[٢].»

فأرسلوا إليها، فأخذوها به، وكانت قد أنزلَتهُ [فى أيّام شيرى][٣] حين جمعَهُنّ فى القصرِ الأبيضِ، وقَتَلَ الذكورَ إلى أخوالِه وكانت واعدَتهم، ثمّ دلّته إليهم فى زَبيلٍ[٤]. فلمّا أخذت أمُّهُ به، دلّتهم عليه، فأرسلُوا، فجاؤوا به، فملّكُوهُ وهو ابن إحدىٰ [349] وعِشرين سَنةً، واجتمعُوا عليه واطمأنّت فارسُ، واستَوسَقُوا، وتبارَىٰ الرُّؤساءُ فى طاعتِه ومَعُونتِه. فسمّىٰ الجُنودَ لكُلِّ مَسلَحةٍ كانت لِكِسرىٰ أو موضعِ ثَغرٍ. فسمّىٰ جُندَ الحيرةِ وجُندَ الأنبارِ والأُبُلّةِ والمسالحِ، وأظهروا الجِدَّ والنّصيحةَ.

وبلغ ذلك مِن أمرِهِم واجتماعِهم المثنّىٰ والمسلمين، فكتبوا إلى عُمرَ بما ينتظِرون منهم. فلم يَصِل الكتابُ إلى عُمرَ، حتّىٰ كفَرَ أهلُ السّوادِ كُلُّهم: مَن كانَ لهُ عَهدٌ ومَن لم يكن لهُ عَهدٌ.

فكتبَ عُمرُ إليهم:

ـ «فاخرجوا مِن بين ظَهرانَىّ الأعاجم، وتفرّقوا فى المياه الّتى تَليهم على حُدودِ أرضِهم، ولا تَدَعُوا فى ربيعةَ أحدًا ولا مُضرَ ولا خلفاءَهم مِن أهل النّجداتِ، ولا فارسًا، إلاّ اجتلبتموه، فإن جاءَ طائعًا، وإلاّ حشرتُموهُ. إحملوا العَربَ على الجِدِّ إذا جَدَّ العَجمُ.»

فنَزلَ المثنّىٰ بذى قارٍ، ونَزلَ النّاسُ بالجَلّ، وبشرافٍ إلى غُضَىٰ ـ وغُضَىٰ جَبَلُ[٥] البَصرةِ ـ

ليلةَ الهَداة، واللّيلةُ الّتى تلت يومَ أغواثٍ تسمّىٰ ليلةَ السّوادِ عند المؤرخين كما سيأتى ذكره.

١) وفى الأصل ومط: قالوا. ٢) باذَريا (= باذريا، باذُوريَاء): طسُوجٌ من كُورةِ الاستان بالجانب الغربى من بغداد (يا). ٣) تكملةٌ زيدت عن الطّبرى (٤: ٢٢١١). ٤) فى الطّبرى ومط: زبيل. وفى بعض الأصول: «زنبيل». والزّبيل بمعنى الزّنبيل ٥) مط: حدّ البصرة. الطّبرى: حيال البصرة. وفى حواشى الطبرى: جبل البصرة، جبال البصرة (٤: ٢٢١١).

فكان فى أمواهِ العربِ[١] مِن أوّلِها إلى آخرِها مَسالحُ ينظرُ بعضُهم إلى بعضٍ، ويُعينُ بعضُهم بعضًا إن كانَ كَونٌ. وذلك فى ذى العقدةِ من سنةِ ثلاثَ عَشرَةَ [350] للهجرة.

وكتبَ عُمرُ إلى عُمّالِ العَربِ على الكُوَرِ والقبائلِ أن:

ـ «لا تَدَعُوا أحدًا لهُ سِلاحٌ أو فرسٌ أو نَجدةٌ إلاّ انتخبتمُوه، ثمّ وجِّهتُمُوهم إليّ، والعَجَلَ العَجَلَ[٢].»

فمَضَتِ الرُّسُلُ، ووافاهُ هذا الضَّربُ مِن القبائل، وأخبروهُ عمّن وراءَهم بالحثِّ والجِدِّ.

وخَرجَ عُمرُ فى أوّلِ يومٍ مِن المحرّم سنة أربعَ عَشرة حتّى نزل مايُدعىٰ صِرارًا، فعَسكرَ بهِ ولا يَدرى النّاسُ مايُريد. وكان عثمانُ أجرأ عليه، فقال لهُ:

ـ «ما بَلغَك؟ ما الّذى تُريدُ؟»

فنادىٰ: «الصّلوة جامعةٌ.»

فاجتمع إليه النّاسُ، فأخبرهُم الخبرَ، ثمّ نَظرَ مايقُولُ النّاسُ.

فقال العامّةُ: سِر وسِر بنا معك!»

فدَخلَ معَهُم فى رأيِهم، وكَره أن يَدَعَهُ حتّىٰ يُخرجَهم منه فى رِفقٍ، فقال:

ـ «استعِدُّوا، فانّى سائرٌ، إلاّ أن يجىءَ رأىٌ هو أمثلُ من ذلك.»

ثمّ جَمعَ أهلَ الرّأىِ ووُجوهَ أصحابِ النّبىِّ ـ صلّىالله عليه ـ فقالَ:

ـ «أحضرونى الرّأىَ.»

فاجمعَ مَلأُهُم أن يُقيمَ، ويَبعثَ رجلاً مِن أصحابِ رسُولِ الله، ويَرميَه بالجُنودِ.

فنادىٰ عُمرُ: «الصّلوةُ جامِعَة.»

فاجتمع إليه النّاسُ. فأرسل إلى عَلىٍّ، وكان استخلفَهُ [351] علىَ المدينةِ، فأتاهُ، وإلى طلحة، وكان على مقدّمته، فرَجعَ إليه، وإلى الزُّبيرِ وعبدِالرّحمان بن عَوفٍ، وكانا فى المُجَنِّبَتينِ.

ثمّ قام فيهم، فقال:

ـ «إنّ اللهَ جَمعَ على الاسلامِ أهلَهُ، فألّفَ بينَ القُلوبِ وجعلَهُم فيه إخوانًا، فالمسلمون فيما بينهم كالجَسَدِ، لايَخلُو مِنهُ شىءٌ مِمّا أصابَ غيره، وكذلك يَحِقُّ عليهم أن يكُونُوا وأمرُهم شُورىٰ بينَهم. فالنّاسُ تَبعٌ لِمَن قام لهذا الأمرِ ما اجتمعُوا عليه، ورَضُوا بِه، وما رَءَاهُ أولوا الرّأىِ

---

١) مط: أقواه العرب! الطبرى: أمواه العراق، وفى حواشيه: أمواه العرب (٤: ٢٢١١).

٢) هذا الكتاب «أوّل ما عمل به عُمرُ حين بلغه أنّ فارس قد ملكّوا يزدجرد» (الطبرى: ٤:٢٢١١).

لزمَ النّاسَ، وكانوا له تَبَعًا، فمَن قـام بهـذا الأمر فهـو تَبعٌ لأولى الرّأى. ايُّهـا النّاسُ! إنّى كنتُ كرجلٍ منكم، حتى صرَفَنى ذَوُو الرّأىِ عَنِ الخروجِ، فقـد رايتُ ان أقيمَ وابعـثَ رَجُـلاً وقـد احضَرتُ هذا الأمرَ مَن قَدّمتُ ومَن خلّفتُ.»

فكان طلحةُ مِمَّن تابعَ وعبدُالرحمان مِمَّن نَهاه وقال:

- «بابى انتَ وامّى..»

قال عبدالرحمان: فما فَدَيتُ احدًا بابى وامّى بعدَ النّبىِّ صلّىالله عليه غيرَهُ[1]، وقلتُ:

- «.. اجعَل عَجُزَها بى[2]، واقِم، وابعث جُندًا، فقد رايتَ قَضاءَ اللهِ لك فـى جُنودِكَ فـإن يُهـزَم جَيشُكَ [352] فلَيسَ كهزيمتِكَ، وإنَّكَ إن تُقتَل او تُهزَم فى انف الأمرِ خَشيتُ على المسلمين.»

قال عُمرُ:

- «فاشيروا علىَّ برجلٍ!»

قال عبدُالرَّحمانِ: «وجدتُه.»

وكان وَرَدَ كتابُ سعدِ بنِ ابى وقّاصٍ وهم فى تلك الحالِ جَوابًا عن كتابِ عُمرَ:

- «إنّى قد انتخبتُ لَكَ الفَ فارسٍ[3] كاملٍ، كلُّهم له نجدةٌ ورأىٌ وصاحبُ حيطةٍ يَحـوطُ حَـريمَ قومِه ويمنعُ ذِمارَهم، إليه انتهت احسابُهم ورأيُهُم فشأنك بهم.»

ووافق كتابُه مشورتَهم.

وقال عبدُالرَّحمانِ: «وجدتَهُ لك[4].»

قال: «مَن؟»

قال: الأسدُ عاديًا، سعدُ بنُ مالِكٍ.»

فأرسلَ إليه، فقدمَ، فأمَرهُ على حَربِ العِراقِ، واوصاهُ، وقال:

- «يا سعدُ سعدَ بنى وُهيبٍ! لايَغُرَّنَّكَ مِن اللهِ ان قيل: خـالُ رسـولُ‌اللهَ! ليسَ بينَه وبينَ احـدٍ نَسَبٌ إلاّ طاعتَهُ. فالناسُ شريفُهم ووضيعُهم فى ذات اللهِ سَواءُ: اللهُ ربُّهم وهم عبادُهُ، يتفاضَلون بالعـافيةِ، ويُدركون ما عندَهُ بالطّاعةِ. فـانظر الأمرَ الّذى رايتَ رسـولَ اللهِ ـ صـلّىالله عليه ـ مُنذُ بُعِثَ إلى ان فـارقَنا ـ عليه، فـالزَمهُ، فـإنّهُ الأمر. [353][5] هذه[6] عِظَتى إيّاكَ إن تركتَهـا ورَغبتَ

---

١) انظر الطّبرى ٤: ٢٢١٤. ٢) كذا فى مط والطّبرى. وفى حوشيه: «لى» (نفس الصّفحة.).

٣) الطّبرى: الف فارسٍ مُؤدٍ (٤: ٢٢١٦). ٤) الطبرى: فقالوا: قد وجدتَ بدون «لك». ٥) حصـل تقـديمٌ وتاخير فى الأصل بين الصّفحتين 353, 354 فصـحّحناه. انظر الطّبرى: ٤: ٢٢١٧، السّطر الثانى.

٦) كذا فى الأصل ومط: «بعده». و فى الطبرى: «هذه» كما هو الصحيح.

عنها حَبِطَ عَملُك وكنتَ مِن الخاسرين.»

فسار سَعدٌ، وماتَ المثنّیٰ من انتِقاضِ جراحته قبلَ أن يصِلَ إليه سَعدٌ. وذاك أنّ جُرحَهُ كان يَنتقِضُ ويَبرأُ حتّیٰ مات. وقَدِمَ سعدٌ، فأغار فی ما يَليه، ولم يَزل كذلك، إلی أن ألحّ يَزدَجِردُ علی رُستَم، وقال:

ـ «لابُدَّ أن تَلِیَ حَربَ العَربِ بنفسِك.»

فخرج رُستَم فی العُدّةِ والعَديدِ والخُيولِ والفُيولِ، وراسَلَهُ سَعدٌ بالمغيرةِ بن شُعبةَ وغيره مِن دُهاةِ العَربِ وأصحابِه من ذوی الهَيئاتِ والآراءِ، فجَرت بينَهم مخاطباتٌ، لا تجربةَ فيها ولا فائدة فی المُستأنَفِ، فتركنا ذِكرَها.

إلی أن صافَّهُم رُستمُ وعَبرَ إليهم. وكان فـی القلبِ الّذی فيه رُسـتمُ ثمانيةَ عشـرَ فيلاً عليهـا الصَّناديقُ والرِّجالُ، وفی المُجَنَّبتَين ثمانيةٌ وسبعةٌ عليها الصَّناديقُ والرِّجالُ، وأقامَ الجالِنوسُ بينَهُ وبينَ مَيمَنتِه، والفَيرزان بينَهُ وبين مَيسَـرتِه، وبقيتِ القنطَرة بين خيلينِ من خُيولِ المسـلمين والمشركين.

[تدبيرُ دبرَه يَزدجِرد]

[للاسراع فی تسلّم انباءِ الحرب يَومَ ارماثٍ]

وكان يَزدجِردُ وَضعَ بينَه وبين رُستَم رِجالاً: فأوّلُهُم علی بابِ إيوانِه والآخرُ [354][1] علی دَعوةٍ منه، بحيث يسمعُهُ، والآخـرُ كذلك إلی أن انتَظَمَ بينَهُ وبينَ رُسـتَم بالرِّجـالِ. فلمّا نَزَل رُسـتَم بِساباط قال الرَّجُلُ الّذی بِساباط: «نَزَلَ!» وقـال الّذی يليهِ، ثمّ الّذی يليه، حتّی يقـولَهُ مَن يَلی الايوانَ ويسمعَهُ يَزدجِردُ. فكـان كلّما ارتَحـلَ، أو نَزَلَ، أو حَـدَثَ أمرٌ، جَـرَی الأمرُ فيه علی ماشرحتُه، وتَرَكَ البُرُدَ. وكان ذلك شأنُه إلی أن انقضی الحربُ.

وكان بِسعدٍ حُبونٌ[2] وخُراجاتٌ يَومَئذٍ لا يستطيع أن يركبَ. فإنّما هو علی وجهِـه، فـی صـدره وسادةٌ وهو مُكِبٌّ عليها، مُشـرفٌ علی النّاسِ مِنَ القَصـرِ، يَرمی بالرِّقـاعِ فيهـا أمرُهُ ونَهيُهُ إلی خالدِبن عرفطة، وكان الصَّفُّ إلی جانب القصرِ. فشـغَّب قـومٌ مِن وجـوه النّاسِ علی سَعدٍ، ولم

---

۱) انظر: الحاشية الخاصّه بالصّفحة 353 من الأصل.

۲) مط: «جنون» ـ وهو خطأ ـ و «جراحات». وفی حـواشی الطّبری: حبوب، جنون! (٤: ۲۲۸۷). والحبون جمعُ مفرده الحبن: الدُّمّلة المقيّحة. والخُـراجات ومفـردها الخُراجة: كلّ مايخرج بالبدن كالدُّمّل.

يَرضَوا بما صَنعَ خالدُ. فهمَّ بهم سَعدُ وشتَمهُم. ثمّ خطَبهم، واعتذر إليهم، فَرَضُوا، وأمرَ الرُؤساءَ حتّىٰ خطَبُوا فى من يلونَهم، ففَعَلُوا، وتَحاضُّوا وتَواصَوا.

فأمّا الفُرسُ فإنّهم تعاهَدُوا، وتواصَوا، واقترنُوا بالسَّلاسلِ. فكان المقترنون ثلاثينَ ألفًا، وجُملتُهم مائةٌ وعشرونَ ألفًا، وثلاثون فيلاً عليها المُقاتِلةُ، [355] وفِيَلَةٌ عليها المُلوكُ وُقوفٌ لاتقاتِلُ.

وأمر سَعدُ فقُرِئَ سورةُ الجهادِ. وقال سَعدُ:

ـ «إنّى مكبّرُ، فإذا سمعتم التَكبيرة الأولى فشُدُّوا شُسُوعَ نِعالِكم، فإذا كَبّرتُ الثّانيةَ فتَهيّأوا، فإذا كبرّتُ الثّالثةَ فشُدُّوا النَواجِذَ علَى الأضراسِ واحمِلوا.»

فلمّا فَرَغَ القُرّاءُ، كبّر سَعدُ وكبّر النّاسُ، ثمّ ثَنّىٰ فتهيّأ النّاسُ، ثمّ ثَلّث فبرزَ أهلُ النّجداتِ فانشبُوا القِتالَ.

وخَرجَ أمثالُهم من أهلِ فارسَ، فاعتوروا الضَّربَ والطّعنَ. وخرج هُرمُز إلى غالبِ بنِ عبدِاللهِ ـ وكان هُرمُز مِن مُلوك البابِ متوّجًا ـ فاسرَهُ غالبُ أسرًا، وجاءَ بِه إلى سَعدٍ، فأدخِلَ، وانصرف إلى المطارَدةِ. فبينا النّاسُ ينتظرون التّكبيرةَ الرّابعةَ، قام صاحبُ رجّالة بنى نَهدٍ، فقال:

ـ «يا بنى نَهدٍ، إنّما سُمّيتُم نهدًا لِتفعَلوا.»

فَبعثَ إليه سَعدُ خالدَ بنَ عَرفَطَةَ:

ـ «واللهِ لَتكُفّنّ، او لأُوَلّينّ عَملَكَ غيرَكَ.»

ولمّا تطاردتِ الفُرسانُ خرجَ رجلُ يُنادى:

ـ «مَرد ومَرد».[١]

فانتدبَ لَهُ عمرو بنُ معدى كرب، فرماهُ الفارسىُّ بنُشّابةٍ، فما أخطأت سِيَةَ[٢] قوسِه ـ وكان متنكّبها ـ فحمَلَ عليهِ [356] عَمرو، فاعتنقَهُ، ثم أخذ مِنطَقتَهُ فاحتملَهُ فوضعَهُ بينَ يدَيه. ثمّ جاءَ بِه حتّىٰ إذا دَنا مِنّا كَسرَ عُنقَهُ، ثمّ وضع سيفَهُ على حَلقِه فذَبَحَهُ، ثمّ ألقاهُ.

ثمّ قال: «أنا هكذا، فاصنَعُوا بهم، إنّما الفارسىُّ إذا فقد قوسَهُ يئسَ!»

فقلنا: «ياباثَور[٣] مَن يَستطيعُ أن يصنعَ كَما تَصنع؟»

---

١) كذا فى مط والطبرى. مَرد: رَجُل. اى: رجلٌ ورجلٌ [يتبارزان] ٢) الأصل غيرواضح. فى مط: سِئة. والعبارة فى الطبرى (٥: ٢٢٩٧): فما اخطات «سية» قوسه «وهو» متنكبُها. سِيَةُ القوس وسِيَتُها: طَرَفُها المعطوفُ المُعرقَبُ (لع: «سأى».) ٣) اى: يا اباثور.

وخرج إلى طُليحة عَظيمٌ مِنهُم، فبارَزَه، فمَا لَبِثَهُ طُليحةُ ان قتلَهُ. وقامَ الأشعثُ بنُ قيسٍ، فقال:

- «يامَعشرَ كِندةَ! للهِ درُّ بنى أسدٍ، ایَّ فرىٍ يَفرُون[1]، وایَّ هَذٍّ يَهُذُّون!»

وكذلك كانوا، لأنّهم حَبَسُوا الفِيَلةَ بالضَّربِ والطَّعنِ.

- «.. يامَعشرَ كِندةَ! أراكُم تنتظرونَ مَن يَكفيكُم النّاسَ، العربُ مُنذ اليومِ يُقاتِلون وأنتم جُثاةٌ على الرُّكَبِ تنتظُرونَ.»

فوَثَبَ إليه عدّةٌ، وقالوا:

- «عثر جَدُّكَ نَك لَتُوبُخُنا[2] و نحنُ احسنُ النّاسِ مَوقِفًا، هانحنُ معك.»

فَنهدَ ونَهَدُوا فازالوا مَن بإزائهم. ولمّا رأى فارسُ ماتلقى الفيلةُ مِن كتيبةِ أسَدٍ، رَمَوهم بحَدّهم كُلّه، وبَدَرُوا الشِّدَّةَ على المسلمين عليهم ذوالحاجبِ والجالِنوسُ والمسلمون ينتظرون [357] التَّكبيرةَ الرّابعةَ من سَعدٍ. فاجتمعت حِلبة فارس على أسدٍ ومعهم الفِيَلَةُ قد ثَبَتُوا لهم . وكبَّرَ سَعدُ الرّابعةَ، فزَحفَ إليهم المسلمونَ ورحى الحرب تَدورُ على أسدٍ، وحَملتِ الفُيولُ على المَيمنةِ والميسرةِ على الخُيولِ، فكانت الخُيولُ تحجُم عنها وتَحيدُ.

فارسل سعدُ إلى عاصم بن عُمرَ، فقال:

- «يامَعشرَ بنى تميمٍ. ألستُم أصحابَ الإبلِ والخَيلِ، أمالكُم لهذِهِ الفِيَلَةِ مِن حيلَةٍ؟»

قالوا: «بَلىٰ واللهِ.»

ثمّ نادىٰ فى رجالٍ مِن قومِه رُماةٍ، وآخَرين أهلِ ثَقافةٍ، فقال لَهُم:

- «يا مَعشر الرُّماة، ذُبُّوا رُكبانَ الفِيَلةِ بالنَّبلِ.»

وقال: « يا مَعشرَ أهلِ الثقافةِ استدبروا الفِيَلة، فقَطَعوا وُضنَها.»

وخَرجَ يحميهم والرّحى تَدورُ على أسدٍ وقد جالتِ الميمنةُ والميسَرَةُ غيرَ بعيدٍ. وأقدم أصحابُ عاصمِ بنِ عَمرو على الفِيَلةِ، فاخذوا بأذنابِها وأذنابِ تَوابيتِها، فقطَعوا وُضُنَها وارتفعت عن ظُهورها. فمابَقِىَ لهم يَومَئذٍ فيلٌ إلاّ عُرِّىَ وقُتِلَ أصحابُها، ونُفِّسَ عَن أسدٍ، فَرَدُّوا عنهم فارسَ إلى مواقفِهم، ولم يَزالُوا [358] يَقتَتِلُون حتّىٰ غربتِ الشّمسُ، ثمّ حتى ذَهبت هداةٌ مِن اللَّيلِ. ثمّ رجع هؤلاءِ ورجع هؤلاءِ، وأُصيبَ فى أسدٍ تلكَ العَشيّةَ خمسُمائةٍ، وكانوا ردءًا لِلنّاس. وكان

---

١) مط: ایَ فرٍّ يفرّون، وایَ هدٍّ يهذون.

٢) فى الطبرى (٥: ٢٣٠٠): عثّرالله جدّك، إنك لَتُؤَنِّبُنا. وفى حواشى الطبرى: لتويسنا، لَتوبسنا، لَيُؤَسِّنا.

عاصِمُ عادِيَةِ النّاسِ وحاميتَهم. فهذا يَومُها الأوّلُ وهو يَومُ أرماثٍ.

يَومُ اغواثٍ[١]

ولمّا أصبح القَومُ على تَعبئةٍ مِن غدٍ وَقَفُوا. ووكّل سَعدٌ رجالاً بنقلِ الشّهداءِ إلى العُذَيب، وإسلامِ الرّثيثِ إلى النّساءِ، يَقُمنَ عليهم، والنّاسُ ينتظرون بالجملةِ نَقلَ الرّثيث. فلمّا استقلّت بهم الإبلُ، وتوجّهت بهم نحو العُذَيب، طلعت بَوادِي الخَيلِ من الشام، الّذين صرفَهم عُمَرُ بعدَ دِمَشق إلى العِراق. وكان أبوعُبيدة، لمّا قَدِمَ عليه كتابُ عُمَرَ: أن يصرفَ أهلَ العراقِ أصحابَ خالد بن الوليدِ ولم يذكر خالدًا؛ ضَنَّ بخالدٍ، واحتبسَهُ عِندَه، وسرّحَ الجيش ـ وهم ستّةُ آلافٍ ـ [359] وأمّرَ عليهم هاشِمَ بنَ عُتبةَ بنِ أبي وقّاصٍ، وعلى مقدّمته القعقاعَ بنَ عمرو. فعجّلَهُ أمامَهُ، فانجذبَ القعقاعُ وطَوىٰ وتَعجّلَ، فتقدّم على النّاسِ يَومَ اغواثٍ، وقد عَهِدَ إلى أصحابه وهم ألفٌ، أن يَتقطّعُوا أعشارًا: فكلّما بلغ عشرةٌ مَدَى البَصَر، سَرّحُوا في آثارِهم عَشرةً. فتقدّم القَعقاعُ أصحابَه في عشرةٍ، فأتى النّاسُ، فسلّمَ عليهم، وبشّرهم بالجُنودِ، وقال:

ـ «أيُّها النّاسُ! إنّي قد جئتكُم في قومٍ واللهِ لوكانوا بمكانِكم ثُمّ أحسُّوكُم، لحَسَدُوكُم بِحُظوتِها[٢]، وحاوَلوا أن يظفرُوا[٣] بها دونكم. فاصنعُوا كما أصنعُ.»

فنادىٰ: «مَن يُبارِزُ؟»

فسكن النّاس، وتذاكروا قَولَ أبيبكرٍ فيه: «لايُهزم جَيشٌ فيه مثلُ هذا.»

فَخرجَ إليه ذوالحاجِب، فقال له القَعقاعُ:

ـ «مَن أنتَ؟»

قال: «أنا بهمنُ جاذُويه.»

فنادىٰ: «يا لَثاراتِ أبي عبيدٍ وسليطٍ وأصحابِ الجِسرِ.»

ثمّ اجتلدا، فقتله القعقاعُ.

وجَعلت خيلُ القعقاعِ تَرِدُ قِطَعًا إلى اللّيلِ وينشطُ النّاسُ، فكان لم يكُن بالأمسِ [360] مصيبةٌ، وكأنّها استقبلوا قتالَهم بقتلِ الحاجبيِّ ولِلحاقِ القِطعِ، وانكسرتِ الفُرسُ لذلك.

ونادى القعقاعُ أيضًا: «مَن يُنازِلُ؟»

فخرج إليه رجلان أحدُهما الفيرزان والآخر البِندوان. فانضمّ إلى القعقاعِ الحارثُ بن ظبيان،

---

١) انظر الطبرى ٥: ٢٣٠٣. ٢) فى الطبرى: خُظوتها. ٣) فى الطبرى: أن يطيروا.

فبادرَ القعقاعُ الفيرزانَ فضربَهُ، فإذا رأسُه مطروحٌ؛ وبادر ابنُ ظبيان البندوان فضربَهُ، فإذا رأسهُ كذلك، وتوردَّهم فرسانُ المسلمين، وجَعَل القعقاعُ يقول:

- «يا معشرَ المسلمين باشروهم بالسُّيوفِ فإنَّما يُحصَدُ النّاسُ بها.»

فتواصى النّاسُ واجتلدوا بها حتّى المَساءِ. فلم يَرَ أهلُ فارسَ فى هذا اليوم شيئًا ممّا يُعجِبُهُم، وأكثرَ المسلمون فيهم القتلَ، ولم يُقاتلوا فى هذا اليومِ على فيلٍ، لأنَّ توابِيتَها تكسّرت بالأمسِ، فاستأنفُوا علاجَها حين أصبحوا، فلم تَرتفِع حتّىٰ كان من الغَدِ. وفى هذا اليوم حَمَل بنوعمُّ القَعقاعِ عَشرةٌ عَشرةٌ مِن الرَّجّالَةِ على إبلٍ قد ألبَسُوها، فهى مُجلّلةٌ مُبرقَعَةٌ، [361] وأطافت بهم خيولُهم فَحَمَوهم، وأمرَهُم أن يَحملوُها على خيلهم بينَ الصَّفَّين يتشبَّهُون بالفِيَلَةِ، ففَعلُوا بهم يومَ أغواثٍ كما فعَلت فارسُ يَومَ أرماثٍ. فجعلت الإبلُ لاتَصمد لقليلٍ ولا كثيرٍ إلاّ نفرت خيلُهم، وركبتهم سيوفُ[١] المسلمين. فلمّا رأوا ذلك استنُّوا بهم، فلَقِىَ أهل فارسَ مِن الإبلِ يومَ الأغواثِ أعظمَ مِمّا لقى المسلمون مِن الفِيَلَةِ يَومَ أرماثٍ.

وجَعَل رجلٌ من بنى تميمٍ يتعرَّضُ للشَّهادةِ، فأبطأت عليه حتّىٰ تعرَّضَ لِرُستم يُريدُه، فأصيبَ دونَهُ.

وخرج رجلٌ من فارسَ يُنادى: «مَن يُبارز؟»

فبرزَلَهُ علباءُ[٢]، فأسجَدَهُ ونَفَحَهُ الفارسىُّ فأمعاهُ، فلم يستطع القيامَ، فعالجَها، فلم يتأتَّ لهُ حتّىٰ مرَّ به رجلٌ من المسلمين، فقال:

- «ياهذا أعِنّى على بَطنى.»

فأدخَلَهُ له، فأخذ بصفاقيهِ، ثمَّ زحفَ نحوَ صفِّ فارسَ مايَلتفِتُ على المسلمين، فأدركهُ الموتُ على رأسٍ ثلاثينَ ذراعًا مِن مَصرعِهِ إلى صَفِّ فارس، وقال:

أرجُو بِها من رَبِّنا ثَوابًا   قَد كُنتُ [مِمَّن[٣]] أحسَنَ الضِّرابا [362]

وخَرجَ رجلٌ مِن أهلِ فارسَ يُنادى[٤]: «مَن يبارز؟»

فَبرزَ له الأعرفُ بنُ الأعلمِ العقيلى، فقتلَهُ، ثمَّ بَرزَ لهُ آخرُ من فارسَ، فقتلَهُ، ثمَّ برزَ آخرُ، فقتلَهُ، فأحاطت به فوارسُ منهم، فصرَعُوهُ، ونَدَرَ سلاحُه عنه، فأخذوهُ، فجعل يغبِّر فى وُجوهِهم

١) مط: خُيولُ المسلمين. الطَّبرى: إلاّ نفرت «بهم» خيلُهم وركبتهم «خُيول» المسلمين (٥:٢٣٠٩). ٢) الطَّبرى: عِلباءُ بنُ جحش العجلى فاسحره فنفحه الفارسىُّ.. (٥:٢٣١٠). ٣) الأصل «كنت ممّا»، مط: «كنت ما» وما أثبتناه من الطَّبرى (نفس الصّفحة). ٤) الأصل: فينادى. فحذفنا الفاء كما فى مط.

بالتُراب حتّىٰ رجع إلى أصحابه وقال:

[وَ][1] إن تأخُذُوا بَزّى، فإنّى مجرَّبٌ[2] ... خَروجٌ مِنَ الغمّاءِ، مُحتَضِرُ النَّصرِ
وإنّى لَحامٍ مِن وراءِ عَشيرَتى ... رَكُوبٌ لآثارِ الهَوىٰ مُحفِلُ الامرِ

وَحَمَلَ القعقاعُ يومَئذٍ ثلاثين حملةً، كُلّما طَلعت قِطعَةٌ من الخَيلِ حَملَ حَملةً فيُصيبُ فيها. فقتلَ فى يَومِ اغواث ثلاثين فارِسًا، وكانَ آخرهُم بُزُرجمهر الهَمدانىَّ، وقال القعقاعُ فيه:

حَبَوتُه جيّاشةً ... بالنَّفسِ
هَدّارَةً مِثلَ شُعاعِ الشَّمسِ
فى يَومِ أغواثٍ قليل[3] الفُرسِ ... أنخُسُ بالقَومِ أشدَّ النَّخسِ
حتّىٰ تَفيظَ[4] مَعشرى ونَفسى ... [363]

واقتتل النّاس صَتيتًا حتّى انتصف اللّيلُ. فكانت ليلةُ أرماثٍ تُدعَى «الهَداة»، وليلةُ أغواثٍ تُدعَى «السَّواد». ولم يَزَلِ المسلمونَ يرون الظَّفَرَ يومَ أغواثٍ فى القادسية، وقتلوا عامّةَ أعلامِهم، وجالت فيهم خيلُ القَلبِ، وثَبَتَ رَجلُهُم، فلولا أنَّ خيلَهُم كَرَّت، لأُخِذَ رُستَم أخذًا. وانتمى المسلمون لَدىٰ[5] أمسَوا. فلمّا أمسىٰ سعدٌ وسَمعَ ذلك نامَ، وقال لِبَعضِ مَن عندَهُ:

ـ «إن تمَّ النّاسُ على الانتماءِ فلا تُوقِظنى، فإنّهم أقوياء على عَدُوّهِم، فإن سكتُوا ولم يَنتمِ الآخَرون فلا توقِظنى، فإنّهُم على السَّواءِ؛ وإن سَمعتَهُم يَنتَمُون، فأيقِظنى، فإنَّ انتماءَهُم لِشرٍّ.»

[قصّة أبى محجَنٍ مع سلمىٰ وسعدٍ]

فلمّا اشتدَّ القِتالُ بالسَّوادِ، سَألَ أبومِحجَنٍ سَلمىٰ بِنتَ خصفةَ، وكان محبوسًا مُقيَّدًا فى القَصرِ. فقال:

ـ «يا ابنةَ خَصفةَ، هَل لَكَ إلى خيرٍ؟»

قالت: «وما ذاك؟»

قال: «تُخلّينَ عَنّى وتُعيرينَنى البلقاءَ. فلِلّهِ علىَّ، إن سلّمنىِ اللهُ أرجع إليكِ حتّىٰ أضَعَ رِجلىَّ فى قَيدى.»!

فقالت: «وما أنَا وذاك؟»

---

١) الأصل ومط بدون «وَ» فزدناها كما فى الطَبرى (٥:٢٣١٠) ٢) وفى بعض الأصول: مِحرَبٌ ٣) فى الأصل ومط: «قليل»، وفى الطبرى (٥:٢٣٦٣): «قَليل» مجرورًا،القَليل: الجماعة ٤) فى الطَبرى ومط: تفيض. تفيظُ: تموتُ. ٥) فى الطَبرى: لَدُن امسَوا. مط: الّذين امسَوا.

فجَعَلَ يَرسُفُ فى قيده وقالَ: [364]

كفىٰ حَزَنًا أن تَردِىَ الخَيلُ بِالقَنا وأُترَكَ مَشدُودًا عَلَىَّ وَثاقيا
إذا قُمتُ عَنّانِى[1] الحَديدُ وغُلِّقَت مَصاريعُ مِن دُونى تُصِمُّ المُنادِيا

قالت سَلمىٰ: «إِنِّى استخرتُ اللهَ، ورَضيتُ بَعهدِكَ.»

فأطلقتهُ وقالت:

- «أمّا الفَرَس فلا أعيرُها.»

فرجعت.

فاقتادَها رُويدًا، وأخرجَها مِن بابِ القصر، فركبَها. ثمّ دَبَّ عليها حتّىٰ إذا كان بحِيالِ المَيمنةِ. ثمّ حَمَلَ على المَيسرةِ ميسرةِ الفُرسِ، يَلعبُ بِرُمحِه وسِلاحِه بين الصَّفَّين - وقد حُكى أنّ الفَرَسَ كانت عريًا، وحُكِىَ أنّها كانت بِسَرجِها - ثمّ رجع من خَلفِ صفِّ المسلمين إلى الميسرةِ، فكَبَّر، وحَمَلَ على ميمنةِ القَوم، يَلعب بينَ الصَّفَّين بِرُمحِه وسِلاحِه. ثمّ رَجَعَ مِن خَلفِ المسلمين إلى القلبِ، فبدر أمامَ النّاس، فحَمَلَ على القومِ يَلعبُ بين الصَّفَّينِ برمحِه وسلاحِه. فكان يقصِفُ النّاسَ لَيلَتَئذٍ قصفًا منكرًا، وتعجَّب النّاسُ منه وهم لايعرفُونَه ولم يَرَوهُ بالنَّهار.

فقال بعضُ الناس: «هذا مِن أوائل أصحاب هاشمٍ، أو هاشمُ نَفسُهُ.» [365]

وانتَبَهَ سعدُ وهو منكبُّ مُشرفُ مِن فوق القَصر، فقال:

- «واللهِ لولا محبس أبى مِحجنٍ لَقلتُ: إنّه هو وهذه البلقاءُ.»

وقال بعضُ النّاسِ: «إن كان الخِضرُ يَشهَدُ الحُروبَ فهذا الخِضرُ.»

وقال بَعضُهم: «لَولا أنّ الملائكةَ لاتُباشِرُ [القِتالَ[2]]، لَقُلنا: مَلَكٌ بيننا!»

فلمّا انتصَفَ اللّيلُ حاجَزَ أهلُ فارِسَ، وتَراجعَ المُسلمون، وأقبلَ أبومِحجَنٍ حتّىٰ دَخَلَ القَصرَ من حيثُ خرج مِنهُ، ووَضعَ عن نَفسِه وعن دابّتِه، وأعادَ رِجليهِ فى قَيدِه، وقال فى أبياتٍ:

لقد عَلِمَت ثقيفُ غيرَفَخرٍ بأنّا نحنُ أكرمُهُم سُيُوفًا
وأكثَرُهم دُرُوعًا سابِغاتٍ وأصبَرُهُم إذا كَرِهُوا الوُقُوفا
وأنّا وفدُهُم فى كُلِّ يَومٍ فإن عَمِيُوا فَسَل بِهِمُ عَرِيفًا[3]
وليلةَ قادِسٍ لم يَشعُرُوا بى ولم أُشعِر بمَخرَجِىَ الزُّحُوفا

---

١) الأصل «عنّانى» وما أثبتناه يؤيّده مط والطبرى (٥: ٢٣١٣).
٢) كلمة «القتال» مأخوذةٌ من الطبرى ٥: ٢٣١٤.
٣) البيت تكملةٌ من الطبرى ٥: ٢٣١٥.

فإن أحبس فذلكمُ بلائى   وإن أترك اذيقهمُ الحتُوفا

وإنما حُبِسَ فى أبياتٍ قالها وهىَ:

إذامتُّ، فادفنّى إلى اصل كرمة   ... ...[1]

فلمّا اصبحت سلمىٰ اتت سعدًا، وكانت مُغاضبةً لهُ، وصالحته واخبرتهُ [366] خبرَها مع ابى محجن. فدعَا به، وأطلقهُ، وقال:

- «إذهب، فما انا مؤاخذك بشىء تقولهُ، حتّى تفعلَهُ.»

قال: «لاجَرَمَ واللهِ، لا أُجيبُ لِسانى إلى صِفةٍ قبيحٍ ابدًا.»

يومُ عِماس

أصبحَ النّاسُ اليومَ الثّالثَ على مَواقِفِهم وبينَهم كالرّجلةِ الحمراءِ مِيلُ فى عَرضِ الصَّفّين، وقد قُتِلَ مِن المسلمين الفان، ومِن المشركين عَشرةُ آلافٍ، وكانَ اهلُ الدّين يجمعونَ القتلىٰ يحملونَهم إلى المقابِر ويبلّغون الرّثيثَ إلى النّساءِ والصّبيان، و[النّساءُ و][2] الصّبيانُ يحفِرون القُبورَ فى اليومَين: يَومِ اغواثٍ ويومِ ارماثٍ. وباتَ القعقاعُ ليلتَهُ كلَّها يُسَرِّبُ اصحابَه إلى المكانِ الّذى فارقَهُم بالأمسِ. ثمّ قال لهُم:

- «إذا طلعتِ الشّمسُ فأقبِلُوا مائةً مائةً، كلّما تَوارت مائةٌ فليَتْبِعها مائةٌ. فإن جاءَ هاشمُ فذاكَ، وإلاّ جَدّدتُم لِلنّاسِ رجاءًا وجِدًّا.»

ففعلُوا ولايشعُرُ بذلك احدٌ.

فاصبحَ النّاسُ على مَواقِفِهم قد احرزُوا قتلاهُم: فامّا [367] قتلى المشركين فقد أُضيعُوا، لأنّهم لايَعرضون لأمواتِهم، وكان ذلك مِمّا صَنعَ اللهُ لِلمسلمين مكيدةً لِيشدَّ بِها اعضادَهم.

فلمّا ذَرَّ قرنُ الشّمس والقعقاعُ يُلاحظ الخيلَ طَلعت نَواصيها. فكبّر، وكبّر النّاسُ وقالوا: «جاءَ المَدَدُ» وقد كانَ عاصِمُ بنُ عمرو أمرَ ان يُصنعَ مِثلُها. فجاؤوا من قِبَلِ خَفّان. فماجاءَ آخر

---

١) والأبياتُ كما فى الطّبرى (٥:٢٣١٦) هى:

إذا مِتُّ فادفِنّى إلىٰ اصلِ كَرمَةٍ   تُرَوّى عِظامى بَعدَ مَوتى عُرُوقُها
ولا تدفِنّنى بالفَلاةِ فإنّنى   اخافُ إذا ماِمتُّ الاّ أذُوقُها
وتُروى بخَمرِ الحُصِّ لَحدى فإنّنى   اسيرُ لها من بَعدِ ما قد اسُوقُها

٢) تكملةٌ من الطّبرى.

أصحابِ القعقاعِ حتّى انتهىٰ لهم هاشمُ فى سبعمائة، فأخبروهُ برأى القعقاعِ وما صنع فى يَومَيه، فعبّىٰ أصحابَهُ سَبعينَ سَبعينَ.

فلمّا نَجز[1] أصحابُ القعقاعِ خرجَ هاشمُ فى سَبعينَ مَعَهُ، فيهم قيسُ بن هُبيرة، حتّىٰ إذا خالَطَ القَلبَ كَبَّروا، وقد أخَذَ المسلمينَ الفَرَحُ[2]، فكبّروا جميعًا وقد أصلحَ المشركون توابيتَ الفِيَلَةِ معها الرَّجّالةُ يحمونَها أن تُقطعَ وُضُنُها ومع الرَّجّالةِ فُرسانُ يَحمونَهُم، إذا رأوا كتيبةً دَلَفُوا إليها بفيلٍ واتباعِهِ لينفروا به الخَيلَ. فلم يكن ذلك منهم كماكان بالأمسِ، لأنّ الفيلَ إذا كان وحدَهُ ليس معه أحدٌ، كانَ أوحش [368] وأهولَ، وإذا طاف به النّاسُ كان آنسَ. فكان القتالُ كذلك. وكان يوم عِماسٍ من أوّلِه إلى آخره شديدًا، العَجمُ والعربُ فيه سَواءُ، ولايكونُ بينَهم لَفظةٌ[3] إلاّ تعاوَرَها الرِّجالُ حتّىٰ تبلغَ يزدجردَ، فكان يبعث إليهم بأهلِ النّجداتِ مِمَّن بقىَ عِندَهُ فيقوون بهم، وتجيئُهُمُ الأمدادُ على البُرُدِ. فلولا الّذى صَنَعَ القَعقاعُ فى اليومين، ومجىءُ هاشمٍ بعَقِبه كَسَرَ ذلك المسلمين، وما كان عامّةُ جُنَنِ المسلمين إلاّ براذعَ الرِّحالِ، قد أعرضوا فيها الجريدَ، ومَن لم تكن لَهُ وقايةٌ لرأسِه، عَصَّبَ رأسَهُ بالأنساع. وأبلىٰ يَومَئذٍ قَيسُ بنُ هبيرةَ بنِ مَكشوحٍ.

وقال عمرو بنُ معدى كرب:

- «إنّى حامِلُ على الفيلِ بإزائهم، فلاتَدَعونى أكثر من جَزرِ جَزُورٍ، فإن تأخّرتُم فَقَدتُم أباثورٍ، وأينَ لكُم مِثلُ أبى ثَورٍ، وإن أدركتمونى وجدتُمونى وفى يَدى السَّيف.»!

فَحَمَلَ، فما انثَنىٰ حتّىٰ ضَرَبَ فيهم، وسَتَرَهُ الغُبارُ. فقال أصحابُهُ:

- «ما تنتظرون؟ ما أنتم بخُلَقاءَ أن تُدركوهُ، وإن فقَدتُموهُ فَقَدَ المسلمون فارِسَهم.»

فحمَلُوا، فأفرجَ [369] المشركون عنهُ بعدَما صَرَعُوهُ وطَعَنُوه وإنّ سيفَهُ لَفى يَدِه يُضاربُهم به، وقدطُعِنَ فرسُهُ. فلمّا انفرج عنه أهلُ فارسَ أخذ بِرجلِ فَرَسٍ عليه فارسىٌّ، فحرّكَهُ الفارسىُّ، فاضطربَ الفَرَسُ، فالتفتَ إلى عَمرو، فَهَمَّ به، فغشيَهُ المسلمونَ. فنزل عنه، وحاضر إلى الفَرسِ[4]، وقال عَمروُ لأصحابِه:

- «أمكِنُونى مِن لجامِه.»

---

١) كذا فى الأصل. مط: نحر. وفى هوامش الطبرى: نجر، نجز، وفى الطَّبرى: «فلمّا جاء آخر أصحاب القعقاع» (٥، ٢٣١٩). ٢) مط: وتداخل المسلمون الفرح! وفى الأصل: وقد أخلى المسلمون الفُرْخ (الفَرَج؟) وفى عبارة الأصل غموض، وما أثبتناه كان مكتوبًا على هامش الأصل فرجُحناهُ. ٣) مط: لقطة. فى الطَّبرى: نقطه، وفى هامشه: بقطة. ٤) الطَّبرى: وحاضر إلى أصحابه (٥: ٢٣٢٣). وضبط الأصل: القَرَس.

فامكَنُوهُ منهُ فركبَهُ.

[إتّفاقٌ جرىٰ يَومَ عِماسٍ ويُحذَرُ ان يَقعَ مثلُه]

ومِن الاتّفاقِ الّذى جرىٰ فى يومِ عِماسٍ ويُحذَرُ ان يَقعَ مثلُه: انّ رجلاً من الفُرسِ خَرجَ بينَ الصَّفَّين فهَدَرَ وشَقشَقَ ودَعا إلى البِراز.

قال: فبرز رجلٌ مِنّا يُقالُ لَهُ: شَبرُبن علقمةَ، وكان قصيرًا دَميمًا، وقال:

ـ «يامَعشَرَ المسلمين! قد انصفكُم الرَّجُلُ.»

فلم يُجِبهُ ولم يَخرُج إليه احدٌ.

فقال: «أما واللهِ، لولا ان يَزدرُوني لخَرجتُ إليه.»

فلمّا راى انّ المسلمين لايَمنَعُونَهُ اخذ سيفَهُ وحَجفَتَهُ، وتقدّم. فلمّا رَآهُ الفارسىُّ نَزَلَ إليه، فاحتملَهُ، وجَلَسَ على صَدرِه واخذ سيفَهُ ليَذبَحَهُ وقدكان شدَّ مِقوَدَ فَرَسِه بِمنطَقَتِهِ. فلمّا سَلَّ السَّيفَ [370] حاصَ الفَرَسُ حَيصَةً، فجذبَهُ المقوَدُ، فقَلَبَهُ عنه. فاقبلَ عليه وهو يُسحَبُ، فافترشَهُ. وجَعَلَ اصحابُه يَصيحون به، فقال:

ـ «صيحُوا مابَدا لَكُم، فواللهِ لا افارِقُهُ حتّى اقتُلَهُ واسلُبَهُ.»

فذَبَحَهُ وسَلَبَهُ، ثم اتىٰ بِه سَعدًا، فقال:

ـ «إذا كان حينُ الظُّهرِ فائتِني.»

فَوافاهُ، فحمِدَ سعدٌ اللهَ، واثنىٰ عليه، ثم قال:

ـ«إنّى قد رايتُ أن انفُلَهُ إيّاه، وكلُّ مَن سلبَ سلبًا فهُوَ لَهُ.»

فباعَهُ بإثنَى عشرَ الفًا.

[ماجرىٰ فى يوم أرماثٍ]

ولمّا عادتِ الفِيَلَةُ لِفعلِها يَومَ ارماثٍ تُفرِّقُ بَينَ الكتائب، راسَلَ قومًا مِمّن اسلموا مِن الفُرسِ، فدخَلُوا عليه، فسألَهُم عَنِ الفِيَلَةِ: «هَل لَها مَقاتِلُ؟»

قالوا: «نَعم! المَشافِرُ والعُيُون. لا يُنتفعُ بِها بعدَها.»

فارسَلَ إلى القَعقاعِ وعاصِمِ ابنى مذعورٍ: «إكفيانى الأبيضَ.» وذاكَ انّ الفِيَلَةَ كانت تالفَهُ، وكان بإزائهما؛ وارسَلَ إلى حَمّالٍ والرِّبّيلِ: «إكفيانى الأجرَبَ» ـ وكان بإزائهما.

فامّا القعقاعُ وعاصِمٌ فانّهما اخَذا رُمحين اصَمَّين لَيِّنَينِ، ثمّ دَبّا فى خَيلٍ ورَجلٍ، وقالا:

- «إكتنفوهُ لِتُحَيِّرُوهُ.»

فَنَظَر الفيلُ يَمنَةً ويَسرَةً وهُما يُريدانِ أن يتخبَّطَ. فحمَلَ القعقاعُ وعاصِمٌ - والفيلُ متشاغِلٌ بِمَن حَولَه - فوضَعا رُمحَيهما [371] فى عَينَىِ الفيلِ الأبيضِ، فقبَعَ، ونَفَضَ رأسَهُ، فطَرَحَ ساستَهُ، ودَلّىٰ مِشفَرَهُ، فبادرَهُ القَعقاعُ، فنفحَهُ بالسَّيفِ، فرمىٰ به، وأقعى الفيلُ، فقتَلُوا مَن كان عليه

وأمّا حَمّالٌ والرِّبّيلُ فإنّهما قالا:

- «يا معشرَ المسلمين، أىُّ الموتِ أشدُّ؟»

قالوا: «أن يُشَدّا على هذا الفيلِ.»

قال: فنَزّقا فَرَسَيهِما حتّى إذا قاما على السَّنابك ضَرباهُما على الفيلِ الّذى بإزائهم. فطَعَن أحدُهُما عينَهُ فوطئَ الفيلُ مَن خَلفَهُ، ويَضرِبُ الآخرُ مِشفَرَهُ، فيضربُه سائس الفيلِ ضَربةً شائِنَةً فى وجهِه بالطَّبرزين، فأفلتَ بها هو والرِّبّيلُ[1]، فبقى الفيلُ متلَدِّدًا بين الصَّفَّينِ كلّما أتى صَفَّ المسلمين وَخَزُوهُ، وإذا أتى صَفَّ المشركين نَخَسُوهُ، وصاحَ الفيلانِ صِياحًا عظيمًا. ثمّ ولّى الأجربُ الّذى عُوِّرَ، فوثب فى العَتيقِ فاتبعته الفِيَلَةُ فَخرَقَت صفَّ الأعاجم، وعَبَرتِ العَتيقَ فى إثرِه، فبيَّتتِ[2] المدائن فى توابيتِها، وهَلَك مَن فيها، وخلص المسلمون بأهلِ فارسَ، ومالَ الظِّلُّ، فتزاحفُوا، واجتلدوا بالسُّيوفِ حتّىٰ أمسَوا. فلمّا طعَنُوا فى اللَّيلِ اشتدَّ القتال [372] وصَبَرَ الفريقان، ولم يُسمع إلا الغَماغِمُ مِن هؤلاءِ وهؤلاءِ، فسُمِّيت «ليلةَ الهرير» لم يكن بعدَها قِتالٌ بليلٍ بالقادِسيَّةِ.

ثمّ إنّ سَعدًا وجَّهَ طُلَيحةَ وعمرَوبنَ مَعدى كربٍ إلى مخاضةٍ كانت أسفَلَ مِنهُم، وخَشِىَ أن يُؤتَى المسلمونَ مِنها بعبورِ الفُرسِ، وَوَصّاهُما أن يقِفا هناكَ، فإن أحسّا بِكيدٍ أنذَرا المسلمينَ. فانتهَيا إلى هناك، فلم يجدا أحدًا. فأمّا طُلَيحةُ فرأىٰ أن يَعبُرَ، وأمّا عَمروٌ فقال: «ما أمِرنا بذلك.»

فعبَر طُلَيحةُ حتّىٰ إذا صار وَراءَ صَفِّ المشركين كبَّرَ ثلاثَ تكبيراتٍ، فدهشَ القومُ، وكفُّوا عَنِ الحَربِ لينظروا ماهو، وطلبوهُ فلم يَدرُوا أينَ سلك! وسفَلَ حتّىٰ غاصَ، وأقبلَ إلى العسكرِ فأتىٰ سعدًا خَبَرُهُ، فاشتدَّ ذلك على الفُرسِ، وفرح المسلمون. وقال طُلَيحةُ لِلفُرسِ:

- «لا تعدَمُوا أمرًا ضَعضَعَكُم.»

---

١) الأصل ومط: بها وهو الرِّبّيل بتقديم «و» على «هو» وما أثبتناه يؤيِّده الطَّبرى (٥: ٢٣٢٥).

٢) وفى الطَّبرى: فأتت المدائن، وفى هامشه: فبيّتت (٥: ٢٣٢٦).

ثمّ إنّهم عادُوا، وجدَّدوا تعبئةً، وأخَذوا فى أمرٍ لم يكونُوا عليه فى الأيّام الثّلاثةِ والمسلمون على تعبيتِهم. فطارَدَهُم فُرسانُ العربِ، فإذا القومُ لايَشُدُّون، ولا يُريدون إلاّ الزّحفَ [373] فقدَّمُوا صفًّا له أذُنان، واتَّبعُوا آخرَ وآخرَ حتّىٰ تمّ صفوفُهم ثلاثةَ عشرَ صفًّا فى القَلبِ والمجنِّبَتَين. فرماهم فُرسانُ العَسكرِ فلم يَعطِفهم ذلك. ثمّ لَحِقت بالفرسانِ الكتائبُ، فحمَلَ القعقاع علىٰ ناحيتِه الّتى رُمِىَ بِها مُزدَلِفًا. فقاموا على ساقٍ والنّاسُ على راياتِهم، بغيرِ إذنِ سَعدٍ.

فقال سَعدٌ: «اللّهمَّ اغفرها لَهُ وانصرهُ، واتميماه سائرَ اللّيلَةِ.»

ثمّ قال: «إنّ الرّأىَ ما رَءاهُ القعقاعُ. فاذا كبرّتُ ثلاثًا فاحملوا.»

فلمّا كبّروا[1] واحدةً حملت أسدُ فقال: اللّهمّ اغفِرها لهم وانصُرهُم. وا أسداه سائرَ اللّيلَةِ.»

ثمّ حمل النّاسُ وعَصَوا سَعدًا. فقام قيسُ بنُ المكشوحِ فى مَن يَليهِ ـ ولَم يَشهَد شيئًا من لَياليها إلاّ تلك اللّيلَةَ، لأنّهُ كان آخرَ مَن وَرَدَ مع هاشمٍ ـ فقال:

ـ «إنّ عَدوّكم قد أبىٰ إلا المزاحفة، والرّأىُ رأىُ أميركم، وليس بأن تَحملَ الخَيلُ ليس مَعَها الرَّجلُ.»

قال القومُ: «إذا زَحَفُوا وطاردَهم عدوُّهُم على الخَيل لارجالَ معهم عَقَروا[2] بهم، ولَم يُطيقوا أن يُقدِمُوا عَليهم. تيسّروا لِلحَملةِ، وانتظِروا التّكبيرَ، وإنّ نُشّابَ الأعاجمِ لَتَجوزُ [374] صفّ المسلمين.»

فتكلّم الرُّؤساءُ. فقال دُرَيدُ بنُ كعبٍ النَّخَعى ـ وكان معَهُ لِواءُ النَّخعِ ـ:

ـ «إنّ المسلمين قد تَهيَّاوا للمزاحفةِ، فاستَبِقوا المؤمنين اللّيلَةَ إلى اللهِ والجهادِ. نافِسُوهُم الشّهادة، وطيبُوا نفسًا بالموتِ، فإنّه أنجىٰ مِن المَوتِ إن كُنتُم تُريدونَ الحَياةَ الآخِرةَ، وإلاّ فالآخِرةُ ما أردتُم.»

وتكلّم الأشعثُ بنُ قيسٍ، فقال:

ـ «لايَنبغى أن يكونَ هؤلاءِ أجرأَ على المَوتِ مِنّا، ولا أسخىٰ نَفسًا عَن الدُّنيا، لا تجزَعوا مِن القَتلِ، فإنّه أمانىُّ الكِرامِ، ومَنايا الشُّهداءِ.»

وتَرجَّلَ وتكلّم طُليحةُ فقال مِثلَ ذلك، وتكلّم غالِبٌ وحَمّالٌ وأهلُ النّجدات، فقالوا قريبًا مِن ذلك، وفعلُوا فِعلَهُم. وقامت حَربُهم على ساقٍ، حتّى الصّباح. فتِلكَ ليلةُ الهَرير.

وحَكىٰ أنسُ بنُ الحُليسِ، قال: شهدتُ لَيلةَ الهَرير، فكان صَليل الحَديدِ فيها كصَوتِ

١) فى الأصل: كبّروا، وما أثبتناه من مط. ٢) فى الأصل: عفروا. وما أثبتناه يؤيّده الطّبرى ومط (٥: ٢٣٣١).

القُیُون ليلتَهم حتّى الصَّباح، افرغَ عَليهم الصَّبرُ إفراغًا، وباتَ سَعدُ بلَيلَةٍ لم يَبِت بمِثلِها، ورأى العَربُ والعَجَمُ امرًا لَم يَرَوا مِثلَهُ قَطُّ، وانقطعت الأصواتُ عَن رُستَم وسَعدٍ. فبعث سَعدُ نجّارًا[1] ـ وهو [375] غلامٌ ـ إلى الصَّفّ لم يَجِد رَسُولاً، فقال:

ـ «انظر ما ترىٰ من حالِهم.»

فرجع، فقال: «مارأيتَ يابُنَىّ؟»

قال: «رأيتُ قومًا يَلعَبُون ويَجِدُّون.»

فاوّلُ شىء سَمِعهُ سعدُ لَيلَتَئذٍ مِمّا يُستدَلُّ بِه على الفَتحِ فى نِصفِ اللّيلِ الأخير، صَوتُ القَعقاعِ بن عمرو، وهو يقول:

نَحنُ قَتَلنا مَعشَرًا وَ زائدًا أربَعَةً وخَمسَةً و واحِدًا
تَحسب[2] فَوقَ اللّبدِ[3] الأساوِدَا حتّى إذا ماتُوا دَعَوتُ شاهِدًا[4]
الله رَبّى واحتَرَدتُ[5] جاهِدًا

واصبَحُوا لَيلَةَ القادِسيّةِ ـ وهى لَيلةُ الهَرير. سُمّيت بِلَيلة القادسيّة مِن بَينِ تلك اللّيالى والأيام ـ والنّاسُ حَسرىٰ لم يُغمِّضوا ليلتَهُم كلَّها. فسار القَعقاعُ فى النّاسِ، فقال:

ـ «إنّ الدَّبرَةَ بَعدَ ساعةٍ لِمَن بَدأ اليومَ، فاصبِروا فإنّ النَّصرَ مع الصَّبرِ.»

فاجتمع إليهِ جماعةٌ مِن الرُّؤساءِ، فصمدوا لِرُستَم حتّىٰ خالَطُوا الّذين دُونَهُ. ولمّا رَأت ذلكَ القَبائلُ قام فيها رِجالٌ، فقام قَيسُ بنُ عبدِ يَغُوثَ المكشُوح، والأشعثُ بنُ قيسٍ، وعمرُو بنُ مَعدى كربٍ، واشباهُهُم، فَحَضُّوا النّاسَ وحَرَّضُوا. [376]

فكان اوّلَ مَن زال حينَ قام قائمُ الظَّهيرةِ الهُرمُزان والبِندُوان[6]، فتاخَرا وثَبَتا حيثُ انتَهَيا. وانفرج القلبُ، ورَكَدَ عَليهِم النَّقع، وهبّت ريحٌ عاصِفٌ، فقلعت طَيّارةَ رُستَم عَن سَريره، فهَوَت فى العتيق وهى دَبُورٌ، ومالَ الغُبار عليهم. وانتهىٰ القَعقاعُ واصحابُه إلى السَّرير، فعَبَرُوا بِه، وقد قامَ رُستَم حين طارت الرِّيحُ بالطَّيارةِ إلى بِغالٍ قَدِمَت عليه بمالٍ يَومَئذٍ فهى واقفةٌ. فاستظلَّ فى ظِلّ بَغلٍ وحِمله. فقصدَهُ هِلالُ بنُ عُلّفة، ووَلّىٰ عنه رُستَم، فاتّبَعَهُ هلال، فرَماهُ رُستَم، فشَكَّ قدمَهُ

---

١) الأصل: مُهمل النّقط مع تشديد الثانى. فى مط: زالت نقطه النّون. وفى الطّبرى: بِجاد وفى حاشيته: نجّار (٥: ٢٣٣٤).
٢) كذا فى الأصل وحواشى الطبرى: تَحسِب، وفى الطّبرى ومط: «نُحسَبُ».
٣) اللّبد: بساطٌ من صوفٍ، أو مايجعلُ على الفَرَسِ تحتَ السَّرج.
٤) الطّبرى: جاهدًا، وفى حواشيه: شاهدًا.
٥) الأصل: «اجتردت» بقرينة مط، لأنّ نقطة الجيم فيه زائلةٌ تقريبًا. فى الطّبرى: «احترزتُ عامِدًا» وفى حواشيه: «احتردتُ جاهدًا.
٦) وفى الطّبرى: «البيرزان» (٥: ٢٣٣٦).

فى الرِّكابِ، وقال بالفارسيَّة:

- «بِپاى.[١]» - يقول: «كما أنت ارفُق.»

فحَمَلَ عليه هلالٌ، فضَربهُ ضَربةً نفحت مسكًا. ومضىٰ رُستَم نحو العتيق، فرمىٰ بنفسه فيه، واقتحمَهُ هلالٌ عَليهِ، فتناوَلَهُ وقد عامَ وهلالٌ قائمٌ. فأخذَ رِجلَهُ، ثمّ خَرجَ بِه، وضربَ جبينَهُ بالسَّيف حتّىٰ قَتلهُ، ثمّ جاءَ به حتّىٰ رَمىٰ به بين يَدَى رَحلِه وأرجُلِ البِغالِ، وأخذَ سلَبَهُ، ثمّ صَعدَ السَّريرَ، ونادىٰ:

- «قتلتُ رُستَمَ وربِّ الكعبةِ، إلىَّ إلىَّ!»

فاطافُوا بِه، وكبَّروا ومايُحسُّونَ السَّريرَ، ولا يَرَونَهُ، وانهزمَ المشركون. [377]

وقام الجالِنوسُ على الرَّدمِ ونادىٰ أهلَ فارسَ إلى العُبورِ، وأسفَر الغُبارُ. فامّا المقترنون فإنَّهُم جَشِعُوا. فتَهافَتوا فى العَتيقِ، فوخزَهُم المسلمون بِرماحِهِم، فما أفلتَ منهم مُخبرٌ وهُم ثلاثون ألفًا.

[دِرَفشُ الكابيان وغيرُه من الأسلاب]

وأخذ ضِرارُ بنُ الخَطّابِ دِرَفشَ الكابيان، فعَوَّض منها ثَلاثينَ ألفًا، [٣٠،٠٠٠] وكانَت قيمَتُها ألفَى ألفٍ ومائتى ألفٍ [٢،٢٠٠،٠٠٠]. وجُمعت الأسلابُ والأموالُ، فجُمعَ مِنها شَىءٌ لم يُجمع قبلَه ولا بعدَه.

وأرسَلَ سَعدٌ إلى هلالٍ، فدُعِىَ، فقال:

- «أينَ صاحبُك؟»

قال: «رَمَيتُ به تَحتَ أبغُلٍ كانت هنالكَ.»

قال: «إذهب، وجِئ بِه.»

فامضىٰ له سلبَهُ. وبَعثَ زهرةَ بنَ الحُويَّةِ[٢] يتبع الجالنوس ومَن لَحِقَ به، وامر القعقاع بمن سَفلَ، وشرحبيلَ بِمَن عَلا. وامرَ بِدَفنِ الشّهداء. فخرجَ زُهرةُ بن الحُويَّة فى آثارِهم. فلمّا انتهى

---

١) بِپاى = بِپاى: فعل أمرٍ من المصدر الفارسى: «پاييدَن» والباء زائدة فى صيغة الأمر. ومعناه: إنتبِه وواظِب! (وفى هذا المعنى تُشدّد الباء الفارسيّة، أى حرفه الثانى) أو: إبقَ، دُم، أو: قاوم، أو: ارصد؛ وفى الطَّبرى: فشكُها فى الرِّكاب وقال بِپّايه. وفى الهامش: «بَپايه، بَپابَه، بپايه»، أى: إصبر. (٥: ٢٣٤٣). وفيه أيضًا: «فشكها» ورستم يقول بالفارسية: «بپايه» أى: كما انت، وفى الهامش: «كما انت» (٥: ٢٣٥٦).

٢) فى الطَّبرى: الخويّه (٥: ٢٣٣٨). مط: الجويّه.

إلى الرّدمِ وَجَدَه مبثوقًا، لِيمنَعُوهم مِن الطّلب. فقال زُهرة:

- «يابُكيرُ - وكان معه - اقدِم فَرسَكَ!» وكان بُكيرُ يقاتِلُ على الاناثِ، وقال:

- «ثِبى اطلالُ!»

فتجمّعت ووَثبت. وأوثَبَ زُهرةُ فَرسَهُ [378] - وكان على حِصانٍ - فاتبعه وتتابع على ذلك ثَلاثمائة فارسٍ. ونادىٰ زُهرةُ حين كاعَتِ[1] الخيلُ:

- «خُذُوا أيُّها النّاسُ على القَنطَرةِ فعارضونا!»

ففعلَ النّاسُ ذلكَ ومَضىٰ زُهرةُ، فلَحِق الفُرسَ، وقد نَزلُوا الخرّارةَ وطعِمُوا، وهم يتعجّبُون من رَميهِم وأنّهُ لم يَعمَل فى العَربِ. وكان الجالنوسُ قد رُفِع له كُرَةٌ[2]، فهو يَرميها ويَشُكُّها بالنُّشابِ. فشدَّ زُهرةُ على الجالنوسِ، فقَتَلهُ، وانهزمتِ الفُرسِ.

وقد قِيل: إنَّ الجالنوسَ كان راكبًا يحمى الفُرسَ حين لَحقهُم زُهرةُ، فشاولَهُ، واختلفا ضَربَتينِ سَبقَهُ زُهرةُ، فقَتَله.

وامّا القَعقاعُ وشُرحبيل فإنّهما خرجا فى طَلَبِ مَن ارتفعَ وسفل، فقتلوهُم فى كلّ قريةٍ وأجمةٍ وشاطئ نَهرٍ، ورجعُوا. فتَوافَوا عند صَلاةِ الظّهر، وهنّأَ النّاسُ بعضُهم بَعضًا، وأثنى سَعدُ على كلّ حىٍّ، وذَكرَ خيرًا.

وتدرّعَ زُهرةُ ماكان على الجالنوس، فبلغَ بِضعةً وسبعين الفًا. فلمّا رجعَ الى سَعدٍ نَزعَ سَلبَهُ وقال:

- «ألا انتظرتَ إذنى؟»

فكتَبَ عُمرُ إلى سَعدٍ:

- «تَعمدُ إلى مِثل زُهرة وقد صَلىَ بما صَلىَ به [379] وقد بَقِىَ مِن حَربِك مابَقِىَ، تكسِرُ قُوّتَه[3]، وتُفسِدُ قَلبَهُ! امضِ لهُ سَلبَهُ، وفَضّلهُ عند العطاءِ بخمسِمائةٍ.»

وقد حُكِىَ أنّ عامّةَ مَن شَهِدَ القادسيّةَ فُضّلُوا عِند العَطاءِ بخمسِمائةٍ. وامّا اهلُ الأيّام، فإنّهم فُضّلُوا على أهلِ القادسيّةِ، فإنّهم فُرِض لَهُم على ثَلاثةِ آلافٍ. فقيل لِعُمَرَ:

- «لو ألحقتَ بِهِم أهلَ القادسيّةِ، او فضّلتَ مَن بَعُدت دارُهُ على مَن قاتلهم بفَنائه.»

فقالَ: «كيف أفضّلُهم وهم شَجَى[4] العَدُوِّ، فهلاّ فَعلَ المهاجِرُون بالأنصارِ إذ قاتلُوا بفَنائهم

---

١) كاعتِ الخَيلُ: مَشت وتمايَلَت على أكواعها. من شدّة الحَرّ، او لانّها عُقِرت. الكاعُ طرفُ الزّندِ الّذى يلى الابهام.

٢) وفى الطّبرى: الكُرَة وفى حواشيه: الكَرّة (٥: ٢٣٤٢، ٢٣٥٧).

٣) الطّبرى: تكسر قرنَه (٥:٢٣٤٢).

٤) الطّبرى: شَجَنُ العدوّ (٥: ٢٣٤٣).

مثلَ هذا.»

فحُكىَ عن رَجلٍ من عبسٍ قال:

أصابَ أهلَ فارس يَومَئذٍ بعدَ ما انهزمُوا ما لم يُصِبِ النّاسَ قبلَهم. لقد كان الرَّجُلُ من المسلمين يَدعُو الفارسَ منهم وعليه السِّلاحُ التّامُ، فيأتيهِ حتّىٰ يقومَ بين يَدَيهِ فيضربَ عُنقَه ويأخذَ سِلاحَهُ، وربُما قَتلَهُ بسِلاحِه، وربُما أمَرَ الرَّجلين أحدَهما بِصاحِبِه، وكذلك فى العِدْوَ. وكان مِمَّن هَرَبَ: الهُرمُزانُ، وقارِنُ، وأهوذُ. وكانَ مِمَّن استقتَلَ: شهرُيار بن كنارا، وابن الهِربِذ، والفَرُّخان، وخُسروشنوم[1]. [380] وباعَ هِلالُ بنُ عُلَّفة سَلَبَ رُستم ـ وكان تَخفَّفَ لما وقعَ فى الماءِ ـ بسبعين ألفًا، وكانت قيمةُ قلنسُوَتِه مائةَ ألفٍ [١٠٠،٠٠٠] لوظُفِرَ بها. وجاءَ نَفرٌ مِن العبادِ حتّىٰ دَخلُوا على سَعدٍ، فقالُوا:

ـ «أيُها الأَميرُ، رأينا جَسَدَ رُستَم على بابِ قصرِكَ، وعَليه رأسُ غيرِه.»

وكان الضَّربُ قد شوّهَهُ، فضحِكَ.

وأمّا جُندُ الشامِ فإنَّ حِمصَ افتُتحت، وتوجَّهَ علقمةُ إلى غَزَّة، وتَوجَّهَ معاويةُ إلى قَيسارِيَّة، وصمد عَمرو بنُ العاصِ إلى الأَرطبون[2] بأجنادين، وكانَ الأرطبونُ أدهَى الرُّومِ، أبعدُها غورًا، وأذكاها فعلاً، وكان على الرُّومِ، وقد وضعَ بالرَّملةِ جُندًا عظيمًا[3]، وكتبَ عَمرو إلى عُمرَ [بالخبر][4] فقال عُمرُ: «قدرمَينا أرطبون الرُّومِ بأرطبون العَربِ، فانظروا عمّا تنفرج.»

ذِكرُ خَديعَةِ عَمرو لأَرطَبُون

وجعل عَمرو ينفذُ إلى الأَرطَبُون رُسُلاً فلا يَشفُونَه[5]. ولا يقدرون من أرطَبُون على سَقطة. فعزم على أن يتولاّهُ بنفسِه، فدخلَ عليه كأنَّه رسولٌ. فأبلغَهُ ما [381] يُريدُ، وسَمعَ كلامَهُ، وتأمَّلَ حُصُونَه حتّىٰ عرف ما أراد.

وقال أرطبون فى نفسِه:

ـ «واللهِ إنَّ هذا لَعَمرُو، أو الّذى يأخذُ عمرُو برأيِه، وما كنتُ لأُصيبَ القَومَ بأعظَمَ عليهم من قتلِه.»

---

١) مهمل النّقط وبدون الواو الأولى فى الأصل ومط، وما أثبتناه هو من الطّبرى (٥:٢٣٥٦). ٢) أرطيون، بالياء المثنّاة (لد). وفى الطّبرى أيضًا بالباء الموحّدة (٥:٢٣٩٨). ٣) وزاد فى الطبرى: وبإيلياء جُندًا عظيمًا ٤) تكملةٌ من الطبرى (نفس المصدر). ٥) وفى الطّبرى: فلا تشفيه الرُّسُلُ (٥:٢٣٩٩).

ثُمَّ دَعا حَرَسِيًّا، فسارَّهُ بقتلهِ، وقال:

ـ «اُخرُج بمكان كذا وكذا، فاذا مَرَّ بِكَ هذا فاقتُلْهُ.»

وفطَنَ له عَمرُو فقال:

ـ «قد سَمِعتَ مِنّى وسَمِعتُ مِنكَ. فأمّا ماقُلتَ فقد وقع مِنّى مَوقِعًا، وأنا واحدٌ من عَشرةٍ بعثَنا عُمرُ بنُ الخطّابِ مع هذا الوالى لنُكاتِفَهُ ويُشهِدَنا اُمورَهُ. فأرجِعُ، فآتيك بِهِم الآن. فإذا رأوا فى الّذى عَرَضتَ مِثلَ رَأيِى فقد رَآهُ أهلُ العَسكرِ والأميرُ، وإن لم يَرَوهُ رَدَدتَهُم إلى مَأمَنِهِم، وكنتَ على رأسِ أمرِك.»

فقال: «نعم.»

ودَعا رجُلاً، فسارَّهُ وقال:

ـ «إذهَب إلى فلانٍ فرُدَّهُ إلىّ.»

فرجع الرَّجلُ. وقال لعمرو:

ـ «إنطلِق، فجِئْ بأصحابِك.»

فخَرَجَ عمرُو ورأىٰ ألاّ يَعودَ لِمِثلِها، وعَلِمَ الرُّومى أنّهُ قد خَدَعَهُ. فقال:

ـ «خدعنى الرَّجلُ. هذا أدهَى الخلقِ.»

فبلغَت عُمَرَ فقال:

ـ «خَدَعَهُ عَمرُو وغَلَبَهُ. للهِ عَمرُو.[1]»

[سعد بن أبى وقّاص يُقدِم زُهرةَ إلى بهرسير]

ثمَّ إنَّ سعدَ بنَ أبى وقّاص [382] قَدَّم زُهرةَ إلى بَهرسير[2]. فمَضىٰ زُهرةُ من كُوثىٰ فى المقدّماتِ حتّى نزل بَهرسيرَ، فتلقّاه شيرزادُ بِساباط بالصُّلح وتأديةِ الجِزىٰ. فأمضاه إلى سَعدٍ، فاقبلَ مَعهُ وتبعته المجنّباتُ. وخَرَجَ هاشمُ وخَرَجَ سَعدُ فى إثره وقد فَلَّ زهرةُ كتيبةَ كِسرىٰ بُورانَ [حولَ][3] المُظلِم[4]، وانتهىٰ هاشمُ إلى مُظلِمِ ساباط، ووقف لسعدٍ حتّىٰ لَحِقَ به، وكانت به كتائبُ كِسرىٰ تُدعَى: «الأسود»، يحلِفون باللهِ كلَّ يومٍ:

---

١) تجد التّفاصيل عند الطّبرى ٥: ٢٤٠٠.

٢) فى الأصل ومط: نهرسير. وبَهُرَسير من نواحى بغداد قُربَ المدائن ويقال: «بَهُرَسير الرُّومقان»، وقال حمزة:هى إحدى المدائن السّبعة التى سُمّيت بالمدائن وهى غربىُّ دجلةَ (مع).

٣) تكملة من الطّبرى.

٤) المُظلِم: مُظلِمُ ساباط: مَوضعٌ مضافٌ إلى ساباط الّتى بقرب المدائن (مع).

- «لا يَزولُ مُلكُ فارسَ ماعِشنا.»

فتنادَوا ورئيسُهم المُقرَّطُ. وقالَ المُقَرَّطُ:

- «إلىَّ إلىَّ.»

وذلك لمّا انتهىٰ إليه. فنزل إليه هاشمٌ فقَتَلَهُ. فقبَّلَ سعدٌ رأسَ هاشمٍ، وقبَّلَ هاشمٌ قَدَمَ سَعدٍ. وقَدِمَ سَعدٌ إلى بَهُرَسير، فنزلَ إلى المُظلمِ وقرأ: «اوَلَم تَكُونُوا أقسَمتُم من قَبلُ مَا لَكُم من زَوالٍ.»[١] ثم ارتَحلَ فنزل بَهُرَسير. وجَعلَ المسلمون كلّما قامت طائفة على بهرسير، وقفوا، ثمّ كبرّوا كذلكَ، حتّى انجز[٢] آخرُ مَن مع سَعدٍ، فكان مُقامُه على بَهُرسير شَهرَين. وعَبَروُا فى الثّالث، وذلك أنّهم أقامُوا شهرَين يَرمونَهُم بالمَجانيق، ويَدِبُّون إليهم بالدّبّاباتِ، ويُقاتلونَهُم بكُلّ عُدَّةٍ. وكان [383] سَعدُ استصنعَ شيرزاد عشرين مَنجنيقًا، فشغلوهُم بِها. وكانتِ العربُ مُطيفةً بِبهُرَسير والعَجَمُ متحصّنةٌ فيها. وربّما خرج الأعاجِمُ يَمشون على المُسَنَّياتِ المُشرِفةِ على دِجلة فى العُدّةِ والعَديدِ لقتالِ المسلمين، فلا يقومُون لهُم. فكان آخرما خَرجُوا فى رَجّالةٍ، وناشِبةٍ تجَرّدُوا لِلحربِ، وتبايَعُوا على الصّبرِ، فقاتلهُم المسلمون ولم يُلَبِّثوهُم[٣]، فكذِبوا وتولّوا.

ذِكرُ استِهانةٍ فى الحرْبِ عادت بِهَلَكةٍ

هكذا وَجدتُ فى التّاريخِ وهو سَهوٌ، لأنّ زُهرةَ بنَ الحُويّة عاشَ بعدهذا، وشَهِدَ مواقِفَ كثيرةً، وسَيَرِدُ جميعُهُ على الأثرِ. ولعلّ هذا زُهرةُ بنُ خالِدٍ، فلينُظَر فى ذلك.

كان فى ذلك اليَوم على زُهرةَ بنِ الحويّة دِرعٌ مَفصُومةٌ، فقيل له:

- «لو أمرتَ بهذا الفَصمِ فَسُرِدَ.»

فقال: «ولِمَ؟»

قال: «نَخافُ عليك مِنهُ.»

قال: «إنّى لَكريمٌ على اللهِ، إن تَرَكَ سَهمُ فارسٍ[٤] الجندَ كُلّهم، ثمّ أتانى من هذا الفَصم حتّى يَثبتَ فىَّ.»

فكان أوّلَ رَجُلٍ من المسلمين يَومَئذٍ أصيبَ هُوَ [384] بنُشّابَةٍ ثَبَتَت فيه من ذلك الفَصمِ.

---

١) س ١٤ إبراهيم: ٤٦.
٢) الطّبرى: «نجز» وفى حواشيه: «انجر». (١، ٢٤٢٥).
٣) الطّبرى: «ولم يثبتوا لهم» (٥: ٢٤٢٨).
٤) كذا ضُبطَ فى الأصل «فارسٍ»، والضبط عند الطّبرى: «فارسَ» أيضًا (٥: ٢٤٢٨).

فقال بعضُهم: «إنزَعُوها عنه.»

فقال: «دَعُونی، فإنّ نفسی مَعی مادامَت فیَّ، لَعلّی أصیبُ مِنهُم بطعنةٍ، أوضربةٍ، أو خَطوةٍ.»

فمضیٰ نحوَ العَدوِّ، فضـربَ بِسـیفِهِ شـهربراز مِن أهلِ إصـطخر، فقتلَهُ، وأحیط بِه فقُتِلَ، وانكشَفُوا. وتَنادیٰ أهلُ بَهُرَسیر، فعبَرُوا. فلمّا رَآهُم سَعدُ والمسلمون یعبرُون، زحفُـوا إلی السُّـورِ والمجانیقِ تأخُذهُ. فناداهم رَجُلٌ:

- «الأمانَ»

فآمَنُوهُ، فقال:

- «أیَّ شَیءٍ ترمون؟ مابَقِیَ فی المدینةِ أحدٌ.»

فتسوَّروا، ودخَلُوا بَهُرَسیر، وفتحُوا أبوابَها، وتحوَّل العَسكَرُ إلیها، وحـاوَلُوا العُبورَ، فـوجدوهم قد ضَمُّوا السُّفُنَ إلیهم فی ما بین البَطائح وتكریت.

[بهرسیر[1] وأبیضُ كِسری]

ولمّا دخَلَ المسلمون بَهُرَسیرَ لاحَ لهُم الأبیضُ. فقال ضِرارُ بنُ الخطّاب:

- «اللهُ أكبر، وهذا ماوعد اللهُ ورسُولُه: أبیضُ كِسریٰ.»

واللهِ لتتابَعُوا بالتّكبیر حتّیٰ أصبحُوا. وخَبَّرهم ذلك الرَّجُلُ الّذی نادیٰ بالأمانِ: أنّكم حَصَـرتُمُ القَومَ حتّیٰ أكلُوا الكِلابَ والسَّنانیر.

ولمّا نزل سعدُ بَهُرَسیر - وهی المدینةُ الّتی كان فیها مَنزلُ كِسریٰ - طلب السُّفُنَ [385] لیَعبُرَ بالنّاسِ إلی المدینةِ القُصویٰ، فلم یَقدِر علی شیءٍ، وأقامَ أیّامًا یُصَعّدُ ویُصَوِّبُ. فأتاه أعلاجٌ یَدُلُّونَه علی مَخاضَةٍ تُخاضُ إلی صُلبِ الوادی، فأبیٰ وأبقـیٰ علی المسـلمینَ وفَجِئَهُـم المَدُّ، فـرأوا أمرًا هائلاً فی سَنةٍ جَودُ صَیفِها[2] متتابعٌ.

فجَمعَ سَعدُ النّاسَ وخَطَبَهم وقال بَعدَ حَمدِالله:

- «إنّ عدُوَّكم قداعتصم منكم بهذا البحر، فلاتخلُصونَ إلیه معَـه، وهم یخلُصـون إلیكـم إذا شاؤوا فیُناوشُونَكم فی سُفُنِهم، ولیس وراءَكم شیءٌ تخافون أن تُؤتَوا مِنهُ، وقد كفـاكموهُم أهلُ الأیّامِ، وعطّلُوا ثغورَهُم، وأفنَوا ذادَتَهم. وقـد رأیتُ أن تُبادِروا جِهـادَ العـدُوِّ بنیّاتِكـم قبل أن تحصُدَكم[3] الدُّنیا، ألا إنّی قد عَزمتُ علی قطعِ هذا البحرِ إلیهم.»

---

١) وهی المدینة الدنیا (الطبری ٥:٢٤٣٢).

٢) فی الأصل: «فی سنةِ جودِ صَیفیُها متتابع» ولكنّا أثبتناه كما فی الطّبری (٥: ٢٤٣٢). الجَودُ: المطرُ الغزیرُ.

٣) فی الطّبری: تحصركم، تحصدكم، تخضدكم.

فقالوا جميعًا:

- «عزم اللهُ لنا ولك على الرُّشدِ.»

فندبَ سَعدُ النّاسَ إلى العُبور، فقال:

- «من يبدأ ويَحمى لنا الفِراضَ حتّىٰ لا يَتلاحَقُوا[1] ويلحقَ النّاسُ، فلايَمنَعُوا مِنَ الخُروج عَنِ الماءِ؟».

فـانتدبَ له عاصِمُ بنُ عمرو وجماعةٌ من ذوى البأسِ. ثمّ انتدبَ بعـدهم سـتُّمائةٍ مِن أهلِ [386] النّجداتِ. فاستعملَ عليهم عاصِمًا، فَسار فيهم حتّى وقف على شاطىءِ دِجلة، وقال:

- «من ينتدبُ مَعى لِمَنعِ الفِراضِ مِن عَدوّكم لنَحميَكم حتّى تعبرُوا؟»

فانتدبَ له ستُّون، فجعلَ نِصـفَهم على خُيُولٍ إناثٍ، ونِصـفَهم على ذُكُورةٍ. ثُمّ اقتحموا دجلةَ، واقتحم بقيّةُ السِتّمائةِ على اثرِهم. فكان أوّل مَن فصل من السِتّمائة، رَجلٌ يُعرف باصمُ التَّيم وشُرحبيل وعدّةٌ مَن معه.

فلمّا رآهُم الفُـرس وما صنَعُوا، أعدُّوا للخَيلِ الّتى عبَرت مثلَهـا، فـاقتحموا دِجلةَ فاعامُوها إليهم. فقال عاصِمُ وقد لَقُوهُ فى السَّرَعانِ وقد دَنا مِن الفُرضةِ:

- «الرِّماحَ، الرِّماحَ أشرعوها، وتوخَّوا بها العُيونَ.»

فالتَقَوا، وتوخّى المسلمون عُيونَهم. فوَلَّوا باجمعهم والمسـلمون يُشمّصون[2] بهـم خيلَهـم مايملكُ رِجالُها منعَ شىءٍ منها، فلحقُوهم فى الجُدِّ، فقتلُوا عامّتَهم، ونَجـا مَن نَجـا مِنهـم عُوراناً، وتزلزلت بهم الخَيلُ، وتَلاحقَ السِتّمائة بأوائلهـم السِتّين غيرَ متَعتِعين، وأذِنَ سَعدٌ لِلنّاسِ فـى الإقتحام وأمرهُم بالاقترانِ، فتلاحـق عُظمُ الجُندِ، فـرَكِبوا مِن دِجلةَ اللُّجّـةَ وإنّهـا لَترمى بالزَّبدِ [387] وهى مسودّةٌ، وإنّ النّاسَ لَيَتَحدّثُون فى عَومِهم، وقـد اقترنوا مايكترِثون، كما يتحـدّثون فى مسيرهم على الأرضِ. ففَجِئُوا[3] أهلَ فارِسَ بما لم يكن فى حسابِهم، فاعجَلُوهُم عَن جُمهورِ أموالِهم.

وكان يزدجرد قَد قدّمَ عيالَه وماخفَّ مِن ذخـائره معَهـم حينَ نزل المسـلمون بَهُـرَسير إلى حُلوان، وبلغ ذلك سَعدًا . جاءَه بالخبرِ بعضُ الأعلاجِ[4] وقال:

---

١) فى الأصل ومط: لايتلاحقون. ٢) الطبرى: يشمسُون (٢٤٣٣:٥). ٣) وفى مط: فعجبوا. فى الطَّبرى أيضًا: ففَجِئُوا. (٢٤٣٤:٥). ٤) جمع العِلج: العَير، الحِمار، حِمارُ الوحش السَمين القوى، الرَّجُل الضَّخم القوىّ من كفّار العَجَم، وبعضهم يُطلقه على الكافر عمومًا.

-«ما تنتظِرُ إذا كان بعدَ ثلاثٍ لم يَبقَ بالمدائن مالٌ لِكِسرىٰ، ولا لأهله.

فكان ذلك مِمّا هيّج سَعدًا وحَمَلَهُ على مافَعَلَ . فكان قرين سَعدٍ الّذى يُسايِرُهُ فى الماءِ سلمان الفارسىَّ، وكانَ سفيرَهم، والمترجِمَ لَهُم وعَنهُم.

وحُكِيَ: انّ ذلك الخَيلَ عَبَر بأجمعِـه، وقـد اسـودّت منه دِجلةُ حتّى مايُرى الماءُ، فسَـلِمُوا بأجمعِهم، مافقدُوا رَجُلاً واحدًا، ولا اداةً. غيرَ انّ رجلاً كانت له علاقةٌ فى قـدحٍ رَثّةٌ، فـانقطعت، وذهبَ القَدَحُ فى الماءِ، والتقطَهُ رجلٌ مِن الماءِ كانَ أسفَلَ، تناوَلَهُ برمحِـه، وجـاءَ به إلى العَسكرِ يعرِّفُهُ، فأخذَهُ صاحِبُهُ.

وزال رجلٌ من بارقٍ يَومَئِذٍ [388] يُدعىٰ غَرقَدَةَ عَن ظهـرِ فــرسٍ لَهُ شَـقراءَ، فنظرَ إليهـا المسلمون عُرِيًا[1] تنفضُ أعرافَها والغَريقُ طافٍ، فثنَى القعقـاعُ بنُ عَمرو عِنانَ فـرسه إليه، فأخـذ بيدِه، وجَرَّهُ حتّىٰ عَبَرَ، وكان البارِقىُّ مِن أشدِّ النّاسِ، فقـال: أعجَـزتِ الأَخَوات[2] أن يَلِدنَ مِثلَك ياقَعقاعُ؟» - وكان للقعقاعِ فيهم خُؤُولَةٌ.

ومازالت حُماة فارِسَ يُقاتلونَ على الفِراضِ حتّى أتاهُم آتٍ فقال:

- «عَلامَ تُقاتلون، ولِمَ تَقتُلونَ أنفسَكم؟ فوَاللهِ ما فى المدائن أحدٌ.»

[مُبادرة يزدجرد إلى حُلوان]

وبادر يَزدجِـردُ إلى حُلوان، وخلّف مهـران الرّازى والنخيرجــان[3] - وكان على بيت المال بالنَّهروان - وخرجتِ الفُرسُ بِما قَدرت عليه مِن حرِّ المتاع وخَفيفِه وبالنِّساءِ والذّرارىِّ، وتركوا فى الخَزائنِ مِن الثِّيابِ، والأمتعـةِ، والآنيةِ، والفُضـولِ، والألطافِ، والعِطر، مالايُدرى: ماقيمتُه. وخلّفوا ماكانوا أعدُّوا للحِصار مِن الأطعمةِ، والأشـربةِ، وأصنافِ المأكولِ والحيوان من البَقرِ، والغَنَم.

[دخول المدائن]

فدخل المسلمون المدائن، وأخذوا فى سِكَكِها لايَلقَون فيها أحـدًا ولا يُحسُّـونَه، إلاّ مَن كان فى القصر الأبيضَ. فأُحيطَ بِهم [389] ودَعَوهُم . وكانوا قـد اتّعـظُوا بأهل بَهُـرَسير . وذلك أنّ

١) مهملةٌ فى مط والأصل. فَرَسٌ عُرىٌ: غَيرُ مُسرَجٍ، ويُقـالُ: خيلٌ أعراءٌ. قيل: ولا يُقـال: فَـرَسٌ عُريان، كما لايُقـال: رَجُلٌ عُرىٌ (قب). ٢) والضبطُ فى الأصل: أعجزَتِ الأُخَواتِ. ٣) الأصل ومط: الكلمة مهملةٌ إلا فـى النّون الأخيرة. فـى الطّبرى: النخيرجــان (٢٤٣٩:٥).

المسلمين لمّا نزلوا عليهم اجْلُوهُم ثلاثًا، ودَعَوهم إلى ثلاثِ خِصالٍ: إمّا الاسلام، وإمّا الجزيَةُ، وإمّا الحَـربُ. فلمّا لم يُجيبوا فـى [اليوم] الثّالِث أبادُوهُم. ولمّا دَعَوا اهلَ القصـرِ الأبيضِ إلى مِثلِ ذلك اختاروا الجِزية. وكان المخاطِبُ لهم سَلمانَ الفارسى.

وملك المسلمون الغَنائمَ، واحتوىٰ سَعدُ على بُيوت المالِ، فـوجَدَ فيهـا ثلاثةَ آلافِ ألفِ ألفِ [٣٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠]. فنزل سَعدُ القَصرَ الأبيضَ، واتّخـذ الايوانَ مُصـلًى. وقـدّم جيشًـا إلى النَّهروان، عليهم زُهرةُ، وتراجعَ إلى المدائنِ اهلُها على الأمانِ والرِّضا بالجزيةِ.

ووَجَدُوا بالمدائنِ قبابًا تُركيّةً مَملوءةً سِلالاً مختّمةً بالرَّصاصِ، قالوا: فما حَسِبناها إلاّ طعـامًا من حَلواء، فإذا هِيَ آنيةُ الذّهَبِ والفِضّةِ! وقُسِمت بعدُ فى النّاس.

قال حَبيبُ: لقد رايتُ رجلاً يطوفُ ويقولُ:

ـ «مَن مَعهُ بَيضاءُ بِصَفراء.»

ولقد اتَينا على كافورٍ كثيرٍ. فما حَسِبناه إلاّ مِلحًا، فجعلنا نعجُـن بِه الدَّقيقَ حتّىٰ وجـدنا مَرارتَهُ فى الخُبزِ!

ولمّا انتهىٰ زُهرةُ فى المقدّمةِ إلى النَّهروان [390] وَجَدَهُم قد ازدَحَموا، فـوقعَ بَغـلُ فـى الماءِ كَلِبُوا عليه. فقال زُهرةُ:

ـ «إنّى أقسم باللهِ انّ لهذا البغلِ لشانًا ماكَلِبَ عَليه القومُ، ولا صَبَروا لِلسُّـيوفِ بهـذا الموقفِ الضَّنْكِ إلاّ لأمرٍ.»

وإذا الّذى عَليه خَرِزاتُ كِسرىٰ وَوَشائحُهُ، وعَليهـا مِن الجَـواهِرِ ما لا تُعــرفُ قيمتُهُ، وكانَ يَجلِسُ فيها يَومَ المُباهاة.

فترجّلَ زُهرةُ يَومئذٍ حتّىٰ أزاحَهُم عَنِ البَغـلِ، فـاحتملَهُ هُوَ واصـحابُه، وجـاؤوا بِما عَليهِ إلى صاحبِ الأقباضِ، لا يَدرُون ماعليه حتّىٰ فُتح هناك.

[تاجُ كِسرىٰ وادراعه]

وحَكىٰ هبيرةُ بنُ الأشعثِ عن جَدّه قال:

كنتُ مِمَّن خَرجَ فى الطَّلبِ، فإذا بِبَغلَين فـذادَ راكباهُما عَنهُما بالنُّشّـاب[١]، ونَظرتُ، وإذا لم يَبقَ

---

١) مط: مكان «فذاد» إلى «بالنُّشّاب»: «قد ادركناهما عنهما بالنُّشّـاب» وفـى الطَّبرى: قَـد رَدّا (ذبّا) الخيلَ عنهما بالنُّشّـابِ (٢٤٤٦:٥).

مَعَهُما غير نُشّابَين. فألحَحتُ بِهما، فاجتمعا، فقال أحدُهما لِصاحبِه:

ـ «على ماأرى، إرمِهِ وأحميك، أو أرميه وَاحمِنى!»

فحَمى كُلُّ واحدٍ منهما صاحبَهُ حتّىٰ رَمَيا بهما. ثُمَّ إنّى حَملتُ عَليهما، فقَتلتُهُما، وجِئتُ بالبَغلَين ماأدرى ماعَليهما، حتّى أتيتُ بِهما صاحِبَ الأقباض، وإذا هو يَكتُبُ مايأتى به النّاسُ وما يَجمعُ مِن الخزائن والدّور، فقال:

ـ «على [391] رِسلِك حتّى تَنظُر ما مَعَك!»

فاطّلَتُ الوُقُوفَ بعدما حَصَلتُ عنهُما، فإذا سَفَطان على أحَدِ البَغلين فيهما تاجُ كِسرىٰ مُفَسَّخًا[١]، وكان لا يَحمِلُهُ إلاّ أسطُوانَتان، وفيهما الجَوهَرُ، وإذا على الآخر سَفَطان فيهما ثيابُ كِسرىٰ منسوجةٌ بالذّهبِ المنظومِ بالجوهَر.

وخرج القعقاعُ بن عَمرو يَومَئذٍ فى الطَّلَبِ، فلحق بفارسىٍّ يحمى النّاسَ، فاقتتلا، فقَتَلَهُ، وإذا مع المقتُولِ جَنيبةٌ عَليها عَيبَتان وغِلافان، وفى أحدِ الغِلافين خَمسةُ أسيافٍ[٢]، وفى الآخر ستّةُ أسيافٍ[٣]، وإذا فى إحدى العَيبَتَين أدراعٌ: دِرعُ كِسرىٰ، ومَغافِرهُ، وساقاه، وساعدُه، ودرعُ هِرَقل، وفى الآخر دِرعُ سياوَخشَ، ودِرعُ خاقانَ، ودِرعُ داهِرَ[٤]، ودِرعُ بَهرام شُوبينَ، ودِرعُ النُّعمانِ، وكان الفُرسُ استلبوها مِن أربابها أيّامَ خالَفوا كِسرىٰ.

وحَكىٰ عاصم بن الحارث قال:

خَرجتُ فى الطَّلَبِ. فاخذتُ طريقًا مَسلوكًا، وإذا حِمارٌ. فلمّا رآنى صاحبُه حَثَّهُ، فلحق بآخَرَ أمامَهُ، فَمالا، وحثّا حِمارَيهما، فانتَهَيا إلى جدولٍ قدكُسِرَ [392] جِسرُهُ، فَثَبَتا حتى أتيتُهما، ثمّ تفرّقا ورَمانى أحدُهُما، فالظَطتُ[٥] حتّىٰ قتلتهُ، وأفلت الآخَرُ، ورجعتُ إلى الحِمارين، فأتيتُ بهما صاحبَ الأقباضِ. فنظَرنا، فاذا على أحدِهما سَفَطانِ، فى أحدِهما فَرَسٌ مِن ذَهَبٍ مُسرَجٍ بِسَرجٍ مِن فِضّةٍ، على ثَفرِهِ ولَبَبِهِ الياقوتُ والزُّمُرُّدُ منظومًا على الفِضّةِ، ولجامُه كذلك، وفارِسٌ مِن فِضّةٍ مكلّلٌ بالجَوهَرِ؛ وإذا فى الآخر ناقةٌ مِن فِضّةٍ عَليها شَليلٌ مِن ذَهَبٍ، وبِطانٌ مِن ذَهَبٍ، ولهما[٦] شِناقٌ أوزمامٌ مِن ذَهَبٍ، وكُلُّ ذلك منظومٌ بالجَوهرِ؛ وإذا عليها رجلٌ مِن ذَهَبٍ مكلّلٌ بالياقوتِ كان كِسرىٰ يَضَعُهُما إلى أسطُوانَتَى التّاج.

---

١) كذا فى الطّبرى (٥:٢٤٤٦)، وفى مط: منسّجًا. ٢) مط: أشياف! ٣) مط: أيضًا: أشياف!

٤) كذا فى مط والطّبرى، وفى الأصل: كلمة مطموسةٌ لاتُقرأ. ٥) ألظّ فى الحرب: ألحّ. ٦) كذا فى مط: لهما. وفى الطّبرى: لها (٥: ٢٤٤٨).

وحكىٰ غيرُهُ: أنَ رَجُلاً أقبلَ بِحُقٍّ معَهُ، فدفَعَهُ إلى صاحبِ الأقباضِ، فقال هو والّذين معه:

- «ما رأينا مِثلَ هذا قطُّ، مايَعدِلُهُ ماعِندنا ولا يُقارِبُهُ.»

ثمّ سألوهُ عَن نَفسِه، فأبىٰ أن يُخبِرَهُم، وقال:

- «لا واللهِ، لا أخبِرُكم لِتَحمدوني، ولا لِتُقرِّظوني، ولكنّي أحمدُ اللهَ وأرضىٰ بثوابه.»

وقال سَعدٌ:

- «لَولا ما سَبَقَ بِه أهل بدرٍ[١]، لَقُلْتُ: إنّكم أفضَلُ مِنهم وأكرمُ [393] وايمُ اللهِ، لقد تَتَبُّعت مِن أهلِ بدرٍ هناتٌ وهَناتٌ فيما أحرَزُوا، وما أحِسُّها[٢] ولا أسمعُها مِن هؤلاءِ القومِ.

وقال جابرُ بنُ عَبدِاللهِ:

- «واللهِ الّذى لا إلٰهَ إلّا هُوَ، ما اطّلَعنا على أحدٍ مِن أهل القادسيّةِ أنّهُ يُريد الدُّنيا مع الآخرةِ. ولقد اتّهمنا ثلاثة أنفسٍ فما رأينا كأماناتِهم وزُهدِهِم ووَرَعِهم: طليحة بن خُوَيلدٍ، وعمرو بن مَعدى كربٍ، وقيس بن المكشوح.»

[عمرُ و تاجُ كسرىٰ]

ولمّا قُدِمَ على عُمرَ بنِ الخطّابِ بِتاجِ كِسرىٰ وبِزّتِه، وزبرجِه، ومِنطَقتِه، وسِلاحه، قال:

- «إنَّ قومًا أدّوا هذا لَذُو أمانةٍ.»

فقال عليٌّ صلوات‌الله عليه:

- «إنّكَ عَفَفتَ فعفَّتِ الرَّعيّةُ.»

ولمّا قسم سَعدُ الفَيءَ أصابَ الفارسَ اثنا عشر ألفَ درهمٍ، وكلُّهم كانَ فارسًا يَومَ المدائنِ، وليسَ فيهم راجلٌ، وكانتِ الجنائبُ كثيرةً. ولمّا نزل سَعدُ المدائنَ بعث إلى العِيالاتِ، فأنزلَهم الدُّورَ وفيها المرافِقُ، فأقاموا بالمدائن حتى فرغُوا من جَلولاءَ، وحلوان، وتكريت، والمَوصِل. ثمّ تحوّلُوا إلى الكوفة.»

[بساطٌ يُساوى جَريبًا]

ولمّا قسم سعدُ الفيءَ أخذ يسألُ بعدَ القسمِ وإخراجِ الخُمسِ [394] القِطفَ، فلم تعدل

١) كلمة مطموسةٌ فى الأصل، وما أثبتناه يؤيّده الطّبرى ومط.

٢) كذا فى مط: أحسّها، وفى الطبرى: أحسبها، وفى حواشيه: أحسّها (٥: ٢٤٤٩).

قيمتُه، فقال للمسلمين:

ـ «هل لكم فى أن تطيبَ نَفسًا عن أربعة أخماسه ونبعثَ به إلى عُمرَ، فيضعَهُ حيث يَرىٰ، فـأنّا لانراهُ يُنفَقُ بيننا؟»

فقالوا: «نعم، هاءِ[1] اللهَ إذًا.»

فبُعثَ. وكان ستّين ذراعًا فى ستّين ذراعًا، بساطًا واحدًا مقدارَ جريبٍ، فيه: طُرُقٌ كالصُورِ، وفُصوصٌ كالأنهار، وخلالَ ذلك كالدَير، وفى حافاتِه كالأرضِ المزروعةِ المُبقِلةِ بالنَّباتِ، وعليه ماكانوا يُعِدُّونَهُ فى الشّتاءِ، إذا ذهبت الرّياحين، وكانوا إذا أرادوا الشّرب شربوا عليه، وكأنّهم فى رياضٍ، لأنّ الأرضَ ـ أرضَ البِساطِ ـ مُذهَبٌ، ووَشيهُ فُصوصٌ، وعليه قُضبانُ الذَّهبِ، عليها أنوارٌ منَ الذّهَب والفِضّةِ، وأوراقٌ كذلك من حَريرٍ قد أجرىَ فيه ماءُ الذّهبِ وكانت العربُ تُسمّيه القطف[2].

فلمّا قُدِم به على عُمرَ جَمعَ النّاسَ، وخطبَهُم، واستَشارَهم فى البِساطِ، وأخبرَهم خَبرَه. فاختلف عليه النّاسُ، فمن مُشيرٍ بقَبضِه وآخرَ مُفوِّضٍ إليه، وآخرَ مُرفِّقٍ.

فقام علىٌّ عليهِ السّلامُ فقال:

ـ «لِمَ تجعَلُ [395] عِلمَكَ جَهلاً، ويقينَكَ شكًّا؟ إنّك إن تَقبلهُ على هذا، اليومَ، لم تَعدَم فى غدٍ مَن يَستَحِلُّ به ما لَيسَ لَهُ.»

فقال: «صَدَقتَنى ونَصَحتَنى.»

فقَطعَهُ وقَسمَهُ. وأصابَ عَليًّا قِطعةٌ مِنهُ باعَها بعشرينَ ألفًا، وما هى بأجوَدِ تلك القِطعِ[3].

ولمّا عُرِضَ على عُمرَ ـ رضى الله عنه ـ حُلىُّ كِسرىٰ وزِيُّهُ فى المُباهاةِ ـ وكانت لَهُ عِدّةُ أزياء لِكُلِّ حالةٍ زِىٌّ ـ قال:

ـ «عَلَىَّ بِمُحَلِّمٍ.»

---

١) هاءِ بالكسر: هاتِ: اى أعطِ اللهَ. هاءَ بالفتح: خُذ. وضُبط فى الطَبرى: هاءَاللهِ ولم أنته إلى وجه له. ٢) وفى الطبرى: القِطف، القطيفه (٥:٢٤٥٣). ٣) وعند الطَبرى روايتان:

الأولى: ثمّ قَسَمَ [عُمرُ] الخُمسَ فى مواضعه، ثمّ قال: أشيروا عَلَىّ فى هذا القطف! فاجمعَ مَلأُهُم على أن قالوا: «قدجعلوا ذلك لك، فرَ رَأيَكَ»، إلاّ ماكان من علىٍّ، فإنّهُ قال: «يا أميرَالمؤمنين! الأمرُ كما قالوا، ولم يَبقَ إلاّ التّروية، إنّك إن تَقبلهُ على هذا، اليومَ، لم تَعدَم فى غدٍ مَن يَستحِقُّ به ماليس له»، قال: «صَدقتَنى ونصحتنى»، فقطعه بينَهم.

والثانية:.. فقام علىٌّ ـ حين رأىٰ عُمر يأبى ـ حتّى انتهى إليه، فقال: «لِمَ تجعلُ علمَك جهلاً، ويقينَكَ شكًّا؟ إنّه ليسَ من الدُنيا إلاّ ما أعطَيتَ فأمضَيتَ، أولَبِستَ فأبلَيتَ، او أكلتَ فأفنيتَ»، قال: «صَدقتَنى ونَصحتَنى»، فقطعَهُ، فقَسَمهُ بين النّاسِ، فأصابَ عَليًّا قِطعةٌ منه، فباعَها بعشرين ألفًا، وماهى بأجودِ تلكَ القِطعَ. (الطَبرى ٥:٢٣٥٢).

وكانَ اجسَمَ عَربيٍّ يَومَئذٍ بالمدينةِ، فالبِسَ تاجُ كسرى على عمودين من خشب وصُبَّ عليه اوشِحَتُهُ وقلائدُهُ وثيابُه، واجلِسَ لِلنّاسِ. فنظر إليه عُمر و النّاسُ، فرأوا أمراً عظيماً من أمر الدُنيا وفِتنَتِها. ثمّ أقيمَ عن ذلك، والبِسَ زِيَّه الآخَر، فنظروا إليه، ثمّ كذلك فى غير نَوعٍ حتّى اتى عليها كُلِّها، ثمّ البَسَهُ سِلاحَه، وقلَّدَه سَيفَهُ، فنظَرُوا إليه فى ذلك.

فقال عُمرُ:

- «إنّ اقوامًا ادُّوا هذا لَذَوُو أمانةٍ.»

قال: «أحمق بامرئٍ من المسلمين غرَّتهُ الدُنيا، هَل يَبلُغَنّ مَغرورٌ مِنهـا إلاّ دُونَ هذا؟ وما خَيرُ امرئٍ مُسلمٍ سَبَقَهُ كِسرىٰ فيما يَضُرُّهُ ولا ينفَعُهُ. إنّ [396] كِسرىٰ لم يَزِد على أن تشاغَلَ بِما اوتِيَ عَن آخِرتِه، فجَمَعَ لِزَوجِ امرأتِه، أو زَوجِ ابنَتِه، أو امرأةِ ابنِه، ولم يقدِّم لِنفسِه، فقدَّم امرؤٌ لِنفسِه، ووَضَعَ الفُضُولَ مواضِعَها تحصل له، وإلاّ حصلت لِلثّلاثةِ بَعدَهُ، وأحمَقُ مَن جَمعَ لهم أو لِعدُوٍّ جارفٍ.»

[وَقعةُ جَلُولاءَ]

ثمّ إنّ سَعدًا أتاه الخبرُ بأنّ مِهرانَ قد عسكر بِجَلُولاءَ[١] وخندقَ عليه، وأنّ أهلَ المَوصِل قد عَسكَرُوا بتَكريت. وكتب إلى عُمرَ بذلك. فكتب إليه عُمرُ:

- «قَدِّم هاشِمًا إلى جَلُولاءَ فى اثنَى عشر ألفًا من وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العَربِ مِمَّن ارتَدَّ، ومَن لم يرتَدَّ، واجعَل على مقدمَتِه القعقاعَ بن عَمرو.»

وكان الفُرسُ لمّا انتهَوا بعد الحَربِ من المدائن إلى جَلُولاءَ، رأوا الطَّريق يفترق بأهل آذربيجان والباب وبأهلِ الجبالِ وفارِسَ. فتذامَروا، وقال بَعضُهم لِبَعضٍ:

-« يا معشر الفُرسِ، إن افترقتُم لم تجتمعُوا أبدًا، هذا مكانٌ يفرّق بيننا، فهَلُمُّوا، فَلنجتمع لِلعَربِ بِه، ولَنُقاتِلهم بجميع عزائمنا. فإن كانت لَنا فهو الذى نُريدُ، وإن كانت الأُخرىٰ، [397] كُنّا قد ابلَينا العُذرَ.»

فاحتفَروا الخَندَقَ، واجتمعُوا فيه، على مِهران، ونَفَذَ يَزدجِردُ إلى حُلوانَ، ورَماهُم بالرِّجالِ، وخلَّفَ فيهم الأموالَ. فاقامُوا فى خَندقِهم وقد أحاطوا به الحَسكَ مِن الخَشَبِ إلاّ طُرُقَهم.

١) فى الأصل وفى مط وفى بعض أبيات الشعر بالقصر أى بدون الهمزة فصحّحنا الأصلَ استنادًا إلى ياقوت والطّبرى (٥:٢٤٥٦). جَلُولاء بالمدّ: طَسُّوجٌ من طساسيج السَّوادِ بينَها وبين خانقين سبعة فراسخ (يا). كان فتح جَلُولاء فى ذى القعدة سنة ١٦ فى أوّله، بينها وبين المدائن تسعة أشهر (الطبرى ٥:٢٤٧٠).

فلمّا قَدِم هاشمٌ أحاط بِهم، وطاوَلَهُم أهلُ فارسَ، وكانوا لايخرجون إلاّ إذا أرادُوا. وزاحفَهم المسلمون بجلُولاء ثمانينَ زحفًا كُلَّ ذلك يُنصرُ المسلمون، ويُغلَبُ المشركون، حتّى غلبوهُم على حَسَكِ الخَشَبِ، فاتخذُوا حَسَكَ الحديدِ، وتَركوا للمجالِ وَجهًا. فخرَجُوا على المسلمين منه، واقتتلُوا قِتالاً شديدًا لم يَقتَتِلُوا مثلَهُ ولا ليلة الهَرير، إلاّ أنّه كان أكمشَ وأعجلَ، ولم يَرَ المسلمون ولا المشركون مِثلَهُ فى موطنٍ قَطُّ حتّىٰ أنفدُوا النَّبلَ، وقصفُوا الرِّماحَ، وصارُوا إلى السُّيوفِ والطَّبرزيناتِ، فكانُوا بذلك إلى بين الصَّلاتَين، وصلّى النّاسُ إيماءً.

ثمّ خَنست كتيبةٌ للمُشركينَ وجاءَت أخرى، فَوقَفَت مكانَها، ثمّ كذلك، فكسر المسلمين مارآوا.

فقال القعقاعُ بن عَمرو:

ـ «أيّها النّاسُ، أ هالتكم [398] هذه؟»

فقالوا: «وكيف لايَهُولُنا ونَحنُ مُكِلّونَ وهم مُريحُون.»

فقال القعقاعُ: «إصبِرُوا إلى ساعةٍ، فانّى حامِلٌ عليهم، فاحتملوا معى ولا يُكَذِّبَنّ[1] أحدٌ حتّى يحكُم اللهُ بيننا.»

ثمّ حَمَلَ، وحَمَلَ مَعهُ النّاسُ، وانتهىٰ بالقعقاعِ وجهُهُ الّذى زاحفَ فيه إلى بابِ خندقِهم، فأخذَهُ. وأمرَ مُناديًا فنادى:

ـ «يا معشر المسلمين، هذا أميركم قدخلَ الخَندقَ وأخذَ به، فاقبِلوا إليه، ولا يمنعكم مَن بينكم وبينَهُ مِن دُخُولِه.»

وإنّما أمَر بذلك لِيُقوّىَ المسلمين به، ولئلاّ يتحاجزُوا. فحَمَلَ المُسلمون ولا يشكُّونَ إلاّ أنَّ هاشمًا فى الخَندَقِ. فلم يقم لِحملتهم شىءٌ، حتّى انتهَوا إلى بابِ الخَندقِ فإذا هم بالقعقاعِ قد أخذ بِه، والمشركون يَمنةً ويَسرةً على المجالِ الّذى بحيالِ خَندقِهم. فهَلَكوا فيما أعدُّوا للمسلمين مِن الحَسَكِ، وعُقِرت دَوابُهم وعادُوا رَجّالةً، ويتّبِعُهم المسلمون. فلم يُفلِت إلاّ مَن لا يُعدُّ، وقُتِلَ مِنهم يَومئذٍ مائة ألفٍ أو يَزيدون، فجلّلت القتلى المَجالَ وما بين يَديهِ وما خَلفَهُ، فسُمّيت: «جَلُولاء الوقيعة». [399]

واقتسمَ النّاسُ فى جَلُولاء مِثل ما اقتسمُوا فى المدائن. ويُقال: إنّهم اقتسمُوا على ثلاثينَ

---

١) لا يُكذِّبَنّ أحدٌ: لايُحجِمَنّ عَن الحملةِ هَيبةً. كَذَّبَ عَن امر: احجم عنه هَيبةً. وفى مط: لايكذِبن. وأيّدَ قراءتنا لِلأصل مافى الطّبرى (٥:٢٤٦٢).

ألفَ ألفٍ، [٣٠،٠٠٠،٠٠٠] وكان الخُمس منه ستّةَ آلافِ ألفٍ [٦٠،٠٠٠،٠٠٠]. واقتسم السّبايا، فاتُّخِذنَ، ووَلَدنَ فى المسلمين.

[إستيذان عُمر فى الإنسياح]

ولمّا بَلغتِ الهزيمةُ يَزدَجِرد، سارَ مِن حُلوانَ نحوَ الجَبلِ، وقَدِم القعقاعُ حُلوانَ. وكوتِبَ عُمرُ بِفتحِ جَلُولاءَ ونُزولِ القعقاعِ حُلوانَ، واستأذنوه فى اتّباعِهم، فقال:

ـ «ودِدتُ أنّ بينَ السَّوادِ وبينَ الجَبلِ سَدًّا مِن نارٍ لايخلُصون إلينا ولانخلُصُ إليهم. حَسبُنا مِن الرِّيفِ السَّوادُ. إنّى قدآثرتُ سَلامةَ المسلمين عَلى الأنفالِ.»

وبُعثَ بالأخماسِ مع جَماعةٍ فيهم زيادُ بن أبى سفيان، وكان هوالّذى يكتب للنّاس ويدوِّنهم. فلمّا قدموا على عمر، كلّم زيادُ عُمرَ فيما جاءَ لَهُ مِن الاستيذان فى التّقدُّم، ووصفَ لَهُ الحالَ.

فقال عُمرُ:«هل تَستطيعُ أن تقومَ فى النّاسِ بمثل الّذى كلّمتَنى به؟»

فقال: وَاللهِ، ما على الأرضِ شَخصٌ أهيَبُ فى صَدرى مِنكَ، فكيف لا أقوىٰ [400] على هذا مِن غيرك!»

فقام فى النّاسِ بما أصابُوا، وبما صنَعُوا، وبجميعِ مايستأذنون فيه مِن الانسياحِ فى البِلادِ.

فقال عُمرُ: «هذا الخَطيبُ المصقعُ.»

وقال: «إنّ جُندَنا بالفَعالِ أطلقُوا ألسِنَتنا بالمَقالِ.»[1]

ثمّ إنّ عُمرَ لمّا نَظرَ إلى الأخماسِ المحمولةِ من جَلُولاء قال:

ـ «واللهِ، لايُجِنّهُ سَقفُ بَيتٍ حتّى أقسِمَهُ.»

فباتَ‌عبدُالرّحمان بنُ عَوفٍ، وعبدُاللهِ‌بن الأرقم يحرسانه فى سَقفِ المسجدِ. فلمّا أصبحَ جاء فى النّاس، فكُشِفَ عنه الأنطاعُ. فلمّا نظر إلى ياقوتِه، وزبَرجَدِه، وجَوهَرِه، بَكىٰ.

فقال له عبدالرّحمان:

ـ «ما يُبكيكَ يا أميرَالمؤمنين؟ فَوَاللهِ، إنّ هذا لَمَوطِنُ شُكرٍ وسُرورٍ.»

فقالَ عُمرُ: «ما ذاكَ يُبكينى. واللهِ، ما أعطَى اللهُ هذا قَومًا إلاّ تحاسَدُوا، وتباغضُوا. ولا تَحاسَدُوا إلاّ وَقعَ بأسُهم بينَهم.»

ولَمّا فَرضَ عُمرُ العَطاءَ، قال قائل:

---

١) وفى الطّبرى: إنّ جُندَنا أطلقُوا بالفَعالِ لسانَنا (٥، ٢٤٦٦).

- «يا أميرَالمؤمنين، لوتَركتَ فى بُيوتِ الأموالِ عُدّةً لِكونٍ إن كانَ.»

فقال: «كلمةٌ ألقاها الشّيطان على فيكَ، وَقانى اللهُ [401] شرَّها، وهىَ فِتنةٌ لِمَن بَعدى. بَل أعِدُّ لَهم ما أعدَّ الله ورسولُه: طاعةَ اللهِ ورَسُولِه، فهُما عُدَّتُنا الّتى بِها أفضَينا إلى ماتَرَون.»

[ما عامَلَ به عُمرُ خالدَ بنَ الوليد]

وفى سنةِ سَبعَ عَشرةَ، أدرَبَ[1] خالدُ بنُ الوليد وعياضُ، وكان خالدُ على قنّسرين مِن تحت يَدِ أبى عُبيدةَ، فأصابوا أموالاً عظيمةً. فانتجعَ خالدًا رجالٌ. وكان الأشعثُ بنُ قَيسٍ فيمن انتجع خالدًا بِقِنّسرين، فأجازَهُ بعَشرةِ آلافٍ، وكان عُمرُ لا يخفىٰ عليه شىءٌ فى عَمَلِه، فكتب إليه بخُروج مِن خرج فى تلك الغَزاة مِن الشّام، وبجائزةِ مَن أُجيزَ.

فدَعا البريدَ وكتبَ معه إلى أبى عُبيدة: أن يُقيم خالِدًا ويعقِلَهُ بعِمامته، وينزِعَ عنهُ قلنسُوَتَهُ حتّى يُعلِمَكم مِن أينَ أجاز الأشعثَ: أمِن مالِه، أم مِن إصابةٍ، فإن زعَم أنها مِن إصابةٍ أصابَها، فقد أقرَّ بخيانةٍ، وإن زعم أنّها مِن مالِه، فقد أسرفَ، فاعزِلهُ على كُلِّ حالٍ، واضمُم إليك عمَلَهُ.

فكتب أبوعبيدة إلى خـالدٍ، فقـدِم عليه. ثمّ جمع النّاسَ وجلس لهـم على المنبر، فقـام [402] البَريدُ، فقال:

- «يا خالدُ! أمِن مالِكَ أجَزتَ بعشرةِ آلافٍ، أم مِن إصابة؟»

فلم يُجِبهُ حتّىٰ أكثر عليه وأبوعبيدة ساكتُ لايقُولُ شيئًا.

فقال بلالُ بعد أن قام إليه:

-«إنَّ أميرَالمؤمنين أمر بكذا وكذا.»

وتناول عمامتَه فنقضها[2]، لايمنَعُهُ سمعًا وطـاعةً. ووضَـع قلنسُـوَتَهُ، ثمّ أقـامَهُ، فعقَلَهُ بعِمامتِه وقال:

-«ماتَقولُ، أمِن مالِك، أم مِن أصابةٍ؟»

قال: «لا. بَل مِن مالى.»

فاطلَقَهُ، وأعادَ قلنسُوَته، ثمّ عَمّمَهُ بيدِه وقال:

- «نَسمع ونُطيعُ لِوُلاتِنا، ونُفَخّمُ ونَخدِمُ مَوالِيَنا.»

وأقام خالِدُ متحيِّرًا لايَدرى: أمَعزولٌ أم غيرُ معـزولٍ. وجعـل أبوعَبيدةَ يُكـرمُهُ ويزيدُهُ تفخيمًا

---

١) أدرَبَ القَومُ: دخلوا أرض العَدُوّ. ٢) فى الأصل: فنفضَها. وصحّحناه بما فى مط.

ولا يُخبِرُهُ. فلمّا طالَ على عُمرَ أن يقدَمَ خالدُ، ظنَّ الّذى كانَ.

فكتبَ إليهِ بالإقبالِ.

فأتىٰ خالدُ أباعبيدة، فقال:

- «رحِمَك اللهُ، ما أردتَ إلى ماصنَعتَ؟ كتَمتَنى أمرًا كُنتُ أحبُّ أن أعرِفَهُ قبلَ اليومِ.»

فقال أبوعُبيدة: «إنّى واللهِ ماكُنتُ لأرُوعَكَ: ماوَجدتُ بُدًّا، وقد علِمتُ أنّ ذلك يَروعُكَ.»

فرجع [403] خالِدُ إلى قِنَّسرينَ فَخَطبَ أهلَ عمَلِه، ووَدّعَهُم، وتَحمَّلَ، ثمَّ خرج نحوَ المدينة حتّى قَدِم على عُمرَ، فشكاهُ، وقال:

- «لقد شكوتُك إلى المسلمين، وباللهِ، إنَّكَ فى أمرى غيرُ مُجمِلٍ ياعُمرُ.»

فقال له عُمرُ:

- «مِن أينَ هذا الثَّراءُ؟»

قال: «مِن الأنفالِ والسُّهمانِ.»

ثمّ أخذ منه عشرين ألفَ دِرهمٍ، فأدخلَها بَيتَ المالِ. ثمّ قال:

- «ياخالدُ، واللهِ إنّكَ علَىَّ لكريمٌ، وإنّكَ إلىَّ لحبيبٌ، ولَن تُعاتِبَنى بعدَ اليومِ على شىءٍ.»

وكَتَبَ عُمرُ فى الأمصارِ:

- «إنّى لم أعزل خالدًا عَن سَخَطٍ ولاخيانةٍ ولكنَّ المسلمين فُتِنُوا به، فَخِفتُ أن يوكَلُوا إليه ويُبتَلوا [به][1] وأحبَبتُ أن تعلَمُوا أنّ اللهَ هو الصّانعُ، وألاّ نكونَ بعرَضِ فِتنَةٍ.»[2]

وحجّ عُمرُ فى هذه السَّنةِ، وبَنىَ المسجدَ الحرامَ، ووسَّعَ فيه، وأقام بمَكّةَ عِشرين لَيلةً، وهَدَم على أقوام أبَوا أن يَبيعُوا، ووضعَ أثمانَ دُورِهم فى بَيتِ المالِ حتّىٰ أخذُوها.

[علاءُ بن الحضرمى وعاقبة عصيانه]

وكانَ عَلاءُ بن الحَضرَمى بالبَحرينِ والِيًا مِن قِبلِ أبى بكرٍ ثُمَّ مِن قِبَلِ عُمرَ [404] وكان يُبارى[3] سَعدًا، فطال[4] العَلاءُ على سعدٍ فى الرِّدّةِ بالفضل. فلمّا ظَفِرَ سَعدُ بالقادِسيَّةِ، و أزاحَ الأكاسرةَ، وأخذَ حُدودَ مايَلى السَّوادَ وغيرَها، واستعلىٰ، وجاءَ بأعظمَ مِمّا كانَ العَلاءُ جاءَ بِه؛ أحبَّ العَلاءُ أن يَصنعَ شيئًا فى الأعاجِم، ورَجا أن يُدالَ كما قد أُدِيلَ.

---

١) تكملةٌ مِنَ الطّبرى. ٢) راجع الطّبرى: (٥:٢٨-٢٥٢٦). ٣) الكلمة مطموسةٌ فى الأصل وأثبتناها كما فى مط والطّبرى (٥:٢٥٤٦). ٤) كذا فى الاصل ومط: فطال، وفى الطّبرى: فطار.

ولم ينظُر العَلاءُ فى ما بينَ فضلِ الطّاعَةِ والمعصيةِ بِجِدٍّ. وكان عُمرُ لمّا ولاّهُ نَهاهُ عَنِ البَحرِ، فلم يُفكِّر فى الطّاعَةِ والمَعصية وعواقِبِهِما، وطمعَ فى فارِسَ مِن جِهتِه، فندبَ أهلَ البحرين إلى فارِسَ، فتسرَّعوا إلى ذلك، وفرَّقَهُم أجنادًا على أحدِها الجارودُ بن المُعَلَّى[1]، وعلى الآخَر السَوّارُ بنُ هَمّامٍ، وعلى الآخرِ خُلَيدُ بنُ المُنذرِ بنِ ساوى، وخليدُ على جَماعَةِ النّاسِ، فحمَلَهم فى البحر إلى فارِسَ بغير إذنِ عُمَرَ. فعَبَرت تِلكَ الجُنُودُ مِن البحرين إلى فارِسَ، فخرجوا فى إصطخر وبإزائهم أهلُ فارِسَ وعلى أهلِ فارِسَ الهِربَذ، اجتَمعوا عليه، فَحالوا بين المسلمين وبين سُفُنِهم.

فقام خُلَيدٌ فى النّاسِ فقالَ:

- «أمّا بَعدُ، فإنَّ الله إذا قضى[1] أمرًا جَرت به المقاديرُ [405] حتّى يُصيبَه، وإنَّ هؤلاءِ القومَ لم يَزيدوا بِما صَنَعُوا على أن دَعَوكم إلى حَربِهم، وإنّما جِئتُم لِمُحارَبَتِهم والأرضُ والسُفنُ لِمَن غَلَبَ. فاستَعينُوا بالصَّبرِ والصَّلاةِ.»

فأجابوه إلى ذلك وصلّوا الظُهرَ، ثمَّ ناهَدُوهُم فى موضعٍ يُقالُ له: طاؤوس. فقُتِلَ جماعةٌ مِن المسلمين فيهم السَوّارُ والمنذر بنُ الجارودِ. وترَجَّلَ خُلَيدُ بنُ المنذر وارتجزَ:

يالَتميمِ[1] جَمِّعُوا النُزُولْ   قد كاد[2] جَيشُ عُمَرٍ يَزُولُ
وكُلُّكُم يَعلَمُ ماأقولُ

- «إنزِلُوا!»

فنزَلُوا، فقاتَلوا القَومَ، فقُتِلَ أهل فارِسَ مقتَلَةً لم يُقتَلُوا مِثلَها، وهُزِمَ الباقونَ. ثمَّ خرجوا يُريدون البصرةَ، فغرقت سفنُهم ولم يَجِدُوا إلى الرُجوعِ سبيلاً. فوجَدُوا سُهرَك[3] قد أخذ على المسلمين بالطُرُقِ، فعَسكَروا وامتَنعُوا فى نشُوبِهم ذلك وبلغ عُمَرَ ماصَنعَ العَلاءُ مِن بعثِه ذلك الجيشَ فى البحر، فالقِيَ فى رُوعِه نحوٌ من الّذى كان. فاشتدَّ غضَبُه على العَلاءِ، وكتبَ إليه بِعزله، وتَوعَّدَهُ، وأمَرهُ بأثقلِ الأشياءِ عَليهِ، وقال له:

- «إلحَق بسعدِ بنِ أبى وقّاصٍ فى مَن قِبلَكَ، فهو [406] أميرُ عليك.»

فخَرجَ بِمَن معَهُ نحو سَعدٍ.

وكَتبَ عُمرُ إلى عتبة بن غَزوان:

---

١) الطّبرى: «يالَ تميمٍ اجمعوا». (يالَ = يا آلَ). ٢) الطّبرى: «وكاد» (٢٥٤٨:٥). ٣) كذا فى مط: سهرك. وفى الطّبرى: شهرَك، سهرك (٢٥٤٨:٥).

-«انّ العلاءَ بنَ الحضرمى حملَ جُندًا مِن المسلمين، فاقطَعَهُم اهل فارِسَ وعَصانى، واظُنّهُ لم يُرد الله بذلك، فخشيتُ عليهم الاّ يُنصَروا، وان يُغلَبُوا، ويُنشَبُوا. فاندُب إليهم النّاسَ واضممهُم إليكَ مِن قَبلِ ان يُجتاحوا.»

فندبَ عُتبةُ النّاسَ إليهم واخبرهُم بكتابِ عُمرَ. فانتدبَ عاصِمُ بن عَمرو وعرفجةُ وجَماعةٌ يَجرُون مَجراهم كالأحنفِ بنِ قَيسٍ، وسَعدِ بن ابى العَرجاء، وصَعصَعَةَ بنِ مُعاوية، فخرجوا فى اثنَى عَشرَ الفًا على البِغالِ يَجنُبون الخَيلَ وعليهم ابوسَبرةَ بنِ ابى رُهمٍ. فسار ابوسَبرة بالنّاسِ، وساحَلَ لا يَلقاهُ احدٌ ولا تعرض له حتّى التقىٰ مع خُليدٍ، بحيثُ اخِذَ عليهم الطّريق غِبَّ وَقعةِ القوم بِطاوُوس، وإنّما كانَ ولى قِتالَهُم اهلُ إصطَخر والشُّذّاذُ مِن غيرهم، وقدكان اهلُ إصطَخر حيثُ اخذوا بالطُّرُقِ على المسلمين وانشَبُوهم، واستصرخُوا اهلَ فارِسَ كُلّهم، فضربوا إليهم مِن كُلِّ وجهٍ وكورةٍ.

فالتقَوا هُم وابوسَبرةَ بعدَ طاوُوسٍ وقد توافت إلى [407] المسلمين امدادُهم، وإلى المشركين امدادُهم، وعلى المشركين سُهرَكُ. فاقتتلُوا، ففتح اللهُ على المسلمين، وقَتَلَ المشركينَ واصاب المسلمونَ مِنهم ماشاؤوا، وهى الغزاةُ الّتى شرفت فيها نابتة البصرةِ وكانوا افضلَ نوابتِ الأمصار، ثمّ انكفَأوا بِما اصابوا. وكتبَ إليهم عُتبةُ بالحثّ وقِلّةِ العُرجةِ، فانضمُّوا إليه بالبَصرةِ، وقبلَ ذلك مافتح عُتبةُ الأهوازَ، وقاتل فيها الهُرمُزان حتّى ظَفِرَ به بِتُستَر بَعدَ وقعاتٍ أسرَ فى آخرها الهُرمُزانُ واعطى بِيَدِه على الرِّضا بِحكمِ عُمرَ. وقتلَ الهُرمُزانُ بيدِه البَراءَ بنَ مالكٍ[1] ومَجزاةَ بنَ ثور.

[إرسال الهُرمُزان إلى المدينةِ]

ووَفَدَ ابوسَبرةَ وفدًا فيهم انَسُ بنُ مالك، والأحنفُ بنُ قيسٍ. فارسلَ الهُرمُزانَ معَهُم فقدموا[2] مع ابى مُوسى البَصرة، ثمّ خرجُوا نحو المدينةِ.

فلمّا دخلُوها هَيّأوا الهُرمزانَ فى هيائِه[3]، والبَسُوهُ كِسوتَهُ مِن الدّيباجِ الّذى فيه الذّهبُ، ووضَعُوا على رأسِه تاجًا يُدعى: الـ « آذين» مُكَلّلاً بالياقوتِ، وعليه حليتُهُ كى مايَراهُ عُمرُ والمسلمون. ثمّ خرجُوا بِه على النّاسِ يُريدون عُمرَ فى منزله، فلم يَجِدُوهُ. فسألُوا عَنه، [408] فقيل لهم: «جَلَسَ[4] فى المَسجِدِ.» ولم يَروهُ. فلمّا انصرَفوا، مَرّوا بغلمانٍ مِن اهلِ المدينةِ

---

١) فى الأصل: ثور، وهو خطأ، وما اثبتناه يؤيّده مط والطّبرى (٥:٢٥٥٦)

٢) كذا فى مط: فقدموا. والأصل غير واضح:

٣) وفى الأصل: هياته. وما اثبتناه يؤيّده مط والطّبرى.

٤) كذا فى مط والطّبرى (٥:٢٥٥٧)، ←

يلعبون.

فقالوا لهم:

ـ «ماتلَدُّدكُم[١]، تريدون اميرالمؤمنين؟ فإنّهُ نائمٌ فى مَيمنةِ المسجدِ، مُتوسّدٌ بُرنسَهُ.»

وكان عُمرُ جَلَسَ لوفدِ الكوفةِ فـى بُرْنسٍ. فلمّا فـرغ من كلامهـم وارتفعُـوا عنه واَخلَوهُ، نَزعَ بُرُنسَهُ، ثمّ تَوسّدَهُ فنامَ.

فانطلقوا ومعهُم النظّارةُ، حتّى إذا رَأوهُ جَلَسُوا دُونَه، وليس فى المسجدِ نائمٌ ولايَقـظانٌ غيرهُ، والدُّرّةُ فى يَدِهِ مُعلَّقُها[٢].

فقال الهُرمُزانُ: «اينَ عُمَرُ؟»

قالوا: «ها هو ذا!»

وجعلَ الوفد يُشيرونَ إلى النّاسِ: أنِ اسكُتُوا عَنهُ. واصغى الهُرمُزانُ إلى الوفدِ، فقال:

ـ «اينَ حَرَسُهُ وحُجّابُهُ عنه؟»

قالوا: «ليس له حاجبٌ ولا حارسٌ ولا كاتبٌ ولا ديوانٌ.»

قال: «فينبغى ان يكونَ نَبيًّا.»

فقالوا: «لا، ولكنّهُ يَعملُ عَملَ الأنبياءِ.»

وكثُرَ الناسُ وكلامهُم، فاستيقظ عُمرُ بالجَلَبَةِ[٣]، فاستوىٰ جالسًا. ثمّ نظَرَ إلى الهُرمُزانِ،

فقال: «الهُرمُزانُ؟»

فقالوا: «نعم!»

فتامّلَهُ، وتامّلَ ماعليه، ثمّ قال:

ـ «أعوذُ باللهِ مِن النّارِ، الحمدُلله الّذى اَذَلّ بالاسـلامِ هذا واشـياعَهُ. يامعشَـرَ المسـلمين! تَمسّكُوا بهذا الدِّين، واهتَدُوا [409] بِهَدىِ نَبيّكُم، ولا تُبطِرَنّكُم الدُّنيا، فإنّها غرّارَةٌ.»

فقال الوفدُ: «هذا مَلِكُ الأهواز، فكَلِّمهُ!»

قال: «لا، حتّى لايَبقى عليه مِن حِليتِهِ شَىءٌ.»

فَرُمِىَ عنهُ بِكُلِّ شىءٍ إلاّ مايَستُرُهُ، فالبَسُوهُ ثوبًا صَفيقًا.

← والأصـل مطموس.

١)مط: ما تلذذهم، والطبرى: ما تلدُّدكم، مابلددكم، والأصـل غير واضـحٍ، وما اثبتناهُ عن الطّبرى. تلدّدَ: تَلفَّـتَ يميناً وشمالاً. ٢) كذا فى الأصل ومط. وفى الطبرى: والدّرّةُ فى يَدِه مُعلّقةٌ. الدّرة: السَّوط يُضربُ به. ٣) كذا فى الطبرى. وفى الأصل ومط غموض. الجَلَبَةُ: اختلاط الأصواتِ والصِّياح.

فقال عُمرُ: «هي ياهُرمُزان! كيف رأيتَ وَبالَ الغَدرِ وعاقِبَةَ أمرِ اللهِ؟»
فقال: «ياعُمرُ! إنّا وإيّاكم في الجاهليّةِ كان اللهُ خَلّى بيننا وبينَكُم، فغَلَبناكم، إذ لم يكن معَناولا معَكُم؛ فلمّا صارَ معَكُم غَلَبتُمونا.»
فقال عُمرُ: «إنّما غَلَبتُمونا في الجاهليّةِ باجتماعِكم وتفرُّقِنا.»

ذِكرُ خَديعةٍ لِلهُرمُزانِ وحيلةٍ لَهُ حتّى آمَنَهُ عُمرُ

ثمّ قال عُمرُ: «ما عُذرُك وما حُجَّتُكَ في انتقاضِك مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ؟»
فقال: «أخافُ أن تقتُلَني قَبلَ أن أخبرك.»
قال: «لاتَخَف ذلك.»
واستسقىٰ ماءًا، فأُتِيَ بِه في قَدَحٍ. فقال:
- «لَومِتَ عطَشًا لم أستطِعِ الشُربَ في مِثلِ هذا.»
فأُتِيَ به في إناءٍ يَرضاهُ. فجَعلت يَدُهُ ترعَدُ؛ وقال:
- «إنّي أخافُ أن أُقتَلَ وأنا أشربُ.»
فقال له عُمرُ: «لاتَخَف، فلابأسَ عليكَ حتّى تشرَبَهُ.»
فألقاهُ. فقال عُمرُ:
- «أعيدوا عليه، ولا [410] تَجتَمِعُوا عليه القَتلَ والعَطَشَ.»
فقال: «لاحاجَةَ لي في الماءِ، إنّما أردتُ أن أستأمِنَ بِه.»!
فقال لَهُ عُمرُ: «إنّي قاتِلُكَ.»
قال: «قدآمَنتَني.»
فقال: «كَذِبتَ.»
فقال أنَسُ: «صَدَقَ يا أميرَالمُؤمنين»!
فقال: «ويَحكَ! أنا أُومِنُ قاتِلَ مَجزاةَ والبَراء؟ لَتَأتِيَنّي[1] بِمَخرجٍ ماقُلتَ!»
قال: «قُلتَ له: لا بأسَ عليكَ حتّى تُخبِرَني. وقُلتَ: لابأسَ عليك حتّى تشرَبَهُ.»
وقال جِلَّةُ الصَّحابة مِمَّن حَولَهُ مِثلَ ذلك.
فاقبل على الهُرمُزانِ وقالَ: «تَكلَّم بِحُجَّتِكَ.»

---

١) وفي الطّبري: «والله لَتأتينَّ بمَخرَجٍ، أو لأُعاقِبَنَّكَ. قال: قلتَ له..» (٥:٢٥٥٩).

قال: «كلامَ حىٍّ أم كلامَ مَيِّتٍ؟»

قال: «بَل كلامَ حَىٍّ.»

قال: «قد آمنتَنى ثالثةً.»

قال عُمرُ: «خدعتَنى! لا وَاللهِ، لا أومنُك إلاّ أن تُسلِمَ.»

فقيل لَهُ: «أسلِم! وإلاّ قُتِلتَ.»

فأسلَمَ، فَفَرضَ لَهُ على الفَين، وأنزَلَهُ المدينةَ.

[عُمرُ واللغةُ الفارسيَّة]

وكان المغيرة بنُ شُعبةَ يُترجِمُ بينَهُما إلى أن حَضرَ التَّرجُمانُ.

فقال عُمرُ للمُغيرةِ: «سَلهُ: مِن ايَّةِ ارضٍ انتَ؟»

فقال المغيرةُ: «أزكُدام أرضيه؟»

فقال: «مِهرجانىٌّ.»

وكان المُغيرةُ يَفقهُ شيئًا [من الفارسيَّة][1]

فقال له عُمرُ: «ما أراكَ حاذِقًا بِها. ما أحسَنَها منكم أحدٌ إلاّ خَبَّ[2]، وما خَبَّ إلاّ دَقَّ. إيّاكُم وإيّاها[3]، فإنَّها تَنقُصُ[4] الاعرابَ.»

واقبلَ زيدٌ بعدَ ذلك، فَجَعَلَ يُترجِمُ بينَهُما. [411]

ذِكر رَأىٍ صَحيحٍ لِلأحنَفِ بنِ قَيسٍ

وقال عُمرُ للوَفدِ: «لَعلَّ المسلمينَ يُفضونَ إلى أهلِ الذِّمَّةِ بِأذىً، أو بِأمورٍ لَها ما ينتَقِضُونَ بِكُم.»

فقالوا: مانَعلمُ إلاّ حُسنَ مَلَكةٍ.»

قال: «فكيف هذا؟»

فلم يَجد عِندَ أحدٍ مايَشفيه ويُبصرُ به مِمّا[5] يقُولون، إلاّ ماكان مِن الأحنفِ فإنَّهُ قال:

---

١) ما فى [ ] تكملةٌ من الطبرى. ٢) وفى الطَّبرى: خبَّ، خَبَّ. ٣) مط: اباكم واباهم! ٤) كذا فى مط. وفى الطَّبرى: فإنَّها تنقض الاعراب. وفى حواشيه: فإنَّها تنقص الاعراف (٥:٢٥٦٠). ٥) مط: «ينصر مايقولون» بدون «به». فى الأصل: «ويَنصُر به مايقولون» وكلاهُما تحريفٌ، فاثبتنا العبارة حَسَبَ الطبرى: «ويُبصِرُ به مِمّا يقولون» (٥:٢٥٦٠).

ـ «يا أميرَ المؤمنين، أُخبِرُكَ أنّكَ نَهيتَنا عَنِ الانسياح[1] فـى البلاد، وأمرتَنا بالاقتصـادِ عَلى ما فى أيدينا، وإنّ مَلِكَ فارِسَ حَىٌّ بين أظهُرِهم، وأنّهم لايَزالون يُساجِلُونَنا مادام مَلِكُهم فيهم، ولم يَجتَمع مَلِكانِ حَتّى يُفنِيَ أحدُهما صاحِبَه. وقد رأيتُ أنّا لم نأخُذ شيئًا بَعدَ شـىءٍ إلاّ بانبعـاثِهم مرّةً بعدَ مرّةٍ، وأنّ مَلِكَهم هو الّذى يَبعثُهم. ولا يَزالونَ هذا دأبَهم حتّى تأذَنَ لنا فنَسيحَ[2] فـى بِلادِهم، حتّى نُزيلَهُ عن بِلادِهم، ونُخـرِجَهُ مِن مَملكتِه وعِزّ أمّتِه[3]، فهناك يَنقَـطِعُ رجـاءُ أهلِ فـارِسَ ويُضربوا[4] جاشًا.»

فقال عُمرُ: «صدقتنى واللهِ، وشَرحتَ لِيَ الأمرَ عَن حَقِّه.»

فكان هذا سَببَ إذنِه لَهُم فى الانسياح.

[يزدجرد يمضى إلى إصطخر وسياه يشترط للاسلام]

ومَضَى يزدَجِردُ بِمشورَةِ المُوبَذِ إلى إصطخر فيَنزلُها، لأنّها دار المَملكةِ [412] ويوجِّـهُ الجُنودَ. فلمّا بلغ إصبهان أقامَ أيامًا وقدم سياهُ لِينتخِبَ مِن كلِّ بَلدةٍ مَرَّ بِها مَن أحبَّ. فمضى سياه واتّبَعَـهُ يَزدجِردُ حتّى نزلوا بإصطخرَ، ووَجّه سياه[5] إلى السُّوسِ. ولم يَزل كذلك حتّىٰ قَدِمَ عمارُ بنُ ياسـر وأبوموسىٰ يَومَئذٍ بِتُستَرَ.

[سياه يَرىٰ الدُخولَ فى الإسلام]

فدَعا سياهُ الرُّؤَساءَ الذين كانوا خَرَجُوا معه مِن إصبهان، وقال:

ـ «قد عَلِمتم أنّا كُنّا نَتحـدّثُ أنّ هؤلاءِ القَـومَ أهلَ الشّـقاءِ وَالبُؤسِ، سَـيَغلِبون على هذه المَملكةِ، وتَروثُ دَوابُّهم فى أبوابِ إصطخر ومَصانع المُلوكِ، ويشـدُّونَ خيلَهـم بِشَجَرِها، وقـد غَلَبُوا على ما رأيتُم، وليسَ يَلقَـون جُندًا إلاّ فَلُّوهُ، ولايَنزِلُونَ بحصـنٍ إلاّ فَتَحُـوه. فـانظُروا لأنفُسِكم.»

قالوا: «رأيُنا رأيُكَ»

---

١) مط: الانسياح. ٢) وفى الطّبرى: فَلنَسح (٢٥٦١:٥). مط: فنسيح. ونقطتا الياء مطموستان فى الأصل.

٣) كذا فى الطّبرى أيضًا. وفى حواشيه: «وعرامته»، «وعن أمته» (٢٥٦١:٥). ٤) فى الأصل: «يَضربوا» وهو خطأ. واضربَ جاشًا لأمر كذا: وَطِّنَ نَفسَهُ عليه (مد). ٥) وصُرِف الاسمُ فى بعضِ الأصول فقيل: «سياهًا»، و «سياهُ»، انظر الطبرى: ٢٥٦٢:٥.

قال: «فَلْيَكفِنى كُلُّ رَجُلٍ منكم حَشَمَهُ والمنقطِعين إليه، فإنّى أرىٰ أن نَدخُلَ فى دينهم.»
ووجَّهُوا شيرُويَه فى عَشرة من الأساورة إلى أبى مُوسىٰ يأخذُ لَهم شروطًا على أن يَدخُلوا فى الإسلام.

فقَدِم شيرُويَه على أبى مُوسىٰ فقال:

ـ «إنّا قد رَغِبنا فى دينكم على أن نُقاتِلَ مَعكم العَجمَ ولا نقاتِلَ معكم [413] العَربَ؛ وإن قاتَلَنا أحدٌ من العَربِ مَنَعتُمُونا منهم، ونَنزلُ حيثُ شئنا، ونكونُ فى مَن شئنا منكم، وتُلحقونا بأشرفِ[1] العَطاءِ، يعقد لنا بذلك الأمرِ، الّذى هو فوقَكَ.»

فقال أبوموسىٰ: «لكُم مالَنا، وعَليكم ماعَلَينا.»

قالوا: «لا نَرضىٰ.»

وكتب أبوموسىٰ إلى عُمرَ بذلك. فقالَ: «أعطِهم ماسألُوكَ.»

فكتب لهم أبومُوسىٰ فأسلمُوا، وشَهِدُوا معه حصارَ تُستَرَ. فلم يكن أبومُوسىٰ يَرىٰ منهم جِدًّا ولا نكايةً.

فقال لِسياهَ: «ياأعورُ، ماأنتَ وأصحابُكَ كما كُنّا نَرىٰ قبلَ اليَومِ!»

قال: «لَسنا مِثلَكُم فى هذا الدّينِ، ولا بصائرُنا كَبصائركُم، ولَيسَ لنا فيكم حُرَمٌ نُحامى عنهُنّ، ولم تُلحِقونا بأشرَف العَطاءِ، ولَنا سِلاحٌ وكُراعٌ وأنتُم حُسَّرٌ.»

فَكتبَ أبوموسىٰ فى ذلكَ إلى عُمرَ. فكتب إليه عُمرُ أن:

ـ «ألحقهُم على قدرِ البَلاءِ فى أفضل العَطاءِ، وأكثر شَىءٍ أخذَهُ أحدٌ منَ العَربِ.»

فَفرضَ لمائةٍ مِنهُم فى ألفَينِ ألفَينِ، ولِستّةٍ مِنهم فى ألفَينِ وخَمسمائةٍ: لِسياهَ وخُسرَو ـ ولقبُه مِقلاصٌ ـ وشهريارَ، وشيرُويَه، وسارُويَه، وأفريذونَ[2]. [414]

ذِكرُ مَكيدةٍ فى فَتحِ حِصنٍ

فأمّا سياهُ فمشى إلى حِصنٍ. ويُقال: إنّه تُستَر فى زىِّ العجَم، حتى رَمىٰ بنفسه إلى جنبِ الحِصنِ ونضح[3] ثيابَه بِالدّمِ. فأصبح أهلُ الحِصنِ، فرأوا رَجُلاً فى زيِّهم صَريعًا، فظَنّوهُ مِنهم أُصيبُوا به،

---

١) وفى الطَّبرى: بأشراف العطاء. ٢) فى الطَّبرى: «شهرويه وافروذين» بدل «سارُويَه وافريذون». وفيه أيضًا:

[و] لمّا رأى الفاروق حُسنَ بَلائهم ... وكان بما يأتى من الأمر أبصرا

فمنّ لهم ألفين فرضًا، وقد رأى ... ثلاثَ مئينَ فرضَ عَكٍّ وحِميَرا

٣) وفى الطَّبرى: «نضح»، «نضح» (٥:٢٥٦٤). وكلاهما صَحيحٌ، فهما مشتركان فى المعنى الملائم هنا: تَضَحَ البيت ←

ففتحُوا بابَ الحِصنِ لِيُدخِلوهُ، فثارَ وقاتَلَهم حتَى خلَّوا عن بابِ الحِصنِ وهرَبُوا. ففتح الحِصنَ وحدَهُ ودَخَلهُ المسلمون. وامّا خُسرَو فمشى إلى حِصنٍ آخَرَ حاصَروُه، فاشرف عليه رَجلٌ رَئيسٌ منهم، فكلَّمَهُ، ثُمَّ رَماهُ خُسرَو بِنُشّابةٍ فقتَلَهُ.

ذِكرُ حيلَةِ قومٍ فى الحِصار خَرَجُوا بِها مِن حِصارِهِم وسياسةٍ لِعُمَرَ

وامّا جُنديسابورَ فإنَّ اباسَبرةَ لَمّا فرغَ مِن السُّوسِ خرج فى جُندِه حتّىٰ نَزَلَ عَليها، وحاصَرَهُم ايّامًا يُغادونَهُ ويُراوحونَهُ القِتال. فرُمى إليهم بِأمانٍ مِن عَسكرِ المسلمينَ وفُتحَ بابُها. فلم يَفجأ المسلمين إلاّ أبوابها[1] تفتح. ثُمَّ خرج السَّرحُ[2] وخرجَتِ الأسواق وانبثَّ اهلُها.

فأرسَلَ المسلمون [415] أن: «مالَكُم؟»

قالوا: «رَميتُم إلَينا بالأمانِ فقَبِلناهُ واقرَرنا لكم بالجِزىٰ على أن تمنَعُونا.»

فقالُوا: «مافَعَلنا.»

فقالوا: «ماكَذِبنا.»

فتَساءَلَ المسلمون فيما بينَهم، فإذا عبدٌ يُدعىٰ مُكنِفًا كانَ أصلُه منها هو الَّذى كتَبَ لَهُم.

فقالوا: «إنَّما هو عَبدٌ.»

فقالُوا: «نحن لا نَعرفُ حُرَّكم مِن عَبدِكُم، قدجاءَنا امانٌ، فنحنُ عَليهِ، قدقَبلناهُ ولم نُبدِّل. فإن شِئتُم فاغدِرُوا.»

فامسكُوا عنهم وكَتَبُوا بذلك إلى عُمرَ. فكتب إليهم:

ـ «لم تَكُونوا أوفياءَ، حتى تَفُوا على الشكِّ، أجيزُوهُم و فُوا لَهُم.[3]»

ثمّ عَمِلَ عُمرُ برأىِ الأحنفِ، وعَقدَ الألويةَ للأمراءِ والجُنُودِ من اهلِ الكوفةِ واهلِ البَصرة. فكانَ لِواءُ الأحنفِ على خُراسانَ.

[يوم نهاوند: فتح الفُتوحِ]

ولمّا خرج يَزدجِردُ مِن الجَبَلِ، وَصارَ إلى مَروٍ، وكاتَبَ الجُيُوشَ بالأطرافِ، فَكتبَ إلى أهلِ الجِبالِ، مِمَّن بَينَ البابِ والسِّندِ وخُراسانَ وحُلوانَ، فتحرَّكُوا وتَكاتَبُوا وركبَ بَعضُهم إلى بعضٍ،

← بالماءِ: رَشَّه، نَضحَ الجِلدَ: بلَّه كى لا يتكسَّرَ؛ ونضخ الشئ: رشّه، بَلَّهُ.

١) وفى الطَّبرى: إلاّ و ابوابها، إلاّ بابوابها. ٢) السَّرح: الماشية. ٣) انظر: الطَّبرى ٥:٢٥٦٨.

فاجمَعُوا أن يُوافُوا نَهاوندَ، ثمَّ يُبرِمُوا فيهـا أمورَهُم، فتَوا فـىْ إليهـا مَن بَينَ حُلوانَ [416] وخُراسانَ ومَن بَينَ البابِ وحُلوانَ، ومَن بَينَ سَـجِستانَ إلى حُلوان. فـاجتمعت حَلبةُ فـارِس والفهلوج وأهلُ الجبال وهم مائةُ وخَمسونَ ألفًا.

ثمَّ تآمَرَ الرُّوَساءُ عِند الفَيرُزان وكانَ عليهم، فقالوا:

ـ «إنَّ محمّدًا الّذى جاءَ العَربَ بالدّين[١] لم يعرض عرضَنا[٢]. ثمَّ ملكَهُم أبوبكـر مِن بَعدِه، فلم يعرض عرض[٣] فارِسَ إلاّ فى غارَةٍ تعـرَض[٤] لَهُـم فيهـا، وإلاّ فـى ما يَلى دِيارَهُم. ثمَّ مَلَكَ عُمرُ فَطالَ مُلكُـهُ وعَرَضَ[٥] حتّىٰ تناولكـم، وأخـذ السَّـوادَ كُلَّهُ، والأهوازَ. ثم لم يَرضَ حتّىٰ أتىٰ أهلَ فارِسَ والمملكة فى عُقرِ دارِهِم. وَهُم آتيكُم إن لم تأتُوهُ. وقد أخربَ بيتَ مَملكتكم، واقتحم بِلادَ مُلكِكُم، وليس بِمُنتَهٍ حتّى تُخـرِجوا مَن فــى بِلادِكم مِن جُنُودِه، وتقــطَعُوا[٦] هذين المصــرَين وتَشغَلوهُ فى بِلادِه وقرارِه.»

فَتَعاهَدُوا وتَواثَقُوا. وكتبوا بينَهم على ذلك كتابًا، وتمالأُوا[٧] عليه.

وبَلَغَ الخبرُ سَعدًا، وخرج عُمرُ لِيُشافِهَهُ بِذلك، ولأنَّ قَومًا مِن جُندِهِ شـغبوا عليه، وسَعَوا به إلى عُمرَ، فاستخلفَ عبدَالله بنَ عَبدِالله بنِ عتبان. فكتبَ [417] عبدُالله بن عبدِالله إلى عُمرَ أنّه:

«قد تجمَّعَتِ الفُرسُ مائةً وخمسينَ ألفًا مُقاتلةً مُستميتينَ، فإن جاؤُونا قبل أن تبدرَهُم الشِّـدَّةُ ازدادوا جُرأةً وقُوَّةً، وإن نحنُ عاجَلنا هُم كان ذلك لَنا عليهم.»

وكان الرَّسولُ بذلك قريبَ بنَ ظَفَر. ولمّا قَدِمَ الرَّسولُ بالكتابِ على عُمرَ وبالخَبرِ قرأهُ، وسَمِعَ مِنهُ، وقال:

ـ «ماأسمُك؟.»

قال: «قريبُ.»

قال: «إبنُ مَن؟»

قال: «إبنُ ظَفَر.»

فتفأّل بِذلكَ وقال:

ـ «ظَفَرٌ قَريبٌ، إن شاءَ اللهُ، ولا قُوَّةَ إلاّ باللهِ.»

---

١) مط: الكلمة ساقطة من مط. ٢) مط: «عرضا» وفى الطَبرى: «لم يغرَض غَرَضنا». ٣) وفى الطَبرى: «فلم يغرَض غَرَض فارس. ٤) كذا فى الطَبرى: تعـرَض. ٥) كذا فى الطَبرى: وعَرُض (٥: ٢٦٠٨). والأصل غير مشكول فى كُلّ ذلك. ٦) كذا فى مط: تقطعوا، وفى الطَبرى: تقلَعُوا. (٥: ٢٦٠٩). ٧) فى الأصل ومط: «تمالوا»، وفى الطَبرى: «تمالئوا».

ذِكرُ آراءٍ صحّ منها واحِدٌ.

ونُودِىَ فى النّاسِ: «الصّلاة جامعةٌ.»

فاجتمع النّاسُ ووافاه سَعدٌ فقال:

- «إلىَّ سَعدَ بنَ مالكٍ!»

وقامَ عُمرُ على المنبرِ خطيبًا، فأخبر النّاسَ الخَبَرَ، واستشارَهُم، وقال:

- «هذا يَومٌ له ما بَعدَهُ، فـاسمَعُوا لى، ثُمَّ أجيبُونى، واوجِـزوا، ﴿ولا تَنازَعُوا فَتَفشَـلُوا، وتَذهَبَ رِيحُكُم﴾[١]، ولا تُكثِرُوا ولا تُطيلُوا فتفشـغَ لكـم الأمور، ويلتَوىَ عليكم الرّأىُ، إنّى قـد رايتُ أن أسيرَ [418] فى مَن قِبَلى[٢] ومَن قَـدَرتُ عليه حتّىٰ أنزلَ مَنزِلاً مِن هَذينِ المِصـرَينِ وَسَـطًا، ثمّ أستَنفِرَهُم، ثمّ أكونَ لَهُم رِدءًا، حتّى يفتحَ اللهُ عليهم ويَقضىَ ماأحبَّ.»

فقام طَلحةُ بنُ عُبَيدِاللهِ فقالَ:

- «يا أميرَالمؤمنين، قد أحكمتكَ التّجاربُ، وأنتَ وشانَكَ ورَأيَكَ.»

فى كلامٍ طَويلٍ يُشبِهُ هذا، ثمّ جلس.

فعاد عُمرُ فقال:

- «هذا يَومٌ له مابَعدَهُ مِن الأيام، فتكلّمُوا.»

فقام عثمانُ بنُ عفّان، فَتَشَهّدَ، وقال:

- «أرىٰ - يا أميرالمؤمنين - أن تكتُبَ إلى أهلِ اليَمَنِ، فَيَسرُوا مِن يَمَنِهِم، وإلى أهلِ الشّامِ فَيَسرُوا مِن شامِهِم، وتَسيرَ أنتَ بأهلِ الحَرَمينِ إلى الكوفة والبَصـرةِ، فتلقـى جميع المشـركين بِجميعِ المسلمين، فإنّكَ إذا سرتَ بِمَن مَعَك وعِندَكَ، قَلَّ فى نَفسِكَ ماقد تكاثَرَ مِن عَددِ القـومِ، وكُنتَ أعزَّ عِزًّا. يا أميرَالمؤمنين، إنّكَ لا تستَبقى مِن نفسِكَ بَعدَ العـربِ باقيةً، ولا تَمتنعُ[٣] مِن الدُّنيا بِعزيزٍ، ولا تلوذُ مِنها بِحـريزٍ. إنّ هذا يَومٌ لَهُ ما بَعـدَه مِن الأيّامِ [فـاشهَده برأيك واعوانِك ولاتَغِب عنه][٤]، فتكلّمُوا.»

فقام علىٌ عليه‌السّلامُ فقال:

- «أمّا بعدُ، فإنّكَ [419] إن أشخَصتَ أهلَ الشّامِ مِن شـامِهم، سـارَتِ الرُّومُ إلى ذَراريِّهِـم؛ وإن أشخصتَ أهلَ اليَمَنِ مِن يَمَنِهم، سـارَتِ الحبشـةُ إلى ذراريِّهِـم؛ وإنّكَ إن أشـخَصتَ أهلَ

---

١) س ٨ الأنفال: ٤٦.
٢) تكرّرت: «قبلى» فحذفنا احـداهما.
٣) كذا فـى مط: تمتنع. وفـى الطبرى: لاتمنعُ، لاتمتنع (٥:٢٦١٢).
٤) مابين [ ] :تكملةٌ عن الطبرى.

الأرض، انتقضت عليك العَربُ مِن أطرافِها وأقطارِها، حتّى تكون ماتَدَعُ وراءَك أهمَّ إليكَ ممابين يَديكَ مِن العَوراتِ والعِيالاتِ. أقرِر هؤلاءِ فى أمصارِهم، واكتب إلى أهلِ البَصرةِ، فَليفترِقُوا ثَلاثَ فِرَقٍ: فلتَقُم فِرقَةٌ فى أهلِ عَهدِهم لِئَلاّ ينتقِضُوا عليهم؛ وَلتَسِر فِرقةٌ إلى إخوانِهم بالكُوفةِ مَدَدًا لهم، لأنَّ الأعاجمَ إن ينظروا إليك ويقُولوا: هذا أميرُ العَربِ وأصلُ العَربِ؛ كانَ أشدَّ لِكَلَبِهم، وألْبَتِهُم عَليكَ. فأمّا ماذَكرتَ مِن مسيرالقَومِ، فإنَّ اللهَ هُوَ أكرهُ لِمَسيرِهم مِنك، وَلَهُوَ أقدرُ على تَغييرِ مايَكرَهُ؛ وأمّا ماذَكرتَ مِن عَدَدِهم، فإنّا لم نَكُن نُقاتِلُ فيما مَضىٰ بالكَثرةِ، وَلكِنّا كُنّا نُقاتِلُهُم بالنَّصرِ.»

فقال عُمرُ:

ـ «أجل، هذا الرّأى. واللهِ لَئِن سرتُ لينتقِضَنَّ علىَّ الأرضُ مِن أطرافِها وأكنافِها، ولئِن نَظرَت [420] إلىَّ الأعاجِمُ لا يُفارِقُوا العرصَةَ وليُمِدَّنُّهم مَن لم يُمِدَّهُم، وَلَيقُولُنَّ: هذا أصلُ العرب، فإن اقتطعتُموهُ فقد اقتطعتُم أصلَ العربِ. فأشيرُوا علىَّ بِرَجُلٍ أولِهِ ذلك الثَّغرَ، واجعَلُوهُ عِراقيًّا.»

فقالوا: «أنتَ أعلمُ يا ـ أميرَالمؤمنين ـ بِجُندِك وأهلِ عراقِك، فقد وفدوا عَليكَ، ورأيتَهم وكلّمتَهم.»

[إبتداء وقعة نهاوند]

وكان النُّعمانُ بنُ مُقرّن على كَسكَر، ولاّهُ سَعدُ الخراجَ بِها. فكتب إلى عُمرَ:

ـ «إنَّ مَثَلى ومَثَلَ كسكرَ مَثَلُ رَجُلٍ شابٌّ إلى جنبِهِ مُومِسةٌ تَلَوَّنُ لهُ وتَعَطَّرُ، فأنشدِكَ الله لمّا عَزلتَنى وبَعثتَنى إلى جيشٍ من جُيُوشِ المسلمين.»

فلمّا كان هذا اليوم الّذى خَطَبَ فيه عُمرُ، وجرىٰ ماجرىٰ مِمّا كتبتُه، قال عُمرُ:

ـ «أما واللهِ لأُوَلّينَّ امرَهُم رَجُلاً لَيكونَنَّ أوّلَ الأسِنَّةِ إذا لَقِيَها غَدًا.»

فقيل: «مَن، يا أميرَالمؤمنين؟»

فقال: «النُّعمانُ بنُ مُقرّن».

قالوا: «هو لَها.»

فَكتبَ إليهِ عُمرُ أن: «إئتِ نَهاوندَ، فأنتَ عَلىَ النّاسِ بِها.»

فلمّا التَقوا كانَ أوّلَ قتيلٍ. وسنحكى خَبَرَهُ فى مَوضِعِه.

وردَّ عُمرُ [421] قريبَ بنَ ظَفَرٍ، وردَّ مَعَهُ السّائبَ الأقرع وكان السّائبُ يَومَئِذٍ مَندوبًا للأمانةِ

وقِسمةِ الفَيء، لأنّه كانَ كاتبًا حاسِبًا، كماكان محمدُ بنُ مسلَمةَ مَندُوبًا لِتتبع العُمّالِ والطَّوافِ عليهم.

وقال عُمرُ للأقرع:

ـ «إن فتح اللهُ عَلَيكم فاقسِم ما أفاء اللهُ عليهم، ولا تخدَعنى، ولا ترفع إلَىَّ باطلاً، وإن نُكِبَ القَومُ، فلاترانى ولا أراكَ، فَبطنُ الأرضِ خيرٌ لكَ مِن ظَهرِها.»

فقدما الكوفةَ بكتابِ عُمرَ بالاستحثاثِ. وكانَ أسرعَ أهلِ الكوفة إلى ذلك الرَّوادِفُ، ليُبلُوا فى الدّين، وليُدرِكُوا حَظًّا[1].

ذِكرُ خَديعَةِ لِلهُرمُزانِ ماتَمَّت لَهُ على عُمَرَ [وماجرىٰ بعد ذلك]

كان عُمرُبنُ الخطّابِ استدعَى الهُرمُزانَ حين آمَنَهُ، فقال:

ـ «انصح لى فقد آمَنتُكَ.»

قال: «نعم. إنَّ الفُرسَ اليوم رَأسٌ وجَناحانِ.»

قال: «فأين الرّأسُ.»

قال: «بِنَهاوَند مع بندار، ومعه أساورةُ كِسرىٰ وأهلُ إصبهان.»

قال: «فأين الجَناحانِ؟»

فذكر مكانًا. قال الهُرمُزان:

ـ «فاقطعِ الجَناحَينِ يَهِنِ [422] الرّأسُ.»

فقال عُمرُ: «كَذِبتَ ياعَدوَّ اللهِ بَل أعمَدُ إلى الرّأسِ، فاقطعُه، فإذا قطَعَهُ الله لم يقبض عليه الجناحانِ.»

فكَتَبَ إلى أبى موسى أن: سِر بأهلِ البَصرة، وإلى حُذَيفةَ أن: سِر بأهلِ الكوفة. وبَعَثَ بَعثًا مِن المدينةِ فيهم ابنُهُ عَبدُاللهِ بنُ عُمرَ، وفيهم المهاجِرونَ والأنصارُ، وقال:

ـ «اذا التَقَيتُم فأميرُكم النعمانُ بنُ مُقرِّنٍ.»

فخرج حذيفَةُ بنُ اليَمانِ بالنّاسِ ومعَه نعيم بن مُقرِّن حتىٰ قَدِمُوا على النعمان بِالطَّزَرِ[2] وجعَلوا بِمَرجِ القلعة خيلاً عَليها النُّسيرُ، وقد كَتَبَ عُمرُ إلى سَلمَى بن القَينِ وحرمَلَةَ و زرِّ بنِ كُليبِ

---

١) أنظر: الطبرى ٥:٢٦١٦.

٢) كذا بالأصل والطبرى ٥:٢٦١٦، وفى مط وحواشى الطبرى: الطرز.

وقُوّادِ المسلمين الّذين كانوا بينَ فارسَ والأهواز أن:

ـ «اشغَلوا فارسَ عَن إخوانكم، وحُوطُوا بذلك أمّتكم وأرضَكم، وأقيموا على حُدودِ مابين الأهواز وفارسَ حتّى يأتيَكُم أمرى.»

وبَعَثَ مجاشعَ بنَ مَسعودٍ السُّلَمىَّ إلى الأهواز، وقال له: انصُل مِنها على ماه. فلمّا صارَ بغُضَى شجر ناحية مرج القلعة، أمره النّعمان أن يُقيمَ بِمكانِه [423] ونَصَلَ سُلمىُ وحرمَلة وزِرُّ، فكانُوا فى تُخومِ إصبَهان وفارِسَ، فقطَعُوا بذلك عن أهل نَهاوند الأمدادَ مِن فارِسَ.

وورد على النّعمانِ، وهو بِطَزَر، كتابُ عُمرَ:

ـ «إنّ معك حدَّ العربِ ورِجالَهُم فاستعِن بهم وبرأيِهِم، وسَل طُليحةَ وعَمرًا، ولا تُوَلِّهِم شيئًا».

فَبعثَ مِن الطَّزرِ طُلَيحةَ، وعَمرًا، وعَمرَو بنَ أبى سلمى لِيُؤاتُوه بالخبر. فأمّا عَمرُو و عَمرُو فإنّهما رَجَعا مِن الطَّريقِ آخرَ اللَّيلِ.

فقال طُليحةُ: «ما الّذى يُرجِعُكُما؟»

قالا: «سِرنا يَومًا وليلةً ولم نرَ شيئًا، وخِفنا أن يُؤخذَ عَلينا بالطَّريقِ.»

ولم يحفِل بِهما[1]. ومَضىٰ طُليحةُ حتّى انتهىٰ إلى نَهاوندَ، وبينها وبينَ الطَّزرِ بِضعةُ وعشرون فرسخًا.

فقالَ النّاسُ: «إرتدّ الثانية.»

فلمّا عَلِمَ طليحةُ عِلمَ القَومِ، رَجعَ حتّى إذا انتهىٰ إلى الجُمهورِ كَبّر النّاسُ.

وقالَ ـ «ماشأنُ القَومِ؟»

فأخبروه بالّذى خافُوا عَليه.

فقال: «والله لو لم يَكُن[دين][2] [424] إلاّ العربيّة فقط، ماكُنتُ لأُجزرَ هذه العربَ العاربةَ لِهذِه العَجمِ الطَّماطِمةِ.»

فأتى النُّعمانُ، فدخل إليه، وأخبَرَهُ أن ليسَ بينَهُ وبينَ نَهاوندَ شىءٌ يَكرهُه.

فنادى النّعمانُ بالرَّحيلِ وعبّأهُم، وجَعَلَ على المُجرّدَةِ القعقاعَ بنَ عمرو، وكذلك جَعلَ على ميمنتِه ومَيسرتِه ومقدّمتِه أهلَ النّجداتِ.

فلمّا اجتمعوا بِنهاوندَ أرسلَ إليهم الفُرسُ أن: أرسِلُوا رَجلاً نُكلّمهُ. فارسلُوا المغيرةَبنَ شُعبةَ.

---

١) كذا فى مط والطّبرى ٥:٢٦١٧، وما فى الأصل: لهما. ٢) تكملةٌ عن الطبرى.

فلمّا رَجعَ سألوه عمّاجرى،

فقال: وجدتُ العِلجَ قداستشار أصحابَه:[١]

ـ «بأىّ شىء تأذنونَ لهذا العَربىّ، بالشارةِ والبهجةِ أو بتقشُّفٍ له؟»

فاجتمع رأيُهم على أفضل مايكون من الشارةِ والعُدّةِ. فتهيّأوا بها. فلمّا أتيناهُم كادت تِلكَ الحرابُ والنّيازكُ يلتمعُ منها البَصرُ، وإذا هم على رأسه مِثل الشّياطين، وإذا هو على سَرير من ذَهَبٍ، على رأسه التّاجُ.

قال: فَمَضيتُ كما أنا، ونَكَستُ رَأسى. فدُفِعتُ، ونُهيتُ.

فقلتُ: «الرُسُلُ لايُفعَلُ بِهِم هذا!» [425]

فقالوا: «إنمّا أنت كَلبٌ.»

فقلتُ: «معاذَاللهِ، لأنَا فى قَومى أشرفُ مَن فى قومِه».

فانتَهَرُونى وقالوا:

ـ «إجلِس!».

فأجلَسُونى، ثمّ قال ـ وتُرجِمَ لى قولُهُ ـ:

ـ «إنكم مَعشرَ العَربِ أبعدُ النّاسِ من كُلّ خيرٍ، أطولُ النّاسِ جُوعًا، وأشقاهُم شَقاءً، وأقذرُهم قَذرًا، وأبعدُهم دارًا، وما منَعَنى أن آمرَ هؤلاءِ الأساورةَ حَولى أن يَنتظِمُوكم مِن النُشّابِ بِمثلِ شَوكِ القُنفُذِ، إلاّ تَنجُّسًا لِجيَفِكُم، فإنكُم أرجاسٌ. فإن تَذهَبُوا نُخَلِّ عنكُم، وإن تَأبَوا، نُرِكُم مَصارِعَكم.»

قال: فحَمدتُ اللهَ وأثنَيتُ عليه، ثمّ قُلتُ:

ـ «واللهِ، ما أخطأتَ مِن صِفَتِنا شيئًا. إن كُنّا لَكذلك، حتّىٰ بَعثَ اللهُ إلينا رَسُولاً، فوعَدنا النَّصرَ فى الدُّنيا، والجَنّةَ فى الآخِرة. فوَاللهِ مازِلنا نَتعرّفُ مِن رَبّنا، مُنذُ جاءَ رَسُولُهُ، الفَتحَ والنّصرَ حتّى أتيناكم. وإنّا واللهِ لانَرجِعُ إلى ذلكَ الشّقاءِ أبدًا، حتّى نَغلِبَكُم على ما فى أيديكم، أو نُقتَلَ بأرضِكم.»

فقال: «واللهِ لقد صدقكم الأعورُ ما فى نفسِه.»

فَقُمتُ [426] وقد أرعَبتُ العِلجَ. فأرسلَ إلينا العِلجُ:

ـ «إمّا أن تعبُرُوا إلينا، وإمّا أن نعبُرَ إليكم.»

١) انظر الطبرى ٥: ٢٦٤٢.

فقال النّعمانُ: «اُعبُرُوا».

وكانوا قد انتهَوا إلى الإسبيذهان وهم وقوف دُونَ وادى خُرد على تعبيَتِهم، وامرُهُم إلى الفيرُزانَ، وقد جُعِلَ بَهمن جاذويه مكانَ ذى الحاجبِ، فهو على مُجنَّبته، وقد توافىٰ إليه كُلُّ مَن غابَ عَنِ القادسيّةِ والأيّامِ مِن أهلِ الثغورِ، وأمرائها، وأعلامِهم. وانشبَ النّعمانُ بعدَ ما حَطَّ الأثقالَ وضُرِب الفُسطاطُ لِلقتالِ، فاقتتَلُوا يَومَ الأربعاءِ ويَومَ الخميسِ وهم كأنّهم جبال الحديدِ، وقد تواثَقُوا ألاّ يَفِرُوا مِن العربِ وألقَوا حَسَكَ الحديدِ خلفَهم وقالوا: مَن فَرَّ مِنّا عَقَرهُ حَسَكُ[١] الحَديدِ.

فقال المُغيرةُ حين رَاىٰ كثرتَهم: «لَم أرَ كاليوم فَشَلاً، إنّ عدوّنا يُترَكُون يتاهّبونَ لايُعجَلُونَ، أمَ واللهِ لوانّ الأمرَ إلىَّ لأعجلتُهم».

وكان النّعمانُ رجلاً لَيِّنًا، فقال:

ـ «قدكان اللهُ يُشهِدُك أمثالَها، فلا يُخزيكَ. إنّه واللهِ مامَنَعَنى مِن المناجزةِ إلاّ شىءٌ شَهِدتُه [427] مِن رَسُولِ اللهِ ـ صلّى‌الله عليه ـ إذا غزا فلم يُقاتِل أوّلَ النّهارِ، ولم يُعجل حتّى تحضرَ الصّلاةُ وتَهُبَّ الأرواحُ ويَطيبَ القتالُ، فما مَنَعَنى إلاّ ذلك. اللّهمّ إنّى أسألُكَ أن تُقِرَّ عينى بفَتحٍ يكونُ فيه عِزُّ الإسلام وذُلُّ الكُفّارِ، ثمّ اقبَضنى إليكَ على الشّهادة. إئمَنُوا[٢] يرحمكم الله.»

فَأمِنّا وبَكينا. ثمّ اقدَم بعد الصّلاةِ للقتالِ.

قال: ولمّا كان يومَ الجمعةِ انجَحروا[٣] فى خنادِقِهم، وذلك لما رَأوا صَبرَنا أنّا لا نَبرحُ العَرصةَ فصبَرُوا معَنا. ثمّ إنّهُم لم يَصبِرُوا، فحَصرَهُم المسلمونَ، فاقامُوا عليهم ماشاءَ اللهُ والفُرسُ بالخيار لايخرجون إلاّ إذا أرادُوا. فاشتدَّ ذلك على المسلمين جدًّا، وخافوا أن يَطولَ امرُهُم.

ذِكرُ آراءٍ صحّ أحَدُها علىٰ طَريقِ المَكيدَةِ

حتّى إذا كان ذاتَ يَومٍ فى جُمعةٍ مِنَ الجُمع، تَجمَّعَ أهلُ الرّأىِ مِنَ المسلمين، فتكلّمُوا، واتَوا النّعمانَ، وقالوا:

ـ «نَراهُم بالخيارِ والقُوّة[٤]».

وهو يُرَوِّى فيما رَوَّوا فيه. فقال:

---

١) الحَسَك: الشوك. ٢) فى الاصل: امنُوا. وفى مط: وامنوا. ٣) من قولهم: انجحر الضّبّ أو السّبعُ: دَخَلَ جُحرَهُ. ٤) كذا فى مط، وفى الأصل: «ألقوه» ولعله تحريف.

ـ «علىٰ رِسلِكُم، لاتبرَحُوا».

وبعث إلى مَن بقىَ مِن أهلِ النَّجداتِ [428] والرَّأىِ فى الحرب، فتوافَوا إليه.

فتكلَّم النُّعمانُ فقال:

ـ «قد تَرَون المشركين واعتصامَهم بالحُصونِ مِن الخنادقِ والمَدائنِ، وأنّهم لايخرُجُونَ إلا إذا شاؤوا، ولايقدِرُ المسلمونَ على إنغاضِهم وابتعاثِهم قَبلَ مَشيئَتِهِم، وقد تَرَون الّذى فيه المسلمون من التَّضايُقِ الّذى هُم فيه وعَليهِ مِن الخروجِ. فما الرَّأىُ الّذى به نَحمِشُهُم[1] ونستخرِجُهم إلى المنابذةِ وتَركِ التطويلِ؟»

فتكلَّم عَمرُو بنُ أبى سَلمى وكان اسنَّ القومِ، فقال:

ـ «التَّحصُّنُ أشدُّ عليهم مِن المُطاولةِ عليكم، فدعهُم ولا تُحرِجهم وطاوِلهُم وقاتِل مَن أتاكَ مِنهم.»

فَرَدُّوا جميعًا عليه رأيَه، وقالوا:

ـ «إنّا على يَقينٍ مِن إنجازِ ربِّنا وَعدَهُ لَنا.»

وتكلَّم عمرُو بنُ مَعدى كربٍ، فقال:

ـ «ناهِدهُم ولاتخَف وكاثِرهُم.»

فَرَدُّوا جميعًا عليه رأيَهُ، وقالُوا:[2]

ـ «إنّما نُناطِحُ الجُدرانَ.»

وتكلَّمَ طُلَيحةُ فقال:

ـ «قد قالا ولم يُصيبا تفسيرَ ماأرادا. فامّا أنا فارىٰ أن تَبعثَ خَيلاً مؤديةً[3] فيُحدقوا بِهم، ثمّ يَرمُوهم لِيُنشِبُوا القتالَ ويَحمِشُوهم، فاذا استحمشُوهُم واختلطُوا بهم [429] وأرادُوا الخُروجَ أرزُوا إلينا استطرادًا، فإنّا لم نستطِرد لَهُم فى طولِ ما قاتلناهُم إلى اليومِ، فإنّهم إذا أرادُوا ذلكَ طَمِعُوا فى هَزيمَتنا ولم يشكُّوا فيها، وخَرَجوا، فَجادُّونا، وجادَدناهُم حتّىٰ يقضىَ اللهُ بيننا.»

فأمر النُّعمانُ بن عَمرو، وكان على المجردَةِ بذلك، ففعل، وأنشبَ القِتالَ بعدَ احتجازٍ من العَجمِ، وانغضَهم. فلمّا خرجُوا نَكصَ، ثمّ نَكصَ، واغتنمها العَجمُ. ففَعلُوا كماظَنَّ طُلَيحة، وقالوا: «هى، هى.[4]» فخرجُوا، فلم يَبقَ أحدٌ إلاّ مَن يَقُومُ لهم على الأبوابِ، وجعَلُوا يَركبونَهم

---

١) اى: نُغضبهم ونهيّجهم. ٢) فى الأصل: «قال» فصحّحناهُ كما فى مط. ٣) فى الأصل ومط: موذنة. اذن فلانًا: اعلمه. وآذن الولد: عَركَ أذُنهُ. وما اثبتناه عن الطبرى (١:٢٦٢١) وهو الصّحيح. ادىٰ إيداءً: قَوىَ وتهيّأ، او: تسلحَ بشكّة السِّلاح (متن اللغة) اى بالسّلاح التّامّ. ٤) كذا فى الأصل. وما فى الطّبرى غير مشكول، وفى ←

حتی أَرَزَ القعقاعُ إلی النّاسِ وانقطع القَومُ عَن حِصنِهم بعضَ الانقطاعِ وَالنّعمانُ بنُ مُقَرِّن والمسلمونَ علی تَعبِئَتِهم. وفی یَومِ جُمعةٍ وفی صَدرِ النّهار، وقد عَهِدَ النّعمانُ عَهدَه وقال: إن أُصِیبتُ فَفُلانٌ، فإن أُصیبَ ففلانٌ. وأمرَهم أن یَلزَموا الأرضَ ولا یقاتِلوا حتّی یأذنَ لهم. فَفَعلُوا واستَتَروا[1] بالجحفِ مِن الرّمی، وجَعلَ المشرکون یَرمونَهم حتّی أفشَوا فیهم الجِراحاتِ، وشکا بعضُ النّاسِ ذلك [430] إلی بَعضٍ. ثمّ قالوا لِلنّعمانِ:

ـ «ألا تَریٰ مانحن فیه؟ إئذَن لنا فی الحَملهِ.»

فقال لهم النّعمانُ: «رُویدًا رویدًا.»

قالوا ذلك مِرارًا، فأجابهم بِمثلِ ذلك.

فقال المُغیرةُ: «لَو إلَیَّ هذا الأمر، علمتُ ماأصنعُ.»

فقال: رُویدًا، تَری[2] أمرَكَ وقد کُنتَ تَلی الأُمرَ فتُحسِنُ، فلا یخذُلُنا اللهُ ولا إیّاك، ونحنُ نَرجُو فی المَکثِ مِثلَ ما تَرجُو فی الحَثِّ.»

وانتظر النّعمانُ أحبَّ الأوقاتِ کان إلی رَسولِ اللهِ ـ صلّیٰ‌الله علیه.

فلمّا کانَ قریبًا مِن تِلكَ السّاعةِ وهیَ الزّوالُ، سار فَوقَفَ عَلی الرّایاتِ، ومدَحَهم، وحضّهم. ثمّ عاد إلی موقفِه[3]، وکبّر الأولی والثّانیةَ والثّالِثةَ والنّاسُ علی غایَةِ السّمعِ والطّاعَةِ. وحمَلَ النّعمانُ والنّاسُ معَه، فالتقَوا بالسُّیوفِ، فاقتتَلُوا قِتالاً شدیدًا لَم یَسمعِ السّامعون بِوَقعةٍ قَطُّ کانت أشدُّ مِنها، لا یومَ القادِسیةِ لا غیرَها مِمّا تقدَّمَ، قتلُوا فیها مِن الفُرسِ فیما بینَ الزّوالِ والإعتامَ ماطبّق أرضَ المعرکة وما یزلَق فیه النّاسُ والدّوابُّ، وزلّق بالنّعمانِ فرسُه وصُرِعَ، فأُصیبَ. وتَناولَ [431] الرّایَةَ أخُوهُ نُعیمُ بنُ مُقرّنٍ، وسَجّی النّعمانَ بِثوبٍ، وأتی[4] حُذَیفةَ بالرّایة، وکانَ عَهِدَ إلیه بَعدَه، فاقامَ اللّواءَ. وقال المغیرةُ:

ـ «اکتُموا مُصابَ أمیرکم حتی تنظروا مایصنعُ اللهُ فینا لِکَیلا یَهِنَ النّاسُ، واقتتِلوا.»

فلمّا أظلمَ اللّیلُ انکشف المشرکون، وتَرکُوا قصدَهُم، وأخذوا نحوَ اللّهبِ[5] الّذی کانُوا نزلُوا دونَه بِإسبیذَهانَ. فوقَعُوا فیه، وجَعلَ لایَهوی فیه أحدٌ إلاّ قال: «وای خُرد»[6]، فُسمِّیَ بذلك «وایَه

← حواشیه: «هی هیه»، «هی هیه» (٥:٢-٢٦٢١).

١) مط: واستقَرُوا.
٢) مط: تَری. وفی الطّبری أیضًا: تَری (٥:٢٦٢٢).
٣) کذا فی مط: موقفه، والمیم فی الأصل مطموسةٌ.
٤) مافی الأصل ومط غیر واضح، فأثبتناه حسب الطّبری (٥:٢٦٢٥).
٥) اللّهب: الفرجة والمهواة بین الجبلین أو الصّدعُ فی الجبل.
٦) وفی الطّبری: «وایَه خُرد» (نفس الصفحة).

خُرد» إلى اليومِ. فماتَ فيه منهم نحوُ مائةِ ألفٍ، وقُتلَ في المَعركةِ أعدادُهُم، ولم يُفلِت إلاّ الشَريدُ. ونَجا الفيرُزان مِن الصَّرعىٰ في المعركةِ، فهرَبَ نحوَ همذانَ في ذلك الشَريدِ، فاتَّبَعَهُ نُعيم بنُ مقرّنٍ، وقدّم القعقاعَ قُدّامَهُ، فأدركَهُ حين انتهىٰ إلى ثِنية همذان، وكانت الثَّنيةُ مَشحونةً مِن بِغالٍ وحَميرٍ موقَّرةٍ عَسَلاً، فَحَبستهُ الدَّوابُ على أجَلِه. فلمّا غَشِيَهُ القَعقاعُ وهو لايَجِدُ طريقًا فتوقَّل[1] في الجبل، تَوقَّلَ القَعقاعُ في أثره حتى أخذَهُ، ومضَى الفُلّالُ حتّى انتهَوا إلى مدينةِ همدان والخَيلُ [432] في آثارِهم، فدَخلوها. وسُمّيَتِ الثَّنيةُ: ثنيةَ العَسَلِ، وقالَ المُسلمونَ:

- «إنَّ للهِ جُنودًا مِن عَسَلٍ.»

واستاقُوا العَسلَ وماخالَطَهُ مِن سائر الأحمالِ.

[دخول نَهاوَند]

ودخلَ المسلمون بعد هَزيمةِ الفُرسِ نَهاوندَ، واحتووا على مافيها، وجَمَعُوا الأسلابَ إلى صاحبِ الأقباضِ السّائبِ الأقرعِ. فبَينا هم كذلك، أقبلَ الهِربِذُ صاحبُ بيت النّارِ على أمانٍ، فأبلغَ حُذَيفةَ.

فقال: «أتومِنُني على أن أُخبَرك بِما أعلَمُ؟»

قال: «نعم!»

فقال: إنَّ النَّخيرجانَ وَضَعَ عندي ذخيرةَ كِسرىٰ، وأنا مُخرجها لَكَ على أماني وأمانِ[2] مَن شِئتَ.»

فأعطاه ذلك، وأخرج له الذَّخيرةَ سَفطَينِ عَظيمينِ ليس فيهما إلاّ اليواقيتُ واللُّؤلؤُ. فلمّا فرغ السّائبُ مِن قسمةِ الأموالِ اجتمع رأيُ المسلمين على دفعِها إلى عُمرَ.

قال السائب: فأصابَ سَهم الفارس ستَّة آلافٍ، والرّاجل ألفانِ. فلمّا فَرغتُ قَدِمتُ على عُمرَ ومعي السَّفَطانِ، فقال:

- «ماوراءَكَ يا سائبُ!»

فقلت: «خيرٌ يا أميرَالمؤمنين، فتحالله عليك - فأعظَم الفتحَ - واستُشهِدَ النعمان بن مُقرِّنٍ.» [433]

فقال عُمرُ: «إنّا للهِ وَإنّا إليهِ راجِعُونَ»[3]

---

١) مط: «فتوغّل» وهو خطأ. تَوَقّلَ في الجبَلِ: صعَّد فيه. ٢) وفي الطبري: أمان، آثان (٥:٢٦٢٧). ٣) س ٢، البقرة: ١٥٦.

ثمّ بكى فنَشجَ[١] حتّى إنّى لأنظرُ إلى فُروعِ مَنكِبَيهِ مِن فَوق كَتدِه[٢]».
قالَ: فلمّا رأيتُ مالَقِيَ قلتُ:
- «يا أميرالمؤمنين، ماأصيبَ بعدَهُ رَجلٌ يُعرفُ وجهُهُ.»
فقال: «المستضعفون مِن المؤمنينَ، لكنّ الّذى أكرمَهُم بالشّهادةِ يَعرفُ وُجُوهَهُم، وأنسابَهُم، وما يصنعُون بِمَعرفةِ ابنِ أمّ عُمَرَ.»
ثمّ قامَ لِيدخُلَ، فقلتُ:
- «إنّ مَعى مالاً عظيمًا جِئتُ بِه.»
ثمّ أخبرتُه الخبرَ عَن السَّفَطَين، فقال:
- «أدخِلهُما بَيتَ المالِ حتّى نَنظُرَ فى شأنِهِما، وَالحَق بِجندِك.»
قال: فأدخلتُهما بيتَ المالِ، وخرجتُ سَرِيعًا إلى الكوفةِ، وباتَ تلك اللّيلةَ الّتى خرجتُ فيها. فلمّا أصبحَ بَعَثَ فى أثرى رَسُولاً، فواللهِ ما أدركنى حتّى دخلتُ الكوفةَ، فأنختُ بَعيرى، وأناخَ بَعيرَهُ على عُرقوبَى بَعيرى، وقال:
- «إلحَق بأميرالمؤمنين، فقد بَعَثَنى فى طَلَبِكَ ولم أقدِر عليك إلاّ الآنَ.»
قال: قلتُ: «ويلكَ! ولماذا؟»
قال: «لاأدرى واللهِ.»
فركبتُ معَهُ حتّى قَدِمتُ عليه. فلمّا رآنى قال:
- «مالى ولابنِ أمّ السّائب، بل ما لابنِ السّائب وما لى!»
قال: قُلت: [434]
- «وما ذاكَ يا أميرَالمؤمنين؟»
قال: «ويَحك! واللهِ، إن هُوَ إلاّ نمتُ فى تلك اللّيلة الّتى خَرجتَ فيها، فباتَت مَلائكةُ اللهِ تَسحبنى إلى ذَينِكَ السَّفَطينِ يَشتعِلانِ نارًا، يقولون: لَنكوينّك بِهما؛ فأقول: إنّى ساقسِمُهما بينَ المسلمين، فخُذهُما عَنّى لا أبًا لك، فالحَق بِهما، فَبِعهُما فى أعطِيَةِ المسلمين وأرزاقِهم.»
قال: فخرجتُ بِهِما حتّى وضَعتُهما فى مسجدِ الكوفة وغَشِيَنى [التُّجار[٣]] فابتاعَهُما مِنّى عَمرُو بنُ حُرَيثٍ المخزومى بالفَى ألفِ [٢٠٠٠،٠٠٠] دِرهَم، ثُمّ خرج بِهِما إلى أرضِ الأعاجمِ فباعَها

١) نَشجَ الباكى: غَصَّ مِن غير انتحابٍ. ٢) الكَتِد والكَتَد: مجتمع الكتفين من الانسان. ٣) فى الأصل: النجار وما أثبتناه عن مط.

بأربعةِ آلافِ ألفِ [٤،٠٠٠،٠٠٠] درهم. فمازال أكثرَ أهلِ الكوفةِ مالاً بَعدُ.

وقَسَمَ حذيفةُ لأهلِ المسالح جميعًا فى نَهاوندَ، مِثلَ الّذى قَسَمَ لأهلِ المعركة، لأنّهم كانوا رِدءًا للمسلمينَ لِئَلاَ يُؤتَوا مِن وَجهٍ مِن الوُجُوهِ، وكانَ خلَّفَ قَومًا على قلاعٍ يُحاصِرون مَن فيها لِئَلاَ ينزِلوا فَيُؤتَى المسلمون مِن قِبَلِهِم، فقَسَم لَهُم ايضًا.

وسُمِّىَ يومُ نَهاوندَ [فَتحَ الفُتوحِ[١]]، ولم تكُن لِلفُرسِ بعدُ قائمةٌ.

ومِن عجيبِ مامرَّ لهم فى حصارِ نَهاوندَ أنّ رجلاً [435] يُقالُ لَهُ: جَعفرُبنُ راشِدٍ، قال لِطُلَيحةَ:

ـ «لقَد أخذتنا خَلّةٌ[٢]، فهل بَقِىَ مِن أعاجيبِكَ شَىءٌ تَنفعُنا بِه؟»

فقال: «كما أنتُم، حتّى أنظرَ.» فأخَذَ كساءًا، فتَقَنَّعَ بِه غيرَ كثيرٍ، ثم قال:

ـ «البَيان، البَيان، غَنمُ الدَقّان[٣] فى البُستانِ، مَكانَ أروبان[٤].»

فدَخَلوا البُستانَ، فوجَدُوا الغَنم مُسمَّنَةً.

ثمّ جاءَ دينارٌ إلى حُذَيفةَ، فصالحَهُ عَن ماه، فنُسِبَ إليه ماه[٥]. فكانَ يُوافى الكوفةَ كُلَّ سَنةٍ. فَقِدمَ الكوفةَ فى إمارةِ مُعاويةَ، فقام فى النّاسِ جميعًا، فقال:

ـ «يا مَعشرَ أهلِ الكوفةِ، إنّكم أوّلَ مامَررتُم بِنا كُنتُم خِيارَ النّاسِ، فغَبَرتُم بذلك زمانَ عُمرَ وعُثمانَ، ثُمَّ تغيّرتُم وفَشَت فيكم خِلالٌ أربع: بُخلٌ، وخِبٌ[٦]، وغَدرٌ، وضِيقٌ، لم تكن فيكم واحدةٌ مِنهنّ. فنظرتُ فى ذلك، فإذا ذلكَ فى مُوَلّديكُم، فَعَلِمتُ مِن أين أتىٰ، فإذا الخِبُّ مِن قِبَلِ النَّبط، والبُخلُ مِن قِبَلِ فارسَ، والغدرُ مِن قِبَلِ خراسان، والضِّيقُ مِن قِبَلِ الأهواز.»

[فتح الرَّىّ]

ثمّ إنّ نُعيمَ بنَ مُقرّنٍ فَتحَ همذانَ، وسارَ إلى الرَّىّ، وكانَ بالرَّىّ يومَئذٍ سياوخش مَلِكًا عليها وهو سياوخشُ [436] بنُ مهرانَ بن بهرام شوبين. [فاستمدّ[٧]] أهلَ دنباوندَ، وطبرستانَ، وقُومِسَ، وجُرجانَ، وقال: «قدعَلمتُم أنّ هؤُلاءِ إن حَلّوا بالرَّىّ إنّه لامُقامَ لكُم.» فاحتشدُوا لَهُ.

١) افتتحت مدينة نهاوند فى أول سنة ١٩ لسبع سنين من إمارة عُمر (الطبرى ٥:٢٦٣٢). ٢) الخلّة: الجوع والفقر. ٣) فى مط: «الدَقّان» بالقاء. وفى الطَبرى (٥:٢٦٣٠): «الدهقان»، وفى حواشيه: «الدَوان»، «الرّبان». ٤) فى مط: اروبان بالباء الموحّدة. فى الطَبرى: «ارونان» وفى حواشيه: «اونان». ٥) فقيل: ماه دينار» (الطبرى ٥:٢٦٢٨). ٦) الخِبُّ: الخُدعةُ والغشُّ. ٧) فاستمدّ: مطموسةٌ فى الأصل، فاخذناه عن مط.

فناهَدَه سياوخشُ، فالتقَوا فى سَفحِ جبلِ الرَّىِّ إلى جنبِ مَدينتِها، فاقتتَلُوا بِه. وكان الزِّينبىُّ مستوحشًا من سياوخش، فكاتب نُعيم بنُ مقرّنٍ، وصالحَهُ وعاوَنَهُ، وكان الزِّينبىُّ قال لنُعيم:

- «إنَ القومَ كثيرٌ وَأنتَ فى قِلّةٍ، فابعث مَعى رَجُلاً أدخُل بِهم مدينَتَهم من مَدخلٍ لايشعُرون به، وناهِدهُم أنتَ، فإنّهم إذا خَرجُوا عليهم لم يثبُتُوا لذلك.»

فبعث معَه خيلاً مِن اللّيلِ عَليها ابنُ أخيه المنذرُ بن عَمرو. فأدخَلَهم الزِّينبىُّ المدينةَ ولايشعُرُ القومُ، وبيَّتَهم نُعيمُ بَياتًا، فشغلَهُم عن مدينتِهِم، فاقتتَلُوا، وصَبرُوا حتى سمِعُوا التَّكبير من ورائهم. ثمّ إنّهم انهزمُوا فقُتِلوا مَقتَلةً عَظيمةً، فأفاءَ اللهُ على المسلمين بالرَّىِّ نَحوًا مِن فَىءِ المَدائنِ، وصالحه الزِّينبىُّ على أهل الرَّىِّ ومَرزَبَهُ[1] عليهم. [437] وكتب نُعيمُ بالفتح وبعثَ بالأخماسِ إلى عُمرَ.

وكان بكُيرُ بنُ عَبدِالله قدتوجَّهَ إلى آذربَيجان، فأمدَّه نُعيمُ بعدَ فَتحِ الرَّىِّ بِسماك بن خَرَشَةَ الأنصارى. فأمّا المصمَغان - وهو مَردانشاهُ صاحبُ دنباوندَ والخزرِ والأرز والسَّرو[2] - فإنّه راسَلَ نُعيمًا فى الصُّلحِ على شَىءٍ يفتدى مِنه بِه، مِن غير أن يسألَهُ النَّصرَ والمنعَةَ. فقبِلَ مِنه، وكتَبَ على غير نَصرٍ ولا مَعونةٍ على أحدٍ، فجَرىٰ ذلك لَهُم.

[فتح قُومِس]

وقدِمَ سُويدُ بنَ مقرّنٍ أخاهُ بأمرِ عُمرَ إلى قُومِس، فلم يَقُم له أحدُ، وأخذَها سِلمًا، وكتب لَهُم أمانًا، وقَبِلَ جِزيَتَهم.

[فتح جُرجان وطبرستان]

ثُمّ كاتبَ ملكَ جُرجانَ رُزبان[3] صول. ثُمّ صارَ إليها، فبادرهُ بالصّلحِ، وتَلقّاه، فدخَلَ معه جُرجانَ، وعَسكرَ بِها، وجُبِيَ إليه الخَراجُ، وسَمّى لَهُ فروجَها، فسدَّها بِتُركِ دِهِستانَ. فرفع الجزىٰ عمَّن أقام بمنعَتِها، وأخذ الخراجَ مِن باقى أهلِها، وكتب بينهم كتابًا[4] بالأمانِ وقبول الجِزيَةِ

---

١) مَرزَبَهُ: جعلهُ عليهم مرزبانًا. ٢) مط: السرد. ٣) فى الأصل ومط: ررمان، من دون نقط. وما أثبتناهُ عن الطّبرى (٥:٢٦٥٨). ٤) والكتاب كماجاء فى الطبرى (٥:٢٦٥٨):

«بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا كتابُ من سُويد بن مقرّن لِرُزبان صول بن رُزبان [روزبان، رزبار، رربان؟] وأهل دِهِستان، وسائر أهل جرجان؛ أنّ لكم الذّمّة، وعلينا المنعة، على أنّ عليكم من الجِزاءِ فى كلّ سنةٍ على قدر طاقتكم على كلِّ حالمٍ، ومَن استعنّا به منكم، فله جِزاؤُه فى معونته عِوضًا من جزائه، ولهم الأمان على أنفسهم، وأموالهم، ومِلَلهم، ←

مانَصَحُوا و قَرَوا المسلمين، وعلى أنّ من سَبَّ مُسلِمًا [438] بلغ جُهده، ومَن ضَربه حَلّ دَمُه.
وراسَلَهُ الإصبهبذُ فى الصُلح أن يَتَوادَعا ويجعَلَ له شيئًا على غير نَصر ولا مَعونةٍ على أحدٍ. فكتبَ لَهُ بذلك كتابًا على ألّا يُؤوُوا للمسلمين بغيةً[1]، ولا يسلُّوا لهم[2] إلى عدوٍّ، ولا يُدخَل عليه إلاّ بإذنِه، وكذلك سبيلُهم.

[فتح آذربيجانَ]

وكان بكير سارَ حينَ بُعثَ إلى آذربيجان حتّى إذاطلع بجبال خرشدان[3] طلعَ عليهم اسفندياذُ بن الفرّخزاذ مَهزُومًا من واج رود. فكانَ أوّل قتاله لَقيَهُ بآذربيجان، فاقتتلُوا، فهزمَهُ، وأخذ بُكير اسفندياذ أسيرًا.

فقال له اسفندياذ: «الصُلحُ على آذربيجان أحَبُّ إليك أم الحربُ؟»

قال: «بل الصُلح.»

قال: «فامسكنى عندك. فإنّ أهل آذربيجان إن لم أُصالح عليهم أو أجِئ لم يُقيمُوا، وجَلَوا إلى الجبالِ ألّتى حولَها مِن القَبجِ والرّوم. ومَن كان على التحصُّنِ تحصّنَ إلى يومٍ ما.»

فأمسكه عندَهَ، فأقامَ وَهُوَ فى يَدِه، وصارت البِلادُ إليه إلاّ ماكان مِن حِصنٍ. وقدِمَ عليه سِماكُ بنُ خَرشَةَ، وقدصارَ اسفندياذ فى إسارِه. [439] وفتح عتبة بن فرقد من جِهتِه مايَليهِ، فقال بُكيرُ لِسِماكِ بنِ خَرَشة كالمُمازِح:

- «ماالّذى أصنعُ بك وبعُتبةَ؟ أريدُ أن أمضِيَ قُدمًا فأخلّفكما، فإن شِئتَ فاذهب مَعى، وإن شِئتَ أتيتَ عُتبةَ، فقد أذنتُ لك.»

وكاتبَ عُمرَ فى ذلك. فكتب إليه فى الإذنِ على أن يتقدّم نحوَ البابِ، وأمره أن يستخلِفَ على عَمَلِه. فاستخلف عُتبةَ على أن يتقدّم نحوَ البابِ، وأمره أن يستخلِفَ على عَمَلِه. فاستخلف عُتبةَ على ماافتتح. ومضى قدما، وقدّم إسفندياذ إلى عُتبة، وأقرَّ عتبةُ سِماكَ بن خَرَشة، وليس بأبى دُجانة، على عَمِل بُكير الّذى كان افتَتحَ.

→ وشرائعهم، ولا يُغيَّر شيءٌ من ذلك هو إليهم ما أدّوا وأرشدوا ابن السبيل، ونصحوا، وقَروا المسلمين، ولم يَبدُ منهم سَلٌّ، ولاغَلٌّ، ومَن أقام فيهم، فله مثل مالهم، ومَن خرج فهو آمنٌ حتّى يبلغَ مأمَنَه؛ وعلى أنّ مَن سبّ مسلمًا بُلغَ جَهده، ومَن ضرَبَه حَلّ دَمُه. شهد سواد بن قُطبة وهند بن عَمرو وسماك بن مَخرمة وعُتيبة بن النَّهاس. وكُتب فى سنة ١٨.» وأضاف الطبرى: «وأمّا المدائنى فإنّه قال فى ما أنبانا أبوزيدٍ عنه: فتحت جرجان فى زمن عثمان سنة ٣٠»

١) مط: تبعة. ٢) مط: بهم. ٣) مط: «خر شدن»!

وجَمعَ عُمرُ آذربيجانَ كُلّها لِعُتبة، وقدكان بهرامُ بنُ الفرّخان أخذ بطريقِ عُتبةَ بنِ فرقد، وأقام له فى عَسكرِه حتّى قدِمَ عليه عُتبةُ، فهزمَهُ عتبةُ وهربَ بهرامُ.

فلمّا بلغ خبر هزيمة إسفندياذ وهو فى الإسارِ عند بكير قال:

ـ «الآن تمّ الصُّلحُ وطَفِئتِ الحربُ وعادت آذربيجان سِلمًا.»

فبعث بالأخماسِ. وكان بكيرُ سبق عُتبةَ بِفتحِ ما وَلِيَ، وتمّ الصُّلحُ بعد ماهزم عُتبةُ بهرامَ. فكتبَ عُتبةُ بَينَهُ وبينَ أهل آذربيجان كتابًا ـ حيثُ جُمع له عَملُ بكيرٍ إلى عَملِه ـ [440] بالأمانِ وشروطِ الجِزيةِ وقِرىَ المسلمين وغيرِ ذلكَ.

[فتح الباب والفتوح الّتى كانت بعدَه]

وأنفذَ عُمرُ سُراقةَ بن عَمرو ـ وكان يُكنَى ذاالنّونِ[1] ـ إلى الباب وجعل على مُقدّمتِه عبدالرّحمن بن ربيعة، وسَمّى لاحدى مُجنّبتيهِ حذيفةَ بنَ أسدٍ، وسَمّىَ لِلأخرى بُكيرَبنَ عُبيدِاللهِ اللّيثى، وهو الّذى كان بإزاءِ البابِ قبلَ قدومِ سُراقةَ عليهِ. فلمّا قَدِمَ سُراقةُ قَدَّم بكيرًا فى أدانى البابِ، فدخلَ بكيرُ بِلادَ البابِ والملكُ يَومئذٍ شهربراز، الّذى أفسدَ بنى‌إسرائيلَ وأعرى[2] الشامَ مِنهُم.

فكاتب عبدُالرّحمنِ شهربرازَ، واستأمَنَهُ على أن يأتِيَهُ. ففعل، فأتاهُ، فقال لَهُ:

ـ «إنّى بإزاءِ عَدوٍّ كَلِبٍ وأمَمٍ مُختلفةٍ لاينسُبون إلى أحسابٍ، وليس ينبغى لِذى الحَسَبِ والعَقلِ أن يُعينَ هؤلاءِ ولايَستعينَ بِهم على ذوِى الأحسابِ[3] والأصولِ، وذُوالحَسَبِ قريبُ ذِى الحَسَبِ حيثُ كانَ، ولستُ مِن الأرمَنِ فى شىءٍ ولامِنَ القبق[4]، وإنّكم قدغلبتُم على بِلادى وأمّتى، وأنا اليومَ مِنكم، ويَدِى مع أيديكم، وصَفوى مَعَكُم، وجِزيتُنا إليكم، والنّصرُ لَكُم، والقيامُ بماتُحبّونَ، فلاتُذِلّونا بالجزيةِ [441] فتوهِنونا لِعدُوّكُم.»

فقال عبدُالرّحمنِ: «فوقى أميرٌ قد أظلّكَ، فَسِر إليهِ فَجَوّزهُ.»

فسار إلى سُراقةَ، فلقيَهُ بِمثلِ ذلك.

فقال سُراقةُ: «قدقَبِلتُ ذلك مِمّن كان مَعكَ على هذا مادامَ عليه، ولابُدّ مِن الجزىِ مِمّن يُقيمُ ولاينهَضُ.»

فقبِلَ ذلك، وكتبَ سُراقة إلى عُمرَبن الخطّابِ بذلكَ، فأجازَهُ، وحَسّنه، وصارت سُنّةً فيمن

---

١) فى الطبرى (٥:٢٦٦٣): ذاالنور.

٢) فى مط: اغز. فى الطبرى أيضًا: أعرى. وفى حواشيه اغرى، اغزى.

٣) فى الأصل: ذووالحسب. فصحّحناهُ.

٤) فى الطبرى: القبج.

يُحاربُ العُدوَّ مِن المُشركين وفيمَن لم يَكن عِندَه الجزَىٰ أن يُستَنفَروا، ثمّ يُوضَعَ عنهم جِزَىٰ تِلكَ السَّنَةِ.

ووَجَّه سُراقةُ بعد ذلك بُكيرَبنَ عَبدِالله، وحَبيبَ بنَ مَسلَمةَ، وحُذيفةَ بنَ أسدٍ، وسلمانَ بنَ ربيعة إلى الجبالِ المُطيفةِ بارمينيَة، ووَجَّه بُكيرًا إلى مُوقانَ، وحبيبًا إلى تفليسَ، وحُذيفَةَ إلى جبالِ اللاّنِ، وسلمانَ إلى الوجهِ الآخَرِ، وكتبَ سراقةُ بالفَتحِ وبِمَن وجَّهَ مِن هؤلاءِ النَّفر. فأتىٰ عُمرَبنَ الخطّاب أمرٌ لم يَكُن يَرىٰ أنّه يَستمِرُّ بتلك السُّرعةِ بغير مؤُونةٍ. فلمّا استوسق الأمرُ بتلك النّاحية واستحلَوا عدلَ الإسلامِ مات سُراقةُ واستخلَفَ عبدَالرَّحمن بنَ ربيعة.

فاقرَّ عُمرُ عبدَالرَّحمنِ على فرج البابِ، وأمره بغزو التُّركِ. فخرج [442]عبدُالرَّحمن بالنّاسِ حتّى قطعَ البابَ.

فقال له شهربراز: «ماتُريدُ أن [تصنعَ][١]؟»

قال: «أُريدُ بَلنجرَ.»

قال: «إنّا لَنرضىٰ منهم أن يَدَعُونا مِن دون الباب.»

قال: «لكِنّا لانَرضىٰ منهم بذلك حتّى ناتِيَهُم فى ديارهم. واللهِ إنّ معَنا لأقوامًا لويأذنُ لنا أميرُنا فى الإمعانِ لَبلغتُ بهم الرّوم.»

قال: «وماهم؟»

قال: «قومٌ صَحِبوا رَسولَ‌اللهِ ـ صلّى‌الله عليه ـ ودخَلوا فى هذا الأمرِ بِنيَّةٍ، كانوا أصحابَ حياءٍ وتكرُّمٍ فى الجاهليّةِ، فازدادَ حياؤُهُم وتكرُّمُهم، فلايزالُ هذا الأمرُ دائمًا لَهُم، ولايزال النَّصرُ معَهُم حتّى يُغَيِّرهُم أمرٌ، أويُلفَتُوا عَن حالِهم بِمَن يُغَيِّرُهم.»

فغزا بَلنجرَ ـ غزاه فى زمن عُمرَ ـ لم تَئم فيها امرأةٌ، ولايَتِم فيها صَبيٌّ. وبلغت خيلُه البيضاءَ على رأسِ مائتى فرسخٍ من بَلنجرَ، ثمّ غزا فسلِمَ أيضًا، وغزا [غزوات][٢] فى زمَنِ عثمان، وأصيبَ عبدُالرَّحمنِ حين تبدَّلَ أهلُ الكوفة فى إمارةِ عثمانَ، لما استعملَ مَن كان ارتدَّ واستعانَ بهم، فسادَ مَن طلب الدُّنيا، وعضَلوا بعثمانَ حتّى كان يتمثّلُ:

وكنتُ وَعمرًا[٣] كَالمُسمِّنِ كَلبَهُ فخدّشَهُ انيابُه وَ أظافِرُهُ [443]

وكانَ عبدُالرَّحمن بن رَبيعةَ لمّا غزا التُّركَ، قالوا: «مااجترأ علينا هذا الرَّجلُ إلاّ ومعهم

---

١) بياض فى الأصل، وما اثبتناهُ عن مط. ٢) تكملةٌ من الطبرى. ٣) فى الأصل: وكنتُ وعمروٌ. فى مط: وكنت عمروًا! فصحّحناهُ كما فى الطبرى (٥:٢٦٦٨).

الملائكةُ يمنعُهُم مِن المَوتِ». فتحصّنُوا مِنه، وهرَبُوا. فرجع بالغُنم.

فلمّا كان بعدَ ذلكَ غزا تِلكَ الغزواتِ الأُخَرَ على تِلكَ العادةِ، حتّى إذا كانَ فى زمَنِ عثمانَ بعدَ السِّنين السِّتِّ مِنهُ، غزا غزوةً. وكان من التُّركِ طائفةٌ فى الغياضِ مختفينَ، فرمىٰ رَجلٌ منهم مُسلِمًا على غِرَّةٍ، فقتلهُ وهرب عنهُ أصحابُه، فتجاسَروا بعدَ ذلك وتنادَوا.

فأمّا عبدُالرَّحمنِ فقُتِلَ، واشتدَّ القِتالُ، وأخَذَ الرّايَةَ سلمانُ بنُ ربيعة، وخرج بالنّاسِ على جيلانَ إلى جُرجانَ، واجترأ التُّركُ بعدَها، ولم يمنَعهُم ذلك مِن اتّخاذِ جَسَدِ عبدالرحمنِ، فهم يَستسقُون به حتّى الآن.

[ماجرى بين يزدجرد وآبان جاذويه فى الرَّىّ]

ولمّا انتهى يَزدَجِردُ فى مَسيره بعدَ جلُولاءَ إلى الرَّىِّ كان عَليها آبان جاذويه، فوثَبَ عليه، فأخذهُ فقال:

ـ «يا آبان جاذُويَه، تغدِرُ بى؟»

قال: «ولكنّكَ تَركتَ مُلكَكَ وصار فى يَدِ غيركَ وأريد أن اكتتبَ على ماكانَ لى من شىءٍ، وماأردتُ مِن غير ذلك.[1]»

وأخذ خاتَمَ يزدجرد [444] وكتَبَ الصِّكاكَ على الأُدُمِ، وسَجّلَ السِّجلّاتِ بِكلِّ ما أعجَبَه، ثمّ ختم عليها، وردَّ الخاتَمَ. ثمّ أتىٰ بَعدُ سعدًا فردَّ عليه كُلَّ شىءٍ فى كتابِه. واستوحشَ يَزدجِردُ مِن آبانَ وكرِهَهُ. فخرج هاربًا إلى اصبهانَ ومعه النّارُ[2]، وأرادَ كرمان. ثمّ عزم على خراسانَ ليستَمِدَّ التُّركَ والصّينَ وهو قريبٌ مِنهُم. فأتى مَروَ، فنزلَها، وبَنىٰ لِلنّارِ بيتًا، واطمأنَّ فى نَفسه.

[غزو خراسان وهزيمة يزدجرد فى بلخ]

وخرج عبدُاللهِ بن عامرٍ مِن البَصرةِ فى هذِه السَّنة، وهى سنة إحدى وثلاثين، غازيًا إلى خراسانَ. ففتح نَيسابُورَ وطُوسَ ونسًا، حتّىٰ بَلغ سَرَخسَ، وعلى مُقدِّمتِه الأحنف بنُ قيسٍ. فلقيَهُ الهياطِلةُ، وهُم أهلُ هراةَ، فهزَمَهم الأحنف، فبعثَهُ ابنُ عامرٍ إلى طخارِستانَ. فلمّا دَنا الأحنفُ مِن مَروِ الشّاهجان خرجَ منها يَزدَجِردُ نَحوَ مَروِ الرُّوذِ، فنزلَها، ونزلَ الأحنف مَروَ الشّاهجان، وكتب يَزدَجِردُ إلى خاقانَ مِن مَروِ الرُّوذِ يَستمِدُّهُ، وكتب إلى مَلِكِ الصُّغدِ يَستمِدُّهُ. فخرج رسولُه

١) وفى مط: من غيرك. ٢) وفى الطبرى (٥:٢٦٨٢): فأراد أن يَضَعَها فى كرمان.

إليهما، وكتبَ إلى مَلِكِ الصِّين يستعينُه.

وخرج الأحنف [445] من مَرو الشاهجان، واستخلف عليه بعدَ مالَحِقَتهُ الأمدادُ مِن أهلِ الكوفةِ قاصِدًا مَروَ الرُّوذِ. فلمّا بلغ مَسيرةُ يَزدَجِردَ خرج إلى بَلخ. ونَزلَ الأحنفُ مروَ الرُّوذِ، وقَدِمَ أهلُ الكوفة، فساروا إلى بلخ، واتَّبعَهُم الأحنف، فالتقىٰ أهلُ الكوفةِ ويَزدَجِردُ ببلخ، فهُزِم يَزدجِردُ، وتوجَّهَ فى أهلِ فارسَ إلى النَّهرِ، فعَبَر، ولحق الأحنفُ بأهلِ الكوفة وقد فتَحُوا بلخَ، وعادَ الأحنفُ إلى مَروِ الرُّوذ.

وكَتبَ عُمرُ إلى الأحنفِ:

«أمّا بَعدُ، فلاتَجُوزوا النَّهرَ، واقتصِرُوا على مادُونَه.»

وبلغ رسُولا يَزدجِردَ خاقانَ وعارك[1]، فلم يَستَتِبَّ لهم[2] إنجادُهُ، حتىٰ عَبَرَ إليهم النَّهرَ مهزومًا. فأنجَدهُ خاقان، فأقبلَ فى التُّركِ، وحشر أهلَ فرغانَة والصُّغدِ، حتى خرج بِهِم راجعًا إلى خراسان. فعَبَر إلى بلخ، وعبر معَه خاقان، فأرَزَ أهلُ الكوفةِ إلى مَرو الرُّودِ، إلى الأحنفِ.

ذِكرُ رأىٍ صحيحٍ فى وقتِ شدّة

فاستشارَ الأحنفُ المسلمين. فاختلفوا، فَبينَ قائلٍ يقولُ: «نرجع إلى ابرَشهر»[3] [446]؛ وقائلٍ يقولُ: «نُقيم ونستمِدُ.» وقائلٍ يقولُ: «نُناجِزُهم.»

وخرج المشركون مِن بَلخ حتّى نزلُوا على الأحنفِ مَرواَلرّوذِ. وكان الأحنف حين بَلغَهُ عُبورُ خاقانَ نَهرَ بلخ غازيًا له، خرج فى عَسكره ليلاً يتسمَّعُ: هل يَسمعُ برأىٍ ينتفِع بِهِ؟ فلمّا خرج مَرَّ برَجُلين يُنَقِّيانِ علَفًا، إمّا تِبنًا، وإمّا شعيرًا، وأحدُهما يَقولُ لِصاحبه:

- «الرَّأىُ للأميرِ أن يلقى العدوَّ حَيثُ لقِيَهُم أولاً، فإنّه أرعَبُ لَهُم.»

فقال له صاحبُه: «أخطأتَ الرَّأىَ، إن لَقِىَ العدُوّ مُصحِرًا فى بلادِهم لقى جمعًا كثيرًا بعَددٍ قليلٍ، فإن جالُوا جَولةً اصطلَمُونا. ولكنّ الرَّأى للأمير أن يُسنِدَنا إلى هذا الجبلِ، ليكونَ النَّهرُ بينَنا وبينَ عدُوِّنا خندَقًا، وكانَ الجَبلُ فى ظُهُورِنا، نأمَن أن نُؤتىٰ مِن خَلفِنا، وكان قِتالُنا مِن وجهٍ واحدٍ، [و][4] رجَونا أن ينصُرَنا اللهُ.»

١) مط: عادل. فى الطّبرى (٥:٢٦٨٥): «غوزك» وفى حواشيه: عورك، على زل.   ٢) فى الطبرى: لهما.

٣) قرأنا ما فى الأصل «ابرشهر» مع غموضٍ فيه. وما فى مط: «ايرانشهر». وهما أى: ابرشهر Abrashahr وايرانشهر إسمان كانا يطلقان على نيسابور فى أوائل الاسلام (لسترنج: ٤٠٩).   ٤) تكملةٌ اقتضاها السّياق.

فرجعَ، واجتزأ بِها. وذلك فى لَيلةٍ مُظلِمةٍ. فلمّا أصبحَ جمع الناسَ، ثمَّ قالَ:

ـ «إنّكم قليلُ، وعدوُكم كثيرُ، فلايَهُو لَنّكُم: فكَـم مِن فِئـةٍ قليلةٍ غَلَبَت فئـةً كثيرةً بِإذنِ اللهِ، وَاللهُ معَ الصّابِرينَ[1] . إرتحِلُوا من مَكـانِكم، فـاستنِدُوا إلى هذا الجَبَلِ، فـاجعَلُوه [447] فـى ظُهُورِكُم، واجعَلوا النَّهرَ بينَكم وبينَ عَدُوّكم، وقاتِلوهُ مِن وجهٍ واحدٍ.»

ففَعَلُوا، وقد أعدُّوا مايُصلِحُهُم فى عشرةِ آلافٍ مِن أهلِ البَصـرةِ، وأهلُ الكـوفةِ نحـوُ مِنهـم. وأقبلتِ التُّركُ ومَن اجتلبت من الصُّغدِ وغيرهم حتّىٰ نزلُوا بِهِـم. فكـانوا يُغـادونَهُم ويُراوِحُـونَهم ويَتَنَحَّونَ عنهم باللّيل ماشاءَ الله.

وطلبَ الأحنفُ عِلمَ مكانِهم باللّيلِ. فخرجَ ليلةً بعدَ ماعَلِمَ عِلمَهم طَليعـةً لأصـحابِه حتّى كان قريبًا من عَسكرِ خاقان، فوقف. فلمّا كانَ فى وجهِ الصُّبحِ خـرج فـارسُ التُّركِ بطَوقِـه، وضَـرَب بِطبلِه، ووقف مِن العَسكرِ مَوقفًا يَقِفُهُ مِثلُه. فحملَ عليه الأحنفُ، فاختلفا طَعنتَينِ سَبَقَهُ الأحنفُ، فقتَلَهُ. قال الأحنفُ: فارتَجزتُ:

إنَ عَلىَ الرَّئيسِ حَقًّا حقًّا ان يَخضبَ الصَّعدةَ أو تندَقَّا

ثمَّ وقفَ موقِفَ التّركىِّ، وأخذ طوقَهُ، وخرج آخَرُ مِن التّركِ، فَفَعَلَ فِعـلَ صـاحِبِه، فحمَلَ عليه الأحنفُ، فقتَلَهُ. ثم وقف موقف التّركىِّ الثّانى.[448] قال الاحنف: فارتجزتُ:

إنَ الرَّئيسَ يَرتَبى ويَطلع ويَمنعُ الخِلاءَ[2] إمّا اربَعُوا

واخذ طـوقَ التّركىِّ، ثمَّ خـرج ثالثُ، فَفَعَـلَ فِعـلَ الرَّجلينِ، ووقَفَ دونَ الثانى مِنهُما، فحمَلَ عليه الأحنفُ، فقتَلَهُ، قال: وارتجزتُ:

جَرْىَ الشّموسِ ناجِزًا بِناجِزِ مُحتفلٍ فى جَرْيِهِ[3] مُشارِزِ

ثمَّ انصرف إلى عَسكره ولايَعلمُ بذلك أحـدُ. وكان من شـيمةِ التُّركِ أنَّهـم لا يخـرجون حتّى يَخرجَ ثلاثةُ مِن كُبرائهم وفُرسانِهم يضربون بالطُّبولِ، ثمّ يخرجون بعد خروج الثّالث. فخـرجتِ التُّرك لَيلَتئذٍ بعد الثّالث على فُرسانِهم مُقتَّلينَ. فتَشاءَمُوا، وتَشاءَمَ خاقانُ وتطَيَّر وقال:

ـ «قدطالَ مقامُنا وأصيبَ هؤُلاءِ القومِ بِمكانٍ لم يُصَب بِمثِله أحدُ مِنّا، مالَنا فـى قتالِ هؤُلاءِ القومِ مِن خيرٍ انصرفوا بِنا.»

فكان وُجُوهُهم راجعين، وارتفع النَّهـار للمسـلمينَ ولايَرونَ شـيئًا. وأتاهم الخَبرُ بانصـرافِ

---

١) س ٢ البقرة: ٢٤٩. ٢) كذا فى الأصل: الجلاء. فى مط: الجلا. وفى الطبرى: الخَلاءَ، الخَلاءُ. ٣) فى الطّبرى (٢٦٨٧:٥): محتفلاً فى جريه، وفى حواشيه: محتفل بحربه، كما فى الأصل.

خاقانَ إلى بَلخ، وقدكان يزدَجِردُ [449] تَرَكَ خاقانَ بِمَرو الروذ، وخرج إلى مَرو الشاهجان فتحصَّنَ منه حارثة بنُ النعمان خليفةُ الأحنفِ، فحَصَرهُم واستخرج خزائنَهُ مِن موضعِها وخاقان ببلخ ينتظِرُهُ مُقيمٌ له.

فقال المسلمونَ: «نحنُ نَتَّبع خاقان.»

فقال: «بل اقيمُوا مكانَكم.»

ولمّا جمع يَزدَجِردُ ماكان فى يَدَيهِ مِمّا وضع بِمَروَ وأُعجِلَ عنه، وأراد أن يَستقِلَّ مِنها، حاولَ أمرًا عظيمًا من خزائن أهلِ فارسَ، وكان أراد اللِّحاقَ بخاقان.

فقال أهلُ فارِسَ: «ماتُرِيدُ أن تصنع؟»

قال: أُريد اللِّحاقَ بخاقان فأكون معه أو بالصِّين.»

فقالوا له: «مَهلاً، فإنَّ هذا رأىُ سُوء. إنّكَ إنّما تأتى قومًا فى مَملكتِهم وتَدَعُ أرضَك وقومَكَ، ولكن ارجِع بِنا إلى هؤلاءِ القومِ فنصالحهم، فإنّهم أوفياءُ وأهلُ دينٍ، وهم يَلُونَ بِلادَنا، وإنَّ عَدُوًّا يلينا فى بلادنا أحبُّ إلينا مِن عَدُوٍّ يلينا فى بِلادِه، ولادينَ لهم، فلانَدرى ماوفاءُهُم.»

فأبىٰ عليهم، فأبَوا عليه. قالوا:

- «فَدَع خَزائننا نَرُدّها إلى بِلادنا ومَن يَليها، [450] لاتُخرجها من بِلادنا إلى غيرِها.»

فأبىٰ. فقالوا: «فإنّا لانَدَعُكَ.»

فاعتزلُوا وتركوهُ فى حاشيتِه. ثمّ اقتتلُوا، فهزمُوه، وأخذوا الخزائنَ واستَولَوا عَليها، ونَكَبوهُ، وكتبُوا إلى الأحنفِ بالخبرِ. فاعترضَهم المسلمونَ والمشركونَ بِمَرو، فقاتلُوهُ، وأصابُوه فى آخرِ القومِ، وأعجَلُوه عَنِ الأثقالِ ومَضىٰ حتّى قطعَ النَّهرَ إلى فَرغانَة والتُّرك، فلم يَزَل مقيمًا زمانَ عُمرَ كُلَّهُ يَكاتِبُهم ويُكاتِبونه إلى زَمانِ عُثمان.

فأقبل أهلُ فارس إلى الأحنفِ، فصالَحُوهُ، وعاقَدُوهُ، ودفَعُوا الخزائنَ والأموالَ، وتراجَعُوا إلى بلدانِهم وأموالِهم، على أفضل ماكانوا فى زمانِ الأكاسرة. فكانوا كأنّهم فى مُلكِهم. إلاّ أنّ المسلمين أوفىٰ لهم وأعدلُ عليهم.

وأصابَ الفارِسُ يومَ يَزدَجِرد كسهمِ الفارِسِ يومَ القادِسيةِ.

ولمّا سَمعَ خاقان مالقِىَ يَزدَجِرد وخروجَ المسلمين مع الأحنفِ مِن مَرو الرّوذ نحوَه، تَرَكَ بَلخَ وعَبرَ النّهر، وأقبلَ الأحنفُ حتىٰ نزل [451] بَلخ، وأنزلَ أهلَ الكوفة فى كُوَرِها الأربعِ، ثمّ رَجَعَ إلى مَروِ الرُّوذِ، فنزل بِها، وكَتَبَ بفتحِ خاقانَ ويَزدجِردَ إلى عُمرَ، وبَعثَ إليه بِالأخماسِ، وَ وَفَدَ الوُفودَ إليه.

[حوارُ بين خاقان و رسول يزدجرد]

ولمّا عبر خاقانُ النَّهر، وعَبرَ معه حاشيَةُ آلِ كِسرىٰ مع يَزدجردَ لَقُوا رسُولَ يَزدجِردَ الّذى كان نفذ إلى ملك الصّين، فسألُوهُ عَمّا وراءَهُ،

فقـال: لمّا قَـدِمتُ عليه بالكتابِ والهَـدايا كافَانا بماتَرون. ـ وأراهُم هَدِيَّتَهُ وجـوابَهُ عن كتابِ يزدجرد إليه ـ قال لى:

ـ «قد علمتُ أنّ حَقًّا على المُلوكِ إنجادُ المُلوكِ على مَن غلبَهم، فَصِف لى صِفَةَ هؤلاءِ القَـومِ الّذين أخرجُوكم مِن بلادِكم، فإنّى أراك، تَذكرُ قِلَّةَ مِنهم وكثرةَ مِنكم، ولايَبلغُ أمثالُ هؤلاءِ القليل الّذين تصف [مِنكم[١]] معَما أسمعُ من كَثرتِكم إلاّ بخيرٍ عِندَهُم وشرٍّ فيكم.»

فقلتُ: «سَلنى عَمّا أحببتَ أخبِركَ.»

قال: «أيوفونَ بالعَهدِ؟» [452]

قلت: «نعم.»

قال: «وما يقُولُونَ لكُم قبلَ أن يُقاتِلُوكُم؟»

قلتُ: «يَدعُونَنا إلى واحدةٍ مِن ثلاثٍ: إمّا دينِهم، فـإن أجبناهُم أجـرَونا مجـراهُم، أو الجِـزيةِ والمنعَةِ، أو المُنابَذَةِ.»

قال: «فكيف طاعتُهم أمرَاءَهُم؟»

قلتُ: «أطوعُ قَومٍ لِمُرشدِهِم.»

قال: «فما يُحرّمونَ وما يُحِلُّونَ؟»

فأخبرتُه.

قال: «أفيُحِلُّونَ[٢] ماحُرِّمَ عَليهِم، أو يُحرِّمُونَ[٣] ماحُلِّلَ لَهُم؟»

قُلتُ: «لا.»

قال: «فإنّ هؤلاءِ القومِ لايهلكونَ أبدًا حتّى يُبدِّلوا.»

ثمّ قال: «أخبرنى عن لباسِهم»، فأخبرتُه، «وعَن مَطاياهُم» فقلت:

ـ «الخيلُ العِرابُ.» ووَصَفتُها.

فقال: «نِعمتِ الحُصونُ هذه.»

---

١) فى الأصل: معكم، فصحّحناه بما فى الطّبرى (٥: ٢٦٩١)؛ وفى مط: بدون «منكم»
٢) فى مط: افتحلّون.
٣) فى مط: افتحرّمون.

ووَصَفَتُ لَهُ الابِلَ وبُروكَها وانبعاثَها بِجملِها.

فقال: «هذه صِفةُ ذَوابَ طِوالِ الأعناقِ.»

وكتبَ معه إلى يزدجرد:

ـ «إنّه لم يمنعنى أن ابعث إليك بجيشٍ أوّله بمرو، وآخره بالصّين، الجَهالةُ بما يَحِقُ علىَّ، ولكنَّ هؤلاءِ القومَ الّذين وصفَ لى رَسُولُكَ صِفتَهم لو يُحاوِلون الجِبالَ لَهَدُّوها، وَلو خُلّى سَرْبُهم أزالونى ماداموا على ماوُصِفَ، فَسالِمهُم وارضَ منهم بالمُساكنةِ، ولا تُهِجهُم مالَم يُهيجوكَ.» [453]

واقامَ يزدجرد وآلِ كسرى بفرغانةَ معهم عَهدُ بخاقان. ثمَّ جَرىٰ ماجَرىٰ مِن قِبَلِ عُمَرَ، رضىَ الله عنه.

ذِكرُ كُتّابِ عُمرَ وجُمَلٍ من سياستِه

□ كان يكتبُ لِعُمرَ زيدُ بنُ ثابتٍ، وعبدُاللهِ بنُ الأرقم، وعبدُاللهِ بنُ خلفٍ الخُزاعى أبوطلحة الطّلحاتِ على ديوانِ البَصرةِ، وأبوجُبيرة بن الضّحّاك الأنصارى على ديوانِ الكوفة. فامّا زيدُ بن ثابتٍ فإنّه كان كاتِبَ النّبىِّ ـ صلّى‌اللهُ عليه ـ فكانَ يَخلُو به عُمرُ.

فقال له يَومًا: «إنّى استصحَبتُكَ لِكَتبِ اسرارى الّذى رأيتُ رَسولَ الله ـ صلّى‌اللهُ عليه ـ يفعَلُه بك. فأخبرنى عن كُتُبِه كيفَ كانت إلى الملوكِ وغيرِهم.»

فقال زيدُ: «أعفِنى ياأميرَ المؤمنين.»

فقال لَهُ: «مِمَّ ذاكَ؟»

قال زيدُ: «إنَّ رَسولَ‌الله (ص) قال لى: يازَيدُ! إنّى انتَخَبتُكَ، فاحفَظ اسرارى، واكتُم مااستحفظتُكَ. فضَمِنتُ له ذلك.»

فأمسَكَ عمرُ عن مُعاوَدته، لكن كان يُملى عليه ويَستعينُ بِرأيه. وكانَ زيدُ ذارأىٍ [454] ونفاذٍ.

□ وكان عُمرُ يقولُ لِكُتّابِه ويكتب إلى عُمّالِه: «إنَّ القُوةَ عَلَى العَمَلِ أن لاتُؤَخِّروا عَمَلَ اليومِ لِغَدٍ، فإنّكم إذا فَعلتُم ذلك تَداكَّتِ الأعمالُ عليكم، فلاتدرُون بأيّها تَبدَأونَ، وأيّها تُؤخِّرونَ.»

□ وكان عُمرُ أولَ مَن دوَّنَ الدَّواوينَ من العربِ. وكان سببُ ذلك أنَّ اباهُريرةَ قدِمَ عليه من

البحرين ومعه مالٌ، فلقى عُمرَ. فقال له عُمرُ:

ـ «ماذا جَبَيتَ؟»

قال: خمسمائةِ ألفِ دِرهم.»

فقال عُمرُ: «أتدرى ماتقول؟»

قال: نعَم، مائة ألفٍ، ومائة ألفٍ، ومائة ألف، ومائة ألفٍ، ومائة ألفٍ.»

فصعِدَ المنبرَ، فَحَمداللهَ وأثنىٰ عليه، ثم قال:

ـ «أيّها النّاسُ، قدجاءَ مالٌ عظيمٌ، فإن شِئتُم كِلنا كَيلاً، وإن شِئتُم أن تُعَدَّ عدَدنا.»

فقامَ رجلٌ فقال: «يا أميرالمؤمنين، هؤلاءِ الأعاجِمُ يَضبِطُونَ هذا بالدّيوان.»

قال: «فدَوِّنُوا الدّواوينَ.»

وكانَ عمرُ بَعثَ بَعثًا بعدَ أن آمَنَ الفَيرُزانَ وحضَرَهُ فقال:

ـ «ياأميرَ المؤمنين، هذا البعثُ قد أعطيتَ أهلَهُ الأموالَ، فإن تخلَّفَ مِنهم رَجُلٌ وأَخلَّ [455] بِمكانِه مايُدرى صاحبَك به؟»

وأشارَ عليه بالدّيوانِ وفسَّرهُ له، فوضع عُمرُ الدّيوانَ.

□ وكان أبوموسى الأشعرى كتبَ إلى عُمرَ رضىالله عنه:

ـ «انّ المالَ كثُرَ وكثُرَ مَن يأخذهُ، فلسنا نُحصيه إلاّ بالأعاجم، فاكتُب إلينا برأيك.»

فكتبَ إليه عُمرُ: «لاتُعدهُم فى شَىءٍ سَلَبَهُم الله إيّاهُ، انزلُوهُم حيثُ أنزلَهُم اللهُ وتعلَّمُوا.»

فاستكتب أبوموسى زيادًا، وكتبَ عُمرُ إلى أبىموسى يستقدِمُه. فاستخلف زيادُ عمرانَ بن حُصين وقدِمَ عليه. فقال عمرُ:

ـ «لئن كان أبوموسى استخلفَ حدثًا لقد استخلفَ الحدثُ كهلاً.»

ثمّ دعابزيادٍ وقال: «أكتب إلى خَليفتِكَ بِما يَحبُ أن يعمل به.»

فكتب إليه كتابًا ودفَعَه إلى عُمرَ، فنظر فيه، ثمّ قال: «أعِد»، فكتب غيرهَ، ثمّ قال: «أعِد»، فكتبَ الثالثَ،

فقال عُمرُ بعد ذلك:

ـ «لقد بلغ ما أردتُ فى الكتاب الأول، ولكنّى ظَننتُ أنه قد روّىٰ فيه؛ ثمّ بَلغَ فى الثانى ماأردتُ، فكَرِهتُ أن أعلِمَهُ ذلك لئلاّ يَدخلَهُ العُجبُ، فوضعت منه [456] لئلاّ يهلِكَ».

□ وكان عُمرُ يُملى على كاتبٍ بين يَدَيهِ وزيادُ حاضرٌ. فكتب الكاتبُ غيرَ ماقالَ عُمرُ.

فقال له زيادُ: «يا أميرالمؤمنين، إنّه يكتُبَ غيرَ ماقُلتَ له.»

فقال عُمرُ: «أنّىٰ علمتَ هذا.»

فقال: «رأيتُ رَجعَ فيكَ وخَطَّهُ؛ فرأيتُ ماأجارَت كفُّهُ غير مارجعتَ به شَفَتَيك.»

فاستحسنَهُ عُمرُ.

□ ثم قالَ لهُ يومًا: «يازيادُ، هل أنت حامِلُ كتابى إلى أبى مُوسىٰ فى عَزلِكَ عن كِتابَتِه؟»

قال: «نَعَم، يا أميرَالمؤمنين. ولكن أعَن عَجزٍ أم خيانةٍ؟»

قال: «لا عن واحدٍ منهما، ولكنّى أكرهُ أن أحملَ فضلَ عَقلِك على الرَّعيَّة.»

□ وكان عُمرُ أوّلَ مَن كتب التّاريخ[١] مِن الهِجرةِ، لأنَّ أباموسى كَتَبَ إليه أنّه: «تأتينا منك كُتُبُ ليس فيها تاريخُ.» ـ وكانت العربُ تؤرّخُ بعامِ الفيل. فَجمعَ عُمرُ النّاسَ للمشورةِ.

فأشار بَعضُهم: أن يؤرخ بِمَبعثِ النّبىِّ ـ صلى‌الله عليه،

وقال بعضُهم: «بمهاجرتِه.».. فأرّخ به. وكان ذلك فى سَنَةِ سبع عشرةَ، أو ثما نى عشرَ مِن الهِجرةِ.

ثمَّ قالوا: «بأىِّ الشُّهور نَبدأ؟» [457]

فقال بَعضُهم: «بشهر رمضان.»

فقال عُمرُ: «بَل بالمُحرَّم، فهو منصرَف الناسِ مِن حَجِّهم، وهو شهرٌ حرامٌ.»

فأجمعُوا على المحرَّمِ.

□ ودخل كاتبُ لعمرِو بن العاصِ على عُمرَ، فحاوَرَه فأحسنَ الكلامَ، فقال عُمرُ:

ـ «ألستَ ابنَ القَينِ بمكّة؟»

فقال بَلىٰ.

فقال عُمرُ: «لا يَلبثُ القَلمُ، أو يُبلغَ بصاحبه.[٢]»

□ وكان عُمرُ إذا استعمل عاملاً كتبَ له عَهدًا، وأشهدَ عَليه رَهطًا مِن المهاجرين والأنصارِ واشتَرطَ عَليهِ ألاّ يركبَ برذَونًا، ولا يأكُلَ مالايقدِرُ عليه أوساطُ رَعيَّتِه، ولا يلبسَ دقيقًا، ولا يتّخِذَ بابًا دون حاجاتِ النّاسِ.

□ وهُوَ أوّلَ مَن خُوطِبَ بِ «أميرالمؤمنين» وذاكَ أنّ أبابكرٍ خُوطِبَ بِ «خليفةِ رسُولِ الله» ـ صلّى‌الله عليه ـ فلمّا خلَف عُمرُ خوطِبَ بِ «خليفةِ خليفةِ رسولِ اللهِ».

قال عمر: «أمرٌ يَطُولُ. إذاجاءَ خليفةٌ آخرُ قلتُم: «خَليفةَ خَليفةَ خليفةَ رسولِ اللهِ»، بل أنتم

١) سقطت من مط: «أو ثمانى عشرة»

٢) كذا فى مط. وفى الأصلِ غُموضُ.

«المؤمنونَ» وأنا «أميرُكم».

□ وهو أوّلُ مَن جمعَ النّاسَ على إمامٍ [يُصلّى بهم التّراويح][١] [458] فى شهرِ رمضانَ، وكتبَ به إلى البُلدانِ وأمرَهُم بذلك، وزاد فى مصابيح المساجدِ.

□ وهو أوّلُ من حَمَلَ الدِّرّةَ وضَرَبَ بِها.

فمن ذلك مارَوَيناهُ أنّ عُمرَ بنَ الخَطّابِ ـ رَضِىَ اللهُ عنه ـ أُتِىَ بمالٍ، فجعلَ يقسِمُه بينَ النّاسِ، فازدحَموا عليه. فاقبلَ سعدُ بن أبى وقّاصٍ يزاحِمُ النّاسَ حتّى خَلصَ إليه، فعلاه عُمرُ بالدِّرّةِ، وقال:

ـ «إنّكَ أقبلتَ لاتَهاب سُلطانَ اللهِ فى الأرضِ. فأحبَبتُ أن أعلِمَكَ أنّ سلطانَ اللهِ لايَهابُك.»

□ ورأتِ الشّفاءُ بِنتُ عَبدِاللهِ قومًا يقصِدون فى المشىِ، ويتكلّمونَ رُويدًا.

فقالت: «ماهذا؟»

قالوا: «نُسّاكٌ.»،

فقالت: «كان واللهِ عُمرُ إذا تكلّم أسمعَ، وإذا مَشىٰ أسرعَ، وإذا ضَربَ أوجعَ. هُو وَاللهِ النّاسِكُ حقًّا.»

□ وذكر قومٌ رجُلاً بين يدى عُمرَ، ووصفوهُ وقالوا:

ـ «هو فاضِلٌ لايعرفُ الشّرَّ.»

قال: «أجدَرُ له أن يَقعَ فيه.»

□ واستعمل عُمرُ عُتبةَ بنَ أبى سفيانَ على كنانة، فقَدِم عليه بِمالٍ. فقال عُمرُ:

ـ «ما هذا يا عتبة؟»

قال: «هذا مالٌ خرجتُ بِه معى فتجرتُ فيه.»

قال: «ومالك تُخرجُ المالَ مَعَك فى هذا الوجهِ، فصَيِّرهُ فى بيتِ المالِ.»

فلمّا وَلِىَ عثمانُ [459] قال لأبى سفيانَ:

ـ «إن طلبتَ ما أخذَ عُمرُ مِن عُتبةَ رَددتُه عَليكَ.»

فقال أبوسفيانَ: إنّكَ إن خالفتَ صاحبَكَ الّذى تقدّمَكَ ساءَ رأىُ النّاسِ فيك، إيّاكَ أن تردّ على مَن قَبلَكَ فَيَردّ عَليكَ مَن يَجىءُ بعدَك.

□ وكان عُمرُ يُكثر الخَلوةَ بقومٍ مِن الفُرسِ يَقرأون عليه سياساتِ المُلوكِ وسيّما ملوكِ

١) كذا فى مط، والأصل مطموس.

العَجَمِ الفُضَلاء، وسيّما أنوشروان؛ فإنّه كانَ مُعجَبًا بها، كثيرَ الاقتداءِ بها. وكانَ أنوشروانُ مقتديًا بسيرةِ أردشيرَ آخِذًا نفسَهُ بها، وبعَهدِهِ الّذى كتبناهُ فيما مَضىٰ، مُطالبًا به غيرَهُ. وكان أردشيرُ مُتَّبِعًا لِبهمَنَ وكورس، مُقتديًا[١] بهما. فهؤلاء جِلّةُ مُلوكِ الفُرسِ وفُضلاؤهُم الّذين ينبغى أن يُقتدىٰ بأفعالهم وسِيَرِهم وتُتَعَلَّمَ سياساتُهم ويُتَشَبَّهَ بهم.

☐ ورَوَينا عَن عُمرانَ بن سَوادَةَ أنّه قال: دخلتُ على عُمرَ، فذكرتُ أشياءَ مِمّا عابَه[٢] بها النّاس فاصغىٰ إلىَّ: وَضع رأسَ دِرّتِه فى ذَقَنِه، ووضع أسفلَها على فَخِذِهِ يَستمع إلى ما أقول، إلى أن قُلتُ:

- «وإنَّ الرَّعيَّةَ يشكونَ مِنكَ عُنفَ السِّياقِ.»

فشرَعَ الدِّرَّةَ، ثمَّ مسَحَها حتّى أتى على آخرِها، ثم قال:

- «أمَ واللهِ، إنّى لأَرتعُ فأُشبِعُ، وأسقى فأُروى، وأنهزُ[٣] [460] العروضَ وأوُدِبُ[٤] (أوُرب؟) قَدرى، وأزجُر اللقوفَ[٥]، وأسُوقُ خَطَرى[٦]، وأضُمُّ الهَيُوبَ[٧]، وألحَقُ العطوفَ[٨]، وأُكثِرُ الزجرَ، وأُقِلُّ الضَّربَ، وأشهَرُ العَصا، وأدفعُ باليَدِ[٩].»

فبلغ ذلك معاوية بَعدُ، فقال: «كانَ واللهِ عالِمًا بِرعيَّتِه.»

---

١) فى مط: مقيدًا. ٢) عابت أمتّك فيك أربعًا... (الطبرى ١:٣-٢٧٧٢). ٣) مط: أنهر. فى الطبرى: أنهز اللفوت. ٤) مط: أوُرب قدرى. فى الطبرى: أذبّ قَدرى. ٥) مط: ازجر اللفوت. ٦) مط كذا فى مط: أسوق خطرى. فى الطبرى: أسوق خطوى ٧) فى الطبرى: أضمّ العَنودَ. ٨) فى الطَّبرى: والحق القَطوف.
٩) وزاد فى الطبرى: لولا ذلك لأُعذرتُ.

[خلافَةُ عُثمان بن عفَّان]

ذِكرُ مايَجِبُ ذِكرُهُ من حَديثِ الشُورىٰ وَمايَليقُ منهُ بِهذا الكِتابِ

لمّا قُتِلَ عُمرُ بنُ الخَطّابِ ـ رضىالله عَنهُ ـ قيلَ لَهُ حينَ طُعِنَ:

ـ «استَخلِف.»

فابىٰ أن يُسمِّيَ رَجُلاً بِعينِه وقال:

ـ «عليكم هؤلاءِ الرَّهطَ الَّذين توفّـى رَسُولُ اللهِ، صلّىالله عليه، وهُوَ عَنهُـم راضٍ: علىٌ، وعثمانُ ابنا عبدِ منافٍ، وعبدالرَّحمانِ، وسَعدُ خالا رَسولِ اللهِ ـ صلّىالله عليه ـ والزُّبيرُ بنُ العَوام حَوارِيُّ رسولِ الله ـ صلّىاللهُ عليه ـ وابنُ عمَّتِه، وطلحةُ الخير. فليختارُوا رجُلاً مِنهم، ويُشاوِرُوا ثلاثَةَ أيّامٍ، وَليُصَلِّ بالنّاسِ صُـهيبُ، ولا يأتِيَنَّ اليومُ الثّالِثُ إلاّ وعَليكـم أميرُ مِنكـم، ويَحضـرُ عبدُاللهِ بنُ عُمرَ مُشيرًا، ولا شىءَ له مِن الأمرِ، وطَلحةُ شريكُكم فى الأمرِ، فإن قَدِم فـى الأيّامِ الثّلاثةِ فاحضِروهُ أمرَكُم، وإن مَضَتِ الأيّامُ الثّلاثةُ قبلَ قُدومِه فاقضُوا أمرَكُم.» [461]

وقال لأبى طَلحةَ الأنصارى: «إنَّ اللهَ تعالىٰ طالَ ما أعزَّ الإسلام بِكم، فاختَر خَمسـينَ رجُـلاً مِن الأنصارِ، فاستحِثَّ هؤلاءِ الرَّهطِ حتّىٰ يختارُوا رجُلاً.»

وقال لِصُـهَيبٍ: «صَـلِّ بالنّاسِ ثلاثةَ أيّامٍ، وادخِـل عَليًّا، وعثمانَ، والزُبير، وسَـعدًا، وعبدَالرحمان بنِ عَوفٍ، وطَلحةَ ـ إن قَدِمَ ـ واحضِر عبدَاللهِ بن عُمرَ، ولا شىءَ له مِن الأمرِ، وقُم على رُؤوسِهم. فإن اجتَمع خَمسةُ ورَضُوا واحِدًا مِنهم وأبىٰ واحِدُ فـاشدخ راسَـهُ واضـرب راسَـهُ بالسَّيفِ؛ وإن اتَّفقَ أربعةُ فرَضُوا واحدًا وأبىٰ اثنان فـاضرب رُؤوسَـهُما؛ وإن رَضِـىَ ثلاثةُ منهـم رجُلاً واحدًا وثلاثةُ رجُلاً مِنهـم فحَكِّمُوا عبدَاللهِ بنَ عُمرَ، فأىُّ الفَـريقينِ حَكَـمَ فليختارُوا رجُـلاً

---

١) أنظر الطبرى ٥: ٢٧٧٦.

مِنهم، فإن لَم يَرضَوا بحكمِ عَبدِالله بنِ عُمرَ، فكونُوا معَ الّذينَ فيهم عبدُالرَّحمانِ بنُ عَوفٍ، واقتُلُوا الباقينَ إن رَغِبُوا عَمّا اجتمع عَليه النّاسُ.»

فخرجوا من عِندِه، فقال لِعليٍّ قومٌ كانوا معَهُ مِن قريشٍ[١]: «ماترى؟»

فقال عَليٌّ: «إن أُطيعَ فيكُم قَومُكم، لَم تُؤَمَّرُوا أبدًا.»[٢]

وتَلقّاهُ العَبّاسُ فقال لَهُ عَليٌّ: «عُدِلَت عَنّا».

قال: «وما علمُكَ؟»[٣]

قال: «قَرنَ بى عثمانَ وقال: كونُوا مع الأكثرِ، فإن رَضِىَ رجُلانِ رجُلاً[٤] [462] ورجُلانِ رجُلاً، فكُونُوا مع الّذين فيهم عبدُالرَّحمان بنُ عَوفٍ. فسعدٌ لا يخالِفُ ابنَ عمِّه عبدَالرَّحمانِ، وعبدُالرَّحمان صِهرُ عُثمانَ لا يختلفون: فَيُوَلّيها عثمانَ أو يُوَلّيها عثمانُ عبدَالرَّحمان، فلوكانَ الآخران مَعى لم ينفَعانى، بَلهَ أنّى لا أرجُو إلاّ أحدَهُما.»

فقال العَبّاسُ: «لَم أدفَعكَ فى شَىءٍ إلاّ رَجَعتَ إلَىَّ مُستأخِرًا لِما أكرهُ، أشرتُ عَليكَ عِندَ وفاةِ رَسُولِ اللهِ ـ صلّىاللهُ عليه ـ أن تسألَهُ فيمَن هذا الأمر، فأبَيتَ، ثُمّ أشرتُ عَليكَ بعدَ وفاتِه أن تعاجِلَ الأمرَ، فأبَيتَ، ثُمّ أشرتُ عَليكَ حينَ سمّاكَ عُمرُ فى الشُورىٰ ألاّ تدخُلَ معَهم، فأبيتَ. إحفظ عَنّى واحدةً: كُلّما عَرَضَ عليك القَومُ، فقُل: لا، إلاّ أن يُوَلُّوكَ، واحذَر هؤلاءِ الرَّهطَ، فإنّهم لايَبرَحُونَ يَدفَعُونَنا عَن هذا الأمر حتّى يَقُومَ به غيرُنا، وايمُ اللهِ، لاتَنالُه إلاّ بشَرٍّ لايَنفعُ معه خيرٌ.»

فأجابَهُ عَلىٌّ بِما سُمِعَ بعضُه ولم يُسمع بعضُهُ، وتمثّلَ بأبياتٍ[٥]. والتفت، فَرأىٰ أباطلحةَ، فكرِهَ مكانَه. فقال أبوطَلحةَ:

ـ «لم تُرَع[٦] أباالحسنِ.»

وكان خلع عبدُالرَّحمان نَفسَهُ، ورَضُوا أن يكونَ هُوَ الّذى يختار للمسلمين، [463] وقد كانَ جاءَ عمرُو بن العاص والمغيرةُ بن شعبةَ والقوم فى البيتِ يتشاوَرُونَ، فجلَسا بالبابِ فحصبَهُما[٧] سعدٌ وأقامَهُما.

---

١) فى الطبرى (٥:٢٧٨٠): «من بنىهاشم.» ٢) كذا فى الطبرى أيضًا: «إن أطيع فيكم قومُكم، لم تُؤَمَّرُوا أبدًا.» ٣) كذا فى الأصل: «وما عِلمُك» والضبط فى الطبرى: «وما علَّمَكَ». ٤) «فقال له علىّ... فإن رضى رجلان رجلاً» سقطت من مط. ٥) فى الطبرى (٥:٢٧٨١):

حلفتُ بربِّ الرّاقصاتِ عَشيّةً غَدَونَ خِفافًا فابتدَرنَ المُحصَبا
لَيختلِيَنّ رَهطُ ابنِ يَعمَرَ مارئًا نَجيعًا بَنُو الشُدّاخِ ورِدًا مُصَلَّبا

٦) الأصل والطبرى: لم تُرَع. فى الأصول الأخرى: لن تُرَعَ، لن تراعَ. ٧) حصبهما: رماهما بالحصباء.

ولمّا كان اليومُ الرّابعُ صَعَدَ عبدُالرّحمان المنبرَ فى الموضعِ الّذى كان يَجلسُ فيه رسولالله ـ صلّىالله عليه ـ ثم قال:

«أيها النّاسُ، إنّى قد سألتكم سِرًّا وجَهرًا عَن إمامكم، فلم أجِدكم تعدلونَ بأحدِ الرّجُلين: إمّا علىٌّ وإمّا عثمانَ. فقُم إلىَّ ياعلىُّ!»

فوقف تحتَ المنبرِ، وأخذ عبدُالرّحمان بِيدِه، فقال:

ـ «هل أنت مُبايِعى على كتاب اللهِ وسنّةِ نَبيِّه وفِعلِ أبىبكرٍ؟»

قال: «اللّهُمّ لا، ولكن على جهدى وطاقتى.»

قال:

فأرسلَ يَدَهُ، ثمّ نادىٰ: «قُم يا عثمانُ!»

فأخذَ بِيدِه وهو فى موقفِ عَلىٍّ الّذى كان فيه، فقال:

ـ «هل أنت مُبايعى على كتاب اللهِ وسنّة نبيِّه وفِعلِ أبىبكرٍ؟»

قال: «اللّهُمّ نعم.»

فرفع رأسَهُ إلى سقفِ المسجدِ وَيدُه فى يَدِ عُثمانَ، ثم قال:

ـ «اللّهُمّ اسمع واشهَد، اللّهم اسمع واشهَد: إنّى جَعلتُ ما فى رَقَبَتى مِن ذاك فى رقَبَةِ عثمانَ.»

فازدحَمَ الناسُ يبايعونَ عثمان، وكان عبدُالرّحمان [464] قعد مقعَدَ النّبىِّ ـ صلّىالله عليه ـ من المنبر، وأقعَدَ عثمان على الدّرجةِ الثانية.

قال:

وجَعلَ النّاسُ يبايعونه، وتلكّأ علىٌّ، فقال: عبدُالرّحمان: «وَمَن[١] نكث، فانّما يَنكُثُ عَلىٰ نَفسِهِ، وَمَن أوفىٰ بِما عَاهَدَ اللهَ عَلَيه فَسنُؤتيهِ أجرًا عظيمًا.»

فرجع علىٌّ يَشقُّ النّاسَ حتّى بايع عثمان وهو يقولُ:

ـ «خدعةٌ وأيمّا خُدعَةٍ».

ذِكرُ هذهِ الخُدعَةِ

كان سببُ قولِ علىٍّ: «خُدعةٌ.» أنّ عَمرو بنَ العاصِ كان لَقِىَ عليًّا فى ليالى الشُّورىٰ فقال:

---

١) فى الأصل، مط، والطبرى: ومَن نكث. وفى التنزيل: فَمَن نكث... (س ٤٨ الفتح: ١٠).

ـ «إنّي أحبّكَ وأريدُ نُصحَكَ: إنّ عبدالرّحمان رجلٌ مجتهدٌ، ومَتىٰ أعطيتَهُ العزيمةَ كان أزهَدَ له فيكَ، فلاتُظهِر كُلَّ الرّغبةِ، ولا تبذُل لهُ مِن نفسِكَ إلاّ الجهدَ والطاقةَ، ولاتَضمَن لَهُ كُلّ ما يسألُكَ وأوم إلى التّواضع.»

ثُمَّ أتىٰ عثمان، فقال له:

ـ «إنّ عبدالرّحمان ليس واللهِ يُبايُعكَ إلاّ بالعزيمةِ، فاقبل مايعطيكَ، وأعطه مايسألُكَ.»

فلذلك قال عليٌّ: «خُدعةٌ.».

وقد قيل: إنّ عليًا قال ذلك لأجل ماذكرناه مِن اقتران عثمان وعبدِالرّحمان.

قال: ثمّ انصرف عثمان [465] إلى بيتِ فاطمةَ بنتِ قيس، والنّاسُ معه، فقام المغيرةُ بن شعبة خطيبًا، فقال:

ـ «يا أبا محمدٍ، الحمدُ للهِ الّذي وفّقكَ. ماكان لنا غير عثمانَ ـ وعليٌّ جالسٌ.

فقال عبدالرّحمان:

ـ «يابن الدّبّاغ، ماأنتَ وذاك، واللهِ ماكنتُ أبايعُ أحدًا مِن هؤلاءِ إلاّ قُلتَ فيه هذه المَقالة.

وكانَ أوّل ماكتبَه عثمانُ إلى أمراءِ الأجنادِ في الفُروج:

«أمّا بعدُ، فانكم حُماةُ المسلمين، وذادَتُهم، وقد وضعَ عنكم عُمرُ مالم يغِب عنّا، بَل كانَ عَن مَلأٍ مِنّا، فلا يبلُغَنّي عَن أحدٍ منكم تغييرٌ ولا تبديلٌ، فيغيِّرَ اللهُ مابكم، ويَستبدل بكم غيرَكم.»

وكتبَ إلى عُمّالِ الخراج كتابًا يُحضُّهُم فيه علَى العَدل، وكتابًا إلى العامّةِ يأمُرُهُم فيه بالطّاعةِ والاقتداءِ وتركِ الابتداع.

مقتلُ يَزدجِردَ وَماتَمَّ عليهِ مِنَ الاتّفاقاتِ الطّريفَةِ

إنّ يَزدجِردَ لمّا وقع إلى أرضِ فارسَ بَقِيَ سنينَ. ثُمّ أتىٰ كرمانَ، فأقامَ بِها مِثلَ ذلكَ. فطلبَ إليه دِهقانُ كرمانَ شيئًا، فلم يُجبهُ إليه، فطَرَدَهُ عَن [466] بِلادِه. ثمّ أجمع أن ينزل خراسانَ، فأتىٰ سَجِستان، فأقام بها. ثمّ سار إلى مَرو، ومعه الرُّهُن مِن أولادِ الدّهاقينَ، ومعَهُ من رُؤسائهم فرُّخزاد.

فلمّا قدم مَرو، واستغاث منها بالملوكِ، وكتب إليهم يَستمدُّهم مثلَ صاحبِ الصِّين، ومَلِك فَرغانَةَ، ومَلِك كابُلَ، ومِلك الخَزَر، كان الدّهقانُ بِمَرو ماهويه، وكان له ابنٌ يُسمّى نزارَ، فوكّل ماهويه ابنَهُ نزار [1] بمدينةِ مَرو، وتقدّم إليه وإلى أهلِ المدينةِ ألاّ يَفتحوا البابَ ليَزدجِرد، وقال

---

١) الأصل هنا: من دون نقط وفي المواضع الأخرى: نزار. مط: بزاز، وفي الطّبرى (١، ٢٨٧٦) وابن الاثير (٣، ←

لهم:

ـ «ليس هذا لكم بملكٍ لأنّه قد سلّم بِلاده وجاءَكم مفلولاً مجروحًا، ومرو لاتَحتملُ ما تحتملُ غيرُها من الكُوَر. فإذا جِئتكُم غدًا فلاتفتحُوا البابَ.»

فلمّا أتاهم فعلوا ذلك.

وانصرف [فرُّخزاذ][1]، فجَثا بينَ يدى يَزدجردَ وقال:

ـ «استصعبت عليك مروُ، وهذه العربُ قداَتَتكَ.»

قال: «فما الرّأىُ؟»

قال: أن تلحـقَ بِبلاد التُّرك، فتُقيمَ بهـا، حتّى يَتبيَّنَ لنا أمرُ العـرب. فـإنّهم لايَدَعُون بلدةً إلاّ دخلُوها.»

قال: «لستُ أفعلُ، ولكن أرجعُ عَودى على بَدئى.»

فعصاه ولم يقبل رأيَهُ. فسار يَزدجـردُ، [وأتى نزار دهقـان مرو][2]، وأجمع على صَـرفِ الدّهقنَةِ عن [467] ابنه نَزار إلى سنجان[3] ابنِ أخيه.

فبلغ ذلك ماهويه وهو أبونزار وعمل فـى هلاكِ يَزدجـردَ، وكتبَ إلى نيزك طـرخان يُخبرهُ أنّ يَزدجردَ وقع إليه مفلولاً، ودَعاهُ إلى القُدوم عليه، ليكونَ أيديهما معًا فى أخـذه والإسـتيثاقِ منه، فيقتلُوهُ، ويُصالحوا عليه العربَ، وجعل له فى كُلّ يَومٍ ألفَ درهمٍ، وسألَه أن يكتبَ إلى يَزدجـرد مُماكِرًا لهُ لِيُنَحّىَ عامّةَ جُنده، ويَحصلَ فى طـائفةٍ من خـواصّه، فيكـون أضـعفَ لِرُكنِه وأهونَ لِشَوكتِه، وقال:

ـ «تُعلِمُه فى كتابك إليه الّذى عزمتَ عليه فى مُناصحته ومَعُونتِه على العـربِ: أن يشـتقَّ لك اسمًا من أهلِ الدَّرجـاتِ بكتابٍ مختومٍ بالذّهبِ، وتُعلِمُه أنكَ لستَ قـادمًا عليه حتّى تُنحّـىَ عنه فرُّخزاد.»

فكتب نيزكُ بذلك إلى يَزدجرد، فلمّا وردَ عليه كِتابُه بعثَ إلى عظماءِ مَرو، فاستشارهُم.

فقال له سنجان: «لَستُ أرىٰ أن تُنحّىَ عنك أصحابَك ولافرُّخزاد لِشَىءٍ.»

← ١٢١-١٢٣): براز ـ ولعله هو الصّحيح ـ وفى حواشيهما: نزار، بران، بزاز.

١) فى الأصـل ومط: خـرّزاذ، حـرزاذ، وما أثبتناه يؤيّده السّـياق والطبرى (١٠ ٢٨٧٧). ٢) التكملة من الطبرى

٣) الطبرى: سنجان، سنحان (٢٨٧٧:٥). وهو قريب إلى الصّحة. وفى موضعين من الاصل: صنجان، وفى سائر المواضع: سنجان فوحّدنا الضّبط.

وقال نزار: «بل أرى أن تبايعَهُ[1] يعنى نيزكَ ـ وتُجيبَه إلى ماسأل.»

فقبلَ رأيَه، وفرّق عنه جُنودَه، وأمرَ [468] فرُخزاد [أن يأتى][2] لأجمة سَرخس. فصاح فرُخزاد، وشقَّ جَيبَهُ وتناول عمودًا بين يَدَيه يُريد ضربَ نَزار به، وقال:

ـ «ياقَتَلَةَ الملوكِ، قتلتُم مَلِكين، وأظنُّكم قاتِلِى.»

هذا، ولم يبرح فرُخزاد حتّى كتبَ لَهُ يزدجردُ كتابًا بخطِّ يَدِه، نُسختُه:

«هذا كتابٌ لفرّخزاذ. إنّكَ قد أسلمتَ يَزدجردَ وأهلَه و ولدَه وحاشيَتَهُ وما معه، إلى ماهويه دهقانِ مرو، واشهَد عليه بذلك.»

فأقبلَ نيزكُ إلى موضعٍ مِن مَرو يقال له حلبندان[3]. فلمّا أجمعَ يزدجردُ على لِقائه والمسيرِ إليه أشار عليه أبونزار ألاّ يَلقاهُ فى السِّلاح فيرتابَ به وينفرعنه، ولكن يَلقاهُ بالمَلاهى والمزامير. ففعَل، وسارَ إليه كذلك، وتقاعَس عنه أبونزار، وكردَسَ نيزكُ أصحابَه كراديسَ.

فلمّا تدانَيا استقبله نَيزكُ ماشيًا ويزدجردُ على فرسٍ له. فأمرَ لِنيزك بِجنيبَةٍ من جَنائبه، فركبها، فتوسّطَ عسكرَه، فتواقفا.

فقال له نيزكُ فى ما يقول: «زَوّجنى إحدى بناتِك لأُناصِحَكَ وأقاتلَ مَعكَ عدوَّكَ.»

فقال له يزدجردُ: «عَلَىَّ تَجترِئُ ياكلبُ!»

فعلاهُ نيزك بِمِخفَقَتِه. وصاحَ يزدجردُ: [469]

ـ «غَدرَ الغادرُ.»

وركض منهزمًا، ووَضعَ أصحابُ نيزكَ سيوفَهم فيهم، فأكثَروا القتلى.

[يَزدجِرد والطّحان]

وانتهىٰ يزدجردُ فى هزيمته إلى مكان من أرضِ مَرو، فنزلَ عن فرسه، ودخلَ بيتَ طَحّانٍ، مكث فيه ثلاثة أيّامٍ.

فقال له الطّحّان: «أيُّها الشَقىُّ أخرج فاطعَم شيئًا فإنّكَ جائعٌ منذ ثلاثٍ.»

قال: «لستُ أصِلُ إلى ذلك إلاّ بِزَمزَمَةٍ.»

وكان رجلٌ مِن زَمازمَةِ مَرو قريبًا منه، فأتاهُ الطّحّانُ، وسألهُ أن يُزمزمَ[4] عليه ليأكُلَ. ففعل

---

١) كذا فى مط: «أن تبايعه»، وفى الأصل طموسٌ. ٢) كذا فى مط: أن تأتى»، وفى الأصل طموسٌ. ٣) مط: خلسدان. والاصل مهمل إلاّ فى النون، وكذلك الطبرى (٢٨٧٩،٥) وفى حواشيه: حلبندار. ٤) زمزم المغنّى: ترنَّم. زمزم العُلوجُ: تراطَنُوا عند الأكلِ وهم صُموتٌ لا يستعملون اللسانَ ولا الشفة فى كلامهم لكنّه صوتٌ يُديرونه فى ←

ذلك. فلمّا انصرف إلى مَرو سَمعَ أبانزار يذكر يَزدجرد ويطلبُه، فأتاهُ، فسأله وأصحابَه عن حِليته. فوصفُوه. فأخبرهم أنّه رَءاهُ فى بيت طحّان، وهو رجلٌ جَعدٌ مقرونٌ حَسَنُ الثّنايا مُقرَّطٌ مُسوَّرٌ.

فوجَّه إليه رجلاً من الأساورة، وأمره أن يخنقَهُ بوتَرٍ ويَطرحَهُ فى نهر مَرو. فلقوا الطّحان، فضربُوه ليُدلَّ عليه، فلم يفعل وجَحَدَهم أن يعرف أين يتوجَّهُ. فلمّا أرادوا الانصرافَ عنه، قال رجلٌ منهم:

- «إنّى أجدُ ريح المسك فلو تتبَّعته.»

فنظر إلى طَرفِ ثوبٍ من ديباجٍ فى الماءِ، فاجتذبَهُ إليه، فإذا هو يزدجردُ، فسأله ألاّ يقتلَه ولايدلَّ عليه؛ [470] ويجعل لهُ خاتَمه وسوارَه ومنطقتَه.

فقال: «أعطنى أربعةَ دراهم[١] وأُخلّى عنك.»

قال: «ويحك! خاتمى لك وثمنُه لايُحصىٰ!»

فأبى عليه.

قال يزدجرد: «قدكنتُ أُخبرتُ أنّى سأحتاجُ إلى أربعة دراهم، وأُضطرُّ إلى أن يكونَ أكلى أكلَ الهِرِّ، فقد عاينتُه.»

ثمّ انتزع أحدَ قُرطَيه، وأعطاهُ الطّحّانَ مكافأةً لكتمانِه عليه، ودنا منه كأنّه يُكلّمه بشىءٍ، فانذر الرّجلُ أصحابَه، وأتَوه، فطلبَ إليهم يزدجردُ ألاّ يقتلُوه، وخوَّفهم ما عليهم فى دينهم من ذاك[٢]. وقال:

- «آتونى الدّهقانَ أو سرِّحونى إلى العرب، فإنّهم يستحيون مثلى من الملوك.»

فأخذوا ماكان عليه من الحُلىِّ، فجعلوه فى جرابٍ، وختَموا عليه، ثمّ خنقُوه بوتَرٍ، وطرحوهُ فى نهر مَرو، فجرىٰ به الماءُ حتّى انتهى إلى فوهةِ الدُّريق[٣]، فتعلّق بُعودٍ، فأُخِذَ من هناك. ثمّ تفقّد أبونزار أحدَ قُرطَيهِ، فأخذ الّذى دلّ عليه، فضربَه حتّى أتى على نَفسه، وبعث بما أصيب له إلى الخليفةِ يومَئذٍ، فأغرم الخليفةُ الدّهقانَ قيمةَ القُرطِ المفقودِ.

[روايةٌ أخرىٰ فى ذلك]

وقد حُكى فى رواية أخرىٰ: أنّ نزار وسنجان كانا متبا غضَين [471] متحاسدَين، وخصَّ به

← خياشيمهم وخلوقهم فيفهم بعضُهم عن بعض.

١) وفى الأصل أربعة درهم. ٢) انظر: الطّبرى ٢٨٨١:٥. ٣) مط: الدريو. وفى الطّبرى: الرزيق، الزريق (٢٨٨١:٥).

نزارَ فحسده سنجانُ، فظهر ذلك لنزار، فجعَل يُوغِرُ صدرَ يَزدجِردَ ويسعىٰ فى قتله، ولم يَزل يُغرى يزدجرد بسنجان حتّى عزم على قتلِه، وأفشىٰ ماكان عليه عزمَ من ذلك إلى امرأةٍ من نسائه كان نَزارُ واطأها. فأرسلت إلى نزارَ[١] تُبشّر بإجماع يَزدجردَ على قتلِ سنجان، وفَشا الحديثُ وبلغ سنجانَ. فجمع جُموعًا وتوجَّه نحو القصر الّذى فيه يزدجرد، وبلغ ذلك نَزارَ، فنكص عن سنجان لكثرة جَمعِه، وأرعبَ ذلك يزدجرد. فخرجَ ذاهبًا على وجهه راجلاً ينجُو بنفسه، فمشىٰ نحوًا من فرسخين حتّى وقع إلى رَحىً من ماء، فدخل بيتَ الرَّحىٰ، فجلس فيه كالاً لَغِبًا، فرآه صاحبُ الرَّحىٰ ذاهيئةٍ، وطُرَّةٍ، وبِزّةٍ كريمةٍ. ففرش له وأتاهُ بطعامٍ. فطعِم ومكث عنده يومًا وليلةً. فسألَهُ صاحبُ الرَّحىٰ أن يأمُرَ لَهُ بشىءٍ، فبذل له مِنطقتَه، وكانت مكلّلةً بجَوهرٍ. فأبىٰ صاحب الرَّحىٰ أن يقبلَها وقال:

- «إنّما يُرضينى من هذه المِنطقةِ أربعةُ دراهم آكُلُ بِها وأشربُ»

فأخبرَهُ ألاّ وَرِقَ معه، فتملَّقهُ صاحبُ الرَّحىٰ حتّى إذا [472] أغفىٰ، قام إليه بفأسٍ، فضرب بها هامَتَه، فقتله، وأخذما كان عليه من ثِيابٍ وحُلىٍّ، وألقىٰ جيفتَه فى النَّهر وبقَر بطنَه، فأدخَل فيه من أصولِ طَرفاءَ كانت نابتةً على النَّهر ليحبس[٢] جُثّتَه فى الموضع الّذى ألقاها فيه، فلاينتقِلَ[٣] فيُعرفَ ويُطلبَ وما أخِذَ مِن سَلَبِه، وهربَ على وجهِه.

وبلغ قتلُ يزدجردَ رجلاً من أهلِ الأهواز كان مطرانًا على مَرو يُقالُ له: إيليا، فجمع مَن كان قِبَلَهُ من النَّصارىٰ، وقال:

- «إنّ ملِكَ الفُرسِ قُتل وهو ابن شهريار بن كِسرىٰ وإنّما شهريارُ وَلَدُ شيرينَ المؤمنة الّتى عرفتم حقَّها وإحسانَها إلى أهل مِلّتِها وكانت بنتَ قيصَر. ثمّ لهذا الملكِ عنصرُ فى النَّصرانيّة مع ما نال النَّصارىٰ فى مُلكِ جَدِّه مِن الشَّرفِ، حتّى بنىٰ لهم البِيعَ، وشدَّ[٤] مِلّتَهم، فينبغى أن نجزىَ هذا الملكَ بقدرِ طاقتنا من الكرامةِ، وقدرأيتُ أن أبنىَ له ناووسًا وأحملَ جُثّتَه فى كرامةٍ، حتّى أجعلَها فيه.»

فقال النَّصارىٰ: «أمرُنا لأمرِك تَبعُ.»

فأمرَ المطرانُ، فبُنى له فى جَوف بُستانه بمَرو ناووسُ، ومضى بنفسه ومعه نصارىٰ [473] مَرو حتّى استخرج جُثّةَ يَزدجردَ، وكفّنها فى تابوتٍ، وحمله ومن كان معه من النَّصارىٰ على

---

١) الأصل: نزارًا، فمنعناه من الصّرف. كما فى سائر المواطن من الاصل: ٢) مط: فحبس. ٣) الطّبرى: فلا يسفلَ (٥: ٢٨٨٣). ٤) الطبرى: سند (٢٨٨٣:٥).

عواتِقِهم حتى أتَوا به النّاوُوسَ، ووارَوهُ فيه، وردَمُوا بابَه.

وقيل: بل حمله إلى إصطخر فوُضع فى النّاوُوس هناك. وذلك فى سنة إحدى وثلاثين للهجرة.

وكان مُلكُ يزدجرد عشرين سنةً منها أربعُ سنينَ فى دَعَةٍ وستُّ عشرة سنةً فى تَعبٍ من مُحاربةِ العرب إيّاهُ، ومحنتِه بهم، وغِلظتِهم عليه. وكان آخِرَ مَلِكٍ مَلَكَ من آل أردشيرَ بنَ بابك، وصفا المُلكُ بعدَه للعربِ.

[ماجرىٰ فى خلافة عثمان ممّا تُستفادُ منه تجربةٌ]

وقد كنّا ذكرنا ما يجبُ ذِكرُه من خلافة ـ عثمان ـ رضىالله عنه ـ وما تمّ منه على الوجه الّذى اقتصَصناهُ.

ثمّ جرىٰ بعد ذلك ممّا تُستفاد منه تجربةٌ أنّ قومًا من المسلمين أنكروا منه أشياءَ، فكانوا يتذاكرونَها بينَهم، وذلك بالعراق خاصّةً وبالمدينةِ دون غيرِهما. ثمّ انتشر منهم طائفةٌ فى سائر الأعمالِ يَنعَون[1] على عثمان أمورًا ويُشنّعون عليه. فسيّر عثمانُ منهم نفرًا إلى الشام ليُذِلّهم بمعاويةَ، وجرى لهم معه خَطبٌ طويلٌ. ثمّ تكاتَبُوا [474] بعدَ ذلك، وجميعُ ذلك شبيهٌ بالسّرّ[2].

إلى أن شربَ الوليد بن عُقبة، وهو والٍ على الكوفة خمرًا وشهِد عليه به مَن لم يمكن ردُّ شهادته، فاستقدمه عثمان المدينة وجَلدَهُ الحدَّ، وردَّ مكانَه سعيدَ بنَ العاصِ، فوردَ سعيدٌ، وأمر بغسلِ المنبر من مقامِه، فكلّمه فى ذلك قومٌ من قريشٍ، فأبىٰ عليهم، وغَسَلَ الموضعَ ودارى الناسَ، فلم يتمّ له ما أراد، وشغّب عليه النّاس.

ثمّ أجمعَ رأىُ النّاسِ على أن يبعثُوا إلى عثمان رجلاً يُكلّمه ويُخبرهُ بأحداثِه. فأرسلُوا إليه عامرَ بنَ عبدِ القيسِ التّيمى، وكان يُعدُّ من النُّسّاك. فأتاهُ فدخل عليه فقال:

ـ «إنّ ناسًا من المسلمين اجتمعوا ونظروا فى أعمالك، فوجدوك قد ركبت أمورًا عظامًا، فاتّقِ اللهَ، وتُب إليه، وانزع عنها.»

فقال عثمانُ: «انظروا إلى هذا، فإنّ النّاسَ يزعمون أنّه قارئٌ، ثمّ يَجىءُ فيكلّمنى فى المُحقّرات[3] ويزعم أنّها عظائم، فوالله مايَدرى أينَالله.»

---

١) النّعىُ على الرجل: إظهار عيبه وتشهيرُه.   ٢) مط: بالستر.   ٣) انظر ابن الأثير: ٣: ١٤٨ والطبرى ٦: ٢٩٣١.

قال عامرٌ: «أنَا لاادرى اين اللهُ؟»

قال: نعم، واللهِ لاتدرى اين الله.»

قال عامرٌ: بلىٰ والله، إنىَ لأدرى أنّ اللهَ لك لبالمرصادِ.»

فأرسلَ عثمان إلى معاويةَ [475] بن أبى سفيان، وإلى عبدالله بن سعد بن أبى سَرح، وإلى سعيد بن العاص، وإلى عمرو بن العاص و أمثالهم، فجمعهم يُشاورهم ويُخبرُهم بما بلغ منه. فلمّا اجتمعوا عنده قال:

- «إنّ لكلّ امرئٍ وُزراءَ نُصحاءَ، وإنكم وُزرائى ونُصحائى واهلُ ثقتى، وقد صنع الناسُ مارأيتم، وطلبوا إلىّ أن أعزلَ عُمّالى وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى مايُحبّون. فاجتهدوا لى رأيكم ثم اشيروا علىّ.»

فقال عبدالله بن عامر:

- «رأيى لك يا أميرَ المؤمنين أن تأمرهُم بجهادٍ يشغلهم عنك، وأن تُجمّرهم فى المغازى حتّى يذلّوا لك، فلاتكون همّةَ أحدِهم إلاَ نَفسه، وما هو فيه من دَبرِ دابّته وقَملِ فَروته.»

ثمّ أقبل على سعيد بن العاص فقال: «ما رأيُك؟»

قال: «يا أميرالمؤمنين، إن كنتَ تُريد رأيَنا فاحسِم عنّا الدّاءَ، واقطعَ ما تخافُ من الأصلِ، واعمَل برأيى.»

قال: «و ما هُوَ؟»

قال: «إنّ لكلّ قومٍ قادةً متى تَهلك تفرّقوا ولا يجتمع لهم أمرٌ.»

فقال عثمان: «إنّ هذا الرّأىُ لولا مافيه.»

ثمّ أقبل على معاوية، فقال: «مارأيُكَ؟»

قال: «رأيى يا أميرالمؤمنين أن تردَّ عُمّالَك على [476] الكفاية لِما قِبَلَهم، وأنا ضامنُ لما قِبَلى.»

ثمّ أقبلَ على عبدالله بن سعدٍ، فقال: «ما رأيُكَ؟»

قال: «يا أميرالمؤمنين، النّاس أهلُ طمعٍ، فأعطِهم من هذا المالِ تعطِف عليك قلوبَهم.

ثمّ أقبلَ على عمرو بن العاص، فقال: «ما رأيُك؟»

قال: «أرىٰ أنّك قد ركبتَ النّاس بما يكرهونَ فاعتزم أن تعتزلَ، فإنّك قد ولّيتَ النّاسَ بنى اميّة وحملتَهم على أرقابِهم، فاعتزِل، فإن أبيتَ فامضِ قُدُمًا.»

فقالَ له عثمان: «مالَكَ، قَمِلَ فَروُك مُذ عزلتكَ، أهذا الجِدُّ منكَ؟»

فسكت عنه عَمروُ حتّى إذا تفرّقَ القومُ قال عَمروُ:

ـ «لا واللهِ يا أميرالمؤمنين، لأنتَ أعزُّ عليَّ من ذلك، ولكن قد علمتُ أنّ النّاسَ قدعَلموا أنّك جَمعتَنا لِتستَشيرَنا، وسيبلُغهم قولُ كُلِّ رجلٍ منّا. فأردتُ أن يبلغَهم قولى فَيثِقُوا[1] بى لأقودَ إليك خيرًا، وأدفعَ عنك شرًّا.»

فردّ عثمان عُمّاله على أعمالهم، وأمرهم بالتّضـييق على مَن قِبَلَهـم، وأمرهم بتجمير[2] النّاس فى البعوث، وعزم على تحريم أعطياتهم ليُطيعُوهُ ويحتاجوا إليه. ورُدَّ سعيدُ بن العاص أميرًا على الكوفة.

[أهل الكوفة يردّون سعيدَ بن العاص]

فخرج أهلُ الكوفة [477] عليهم السّلاح يقدُمهم مالك بن الحارث الأشتر، فتلقّوهُ وردّوهُ وقالوا:

ـ «لا، والله، لا تَلى[3] علينا حُكمًا، ولا تدخلها علينا ما حملنا سيوفَنا.»

فرجع سعيد وقال للنّاسِ:

ـ «أما اختلفتم إلاّ لى؟ إنّما كان يكفيكم أن تبعثُوا إلى أميرالمؤمنين رجلاً وتَضعُوا لى رجلاً، وهل يخرج الألفُ لهم عقولٌ إلى رَجُلٍ؟»

ومضى سعيدُ حتّى قدِمَ على عثمان فأخبره الخبر.

فقال عثمان: «ما يريدون، أخَلعُوا يدًا[4] عن الطاعة؟»

قال: «أظهروا أنّهم يُريدون البدلَ.»

قال: «فمَن يُريدون؟»

قال: «أباموسى.»

قال: «أثبتنا أباموسى عليهم. والله لا نجعل لأحدٍ منهم عذرًا، ولا نترك لهم حُجّةً، ولنصيرنَّ كما أُمرنا حتى يبلغ الله ما يُريد.»

وكان يزيد بن قيسٍ لمّا استغوى[5] النّاسَ على سعيد بن العاص، خرج منه ذكر قبيح[6] لعثمان،

---

١) مط: فيتقونى. ٢) كذا فى الطبرى: بتجمير الناس (٦:٢٩٣٤) مط: بتجهيز الناس وكذلك ابن الأثير: بتجهيز الناس (٣، ١٥٠). والأصل غير واضح. ٣) مط: إن تلى. وفى الطبرى: لا يلى... ولا يدخلها. ٤) مط: ما تريدون اخلعوا ابدًا! ٥) كذا فى الأصل ومط: استغوى: أضلّ وفى الطبرى: استعوى: استغاث. نعق بهم إلى الفتنة.

٦) فى مط: ذكر فتح لعثمان. وقد جُعل عنوانًا وبحرفٍ احمر. الطبرى: ذكر لعثمان. بدون «قبيح» (٦:٢٩٣٥).

فاقبل إليه القعقاعُ بن عَمرو حتّى أخذه.

فقال: «ما تريدُ يا قعقاعُ، ألك علينا فى أن نستعفىَ سبيلٌ؟»

قال: «وهل إلاّ ذاك؟» قال: «لا.»

وإنمّا قال ذلك لما لم يتمّ له جميع ما يُريد ـ فقال له [478] القعقاع:

ـ «فأمسِك عن الكلام واستَعفِ كيفَ شئتَ.»

[كثر النّاسُ على عثمان وكلّموا عليًا فيه]

فلمّا كانت سنة أربعٍ وثلاثين كتب أصحاب رسـول الله ـ صـلّى الله عليه ـ بعضـهم إلى بعض، أن: «اقدَمُوا، فإن كنتم تُريدون الجهاد فعندنا الجهـاد.» وكثر الناسُ على عثمان ونالوا منه أقبح مانِيلَ مِن أحدٍ وأصحابُ رسولِ الله يَرَون ويسمَعون، ليس منهم أحدٌ يذبُّ ولا ينهىٰ.

فاجتمع النّاسُ فكلّموا علىَّ بن أبىطالبٍ، عليه السّلام. فدخل علىٌ على عثمان فقال:

ـ «إنَ النّاسَ ورائى، وقد كلّمونى فيك، ووالله ما أدرى ما أقول لك، وما أعرف شيـئًا تَجهلُه، ولا أدُلُّك على أمرٍ لا تعرفُه، إنّك لَتَعلمُ مانَعلم، ما سبَقناك إلى شىء فنُخبرك عنه، ولا خَلونا بشىء فنُبلّغَكَهُ وما خُصِصنا بأمرٍ دونك. قد رأيتَ وسمعتَ وصـحبتَ رسـولَ الله ـ صـلّى الله عليه ـ ونِلتَ صِهرَهُ، وما ابنُ أبى قُحـافةَ بأولىٰ بِعمل الحقّ منكَ، ولا ابنُ الخـطّاب بأولىٰ بشـىء من الخير منك وأنتَ أقربُ إلى رسولِ الله، صلّى الله عليه، رَحِمًا. فاللهَ اللهَ فى نفسـك. فـإنّك والله ماتُبَصَّـرُ مِن عَمًى ولا تُعلَّم مِن جهـلٍ، [479] وإنَ الطّريقَ لَواضـحٌ بيّنٌ، وإنَ أعلامَ الدّين لقـائمةٌ. تَعلمُ يا عثمانُ، أنّ أفضلَ عبادِ الله عندالله إمامٌ عادلٌ هُدِىَ وهَدىٰ، واستقام وأقـام سـنّةً مَعلومةً، وأماتَ بدعةً معلومةً. فوالله إنّ كُلاً لَبيّنٌ، وإنّ السُنَنَ لَقائمةٌ لهـا أعلامٌ، وإنَ البِدعةَ لَقـائمةٌ لهـا أعلامٌ. وإنّى أُحذِّرك اللهَ وسطوتَه ونقَماتِه، وأُحذِّرك أن تكونَ إمامَ هذه الأمّة الّذى سـمعنا به، فـإنّه كان يُقال:[1] يُقتلُ فـى هذه الأمّة إمامٌ يُفتح[2] به عليهـا القتلُ والقتال إلى يَومِ القيامةِ، ويَلبسُ عليهـم أمورَهم، ويتركهُم شيَعًا لا يُبصرون الحقّ لِعُلُوّ الباطلِ، يَموجون فيها موجًا.»

قال عثمانُ: «قد والله علمتُ أنّك تقول [الّذى قـالوه][3] أما والله لَوكنتَ بمكـانى ما عنّفتُك، ولا أسلمْتُكَ، ولا عِبتُ عليك، وإنّى ما جئتُ مُنكرًا[4] إن وَصـلتُ رَحِمًا، وسـدَدتُ خُلّةً، وأويتُ ضـائعًا،

١) مط: بدون «يقال» ٢) مط: يفتحالله به. انظر الطبرى: ٦:٢٩٣٨. والكامل ٣:١٥١. ٣) الذى قـالوه: غير واضحة فى الأصل فصحّحناها بمقتضى السياق ومافى الطبرى.فى مط: الذى قلت. ٤) إنى ماجئت منكـرًا: العبارة غير واضحة فى الأصل، فقرأناها فى ضوء ما فى مط والطّبرى.

ووَلّيتُ شبيهًا بمن كان يُولّى عُمرُ. أنشدك الله يا علىُّ، هل تعلمُ أنّ مُغيرة بن شُعبة ليس هناك؟

قال: «نعم.»

قال: «فتعلم أنّ عُمرَ وَلّاهُ.»

قال: «نعم.»

قال: «فلِمَ تلومُنى أن [480] وَلّيتُ عبدَالله بن عامرٍ فى رَحِمِهِ وقَرابتِهِ؟»

قال علىُّ: سأخبركَ. إنّ عُمرَ كان كلّ من ولّى فانّما يَطأُ على صِماخِه، إن بلغَه حرفُ خلَعَه[1]، ثمّ بلغ أقصى الغاية، وانت لا تفعل. ضَعُفتَ ورققتَ على أقربائك.»

قال عثمانُ: «هم أقرباؤك أيضًا.»

قال علىُّ: «أجل. لعَمرى إنّ رَحِمَهم مِنّى لَقَريبةٌ، ولكنّ الفضلَ فى غيرهم.»

قال: هل تَعلم أنّ عُمرَ ولّى معاويةَ خِلافتَه كلّها، فقد ولّيتُه.»

قال علىُّ: «أنشدُكَ اللهَ، هل تعلم أن معاوية كان أخوفَ مِن عُمرَ، من يَرفأ غلامِ عُمرَ، منه؟»

قال: «نعم.»

قال علىُّ: «فإنّ معاويةَ يقطعُ الأمرَ[2] دونَك، وانت تعلمُ؛ فيقول للناس: هذا أمر عثمان، فيبلغكَ، فلا تُغيِّر على معاوية.»

ثمّ خرج علىٌّ من عندِه وخرج عثمان على أثره، فجلس على المنبر، فقال:

أما بعدُ، فإنّ لكلّ شىءٍ آفةً ولكل امرٍ عاهةً، وإنّ آفة هذه الأمّة وعاهةَ هذه النّعمة عيّابون طعّانون يُرونكم ما تُحبّون ويُسرُّون ما تكرهون، يقولون لكم ويقولون، أمثال النّعام يتبعون أوّلَ ناعقٍ، أحبُّ مواردها إليها البعيدُ، لا يشربون [481] إلاّ تبرُّضًا[3] ولا يَردون إلاّ عَكرًا، لا يقوم لهم رائدٌ، قد أعيتهُم الأمورُ، وتعذّرت عليهم المكاسبُ، ألا! والله عِبتم علىّ بما أقررتُم لابن الخطّاب بمثله، ولكنّه وطئكم برجلِه، وضربكم بيده، وقمَعكم بلسانه فَدِنتم له على ما أحببتُم أو كرهتُم، ولِنتُ لكم، ووطّأتُ لكم كَتِفى، وكففتُ يدى ولسانى، فاجترأتُم علىّ. أما والله، لأنّا أعزُّ نفرًا، وأقربُ ناصرًا، واكثر عددًا واقمَنُ. إن قلتُ هَلُمَّ أُتِىَ إلىّ[4]، ولقد أعددتُ لكم أقرانكم،

١) الطّبرى: جلبه، (٥، ٢٩٣٩). ٢) الطّبرى: يقتطع الأمور. ٣) وفى الطبرى: نغصًا، بعضًا. تبرّضَ الماءَ: ترشّفه. نغصَه: حرّكه. ٤) الأصل: هلمّ إلىّ، إلىّ.مط: هل إلىّ إلىّ! وما أثبتناه يؤيّده الطّبرى (٦:٢٩٤٠)، وكذلك ابن الاثير ٣:١٥٢.

وأفضلتُ عليكم فُضولاً، وكشرتُ لكم عن نابى، وأخرجتم خُلُقًا لم اكن أحسنُه، ومنطقًا لم أنطق به. فكفُّوا عليكم ألسنَتكم وطعنَكم وعيبَكم على وُلاتكم، فقد كفَفتُ عنكم مَن لو كان هو الّذى يكلِّمكم لرضيتُم منه بدون منطقى هذا إلاّ ما تفقدون مِن حقِّكم. والله ما قصَّرتُ فى بلوغ ماكان يبلغُ مَن قبلى، ومَن لم تكونوا تختلفون عليه. فَضلَ فَضلٌ مِن مالٍ. فمالى لا أصنع فى الفضلِ ما أريد، فَلِمَ كنتُ إمامًا؟»

فقام مروانُ بن الحكم فتكلّم، فقال عثمان:

ـ «اُسكُت لا سكتَّ[1]، [482] دعنى وأصحابى، ما منطقكَ فى هذا، ألم أتقدَّم إليك ألاّ تَنطقَ بحَرفٍ؟»

فسكت مروانُ ونزل عثمانُ.

ثمّ دخلت سنةُ خمسٍ وثلاثين

فيها كان ظهورُ السَّبائيَّة[2] وخروجُ أهلِ مِصرَ إلى المدينة لقتلِ عثمان

وكان سبب ذلك أنّ عبدالله بن سَبا كان يهوديًّا من أهل صنعاء، وأمّه سوداء. فأسلم أيّامَ عثمان، ثمَّ تنقّل فى بلدان المسلمين يحاول بدعةً. فبدأ بالحجاز، ثمّ بالبصرة، ثم بالكوفة، ثمّ بالشّام. فلم يجتمع له أمرٌ على ما يُريدُ، فمضى نحوَ مِصرَ.

فلمّا أتاها، قال لأهلِها فى ما يقول:

ـ «أنا أعجَبُ مِمَّن يصدِّقُ بأنّ عيسى يرجعُ، ويكذِّبُ بأنّ محمدًا لايرجعُ، وقد قال الله: «إنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيكَ القُرآنَ لَرادُّكَ إلى مَعادٍ.[3] فمحمّدٌ أحقُّ بالرُّجوع. فوضع لهم الرّجعة.»

ثمَّ قال: «ما مِن نبىٍّ إلاّ ولَهُ وصىٌّ، وعلىٌّ وصىُّ محمدٍ.

ثم قال: «مَن أظلمُ ممَّن لم يُجِز وصيَّة رسولِ الله ـ صلّى الله عليه ـ ووثب على حقٍّ ليس له، وتناول [أمر][4] الأمّة؟»

ثم قال: «هذا عثمان قد غصب عليًّا، وغيَّر وبدَّل، وكانَ وكانَ. فانهضُوا [483] فى الأمر، وأظهِروا الأمرَ بالمعروف والنَّهىَ عن المنكر، واطعَنوا على أمرائكم تَجِدوا مَقالاً، وادعُوا إلى هذا الأمرِ.»

---

١) فى الطّبرى: لا سُكّتُ، لا اسكِتَ (٦:٢٩٤١). ٢) أنظر الطبرى ٦:٢٩٤١. وابن الأثير ٣:١٥٤. ٣) س ٢٨ القصص: ٨٥. ٤) تكملة من الطبرى.

وبثَّ دُعاةً فى الأمصار، وكاتب مَن استفسدهُ فى الأمصار وكاتبوهُ. ودعَوا فى السِّرِّ إلى ما عليه رأيُهم، وأظهروا الأمرَ بالمعروفِ، وتكاتب أهلُ الأمصار، حتّى أو سعُوا الأرضَ إذاعةً، وتناولوا المدينة.

فدخل قومٌ على عثمان، فقالوا:

ـ «يا أميرالمؤمنين، أياتيك ماياتينا؟»

قال: «لا، ماجاءَنى إلاّ السّلامةُ.»

قالوا: «فإنّا قد أتانا كيتَ وكيتَ.»

قال: «فأشيروا علىَّ.»

قالوا: «نُشيرُ عليك أن تبعثَ رجالاً ممّن تَثِقُ بهم إلى الأمصار حتّى يرجعُوا إليك بأخبارهم.»

فدعا جماعةً من وجوه الصَّحابةِ فيهم عمّارُ بنُ ياسرٍ، فأرسل أحدَهم إلى الكوفة، وأرسلَ آخَرَ إلى البصرة، وأرسلَ عمّارًا إلى مصر، وأرسل ابنَ عُمرَ إلى الشّام، وفرّق الباقين فى البلاد. فرجعوا جميعًا قبلَ عمّارٍ فقالوا:

ـ «أيّها النّاسُ، ماأنكرنا شيئًا ولا أنكرهُ أعلام المسلمين، ولا عَوامُّهم، والنّاسُ ساكتون [484] قارُّون.»

فاستبطأ النّاس عمّارًا، فلم يفجأهم إلاّ كتابٌ من عبدالله بن أبى سرحٍ يُخبرُهم: أنَّ عمّارًا قد استمالَه قومٌ بِمصرَ، وقد انقطعوا إليه، منهم: عبدالله بن السَّوداء، وسودانُ بن حمران، وفلانٌ وفلانٌ.

فكتب عثمان إلى أهل الامصار:

«أمّا بعدُ، فإنّى آخِذ العُمّال بمُوافاتى فى كلِّ مَوسمٍ، فاقدمُوا علىَّ.»

فقدِمَ عليه عبدالله بن عامرٍ، ومعاويةُ، وعبدُاللهِ بنُ سعدٍ، وأدخل فى المشورةِ سعدًا وعَمرًا. فقال:

ـ «ويحكم! ماهذه الشّكاةُ، وما هذه الاذاعةُ؟ إنّى واللهِ لَخائفٌ أن تكونوا مصدوقًا عليكم، وما يُعصَب هذا إلاّبى.»

فقالوا: «لا واللهِ، ماصدقوا ولا بَرُّوا، ولا يحِلُّ الأخذ بها، والانتهاءُ إليها.»

قال: «فأشيرُوا علىّ.»

قالوا: «هذا أمرٌ يُصنع فى السِّرِّ، ثمّ يُلقىٰ إلى غير ذى المعرفة، فيُخبرُ به، فيتحدّثُ بِه النّاسُ فى مجالِسهم.»

قال: «فما دواءُ ذلك؟»

قالوا: «طَلَبُ هؤلاءِ القومِ، ثمّ قَتلُ الّذين يخرج هذا من عِندِهم.»

وقال معاويةُ: «ولِّنِي، فولِّيتُ قومًا لايأتيك عنهم إلاّ الخيرُ.»

قال «فما الرّأى؟»

قال: «حُسنُ الأدبِ.»

قال: «فماترى [485] ياعمرُو؟»

قال: «أرىٰ أنّكَ قد لِنتَ لهم، وأرخَيتَ عنهم، وزِدتَهم على ماكان يصنع عُمرُ، فأرىٰ أن تصنع كماكان يصنعُ عُمرُ.»

فتكلّم عثمان بكلامٍ ليِّنٍ ونَفَّر، فشخص معاويةُ وعبدُالله بن سعدٍ، ورجع ابن عامرٍ وسعيدُ معه، وردَّ سائر الأمراءِ إلى أعمالهم.

وكان معاويةُ قدقال لعثمان غداة ودّعه:

ـ «يا اميرَالمؤمنين، انطلِق معى إلى الشّامِ قبلَ أن يهجمَ عليك مَن لاقِبَلَ لكَ به، فإنّ أهلَ الشّام على الأمر، لم يَزوُلوا.»

فقال: «أنا أبيعُ جِوارَ رسولِ الله ـ صلّى‌الله عليه ـ وإن كان فيه قطع خيط عنقى؟»

قال: «فابعث إليكَ جُندًا منهم يُقيم بين ظَهرانىَّ أهلِ المدينةِ لنائبةٍ إن نابَت.»

قال: «أنا أُقتِّر على جيرانِ رسولِ الله ـ صلّى‌الله عليه ـ الأرزاقَ بجُندٍ يُساكنُهم وأضيِّق على دار الهجرةِ والنُّصرة!»

قال: «والله يا اميرَ المؤمنين لتُقاتَلَنّ[١]، ولتُغزَيَنّ.»

قال: «حسبى اللهُ ونعم الوكيلُ.»

فقال معاويةُ: «يا أيسارَ الجَزورِ، وأينَ أيسارُ الجزورِ!»

ثمّ خرج.

ثمّ إنّ السّبائيّة كاتَبوا أهلَ الأمصار أن يتوافَوا المدينةَ لِينظروا فى مايُريدون، وأظهروا [486] أنّهم يأمرونَ بالمعروف، ويسألون عثمان عن أشياءَ لِتطيرَ[٢] فى النّاس، ولِتحقّقَ عليه. فتوافَو المدينة، وأرسل عثمان رجلين فقال:

ـ «أنظرا[٣] مايُريدون، واعلَما عِلمَهم.»

١) الطبرى: لتُغتالَنّ ولتُغزَيَنّ (٦:٢٩٤٩). ٢) مط: لتظهر. ٣) وفى الأصل: انظروا.

فأتَياهُم ودَاخَلاهُم حتّى أمِنوهُما، فأخبروهما بمايُريدون، فقالا:

ـ «مَن معكم مِن أهلِ المدينةِ؟»

قالوا: «ثَلاثةُ نفرٍ.»

قالا: «[فهل إلاّ][1] قالوا: لا.»

قالا: «فكيف تُريدون أن تصنعوا؟»

قالوا: «نُريد أن نذكر له أشياءَ قد زرعناها فى قلوب النّاس، ثم نرجع إليهم فنقول: إنّا قرّرناهُ بها. فلم يخرج منها ولم يتب[2]، ثمّ نخرج بعد ذلك كأنّا حُجّاجٌ حتّى نقدم فنحيط به فنختلعه، فإن أبىٰ قتلناهُ فكانت إيّاها.»

فرجعا إلى عثمان بالخبر، فضحكَ وقال:

ـ «اللّهمّ سلّم هؤلاءِ النّفر[3]، أمّا عمّار فحملَ علىّ ذنبَ غيرى وعركه[4] بى، وأمّا محمّد بنُ أبى بكرٍ، فإنّه رجلٌ مُعجَبٌ يَرىٰ أنّ الحقوق لاتلزمُه، وأمّا ابن [سهله][5] فإنّه يتعرّضُ للبلاء.»

ثمّ خطب عثمان، فجمع أهلَ المدينة وأهلَ الكوفة وأهلَ البصرة، وخبّرهم بما جاء به الرّجلان، واعتذر مِمّا تجنى النّاسُ عليه، واستشارهم. فأشار قوم بقتلهم، ولانَ عثمان، فأبىٰ أولئك إلاّ قتلَهم، وأبىٰ إلاّ تركَهم. [487]

فرجعوا إلى بلادهم وفى نيّاتهم أن يغزوهُ مع الحُجّاج كالحُجّاجُ. فتكاتبوا وقالوا: موعدُهم فى ضواحى المدينة فى شوّال. فلمّا كان ذلك الوقتُ اجتمعوا، فنزلوا قربَ المدينة ـ وذلك سنة خمسٍ وثلاثين ـ وعدّتُهم ألفا رجلٍ، ينقصون قليلاً أو يزيدون، من أهل البصرة والكوفة. وخرج أهل مصر ومعهم ابنُ السّوداءِ، وكنانة بنُ بشرٍ، وسودان بن حمران، وفى أهل الكوفة زيد بن صوحان، والأشتر النخعى، وفى أهل البصرة حكيمُ بنُ جبلة وبشر بن شريح وأميرُهم حرقوص بن زهير، ثمّ تلاحق بهم النّاسُ.

فأمّا أهل مصرَ فإنّهم كانوا يشتهون عليّا، وأمّا أهل البصرة فإنّهم كانوا يشتهون طلحةَ، وأمّا أهل الكوفة فإنّهم كانوا يشتهون الزّبير[6]. وكان خروجُهم جميعًا، وقلوبُهم شتّىٰ فى مَن

---

١) الأصل غير واضح وما اثبتناه من الطبرى (٦: ٢٩٥٠). مط: فهل قالوا لا، قال فكيف تريدون.
٢) كذا، وما اثبتناه يؤيّده الطبرى. مط: ولم يثبت.
٣) وزاد فى الطبرى: فإنك إن لم تسلّمهم شقوا (٦: ٢٩٥١).
٤) مط: وغدر بى. وفى الطّبرى: وامّا عمار فحمل على عباس بن عتبة بن ابى لهب وعركه (٦: ٢٩٥١).
٥) غير واضحة فى الأصل. مط: سار. وفى بعض الأصول: ساره، وما اثبتناه من الطّبرى.
٦) انظر: الطّبرى ٦: ٢٩٥٥.

يختارون، ولا تشكُّ فرقةٌ إلاّ أنّ الفَلْج معها، حتّىٰ إذا كانوا من المدينة على ثلاثٍ، تقدّم ناسٌ من أهل البصرة، فنزلوا ذا خُشُبٍ، وناسٌ من أهل الكوفة، فنزلوا الأعوصَ، وجاءَهم ناسٌ مِن أهل مصر وتركوا عامّتَهم [488] بذى المَروة، وقالوا:

ـ «لا تَعجَلوا ولاتُعجلونا! حتى ندخلَ المدينةَ ونرتادَ، فإنّه بلغنا أنّهم قدعسكروا لنا فوالله إن كان أهلُ المدينة استحلّوا قتالَنا وهم لم يعلموا عِلمنا[1] لهم إذا علموا عِلمَنا أشدُّ، وإنّ أمرَنا هذا لَباطلٌ، وإن لم يستحِلّوا قتالَنا، ووَجَدنا الّذى بلغَنا باطلاً لنرجعنَ إليكم بالخبر.»

قالوا: «فاذهبوا!»

فدخل رجلان، فلقيا أزواجَ النّبىِّ ـ صلّىالله عليه ـ وطلحةَ، والزّبيرَ، وعليًّا، وقالوا:

ـ «إنّما نَؤُمُّ هذا البيتَ، ونستعفى هذا الوالىَ من بعضِ عُمّالِنا، ماجِئنا إلاّ لذلك.»

[واستأذَناهُم][2] للنّاس بالدُّخول، فكلُّهم أبىٰ ونَهى[3].

فاجتمع قومٌ من أهل مصرَ، فأتَوا عليًّا، ونفرٌ من أهلِ البصرةِ، فأتَوا طلحةَ، ونفرٌ من أهل الكوفة، فأتَوا الزُّبيرَ.

فأمّا المصريّون فانّهم لمّا أتَوا عَليًّا وجدوهُ فى عسكرٍ عند أحجارِ الزّيتِ[4]، فسلّم المصريّون علىٰ عَلىٌّ وعَرَّضوا، فصاحَ بهم، وطردَهُم، وقال:

ـ «ارجعوا لا صحبكم الله.»

فانصرفوا من عنده على ذلك.

وأتَى البصريُّونَ طلحةَ وهو فى جماعةٍ أخرىٰ إلى حيثُ [489] هُوَ، وقد أرسل ابنَيهِ إلى عثمان. فسلّم المصريون عليه، وعرَّضُوا له، فصاح بهم وطردهم، وقال قريبًا مِمّا قال علىٌّ.

وأتَى الكوفيُّونَ الزُّبيرَ وهو فى جماعةٍ وقد سرّح ابنَه عبدَالله إلى عثمان، فسلّموا عليه، وعرَّضُوا له، فصاحَ بهم وقال مثلَ ماقال صاحباه.

فانصرف القوم إلى عساكرهم وهى على ثلاث مراحل كى يفترقَ أهل المدينة، ثم يَكرُّوا راجعين. فافترق أهل المدينة وكرُّوا راجعين. فلم يفجأ أهل المدينة إلاّ والتكبير فى نواحى

١) مط: علمنا لهم. والطبرى: علمنا فهُم... ٢) فى الأصل ومط: فاستأذنوهم. وما أثبتناه عن الطبرى. ٣) وزاد فى الطبرى: وقال بَعضٌ مايُفرخَنّ (٢٩٥٦:٦). ٤) وزاد فى الطبرى: عليه حلّة أفوافٍ مُعتمٌ بشقيقةٍ حمراء يمانيّةٍ متقلّد السّيف، ليس عليه قميصٌ وقد سرّح الحسنَ إلى عثمان فيمن اجتمع إليه. فالحسَنُ جالسٌ عند عثمان وعلىٌّ عند أحجار الزّيت. فسلّم عليه المصريون... (٢٩٥٧:٦).

المدينة، فنزلوا فى مواضع عساكرهم. وأحاطوا بعثمان وقالوا: «مَن كفّ يَدَهُ فهو آمِنٌ.» وصلّى عثمان بالنّاس أيّامًا، ولزم النّاس بُيوتَهم، ولم يمنعوا أحدًا من الكلام. فأتاهم النّاسُ فكلّموهم وفيهم علىٌّ. فقال:

ـ «ماردُّكم بعدَ ذهابكم؟»

قالوا: «أخذنا مع بريدٍ كتابًا بقتلنا.» وأتاهم طلحةُ، فقالوا له مثل ذلك. وأتاهم الزّبيرُ فقالوا له مثل ذلك. وأجمعوا على أن يعتزلَ عثمان، وهو فى ذلك يصلّى بهم، وهم يُصلّون خلفَه، ويغشى[1] [490] عثمان من شاء وهم فى عينه أدقُّ من التّراب.

وكتب إلى أهلِ الأمصار يستمدّهم، ويشكو ما يلقى، بكتابٍ[1] بليغ. فأتاهم الكتاب، وخرجوا على الصّعب والذّلولِ .فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهرى، وبعث عبدُاللهِ بن سعدٍ معاويةَ بنَ حُديج السّكونى، وخرج من أهل الكوفة القعقاعُ بن عَمرو.

وكان بالكوفة جماعةٌ يُحضّضُون على إغاثة أهل المدينةِ مثل حنظلة بن الرّبيع وأشباهه من أصحاب النّبىّ ـ صلّى‌الله عليه ـ فكانوا يطوفون على مجالسها ويقولون:

ـ «يا أيُّها النّاس، إنّ الكلامَ اليوم وليس به غدًا، وإنّ النّظر يحسن اليوم ويقبح غدًا، إنهضوا إلى نُصرة خليفتكم.»

وقام بالبصرةِ عمران بن الحُصين وأنسُ بن مالك فى أمثالهما من أصحاب النّبىّ ـ صلّى‌الله عليه ـ يقولون مثل ذلك؛ وقام بالشّام عُبادةُ بن الصّامت، وأبوالدّرداءِ فى أمثالهما من أصحاب النّبىّ ـ صلّى‌الله عليه ـ يقولون مثل ذلك؛ وقام بمصرَ خارجة فى أشباهٍ له.

ولمّا جاءت الجمعةُ الّتى [على[2]] اثر [نزول[3]] المصريين مسجدَ الرّسولِ [491] خرج عثمان، فصلّى بالنّاسِ، ثمّ قام على المنبرِ، فقال:

ـ«اللهَ اللهَ يا معشرَ العُزّى[4]! فامحُوا الخطأ بالصّوابِ.»

فقام محمد بن مَسلمة فقال: «أنا أشهد بذلك.»

ـ فأخذه حكيم بن جَبَلة، فاقعدهُ.

فقام زيدُ بنُ ثابتٍ، فقال: «أبغِنى[5] الكتابَ.»

فثار إليه محمد بنُ ابى‌بكر فَنَتَرهُ[6] واقعدهُ وقال: «اقطع!»

---

١) انظر الطبرى، ٦:٢٩٥٨. ٢ و ٣) الكلمتان من الطّبرى ٦:٢٩٦٠، والعبارة فى الأصل ومط: الّتى اثر فيها نزول المصريين. ٤) كذا فى الأصل.و فى مط: العزى. الطبرى: العدى، العذى، الغزاء، الغُزّاء (٦:٢٩٦٠). وفى الكامل: ياهؤلاء (٣:١٦١). ٥) الطبرى: إبغنى الكتاب. ٦) فى الطبرى: محمد بن ابى قُتيرة فاقعده وقال ←

وقام النّاس بأجمعهم ثائرين بأهل المدينةِ، فحصَبوهم، حتّى أخرجوهم من المسجد، وحصَبوا عثمانَ حتّى صُرع عن المنبر مغشيًا عليه، فاحتُمل وأُدخِلَ دارَه.

وكان المصريون لا يطمعون فى مساعدة أحدٍ من أهل المدينة إلاّ فى ثلاثة فإنّهم كانوا يراسلونهم: محمد بن أبى‌بكر، و محمد بن جعفر، وعمّار بن ياسر.

وسار ناسٌ مستقتلين منهم: سعدُ بنُ مالك، والحسنُ[١] بنُ علىٍّ، وأبوهريرة، وزيد بن ثابتٍ، فبعث إليهم عثمان بعزمه لمّا انصرفوا؛ فانصرفوا.

واقبل علىٌّ وطلحةُ والزّبيرُ حتّى دخلُوا على عثمان يعودونه [492] من صَرعتِه، ثمّ رجعوا إلى منازلهم. وكان النّاس قبل ذلك وافقوه على أشياء وجد فيها اعتذارًا، وعلى أشياء لم يجد فيها مقالاً[٢]، فقال:

ـ «أستغفِرالله وأتوب إليه.»

وأخذوا ميثاقه وكتبوا عليه شرطًا، وأخذ عليهم ألاّ يشقُّوا عصًا، ولا يفارقوا جماعةً ماقام لهم بِشرطهم.

ثمّ قالوا: «نُريد ألاّ يأخذَ أهلُ المدينة عَطاءًا، فإنّما هذا المال لِمَن قاتلَ عليه، ولهؤلاءِ الشُّيوخ من أصحاب محمد.»

فرَضوا، واقبلوا معه حتّى خَطبَ عثمان، وقال:

ألا مَن كان له زَرعٌ فليلحَق بزرعه، ومَن كان له ضَرعٌ فَليحلِب، ألا! إنّه لا مالَ لكم عندنا، إنّما هذا المالُ لِمَن قاتل عليه، ولهؤلاءِ الشُّيوخِ مِن أصحاب محمَدٍ، صلّى‌الله عليه.»

فغضب النّاسُ وقالوا:

ـ «هذا مكر بنى أميّة.»

[راكبٌ له شأنٌ]

ورجع وفد المصريين راضين، فبيناهم فى الطّريق إذاهم براكبٍ يتعرّضُ، فمرّةً يَرونَه، ومرّةً يغيب عنهم، فقالوا: «إنّ لِهذا الرّجل لَشأنًا.»

← فأقطعَ وثار القوم. (نفس الصفحتين). تتره: جذبه بشدّة.

١) وفى بعض الأصول: الحسين بن على (هوامش الطبرى ١:٢٩٦١).

٢) لم تكن العبارة واضحةً تمامًا فى الأصل. انظر: الطّبرى ٦:٢٩٦٤.

فأخذوهُ، وقرَّرُوهُ، فقال: «أنا رسولُ أميرالمؤمنين إلى عامله بمصر.»

ففتّشوهُ فإذا هم بكتابٍ [493] على لسان عثمان، عليه خاتَمُهُ، إلى عامِله بمصر، قدجُعل فى إداوةٍ [يابسةٍ][1] يأمر بأن يقتُلَهم، أو يقطعَ أيديهَم وأرجُلَهم، أو يَصلبَهم.

فاقبلوا حتّى قدمُوا المدينة، فأتَوا عليًا، فقالوا:

- «ألم تَرَ إلى عَدوّ الله! إنه كتبَ فينا بكذا وكذا، بعد الميثاق الّذى بيننا وبينَهُ، وإنّ الله قد أحلّ لنا دَمَهُ، قُم معَنا إليه.»

قال: «والله لا أقومُ معكم!»

قالوا: «فلِمَ كتبتَ إلينا؟»

قال: «واللهِ ماكتبتُ إليكم كتابًا قَطُّ.»

فنظر بعضُهم إلى بعض، ثمّ قال بعضُهم لبعضٍ:

- «ألِهذا تقاتلون؟ أم لهذا تغضبون؟»

فخرج علىٌّ من المدينةِ إلى قريةٍ، وانطلق القومُ حتّى دخلوا على عثمان، فقالوا:

- «كتبتَ فينا بكذا وكذا.»

فقال عثمان: «إنّما هُما ثِنتانِ: إمّا أن تُقيموا علىَّ رَجُلينِ من المسلمين، أو يَمينى بالله، الّذى لا إلهَ إلاّ هُو، ماكَتَبتُ، ولا أمللتُ، ولا عَلِمتُ. وقد علمتُم أنّ الكتابَ يُكتَبُ على لسانِ الرّجلِ، ويُنقشُ الخاتَمُ على الخاتَمِ.

فقالوا: «لئن كنتَ كاذبًا فى يمينكَ فقد أحلّ اللهُ دَمَكَ، ولئن كنتَ صادقًا لقد ضَعفتَ عن الأمر، حينَ لاتَضبطُ [494] من أمرك هذا المقدارَ.»

وقد حاصروُه، وقد ذكر النّاس فى هذه الرّوايات أشياءَ شنِعةً لم نذكرها.

وقد كان عثمان لمّا أحسَّ بانصرافِ المصريّين إليه من الطّريقِ، أتىَ عَليًا فى منزله، فقال:

- «يا ابنَ عمّ! إنّه ليس لى منزلٌ، وإنّ قرابتى قريبةٌ، ولى حقٌ عظيمٌ عليك، وقد جاءَ ماترىَ من هؤلاءِ القوم، وهم مُصَبّحِىَّ، وأنا أعلمُ أنّ لك عند النّاسِ قدرًا، وأنّهم يستمعون منك، فأنا أُحبُّ أن تركبَ إليهم، فتردّهم عنّى. فإنّى لا أُحبُّ أن يدخلوا علىَّ، فإنّ تلك جُراةٌ منهم علىَّ، ويسمع بذلك غيرُهم.»

فقال علىٌّ: «علىَمَ أردُّهم؟»

[1] الكلمة غير واضحة فى الأصل.

قال: «على أن أصيرَ إلى ما أشرتَ به علىَّ، ورأيتَهُ لى، ولستُ أخرجُ من يديكَ.»

فقال علىٌّ: «إنّى قدكنتُ كلّمتُك مرّةً بعدَ مرّةٍ، وكلُّ ذلك تخرُج فتتكلّم وتقولُ وتقولُ، وذلك كلّه فعلُ مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر، ومعاوية، تُطيعُهم وتَعصينى.»

قال: وأمر النّاسَ المهاجرين والأنصارَ، فركبوا معه. وأرسل عثمانُ إلى عمّار بن ياسر، فكلّمهُ أن يركبَ مع عَلىٍّ، فأبىٰ. ومضىٰ علىٌّ فى [495] المهاجرين والأنصار، وهم ثلاثون رجلاً. فكلّمهم علىٌّ ومحمد بن مَسلمة حتى رجعوا.

فلمّا رجع علىٌّ إلى عثمان وأعلمه أنّهم رجعوا، وكلّمه علىٌّ كلامًا كان فى نفسه، وخرج إلى بيته، مكث عثمان ذلك اليوم حتى إذا كان الغد جاءَهُ مروانُ بنُ الحكم، فقال لَهُ:

ـ «تكلّم، وأعلِمِ النّاسَ أنّ أهلَ مصرَ عَلموا أنّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً، وقد رجعُوا، فإنّ خطبتَك تسير فى البلاد قبل أن يتحلّبَ[1] النّاسُ عليك من أمصارهم، فيأتيك أمرٌ لا تستطيع دفعَه.»

[فأبىٰ][2] عثمان، ولم يزل به مَروانُ حتّىٰ خرج، فجلس على المنبر، فحمد اللهَ وأثنىٰ عليه، ثمّ قال:

ـ «أمّا بعدُ، فإنّ هؤلاءِ القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ، فلمّا تيقّنُوا أنّه باطلُ رجعوا إلى بلادهم.»

فقال له عمرُو بنُ العاص:

ـ «إتّقِ اللهَ يا عثمان! فإنّك قد ركبتَ نهابيرَ[3] وركبناها معك، فتُب إلى الله نَتُب معك.»

فناداه عثمان: «وإنّك هناك يا ابن النابغة قَمِلت جُبّتك منذ عزلتُكَ عن العَملِ.»

فنودِىَ من ناحيةٍ أخرىٰ: «أظهِر [496] التّوبةَ ياعثمان يكفّ النّاسُ عنك.»

ونودى من ناحيةٍ أخرىٰ بمثل ذلك.

فرفع عثمان يَدَهُ واستقبل القبلة، فقال:

ـ «اللّهمّ إنّى أوّل تائبٍ إليك.»

ورجع إلى منزله.

ثمّ إنّ عليًا جاءَه، فقال له:

---

١) كذا فى الطبرى (٢٩٧٢:٦). وفى مط: يجتلب.

٢) الأصل مطموسٌ فى هذه الكلمة، فأخذناها من مط.

٣) جمعُ مفرده نهبور ونهبورةٌ: المهلكة.

ـ «تكلّم كلامًا يسمعه النّاسُ عامّةً ويشهد اللهُ على ما فى قلبك من النزوع والإنابة، فإنّ البلاد قد تمخّضت عليك، فلا آمَنُ ركبًا آخرَ يقدَمون من الكوفة أو البصرة، فتقول لى: اركب اليهم، فلا أركبُ، ولا أسمعُ لك عُذرًا، وتَرانى قدقطعتُ رَحِمكَ واستخففتُ بحقّكَ.»

فخرج عثمان، فخطب الخطبةَ المشهورة الّتى يقول فيها:

ـ «إنّى نَزَعتُ وتُبتُ ممّا فعلتُ، إذِ التّوبةُ خيرٌ من التّمادى فى الهَلَكةِ، واللهِ أيّها النّاسُ، لئن رَدّنى الحقُّ عبدًا، لأذِلّنّ ذلّ العبدِ، ولأكُونَنّ كالمَرقوقِ الّذى إن مُلكِ صَبرَ، وإن عَتقَ شكر. فليأتِنى وجوهُكم. فواللهِ لأنزلَنّ عند رأيكم، ولأنتهِيَنّ إلى حُكمكم.»

فرقّ له النّاسُ وبكىٰ مَن بكىٰ منهم، وعَلَتِ الأصواتُ بالنّشيج.

فقال له سعيدُ بن زيدٍ:

«إتّقِ اللهَ [497] يا أميرالمؤمنين فى نفسِكَ، وأتمم على ماقُلتَ.»

فلمّا نزل عثمان وجد فى منزله مَروانَ، وسعدًا، ونفرًا من بنى أميّة لم يَشهدوا الخطبة.

قال مروان: «يا أميرالمؤمنين، أتكلّمُ، أم أصمتُ؟»

فقال بعض أهله: «لا، بل اصمت، فأنتم واللهِ قاتلوه، إنّه قال مقالةً مشهورةً لا ينبغى أن ينزعَ عنها.»

فاقبل عليها[1] مروان بكلامٍ قبيحٍ إلى أن سكّتها عثمانُ. ثمّ قال مروان: «أتكلّم، أم أصمتُ؟»

قال: «بل تكلّم.»

فقال مروانُ: بأبى وأمّى، لَوَددتُ أنّ مقالتَكَ هذه كانت وأنت ممتنع منيعٌ، وكنتُ أوّل مَن رضى بها، وأعان عليها، ولكنّك قلتَ حين بلغ الحِزامُ الطُّبيَين، وحين أعطى الخُطّةَ الغليظةَ[2] الذليلُ، والله لإقامةٌ على خطيئةٍ تستغفر منها، أجملُ من توبةٍ تُجبَرُ عليها، وقد اجتمع بالباب مثلُ الجبالِ من النّاسِ.»

فقال عثمانُ: «فاخرُج إليهم، فكلّمهم، فإنّى أستحى أن اكلّمَهم.»

فخرج مروانُ إلى الباب والناس يركبُ بعضهم بعضًا، فقال:

ـ «ماشأنُكم؟ [498] قد اجتمعتُم كأنكم جِئتُم لِنَهبٍ، كلُّ إنسانٍ آخذٌ بأذُنِ صاحبِه، شاهَتِ الوُجُوهُ، ألا، مَن أريد؟ جِئتُم أن تنزعُوا مُلكَنا من أيدينا؟ أُخرجوا عنّا، أما والله لئن رُمتُمونا لَتلقَونَ ما لا يَسُرُّكُم ارجعوا، فواللهِ مانحنُ بمغلوبين على ما فى أيدينا.»

---

١) فى الأصل ومط: عليه. فصحّحناهابالطبرى. ٢) وفى الطبرى: الخطّة الذليلة الذليل.

فرجع النّاسُ إلى علىٍّ يشكون إليه. فجاءَ علىٌّ مغضبًا حتّى دخل علىٰ عثمان، فقال:

- «أما رضيتَ من مَروان ولا رَضِىَ منك، إلاّ بإخراجك عن دينك وعقلك، مثل جَمل الظَّعينة، يُقادُ حيثُ شاء ربّتُه[١]؟. والله مامَروانُ بذى رأىٍ فى دينه، ولا فى نفسه، وإنّى لأُراهُ سَيُوردُك ولايُصدرك، وما أنا بعائدٍ بعد هذا لِمُعاتبتِك، فقد أكثرتُ وأكثرتَ. أذهب[٢] شرفَكَ وغُلبتَ علىٰ أمرك.»

فلمّا خرج علىٌّ دخل إليه بعضُ أهله فقال:

- «إنّى سمعتُ قولَ علىٍّ لك، وإنّه ليس يعاودك، فقد خالفتَه مرارًا وأطعتَ مَروانَ.»

قال: «فما أصنعُ؟»

قال: «تتّقى اللهَ وحدَه وتُطيعُه يُرشدكَ، فإنّ مَروانَ ليس له [499] عند النّاس قدرٌ، ولا هيبةٌ، ولا محبّةٌ، وأراهُ سيقتُلكَ، فأرسل إلى علىٍّ واستصلحهُ، فإنّه يعطف عليك ولايُعصىٰ، وقولُه مقبولٌ.»

فأرسل عثمانُ إلى علىٍّ، فأبىٰ أن يأتيَهُ وقال:

- «قد أعلمتُه أنّى غير عائدٍ إليه.»

ومكث عثمانُ لا يخرج ثلاثة أيّامٍ حياءًا من النّاس. ثمّ ذهب عثمان بنفسه حتّى أتى عليًا فى منزله ليلاً، وجعل يقولُ:

- «إنّى غيرُ عائدٍ، وإنّى فاعلٌ، وإنّى فاعل[٣].»

فقال له علىٌّ: «أبعدَ ما تكلّمتَ به على منبر رسول اللهِ - صلّى‌الله عليه - وأعطيت من نفسِكَ، وبكيتَ حتّى اخضلّت لحيتُكَ بالدّمع، وأبكيتَ النّاسَ، ودخلتَ منزلَكَ. وخرج مروانُ إلى النّاسِ يَشتمُهم على بابكَ، ويتلقّاهم بما يكرهونَهُ؟»

وانصرف من عند علىٍّ، ولم يزل علىٌّ متنكّبًا عنه، لايفعل ماكانَ يفعل، إلاّ أنّه لمّا مُنعَ الماءَ وحُصرَ امتعضَ لهُ وغضِبَ غضبًا شديدًا، وكلّمَ طلحةَ وغيرَهُ حتّى دخلتِ الرّوايا إلى عثمانَ.

ولمّا رأىٰ عثمان مانزل به وما قد انبعث عليه من النّاس كَتَبَ إلى معاوية، وهو بالشّام، يسأله

---

١) فى الطبرى حيث يُسارُبه (٢٩٧٦:٦). مط: «حيث ساريته». والظعنية: الهودج، أو المرأة الّتى فيه. ٢) فى الطّبرى: أذهبتَ ٣) التكرار من النصّ فى «وإنّى فاعل». ويضيف الطبرى هنا: وهو يقول: قطعتَ رحمى، وخذلتنى، وجرّأتَ النّاسَ، فقلتُ: [والقائل علىٌّ] واللهِ إنّى لأذبُّ النّاسِ عنك، ولكنّى كلّما جئتك بهنةٍ أظنُّها لك رضىً جاءَ بأخرى، فسمعتَ قولَ مروان علىٌّ واستدخلت مروان (٢٩٧٩:٦).

أن يَبعثَ له مُقاتِلةَ الشام على كُلِّ صَعبٍ وذَلولٍ. [500] فلمّا جاءَ معاويةَ كتابُه تربَّص، وكرهَ إظهارَ مخالفةِ أصحاب النّبيِّ - صلّى‌الله عليه - فلمّا أبطأ نصرُه على عثمان كتبَ إلى أهلِ الشام يستنفِرُهُم، ويُعظِّم حقَّه، ويذكرُ أمرَ الخلفاء، وما أمرالله به من طاعتهم ويقول:

- «العجل، العجل، فإنّ القومَ مُعاجِليَّ.»

فقام قومٌ يُحضِّضون على نصره، وانتدب خلقٌ كثيرٌ.

وكتبَ عثمان إلى عبدالله بن عامرٍ بالبصرة: أن اندب إليَّ أهلَ البصرة؛ وكتب إلى أهلِ البصرةِ نسخةَ كتابه إلى الشام. فقامت الخُطباءُ من أهلِ البصرةِ بحضرةِ عبدالله بن عامر يحضّون على نصر[1] عثمان، وعلى المسير إليه، فيهم مُجاشعُ بن مسعودٍ، وهو يومئذٍ سيِّدُ قيسٍ في البصرةِ. فتسارع النّاسُ، وكان أشار مروانُ على عثمانَ بمقاربة مَن حولَه من أهلِ مصر وغيرهم حتّى يقوى، وقال له:

- «أعطِهم ماسألوك، وطاولهم ماطاوَلوك، وأرسِل إلى عليٍّ يُكلِّمهم.»

فراسَلَ عليًا وقال:

- «إنّ الأمر بلغ القتلَ، فارددِ النّاسَ عنّي، فإنّ الله لهم أن أُعتِبَهُم من كُلِّ مايكرهون؛ وأُعطيهم الحقَّ من نفسي وغيري، وإن كان في ذلك سَفكُ دمي.»

فراسله عليٌّ بأنّ:

- «النّاس إلى عَدلكَ أحوج منهم [501] إلى قتلكَ، وإنّي لأرىٰ قومًا لا يرضَون إلاّ بالرِّضا، وقد كنتَ أعطيتَهم في المرّة الأولىٰ من العهود ما نقضتَهُ، ولم تَفِ بِه لَهُم.»

فقال عثمان: «أعطِهم اليومَ مايُحبّون، فوالله لأفينّ.»

فخرج عليٌّ إلى النّاسِ، فقال:

- «أيّها النّاس! إنّكم إنّما طلبتُم الحقَّ وقد أُعطيتُموهُ. إنّ عثمان يزعم أنه مُنصِفُكم من نفسه ومن غيره، وراجعَ عن جميع ما تكرهون، فاقبلُوا منه»

قال النّاس:

- «قد قبلنا، فاستوثِق لَنا، فإنّا لانرضىٰ بقولٍ دونَ فعلٍ.»

فقال عليٌّ: «ذلك لكم.»

وأخبر عثمانَ الخبرَ، فقال عثمان: «إضرب بيني و بينهم أجلاً تكون لي فيه مهلةٌ، فإنّي

---

[1] نصر: سقطت من مط.

لاأقدرُ على ردّ ماكَرِهُوا فى يومٍ واحدٍ.»

فقال علىٌّ: «ماحضرَ بالمدينةِ فلا أجَلَ فيه، وما غاب، فأجَلُهُ وصولُ أمرِك.»

قال: «نعم، ولكن أجّلنى فى ما فى المدينة ثلاثة أيّامٍ.»

فقال علىٌّ: «نعم.»

فخرج علىٌّ، وكتبَ بينهم وبين عثمان كتابًا على الأجل، شرَطَ فيه أن يَرُدَّ كلَّ مَظلمةٍ، ويعزِلَ كلَّ عاملٍ كرِهَهُ المسلمون، ثمّ أخذ عليه فى الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحدٍ من خلقه من عهدٍ أو ميثاقٍ، وأشهدَ ناسًا من وجوهِ المهاجرين والأنصار. [502] فكفّ المسلمون عنه، ورَجَوا أن يَفِيَ لهم بما أعطاهم.

[يَومُ الدّار]

فجعل يتأهّب للقتال، ويستعِدُّ بالسّلاح، وكان اتّخذ جُندًا عظيمًا من رقيق الخُمسِ. فلمّا انقضت الأيّام الثّلاثة، وهو على حاله، لم يُغيّر شيئًا مِمّا كرِهُوهُ، ولا عزل عاملاً ثار به النّاسُ وهجموا. فدخلوا يومئذٍ وما سلّموا عليه بالخلافة، وقالوا:

ـ «سلامٌ عليكُم.»

فقال مَن حضره: «عليكم السّلامُ.»

فتكلّم النّاسُ، وذكروا ماصنع عبدالله بن سعدٍ بمصر من استيثاره بغنائم المسلمين، وتَحامُله عليهم وعلى أهل الذّمّةِ، فإذا قيل له فى ذلك، قال:

ـ «هذا كتابُ أمير المؤمنين.»

ثمّ ذكروا ما أحدثه بالمدينة وأطالوا، وقالوا:

ـ «إنّا رحلنا من مصر، لانُريدُ إلاّ دَمَكَ أو تنزع الخلافة، فردّنا علىٌّ ومحمّد بنُ مَسلمة، وضَمِنا له[1] النّزوع عن كلّ ماتكلّمنا فيه.. (ثمّ أقبلوا على محمّدٍ وقالوا: «هل قلتَ[2] لنا ذلك؟» قال محمدٌ: «نعم»).. فرجعنا إلى بلادنا حتّى إذا كنّا بالبُويب، أخذنا غلامَكَ على راحلةٍ من صدقات المسلمين ومعه كتابك وخاتَمُكَ إلى عبدالله بن سعدٍ تأمره فينا بِجَلدِ ظهورنا والمُثلةِ بنا بالقطعِ والحبس الطّويل، [503] وهذا كتابك، ثمّ فعلتَ وفعلتَ.»

فحمدالله عثمانُ وأثنى عليه وقال: «والله ماكتبتُ ولا أمرتُ ولا شوورتُ[3].»

١) كذا فى الأصل: ضَمِنًا له. وما فى مط: ضمنا لنا. ولكلا الضبطين وجهٌ من الصحّة. ٢) فى مط: ها أنت قلت. ٣) فى مط: ولا شاورت.

قالوا: «فمن كتبَهُ؟»

قال: «لا أدرى.»

قالوا: «فيُجترأ عليك، ويُبعثُ بغلامك، وجملٍ من صدقاتِ المسلمين، ويُنقَش[١] خاتَمُك، ويُكتبُ إلى عاملك فى إعلامِ المسلمين بهذه العظائم وأنت لاتعلم! ليس مثلُك[٢] مَن يَلى الخلافةَ، إخلع نفسَكَ من هذا الأمرِ كما خلعك اللهُ منه.»

فأبىٰ وقال: «لا أنزع قميصًا ألبسنيهِ اللهُ، ولكنّى أتوبُ مِن كلّ ماتكرهون.»

قالوا: «قد فعلتَ ذلك وكذبتَ، وقد وقعت عليك التُّهمة مع ما بَلَونا منك فى مرّاتٍ كثيرةٍ، من الجورِ فى الحكم والأثَرةِ فى القَسمِ، والعقوبةِ لِمَن أمرَ بالمعروف، وإظهارك التَّوبةَ مرّةً بعد مرّةٍ، ثمّ رجوعِك إلى كلّ مُنكرٍ. ولقد كنّا رجعنا عنك وماكان لنا أن نرجع حتّى نخلعَك ونستبدلَ بك مَن نرضاهُ، ومَن لم نجرّب عليه ما جرّبناهُ عليك، فاردُد خلافتنا.»

فأجابهم عثمانُ بجوابه الأوّل، فآذنوهُ[٣] بالحرب، وشدّدوا عليه الحصار. فصعِدَ بعضُ عَبيدِ عثمان إلى سطح داره، فدلّىٰ منه حجرًا، فقتل رجلاً يُقال له:دينار. [504]

فأرسلوا إلى عثمان أن:

- «أمكِنّا مِن قاتِلِه.»

فقال عثمان: «واللهِ ما أعرفُ قاتِلَه[٤].»

فباتُوا تلك اللّيلةَ. فلمّا أصبحُوا، وهو يومُ الجمعة، أحضروا نارًا ونفطًا، ودخلوا من ناحية الحرم[٥]، فأضرمُوا جوانبَ الدّار، فاحترقت.

فقالت عثمان لأصحابه:

- «ما بعدَ الحريق شىءٌ، فمَن كانت لى عليه طاعةٌ فَليُمسِك يَدَهُ، فإنّما يُريدُ نى القومُ، ولو كنتُ فى اقصاكم لَتَخطّوكُم إلىّ، ولو وَجَدُونى فى أدناكم ماتَخطّونى إليكُم.»

فأبى مروانَ وقال: «واللهِ لاوَصَلُوا إليكَ وفىّ رُوحٌ.»

وخرج إلى النّاس بسيفِه وعليه دِرعٌ. فناوَشوهُ القتال. ثمّ خرج إليه غلامٌ شابٌ طُوالٌ، فضربهُ مَروانُ على ساقِه، وضرب الغلامُ مروانَ على رقَبَتِه، فسقط لاينبض منه عِرقٌ، وقُتِلَ المغيرة بنُ الأخنس، وجُرح عبدُاللهِ بن الزّبير، وانهزم مَن فى الدّار، وخرجوا هُرّابًا فى طُرقِ المدينة،

---

٢) فى مط: فيفتق. ٢) فى مط: منك. ٣) فى مط: فاذنوه بالحرب. ٤) فى مط: ماأعرف قاتل (!)

٥) مط: من ناحيةٍ إلى الحرم.

وخَلِصَ إلى عثمان، فقُتِلَ قبلَ أن يلحقَه الغَوثُ مِن الأمصار.

أسماءُ كُتّابِ عثمان [505]

كتبَ له مروانُ بن الحكم، وكتب له عبدالملك بن مروان على ديوان المدينةِ، وأبوجُبيرة على ديوانِ الكوفةِ، وعبدالله بن الأرقم على بيتِ المالِ، وكتبَ أهيبُ مَولاه[1]، وكتب له حُمران مولاه، فأنكر عليه شيئًا، فنفاه إلى البصرةِ، فلم يزل بها حتّى قُتل عثمان.

سَبَبُ سُقوطِ هذا الكاتبِ مِن عَينِ عثمان

وكان سبب نفيه إيّاهُ أنّ عثمان اشتكى شكاةً، فقال له:

ـ «اكتب العهدَ بعدى لعبد الرَّحمان بن عوفٍ.»

فانطلق حُمران إلى عبدالرَّحمان بن عوفٍ فقال له:

ـ «البُشرىٰ!»

فقال: «لك البُشرىٰ، فماذا؟»

فأخبرهُ الخبر. فصار عبدالرَّحمان إلى عثمان، فأخبرهُ بما قال حُمران، فقَلِقَ عُثمان، وخاف أن يَشيعَ، فنفاهُ لذلك.

ذِكرُ تَدبيرٍ تَمَّ لِعُثمانَ بِمُعاوَنَةِ عَلىٍّ رضى الله عنه[2] وَرَأيِه لمّا حُصر عثمان الحصارَ الأول

كان علىٌّ بخيبر، فلمّا قدم أرسل إليه عثمان. فذهب إليه، فكلّمهُ عثمان، وأذكره بحقّه من الإسلام والقرابة والصِّهر، ومالَهُ فى عُنُقِهِ من العهد. ثمّ قال له:

ـ «ولو لم يكن من هذا شىءٌ، ثمّ كُنّا نحن [506] فى جاهليّة، لكان عيبًا على عبد منافٍ أن يبتزّهم أخوبنى تيم مُلكَهم».

يعنى طلحةَ، وقد كان اجتمع إلى طلحة قومٌ وطمع فيها.

فتكلّم علىٌّ، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال:

ـ «أما بعدُ، فكلّ ماذكرتَ من حَقّكَ علىَّ كماذكرتَ، وأمّا قولُك: لوكُنّا فى جاهليّةٍ لكان عيبًا

---

١) وكتب أهيب مولاه: سقطت من مط. ٢) فى الأصل: رضى‌الله عنه، وفى مط بدونها.

على عبد منافٍ أن يبتزّهم أخو بنى تيم؛ فصدقتَ وسيأتيك الخبرُ.»

ثمَّ خرج فدخل المسجد، فرأىٰ أسامةَ جالسًا، فدعاهُ، واعتمد عليه، وخرج يمشى إلى طلحـة. فلمّا دخل عليه، وجد دارَه ممتلئةً بالرِّجال، فقام عليه وقال:

- «يا طلحة! ماهذا الأمر الّذى وقفتَ فيه؟»

فقال: ياأباحَسَنٍ، أبعدَ مامسَّ الحزامُ الطُّبيين؟»

فسكت علىٌّ وانصرف حتّى أتىٰ بيتَ المال، فقال:

- «افتحوا هذا البابَ.»

فلم يقدر على المفاتيح، وتأخّر عنه صاحبُ المفاتيح، فقال:

«اكسروه.»

فكُسِرَ بابُ بيتِ المال، وقال:

- «أخرجوا المالَ.»

وجعل يُعطى النّاسَ. فبلغ الّذين فى دارِ طلحة ما صنع علىٌّ، فجعلوا يتسلّلون إليه، حتى تُرك طلحةُ وحدَه، وبلغ الخبر عثمان، فَسُرَّ به، ثمَّ أقبل طلحـة [507] عامدًا إلى دار عثمان. فقـال بعض الصَّحابةِ:

- «واللهِ لأنظرنَّ مايقول هذا.»

قال:

فتبعتُه، فاستأذن على عثمان. فلمّا دخل عليه، قال:

- «يا أميرَالمؤمنين، أستغفرَاللهَ وأتوبُ إليه. أردتُ أمرًا، فحال اللهُ بينى و بينه.»

فقال عثمان:

- «إنَّك واللهِ، ماجئتَ تائبًا، ولكنَّك جئتَ مغلوبًا. اللهُ حسيبُكَ ياطلحةُ.»

[خلافةُ الإمامِ عليٍّ]

ذِكرُ بَيعةِ عليٍّ بنِ ابى طالبٍ عليهِ السّلامُ

لمّا قُتل عثمان اجتمع عامّة المهاجرين والأنصار على عليٍّ[١]، فأتوه، فتأبّىٰ عليهم، وقال:

- «أنَا وزيرًا خيرٌ لكم منِّى أميرًا[٢].»

فارتدّ النّاس عنه وأتَوا طلحةَ والزُّبير فتكلّما فى قتل عثمان بما ظنّوه توعّدًا. فقالوا لِطلحة والزبير:

- «إنّ كلامكما لَوَعيدٌ.»

ثمّ انصرفوا عنهما وقال بعضهم لبعضٍ:

- «إن رجع النّاس إلي أمصارهم بقتل عثمان ولم يقُم بعدُ قائمٌ بهذا الأمر، لم نأمن اختلافَ النّاسِ وفسادَ الأمّة.»

فعادُوا إلى عليٍّ وخاطبوه. فأخذ الأشترُ بيد عليٍّ، فقبضها عليٌّ.

فقال الأشتر: «مالَكَ تَتعسَّرُ، [508] وأنتَ ترىٰ مافيه النّاسُ؟»

فقال عليٌّ: «أبعدَ ثلاثةٍ؟»

فقال لهُ الأشتر: «أما وَاللهِ لئن تركتَها لَتَعصِرنّ عَينَيك عليها حينًا.» فبايعوه.

وفى مارواه صاحب التّاريخ، قال:

اجتمع أهلُ الأمصار وقالوا:

- «دونكم يا أهلَ المدينةِ، فقد أجّلناكم ثلاثًا[٣]، فوالله لئن لم تفرغوا لنفعلنّ ولنفعلنّ.»

---

١) فى الأصل: رضى‌الله عنه، وفى مط: عليه‌السّلام. ٢) فى الأصل ومط: «أنا وزيرٌ خيرٌ لكم من أمير.» وفى الطّبرى (٣٠٦٦:٦): «إنّى أكون وزيرًا خيرٌ من أن أكون أميرًا.» ٣) كذا فى مط، وفى الأصل شطبٌ واضطرابٌ فى الرّسم.

فغشى النّاسُ عليًا وقالوا:

ـ «ترىٰ مانزل بالنّاسِ وما ابتلينا به من بين تلك القُرىٰ؟»

فقال عليٌ: «دَعُونى والتِمسوا غيرى، فإنّا مستقبلون أمرًا له وُجوهٌ. لا تقوم له القُلوب، ولا تثبت عليه العُقول.»

فقالوا: «ننشدك باللهِ. ألا ترىٰ مانرىٰ؟، ألاترى الفتنة؟ أما تخافُ اللهَ؟»

قال: «اعلمُوا أنّى ـ إن أجَبتكُم ـ ركبتُ بكم[١] ماأعلم، وإن تركتمونى فـإنّما أنا كأحدكم، ألا، إنّى أسمَعُكم، وأطوَعُكم لمن ولّيتُموهُ.»

فافترقوا على ذلك، واتّعدُوا لِغدٍ، وتشاور النّاسُ فى ما بينهم، وقالوا:

ـ «إن دخل طلحةُ والزّبيرُ فقد استقامت.»

فبعث المصريّون بصريًا إلى الزّبير وقالوا: «احذَر لاتُحابه.[٢]» ـ وكان رسولهم حكيم بن جبلة فى نفرٍ ـ فجاؤوا يحدونَه بالسّيف. وبَعثوا إلى طلحةَ [509] كوفيًا وقالوا: «احذر لا تُحابِه.» وبَعثُوا بنفرٍ، فجاؤوا يحدونه بالسّيفِ. وبعثوا الأشتر إلى عليٍّ، وأهلُ الكوفة وأهلُ البصرة شامتون بصاحبيهم، وأهل مصرَ فرحونَ بما اجتمع عليه أهل المدينة، وقد صار أهلُ الكوفة والبصرةِ كالأتباع، وهم جشعون.

فلمّا أصبحوا يومَ الجمعة حضر النّاسُ المسجدَ. وجاءَ عليٌ حتّى صعد المنبر، فقال:

ـ «يا أيّها النّاسُ، عن مَلأٍ وإذنٍ، إنّ هذا أمركم ليس لأحدٍ فيه حقٌ إلاّ مَن رضيتُم وأمّرتُم، وقد افترقنا بالأمسِ على أمر، فإن شئتُم قعدتُ لكم، وإلاّ فلاأحَدَ على أحَدٍ.»

قالوا: «نحن على ما افترقنا عليه بالأمسِ.»

وقام الأشتر، فقَدّم طلحةَ، وقال له:

ـ «بايع.»

فقال: «أمهِلنى أنظر.»

فجرّد سيفَهُ وقال: «لَتُبايِعَنّ، أو لأضَعَنّهُ بين عينيكَ.»

فقال طلحة: «وأينَ المذهب[٣] عَن أبى حسنٍ.»

فصعدَ المنبرَ، فبايَعهُ. فنظر رجلٌ من بعيدٍ يقتاف، فقال:

---

١) مط: رأيت مابكم! ٢) مط: لاتخافه (وكذلك فى الموضع الآتى). ٣) وفى الطبرى ٦:٣٠٦٩: «أين المَهربُ منه.» وفى مط: «فقال طلحة واذهب (!) عن أبىحسن».

ـ «إنَّا لله، أوَّلُ يَدٍ[1] بايَعَت أميرَالمؤمنين يَدٌ شَلاَّءُ، لايَتِمُّ هذا الأمرُ أبدًا.»

وكان طلحةُ وقى رسولَ الله بيده حين رأىٰ سَهمًا أقبل نحو وجهِه، فأصابَ السَّهم يَدَهُ، وشَلَّت يَدُه.

ثمَّ قَدَّم الزُّبير، [510] فبايع، وفى الزُّبير خلافٌ، ثمَّ تتابع النّاسُ بالبيعة لايكرهُها أحدٌ، وذلك يومَ الجمعةِ لِخمسٍ بقين من ذى الحجَّة سنة خمسٍ وثلاثين.

وخطبَ علىٌّ ـ رضىالله عنه ـ خطبتَه المشهورة[2]؛ واجتمع إلى علىٍّ عدَّةٌ من الصَّحابة فيهم طلحة والزُّبير، فقالوا:

ـ «يا علىُّ، إنّا اشترطنا إقامةَ الحدود، وإنَّ هؤلاءِ القومِ قد اشتركوا فى قتل هذا الرَّجل، وأحلُّوا[3] بأنفسهم.»

فقال لهم: «يا إخوتاه، إنِّى لستُ أجهلُ ماتعلمون، ولكن كيف أصنع بقومٍ يملكوننا ولا نملكُهم. هاهُم هؤلاءِ، وقد ثارت معهم عبيدُكم، وثابَت إليهم أعرابُكم، وهم خِلالَكم، يسومونكم ماشاؤوا، فهل ترونَ موضعًا لقدرةٍ على شىءٍ ممّا تُريدون؟»

قالوا: «لا.»

قال: «فإنِّى والله لا أرىٰ إلاّ رأيًا ترونَه، إلاّ أن يَشاءَ اللهُ. إنَّ النّاسَ من هذا الأمرِ ـ إن حُرِّك ـ على أمورٍ: فرقةٌ ترىٰ ما تَرونَ، وفرقةٌ لاترىٰ ماترونَ، وفرقةٌ لاترىٰ لاهذا ولا هذا، حتّى يهدأ النّاسُ وتَقعَ القلوبُ مواقعَها، وتُؤخذَ الحقوقُ. فاهدأوا[4] عنّى، وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عُودوا.» [511]

ثمَّ إنَّ بنىأميَّةَ تهاربت وخرجت عن المدينة. فاشتدَّ علىٌّ ـ عليهالسَّلام ـ على قريشٍ وحال بينهم وبين الخروج على حالها تلكَ.

ثمَّ خرج علىٌّ فى اليوم الثّانى فقال:

ـ «يا أيُّها النّاس، أخرجوا عنكم الأعرابَ.»، وقال:

ـ «يا أيّها الأعرابُ، إلحَقُوا بمياهِكم.»

فأبتِ السَّبائية، وأطاعَهم الأعراب. ودخل علىٌّ بيتَه، ودخل عليه عدَّةٌ من أصحاب رسولِ اللهِ ـ صلَّىاللهُ عليه ـ فيهم طلحةُ والزّبيرُ.

---

١) يد: سقطت من مط. ٢) أنظر الطبرى ٦: ٣٠٧٨. ٣) كذا فى الأصل والطبرى: «وأحلّوا» بالهاء المهملة وفى مط: «وأخلّوا» بالخاء المعجمة. ٤) مط: فاهدوا.

فقال لهم علىٌّ: «دونكم ثاركم، فاقتُلوه.»

فقالوا: «قدعَسَوا[1] عن ذلك.»

فقال لهم: «هم والله بعدَ اليوم أعسى[2].» وتَمثَّلَ:

وَلَو انَّ قَومى طاوَعَتنى سَراتُهم أمرتُـهُمُ أمـرًا يُـديخُ الأعَادِيـا

وقال طلحةُ: «تَدَعُنى، فآتى البصرةَ، فلا يفجأوك إلاّ وأنا فى خيل.»

وقال الزُّبير: آتى الكوفةَ، فلا يفجأوك إلاّ وأنا فى خيل.»

فقال: «حتّىٰ أنظُرَ.»

وسمع المغيرة بذلك المجلس.

ذِكرُ رأى جيّدٍ للمُغيرة

فجاءَ المغيرة حتّىٰ دخل علىٰ علىٍّ - عليه‌السّلامُ - فقال:

- «إنّ حولك مَن يُشيرُ ويَرى، ولك عَلَىَّ حقُّ الطّاعةِ، وإنّ النُّصحَ رخيصٌ، وأنت بقيّةُ الناس، [512] وأنا لك ناصحٌ. واعلم أنّ الرّأى اليومَ تحوز[3] به ما فى غدٍ، وأن الضّياع اليوم يضيع به ما فى غدٍ. أقرر معاويةَ على عَمَلِه، وأقرر ابنَ عامر على عمله، واردُد عُمّالَ عثمانَ عامَكَ هذا، واكتُب بإثباتِهم علىٰ أعمالِهم، فإذا بايَعُوا لك واطمأنَّ الأمرُ عزلتَ مَن أحببتَ، وأقررتَ مَن أحببتَ.»

فقال علىٌّ: «والله، لوكان ساعة من نهارٍ لاجتهدتُ فيها رأيى[4]، ولا ولّيتُ أمثالَ هؤلاء [ولا مِثلُهم يُولّىٰ[5]]، وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ المُضِلّينَ عَضُدًا[6].»

فقال المغيرةُ: «فإذ قد أبيت فاترك معاوية، فإنّ له جراءةً، وأهلُ الشّام يُطيعونَه، ولك حُجّةٌ فى إثباتِه، كان عُمر بنُ الخطّابِ قد ولاّهُ الشّامَ كُلَّها.»

فقال علىٌّ: «لا واللهِ لا أستعمله يومَين.»

فقام المغيرة وانصرف، ثُمَّ عاد إليه بعد ذلك، فقال:

- «إنّى أشرتُ عليك أوّل مرّةٍ بالّذى أشرتُ، وخالفتنى. ثمّ رأيتُ بعد ذلك رأيًا، وأنا الآنَ أرىٰ

١ و ٢) كذا فى الأصل، وفى مط: عصَوا، أعصىٰ. وفى الطّبرى: عَتَوا، أعتىٰ (٦:٣٠٨١). عَسى: جفّ وغلظ. ٣) وفى الأصل ومط: تحور. وفى الطبرى: تحرز (٦:٣٠٨٢) فأعجمنا الحرف الأخير بأمارة ما فى الطّبرى. ٤) مط: رأيا. ٥) تكملةٌ تطلّبها السّياقُ وهى من الطّبرى ٦:٣٠٨٣. ٦) س ١١ الكهف: ١٨.

أن تصنعَ الّذى رأيتَ، فتنزعهم، وتستعين بمن تثِقُ به، فقد كفى الله أمرَهم، وهم أهونُ شوكةً من ذاكَ.»

[رأىُ لابن عبّاسٍ وما أشارَ به على عَلىٍّ]

وخرج المغيرةُ، وتلقّاه ابن عباسٍ خارجًا. فدخل إلى علىٍّ، فقال:

ـ «يا أميرَالمؤمنين، أخبرنى [513] عن شأنِ المغيرة، ولِمَ خَلا بِكَ؟»

قال: «إنَّه جاءَنى بعد مقتل عثمان بثلاثة أيّام وقال: أخلِنى. ففعلتُ. فقال: كيتَ وكيتَ. فأجبتُه بكيتَ وكيتَ. فانصرف من عندى وأنا أعرف فيه أنَّه يَرىٰ أنّى مُخطئٌ. ثمّ عاد إلىّ الآنَ، فقال: كيتَ وكيتَ.

فقال ابن عبّاسٍ: «أمّا فى المرّةِ الأُولىٰ فقد نصحكَ، وأمّا فى المرّة الأخرىٰ فقد غشّكَ.»

قال له: «وكيف نَصَحَنى؟»

قال ابن عبّاسٍ: «لأنَّك تعلم أنّ معاوية وأصحابَه أهلُ دُنيا، فمتى تُثبتهم، لايُبالون مَن ولى هذا الأمر؛ ومتى تعزلهم، يقولوا: أخذ الأمرَ بغير شُورى وهو قَتلَ صاحبَنا؛ وحمَّلكَ ماقدر عليه من الذَّنب، فتنتقض عليك الشّامُ. ولا آمَنُ طلحةَ والزُّبير أن يكرّا عليك.»

فقال علىٌّ: «أمّا ماذكرتَ مِن إقرارهم، فوالله ما أشُكُّ أنّ ذلك خيرٌ فى عاجل الدُّنيا لإصلاحها، وأمّا الّذى يلزمنى من الحقّ، والمعرفة بعُمّالِ عثمان، فوالله لا أُولّى منهم أحدًا أبدًا، فإن أقبلوا فذلك خيرٌ، وإن أدبروا بذلتُ لهم السّيفَ.»

قال ابنُ عبّاسٍ: «فاطِعنى، وادخُل دارَك، والحَق بمالك بِيَنبع، وأغلِق بابَك. فإنّ العربَ تجول [514] جَولةً وتضطربُ، ولا تَجدُ غيرَك. فإنّكَ والله لو نهضتَ مع هؤلاءِ القومِ لَيُحمِّلنَّكَ النّاسُ غدًا دَمَ عثمان.»

فأبىٰ علىٌّ وقال لابن عبّاسٍ:

ـ «سر إلى الشّام، فقد ولَّيتُكَها.»

فقال ابنُ عبّاسٍ: «ما هذا والله برأىٍ. معاويةُ رجلٌ من بنى أميّة، وهو ابنُ عمّ عثمان، وعاملُه على الشّامِ. ولستُ آمَنُ أن يضربَ عُنُقى بعثمان، أو أدنى ما هو صانعٌ أن يحبسَنى فيتحكَّمَ علىّ.»

قال علىٌّ: «ولِمَ تظُنُّ ذلك؟»

قال: لِقرابة مابينى وبينَكَ، ولأنّ كلَّ ما عليك فهو علىّ؛ ولكن اكتُب إلى معاوية، فَمَنِّه،

وعِدّه.»

فقال علىٌّ: «إنّ هذا ما لا يكونُ أبدًا.» وتمثّل:

فَما ميتةٌ، إن مِتُّها غيرَ عاجزٍ   بِعارٍ، إذا ماغالَتِ النّفسَ غُولُها

فقال ابنُ عبّاسٍ: «أنتَ ـ يا أميرالمؤمنين ـ رجلٌ شجاعٌ، ولَستَ بأربٍ فى الحربِ. أما سمعتَ رسولَ اللهِ ـ صلّى اللهُ عليه ـ يقول: الحربُ خُدعةٌ؟»

قال: «بَلىٰ.»

قال ابن عبّاسٍ: «أنَا واللهِ، لَئن أطعتَنى لأُصدُرَنَّ بهم بعدَ وِردٍ، ولأتركنّهم ينظرونَ فى دُبُر الأمورِ، ولا يعرفون ماكان وَجهُها، فى غير نُقصانٍ عليك ولا إثمٍ [515] لك.»

فقال علىٌّ: «يا ابنَ عبّاسٍ، لستُ مِن هُنَيّاتِك وهُنَيّاتِ[1] مُعاوية فى شىءٍ، تُشيرُ علىَّ وأرى، فإذا عصيتُكَ فأطِعنى.»

فقال ابن عبّاسٍ: «أفعل، إنَّ أيسرَ مالَكَ عِندى السَّمعُ والطّاعةُ.»

[علىٌّ يفرِّق عمّاله على الأمصار]

وفرّق علىٌّ ـ عليه السّلامُ ـ عُمّاله فى سنةِ ستٍّ وثلاثين. فبعث عثمانَ بن حُنيفٍ على البصرةِ، وعُمارةَ بن شهابٍ على الكوفة، وعُبيدَاللهِ بنَ عبّاسٍ على اليمن، وقيسَ بنَ سعدٍ على مِصرَ، وسهلَ بنَ حُنيفٍ على الشّام.

فأمّا سهلٌ، فإنّه خرج حتّى إذا كانَ بتبوك لَقيتهُ خيلٌ.

فقالوا: «مَن أنت؟»

قال: «أميرٌ[2] على الشّام.»

فردُّوهُ، ولم يَدَعُوهُ يتجاوزُها.

وأمّا قيسُ بن سعدٍ، فإنّه لمّا انتهىٰ إلى أيلةَ، لَقيتهُ خيلٌ.»

فقالوا: «مَن أنتَ؟»

فقال: «مِن فالّةِ عثمان، أطلُبُ مَن آوى إليه، وأنتصِرُ به.»

قالوا: «فمَن أنتَ؟»

١) والضَبط فى الطَبرى (٣٠٨٦:٦): «هُنَياتك وهُنَيات معاوية» والأصل واحدٌ. فى مط: «هيئاتك وهيئات معاوية».
٢) ويُضيف الطَبرى هنا: قالوا: على اىّ شىءٍ؟ قال:.... (٣٠٨٧:٦).

قال: «قيسُ بن سعدٍ.»

قالوا: «امضِ.»

فدخل مِصرَ فاقترنَ النّاسُ: فبعضهم دخل فى الجماعة وكانوا معه، وفِرقةٌ اعتزلت وقالت:

- «إن قُتِلَ قَتَلَةُ عثمان [فنحن معكم][1]، وإلاّ فنحنُ على جَديلتنا.»

وامّا عثمان بن حُنيف، فإنّه سار، ولم يَردّهُ احدٌ عن دُخولِ البصرةِ، ولم يُوجَد لابنِ عامر فى ذلك رايٌ ولا تدبيرٌ، [516] وافترق النّاسُ بالبصرةِ كما افترقوا بِمصرَ.

وامّا عُمارةُ، فلمّا صار بزُبالةَ، لَقِيَهُ طُليحةُ بن خُويلدٍ، وكان خرج يطلبُ بدمِ عثمان. وقال له:

- «إرجع، فإنّ النّاسَ لا يُريدون بأميرِهم بَدَلاً، وإن ابيتَ ضربتُ عُنقكَ.»

فرجع وهو يقولُ: «أحرز الخطر ما تماسَك الشرُّ خيرٌ مِن شرٍّ منه»[2] - فصار مثلاً.

وعلقه عمّار بن ياسرٍ إلى ان قُتِلَ.

وانطلق عُبيدُالله بنُ عبّاسٍ إلى اليمن. فجمع يعلى بن اميّة كلّ مال كان جَباهُ، وخرج وسار على حاميته إلى مكّة، فقدمَها بالمالِ.

فدعا علىٌ طلحةَ والزّبير فقال:

- «إنّ الّذى كُنتُ احدّثكم به قد وقع، وانّما هى فتنةٌ كالنّارِ، كلّما سُعّرت ازدادت واستنارت.»

فقالا له: إئذن لنا نخرج من المدينةِ.».

فقال: «سأمسِكُ الأمرَ ما استمسكَ، فإذا لم اجد بُدًا فآخِر الدّاءِ الكَىُّ.»

وكتب إلى ابى موسىٰ، وهو بالكوفه، وإلى مُعاوية، وهو بالشّام. فامّا ابوموسى فكتب إليه بطاعة اهلِ الكوفة، وبَيّنَ الكارِهَ منهم لماكان، والرّاضىَ بما كان، حتّى كان عَلىٌ على الواضحة[3] من امر اهلِ الكوفة. [517]

وامّا معاوية فلم يكتب بشىء، ولم يُجبِ الرّسولَ، وجعل يُردّدُهُ. وكان كلّما تنجّزهُ تمثّل بشعرٍ[4] لا يحصل منه على بيّنةٍ، حتى احكم امرَ نفسه، وواطأ مَن اراد. واتىٰ على الرّسولِ ثلاثةُ اشهر. ثم دَعا بأحدِ ثِقاته، ووصّاهُ، ودفع طومارًا مختومًا إليه، عنوانه: «مِن معاوية إلى علىٍّ.»

وقال: «إذا دخلتَ المدينة فاقبض على أسفل الطُّومار لِيقرأ النّاسُ العنوانَ.»

---

١) تكملةٌ اوردناها عن الطّبرى ٣٠٨٨:٦. ٢) وفى الطّبرى: إحذر الخطرَ مايماسك الشرّ خير من شرٍّ منه (٣٠٨٨:٦). ٣) كذا فى مط: الواضحة. وفى الطبرى (٣٠٨٩:٦): «المواجهة». ٤) تجد الشعر عند الطّبرى ٣٠٩٠:٦.

ثمّ أوصاه بأشياء يفعلها، ويقولُها، وسرّح رسولَ عليٍّ معه.

فلمّا دخلا المدينة رفع رسولُ معاويةَ الطومارَ، فتفرّق النّاس إلى مَنازلهم وقد علموا أنّ معاوية مُمتنعٌ، ومضى الرّسولُ حتّى دخل على عليٍّ، فدفع إليه الطُّومار، ففضّ خاتَمه، فلم تجد فى جوفه كتابًا.

فقال للرّسول: «ماوراءَك؟»

قال: «آمِنٌ أنا؟»

قال: «نعم، لَعَمرى إنّ الرُّسُلَ لآمِنةٌ.»

قال: «وَرائى أنّى تركتُ قومًا لايَرضَون إلاّ بالقَوَدِ.»

قال: «مِمّن؟»

قال: «مِن خيطِ رقبتكَ، ولقد تركت ستّين شيخًا يبكى تحتَ قميص عثمان وهو منصوبٌ لهم، قد ألبَسُوهُ منبَر دمشق.»

فقال: «مِنّى يطلبون دَمَ عثمان، ألستُ موتورًا [518] كَتِرة عُثمان؟ اللّهمّ إنّى ابرأ إليكَ من دَمِ عثمان، نَجا واللهِ قَتَلةُ عثمان إلاّ أن يشاءَ اللهُ، فإنّه إذا أرادَ أمرًا أمضاه، اُخرُج.»

قال: «وأنا آمِنٌ؟»

قال: «وأنتَ آمِنٌ.»

فخرجَ وصاحبُ السَّبائية واقفٌ. فقالوا:

ـ «هذا الكلبُ وافِدُ الكلابِ، اقتلُوهُ.»

فنادى: «يا آلَ مُضَرَ، يا آل قيسٍ[1]، الخيلَ والنَّبلَ! احلفُ باللهِ ليردُّنّها عليكم أربعةُ آلافِ خَصِيٍّ، فانظروا كَمِ الفُحولةُ والرُّكّابُ.»

فتغاوَوا[2] عليه، ومنعتهُ مُضرُ، وجعلوا يقولون له:

ـ «اسكت لا أبا لَكَ.»

فيقول: «واللهِ، لا أسكتُ، فلقد أتاهم مايوُعدون.»

فيقولون له: «أسكت.»

فيقولُ: «لقد حلَّ بهم ما يَحذرون، انتهت واللهِ أعمارُهم، ذهبت واللهِ ريحُهم.»

١) وضُبط فى الطَّبرى: يالَ مُضر، يالَ قيس (= يا آل مضر، يا آلَ قيس) وفى الأصل: ياألمُضَر، يالقيسِ، فارجعنا الرّسم إلى أصله.

٢) فى مط: تعادوا. وفى الطبرى: تعادوا. وفى الكامل (٢٠٣:٣): تعاونوا

ولم يزل بذلك حتىٰ تبيَّنَ الذُّلُ فيهم، وتمَّ لمعاوية تدبيرُهُ هذا.

[علىٌ يُدبِّرُ لِقِتالِ أهلِ الفُرقةِ بالشام]

واستأذنَ طلحةُ والزبيرُ فى العُمرةِ، فأذِن علىٌ لهما، فلحقا بمكة، وأحبَّ أهلُ المدينة [أن يعلموا][١] ماراٰىٰ علىٌ فى مُعاوية وانتقاصه، ليعرفوا بذلك رأيَهُ فى قِتالِ أهلِ القبلةِ، أيُقدمُ عليه، أم يجزعُ منه. وكان بَلَغَهم أنَ الحسنَ ابنَهُ دخل عليه، وحذَّرهُ، ودعاه إلى القعودِ وترك النّاسِ. فدَسُّوا [519] زياد بن حنظلةَ التَّميمى، وكان منقطعًا إلى علىٌ، فدخل عليه وجلس إليه ساعةً. ثمَّ قالَ له علىٌ:

ـ «يا زيادُ، تيسَّر.»

قال: «لأىِّ شىءٍ؟»

قال: «لِغَزوِ الشام.»

قال زيادُ: «الأناةُ والرِّفقُ أمثلُ، وقال:

ومَن لايُصانع فى أُمُورٍ كثيرةٍ يُضَرَّس بأنيابٍ ويُوطأْ بِمَنسِمِ

فتمثَّلَ علىٌ وكأنَّه لا يُريدُهُ:

متىٰ تجمعِ القلبَ الذَّكِىَّ وَصارمًا وَأنفًا حَمِيًّا تَجتَنِبكَ المَظالِمُ

فخرج زيادُ على النّاسِ وهم ينتظرونَه، فقالوا:

ـ «ما وراءَك؟»

قال: «السَّيفُ ياقومِ.»

فعرفوا رأىَ علىٍّ.

ودعا علىٌ محمد بنَ الحنفيّة، فدفع إليه اللِّواءَ، ووَلَّى عبيدَالله بنَ عبّاسٍ مَيمنتَهُ، وعُمرَ بنَ أبى سلمةَ ميسرتَه، وجعلَ على مقدمته عُمرَ بن الجرّاح ابنَ أخى أبى عبيدةَ بنِ الجَرّاح، ولم يُولِّ أحدًا مِمَّن خرج على عثمان.

واستخلفَ على المدينة قُثَمَ بنَ العبّاس، وكتب إلى أبى موسى، وإلى قيس بن سَعدٍ، وإلى عثمانَ بنِ حُنيفٍ أن يندبوا النّاسَ إلى الشام، وأقبلَ يتجهَّز، وخطب النّاسَ، فدعاهم [520] إلى النُّهوضِ، وحضَّهم على قتالِ أهلِ الفُرقة.

---

١) الأصل ومط بدون «أن يعلموا» والتكملة من الطبرى (٣٠٩١:٦).

[إبتداءُ وَقعَةِ الجَمَل]

[طلحة والزُبَير يريدان البصرةَ للاصلاح!]

فبيناهو على ذلك، إذ أتاهُ من مكّة عن عايشةَ أمّ المؤمنين وطلحةَ والزُبيرِ شىءٌ آخرُ بخلافِ ماهو فيه. ثمّ أتاه عنهم أنّهم يُريدون البصرةَ لِلإصلاح. فقال:

ـ «إن فعلوا فقد انقطع نظام المسلمين، وماكان عليهم فى المُقام [فينا مؤونةٌ][1] ولا إكراه.»

فتَعَبّأ[2] للخروج نحوَهم، وخطبَ ونَدبَ النّاسَ، فتثاقلُوا.

ولمّا رأى زيادُ بنُ حنظلة تَثاقُلَ النّاس علىٰ علىٍّ انتدب وقال:

ـ «مَن تثاقلَ عنكَ يا أميرَالمؤمنين، فإنّا نُقاتل معك ونخِفُّ بين يَدَيكَ ماحملت أيدينا سيوفَنا.»

وأجابه رجلان من أعلامِ الأنصار.

[عايشة تريد طلحة]

ولمّا هرب بنوأميّةَ لحِقوا بِمكّةَ، فاجتمعُوا إلى عايشـةَ، وكانوا ينتظِرونَ أن يَلِيَ الأمرَ طلحـةُ، لأنّ هَوىٰ عايشةَ كان معه، وكانت مِن قبلُ تُشنّعُ على عثمان، وتَحُضُّ عليه، وتخـرج راكبةً بغلةَ رسولِ اللهِ ـ صلّىاللهُ عليه ـ ومعها قميصُه وتقول:

ـ «هذا قميصُ رسولِ اللهِ، صلّىاللهُ عليه، مابَلِيَ وقد بَلِيَ دينُه، أقتُلوا نعثَلاً، قتلَ الله نعثلاً.»

فلمّا صـار [521] الأمرُ إلى علىٍّ كَرِهته وعادت إلى مكّـة بعـدَ أن كانت متوجّهـةً إلى المدينة، ونادت:

ـ «ألا، إنّ الخليفة قُتِلَ مظلومًا، فاطلُبوا بدمِ عُثمان.»

[من استجابَ لِعائشةَ ومن اعتَزَلَ]

فأوّلُ مَن استجابَ لها عبدُاللهِ بنُ عامر، ثمّ قام سعيدُ بنُ العاصِ والوليدُ بنُ عُقبة وسـائر بنى أميّة. وكان قدِمَ عبدُالله بنُ عامرٍ قريبًا، ويعلى بن أميّة من اليمن، واجتمع رأيهم بعدَ نظرٍ طويل، وخِطابٍ كثير، على البصرةِ، وقالوا:

ـ «معاويةُ قد كفاكُمُ الشامَ.»

---

١) التكملة من الطبرى (٣٠٩٣:١). ٢) مط: فتبعا.

وكان مع يعلى ستّمائة بعير، وستّمائة ألف درهم، فأنفقها فى ذلك الوجه، وشـتَموا عبدالله بن عامر، وقالوا:

ـ «لا أنتَ مُسالمٌ ولا أنت محاربٌ، هَلاَ أقمتَ بالبصرةِ فمنعت حَوزتَكَ كما منع معاوية، أو هَلاَ أرفدتَنا اليومَ بِمالِكَ كما فعلَ يعلى بن أميّة.»

فتكلّم بما لم يَرضَوه فى جوابهم. وسأل النّاسُ غيرَ عايشة مِن أزواج النّبىّ ـ صلّى‌الله عليه ـ فأرادت حَفصةُ الخروجَ، فأتاه عبدُاللهِ بن عُمر بن الخطّاب، فطلبَ إليها أن تَقعدَ، فقعـدت. وبعثت أمُّ الفضل بنتُ الحـارث بن عبدِالمطّلب رجـلاً من جُهَينة، واسـتأجرته على أن يطوىَ ويأتىَ عليًا بكتابها، فقدِم مِن جِهتِها بالخبر على علىٌ. [522]

فأمّا المغيرة بنُ شُعبة وسعيدُ بن العاص، فإنّهما خرجا مِن مكّةَ مرحلةً مع القومِ، ثمّ تَشاورُوا. فقال المُغيرةُ:

ـ «عندى أنّ الرّأىَ لنا أن نعتزلَ الجميعَ، فأيُّهـم أظفـرهُ الله أتيناهُ وقلنا: كان هَوانا معـكَ وصَغْونا إليك.»

فاعتزلا وعادا إلى مكّة ومعهما غيرهُما.

[موقف آخر لسعيد بن العاص]

ويقال: إنّ سعيدَ بنَ العاصِ أتىٰ طلحة والزّبيرَ فقال:

ـ «إن ظفرتُما، لِمَن يكون الأمرُ؟»

قالا: «لأحدِنا، أيّنا رَضيَهُ المسلمون.»

قال: «لا، بل اجعلُوهُ لولد عثمان، فإنّكم خرجتم تطلبون بدمه.»

قالا: لا واللهِ، ماندَعُ مشايخ المهاجرين والأنصار ونجعل الخلافة فى أبنائهم.»

فقال: «ما أرانى أسعىٰ إلاّ فى إخراجها مِن ولدِ عبدِ منافٍ.»

[سؤالٌ وتَنازُعٌ حَولَ الإمرة]

فرجعَ مع مَن رَجعَ، و استمرَّ بالقومِ المسـير. فلمّا نزلوا ذاتَ عِرقٍ، أذَّن مَروانُ، ثمّ جـاءَ حتّى وقف عليهما، فقال:

ـ «على أيّكما أسلّمُ بالإمرةِ وأؤذّن بالصّلاة؟»

فقال ابنُ الزُّبير: «علىَّ أبى.»

وقال ابنُ طلحةَ: علىَّ أبى.»

وتنازَعا. فأرسلت عايشة إلى مَروان:

ـ «مالَكَ يامَروانُ! تريدُ أن تفرّق جماعتنا، لِيُصلّ ابنُ أختى بالنّاس.»

فكان يُصلّى بهم عبدالله بن الزُّبير حتّى قدِمُوا [523] البصرة. فكانوا يقولون:

ـ «لوظَفِرنا لافتتنّا[١]، وماكان لِيُخلّى الزُّبيريُّون الأمرَ لِطلحةَ، ولا الطَّلحيُّون الأمرَ للزّبير.»

وإنّ عليًا تجهَّز فى مَن خفَّ معه، يُبادرُهم لِيعترضَ عليهم دونَ البصرة، وخرج معه تسعمائة رجل، فى التعبئة الّتى كان تَعبّأ بها إلى الشّام، حتّى انتهى إلى الرَّبذة، وبلغهُ مَمَرُّهم وقد فاتُوه. فأقامَ هُناك يأتمرُ.

[إتّفاقٌ فى ذلك الوجه]

فَممّا اتّفقَ فى ذلك الوجه، أنّ صاحبَ الجمل ـ الّذى يقال له: «عسكر» وخبرُه مشهورٌ ـ حكىٰ أنّه: لمّا اشتُرى منه الجملُ بِحكمِه وركبته عايشةُ سالوهُ عن الطّريق، وهَل هُو خَبِرٌ؟

قال، فقلتُ: «أنا أهدىٰ مِنَ القَطا[٢].»

فاعطَونى دنانيرَ، وتقدَّمْتُهم، وكانوا يسألُونَنى عن كُلّ ماء، حتىٰ نزلوا الحَوءَب[٣]، فكان الحديث المشهور، فبينا نحنُ كذلك، إذا بابن الزّبير يركضُ ويُنادى:

ـ «أدرككُم علىَّ بنُ أبىطالب، النَّجا النَّجا.»

وشَتَمُونى ورحَلُوا، و انصرفتُ. فماسِرتُ إلاّ قليلاً حتّى لقيتُ علىَّ بنَ أبىطالب ومعه رَكبٌ، فقال:

«عَلَىَّ بالرّاكب.»

فأتيتُه.

فقال: «أين لقيتَ الظّعينةَ؟»

فقلتُ: [524] «مكان كذا، وقد بعتُهم جَمَلى وأعطَونى ناقتَها وهى هذه تحتى، وأعطَونى

---

١) مط: لابتلينا. ابن الأثير لاقتتلنا (٢٠٩،٣). ٢) «أهدىٰ من القطا» مَثَلٌ يُضربُ لِمن يُجيدُ معرفةَ الطرق والمسالك فى المجاهل والمفازات. وتجد حكاية صاحب الجمل هذا عند الطّبرى ٣١٠٩:٦. ٣) الحوءَب، موضع فى طريق البصرة وماءٌ من مياههم (يا).

كيتَ و كيْتَ.»

قالَ: «وقد رَكِبْتَه؟»

قلتَ: «نعم. وسرتُ معهم إلى الحوءَب وكانَ من أمرهم كذا وكذا، وارتحلوا واقبلتُ.»

قال علىٌ: «فهَل لك دَلالةٌ بذى قارٍ؟»

قلتُ «نعم.»

قال: «سِر مَعَنا.»

[علىٌ يستشير النّاسَ]
[والحسنُ يَذكرُ له ماكانَ قداشار به عليه قبلُ]

فَسِرنا حتّىٰ نزلنا بذى قارٍ. فأمرَ علىٌ بِجُوالَقين، فضمَّ أحدَهما إلى صاحبه، ثمّ جيءَ بِرَحلٍ، فوُضعَ عليه، ثمّ صَعِد عليه، وخطب النّاسَ وأعلَمهم الخبرَ. ثمّ استشارهم، فقام الحسن، فبكىٰ، وقال:

ـ «أشرتُ عليك فعصيتَنى، فتُقتلُ غدًا بِمَضيعةٍ[1] لاناصِرَ لك.»

فقال له علىٌ: «إنّك لاتزالُ تَحِنّ[2] حنينَ الجارية، وما الّذى أشرتَ به عَلَىَّ فعصَيتُكَ؟ تكلّم به لِيسمَعَهُ النّاسُ.»

قال: «كنتُ قُلتُ لك يومَ أحيط بعُثمان: أن تخرجَ من المدينةِ فلا تَشهدَ قتلَهُ فابيتَ. وقلتُ لَكَ يومَ قُتِلَ: لاتُبايع حتّىٰ يأتيكَ وفودُ العرب وبيعةُ أهلِ الأمصار؛ فابيتَ. ثمّ قلتُ لك حينَ فَعلَ الرّجلان مافعلا أن: تجلِسَ فى بيتِكَ حتّى يصطلحَ النّاسُ، فإن كان فسادٌ كان على يَدَى غيرِك [525] فعصيتنى فى ذلك كُلّه.»

فقال: «اى بُنَىَّ! امّا قولُك: لو خرجتَ من المدينةِ، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به. وأمّا قولُك: انتظِرهُ حتّى ياتيكَ الوفود وأهلُ الأمصار، فإنّ الأمرَ أمرُ أهلِ المدينةِ، وعقدُهم جائزٌ على المسلمين، وكرِهنا أن نُضيعَ هذا الأمرَ فتكونَ فِتنةٌ. وأمّا قولك حين خرجَ طلحة والزّبير أن اجلِس فى بيتكَ، فإنّ ذلك كان وهنًا على أهلِ الاسلام لوفعلتُه. ووالله مازلتُ مقهورًا منذ وُلدتُ، منقوصًا لا أصِلُ إلى حقّى، ولا إلى شىءٍ مِمّا يَنبغى لى. وأمّا قَولكَ: اجلِس فى بَيتكَ،

---

١) كذا فى الأصل. وفى الطبرى: بِمَضبَعَةٍ (٦:٣١١٠). وفى الكامل: بمضيعةٍ، بمعصيةٍ (٣:٢٢٢). ولعلّ الصحيح: بمَضبعة. ٢) ابن الأثير: تخنّ خنين (٣:٢٢٢) والأصل يطابق الطبرى (٦:٣١١٠).

فكيف لی بما لزمنی؟ أتريدُ أن أكونَ كالضَّبُع الّتی يُحاط بها ويُقال[١]: داب داب، أمّ عامر ليست هاهنا، حتّى يحلّ عرقوباها. إذا لم أنظر فی ما لَزِمَنى ويَعنينى فمَن ينظر فيه، فكُفّ عليك يابُنَی. إنّ النّبیّ ـ صلّى‌الله عليه ـ قُبضَ وما أرى أحقّ بهذا الأمر منّی، فبايع النّاسُ أبابكر، فبايعتُ كما بايَعُوا. ثمّ هلك أبوبكر ومارأى أحقّ بهذا الأمر منّی، فبايعَ النّاس عُمرَ، فبايعتُ [526] كما بايَعُوا. ثمّ هلك عُمرُ وما أرى أحقّ بهذا الأمرِ منّى، فجعَلَنی سَهمًا من ستّة أسهُم. ثمّ عُدل عنّی إلى عثمان، فبايعتُ كما بايع النّاسُ. ثمّ سار النّاسُ إلى [عثمان][٢]، فقتلوهُ، وأتونی طائعين غيرَ مُكرَهين، فبايعونی. فأنا مقاتلٌ بِمَن اتّبعَنی [مَن] خالَفَنی حتى يحكم اللهُ بيننا وهو خير الحاكمين.»

ولمّا قربت [عائشةُ] ومَن معها مِن البصرةِ قدّمت عبدَالله بن عامرٍ وقالت:

ـ «أنت لك صنائع [فاذهب] إلى صنائعك، فليَلقوا[٣] النّاسَ.»

وكتبت إلى رجالِ البصرةِ كالأحنف [بن قيس] وضبرة[٤] بن شيمان ووجوه النّاس، وأقامت بالحفير تنتظر الجوابَ.

[عثمانُ بنُ حُنيفٍ]

[يَبعثُ رَسولَين إلى عائشة وطلحةَ والزُّبَير]

[ولمّا] بلغ الخبرُ البصرة دعا عثمان بن حنيف عِمران بنَ الحُصين، وكانَ رجلَ عامّة، وأبا الأسود الدُّئلی وكان رجلَ خاصّة وقال:

ـ «انطلقا إلى هذه المرأة [واعلما] عِلمَها وعِلمَ مَن معها.»

فانتَهَيا إليها والنّاسُ بالحفيرِ، واستأذنا [فأُذِن لهما]، فسلّما وقالا:

ـ «إنّ أميرَنا بعثَنا إليكِ نسألكِ عَن مَسيركِ، فهل أنتِ [مخبرتنا]؟»

فقالت: «والله مامِثلی يَسيرُ بالأمرِ المكتومِ، ولا يمئى[٥] لِبنيه الخبر، [إنّ الغوغاءَ]، [527] ونُزّاعَ القبائل غَزَوا حرمَ رسولِ الله، ونالوا من قتل الامام، ما استحقّوا به لعنةَ اللهِ، وفعلوا

١) ابن الأثير: ويقال ليست هاهنا حتى يحلّ عرقوباها حتّى تخرج (٢٢٣:٣). ٢) الكلمات الّتی اثبتناها بين المعقوفتين بين صفحتی 527-526 هی الكلمات الأخيرة من اسطر صفحة 526 الّتی كانت مطموسةً، او غير ظاهرة فی التصوير فاثبتناها حسب مط والطبری ٣١١٥:٦. ٣) كذا فی الأصل والطّبری، وفی مط: فليقوا. ٤) كذا فی الأصل. وفی الطّبری (٣١١٥:٦) صبرة. ٥) كذا فی الأصل: «لايمئی»، وما فی القواميس: «مأى، مَأيًا» بفتح العين. والمَأىُ: النّميمة، الإغتياب، الفساد بين النّاس، ضرب بعضهم ببعضٍ، المبالغة فی الشّیء. وفی مط: ولا ←

وفعلوا. فخرجتُ فی المسلمین إلی هذا المصر، لأُعلمَهم ما فیه النّاسِ وراءنا، وما ینبغی لهم بأن یأتوهُ من الاصلاح، وقرأت: لا خیرَ فی کثیرٍ من نَجواهُم إلاّ مَن أمرَ بصَدَقةٍ، أو إصلاحٍ بین النّاسِ[١]، فهذا شأننا، نأمُرُکم بالمعروف ونَحُضُّکم علیه، وننهاکُم عن منکر، ونَحُثُّکم علی تغییره.»

فخرجا من عندها، وأتیا طلحةَ، فقالا ما قالا لِعایشةَ وسألاه: ما الّذی أقدمه؟

قال: «الطَّلبُ بِدمِ عثمان.»

قالا[٢]: «ألم تُبایع علیًّا؟»

قال: «بلی، واللجُّ فی عُنقی، وما أستقیل علیًّا، إن هو لم یَحُل بیننا وبین قَتلةِ عثمان.»

ثمّ أتیا الزّبیرَ، فقالا: «ما أقدمَكَ؟»

قال: «الطّلب بدم عثمان.»

قالا: «ألم تبایع علیًّا؟»

قال: «بلی، واللجُّ فی عُنقی، وما أستقیل علیًّا إن لم یُحامِ علی قتلة عثمان.»

ومضی الرَّجلان، حتّی دَخَلا علی عثمان بن حُنیفٍ. فبدر أبوالأسود عمرانَ وأنشد:

یا بنَ حُنیفٍ قد أُتیتَ فانفِر   وطاعنِ القومَ وجالِد واصبر [528]

وابرُز لهم مستلئما و شَمِّر

فقال عثمانُ بنُ حُنیف: «إنّا للهِ وَإنّا إلیه راجعُون[٣]. دارت رَحی الاسلام وربِّ الکعبة. فانظر أیَّ زیفان تَزیفُ.»

فقال عِمران: «إی واللهِ، لَتعرکَنَّکم عرکًا طویلاً.»

قال: «فأشِر عَلیَّ یاعمران.»

قال: «إنّی قاعِدٌ، فاقعُد.»

قال: «بل أمنعهم حتّیٰ یأتیَ أمیرالمؤمنین.»

فانصرف عمرانُ، وقام عثمان فی أمره، ونادیٰ فی النّاسَ، وأمرَهم بالتّهیُّؤ. فلبسوا السّلاح، واجتمعوا فی المسجد الجامع، وأقبل عثمانُ بن حنیف علی الکید.

← یمشی لبنیه الخمر، وفی بعض الأصول: «الحمر». وفی الطبری: «ولا یُعطی لبنیه الخبر» (٣١١٦٠٦). وفی الکامل: «لایُعطی...» (٢١١٠٣).

١) س ٤ النساء: ١١٤.   ٢) فی الأصل ومط: «قال» فصحّحناها.   ٣) س ٢ البقرة: ١٥٦.

[كيدٌ كادَ به عُثمانُ بنُ حُنيفٍ]

فممّا كادَ بِهِ لينظر مارأى النّاس: أن دسَّ رجلاً إلى النّاسِ كوفيًا قيسيًا يقال له: قيسُ بن العقديه، فقام وقال:

ـ «أيُّها النّاسُ، إنّ هؤلاءِ القوم الّذين جاءُوكم إن كانوا جاءُوا خائفين، فقدجاءُوا من مكانٍ بعيدٍ يأمَنُ فيه الطّيرُ؛ وإن جاءوا يطلبون بدمِ عثمان، فما نحنُ بقتلةِ عثمانَ. أطيعونى فى هؤلاءِ القوم، فرُدُّوهم من حيثُ جاءوا.»

فقال الأسودُ بن سريعٍ: «أوَ زعموا أنّا قَتَلَةُ عُثمانَ. إنّما فزعُوا إلينا [529] يستعينون[1] بنا على قَتلةِ عثمان مِنّا ومن غيرنا.»

فتكلّم القيسىُّ فحصبَه النّاسُ. فعرف عثمانُ أنّ لَهُم بالبصرةِ ناصرًا مِمّن معَهُ. فكَسره ذلك.

[إنتهاءُ عائشة ومَن معها إلى المربَد]

وأقبلت عائشةُ فى مَن معها، حتّى انتَهوا إلى المِربَدِ[2]، فدخلوا من أعلاهُ، وَوَقَفُوا حتّى خرج عثمانُ فى مَن معه، وخرج إليها مَن أرادَ أن يكون مَعها. واجتمعَ النّاسُ بالمربَدِ، وجعلُوا يتوثّبون، واغتصّ المكانُ بالنّاس.

فتكلّم طلحةُ وهو فى مَيمنةِ المربد، وعثمان فى[3] ميسرته، فأنصتُوا، فذكر فضلَ عثمان، والبلد، وما استحلّوا منه، وعظّم ما أتى إليه، ودَعا إلى الطّلب بدمِه، وقال فى آخر كلامِه:

ـ «إنّه حدٌّ مِن حدودِ اللهِ، فإن فعلتُم أصبتُم، وعادَ أمرُكم، وإن تركتُم لم يَقُم لكم سلطانٌ، ولم يكن لكم نِظامٌ.»

فقال مَن فى ميمنةِ المربَدِ: «صَدَقا وبَرّا».

وقال مَن فى الميسرةِ: «فجرا وغَدَرا. قد بايعا، ثمّ جاءا يقُولانِ مايقُولانِ.»

وتَحاصبَ النّاسُ، وتكلّمُوا. فتكلّمت عايشةُ. وكانت جَهيرةَ الصّوتِ؛ فحضّت [530] على الطّلب بدمِ عثمانَ والأخذِ بالكتاب الّذى يُدعَونَ إليه. وأقبل جاريةُ بنُ قدامَةَ السّعدىّ، فقال:

---

١) كذا فى مط. وفى الطّبرى: يستعينُوا (٣١١٨:٦). ٢) المِربَد: مربد البصرة. كانت محلّة من محالّ البصرة، وهى اليوم كالبلدة المنفردة عن البصرة، بينهما ثلاثة أميال. كانت متّصلةً بها، فخرب مابينهما، فصارت منفردة، وبها كانت مجالس الخطباء والشعراء (مع، يا). ٣) كذا فى مط والطبرى (٣١١٨:٦) والكامل (٢٠٦:٣): «فى ميسرته» وزاد فى الأصل كلمة «زهو» (وهو؟) بين كلمتى «فى» و «ميسرته» ولم يستقم معها المعنى، فحذفناها.

ـ «يا أمَّ المؤمنين، لَقتلُ عثمانَ أهونُ مِن خُروجِكِ مِن بَيتِكِ عُرضةً للسِّلاح. فقد كانَ لكِ سِترٌ مِن اللهِ وحرمةٌ: فهتكتِ سِترَكِ، وأبحتِ حُرمتَكِ. إنَّ مَن رأىٰ قِتالَكِ فهو يَرىٰ قَتلَكِ. فإن كُنتِ خرجتِ طائعةً فارجِعى إلى بيتِكِ، وإن خرجتِ كارهةً فاستعينى بالنّاس.»

وخرج رئيسُ كُلِّ طائفةٍ، فتكلّم. فقال بعضهم:

ـ «أمّا أنتَ يازُبيرُ، فحوارىُّ رسولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه ـ؛ وأمّا أنتَ ياطلحةُ فوَقيتَ رسولَ الله بِيدِك، وأرىٰ أُمّكما معكما، فهَل جِئتُما بنسائكما؟»

قالا: «لا.»

قال: «فما أنَا منكما.»

واعتَزَلَ.

[قِتالٌ وتوادُعٌ]

وأقبلَ حكيمُ بنُ جَبَلةَ فأنشبَ القتالَ، فاقتتلوا إلى اللّيل، وقُتِلَ خَلقٌ. ثمّ إنّهم تَوادَعُوا على أن يكتُبوا إلى المدينة، ويستعلموا[1] النّاسَ: هل بايعا مُكرَهَين؟ فإن بايَعا مُكرَهَين خرج عثمانُ بنُ حُنيفٍ، وإن كانا بايَعا طائعَين خرج طلحةُ [531] والزُّبيرُ.

فجرىٰ خَطبٌ طويلٌ بالمدينةِ لمّا وردَ الرّسولُ من البصرةِ، ليس لِذِكره وَجهٌ فى ما نحن بِسبيله.

وكان النّاسُ كتبوا بينَهم كتابًا شَرطَ فيه ألّا يُضارَّ أحدٌ بأحدٍ فى سوقٍ ولا طريقٍ إلى أن تعودَ الرُّسُلُ. إلّا أنّ محمّدَ بنَ طلحةَ قام يومًا فى المسجد مقامَ عثمانَ بن حُنيفٍ، فتعرَّض له عثمان، وجاءَ بعضُ الحرس، فنحّاهُ، وظنَّ أنّه جاء فى شرٍّ.

ووصل كتابُ عثمانَ بن حُنيفٍ إلى علىٍّ بماكان من النّاس. فكتبَ علىٌّ ـ رضى اللهُ عنه ـ يُعجِّزُهُ ويقول:

ـ «ما أُكرِها علىٰ فُرقةٍ، وإنّما أُكرِها على جَماعةٍ، فإن كانا يُريدان الخلعَ، فلاعُذرَ لهُما.[2]»

---

١) مط: ويستعظمون!

٢) وزاد فى الطّبرى: وإن كانا يُريدان غير ذلك نظرنا ونَظرا (٣١٢٥:٦). وانظر أيضًا الكامل ٢١٥:٣.

[ماجَرى على عثمان بن حُنيف]

فقدم الكتابُ على عثمان، واتّفقَ أن تأخّر ابن حُنيفٍ عن الصّلاة، فقدّما عبدالرّحمان بن عتّابٍ، فشهَر الزُّطُّ[١] السّلاحَ ومنعُوهُ. ثمّ اقتتلُوا فى المسجد، وصبرَ الرّجّالةُ لهم، فقتلوهم عن آخِرهم وهم أربعون رجلاً. وأدخلُوا الرّجالَ على عثمان؛ فما وصل إليه إلاّ بعد أن لحقه مكروهٌ عظيمٌ. [532]

وأرسلوا إلى عائشة يستشيرونَها فى أمره. فأمرت بقتلِه، فناشدَها قومٌ فيه، وأذكَرُوها بصحبتِهِ رسولَ‌الله ـ صلّى‌الله عليه ـ فأشار مجاشعُ بنُ مسعود بضربِه فضربُوه أسواطًا، ونَتفُوا شَعر لِحيَتِه ورأسِه حتّى حاجِبَيهِ وعَينَيه، واشفار عَينَيه. ثمّ حبَسُوهُ. فغضب لهُ قومٌ، وثارَ حكيم بنُ جَبلةَ، واصبح بيتُ المال والحرس فى يَدَى طلحةَ والزُّبير.

وقال حكيم بن جبلة: «لستُ أخاف اللهَ إن لم أنصر عثمانَ بنَ حُنيفٍ.

فجاء فى جماعةٍ من عبدالقيس وبكر بن وائل، فأتى ابنَ الزُّبير فى مدينة الرِّزق. فقال:

ـ «مالَكَ يا حكيم، ماتُريد؟»

قال: «أن نرتزقَ من هذا الطّعام، وأن تُخلُوا عثمانَ، فيقيم فى دار الإمارةِ على ما كتبتُم بينكم حتّى يقدم علىٌّ. وأيمُ الله لو أجِدُ أعوانًا لألحقنّكم بمن قتلتُم. فقد أحلّ اللهُ لَنا دِماءَكُم بمن قتلتُم من إخوانِنا. أما تخافون اللهَ، بِمَ تستحلُّونَ سفكَ الدِّماء؟»

قال: «بِدمِ عثمان.»

قال: «فالّذين قتلتموهُم قَتَلَةُ عثمان! أما تخافون [533] اللهَ ومقتَهُ وعُقوبتَهُ؟»

فقال ابن الزُّبير: «لا نرزقكم من هذا الطّعام، ولا نُخلّى سبيلَ عثمان بن حنيفٍ حتّى نخلعَ عليًا.»

قال حكيمٌ: «اللّهمّ إنّكَ حَكَمٌ عَدلٌ.»

ثمّ قال لأصحابه: «إنّى لستُ فى شكٍّ من قتالِ هؤلاءِ القوم.»

[قتال شديدٌ ضرب فيه رجل ساقَ حكيمٍ]

فاقتتلوا قتالاً شديدًا. وضرب رجلٌ ساقَ حكيمٍ، فقطعَها. فأخذ حكيم ساقَهُ ورَماهُ بها، فأصابَ عُنقَهُ، فصرَعَهُ. ثمّ حَبا إليه فقتلَهُ واتّكئ عليه، فانتهى إليه رجلٌ وقال له: «مَن قتلكَ؟» قال:

---

١) وفى الطّبرى وابن الأثير الزُّطُّ والسّيابِجةُ (نفس الصّفحتين).

«وسادتی.» وقُتِلَ سبعونَ رجلاً مِن عبدِالقيس. وقال حكيمُ حين قُطعت رجلُه:

يافَخذِ لَن تُراعی إنّ مَعی ذِراعی
[أحمی بها كُراعی][1]

فاحتمل الرّجلُ حكيمًا وضمّهُ فی ستّين مِن اصحابه. فتكلّم يَومئذٍ وإنّه لَقائمٌ على رجلٍ - وإنّ السُيوفَ لتأخذهُم - لايُتعتعُ:

- «إنّا خلّفنا هذين، وقد بايَعا عليًا، وأعطَياهُ الطّاعةَ، ثمّ اقبلا مُخالِفَين يطلبان بدمِ عثمان، وهما كاذبان؛ وإنّما أراغا[2] المالَ والامرةَ.»

وأخذتهُ السُيوف، فأنيمَ، وأنيمَ اصحابُه، وافلت حرقوصُ بن زهير وحده.

ونادىٰ مُنادی عايشة:

- «ألا مَن كان فيهم من قبائلكم احدُ ممّن غزا [534] المدينة، فليأتنا بهم.»

فَجِیءَ بهم كما يُجاءُ بالكلاب، فقُتِلوا. فما افلتَ منهم غير حرقوص. فخشّنُوا صدورَ بنی سعدٍ، وإنّهم لعثمانيةُ، حتّى انفردُوا. وغضب عبدالقيس لِمَن قُتل منهم بعدَ الوقعةِ، ثمّ أمرا للنّاسِ بأعطياتهم، وفضّلا أهلَ السّمع.

فخرجت عبدالقيس وكثيرُ من بكرِ بنِ وائلٍ. فبادرُوا إلى بيت المال، وركبهم النّاس، وخرجُوا حتّى نزلوا على طريق علىٌ، وأقام طلحةُ والزّبير بالبصرةِ ليس معهما مخالفُ.

وكتبوا إلى أهلِ الشّام بما صنعوا، وقَصُّوا القصّةَ وأطالوا، وذكروا أنّهم اقامُوا حدَّاللهِ، وأنّهم قد أعذَرُوا، وقَضَوا ما عليهم، فننا شدُكم اللهَ فی أنفسكم إلاّ نهضتُم بمثلِ ما نهضنا به. وكتبوا إلى أهلِ الكوفة بمثل ذلك، وإلى أهلِ اليمامة بمثلِه. وكتبت عائشة إلى أهلِ الكوفة كتابًا بليغًا طويلاً تحضُّهم على إقامة كتابِ اللهِ، وتذكر لهم ماصنعوا بالبصرةِ. وكتبت إلى رجالٍ بأسمائهم وقالت:

- «ثَبِّطُوا النّاسَ عن نصرةِ هؤلاءِ القوم، والزَمُوا بُيوتَكم».

ولمّا قتلوا حكيمًا واصحابَه همُّوا بقتلِ عثمان بن حُنيفٍ [535] فقال لهم عثمان:

- «ماشِئتُم، إنّ اخی سهلاً بالمدينة مع علىٌ، وهو والٍ بها، فإن قتلتمونی انتصرَ.»

فخلّوا عنه، وصلّى بالنّاسِ عبدُاللهِ بن الزّبير.

---

١) تكملةُ من الطّبری (٦: ٣١٣٠). وله رواية اخرى ايضا. انظر ٦: ٣١٣٦.

٢) مط: أرادا المال. اراغا: أرادا بالمكر والحيلة.

وكتبت عايشة بنتُ أبى بكرٍ إلى زيد بن صُوحان:

«مِن عايشةَ أمّ المؤمنين وحبيبةِ الرّسول إلى ابنهِ الخالص زيدِ بن صُوحان.

أما بعدُ، فإذا أتاك كتابى هذا فاقدم وانصرنا على أمرنا، فإن لم تفعل فخذّل النّاسَ عن علىّ بن أبى‌طالب.»

فكتب إليها زيدُ بن صُوحان:

«إلى عايشةَ بنتِ أبى بكرٍ. امّا بعدُ، فانا ابنُك الخالصُ إن اعتزلتِ من هذا الأمر، ورجعتِ إلى بيتكِ، وإلاّ فانا اوّلُ مَن نابَذكِ.»

وقال: «رحم‌اللهُ عايشةَ. أمِرت أن تلزمَ بيتَها، وأمِرنا أن نُقاتِلَ، فتركَت ما أُمرت بِه، وأمرتنا به، وصنَعت ما أمِرنا بِه ونَهتنا عنه.»

وكان على ـ عليه‌السّلام ـ حين انتهىٰ إلى الرَّبذةِ، أقام، وأرسلَ إلى أهلِ الكوفة، وكاتبهم، واستدعىٰ من المدينة ما احبَّ مِن سلاحٍ وغيره. وقدِم عثمانُ بن حُنيفٍ الرَّبذة على عَلىٍّ منتوفَ شعرِ الوَجهِ كلّه، وقال:

ـ «يا اميرَالمؤمنين [536] بعثتَنى ذا لحيةٍ، وجِئتُكَ أمردَ.»

قال: «اصبتَ خيرًا واجرًا. اللّهم احلُل ماعقَدا، ولاتُبرِم ما احكما، وأرِهِما المساءَةَ فى ما عَمِلا.[١]»

[ماذا يجرى فى الكوفة؟]

فامّا أهلُ الكوفةِ، فلمّا انتهىٰ إليهم رسولُ علىٍّ استشارُوا اباموسى. فقال لهم:

ـ «إنّما هُما امران: القعودُ سبيلُ الآخرةِ، والخروجُ سبيلُ الدّنيا.»

وجَعَلَ يُثبِّطُ النّاسَ. إلىٰ أن أنفذَ علىٌّ ـ عليه‌السّلام ـ ابنَ عبّاسٍ والأشترَ، فلم يُغنيا، وكان بعث بهاشم بن عُتبة إلى أبى‌موسى يستنفرُ الناسَ. فكتب إليه هاشمٌ:

ـ «إنّى قدمتُ على رجلٍ مُشاقٍّ ظاهر الغِلّ.»

فبعث علىٌّ الحسنَ وعمّارًا، وكتب إلى أبى موسىٰ:

ـ «امّا بعدُ، فكُنتُ أرىٰ أنّ بُعدَكَ من هذا الأمر الّذى لم يجعلِ اللهُ لك فيه نصيبًا سيمنعُكَ مِن رَدِّ أمرى. وقد بعثتُ الحسنَ بنَ علىٍّ، وعمّارَ بنَ ياسر، وبعثتُ قرطة بن كعبٍ واليًا. فاعتزِل عمَلَنا

---

١) أنظر الطبرى ٦:٣١٤٤.

مذمومًا مدحورًا.»

فقدم الحسنُ بنُ علىٍّ وعمّارُ بن ياسرٍ. فلطف الحسن وقال:

ـ «أيّها النّاسُ! أجيبُوا أميرَكم، وسيرُوا إلى إخوانكم. فإنّه سيُوجَدُ لهذا الأمرِ مَن ينفِرُ إليه. فواللهِ أن يليَهُ أهلُ [537] النُّهىٰ أمثلُ فى العاجلةِ، وخيرٌ فى العاقبة، فأجيبُوا دعوتَنا، وأعينُونا على ما ابتُلينا به وابتُليتُم.»

فقام زيد بن صُوحان فقال:

ـ «يا قومِ! سيروا إلى أميرالمؤمنين وسيِّد المسلمين، وانفِروا إليه أجمعين.»

فقام القعقاعُ بنُ عمرٍو، فقال:

ـ «أيّها النّاسُ! إنّى لكم ناصحٌ وعليكم شفيقٌ، ولأقولنّ لكم قولاً هو الحقُّ، أنه لابُدَّ لنا من إمارةٍ تنظم النّاسَ، وتردَعُ الظّالِمَ، وتُعِزُّ المظلومَ؛ وهذا علىٌّ وَلِىَ ما وَلِىَ، وقد أنصفَ فى الدُّعاءِ، وإنّما يدعُو إلى الإصلاح، فانفِروا، وكونوا مِن هذا الأمرِ بِمرأى ومسمعٍ.»

ثمّ تكلّم سيحانُ، وقال مثلَ قولِ القعقاعِ، وتكلّم عدىّ بنُ حاتم فى قومِهِ لمّا بلغه كلامُ الحسن وجوابُ النّاسِ وقال:

ـ «قد بايعنا هذا الرّجلَ، ودَعانا إلى أمرٍ جميلٍ، ونحنُ سائرون.»

وتكلّم هندُ بن عمرو، وحجرُ بن عدىٍّ، والأشترُ، وقالوا مثلَ ذلك. وقال الحسن:

ـ «أيّها النّاسُ! إنّى غادٍ، فمن شاءَ منكم أن يخرج معى على الظَّهرِ، ومَن شاءَ فليخرج فى الماءِ.»

فنفر معه تسعةُ آلافِ رجلٍ، ورُوِى أيضًا أنّهم كانوا اثنى عشر ألفًا، [538] وأُخرِج أبوموسى من القصرِ، وشدَّد عليه الأشتر.

[علىٌّ يُرسِلُ القعقاعَ إلى أهلِ البَصرة]

فلمّا وردوا على علىٍّ ذاقارٍ، تلقّاهم علىٌّ، فرحّب بهم، وأثنىٰ عليهم. ثمّ دعا القعقاعَ بن عَمرٍو، فأرسلهُ إلى أهلِ البصرةِ، وقال:

ـ «إلق هذين الرّجلين، فادعُهما إلى الألفةِ والجماعةِ، وعظّم عليهما الفرقةَ.»

ووصّاه بما أراد.

ثمّ قال له:

«كيف أنتَ صانعٌ فى ما جاءَك منهم ممّا ليس عندك وَصاةٌ منّى؟»

قال: «نلقاهم بالّذى أمرتَ به. فإذا جاءَنا منهما أمرٌ ليس عندنا منك فيه وَصاةٌ اجتهدنا الرّأىَ، وكلّمناهُم على قدر ما نسمع منهم ونَرىٰ أنّه ينبغى.»

قال: «أنتَ لها.»

فخرج القعقاعُ حتّى قدِمَ البصرةَ. فبدأ بعايشةَ، فسلّم عليها، ثمّ قال:

- «أى امّه! ماأشخصكِ. وما أقدمَكِ؟»

قالت: «أى بُنَىَّ! الإصلاح[1] بين النّاس.»

قال: «فابعثِى إلى طلحة والزّبير، حتّى تسمعى كلامى وكلامَهما.»

فبعثَت إليهما، فجاءا. فقال: سألتُ أمَّ المؤمنين: ما أشخَصَها وأقدمَها هذه البلاد؟ فقالت:

- «الإصلاح[2] بين النّاس.»

[فقلتُ]: «فما تقولان أنتما: متابعان، أم مخالفان؟»

قالا: «مُتابعان.»

قال: [539] فأخبِرانى ماوجهُ هذا الصّلاح؟ فوالله لَئن عرفناه لَنُصلِحَنّ[3]، وإن انكرناهُ لانُصلحُ.»[4]

قالا: «قَتَلَةُ عثمان. فإنّ هذا إن تُرِك كان تَركًا للقرآن، وإن عُمِل به كان إحياءًا للقرآن.»

قال: «قد قتلتم بالبصرةِ مَن زعمتم أنّهم قَتَلَةُ عثمان، وأنتم كنتُم قبلَ قتلهم أقربَ إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتُم ستّمائةٍ إلاّ رجلاً فغضِبَ لهم ستّةُ آلافٍ، فاعتزَلُوكم، وخرجوا من بين أظهُركم، وطلبتُم ذلك الواحدَ الّذى أفلتَ - يعنى حرقوص بن زهير - فمنعه ستّة آلاف وهم على رجلٍ[5]. فإن تركتموهم كنتم تاركينَ لما تقولُون، وإن قاتلتمُوهم والّذين اعتزلوا فأُديلوا عليكم، فالّذى حذِرتُم وقوّيتُم به هذا الأمرَ اعظمُ ممّا أراكم تكرهُون؛ وإن أنتم أحميتُم مُضَرَ وربيعةَ مِن أهلِ هذه البلادِ، فاجتمعوا على حربِكم وخِذلانِكم نصرةً لهؤلاءِ، كما اجتمع هؤلاء لأهلِ هذا الحدثِ العظيم والذّنب الكبير.»

قال: أقول: «إنّ هذا الأمر دَواؤه التسكين، فإذا سكن احتلجوا. فإن أنتم تابعتمونا فعلامةُ [540] خير، وتباشيرُ رحمةٍ، ودركُ بثارِ هذا الرّجل، وعافيةٌ لهذه الأمّة. وإن ابيتُم إلاّ مكاثرةَ هذا

---

١) فى الأصل: صلاح. ٢) فى الأصل: لصلاح. ٣) فى الأصل ليصلُحَنّ. ٤) فى الأصل لا يصلح.
٥) مط: دخل. وضبطه الطبرى «رجل» (٦:٣١٥٧). وما أثبتناه يوافق الطّبرى (٦:٣١٥٦) والكامل (٣:٢٣٣). وضُبِطَ فى الأصل «رَجل».

الأمرِ واعتسافَه كانت علامةَ شرٍّ، وذَهابَ هذا الثّأرِ، وفناءَ هذه الأمّة. فآثِروا العافيةَ تُرزَقوها، وكونوا مفاتيحَ خيرٍ كما كنتم تكونون، ولا تعرَّضُوا لِلبَلاءِ ولا تتعرَّضَ له فيصرعكم ويصرعنا. إنّ هذا الأمرَ الّذى أنتم فيه، أمرٌ ليس يُقدَّر، وليس كالأمور، ولا كقتلِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ، ولا النَّفرِ الرَّجُلَ، ولا القبيلةِ الرَّجُلَ.»

فقالوا: «إذًا أحسنتَ وأصبْتَ المقالةَ. فارجع، فإن قَدِم علىٌّ وهو على مِثلِ رأيِك صلح هذا الأمرُ.»

فرجع إلى علىٍّ، فأخبرهُ الخبرَ، فأعجبَهُ ذلك، وأشرف القومُ على الصُّلحِ، كَرِهَهُ مَن كَرِهَهُ، ورَضِيَهُ مَن رَضِيَهُ. وأقبلت وُفود البصرةِ نحوَ علىٍّ حين نزلَ بذى قارٍ. فجاءَ وفدُ تميمٍ وبكرٍ قبلَ رجوع القعقاعِ لِيَنظروا ماراىُ إخوانِهم من أهلِ الكوفةِ وعلى أىّ حالٍ نهضوا [إليهم[1]] وليُعلموا[2]هم أنّ الّذى عليه رأيُهم الإصلاحُ، ولايخطُر قِتالُهم على بالِهم.

فلمّا لَقُوا عشائرَهم [541] من أهلِ الكوفةِ بالّذى بَعثَهم فيه عشائرُهم مِن أهلِ البصرةِ، وقالوا لهم مِثلَ مقالتِهم، فأدخَلوهم إلى علىٍّ، فأخبروهُ بِخبرِهم. فسألَ علىٌّ جريرَ بنَ شَرَسٍ عَن طلحة والزُّبير، وعن نِيّاتِهما، فأخبرَهُ بدقيق أمرِهما وجَليله، و حتّى تمثَّل له [طلحةُ][3]:

ألا أبلغ بَنى بَكرٍ رسولاً   فليس إلى بَنى كعبٍ رَسُولُ
سيرجعُ ظُلمَكم مِنكُم عَلَيكُم   طويلُ السّاعدينِ لَهُ فُضولُ

فتمثّلَ علىٌّ عِندَها:

ألم تَعلَم أباسَمعان أنّا   نَرُدُّ الشّيخَ مِثلَكَ ذا الصُّداعِ
ونُذهِلُ عقلَهُ بالحَربِ حَتّىٰ   يَقُومَ، فيستجيبَ بغيرِ[4] داعِ
فدافعَ عن خُزاعةَ جمعُ بكرٍ[5]   وما بِكَ ياسُراقةُ من دِفاعِ

وتحدّث النّاسُ بهذِه الأبياتِ، وتداولُوها، لأنّ طلحةَ كان يُديمُ إنشادَ البيتينِ الأوّلَين.

ورجع القعقاعُ من عند أُمِّ المؤمنين وطلحة والزّبير بمثلِ رأيِهم. فجمع علىٌّ النّاسَ، ثمّ قام على الغرائر، فخطبَ، وذكر الجاهليّةَ وشَقاءَها [542] والإسلامَ والسّعادةَ، وإنعام اللهِ على الأُمّةِ بالجماعةِ، وحضَّ النّاسَ على الأُلفةِ. ثم قال:

---

١) تكملةٌ من الطّبرى (٦:٣١٥٨). ٢) فى الأصل ومط: وليعلمهم. فصحّحنا حسب الطّبرى. ٣) تكملة من ابن الأثير ٣:٢٣٤. ٤) وفى الطبرى: لغير. ٥) وضبط المصراع فى الطبرى أيضًا: فدافعَ عن خُزاعةَ جمعُ بكرٍ. (٦:٣١٥٨) وما فى الأصل: «فدافعُ.. جمعَ..».

ـ «إنّ قومًا حَسَدوا هذه الأمّةَ الّتى افـاءَ اللهُ عليهـا ما أفـاءَه على الفضـيلةِ، وأرادوا ردَّ الأمورِ على أدبارِها، واللهُ مُصـيبُ أمرَهُ، وبالغُ ما أراد. ألا وإنّى راحِـلٌ غدًا، فـارتحِلُوا. ولا يرحَلَنّ أحـدٌ أعانَ على عثمان بِشَىءٍ، فى شَىءٍ من امورِ النّاسِ، وَلْيُغنِ سُفَهاؤهم عَنّى أنفسَهُم.»

ذِكرُ السّبَبِ فى نَقضِ ما أشرفَ عَليهِ القومُ من الاصطِلاحِ

فاجتمع نفرٌ منهم: علباءُ بنُ الهَيثم، وعَدِىُّ بنُ حاتمٍ، وشُرَيحُ بن أوفى، والأشترُ، وغيرُهم مِن طبقتِهم مِمَّن سارَ إلى عثمان، أو رَضِىَ بسَيرِ مَن سارَ. وجاءَهُم ابنُ السَّوداء، وخـالدُ بنُ مُلجَمٍ، ومعهم المِصريُّون، فتشاوروا.

ذِكرُ آراءِ هؤلاءِ، وما تقرَّرَ عليهِ الرّأىُ فى ما اجتمعوا عليه، وذَبُّوا[1] لَهُ من الحيلةِ فى نقضِ الصّلحِ

فقال القومُ: «هذا واللهِ علىٌّ، وهو أعلمُ وأبصَـرُ بكتاب الله مِمَّن يطلبُ قَتلةَ عثمان، وأقـربُهم إلى العمل بذلك، وهو يقولُ مايقولُ، ولم ينفِر إليه إلّا هُم، والقليلُ من غيرِهِم. [543] فكيف به إذا شامَ القَومَ وشامُوهُ، ورَأوا قِلَّتَنا فى كثرتِهم. أنتم واللهِ تُرادُونَ، وما أنتم بأنجى[2] مِن شىءٍ.»

فقال الأشتر:

ـ «أمّا طلحـةُ والزّبير فقـد عرفنا أمرهُما. وأمّا علىٌّ فلم نعـرف أمرَهُ حتّى كان اليوم، ورأىُ النّاسِ فينا واحـدٌ، وإن يَصـطلِحُوا مع علىٍّ فعلىٰ دِمائنا. فهَلُمُّوا نَتوثَّب على علىٍّ[3] فتعـود فتنةٌ يُرضىٰ مِنّا فيها بالسّكوتِ.»

فقال عبدُاللهِ بنُ السّوداء:

ـ «بِئسَ الرّأىُ رأيتَ. أنتم يا قتلةَ عثمان مِن أهلِ الكوفة بذى قارٍ ألفـانِ وخمسـمائة. وهذا ابن الحَنظليّة فى خمسة آلافٍ بالأشواقِ إلى أن يَجِدوا إلى قتالِكُم سبيلاً فَارقَ[4] على ظَلعِكَ.»

وقال عِلباءُ بنُ الهيثم:

١) فى مط: «ذُبُوا» بالذّال المعجمة. ٢) فى مط: وما أنتم فتعود مابحى! وفى الطبرى أيضًا بأنجىٰ (٦:٣١٦٣). وفى الكامل: بالحىّ (٣:٢٣٥). ٣) وفى الطبرى (٦:٣١٦٤) وفى الكامل أيضًا: «على علىٍّ فنلحقه بعثمان» وفى بعض الأصول: «على علىٍّ وطلحة ونُلحقهما بعثمان» (٣:٢٣٥). ٤) إرقَ (أو: إرقا، أو: إربع) على ظَلعك: إنتهِ عمّا لاتُطيقُه. أو: لاتُجاوز حدّكَ فى وعيدِك وأبصر نقصكَ وعجزكَ، واسكت على ما فيك من العيب.

- «إنصَرِفُوا بِنا ودَعُوهم، فإن قَلُّوا كانَ أقوىٰ لِعدُوِّهم عليهم، وإن كثروا كان أحرىٰ أن يصطلِحُوا عليكم، ارجعوا فتعلَّقوا ببلدٍ من البُلدانِ، وامتنعُوا من النَّاسِ.»

فقالَ ابنُ السَّوداءِ:

- «بئس مارأيتَ، وَدَّ - واللهِ - النَّاسُ أنكم على جَديلةٍ، ولم تكونوا مع قوم بُرَءاءَ، ولو كان ذلك الّذى تقول لَتَخطَّفكم كُلُّ شىء.»

فقال عَدىُّ بنُ حاتمٍ:

- «واللهِ مارضيتُ، ولا كرهتُ. ولقد عَجِبتُ [544] مِن تَردُّدِ مَن تَردَّدَ عن قتله فى خوض الحديثِ. فأمّا إذا وقعَ ونزلَ من النَّاسِ بهذه المنزلةِ، فإنَّ لنا عِناقًا مِن خيولٍ، وسلاحًا محمولاً. فإن أقدمتُم أقدمنا، وإن أمسكتُم أمسكنا.»

فقال ابن السَّوداءِ: «أحسنتَ.»

وقال سالمُ بنُ ثَعلبةَ:

- «مَن كان أرادَ بما أتى الدُّنيا، فإنّى لم أُرِد ذلك. واللهِ لئن لقيتُهم غدًا لا أرجعُ إلى شىء[1]، ولئن طالَ بقائى إذا أنا لاقيتُهم لايردُّ علىَّ جزرجزورٍ[2]. وأحلفُ باللهِ، إنكم لتفرَقون السَّيفَ فَرَقَ قَومٍ لاتَصيرُ أمورُهم إلاّ إلى السَّيفِ.»

فقال ابن السَّوداء: «قدقالَ قولاً.»

وقال شُريحُ بنُ أوفىٰ:

- «أبرِمُوا أموركم، ولا تُؤَخِّرُوا أمرًا ينبغى لكم تعجيلُه، ولا تُعجِّلُوا أمرًا ينبغى لكم تأخيرُهُ، فإنّا عِند النَّاسِ بِشرِّ المَنازِلِ، فلا أدرى ما النَّاسُ صانعون غدًا إذا هم التقَوا.»

وتكلَّم عبدُالله بنُ السَّوداء فقال:

- «ياقومِ، إنَّ عِزَّكُم فى خُلطَةِ النَّاسِ، فصانِعوهُم. وإذا التَقَى النَّاسُ غدًا فانشِبُوا القِتال، ولا تُفَرِّغُوهُم للنَّظرِ الطَّويلِ. فإنَّ مَن أنتُم معه لايَجدُ بُدًّا من أن يَمتنعَ ويشغلَ الله عليًّا وطلحةَ والزُّبيرَ، ومَن رَأىٰ رأيَهُم، عمّا تكرهون، [545] فأبصِرُوا الرَّأىَ وتفرَّقُوا عليه والنَّاسُ لا يَشعُرُون.»

وأصبح علىٌّ علىٰ ظَهرٍ. فَمضىٰ ومَضى النَّاسُ حتّى انتهىٰ إلى عبدالقيس فنزلَ بهم والنَّاسُ

---

١) فى الطَّبرى: إلى بيتى. وفى حواشيه: إلى شىء (٣١٦٥:٦).

٢) فى الطبرى: لايَرِد علىٰ جزرِ جزور (نفس الصفحة).

يتلاحقون به وقد قطعَهُم. ولمّا بلغ أهلَ البصرة نزولُ علىٍّ حيثُ نزلَ اجتمعوا إلى طلحة والزّبير، وأشارُوا عليهما أن يبعثا خَيلاً فتُبيِّتَ[١] عليًا قبل أن يجتمعَ النّاسُ إليه.

فنهى الزّبيرُ وقال:

ـ «نرجُو الصُّلحَ، وقد رَدَدنا وافِدهم ـ يعنى القعقاعَ ـ على أمر، وأرجو أن يتمَّ.»

فقام صَبرةُ بنُ شيمان إلى طلحةَ فقال:

ـ «يا طلحة! أيتهزأُ بنا هذا الرّجل؟ إنّ الرّأىَ فى الحربِ خيرٌ مِن الشدّةِ.»

فقال:

ـ «ياصَبرةُ! إنّا وهم مسلمون، وهذا أمرٌ حدث، ولم يكُن قبلَ اليوم، ولَسنا ننتظر نُزولَ قرآنٍ فيه، ولا فيه مِن رسولِ اللهِ ـ صلّى‌اللهُ عليه ـ سُنّةٌ، وهُوَ علىٌّ ومَن معه.»

فأمّا أصحابُ علىٍّ فتحرّكوا. وقام[٢] علىٌّ فقال:

ـ «إنّ الّذى نَدعُو إليه مِن إقرار هؤلاء، هو شرٌّ، وهو خيرٌ مِن شرٍّ منه وهو كامنٌ، وقد كاد يبين لنا، وجاءَت الأحكامُ مِن المسلمين بإيثار أعمِّهما منفعةً وأحوَطِهما.»

واقبل [546] كعبُ بنُ سُورٍ، فقال:

ـ «ما تنتظِرُونَ ياقومِ بعدَ توردُكم أوائلَهم؟ اقطعُوا هذا مِن العُنُق.

فقالوا:

ـ «يا كعبُ! إنّ هذا أمرٌ بينَنا وبين إخواننا، وهو أمرٌ ملتبسٌ، وإنّ الشّىءَ يحسُنُ عندنا اليومَ، ويقبحُ عند إخواننا. فإذا كان مِن الغدِ قبحَ عندنا وحسُنَ عندَهُم، وإنّا لَنحتجُّ عليهم بالحُجّةِ، فلا يَرَونَها حُجّةً، ثمّ يحتجُّون بها على أمثالِنا. ونحنُ نرجو الصُّلحَ إن أجابونا إليه، وإلاّ فإنّ آخِرَ الدّاءِ الكَىُّ.»

ذِكرُ فتوىً
لِعَلىِّ بنِ ابى‌طالبٍ عَليه السّلامُ فى تِلكَ الحالِ

وقام إلى علىٍّ ـ عليه‌السّلامُ ـ جماعةٌ من أهلِ الكوفة يسالونَه عن إقدامِهم على القومِ، وسالُوه: ما الّذى يَرى.

---

١) فى الطبرى: فيُمسُوا هذا الرّجلَ ويُصبّحوُهُ قبل أن يُوافىَ اصحابه (٦:٣١٦٥). فصحّحنا.

٢) فى الأصل: قاموا علىٌّ!

فقالَ عَلىٌ: «الإصلاحُ وإطفاءُ النّائرة، لعَلَاللهُ يَجمعُ شملَ هذه الأمّة بنا، ويَضعُ حَربَهم. فقد أجابونى.»

قالوا: «فإن لم يُجيبُوا؟»

قال: «تَرَكناهُم ماتَرَكُونا.»

قالوا: «فإن لم يَترُكُونا؟»

قال: «دفعناهُم عَن أنفُسِنا.»

وقام إليه أبو سلامةَ الدّألانى[1] فقال:

- «أترَىٰ لِهؤلاءِ القومِ حجّةً [547] فى ما اجتمعوا لَهُ وطلبُوهُ مِن هذا الدّمِ؟»

قال: «نعم.»

قال: «فترى لك حُجّةً بتأخيرك ذلك؟»

قال: «نعم. إنّ الشّيءَ إذا كان لايُدرَكُ، فالحُكمُ فيه أحوَطُه وأعمُّهُ نفعًا.»

فقال: «ماحالُنا وَحالُهم إن ابتُلينا غدًا؟»

قال: «إنّى لأرجو ألاّ يُقتلَ أحدٌ مِنّا ومنهم تَقىٌ[2] قلبُه لله بما يصنعُ إلاّ دَخَلَ الجنّةَ.[3]»

[علىٌ يخطب سائلاً كفَّ الألسن والأيدى]

وقام علىٌ فخطبَ وقال:

- «أيُها النّاسُ! كُفُّوا السِنَتَكم عَن هؤلاءِ وأيديَكم، فإنّهم إخوانكُم، وإيّاكم أن تَسبِقُونا. فإنَّ المخصومَ مَن خُصِمَ اليومَ.»

ثمَّ ارتحلَ على تعبئةٍ، حتّىٰ إذا أطلّ على القَوم بعثَ إليهم:

- «إن كنتُم على ما فارقتُم القعقاعَ بنَ عمرو، فكفُّوا حتّى تنزلَ وننظُرَ فى هذا الأمرِ.»

فأقامُوا ثلاثةَ أيّامٍ لم يكن بينَهم قِتال.

---

١) وفى مط: الدّلاى (الدلامى؟)، وفى الطّبرى: الدّالانى (٣١٦٧:٦)، كما فى الكامل (٢٣٧:٣). وفى الأصل إهمالٌ وقد أعجمنا النون بامارة ما فى الطّبرى.
٢) فى الطّبرى: نقىٌ قلبُه (٣١٦٧:٦).
٣) وأضاف الطبرى هنا: وقام إليه مالك بنُ حبيب، فقال: ما أنتَ صانعٌ إذا لقيتَ هؤلاءِ القومَ؟ قال: قد بان لنا ولهم أنّ الإصلاحَ الكَفُّ عن هذا الأمر. فإن بايعونا فذلك، فإن أبوا وأبينا إلاّ القتال، فصدعٌ لايَلتئمُ. قال: فإن ابتُلينا فما بالُ قتلانا؟ قال: مَن أراد الله عزّوجلّ نفعَهُ ذلك وكان نجاتَه (٣١٦٧:٦).

قال:

فكنّا نُرسِلُ إليهم وندعُوهم. وبعث علىٌّ تلك العَشيّةَ عبدَالله بنَ عبّاس إلى طلحة والزّبير. وبعثا هُما مِن العَشىّ محمّدَ بنَ طلحة إلى علىٍّ وان[1] يكلّم كلّ واحدٍ صاحبَه.

فأرسل علىٌّ إلى رؤساءِ أصحابه ماخلا أولئك الّذين ساروا إلى عثمان، وأرسلَ طلحةُ والزّبيرُ إلى رؤساءِ أصحابِهما [548] وباتُوا على الصُلح بليلةٍ لم يبيتُوا بمثلها سُرورًا بالعافية مِمّا أشرفوا عليه، وباتَ الّذين أثارُوا أمرَ عثمان بشرِّ ليلةٍ باتُوها قطُّ، قد أشرفوا على الهَلكة، وجعلوا يتشاورُون ليلتَهم كلّها حتّى اجتمعوا على إمضاءِ ماكانُوا همُّوا به مِن إنشاءِ الحربِ فى السرّ، واستَسَرُّوا به خوفًا مِن أن يُفطَنَ لهم. فغَدَوا مع الغَلَس وما يُشعَرُ بهم. فانسلُّوا انسلالاً وعليهم ظُلمةٌ. فخرجَ مُضَرِيُّهُم إلى مُضَرِيِّهم، ورَبَعيُّهم إلى رَبَعيِّهم، ويَمانيُّهم إلى يَمانيِّهم، فوضعُوا فيهم السِّلاح، فتنادى أهلُ البَصرة، وثار كلُّ قومٍ فى وجوهِ أصحابِهم الّذين نهنَهُوهُم.

وخرج طلحةُ والزّبيرُ، ووجوهُ النّاس من مُضر، وبعثا إلى الميمنَةِ والمَيسرةِ فَعبَّوهُما، وقالا:

- «ما هذا؟»

قالوا: طرَقَنا أهلُ الكوفة ليلاً.

فقالا: «قد علمنا أنّ عليًّا غير مُنتهٍ حتّى يسفِكَ الدّماءَ ويستحلَّ الحُرمةَ، وأنّه لَن يُطاوِعَنا.»

ورجعا بأهل البصرةِ [وقصف أهل البصرة أولئك][2] حتى رَدّوهم إلى عسكرهم. فسمع علىٌّ وأهلُ الكوفة الصَّوتَ. وقدكان ابنُ السّوداء، والأشتر، وأصحابُهما قد وضعُوا رجلاً قريبًا [549] مِن علىٍّ، ووَصَّوهُ بما يُريدون. وقالوا:

- «إذا سمعتَ عليًّا يسألُ عن الخبر، فتقدّم وقُل كيتَ وكيتَ.

فلمّا قال على: «ما هذا؟» قال ذلك الرَّجلُ:

- «مافَجِئَنا إلاّ وقومٌ منهم قد بيَّتُونا، فرَدَدناهُم من حيثُ جاؤوا، فوجدنا القومَ على رِجلٍ، فركبوا وثارَ النّاسُ.»

وقال علىٌّ لصاحبِ مَيمنتِه: «إيتِ الميمنةَ.» وقال لصاحب ميسرته: «إيتِ الميسرةَ.»

وقال: «فلقد علمتُ أنّ طلحةَ والزّبيرَ غيرُ مُنتهِيَين حتّى يسفكا الدّمَ ويستحِلاّ الحُرمةَ، وأنّهما لَن يُطاوعانا»

---

١) كذا فى الطبرى: وان يكلم.. (٣١٦٧:٦).

٢) تكملةٌ عن الطّبرى (٣١٨٣:٦).

والسبائيةُ لاتفترُ [إنشابًا[1]].

فنادىٰ علىٌّ: «يا أيُّها الناسُ كُفُّوا، فلا شَىءَ!»

وكان يُحبُّ أن يُبدأ لِتكونَ الحجةُ على القومِ.

وخرج الأحنف بن قيسٍ وبنو سعدٍ مشمّرين قد بعثوا حرقوصَ بن زهيرٍ إلى علىٍّ، فقال:

ـ «يا عَلىُّ، إنَّ قومَنا بالبصرةِ يزعمون أنَّك إن ظهرتَ عليهم غدًا، إنَّك تقتل رجالَهم وتسبى نساءَهم.»

فقال: «مامثلى يُخافُ هذا منه. فهل أنتَ مُغنٍ عَنّى قومَكَ؟»

قالَ: «نعم. واخترَ مِنّى واحدًا مِن اثنين: إمّا أن آتيَكَ، فأكونَ معك بنفسى، وإمّا أن أكفَّ عنكَ عشرةَ آلافِ سَيفٍ.»

قال: «بل اكفُف عَنّى عشرةَ آلافِ سيفٍ.»

فرجعَ، [550] ودعا قومَهُ إلى القُعودِ والكفِّ، ففعلُوا.

[ماجَرىٰ بينَ علىٍّ وطلحةَ والزُّبيرِ من حَديثٍ]

ثمَّ إنَّ الزُّبيرَ خرج على فرسٍ له، عليه سِلاحٌ، فقيل لعلىٍّ:

ـ «هذا الزُّبيرُ.»

قال: «أما إنّه أحرى الرَّجلين إن ذُكِّرَ باللهِ أن يَذكُرَ.»

وخرج طلحةُ، فخرج إليهما علىٌّ، ودَنا مِنهما حتى اختلفت أعناقُ دَوابِّهما فقال علىٌّ:

ـ «لَعَمرى لَقد أعددتُما سِلاحًا، وخيلاً، ورجالاً إن كنتُما أعددتُما عُذرًا عندالله فـاتَّقِيا اللهَ، ولا تكونوا «كَالَّتى نَقَضَت غَزلَها مِن بعدِ قُوَّةٍ أنكـاثًا[2]» الم أكُن أخـا لَكُما فـى دينكما تُحـرِّمان دَمى وأحرِّم دَمَكُما؟ فهل من حَدثٍ أحلَّ لكُما دَمى؟»

قال طَلحةُ: «ألَّبتَ علىٰ عثمان.»

قال علىٌّ: «يَومَئذٍ يُوفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُم الحَقَّ، وتَعلَمُونَ أنَّ اللهَ هُوَ الحَـقُّ المُبِينُ.»[3] ياطلحـةُ، تطلبُ بدمِ عثمان، فلعنَ اللهُ أشدَّنا كان عليه. يازُبيرُ! أتذكر يومَ مَررتَ معَ رسولِ اللهِ ـ صلّى الله عليه ـ فى بَنى غَنمٍ، فنظر إلىَّ وضَحِكَ وضَحِكتُ إليه، فقلتَ: لايَدَعُ ابنُ أبى طـالبٍ زَهوَه؛ فقـال

---

١) تكملة من الطبرى (٦:٣١٨٣) وهى سـاقطة من الأصـل ومط. ٢) س ١٦ النَّحـل: ٩٢. ٣) س ٢٤ النّور: ٢٥.

لك رسول الله: مَه! إنّهُ ليس كذلك، وَلَتُقاتِلَنّهُ وأنتَ لَهُ ظالِمٌ؟»

فقال: «اللّهمَّ نَعم. ولَو ذكرتُ، ماسِرتُ مَسيرى هذا. واللهِ لا اُقاتِلُكَ أبدًا.» [551]

فانصرف علىٌّ، وحكى ذلك لأصحابه. ورجع الزُبير إلى عائشة فقال لها:

ـ «ما كُنتُ فى مَوطنٍ مُذ عَقلتُ وأنا أعرفُ فيه أمرى غيرَ مَوطنى هذا.»

قالَت: «ماتُريدُ أن تَصنعَ؟»

قال: «أُريدُ أن اَدَعَهم واَذهبَ.»

قال له ابنُه عبدُاللهِ: «جمعتَ هذين الغـارَين حتّىٰ إذا جـرّد بعضُـهم لبعضٍ أردتَ أن تتركَهـم وتذهبَ. أحسستَ راياتِ بن أبى‌طالبٍ وعلمتَ أنّها فِتيةٌ أنجادٌ.»

فغضبَ الزُبيرُ حتّى اُرعِدَ، ثم قال:

ـ «ويحكَ! إنّى قد حلفتُ ألاّ اُقاتِلَهُ.»

قال: كَفِّر عن يَمينِكَ.

فدعا غلامًا له يُقال له: مَسحولٌ فأعتَقَهُ. فقال عبدالله بن سليمان التَيمىُّ:

لَم أرَ كاليَومِ أخا إخوانٍ أعجبَ مِن مُكَفِّرِ الأَيمانِ

بالعِتقِ فى مَعصيةِ الرَّحمانِ

وإنّمَا حكينا هذه الحكايةَ، لأنَّ فيها تجربةً تُستفادُ، وإن ذهبَ ذلك على قـومٍ، فـإنّا نُنبّهُ عليه، وذلك أنَّ المُحنقَ رُبَما سكَّنَ بالكلامِ الصَّـحيح، والسَّـاكنَ رُبما أُحنِق بالزُورِ من الكـلام، وذلك بحسبِ تأتّى مَن يُريدُ ذلك، وإتيانِه مِن وجهِهِ. [552]

مايُحفَظُ مِن كَلامِ الأحنَفِ فِى الإعتِزالِ وحَضُّ النّاسِ عليهِ

إنّه لمّا رجع مِن عندِ علىٌّ لَقِيَهُ هِلالُ بنُ وَكيعٍ، وهو سَيّدُ رَهطِه، فقال:

ـ «ما رأيُكَ؟»

قالَ: «مكاتفةُ اُمّ المؤمنين. أفتَدَعُنا؟ وتعتزلُ عَنّا؟ وأنتَ سَيِّدُنا؟»

قالَ «إنّما أكونُ سَيِّدَكم غدًا إذا قُتِلتَ وبَقيتُ.»

فقالَ هِلالُ: «سبحانَ‌اللهِ تقولُ هذا وأنتَ شيخُنا؟»

فقالَ: «أنَا الشَيخ المَعصىُّ وأنتَ الشابُّ المُطاعُ.»

ولمّا ابتدأ القِتالُ قال علىٌّ لأصحابه:

- «أيُّكم يعرضُ عليهم هذا المصــحفَ ويَدعُوهُم إلى مافيه، فــإن قُــطِعَت يَدهُ أخَــذَهُ بيدِه الأُخرىٰ، فإن قُطِعت أخَذَهُ بأسنانِه؟»

فقال فتىً شابٌ: «أنا.»

فطافَ علىٰ أصحابه يَعرِضُ ذلك عليهم، فلم يَقبلْهُ إلاّ ذاك الفتىٰ.

فقالَ له عليٌّ:

- «إعرِض عليهم هذا وقُل: «هو بينَنا وبينَكُــم مِن أوّلِه إلى آخــرِه، فــاللهَ اللهَ فــى دِمائنا ودِمائكم.»

فحملَ القومُ على الفتىٰ وبيدِه المُصحفُ، فقُطعت يَداهُ، فأخَـذَهُ بأسـنانِه حتّىٰ قُتِلَ. فقـال علىٌّ لأصحابه:

- «قدطابَ لكمُ الضِّرابُ»

فقاتَلُوهُم، فالتحمتِ الحربُ، واشتدَ القتالُ إلى العصرِ. ثمّ انهـزمَ أصـحابُ الجملِ وعائشـةُ يومئذٍ فى هَودَجِها على الجملِ الّذى يُقـال له: [553] «عَسكَـر». وانهــزمَ الزُّبيرُ نحــوَ وادى السِّباعِ، وتشاغلَ النّاسُ عنه، واتّبعَهُ قومٌ. فلمّا رَأى الفُرسان تَتبعُهُ، كرَّ عليهم. فلمّا عرفُوه رجعُوا عنه، وتَركوهُ. وكان علىٌّ وصّاهُم ألاّ يَتبَعُوا مُدبِرًا، ولا يُجهِزُوا على جريحٍ.

وأصابَ طلحةَ سَهمٌ، فشَكَّ رُكبَتَهُ بِصفحةِ الفَرس، فـامتلأ مُوزَجُـهُ دَمًا وضَـعُف. فـانتهى إليه القعقاعُ فى نَفَرٍ وهو يقول:

- «إلىَّ عبادَالله! الصَّبرَ الصَّبرَ.»

فقال له:

- «يا با مُحمدٍ! إنّكَ لَجريحٌ، وإنّك عَمّا تُريد لَعليلٌ، فادخُلِ الأبيات.»

فقال: «يا غلام! ادخِلنى، وأبغِنى مكانًا.»

فأُدخِلَ ومعه غلامٌ ورجلان. واقتتلَ النّاسُ بعدَه، وأقبلَ النّاس فى هزيمتهم. فلمّا انتهـوا إلى الجملِ، عادُوا قلبًا كما كانوا حيثُ التَقَوا؛ وعادُوا فى أمرٍ جديدٍ، ووقفتِ الميمنَةُ والميسرةُ.

وقالت عائشةُ لكعبِ بن سورٍ وهو آخذٌ حطامَ الجملِ:

- «يا كعبُ: «خَلِّ عنِ البعيرِ، وتقدَّم بكتابِ الله، فادعُهُم إليه.»

ودفعت إليهم مُصحفًا. فاستقبلَهم بالمُصحفِ. وكانت السَّبائيَّةُ أمامَ النّاسِ يَخافون أن يَجرىَ الصّلحُ. فاستقبلَهم كعبٌ بالمصحفِ، وعلىٌّ يَزَعُهم، ويأبَون إلاّ إقدامًا، فرشَقُوا كعبًا رَشـقًا [554] واحدًا، فقتلُوهُ، ورَمَوا الهَودَجَ. فجعلت عائشةُ تُنادِى:

ـ «البقيَة، البقيَة يانَبيَّ اللهِ!»
فيأبون إلاّ إقدامًا.

[أوّلُ ما أحدثَته عائشةُ]

فكان أوّل ما أحدثته عائشة حين رأت النّاس يأبون إلاّ قتالها أن قالت:
«أيّها النّاسُ! العَنُوا قتلةَ عثمان وأشياعَهم.»
وأقبلت تدعو، وضجَ أهلُ البصرةِ بالدُّعاءِ. وسمع علىٌّ الدُّعاءَ، فقال:
ـ «ما هذه الضَجّةُ؟»
قالوا: «عائشة تدعُو ويدعون معها على قَتَلةِ عُثمان.»
فاقبلَ علىٌّ يدعُو ويقول:
ـ «اللّهمَّ العن قتلةَ عُثمان وأشياعَهم.»
وذمرت[1] عائشةُ النّاسَ لمّا رأت أنّ الناسَ لايُريدون غيرها ولا يكفّون. فازدلفت مُضَرُ البصرةِ، فقصفت مُضَرَ الكوفةِ حتّى زوحم علىٌّ. فكانت الحربُ صبيحةَ هذا اليومِ مع طلحة والزّبير، فلمّا انهزم الزّبيرُ، وأصيب طلحةُ، وذلك بعد الظّهر، صارت الحربُ مع عائشة.
قال محمدُ بن الحنفيّة: دفع أبى إلىَّ اللّواءَ، وقال:
ـ «احمل!»
فحملتُ حتّى لم أرَ موضعًا لحملةٍ ـ وقد كان زوحِمَ علىٌّ.
فنخس علىٌّ قفا محمّدٍ، وقال: «تقدّم!»
وقال: فلم أجد متقدَّمًا إلاّ على سنانٍ. فقلت:
ـ «لا أجد متقدَّمًا.» [555]
فَتناوَلَ الرُّمحَ من يَدى مُتناوِلٌ لا أدرى مَن هو، فنظرتَ، فإذا أبى بين يَدَىَّ. و [اقتتلت[2]] المجنَّبتان حين تزاحَفَتا قِتالاً يُشبهُ ما فيه القلبان، وارتجز الفُرسان، وكثُرَ القَتلىٰ وتَنادى الكُماةُ فى عسكر علىٍّ وعسكرِ عائشة، لمّا رأوا الصَّبر الشديدَ:
ـ «يا أيها النّاسُ! طَرِّفُوا إذا فُرِغ الصَّبرُ ونُزِع النَّصرُ.»

---

١) مط: وبرت. ٢) مط والأصل: واقبلت. وما أثبتناه يؤيده الطبرى (٦:٣١٩٣).

فجعلوا يتوخَّون[١] الأطرافَ: الأيدىَ والأرجُلَ، فما رأيتُ وقعةً قطُّ قبلَها ولا بعدَها، ولا سُمع بها، أكثرَ يَدًا مقطوعةً ورجلاً مقطوعةً مِنها، لايُدرىٰ صاحبُها. فكان الرَّجلُ مِن هؤلاءِ وهؤلاءِ إذا أُصيبَ بشىْءٍ مِن أطرافِه استقتل [إلى أن يُقتل[٢]].

ونادت عائشةُ مِن هودَجِها بصوتٍ عالٍ فيه كسرةٌ[٣].

- «إيهٍ، للهِ أنتم. جالِدُوا جِلادًا يُتفادى منه، بخٍ بخٍ، سُيوفُ أبطحيّةٌ، وسيوفُ قُرشيّةٌ.»

ونادت بنَوْضبّة: «ويهًا جمرةَ الجمراتِ.»

وأحدقوا بِجَمَلِها حتّى أسرع فيهم القتلُ ورقُّوا. وكانت عائشةُ تقول:

- «مازال رأسُ الجمل معتدلاً حتّى قُتلت بنوضبّةَ حَولى.»

وضَرَبُوا ضَربًا ليس بالتقدير، حتّى إذا كثر القتلىٰ وظهرَ فى العسكرِ التّطريفُ كرِه بعضُهم بعضًا، وارتدّتِ [556] المُجَنّبتانِ، فصارتا فى القلبِ. ثمّ تلاقَوا جميعًا بقلبيهم. فأخذ ابن يثربى برأسِ الجَملِ، وارتجز وادّعىٰ قتلَ علباءَ بن الهيثمِ، وزيد بن صوحان، وهند بن عمرٍو، فقال:

أنَا لِمَن يُنكِرُنى ابنُ يَثربى قاتِلُ عِلباءَ وهِندِ الجَمَلِ

وزيدِ صوحانٍ عَلىٰ دينِ علىّْ

فناداه عَمّارٌ: «لقد لُذتَ بِحريزٍ وما إليكَ من سبيلٍ، فإن كُنتَ صادقًا فاخرج مِن هذهِ الكتيبةِ إلىّ.»

فترك الزّمامَ، وبَرزَ حتّى كان بينَ صفِّ عائشةَ وصفِّ علىٍّ، وأقبلَ إليه عَمّارٌ، وهو يَومئذٍ ابنُ تسعين سنةً وقد شَدَّ وسطَهُ بحبلٍ، وعليه فَروٌ. فضربَهُ ابنُ يثربى فَنَحا[٤] لَهُ دَرَقَته، فنشب السيفُ فيها، وأسفَّ عمّارٌ لرجليه، فضربَهُ فقطعهما، فوقع على إستِه، وحماه[٥] أصحابُه فارتُثَّ[٦] بَعدُ، فأُتِىَ به علىُّ بنُ أبى طالبٍ. فقال:

- «استبقنى يا أميرَالمؤمنين.»

فقال: «بعدَ ثلاثةٍ تضربُ وجوهَهم بسيفِك؟»

وأمَرَ بِه، فضُرِبت عُنُقُهُ.

١) فى الطبرى: يتوخّون (٣١٩٤:٦). ٢) فى الأصل: إلاّ أن لا يُقتلَ. وفى مط: إلى أن لا يُقتلَ. وصحّحناه حسب الطبرى (٣١٩٥:٦). ٣) مط: كدرة. ٤) فى الطّبرى: فنحى له درقته (٣١٩٩:٦). والدَّرَقَةُ: الترس اذا كان من جِلدٍ. فى رواية أخرى من الطّبرى: فاتّقاه عمارٌ بدَرَقَتِه (٣١٩٦:٦). ٥) فى الطّبرى: وحمله أصحابه (٣١٩٧:٦). ٦) حُمِلَ من المعركة رثيثًا اى جريحًا.

وتتابع النّاسُ على زمامِ الجَمَلِ حتى قُتِلَ أربعون رجلاً يرتجزون ويأخذون [557] الخِطامَ فيقتلُون.

فحدّث عبدالله بنُ الزّبير قال:

أمسيتُ يومَ الجمل وبى سبعٌ وثلاثون جراحةً من طعنةٍ وضربةٍ، وما رأيتُ مثلَ يومِ الجمل قطُّ، ماينهزم منّا أحدٌ وما يأخذ بخِطامِ الجمَلِ أحدٌ إلاّ قُتِلَ. فأخذتُ بالخِطام، فقالت عائشةُ:

ـ «مَن أنتَ؟»

قلت: «ابنُ الزّبير.»

قالت: «واثُكل أسماءَ.»

ومرَّ بى الأشتر، فعرفتُه، وعانقتُه، وسقطنا جميعًا، وناديتُ:

ـ «أُقتلونى ومالكًا.»

فجاءَ ناسٌ مِنّا، فقاتَلُوا عنّا حتّى تَحاجزنا، وضاع مِنّى الخِطامُ. فسمعتُ عليًا وهو يُنادى:

ـ «إعقرُوا الجَملَ، فإنّه إن عُقِرَ تفرّقُوا.»

فضربه رجلٌ، فسقط، فماسمعتُ قطُّ أشدَّ مِن عَجيجِ الجَملِ.

وفى روايةِ أبى‌بكر بنِ عيّاشٍ عن عَلقمةَ أنّه قال:

قلتُ للأشتر: «قد كنتَ كارهًا لِقتلِ عثمان، فما أخرجك بالبصرة؟»

قال: «إنّ هؤلاءِ بايعُوهُ، ثمّ نكثوا، وكان ابن الزّبير هو الّذى هزَّ عائشةَ على الخُروجِ، فكُنتُ أدعُو اللهَ أن يُلقّينيهِ، فلقينى كفّةً لكفّةٍ[1]. فما رضيتُ لِشدّةِ ساعدى أن قُمتُ فى الرِّكابِ، فضربتُه ضربةً على رأسه فصرعتُه.»

قُلتُ: «فهو القائلُ: اقتلونى ومالكًا؟»

قال: «لا. ما تركتُه وفى نفسى منهُ شىءٌ. [558] ذاك عبدُالرّحمان بن عتّابِ بنِ أسيدٍ، لَقِيَنى، فاختلفنا ضربتين، فصرعنى وصرعتُه، فجعل يقولُ: نحنُ مُصطرِعُون، أُقتلونى ومالكًا، والنّاسُ لا يعلمون مَن مالكٌ، فلَو يعلمون لَقتلُونى.»

ثمّ قال أبوبكر بن عيّاشٍ: «هذا كأنّك شاهدُه[2].»

وتحدّث عوفُ بنُ أبى رجاء قال: رأيتُ رجلاً قد اصطلمت أُذُنُه فقلت:

---

١) مط كفة كفة. وفى الطبرى أيضًا: كفةً لكفةٍ (٦:٣٢٠٠). ومط: مُشاهده.

٢) فى الطبرى: «هذا كتابك شاهده!» (٦:٣٢٠٠).

- «أخِلقَةٌ، أم شىءٌ أصابَك؟»

قال: «أحدِّثُك: بَينا أنا أمشى بين القتلىٰ يومَ الجملِ، فإذا رجلٌ يفحصُ برجله، وهو يقول:

لقد أوردَتنا حَومةَ المَوتِ أمُّنا ... ولم نَنصرف إلاَّ ونحنُ رِواءُ[1]

قال: قلت: «يا عبدَالله قُل: لا إله إلاَّ اللهُ.»

قال: «أُدنُ مِنّى، وَلقِّنى، فإنّ فى أذُنى وَقرًا.»

قال: فدَنَوتُ مِنه، فقال لى:

- «ممَّن أنتَ؟»

قُلتُ: «رجلٌ مِن أهلِ الكوفة.»

قال:

فوَثَبَ علىٌّ، واصطلم أُذُنى كماتَرىٰ وقال:

- «إذا رجعتَ إلى امّكَ، فاخبِرها انّ عُميرَ بن الأهلب الضَّبّى فَعَلَ بِكَ هذا.»

وتمامُ أبياتِ عُميرِ بنِ الأهلبِ:

أطَعنا بنى تَيمِ بنِ مُرَّةَ شَقوَةً ... وهَل تَيمٌ إلاَّ أعبُدٌ و إماءُ

لقد كان عن نَصر ابنِ ضَبّةَ أمُّهُ ... وشيعَتَها مَندوحةٌ وغَناءُ [559]

ورُوى عن الصَّعبِ بن عطيّة قال: كان مِنّا رجلٌ يدُعىٰ الحارثَ، قال يومئذٍ:

- «يا آلَ مُضَرَ، علامَ نقتلُ بعضُنا بعضًا؟»

فنادَوا: «لاندرى، إلاَّ أنّا إلى قضاءٍ، وما يكفُون.»

وقال القعقاع بعد ذلك: ما رأيتُ شيئًا أشبهَ بشىءٍ من قتال القلب يوم الجمل بقِتالِ صفّين. لقد رأيتُنا نُدافعهم بِأسنّتِنا، ونتكئُ على أزِجّتِنا[2]، وهم مثل ذلك، حتى لو أنّ الرِّجال مَشَت عليها لاَستقلّت بِهم.

وقال عبدُالله بنُ سنان الكاهلى: لمّا كان يوم الجمل ترامَينا بالنَّبل حتّى [فنيت[3]]، وتَطاعَنّا بالرِّماح حتّىٰ تشبّكت فى صُدورنا وصُدورهم، حتّى لو سُيِّرت عليها الخيل لَسارت. ثمّ قال علىٌّ:

- «السّيوف يا أبناءَ المهاجرين.»

---

١) كذا فى مط والطَّبرى. ولكن الأصل يُشبه ان يكون «رداء».
٢) جمعٌ مفرده الزُّجُ: الحديدة التى فى اسفل الرُّمح، ويقابله السّنان، أو: نصل السّهم. او: الرّمح من باب تسمية الكلّ باسم الجزء.
٣) كذا فى مط والأصل غير واضح.

قال الشيخ: فما دخلتُ دار الوليد بالبصرة وسمعتُ صوتَ القصّارين يضربون إلاّ ذكرتُ ذلك اليوم، وما شبّهتُ هودج عائشة إلا بالقُنفُذ.

ثمّ أمر علىٌّ عليه السّلام بحمل الهَودج من بين القتلىٰ. وقد كان القعقاعُ وزُفرُبن الحارث أنزلاهُ عن ظهر البعير، فوضعاهُ إلى جنب البعير. فاقبل محمّد بن ابى‌بكر ومعه عمّارُ حتّى احتملاهُ، وادخلَ محمدٌ يَدَهُ.

فقالت: [560] «مَن أنتَ، ويلك؟»

قال: «أنَا اخوكِ محمدٌ.»

قالت: «بَل مُذمَّمٌ!»

قال: «يا أخيّة! هل أصابك شىء؟»

قالت: «ما أنت من ذاك؟»

قال: «فمَن إذًا الضُلاّلُ؟»

قالت: «بل الهُداةُ.»

وانتهىٰ إليها علىٌّ فقال: «كيف أنتِ أمّه؟»

قالت: «بخير.»

قال: «يغفرالله لَكِ.»

قالت: «وَلَكَ.»

وأمّا الزُبيرُ فإنّه تبعه ابنُ جرموز فقتلَهُ. وأمّا الأحنفُ فقصد عليًا ومعه ابنُ جرموز.

فقال علىٌّ لِلاحنفِ: «تربّصتَ.»

فقال: «ما كنتُ أرانى إلاّ قداحسنتُ، وبأمرك كان يا أميرَالمؤمنين، فارفُق، فإنّ طريقَكَ الّذى سلكتَ بَعيدٌ، وانتَ غدًا احوج منك امس، فاعرف إحسانى، وَاستصفِ مَودّتى، ولا تقولَنّ مِثلَ هذا. فإنّى لم أزل لك ناصحًا.[١]»

وحُملت عائشةُ إلى دارِ عبدالله بن خلف الخُزاعى. وكان عبدالله هذا قُتِلَ يومَ الجمعةِ مع عائشه، وقُتلَ عثمان أخُوهُ مع علىٌّ. وأمّا الجرحىٰ فإنّهم انسلُوا فى جوف اللّيل، ودخلوا البصرةَ مَن كان يُطيق الانبعاث.

وسألت عائشةُ عن عدّةٍ ممّن كانوا مَعها وممّن كانوا عليها. فكلّما نُعِىَ واحدٌ منهم قالت:

١) انظر: الطبرى، ٦:٣٢١٨.

«رحمهالله.» فأمّا علىٌ فصلّى على قتلىٰ هؤلاءِ، وجمع الأسلابَ إلى [561] المسجد بالبصرةِ، ونادىٰ: «مَن عَرَفَ شيئًا فليأخُذهُ، إلاّ سلاحًا كان فى الخزائنِ عليها سِمَةُ السُّلطان.»

وصلّى علىٌ فى المسجد، ثمّ دخل البصرةَ، فأتاهُ النّاسُ. ثُمَّ راحَ إلى عائشة على بغلتِه، وهى فى دار عبدالله بن خَلَفٍ، وهى أعظم دارٍ بالبصرةِ. فوجَدُوا النّساءَ يَبكينَ على عبدالله وعثمان ابنَى خلفٍ، وصفيّةُ بنتُ الحارثِ مختمِرةٌ تَبكى، فلمّا رأتهُ قالَت:

- «يا علىُّ، ياقاتِلَ الأحبّة، يامُفرِّقَ الجمع، أيتمَ اللهُ مِنكَ بَنيكَ كما أيتمتَ وُلدَ عَبداللهِ.»

فلم يَرُدَّ عليها شيئًا، ولم يَزل على حالِه، حتّى دخل علىٰ عائشةَ. فسلَّمَ عليها، وقَعَدَ عِندَها. ثُمَّ قال: «جَبَهَتنا صَفيّةُ. أمّا إنّى لم أرَها منذ كانت جاريةً حتّى اليوم.»

فلمّا خرج علىٌ أقبلت عليه، فاعادت عليه الكلامَ. فكفَّ بغلَتَهُ ثمّ قال:

«لهَمَمتُ - وأشار إلى بابٍ مِن أبواب الدّارِ - أن افتحَ هذا البابَ وأقتُلَ مَن فيه، ثُمَّ هذا، وأقتلَ مَن فيه.»

وكان ناسٌ من الجرحىٰ لَجَأوا إلى عائشة. فأُخبرَ علىٌ بمكانهم فتغافَل عنهم. فسكتت صفيّةُ، وخرج علىٌ.

فقال له رجلٌ مِنَ الأزدِ: «ما تُفلتُنا هذه المرأةُ.»

فغضبَ وقال: «مَه! لا تَهتِكُنَّ سِترًا، [562] ولا تَدخُلُنَّ دارًا، ولا تُهيجنَّ امرأةً بِأذىً وإن شَتمنَ أعراضَكم، وسفَّهنَ أمراءَكم وصُلَحاءَكم، فإنّهنَّ ضِعافٌ. وَلَقد كُنّا نُؤمَرُ بالكفِّ عنهنَّ وهُنَّ مُشركاتٌ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيُكافئُ المَرأةَ ويتناوَلُها بالضَّربِ، فيُعَيَّرُ به عَقِبُهُ من بعدِه. فلا يبلُغَنّى عن أحدٍ عَرَضٌ لامرأةٍ، فأُنكِّل بِه شِرارَ النّاسِ.»[1]

ومَضىٰ علىٌ، فلَحِقَ بِه رجُلٌ فقال: «يا أميرَالمؤمنين، قامَ رجلان مِمَّن لقيتُ على الباب فتناوَلا مَن هو أمضُّ لك شتيمةً مِن صَفيّة.»

قال: «ويحكَ، لعلّها عائشةُ!»

قال: «نَعَم.»

فبعث القعقاعَ بن عَمرو إلى البابِ. فاقبل بمَن كان عليه. فأحالُوا على رَجُلين.

فقال: «أُضرِب أعناقَهما..»

ثمّ قال: «بَل أُنهِكهما عُقوبةً..»

١) انظر: الطّبرى، ٦:٣٢٢٥.

ثمّ قال: «لا، بل أُضربهما مائةً وأُخرجهما مِن ثيابهما.»

ثمّ بايع أهلُ البصرة حتى الجرحىٰ والمستأمِنة. فلمّا فرغ مِن بيعتهم نظر فی بیت المال، فـاذا فيه ستّمائة ألفٍ. فقسمها علىٰ مَن شهد معه. فأصاب كلَّ رجلٍ منهم خمسمائة.

فقال لهم: «لكُم إن أظفَرَكُم الله بالشام، مثلُها إلى أعطياتكم.»

فخاض فی ذلك السَّبائيّة وطعنوا علىٰ علیٍّ مِن وَراءُ وَراءُ.

[سيرة علیّ فی من قاتل يوم الجمل]

وكان مِن سيرة علیٍّ ألاّ يقتلَ مُدبرًا، ولا يُذفِّف على جـريحٍ، ولا يكشـفَ سِـترًا، [563] ولا يأخذَ مالاً.

فقال قومٌ يومئذٍ:

ـ «ما يُحلُّ لَنا دماءَهم، ويُحرِّمُ علينا أموالَهم؟»

فقال علیٌّ: «القومُ أمثالُكم. مَن صفح عنّا فهو مِنّا ونحن منه؛ ومَن لجَّ حتّى يُصابَ فقِتالُه مِنّی على الصَّدرِ والنَّحر، وإنَّ لكم فی خُمسِه لَغِنًی.»

فيومئذٍ تكلّمت الخوارجُ.

وكتب كتابَ البشـارةِ إلى عامله بالمدينة. وكان زيادُ بنُ أبی سـفيان ممَّن اعتزلَ. فلمّا انجلتِ الحربُ، ذكَرَهُ علیٌّ، واستبطأهُ. فقال ابن اخيه عبدالرَّحمان بن ابی بكرة، وكان ورد مستأمِنًا:

ـ «هو مستأمنٌ يا أميرالمؤمنين.»

فقال: «إمشِ أمامی، فاهدِنی إليه.»

فَفعلَ. فلمّا دخل عليه قال: «**تقاعدتَ وتربَّصتَ.**»

فاعتذر زيادٌ. فقبِلَ عُذرَه، واستشارَهُ فی من يولّيه البصرةَ، وأرادَهُ عليها.

فقال: «يا أميرالمؤمنين، رجلٌ مِن أهلِ بيتكَ يسكُنُ إليه النّاسُ، فإنّه أجدرُ أن يطمئنّوا إليه، وسأكفيه وأشيرُ عليه.»

فافترقا على ابن عبّاسٍ، وَوَلّىٰ زيادًا الخراجَ وبيتَ المالِ.

[السَّبائيّةُ ترتحل بغير إذن علیٍّ]

وأعجلتِ السبائيّة عليًا عن المقام، وارتحلوا بغير إذنه. فارتحل على آثارِهم ليقـطعَ عنهـم امرًا إن كانُوا أرادُوهُ. وقد كان له مُقامُ لَولاهُم. [564]

وكان عدّةُ القتلىٰ يومَ الجمل عشرة آلافٍ مِن الفريقين.

وتحدّث النّاسُ:

إنّ أهلَ المدينة علموا بيومِ الجملِ يومَ الخميس قبل أن تغربَ الشّمسُ، وفيه كان القتالُ، وذلك مِن نسرٍ مرَّ بماءِ حولَ المدينة معه شَىءٌ متعلّقٌ، فتأمّلَهُ النّاسُ، فوقع، فإذا كفٌّ فيها خاتَم نقشُه: «عبدالرّحمان بن عتّابٍ». ثمّ جعلَ مَن بينَ مكّةَ والمدينةِ ممَّن قرب مِن البصرةِ أو بَعُدَ، قد عَلِمُوا بالوقعة ممّا تنقلُ إليهم النُّسور مِن الأيدى والأقدام.

[تجهيزُ علىٍّ عائشةَ]

وجهَّز علىٌّ عايشةَ لغُرّةِ رجب سنة ستٍّ وثلاثين بكُلّ شىءٍ ينبغى لها، وأخرجَ معها كلَّ من نَجا ممَّن خرج معها إلاّ مَن أحبَّ المُقامَ. واختار مِن نِساءِ البصرةِ المعروفاتِ أربعين امرأةً، وأمَرَ أخاها محمّدًا بالخروجِ معها، وخرج فى تشييعِها أميالاً، وسرَّح بَنيه معها يومًا.

[ماجَرى بينَ مُعاويةَ وقيسٍ]

وكان علىٌّ بن أبىطالبٍ ولّىٰ قيسَ بنَ سعد بن عُبادةَ مِصرَ لمّا قُتل عثمان، فسار إليها، وبايع أهلها لعلىٍّ بن أبىطالبٍ، وداری النّاسَ. فاستجابَ له أهلُ مصرَ إلاّ أهل قريةٍ يقال لها: «خَرنبا[1]»، فإنَّ أهلَها أعظموا قتلَ عثمان، وكانوا نحو عشرةِ آلاف رجلٍ من الوجوه الفرسانِ [565] فكَرِهَ قيسٌ أن يُهيّجَهُم، فراسَلَهم قيسٌ وراسلُوه يقولون:

- «إنّا لا نقاتِلُكَ، فابعث عُمّالَك، فالأرضُ أرضُكَ، ولكن دَعنا عَلى حالِنا حتّى ننظرَ إلى مايصيرُ أمرُ النّاسِ.»

فامسك عنهم. وأرسلَ إليهم عُمّالَهُ، فجباهم، ثُمّ توثّبَ عليه قومٌ بمصرَ، فداراهُم. وكان قيسٌ ذاحزمٍ ورأىٍ. فجبى الخراجَ لايُنازعه أحدٌ.

وخرج أميرالمؤمنين إلى أهلِ الجمل وهو على مِصرَ، ورجع إلى أرضِ الكوفة من البصرةِ وهو بمكانه. فكان أثقل خلق‌الله على معاوية لِقربه من الشّام مخافة أن يُقبِلَ إليه علىٌّ فى أهل العراق ويُقبِلَ إليه قيسٌ فى أهلِ مِصرَ فيقعَ معاويةُ بينَهما.

فكتب إليه معاوية وعلىٌّ بن أبىطالبٍ بالكوفةِ يومَئذٍ، يُعظِّم عليه قَتلَ عثمان، ويذكر لهُ أنَّ

---

[1] مط: حرننا. وفى الطّبرى: خَربتا (٣٢٣٨:٦).

صاحبَه أغرى به النّاسَ، وحملهـم على قتلِه، ويحمل قيسًـا على مُتابعتِه، ويضـمن له سـلطانَ العراقين إذا ظهر، ما بقى[١]، ويشترط له سلطانَ الحجاز يولّيه مَن شـاءَ مِن أهلِه، ويقـول له بعـد ذلك:

ـ «وسَلنى غيرهذا ممّا تُحبُّ، فإنّك لا تسألُنى شيئًا إلاّ أجبتُكَ إليه.»

فـاجابه قيسٌ بالاعتذار مِن قتل عثمان، وأنّه لم يشـهدهُ [566] ولا صـاحبُه أميرالمؤمنين، ولارَضيَه، واستمهله مِمّا عرض عليه من متابعته، وقال:

ـ «لى فيه نظرٌ ورأىٌ.»

فلمّا نظر فى كتابه معاويةُ وقَراهُ لم يَرَهُ إلاّ مباعدًا[٢]، ولم يأمَن أن يكـونَ مُكـائدًا. فكتبَ كتابًا آخر يقول له:

ـ «لم أرَكَ تَدنُو فاعُدَّكَ سِلمًا، ولَم أرَكَ تُباعِدُ فاعُدَّكَ حَربًا، وليس مِثلى مَن يُصـانعُ بالخـداعِ[٣] ومعى أعنّةَ الخيل، وعددُ الرّجال.»

فلمّا قرأ قيسٌ كتابَه ورأى أنّه لا يقبلُ منه المدافعة[٤]، أظهر له ذات نفسِه وكتبَ إليه:

ـ «العجبُ مِن اغترارك بى وطمعك فىَّ واستسقاطِك رأيى، تَسومُنى الخروجَ مِن طـاعةِ أولَى النّاسِ بالإمارةِ، وأقولِهم بالحقِّ، وأقربِهم إلى الرّسولِ، وأهداهُم سبيلاً، وتأمرُنى بالدُّخولِ فى طاعتِكَ، طاعةِ أبعدِ النّاسِ مِن هذا الأمر، وأقـولِهم بالزّورِ، وأضَـلِّهم سـبيلاً، وأبعـدِهم مِن اللهِ ورسولِه وسبيلِه، وَلَدِ ضالّينَ مُضِلّينَ، طاغوتٍ من طَواغيتِ إبليسَ. فأمّا قـولُكَ: إنّى مالئٌ عليكَ[٥] خيلاً ورَجلاً، فواللهِ إن لَم أشغلكَ بنفسِكَ حتّى تكونَ نفسُكَ أهمَّ إليكَ، إنّك لَذُو جَـدٍّ والسّـلام.» [567]

فلمّا أتى معاويةَ كتابُ قيسِ بن سعدٍ هذا. يَئِسَ منه، وثقُلَ عليه مكـانُه، وأخـذ فـى طـريق الحيلةِ عليه، والمكيدةِ له.

ذِكرُ مَكيدةِ مُعاويةَ لِقيسٍ و ماتمَّ لهُ عليهِ

فأخذ معاويةُ يَكيدُ قيسًا من قِبَل علىٍّ، فيُظهر مرّةً كتابًا يفتعله مِن قيس إليه بأنّه: منكـرٌ لِقتلِ

---

١) فى كتاب معاوية: «... ولك سلطانُ العـراقين إذا ظَهـرتُ مابقيتُ...» (الطبرى: ٦:٣٢٣٨-٣٢٣٩). ٢) فى الطّبرى: مقاربًا مباعدًا (٦:٣٢٤٠). ٣) فى الطّبرى: مَن يُصانع المخادع (نفس الصفحة). ٤) فـى الطبرى: المدافعة والمماطلة. ٥) عليك مصرَ... (الطّبرى: ٦: ٣٢٤١).

عثمان، تائبُ إلى الله منه، وأنّ هَواهُ ومَيلَهُ معهُ، فى أشياء تُشبِهُ هذا الكلام؛ ومرّةً يُظهرُ رسولاً يَزعمُ: أنّه مِن قِبلِهِ ويُلقّنُه مايُقوّى به قلوبَ شيعتِه من أهل الشّام؛ ومرّةً يَقولُ لِثقاتِه: لاتَسُبُّوا قيس بنَ سعدٍ، فإنّه لنا شيعةٌ[1] تأتينا نصيحتُه سِرًّا، ألاتَرَونَ مايفعل بإخوانكم من أهلِ حزبنا يُجرى عليهم أرزاقَهم. ويُؤمِن سربَهم ويُحسن إلى كل راكبٍ قَدِم عليه منكم؟

فسمع جواسيس أميرالمؤمنين علىّ بن أبىطالبٍ وعُيونُه ذلك، فكتبُوا إليه به. ولم يزل معاويةُ بأمثالِ هذا المكائد حتّى اتّهم علىٌ قيسًا، وجمع ثقاته، وقال لهم ما كتب إليه مِن أمرِ قيسٍ، فقالوا:

ـ «يا أميرالمؤمنين، دع [568] مايُريبُك إلى ما لا يُريبك[2]. إعزل قيسًا، وابعث بثقتك مكانَه.»

فقال علىٌ: «إنّى واللهِ ما أصدّقُ هذا على قيسٍ.»

فقال عبدالله بن جعفر: «إعزله يا أميرَالمؤمنين، فوالله، لئن كان هذا حقًّا لا يعتزل لك.»

فبينا هُم كذلك إذجاء كتابُ من قيس بن سعدٍ يُخبرهُ:

ـ «إنّ رجالاً قدسألونى أن أكفّ عنهم وأدعَهُم حتّى يستقيمَ أمرُ النّاس فنرى ويَرَوا، فرأيتُ أن أكفّ[3] عنهم، وألاّ أتعجّلَ حربَهم، فلعلّ اللهُ يعطفُ بقُلوبهم[4].»

فقال عبدالله بن جعفر: «يا أميرالمؤمنين، ما أخوَفَنى أن يكون هذا ممالأةٌ منه لهم. فمُرهُ بقتالهم.»

فكتب إليه علىٌ:

ـ «أما بعدُ، فَسِر إلى القوم الّذين ذكرتَ، فإن دخلوا فى ما دخل فيه المسلمون، وإلاّ فناجِزهم، والسّلام.»

فلمّا أتى قيسَ بن سعدٍ الكتاب، لم يَتمالك أن كَتَبَ:

ـ «أمّا بعدُ، يا أميرَالمؤمنين، فقد عجبتُ لأمرك بقتالِ قومٍ كافّينَ عَنكَ مُفرّغيكَ لقتالِ عدُوّك، وإنّك متى حاربتَهم ساعَدُوا عليك عدوّك. فأطِعنى يا أميرَالمؤمنين، واكفُف عنهم، فإنّ الرّأىَ تركُهم.»

فلمّا أتى عليًا كتابُ قيسٍ قراهُ على أصحابه. فقال عبدالله بن جعفر:

---

١) كذا فى مط.
٢) سقط من مط: «إلى ما لا يريبك».
٣) وفى الأصل «ان اكفُف»! وفى مط: «ان اكفّهم» وكلاهما خطأ.
٤) تجد نصّ الكتاب عند الطبرى: (٦:٣٢٤٤).

ـ «ابعَث محمّد بن أبى‌بكرٍ [569] على مِصرَ يَكفِكَ، فقد بلغنى عن قيسٍ هَنَاتٌ وأقوالٌ.[١]»
يعنى ماكان يُشيعُه معاويةُ عنه.

فكتبَ علىٌ عهدَ محمّد بن أبى‌بكرٍ على مصر. فلمّا قدم محمّدٌ مصر، خرجَ قيسٌ، فلحق بالمدينة. فأخافه مَروان والأسودُ بن البَختَرى حتّى إذا خافَ أن يُقتَلَ، ركبَ راحلتَهُ وطَمَرَ[٢] إلى علىٍّ. وبلغ ذلك معاويةَ، فكتب إلى مَروان والأسود يتغيّظُ عليهما ويقول:

ـ «أمدَدتُما عليًا بقيس بن سعدٍ ورأيِه و مكانتِه، والله لو أنكما أمددتُماهُ بمائةِ ألفِ مُقاتل ماكان ذلك بأغيظَ لى مِن إخراجِكما قيسَ بن سعدٍ إلى علىٍّ.».

ولمّا قدِم قيسُ على علىٍّ وباثَهُ، ثمّ جاءَهُم قتلُ محمّدِ بن أبى‌بكرٍ، عَرفَ أنَّ قيسَ بنَ سعدٍ كان يُدارى أمورًا عِظامًا مِن المكاره، وأنّ مَن كان يَحمله على عزلِ قيسٍ لم يكن ينصحُ له. فأطاع علىٌ قيسَ بن سعدٍ بعد ذلك فى الأمر[٣] كلّه.

[إبتداءُ وقعةِ صِفّين]

[قميصُ عثمان وأصابعُ نائلة]

وكان أهلُ الشّام قدِمَ عليهم النُّعمان بنُ بشيرٍ بقميصِ عُثمان الّذى قُتِلَ فيه مخضّبًا بدمه، وبأصابع زوجتِه «نائلةَ»، مقطوعةَ البراجم[٤]: إصبعان منها مع شَىء من الكفّ، وإصبعان مقطوعتان من أصولهما، ونصف [570] الإبهام. فكان معاويةُ يضعُ القميص على المنبر، ويُعلّق منه الأصابع، ويُشنّع به، ويكاتبُ الأجنادَ. فثاب إليه النّاس وبكَوا سَنةً والقميصُ بتلكَ الحالِ. وآلىٰ رجالٌ مِن أهل الشّام ألاّ يأتُوا النّساءَ، ولا يَمسّهم الماءُ لِلغسلِ إلاّ مِن الإحتلام، ولايَناموا على الفَرشِ، حتّى يقتلُوا قَتَلَةَ عثمانَ، ومَن عرضَ[٥] دونَهم بِشَىءٍ، أوتَفنىٰ أرواحُهم.

[خرُوجُ علىٍّ بن أبى‌طالبٍ إلى صِفّين]

وبلغ عليًا خبرُ معاويةَ وما يصنعهُ، فبعث إليه بِرُسُلٍ، وخرج من الكوفة، فعسكرَ بالنُّخَيلة، وقدِمَ

١) انظر: نفس المصدر.
٢) فى مط: ظَهَرَ. وفى الطبرى: ظهر، طمر، وتصحيفات شتّى (٣٢٤٦:٦). طَمَرَ: وَثَبَ. ظَهَرَ: سار فى الظهيرة.
٣) كذا فى مط. وفى الطبرى: «فى الأمر» (نفس الصفحة).
٤) البراجم: جمع مفرده البُرجُمة: مفاصل الأصابع أو العِظام الصّغار فى اليدِ و الرِّجل.
٥) مط: يعرض.

عليه عبدُالله بنُ عبّاس بِمَن نَهضَ معه من البصرة، وتهيّأ منها إلى صِفّين، واستشار النّاسَ. فأشار عليه قومٌ أن يبعث الجنودَ ويُقيم، وأشارَ آخرون بالمسير، فأبىٰ إلاّ المباشرةَ. فجهّزَ النّاسَ.

وبلغ الخبرُ معاويةَ، فدَعا عمرَو بنَ العاص واستشاره.

فقال: «إذا بلغك أنّه يَسيرُ فَسِر بنفسِكَ ولا تَغِب عنه برأيك ومكيدتكَ.»

قال معاويةُ: «فجهِّز النّاسَ.»

فخرج عمروٌ إلى النّاس، وحضَّضَهُم وضعّف عليّا وأصحابَه وقال:

ـ «إنّ أهلَ العراقِ قد فرّقوا جمعَهم، وأوهنُوا شوكتَهم [571] وقطعُوا حدَّهم. ثمّ إنّ أهلَ البصرةِ مخالفون لِعلىٍّ وقد قتلَهُم، ووتَرهَم، وتَفانَت صَناديدُهم يومَ الجمل، وإنّما سار علىٌّ فى شِرذمةٍ قليلةٍ، منهم مَن قَتلَ خليفتَكم، فاللهَ فى حقّكم أن تُضيّعُوهُ، وفى دَمكم أن تُبطِلُوهُ.»

وبعث علىٌّ بن أبى‌طالبٍ زيادَ بنَ النَّضر طليعةً فى ثمانية آلاف و [بعث معه][1] شريحَ بنَ هانئٍ، ووَجّهَ مِن المدائن مَعقِلَ بنَ قيس فى ثلاثة آلاف، وأمره أن يأخذَ على المَوصِل حتّى يوافيَهُ، وسار بنفسه حتّى انتهى إلى الرَّقّة، وقال لأهلها:

ـ «اجسِروا لى جِسرًا حتّى أعبرَ مِن هذا المكان إلى الشّامِ.»

فأبوا. وكانُوا ضمُّوا إليهم السّفن. فنهض علىٌّ من عندهِم ليعبُرَ مِن جسرِ مَنبج، وخلّف عليهم الأشتر، ورحل لِيمضىَ بالنّاس ويَعبُرَ بِهم.

فنادى الأشترُ: «يا أهل هذا الحِصنِ، إلىّ، إنّى أقسمُ بالله، لئن مَضىٰ أميرالمؤمنين ولم تَجسرُوا لَهُ عندَ مَدينتِكم جِسرًا حتّىٰ يَعبُرَ، لأُجرِّدَنّ فيكم السّيفَ، ثُمّ لأقتُلَنّ الرِّجالَ، وأخربنّ الدِّيارَ، ولأنهبَنّ الأموالَ.»

فلقِىَ بعضُهم بعضًا، فقالوا: «هو الأشترُ، ويَفى بما حلفَ عليه، ويأتى بما هو شرٌّ منه.»

فنادَوهُ: «نعم، إنّا ناصِبونَ لكم جِسرًا، فأقبِلُوا.»

فجاءَ علىٌّ، فنصبُوا له الجِسرَ، فعبَرَ علىٌّ بالأثقالِ [572] والرِّجالِ. ثمّ أمر علىٌّ الأشترَ، فوقفَ فى ثلاثةِ آلافِ فارسٍ، حتّى لم يبقَ مِن النّاسِ أحدٌ إلاّ عبرَ، ثُمّ عبر آخِرَ النّاس رجلاً.

فأمّا زيادُ بن النَّضر وشريحُ بن هانئٍ، فسارا أمامَ علىٍّ ـ كما ذكرنا ـ من الكوفة، آخِذَين على شاطئِ الفراتِ مِن قبلِ البَرِّ ممّا يلى الكوفةَ، حتّىٰ بَلَغا عاناتٍ[2]، فبلغهما [أخذُ علىٍّ] علىٰ طريقِ الجزيرةِ[3]، وإنّ معاويةَ قد أقبلَ مِن دمشق فى جنودِ أهلِ الشّامِ، فقالا:

---

١) تكملةٌ من الطبرى (٣٢٥٩:٦). ٢) كذا بالأصل: عاناتٍ وفى الطبرى: عانات، وهى من باب «أذرعات».

٣) فى الأصل ومط: «فبلغهما علىّ آخذًا على طريق الجزيرة» وهى مضطربةٌ، فأثبتناها كما فى الطبرى (٦، ٣٢٥٩).

ـ «واللهِ ما هذا لنا برأی: أن نسيرَ وبيننا وبينَ المسلمين واميرِالمؤمنين هذا البحرُ، ومالَنا خيرٌ فی أن نَلقیٰ جُنودَ الشام بِقِلّةٍ مَن معنا منقطِعينَ مِن المَدَدِ.

فذهبُوا لِيَعبرُوا مِن عاناتٍ، فمنعهم أهلُ عاناتٍ، وحبسُوا عنهم السُفُنَ. فاقبلُوا راجعين حتّی عَبرُوا مِن هيت[٣]، ثُمّ لَحِقُوا عليًا، فقال عليه‌السّلام:

ـ «مُقدِّمتی تأتينی مِن وَرائی!»

فتَقدَّم إليه زيادُ وشُريحُ، وأخبراهُ بما رَأيا. فقال: «سُدِّدتُما.»

ثمّ مَضیٰ. فلمّا عبر الفرات قدَّمَهُما أمامَه. وأرسل معاويةُ أبا الأعور السُلَمی فی جندٍ عظيم من أهل الشام، فأرسلا إلی علیٍّ:

ـ «إنّا قد لَقينا أبا الأعور السُلَمی فی جمع أهل الشام ودَعوناهُم، فلم يُجِبنا منهم أحدٌ، فَمُرنا بأمرك»

وكان علیٌّ أمرهما ألاّ يَبدءا بقتالٍ حتّیٰ يدعُوا إلی الحقّ، ويكونَ مبدأ القتال مِن غيرهما [573] فأرسل علیٌّ عليه‌السّلام الأشتر، فقال:

ـ «يا مالِ، إنّ زيادًا و شُريحًا أرسلا إلیّ أنهمّا لَقِيا أبا الأعور السُلَمی فی جمع من أهل الشام، وأخبرنی الرّسُولُ أنّهم متوافقون، فالنَّجا إلی أصحابك النَّجا، فإذا قدِمتَ عليهم فأنتَ عليهم، وإيّاك أن تبدأهُم، ولا يجرمنَّكَ شنآنُهم علی قتالهم قبلَ دعائهم مرّةً بعدَ مرّةٍ، ولا تَدنُ منهم دُنُوّ مَن يُريدُ أن يُنشب الحربَ، ولا تُباعِد منهم بُعدَ مَن يَهابُ النّاسَ، حتّیٰ أقدِمَ عليك، فإنّی حثيث[٤] السَّير فی أثرك إن‌شاءالله.»

وكتب إلی زيادٍ وشُريحٍ بالسّمع له والطّاعةِ. فخرج الأشترِ، والتَقیٰ مع القوم، وكفَّ عن القتالِ إلی أن حمل أبو الأعور، فثبتُوا لهُ. ثمّ انصرف أهلُ الشّامِ فی تلك اللَّيلة لمّا أدركهم المساءُ[٥]، وأقبل مِن الغَدِ، وجاءَ الأشترُ من المكان الّذی كان فيه، ولم يَزل يزحَفُ حتّیٰ وقف فی المكان الّذی كان فيه بالأمسِ أبوالأعور.

فقال الأشتر لِسنانِ بن مالكٍ: «انطلِق إلی أبی‌الأعور، فادعُهُ إلی المبارزة.»

فقال: «إلی مبارزتی، أو إلی مبارزتك؟»

١) هناك ثلاثة مواضع مسمّاة بـ «هيت»: الأوّل: بلدة علی الفرات من نواحی بغداد. والثانی: دحلٌ تحت عارض جبلٍ باليمامة. والثالث: من قُریٰ حَوران من ناحية اللّوی من أعمال دمشق(يا). ٢) مط: خشيت! ٣) مط: الماء!

فقال الأشتر: «لو أمرتُكَ بمبارزتِه فعلتَ؟»

قال: «نَعم، والله لو أمرتَنى أن اعترضَ صفَّهم بسيفى، مارَجعتُ حتّىٰ اضربَ فيهم بسيفى.»

فقال له الأشتر: «يا بنَ أخى، أطالَ الله بقاءك، [574] قد ـ والله ـ ازدَدتُ فيك رغبةً. لا، ما أمرتُكَ بمبارزته، وإنّما أمرتُكَ أن تدعُوَهُ إلى مبارزتى. إنّه لا يَبرُزُ إلاّ لِذَوى الأَسنانِ والكفاءَةِ والشَّرفِ، وأنت ـ ولربِّكَ الحمدُ ـ مِن أهلِ الشَرَفِ والكفاءَةِ، غيرَ أنّك فى حَدَثِ السِّنِّ. وليس بمبارزِ الأحداثَ، ولكن ادعُهُ إلى مبارزتى.»

فأتاهُ ونادىٰ: «آمِنونى، فإنى رسولٌ.»

فأومِنَ حتّى جاءَ إلى أبى الأعورِ.

قال: فدنوتُ مِنه وقُلتُ «إنَّ الأشتر يَدعوكَ إلى المبارزةِ.»

قال: فسكت عنّى طويلاً ثمَّ قال: «إنَّ خفّةَ الأشتر، وسُوءَ رأيِه حمله على إجلاءِ عُمّال عثمان بن عفّان من العراقِ، ومِن خفّةِ الأشتر أن سار إلى بن عفّان فى داره حتّى قتلَهُ فى مَن قتلَه، فأصبح مُتبعًا[1] بدمه. ألا، لا حاجة لى فى مبارزته.»

قال: قلتُ له: «إنّك قد تكلّمتَ، فاسمع مِنّى أُجِبكَ.»

قال: «لا حاجةَ لى فى الإستماع منك ولا فى جوابك، اذهب عنّى.»

وصاح بى أصحابُه، فانصرفتُ عنه، ولو سَمع إلىَّ لأجبتُه بِحجّةِ صاحبى. فرجعتُ إلى الأشتر، فأخبرتُه أنّه قد أبى المبارزة. فقال:

ـ «لنفسِه نَظَر.»

[القتال على الماءِ]

وأقمنا متحاجزين يومنا ونتحارس ليلتَنا. فلمّا أصبحنا نظرنا فإذا القومُ قد انصرفوا مِن تحتِ ليلتِهم، ويُصَبِّحنا علىٌ غُدوةً. فقدّم الأشتر فى مَن كان معه فى [575] تلك المقدَمةِ. وجاء علىٌ فى أثره حتّى لَحِقَ بالأشترِ وانتهى إلى معاوية.

قال: فلمّا انتهينا إلى معاويةَ وجدناهُ قدعَسكرَ فى مَوضعٍ سَهلٍ أفيحَ، قد اختارهُ قبل قُدومِنا، إلى جانبِ شريعةِ الفُراتِ، ليس فى ذلك الصُقع كُلّهِ شريعةٌ غيرها، وجَعلَها فى حَيِّزه، وبعث عليها بالأعورِ يَمنعُها ويَحميها.

---

١) أهملت الثانية والثالثة من الكلمة فى الأصل، وهى فى مط: «متبعا» والضبط فى الطبرى: «متبَّعًا»

قال: فارتَفَعنا على الفُراتِ رجاءَ أن نَجدَ شريعةً غيرها نَستغنى بها عن شَريعتِهم، فلم نَجدها.

قال: فأتينا عَليًا، فأخبرناهُ بعطشِ النّاسِ، وقال له الأشتر:

- «إنّ القومَ قد سبقوكَ إلى الشريعةِ وإلى سُهُولة المنزل[1]، فإن رأيتَ سِر ناحتّى نجوزَهُم إلى القريَةِ الّتى خرجُوا منها، فتنزلَ فى مَنزلِهم، فإنَّهم يشخصون فى إثرنا، فإذا لحقونا نزلنا فَكنّا [نحن][2] وهم على السَّواءِ.»

فكره ذلك عليٌ وقال: «ليس كلُ النّاس يقوىٰ على المَسيرِ.»

ونزل بهم، فقال عليٌ: «قاتلوهُم على الماءِ.»

وبعث إلى معاويةَ برسولٍ يقول:

- «إنّا سرنا إليك، ومِن رأينا الكفُّ، إلى أن تنظُرَ لنفسك، وننظُرَ، وامتنعنا من قتالِك، فبدأتَنا، وهذا الماءُ تمنعُنا منه، فخلِّ بين النّاس وبين الشّريعة حتّى ننظر[3]، وإن كان الأعجب إليك أن نتركَ ماجئنا له، ونتركَ النّاسَ يقتتلون على الماءِ، حتّىٰ [576] يكونَ الغالبُ هو الشّارب.»

فقال مُعاويةُ لأصحابه: «ماتَرونَ؟»

فأمّا أكثر النّاسِ قال: «ولا نُعمى عينٍ، نمنعهم الماء كما منعوهُ عُثمان؛ فإن رَجعُوا كان ذلك فَلاً لهم.»

فقال عَمرٌو: «خَلِّ بينَهم وبينَ الماءِ، فإنَّ القَومَ لَن يَعطَشوا [وأنت ريّان][4] ولكن بغير الماءِ، فانظُر فى ما بينَكَ وبينَهم.»

فارتفع الصِّياحُ من كلِّ جانبٍ:

- «إمنعُوهم الماءَ، منَعَهُمُ اللهُ يومَ القيامةِ.»

وكان الرّسول صعصعة بن صوحان، فقال صعصعة:

- «إنّما يَمنعُهُ اللهُ يومَ القيامةِ الكفرَةَ، والفسقَةَ شَرَبَةَ الخَمرِ: ضَرْبَكُم من النّاسِ.»

فتواثَبُوا إليه يشتمونه ويتهدّدونَه.

فقال معاويةُ: «كُفُّوا عنِ الرَّجلِ فإنّه رسولٌ.»

قال صعصعةُ: «فخرجتُ مِن عندِه ومِن رأيِه مَنعُ الماءِ. فما انتهيتُ إلى عليٍ حتّى رأيتُ الخيلَ تُسرِّبُ إلى أبى الأعور ليكُفّنا عَنِ الماءِ. فأبرز [نا][5] عليٌ إليهم وقال:

---

١) فى الطبرى: إلى سُهُولةِ الأرض وسعةِ المنزل (٦:٣٢٦٤).
٢) تكملةٌ من الطبرى (٦:٣٢٦٤).
٣) مط: ‹ حتّى تنظروا فان كان..
٤) تكملةٌ من الطبرى.
٥) تكملة من الطبرى (٦:٣٢٦٤).

ـ «قاتِلوهم على الماءِ.»

فارتمينا، ثُمَّ اطَّعَنَّا، ثمَّ تَجالَدنا بالسُّيوفِ، إلى أن انهزمُوا، وصار الماءُ فى أيدينا.

قال: فقُلنا: «لا واللهِ، لا نُسقيهُمُوهُ بعد أن غلبنا عليه بالسَّيفِ»

فأرسَل إلينا علىٌّ أن: «خُذُوا مِن الماءِ حاجتَكم، وارجِعوا إلى عَسكرِكُم، وخَلُّوا عنهم، فإنَّ اللهَ قد نصركم عليهم بِبَغيِهم وظُلمِهم.»

ثُمَّ أقبلَ علىٌّ يأمُرُ [577] ذا الشرَفِ من النّاسِ، فيَخرج ومعه جماعةٌ، ويُخرِجُ معاويةُ إليهِ مثلَهُ، فيقتتلان فى خيلِهما، ثُمَّ ينصرفان، وأخذُوا يكرهون أن يلقَوا بجميع [أهل][1] العراقِ أهلَ الشّامِ لِما يتخَوَّفُون أن يكونَ فى ذلك من الاستيصالِ والهلاكِ، إلى أن [تقضّى شهرُ ذى][2] الحجة.

فلمّا دخل المحرّمُ توادعَ علىٌّ ومعاويةُ إلى انقِضائه طمعًا فى الصُلحِ، وتردَّدتِ الرُّسُلُ، وطالَ الكلامُ بينَهما، فما استقام بينَهما الصُّلحُ. وانقضىٰ المحرَّم فأمر علىٌّ مرثدَ بن الحارث الجُشَمىَّ، فنادىٰ أهلَ الشام عند غُروبِ الشَمسِ:

ـ «ألا، إنَّ أميرَالمؤمنين يقولُ لكم: إنّى استدمتُكم[3] لِتُراجِعوا الحَقَّ وتُنيبُوا إليهِ، واحتججتُ عليكم بكتابِ اللهِ، ودَعَوتُكم إليهِ، فلَم تَناهوا عَن طُغيانٍ، ولم تُجيبُوا إلى حقٍّ، وإنّى قدنَبذتُ[4] إليكم على سَواءٍ، إنَّ اللهَ لا يُحبُّ الخائنين.»

ففزع[5] أهلُ الشامِ إلى أمرائهم، وخرج معاويةُ وعَمرُو فى النّاسِ يُكَتِّبانِ الكتائبَ، ويُعَبِّئانِ النّاسَ، وأوقَدُوا النّيرانَ، وباتَ علىٌّ ليلتهُ كُلَّها يُعَبِّئُ النّاسَ، ويُكتِّبُ الكَتائبَ، ويَدورُ فى النّاسِ، ويحرِّضُهم.

[مِن وصايا علىٍّ لأصحابه يَومَ صِفِّين]

وكان فى ما يُوصّيهِم:

ـ «إذا قاتلتُموهم وهَزمتُموهُم، فلا تَقتُلُوا [578] مُدبرًا، ولا تُجهِزوا على جَريحٍ، ولا تكشِفُوا عَورةً، ولا تَمثُلُوا بقتيلٍ، فإذا وَصلتم إلى رجالِ القَومِ فلا تهتكُوا سِترًا، ولا تدخُلُوا دارًا إلاّ بإذنٍ، ولا تأخذوا شيئًا من أموالهم إلاّ ماوَجَدتُم فى عَسكرِهم، ولا تُهيجوا امرأةً بأذىً وإن

---

١) تكملةٌ عن مط. ٢) مكان «تقضّى شهر ذى» بياضٌ فى الأصل وما أثبتناهُ عن مط. ٣) مط: استبذمتكم!

٤) مط: نذرت. وفى الطَّبرى أيضًا: نبذتُ (٣٢٨٢:١) س ٨ الأنفال: ٥٨. ٥) فزع إليه: لجأ إليه واستغاثه.

شتَمنَ اعراضَكم وسَبّبنَ أمراءَكم وصلحاءَكم، فإنّهنّ ضعيفاتُ القُوىٰ».

كانَ هذا كلامه فى يَومِ الجمل، وصفّين، ويَومِ النَهروان، وكان يُحرِّض فيقول:

ـ «عبادَالله، غُضُّوا الأبصارَ، واخفِضُوا الأصواتَ، واقِلُوا الكلامَ، ووَطِّنُوا أنفسَكُم على المُنازَلةِ والمُبارزةِ، والمُبالطةِ[1]، والمُعانقةِ، واثبُتوا، واذكُروا اللهَ كَثيرًا، لَعلّكم تُفلِحُون، ولا تَنازَعُوا فَتَفشَلُوا، وتَذهَبَ ريحُكم، واصبِروُا إنّ اللهَ معَ الصَابِرين[2]، اللّهمّ الهِمهُم الصَّبرَ، وانزِل عليهم النَّصرَ، واعظِم لهم الأجرَ.»

[اقتتلوا ولِكُلِّ فِئَةٍ أحدَ عشر صفًّا]

ولمّا أصبح عليٌّ فى ميمنته وميسرتِه، ومعاويةُ فى مثل ذلك، وبايع رجالٌ من أهل الشّام على الموتِ؛ فعقلوا أنفسَهم بالعمائم. فكان المُعقَّلُون[3] خمسة صُفوفٍ، وكانوا يخرجون ويَصفّون أحد عشر صفًّا، ويخرج أهلُ العراق أحد عشر صفًّا. [579]

فخرجوا أولَ يومٍ مِن صَفَر، واقتتلُوا، وعلى مَن خرج يَومئذٍ من الكوفةِ الأشترُ، وعلى أهل الشَامِ حبيبُ بن مَسلمة، وذلك يومَ الأربعاءِ، فاقتتلُوا عامّةَ نهارِهم. ثمّ تراجَعوا وقد انتصف بعضُهم مِن بعضٍ. فلمّا كان اليوم الثانى، خرج هاشمُ بنَ المِرقال. وخرج إليه أبوالأعور السُلَمى فى خَيلهما ورجالِهما، فاقتتلُوا عامّة نَهارِهم، وصبرَ بعضُهم لبعضٍ. وخرج اليومَ الثالثَ عمارُ بنُ ياسرٍ. وخرج إليه عمرُو بنُ العاص فى خيلهما ورَجلِهما فاقتتلُوا كأشدَ مايكون القِتالُ، وكان مع عمّارٍ زيادُ بنُ النضر[4] على الخَيل، فأمره عمّار أن يحمِلَ، فحمل فى خيلِهِ وصبر له النّاسُ، وشدّ عمارٌ فى الرَّجال، فأزال ابنَ العاصِ عن مَوقفه، ثمّ انصرف كلُّ واحدٍ عن صاحبِهِ وتراجع النّاس.

وخرج اليومَ الرّابع محمّدُ بنُ عليٍّ، وهو ابن الحنفيّة، فخرج إليه عبيدالله بن عمر فى جَمعين عظيمين، فاقتتلُوا كأشدّ القتالِ.

فأرسلَ عُبيدُالله إلى ابن الحنفية، أن: «اخرُج إليَّ!»

فقال: «نعم!»

وخرج يمشى. وبَصُرَ بِهِ عليٌّ، فقال: «من هذان المتبارزان؟»

فقيلَ لهُ: «ابنُكَ وعبيدُالله بن عُمر.»

---

١) المبالطة: التجارب بالسّيوف. ٢) س ٨ الأنفال: ٤٥، ٤٦. ٣) مط: معقولون ٤) ما فى الأصل غير واضح، فاثبتناه كما فى مط والطّبرى ٦:٣٢٨٤.

فحرّكَ دابّتَهُ، [580] ثمّ نادىٰ محمّدًا، فوقفَ لهُ.

فقال: «أمسِك دابّتى!»

فأمسكها.

ثمّ مَشىٰ إليه علىٌّ وقال: «أبرزُ [لك][١]، فهلُمَّ إلىَّ!»

فقال: «ليست لى فى مبارزتكَ حاجةٌ.»

قال: «بَلىٰ، هلُمَّ!»

قال: «لا.»

فرجع ابن عُمَر، وأخذ محمّدُ بن الحنفيّة يُعاتبُ أباهُ فى منعِه، ثُمَّ خُروجِه بنفسه، إلى مَن ليس [كفوًا له][٢] هو ولا أبوهُ. فجرىٰ بينهما كلام مذكور[٣]. ثمّ تحاجز النّاسُ.

فلمّا كان اليومُ الخامس خرج عبدالله بن العبّاس، وخرج إليه الوليدُ بن عُقبة، فاقتتلُوا قتالاً شديدًا، ودنا ابن العبّاس مِن الوليد بن عُقبة والوليدُ يشتم بنى عبدِالمطلّب. فأرسل إليه ابن عبّاسٍ أن: ابرزُ لى! فأبىٰ. وقاتلَ ابن عبّاسٍ قتالاً شديدًا، وغشِىَ النّاسَ بنفسه.

وخرج اليومَ السّادسَ قيسَ بنُ سعدٍ الأنصارى. فخرج إليه ابن ذى الكُلاع الحِميرى. فاقتتلا قِتالاً شديدًا، ثمّ انصرفا، وذلك بعد قتلٍ كثيرٍ فى الفريقين.

وخرج الأشتر فى اليوم السّابع. وعاد إليه حبيبُ بن مَسلمة، و ذلك يومَ الثّلاثاء، فاقتتلا كأشدِّ مايكون مِن قتالٍ، ثمّ انصرفا عند الظُّهرِ وكُلٌّ غيرُ غالبٍ.

ثمّ إنَّ عليًّا قال: «حتّىٰ متىٰ لا نناهض هؤلاء القوم [581] بأجمعنا؟»

فقام فى النّاسِ عَشيّةَ الثّلاثاءِ ليلةَ الأربعاء بعدَ العصرِ، فخطبهم فقال:

ـ «الحمدلله الّذى لايُبرَمُ مانقضَ، ولايُنقضُ ما أبرَمَ، ولو شاءَ ما اختلف اثنان من خلقه، ولا تنازعتِ الأمّةُ فى شىءٍ مِن أمره ولا جَحَدَ المفضولُ ذا الفضلِ فَضلَهُ، وقد ساقَتنا وهؤلاءِ القومَ **الأقدارُ، فلفّت**[٤] بيننا فى هذا المكان، فلوشاءَ عجّلَ النِّعمةَ، وكان منه التّغييرُ حتّى يُكذِّبَ الظّالِمُ

---

١) تكملة عن الطّبرى ٢) فى الأصل و فى مط: «هناك» فوجدته تحريفًا من: «كفوًا له» وهذا مستنبط من المفاضلة الواردة فى رواية الطبرى الّتى أوردناها فى الحاشية التّالية. ٣) قال الطبرى: «... فرجع ابن عمر، فأخذ ابن الحنفيّة يقول لأبيه: ياأبتِ لِمَ منعتنى من مبارزته؟ فوالله لوتركتنى لَرَجَوتُ أن أقتلَهُ. فقال: لو بارزتَه لَرَجَوتُ أن تقتُلَهُ وما كنتُ آمَنُ أن يقتلَكَ. فقال: يا أبتِ، أوَتبرزُ لهذا الفاسق؟ والله، لَو أبوه سالك المبارزة لَرَغِبتُ بك عنه. [أى: لَفَضَّلتُكَ عليه] فقال علىٌّ: يابُنَىَّ، لاتَقُل فى أبيه إلاّ خيرًا. (الطّبرى ٦:٣٢٨٥). انظر أيضًا ابن الأثير ٣:٢٩٥.

٤) فى الأصل ومط: فلف. والصّحيح ما أثبتناه كما فى الطّبرى (٦:٣٢٨٦).

ويُعلمَ الحقُّ أين مَصيرُهُ؛ ولكنَّه جَعَلَ الدُّنيا دارُ الأعمالِ، وجَعَلَ الآخِرةَ هى دارَ القرارِ، لِيَجزِىَ الَّذينَ أساؤُوا بِما عَمِلُوا، ويَجزِىَ الَّذينَ أحسَنُوا بالحُسنى.[١] **ألا، إنكم لاقُو[٢] القومِ غدًا، فاطلُبوا** وجهَ اللهِ بأعمالِكم، وأطيلُوا اللَّيلةَ القِيامَ، وأكثِروا تلاوةَ القرآن، وسَلُوا اللهَ الصَّبرَ والنَّصرَ، والقَوهُم بالجِدِّ والحزمِ، وكُونوا صادقين.»

فوثب النَّاسُ إلى سُيوفِهم ورِماحِهم ونِبالِهم يُصلِحونَها. ومرَّ بِهم كعبُ بنُ جُعَيلِ التَّغلبى وهو يقولُ:

أصبحَتِ الأُمَّةُ فى أمرٍ عَجَب والمُلكُ مَجموعٌ غدًا لِمَن غَلَب
فقُلتُ قولاً صادِقًا غيرَ كَذِب إنَّ غدًا يهلِكُ أعلامُ العَرَب

ولمَّا كان من اللَّيلِ، خرج علىٌّ يُعبِّئُ النَّاسَ ليلَتَهُ كلَّها حتَى إذا أصبحَ زحف النَّاسُ، وخرج إليه معاويةُ فى أهلِ الشَّامِ. فجعل علىٌّ يقول: «مَن هذه القبيلةُ»، وَ «مَن هذهِ الكتيبةُ؟» [582] فتُنسَبُ له، حتَّى إذا عَرَفَهُم ورأى مراكِزَهم، قالَ لِلأزدِ: «اكفُونى الأزد.» وقال لِخَثعَمَ: «أكفُونى خَثعَمَ.» وأمر كلَّ قبيلةٍ أن تَكفيهُ أختَها، وإذا لم يَجِد لقبيلةٍ منهم أُختَها سَمّى لها قبيلةً أخرى. ثمَّ تَناهضَ النَّاسُ يومَ الأربعاء، فاقتتلُوا نَهارَهُم كُلَّهُ، وانصرفوا عِندَ المساءِ وكُلٌّ غيرُ غالبٍ.

حتى إذا كان يوم الخميس، وهو التَّاسعُ، صلّى علىٌّ بِغَلَسٍ[٣]، فيقال: إنَّه لم يُغلِّس أشدَّ مِن تغليسِهِ يَومَئذٍ. ثمَّ خرج بالنَّاسِ. وكان علىٌّ ـ عليه‌السَّلام ـ يبدأُ القومَ بالمَسيرِ إليهم. فإذا رأَوهُ وقد زحف استقبلُوهُ بوجوههم.

فلمَّا صلّى علىٌّ، دَعا دُعاءًا كثيرًا، وقال فى آخر دعائه:

«اللَّهمَّ إن أظهرتَنا على عَدُوِّنا فجَنِّبنا البَغىَ، وسدِّدنا لِلحَقِّ، وإن أظهرتَهم علينا فارزُقنى الشَّهادة، واعصِم بقيَّةَ أصحابى مِن الفِتنةِ.»

ثمَّ خرج وعلى مَيمنتِه عبدُاللهِ بنُ بُدَيلٍ، وعلى مَيسرتِه عبدُاللهِ بنُ العبَّاسِ وقُرَّاءُ أهلِ العِراقِ مع ثلاثةِ نَفَرٍ: مع عَمَّار بنِ ياسرٍ، ومع قيس بن سَعدٍ، ومع عبدِاللهِ بنِ بُدَيلٍ، والنَّاسُ على راياتِهم وعلىٌّ فى القلبِ فى أهلِ المدينةِ بين أهلِ الكوفة وأهلِ البَصرةِ وأكثرُ مَن مَعه من أهلِ المدينةِ، الأنصارُ. ثمَّ زحف إليهم بالجمعِ.

ورفع مُعاويةُ قُبَّةً [583] عظيمةً وقد ألقىٰ عليها الكرابيسَ، وبايعهُ عُظمُ أهلِ الشامِ على الموتِ، وبعثَ إلى خيلِ أهلِ دِمَشق، فأحاطت بِقُبَّتِهِ، وزحف عبدُالله بنُ بُدَيلٍ فى الميمنةِ نحو

١) س ٥٣ النجم: ٣٢. ٢) فى الأصل: لا قوا. ٣) الغَلَس: ظلامُ أوّلِ الصُّبحِ.

حَبيبِ بن مَسلَمة، فلم يَزَل يَحُوزُهُ ويكشِف خيلَهُ مِن الميسرةِ حتى اضطَرَّهم إلى قُبَّةِ معاويةَ عند الظُّهرِ، وحضَّ عبدُاللهِ بنُ بُدَيلٍ أصحابَه، وحرَّضهم، وذكَّرَهم باللهِ، وأثنىٰ عليه، وغَضَّ مِن معاويةَ وسَبَّهُ، وقاتل قِتالاً شديدًا، وحضَّ علىٌّ أصحابَه.

خطبةٌ فى حَضٍّ على حَربٍ ووَصايا فيها

فقال:

- «إنَّ اللهَ قد دلَّكُم على تِجارةٍ تُنجيكم مِن عذابٍ أليم[١]، وأخبَركم أنه يُحِبُّ الَّذين يُقاتِلون فى سَبيلِه صَفًّا كأنَّهم بُنيانٌ مَرصوص[٢]. فَسَوُّوا صُفوفَكم، وقَدِّموا الدارِعَ، وأخِّروا الحاسِرَ، وعَضُّوا على الأضراسِ، فإنّه أنبىٰ للسُّيوفِ عن الهامِ، والتَوُوا فى أطرافِ الرِّماح، فإنَّه أمورُ لِلأسِنَّةِ، وغُضُّوا الأبصارَ، فإنَّه أربطُ للجأشِ، وأميتُوا الأصواتَ، فإنَّه أطردُ لِلفَشلِ، وأولىٰ بالوقارِ. راياتِكم، فلا تُميلوها، ولا تَجعلُوها إلاَّ بأيدى شُجعانكم. أجزأَ امرُؤٌ [وقَذَ][٣] قِرنَهُ وآسىٰ أخاهُ بنفسِه، ولم يكِل قِرنَهُ إلى أخيه، فيكسبَ [584] به لائمةً ودناءةً، وكيف لا، وهذا يُقاتِلُ اثنين وهذا مُمسِكٌ يَدَهُ قائمًا ينظر إليه؟ مَن يفعل ذلك، يَمقُتهُ اللهُ. قال الله لقومٍ: لَن يَنفعَكُمُ الفِرارُ إن فَرَرتُم مِن المَوتِ أو القَتلِ، وإذًا لا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَليلاً[٤]، استعينُوا بالصِّدق والصَّبرِ، فإنَّ اللهَ يُنزِلُ بعدَ الصَّبرِ النَّصرَ»

[خطبةُ يَزيدَ بنِ قيسٍ الأرحَبىّ]

وخطب يزيدُ بنُ قيس الأرحبىّ، فقال بعدَ حمدِالله:

- «إنَّ هؤلاءِ القومَ، والله، لا يقاتلونَنا[٥] على إقامةِ دينٍ رأونا ضَيَّعناه، وإحياءِ حقٍّ رَأَونا أمَتناه؛ ولَن يقاتِلونا[٦] إلاَّ على هذه الدُّنيا ليكونوا جبابرةً فيها ملوكًا. فلو ظهروا عليكم - ولا أراهمُ اللهُ ذلك - لزموكم بمثلِ سعيدٍ، والوليدِ، وعبدِالله بن عامرٍ السَّفيهِ الضَّالِّ، يُجيز أحدُهم فى مجلِسِه بمثلِ دِيَتِه ودية أبيهِ وجَدِّه، ثم يقول: «هذا لى، ولا إثمَ علىَّ»! كأنّما أعطىٰ تُراثَهُ عَن أبيه وأمِّهِ! وإنَّما هُو مالُ الله أفاءَهُ اللهُ علينا. فقاتِلوا - عِبادَاللهِ - القومَ الظَّالمين الحاكمين بغير ما أنزل اللهُ؛ ولا تأخذكم فى جهادِهم لَومَةُ لائمٍ، فإنَّهم مَن عرفتُم وخبرتُم. والله ما ازدادُوا إلى يومِهِم هذا إلاَّ شرًا.»

١) س ٦١ الصَّفّ: ١١.　٢) س ٦١ الصَّفّ: ٤.　٣) مابين [ ] تكملة من الطبرى ٦: ٣٢٩٠.　٤) س ٣٣ الأحزاب: ١٦.　٥) فى الأصل: لا يقاتلونا.　٦) فى الأصل: لن يقاتلونتا.

[ابن بُديل ينتهي إلى قَبّة معاوية]

وقاتَلَهُم عبدُاللهِ بنُ بُدَيل في الميمنةِ حتّى انتهىٰ إلى قُبّةِ مُعاويةَ. ثمّ إنّ الّذين تبايَعُوا [585] على الموتِ، أقبلوا إلى مُعاويةَ، فأمرهم أن يصمدُوا لابن بُديل. وبعث حبيبَ بنَ مَسلمةَ فى ميسرته، فحمل بهم وبمَن كان معه على ميمنةِ النّاس، فهزمَهم، وانكشف أهلُ العِراق مِن قِبَلِ الميمنةِ حتّىٰ لم يَبقَ منهم إلاّ ابن بُدَيل فى مائتين إلى الثّلاثمائةِ من القُرّاءِ قدأسند بَعضُهم على بعض ظَهرَهُ، وانجفلَ النّاسُ. فأمرَ عليٌّ سهلَ بنَ حُنَيف؛ فاستقدمَ فى مَن كان معه مِن أهلِ المدينةِ، فاستقبلَتهُم جموعٌ لأهلِ الشّام عظيمةٌ، فاحتملتهم حتّىٰ ألحقتهم بالمَيمنةِ إلى موقفِ عليٍّ فى القلبِ، فمرّ عليٌّ ومعه بَنوهُ نحوَ الميسرة.

قال[1]:

فواللهِ، إنّى لأرى النَّبلَ يَمُرُّ بين عاتقِهِ ومنكبِه، وما مِن بَنيه واحدٌ إلاّ يَقيهِ بنفسِه، فيتقدّم فيحول بين أهلِ الشّام وبَينَهُ، فيأخذُ بِيدِه إذا فعل ذلك فيُلقيهِ بين يديهِ أو مِن ورائه. فبصُرَ به أحمرُ مولى أبى‌سفيان أو عثمان، فعرفَهُ.

فقال عليٌّ: «وربِّ الكعبةِ، قتلَنى اللهُ إن لم أقتلكَ أو تقتُلنى.»

[كلامٌ بين عليٍّ و الحسن أثناءَ القتال]

فأقبل نحوَه، وخرج إليه كيسان مولىٰ عليٍّ، فاختلفا ضربتين، فقتله مولى بنى أميّه، وينتهزه عليٌّ، فتقع يَدُه فى جَيبِ دِرعِه، فجبذهُ، ثم حمله على عاتقِه. فكأنّى أنظرُ إلى رجليه تختلفان على عنقِ عليٍّ، ثم ضربَ [586] به الأرضَ، فكسر مِنكبَهُ وعَضدَهُ، وشدّ ابنا عليٍّ: **الحسينُ ومحمّدٌ** عليه، فضرَباهُ بأسيافهما، حتّى إذا قتلاهُ، أقبلا إلى أبيهما والحسنُ قائمٌ معه.

قال له: ـ «يا بُنَيَّ، ما منعَكَ أن تفعلَ كما يفعلُ أخواكَ؟»

فقال: «كَفَيانى يا أميرَالمؤمنين!»

ثمّ إن أهلَ الشّام دنَوا منه، فواللهِ مايزيدُهُ قربُهم منه سرعةً فى مَشيه.

فقال لهُ الحسنُ: «ما ضرّكَ لوسَعيتَ حتّى تنتهِىَ إلى هؤلاءِ الّذين قد صَبروا لِعدوّك مِن أصحابك؟»

فقال: «يابُنَيَّ، إنّ لأبيك يومًا لايَعدُوهُ، ولا يُبطئُ به السَّعيُ، ولا يَعجَلُ به إليه المشى، وإنّ

---

١) والقول لزيد بن وهب الجهنى نقله أبومخنف. انظر الطّبرى: ٦: ٣٢٩٣.

أباكَ لايُبالى: وَقعَ على المَوتِ، أو وقع عليه الموتُ[١].»

[مالِكُ يحُضُ المنهزمين على الصمود]

ولمّا أقبل علىٌّ نحو الميسرة، مرَّ بِه الأشترُ يركضُ نحوَ الفزعِ قِبَلَ الميمنةِ.

فقال له علىٌّ: «يا مالِ!»

قال: «لبيك يا أميرَالمؤمنين!»

قال: «إئتِ هؤلاءِ، فقُل لهُم: أين فِـراركم مِن الموتِ الّذى لا تُعجِـزونه إلى الحياةِ الّتى لاتبقىٰ لكُم؟»

فمضىٰ، واستقبلَ النّاسَ منهزمين، فقال لهم هذه الكلمات الّتى أمره علىٌّ بها.

ثمّ قال: «إلىَّ، أيّها النّاسُ إلىَّ! أنا مالك بن الحارث..»

ثمّ ظَنَّ أنّه بالأشتر أعرفُ فى النّاسِ، فقال: «أنا الأشترُ، إلىَّ، إلىَّ!»

فاقبلت طائفةٌ إليه [587] وذهبت عنه طائفةٌ، فقال:

ـ «عَضِضتُم بِهَنِ آبائكم[٢]، ماأقبحَ ما قاتلتُم منذ اليومِ! يا أيُّها النّاسُ، أخلِصُوا إلىَّ مذحجًا.»

فأقبلت مذحِجُ، فقال:

ـ «عضِضتُم بِصُمِّ الجندلِ، ما أرضيتُم ربّكم، ولا نصـحتُم له فـى عدوِّكم، وكيف ذلك وأنتم أبناءُ الحربِ، وأصحابُ الغاراتِ وفِتيانُ الصَّباحِ، وفُـرسانُ الطِّراد، وحُتوفُ الأقـرانِ، ومذحِجُ الطِّعانِ الّذين لم يكونوا يُسبقون[٣] بثارهم، ولاتُطَلُّ دِماؤُهم، ولم تُعرفوا فـى مَوطـنٍ بخسـفٍ، فانتم حدُّ أهل مصرِكم، وما تَفعلوا فى هذا اليومِ فـإنّه مأثورٌ بعـدَ اليومِ، فـاتّقُوا مأثورَ الحـديثِ، واصدُقُوا عدوَّكم اللِّقـاءَ، فـإنَّ اللهَ مع الصّـادِقين. فوالّذى نفس مالكٍ بِيده، مامِن هؤلاء ـ وأشـار بيدِه إلى أهلِ الشّام ـ [رجلٌ][٤] على مثلِ جناح بعـوضةٍ مِن محمّدٍ ـ صـلّىاللهُ عليه ـ إنّكـم ما احسنتُم القِراعَ، فاجلُوا سوادَ وَجهى يَرجع فى وجهى دمى. عليكم بهذا السَّوادِ الأعظم، فـإنَّ اللهَ لَو قدفَضّهُ تَبعَهُ مَن بجانِبَيهِ كما تَبع مُؤَخَّرُ السَّيلِ مُقدَّمَهُ.»

قالوا: «خُذ بِنا حيثُ أحبَبتَ.»

١) فى الطّبرى (٦:٣٢٩٤): «أو وقع الموت عليه». والعبارة ساقطةٌ من مط. ٢) فى بعض الأصول: بِهَنِ أمّكم. (الطّبرى: ٦:٣٢٩٤). وفى الحديث: «من تعزّىٰ بعزاءِ الجاهلية فاعضُوهُ بِهـنِ ابيه ولا تكنُوا». اى، قـولوا له: «إعضض بايرِ ابيك»، ولا تكنُوا عن الأيرِ بِالهَنِ تنكيلاً وتاديبا له. (لع ٧:١٨٨ «عضض»).

٣) فى الأصل: يُسبقُوا. ٤) تكملةٌ عن الطّبرى ٦:٣٢٩٥.

فصمد نحو عُظمهم مِمّا يَلى الميمنةَ، وأخذ يزحفُ إليهم وَيُردُّهُم، ويستقبلُهُ شبابٌ مِن [588] هَمدانَ، وكانت همدانُ يومئذٍ ثمانمائة مقاتلٍ. فانهزموا آخِرَ النّاسِ، وكانوا صَبَروا فى الميمنةِ، حتّى أُصيبَ منهم مائةٌ وثمانون رجلاً، وقُتِل منهم أحدَ عشرَ رئيسًا يتتابعون على الرّايةِ. فمرّوا بالأشترِ وهم يقولون:

- «ليتَ لنا عِدّتَنا مِن العربِ يُحالفونَنا على الموتِ، ثمّ نستقدم نحن وهم، فلا ننصرف حتّى نُقتَلَ أو نظهر.»

فقال لهم الأشتر: «إلَيَّ، أنا أُحالفكم وأُعاقدكم على أن لا نرجعَ أبدًا حتّى نظفرَ أو نَهلِكَ.»

فأتَوهُ، فوقفُوا معه، وزحف الأشترُ، وثابَ[1] إليه النّاس، وأخذ لايَصمدُ لِكتيبةٍ إلاّ كشفَها، وبيدِه صفيحةٌ يمانيةٌ إذا طأطأَها خِلتَ فيها ماءًا مُنصبًّا، وإذا رفَعَها كاد يَغشى البَصَرَ شُعاعُها، وجعلَ يضربَ بسيفِهِ ويقول:

- «الغمراتِ[2] ثمّ ينجلينا.»

فبصُرَ به الحارثُ بن جَهمان والأشترُ مُقنّعٌ فى الحديدِ، فلم يعرفه. فدَنا مِنه وقال:

- «جزاكَ اللهُ خيرًا منذ اليوم عن أميرالمؤمنين وجماعةِ المسلمين.»

فعرفهُ الأشتر فقال: «يابنَ جَهمان، إنّ مثلَكَ لايتخلّفُ عَن مثل مَوطِنى هذا [الّذى أنا فيه][3].»

فعرفهُ ابن جَهمان لمّا تكلّم، وكانَ مِن أعظم الرِّجالِ وأطولِهم، فقال: له:

- «جُعِلتُ فِداكَ، لا والله، ماعَلمتُ بمكانك إلاّ السّاعةَ [589] ولا أُفارقُك حتّى الموتِ.»

ورآه منقذٌ وحِميرُ ابناقيس النّاعِطيّان.

فقال منقذٌ لحِمير: «ما فى العرب مثلُ هذا إن كان قتالُه عن نيّة.»

فقال له حمير: «وهل النّيّةُ إلاّ ماتَراهُ يَصنعُ.»

قال: «إنّى أخافُ أن يكونَ يُحاولُ مُلكًا.»

وحملَ الأشتر فى بعض حملاته، فكشف أهلَ الشّامِ حتّىٰ ألحقَهُم بصفوفِ مُعاويةَ، وذلك بينَ صَلاةِ العَصر والمغربِ، وانتهىٰ إلى عبدِاللهِ بنِ بُديلٍ، وهو فى عُصبةٍ مِن القُرّاءِ بينَ المائتين إلى الثّلاثمائةِ، وقد لَصِقوا بالأرضِ كأنّهم جُثِىٌّ، فكشف عنهم أهلَ الشام، فأبصَروا

---

١) مط: وباتت ٢) «الغمرات» مرفوعة فى الطّبرى (٣٢٩٧:٦) ومنصوبة فى الأصل. ٣) تكملة من الطّبرى (٣٢٩٧:٦).

إخوانَهم قددَنوا منهم.

فقالوا: «مافعلَ أميرُالمؤمنين؟»

قالوا: «حَيٌ صالحٌ يُقاتِلُ في المَيسرة، ويقاتل النّاسُ أمامَهُ.»

فقالوا: «والحمدللهِ، قدكُنّا ظَنَنّا أن قدهَلَكَ وهَلكتُم.»

[إبن بديل يعصى مالكًا ويُقتل]

وقال عبدُالله بنُ بُديلٍ لأصحابه:

«استقدموا بِنا، رحمكم الله!»

فأرسل إليه الأشتر أن:

«لاتفعَل، أثبُت لِلنّاسِ، وقاتِل، فإنّه خَيرٌ لَهُم، وأبقيٰ لك ولأصحابِك.»

فعَصاهُ ومَضيٰ كما هُوَ نحوَ مُعاوية، وحولَهُ كأمثال جبالِ الحديد، وفي يَدِه سيفان، وقد خرجَ. فهو أمامَ أصحابِه. فأخذ كلّما دَنا منه رَجُلٌ قتلَهُ، حتى قَتلَ تِسعةً، ودنا من معاوية، فنهض إليه النّاسُ [590] مِن كُلّ جانبٍ، وأحيطَ بِه حتّى قُتِلَ ناسٌ مِن أصحابِه، ورَجعت طائفةٌ قد خرجُوا مُنهزِمينَ.

فبعث الأشترُ ابن جهمان، فحملَ على أهلَ الشّام الّذين يتبَعون مَن كان نَجا مِن أصحاب ابن بُديلٍ، حتّيٰ نَفَّسُوا عنهم، وانتهوا إلى الأشتر. فقال لهم:

ـ «الم يكُن رأيي خيرًا لكم مِن رأيِكم لأنفسكم؟ ألَم آمُركم أن تثبُتوا مع النّاسِ؟»

وكان معاويةُ لمّا رَأى عبدَالله بنَ بُدَيلٍ يضرب قُدمًا، قال:

ـ «أترونَهُ كبشَ القومِ!»

فلمّا قُتل أرسَلَ إليه لِينظُرَ: مَن هو؟ فلم يَعرفهُ أحدٌ. فاقبل إليه حتّيٰ وقف عليه، فقال:

ـ «بليٰ، هذا عبدُاللهِ بنُ بُديلٍ، هذا واللهِ كما قال»:

أخُو الحربِ إن عضّت به الحربُ عَضَّها   **و إن شمّرت يومًا لهُ الحربُ شَمَّرا**

ثمَ إنَ الأشتر حملَ حملةً أزال أهل الشّام عن موقفِهم، حتّيٰ ألحَقهم بالصُفوفَ الخمسة المُعقّلةِ بالعمائمِ حول مُعاوية، ثمّ شدَ عليهم شَدّةً أخريٰ، فصرع الصَفوفَ الأربعة المُعقّلين، حتّى انتَهوا إلى الخامسِ حولَ معاوية. فدعا معاويةُ بِفرسِه، فركبَهُ.

وكان يقول:

ـ «أردتُ أن أنهزِمَ فذكرتُ قولَ ابنِ الإطنابةِ: [591]

أَبَتْ لى عِفَّتى، وأبىٰ بَلائى[١] وأخذِى الحَمد بالثَّمنِ الرَّبيح[٢]
وإجشامى[٣] عَلَىٰ المَكروهِ نَفسى وإقدامى عَلَىٰ البطَلِ المُشيح[٤]
وقَولى كُلَّما جَشَأَت وجَاشَت[٥] مَكانَكِ، تُحمَدى، أو تستريحى[٦]
فمَنَعَنى من الفرار.»[٧]

[2,1] و إنّ عليًا لمّا رَأىٰ ميمنته قد عادت إلى مواقفها ومصافّها، و كشـفت مَن بإزائهـا، أقبلَ حتّى انتهى إليهم، فقال:

---

١) فـى الطّبرى: أبَت لى عفّتى وحياءُ نفسى (٦:٣٣٠٠). ٢) المصـراع للبيتِ الثانى عند الطبرى. ٣) فـى الطّبرى: وإعطائى على المكروه مالى. وعند الأصمعى: وإقدامى على المكروه نفسى! ٤) عند الأصـمعى: وضـربى هامَةَ البطلِ المُشيحِ. والمُشيحُ: المُجِدُّ. والمصراع للبيت الأوّل عند الطبرى. ٥) عند الأصمعى: جاشَت وجـاشَت. ولعله من أخطاء المطبعة أو الكاتب. ٦) وزاد الأصمعى بيتًا آخر هو:

لأدفعَ عَن مَكارِمَ صالِحاتٍ واحمىَ، بعدُ، عَن عرضٍ صَحيحِ

٧) وزاد فى الكامل (٣٠٣:٣): «ونظرَ إلىٰ عَمرٍو وقال: اليومَ صَبرٌ، وغدًا فَخرٌ. فقلتُ: صـدقتَ.» **وهذه الزيادة ليست لا فى الأصل ولا فى الطبرى.**

نهاية الجزء الأوّل

حسب تجزئة مخطوطة اياصوفيا

إلى هنا (أى إلى نهاية قوله: «فمنعنى من الفرار.» ينتهى الجزء الأوّل من أجزاء تجارب الأمم السـتّة، حسـب تجـزئة مخطوطة اياصوفيا (الأصل). ولمّا لم تكن التجزئة منطقيّةً، أضفنا إلى الجزء الأوّل 43 صفحة من صفحات الجزء الثانى، ليكتمل بذلك، هذا الفصل الذى أصبح مبتورا بتلك التجزئة. وأمّا عبارات الإتمام و الفراغ الّتى سُـجّلت فـى نهـاية الجـزء **الأوّل من المخطوطة، فنثبتها فى مايلى، ليكون مابين يدى القارئ مطابقًـا تمامًا للأصـل الذى اعتمدنا عليه.**

«تمّت المجلّدة الأولى من كتاب تعاقب الهمم و تجارب الأمم، و الحمد لله، و هو حسبنا و نعم الوكيل، و صـلواته على محمّدٍ و آله اجمعين. و يتلوهُ فى المجلدة الثانية: وإنّ عليًا لمّا رأى ميمنتهُ قدعادت إلى مَواقفها ومَصـافّها، و كَشـفت مَن بإزائها أقبل حتّى انتهى إليهم. الحمد لله ربّ العالمين، حمدَ الشاكرين، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ باللهِ العلىّ العظيم.»

«فرغ من انتساخه محمد بن علىّ بن محمّد أبوطاهر البلخى فى الرّبيع الأوّل سـنة خمسٍ و خمسـائة [٥٠٥ هـ]. والحمد لله كثيرًا»

«فرغ من انتساخه محمد بن الحسن بخطّه فى ذى الحجّة سنة...» [هنا كلمةٌ لا تُقرأ].

ونتيجةً لهذا، ننقل البسملة و عبارات الحمد و التصلية الّتى جاءت فى أوّل الجزء الثانى للمخطوطة، إلى الهـامش لئلاّ تُخلّ بالسّياق، وهى:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم. الحمد لله ربّ العـالمين، حمدَ الشـاكرين، وصـلواته على محمّدٍ النّبىّ، و آله الطّاهرين.» (انظر تصديرنا لهذه النشرة).

ـ «إنّى قدرأيتُ جولتَكم، و انحيازَكم عن صفوفكم، تَحوزُكم الجُفاةُ الطَّغام[١]، و أعراب الشّام، و أنتم لَهاميم العرب، و السَّنام الأعظم، و عُمّار اللّيل بتلاوة القرآن، و أهلُ دعوة الحقّ إذ ضلّ الخاطئون. فلولا إقبالكُم بعد إدباركم، و كرُّكم بعد انحيازكم، وجب عليكم ما وجب على المُولّى يومَ الزَّحف دُبُرَهُ، و كنتم من الهالكين، و لكن هوَّنَ وَجْدى، و شَفىٰ بعضَ أُحاحِ[٢] نفسى أنّى رأيتُكم بأُخرةٍ حُزتُموهم[٣]، كماحازوكم، و أزلتُموهم عن مَصافِّهم كما أزالوكم، تَحُسّونهم[٤] بالسّيوف، يركب أولاهم أخراهم، كالإبل المطرودةِ الهِيمِ. فالآن، فاصبروا نزلت عليكم السَّكينة وثبَّتكم الله باليقين وإنّ الفارَّ لايزيد فى عمره و لا يُرضى ربَّه، [3] فموتُ المرءِ مُحقًّا قبلَ موجدة[٥] الله، و الذُّلّ اللازم، و العار الباقى، و اغتصابِ الفَىْءِ من يده، و فساد العيش، خيرٌ من الرِّضا بالتّأنيس[٦] لهذه الخِصال، و الإقرار عليها.»

فصبر القوم، و قُتل الفرسانُ من الجانبين. فقُتل ذوالكَلاع و عُبيدالله بن عمر، و تنادت ربيعةُ ـ حيث انتهى إليها علىٌ ـ بينَها: أن:

ـ «أُصيبَ علىٌ فيكم، و قد لَجأ إليكم، افتضحتم آخر الدّهر، و تشاءَم بِكُم المسلمون.»

وقال لهم شقيق بن ثَور:

ـ «يا معشر ربيعة، لا عُذر لكم فى العرب إن وصل إلى علىٍّ فيكم و منكم رجلٌ حىٌّ.»

فقاتل القوم قتالاً شديدًا حين جاءَهم علىٌ، لم يكونوا قاتلوا مثلها. ففى ذلك قال علىٌ عليه‌السّلام:

لِمَن رايةٌ سَوداءُ يَخفِقُ ظِلُّها إذا قيل: قَدِّمْها حُضَينُ، تَقدَّما
يُقدِّمُها فى الموتِ حتّىٰ يردُّها[٧] حِياضَ المَنايا تَقطُرُ الموتَ والدَّما
أذقنا ابنَ هندٍ ضَربَنا و طِعانَنا بِأرماحِنا حتّى تولّى و أحجَما
جَزَى اللهُ قَومًا قاتَلوا[٨] فى لِقائهم لَدَى الموتِ، قَومًا ما أعفَّ و أكرما[٩] [4]

---

١) فى مط: يحوزكم الجفاء الطعام! و فى الطبرى (٦:٣٣٠١): الطُغاة الجُفاة. و الطَّغام (للواحد و الجمع): أوغاد النّاس.
٢) الأُحاح: العطش، الغيظ. ٣) حُزتُموهم: سُقتموهم. ٤) تحُسّونهم: تقتلونهم باستئصال رؤوسهم، تُبيدونهم. و فى مط: تحثونهم! ٥) المَوجِدة: الغضب. ٦) التانيس: مهملةٌ فى الأصل و مط، فاعجمناها حسب الطبرى ٦: ٣٣٠١. ٧) كذا فى الأصل و مط: يرذها، و فى الطبرى (٦:٣٣١٦): يُزيرها.
٨) فى هامش الأصل: «صابَرُوا». ٩) و يُضيف الطبرى بيتين، هما:

و اطيبَ أعبارًا، و أكرمَ شيمةً إذا كان اصواتُ الرِّجالِ تَغَمْغُمًا
ربيعةَ أعنى، إنّهم اهلُ نجدةٍ وباس، إذا لاقوا جسيمًا عَرَمْرَمًا

[مقتل عمّار بن یاسر]

قال:

وسمعتُ عمّارًا یقول:

ـ «والله، إنّی لأریٰ قومًا یضربونکم ضربًا یرتابُ منه المبطلون، وأیمُ الله، لو ضربُونا حتّی یبلُغونا سَعفات هَجَر[1]، لَعلمنا أنّا علی الحقّ، وأنّهم علی الباطل.»

ثمّ حَمل حتّی وصل إلی عمرو بن العاص، فقال له:

ـ «لقد قاتلتُ هذه الرّایةَ ثلاثًا مع رسول الله ـ صلّی الله علیه ـ و هذه الرّابعةُ، ماهی بِأبَر ولا أتقیٰ.»

قال:

و رَأیت عمّارًا جاءَ إلی هاشم بن عُتبة، و هو صاحبُ رایةِ علیٍّ، فقال:

ـ «یا هاشمُ، الجنّة تحت ظِلال السُیوف، ألیومَ، ألقی الأحبّة، محمّدًا و حزبَه.»

فحَمَلا، و لم یرجعا.

و لمّا قُتِلَ عَمّارُ، قال علیٌ لربیعة و همدان:

ـ «أنتم دِرعی و رُمحی.»

فانتدب له نحوٌ من اثنی عشر ألفًا، و تقدّمهم علیٌ علی بَغلتِه، فحمَل و حَمَلُوا معه، حملةَ رجلٍ واحدٍ، فلم یبقَ لأهل الشّام صَفٌ إلاّ انتقضَ، و قتلوا کُلَّ من انتهی إلیه، حتّی بلغوا مُعاویةَ.

[علیٌ یُبارز مُعاویة]

ثمّ نادی علیٌ مُعاویةَ:

ـ «یا مُعاویةُ، لِمَ تقتل النّاس بینَنا؟ هلُمّ أُحاکِمکْ إلی الله، فأیُّنا قتلَ صاحبَه استقامت له الأُمورُ.»

فقال له عَمرُو:

ـ «أنصفك الرّجلُ.»

فقال معاویةُ:

[1] هَجَر: مدینة، وهی قاعدة البحرین، و ربما قیل: «الهجر» بالألف و اللام، و قیل ناحیة البحرین کلّها، و هو الصواب (یاقوت).

ـ «ما أنصفتَ، و إنك [5] لَتعلم أنّه لم يُبارِزْهُ أحدٌ قطُّ إلاّ قتلَهُ.»

فقال عمرُو:

ـ «ما يجمُل بك إلاّ مبارزتُه.»

قال معاويةُ:

ـ «طمِعتَ فيها بعدى.»

[مادبّره علىٌّ لإزالة كتيبة]

و مرّ علىٌّ بكتيبةٍ فرَءَاهم لا يزولون. فحرّض عليهم و قال:

ـ «إنّ هؤلاءِ لا يزولون[1] إلاّ بضربٍ دِراكٍ[2] يفلقُ الهامَ، و يُطيح العِظامَ، و تسقط منه المعاصمُ و الأكُفُّ، و حتّى تُصدَعَ جِباهُهم بِعُمُدِ الحديد، و تَنتَثِرَ حَواجِبُهم على الصُدور. أينَ أهلُ الصّبرِ و طُلاّبُ الأجر؟»

فثابت[3] إليه عصابةٌ. فدعا ابنَهُ محمّدًا، فقال:

ـ «إمشِ نحوَ أهلِ هذه الرّاية مشيًا رُويدًا على هينتك[4]، حتّى إذا أشرعتَ فى صُدورهم الرّماحَ، فأمسِكْ حتّى يأتيَكَ أمرى.»

ففعل، وأعدّ علىٌّ مِثلَهم. فلمّا دَنا منهم محمّدٌ، فاشرعَ الرّماحَ فى صُدورهم، أمرَ علىٌّ الّذين أعدّهم، فشدُّوا عليهم، فنهض محمّدٌ بمَن معهم فى وجوههم، فزالوا عن مواقفهم، و أصابوا منهم. ثمّ اقتتلوا بعد المغرب قتالاً شديدًا. فما صلّى أكثر النّاس إلاّ إيماءًا.

[العالى مَن جعل المعركة خلفَ ظَهره]

و قُتل عبدالله بن كعب المرادىّ. فمرّ به الأسودُ بن قيس المُرادىّ، فقال:

ـ «يا أسود!»

فقال:

ـ «لَبّيكَ.»

١) فى مط: لا يزلون. ٢) و الضبط فى الطبرى (٣٣٢٧:٦): بضربٍ دِرَاكٍ. و الدِّراك: المتلاحق و المتّصل.

٣) ثابَتْ: ربما يكونُ ما فى الأصل: تابَتْ، و ما فى مط: ثابَت؛ و كلاهما بمعنىً واحدٍ: رجعت. ٤) كذا فى الأصل و الطبرى: على هينتك، وما فى مط: هيتك.

و عرفه، و كان بآخر رمقٍ.

فقال:

- «عزَّ [6] علىَّ بمصرعك[١]. أما و الله، لو شهدتُك لآسيتُك، و لدافعتُ عنكَ.»

ثمّ نزل إليه و قال:

- «أما و الله، إن كان جارُك، ليَأمَن بوائقَك. و لقد[٢] كنتَ من الذّاكرين اللهَ كثيرًا، أوصِنى - رحِمَك اللهُ.»

فقال:

- «أوصيك بتقوى الله، و أن تُناصحَ أميرالمؤمنين، و تُقاتل معه المُحلّين حتّى يظهرَ أو تلحقَ بالله. و أبلِغْهُ عنّى السّلام، و قُلْ له: قاتِلْ على المعركة حتّى تجعلَها خلفَ ظهرِك، فإنّه مَن أصبح غدًا و المعركةُ خلفَ ظهره، كان العالىَ.»

ثمّ لم يلبث أن ماتَ.

فأقبل الأسود إلى علىٍّ، فأخبره، فقال:

- «رَحمهُ اللهُ، جاهدَ فينا عدوَّنا فى الحياة، و نصح لَنا فى الوفاة.»

و اقتتل النّاس تلك اللّيلة كلَّها حتّى الصّباح - و هى ليلةُ الهَرير - حتّى تقصّفت الرماحُ، و نفد[٣] النّبلُ، و صار النّاسُ إلى السّيوف، و أخذ علىٌّ يسير فى ما بين الميمنة و الميسرة، و يَأمرُ كلَّ كتيبةٍ من القُرّاءِ[٤] أن تُقدمَ على الّتى تَليها، و لم يزل يفعل ذلك و يقوم بهم، حتّى إذا أصبح كانت المعركة كلُّها خلفَ ظهره، و الأشترُ فى ميمنة النّاس، و ابن عبّاسٍ فى الميسرة، و علىٌّ فى القلب، و النّاس يقتتلون من كُلِّ جانبٍ، و ذلك يوم الجمعة.

[الظّفر يلوح للأشتر و معاويةُ يلتمس حيلةً]

و كان علىٌّ يُراسل الأشتر و يرفده، و كان الأشتر [7] تولّى القتالَ عشيّةَ الخميس و ليلةَ الجمعة كلَّها و يومَ الجمعة إلى ارتفاع النّهار، و قد كَلَّ النّاسُ، و أخذ يقول لأصحابه:

- «إزحفوا قيدَ هذا الرُّمح.»

١) كذا فى الطّبرى (٦: ٣٣٢٦): بمصرعك؛ وفى هامش الطبرى: لمصرعك؛ وفى مط: مصرعك ٢) فى الطبرى: و إن كنت. فى مط: لقد كنت؛ كما فى الأصل. ٣) فى الأصـل: نفذ، و ما ضبطناهُ من مط و الطبرى ٦: ٣٣٢٧.

٤) مط: القُرىٰ. و ما فى الأصل يؤيّدهُ الطبرى.

و زحف بهم نحو أهل الشام. فإذا فعلوا، قال:

- «إزحفوا قابَ[١] هذا القوس.»

فإذا فعلوا، سألهم مثلَ ذلك، حتّی مَلَّ النّاسُ الإقدامَ. فلمّا رأی الأشتر ذلك، قال:

- «أعيذُكم بالله أن ترضعوا الغَنم سائرَ اليوم.»

ثمّ دعا بفرسِه، و ترك رايَتَهُ مع حيّان بن هَوذَة[٢]، و خرج يسير فی الكتائب و يقولُ:

- «مَن يشری نفسَهُ للهِ و يقاتِلُ مع الأشتر، حتّی يَظهرَ، أو يلحقَ بالله؟»

فلا يزال[٣] رجلٌ من[٤] النّاس قد خرج إليه و حيّانُ بنُ هوذة واقفٌ بالرّاية، فلمّا اجتمع إليه ناسٌ كثيرٌ، أقبل حتّی رجع إلی المكان الّذی كان فيه من الميمنة. ثم قال لأصحابه:

- «شدَّةً - فِدًی لكُم عمّی و خالی - تُرضُون بها الرَّبَّ، و تُعِزُّون بها الدين، إذا شَدَدتُ، فشدُّوا.»

ثمّ نزل فضرب وجهَ دابّته و قال لصاحب رايته:

- «اقدم بها.»

ثمّ شدَّ علی القوم شِدَّةً، و شَدَّ معه أصحابه. فضرب أهلَ الشام حتّی انتهی إلی عسكرهم. ثمّ قاتلوهُ عند العسكر قتالاً شديدًا، فقُتل صاحب رايته، و لاح له الظَّفرُ بما اضطرب من صفوف [8] معاوية. و نظر علیٌ، فرأی الظَّفر من قِبله، فأخذ يُمدّه بالرِّجال.

فالتفت معاوية إلی عَمرو بن العاص، فقال:

- «أما تَری أهلَ العراق قد استعلَوا؟»

فقال عَمرٌو:

- «هذا الهلاكُ. فهلمَّ حيلةً.»

قال:

- «قُل، ماعندك.»

ذِكرُ مكيدةِ عمرو بن العاص

قال:

---

١) القاب: المقدار. او مابين المقبض و السُّيَةِ من القوس. ٢) فی مط: حبان، و ما فی الأصل يطابق الطبری ٦:٣٣٢٨. ٣) فلا يزال: الضبط فی الأصل «يَزال» بفتح الياء، و ما فی الطبری مضبوطٌ بضمّ الياء: يُزال.

٤) من: سقطت من مط.

ـ «قد رأيتُ أمرًا إن قبلتَهُ لا يزيدُنا إلاّ اجتماعًا، و لا يزيدُهم إلاّ فُرقةً.»

قال:

ـ «نعم.»

قال:

ـ «نرفع المصاحفَ على الرماح، ثمّ نقول: ما فيها حكمٌ بيننا و بينكم. فإن أبىٰ بعضهُم إلاّ القتال، وجدتَ فيهم من يقولُ: لا نقاتل حتّى ننظرما يحكم القرآنُ. فتقع بينَهم الفُرقةُ؛ فإن قالوا بأجمعهم: نقبل حكُمَ القرآن؛ رفعنا هذه الحربَ، و دافعناها[1] إلى أجلٍ و حين.»

فرفعوا المصاحف بالرماح، و قالوا:

ـ «عِبادَ الله! هذا كتاب اللهِ بيننا و بينكم، مَن لثُغورِ الشام بعدَ أهل الشام، مَن لثُغور العراق بعدَ أهلِ العراق؟.»

فلمّا رأى النّاسُ المصاحفَ، و سمعوا هذا الكلامَ، رقّت قلوبُهم، و قدكان مَسّهم النَّصَبُ والمَلالُ. فقالوا:

ـ «نُجيب إلى كتاب الله.»

فلمّا رأى عليٌّ الفُتورَ فى أصحابه بعدَ الجِدّ، صاحَ بِهم:

ـ «عبادَ الله، امضُوا على حَقّكم، و صِدقكم، و قتال عدوّكم. فإنّ معاويةَ، [9] و عمرو بنَ العاص، و ابنَ أبى سَرحٍ، و الضَّحّاكَ بن قيسٍ، ليسوا بأصحاب دينٍ و قُرآنٍ. أنا أعرف بهم منكم، و صَحبتهُم أطفالاً و رجالاً. و يحكم! و اللهِ[2]، إنّهم ما رفعوا المصاحفَ. إنّهم لا يعرفونَها، و لا يعلمون ما فيها؛ و ما رفعوها إلاّ خديعةً و مكيدةً حينَ عَلَوتُموهُم.»

فقالوا:

ـ «ما يَسَعُنا أن نُدعىٰ إلى كتاب اللهِ، فنأبىٰ أن نقبلَهُ.»

فقال لهم عليٌّ:

ـ «و يحكم! فإنّى إنّما أُقاتلهم لِيدينوا بِحكم اللهِ، و يعملوا بالقُرآن، فإنّهم قد عَصَوا اللهَ فى ما أمرهم، و نَبَذوا كتابَه، و نَسُوا عهدَهُ.»

١) ما فى الأصل و مط: «دافعناهُ» بتذكير ضمير المفعول، فاثبتنا الضمير لأنّه يرجع إلى «الحرب» و هى مؤنّثةٌ. ٢) والله: الواو فى «والله» سقطت من مط.

[القُرّاءُ يُهدّدُون عليًا و يطالبون ترك القتال]

فقال له مسعَر بن فَدكی[١]، و زيدُ بن حصنٍ الطّائی، ثمَّ السَّنبِسی[٢] فی عصابة معهما من القُرّاءِ الّذين صاروا خوارجَ بعد ذلك:

- «يا علیُّ، أجِبْ إلى كتاب الله إذا دُعيتَ إليه، و إلاّ دفعناكَ برُمّتِك إلى القوم، أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفّان. والله، لَتفعلنّها، أو لَنفعلنّها بك.»

قال:

- «فاحفظوا عنّی مقالی، فإنّی آمُركم بالقتال، و إن تعصونی، فافعلوا ما بَدا لكم.»

قالوا له:

- «فابعثْ إلى الأشتر! إمّا لا[٣]، فَلْيأتِك.»

فأمسك علیُّ. فنزل قومٌ فأحدقوا به.

فبعث إلى الأشتر يزيد بن هانئٍ السَّبيعی: أن ائتِنی. [10] فذهب، فأبلغه.

فقال:

- «إيتِهِ، فقُل له: ليس هذه، السّاعةَ الّتی ينبغی أن تُزيلَنی فيها عن موقفی. إنّی قد رجوتُ أن يفتحَ اللهُ لی، فلا تُعجلنی.»

قال:

فرجع يزيد بن هانئٍ إلى علیٍّ، فأخبرهُ. فما هو إلاّ أن انتهى إلينا، فارتفع الرَّهج[٤]، وعَلَتِ الأصواتُ من قِبلِ الأشتر.

فقال له القوم:

- «والله ما نَراكَ إلاّ أمرتَه أن يُقاتلَ.»

فقال علیُّ:

- «من أين ينبغی أن ترَوا ذلك؟ رأيتمونی سارَرْتُه؟ أليس إنّما كلّمتُه على رُؤوسكم علانيةً وأنتم تسمعون؟»

قالوا:

- «فابعث إليه بعزيمتك فليأتِكَ، وإلاّ - والله - اعتزلناك.»

١) فی مط: معر بن فدلی. والضّبط فی الطبری (٦: ٣٣٣٠) فَذَكیّ. ٢) فی مط: البنسی. ٣) كذا فی الأصل و الطّبری؛ و ما فی مط: امثالا! ٤) الرَّهج: الشّغَب، الفتنة، الجلبة، الشّرّ.

قال:

ـ «و یحكَ یایزیدُ! عُدْ إلیه فقُل له: أقبِلْ[١] إلینا، فإنّ الفتنة قد وقعتْ.»

فأتاهُ، فقال له ذلك.

فقال الأشتر:

ـ «أ لِرفع المصاحف؟»

قال:

ـ «نعم، أما والله، لقد ظننتُ حین رُفعت، أنّها ستُوقع اختلافًا و فُرقةً. إنّها مشورة ابن العاهرة. ألا ترىٰ أنّ الفتح قد وقع؟ ألا ترىٰ إلى ماصنع اللهُ لنا؟ أ ینبغی أن أدعَ هؤلاءِ و أنصرفَ عنهم؟»

قال یزیدُ بنُ هانیٔ:

ـ «أ تُحبُ أنّكَ قدظهرتَ هاهنا و امیرالمؤمنین یُقتلُ بمكانه، أو یُسلَم إلى عدُوِّه؟»

فقال:

ـ «لا والله، سبحان الله!» [11]

قال:

ـ «فإنّهم قدقالوا: لَتُرسلَنّ إلى الأشتر، فلْیأتكَ، أو لَنَقتلنَّكَ كما قتلنا ابنَ عَفّان.»

[مالكُ یَضع القتالَ و یُقبل، بعدَ ان رأى النّصرَ]

فأقبلَ معی الأشتر حتّى انتهى إلیهم، فقال:

ـ «یا أهلَ العراق، یا أهلَ الذُلّ و الوَهن! أ حینَ عَلَوتُم القَومَ ظفرًا، و ظنّوا أنّكم[٢] لهم قاهرون، رفعوا المصاحف یَدعونكم إلى مافیها؟ و قد ـ والله ـ تركوا ما أمر الله به فیها، و سُنّةَ مَن أُنزلت علَیه، فلا تُجیبوهم، یا قوم، أمهلونی عَدْوَ الفرس، فإنّی قد رأیتُ النّصرَ.»

قالوا:

ـ «إذًا ندخل معك فی خطیئتك.»

قال:

---

١) أقبل: الكلمة مطموسةٌ فی الأصل، فاثبتناها كما فی مط والطّبری.

٢) فی الأصل: بكم، وما أثبتناه من الطبری ٦:٣٣٣١.

- «فحدَّثونى عنكم، و قد قُتِلَ أماثِلكُم، و بقى أراذِلُكم، متى كنتم مُحقِّين؟: أحينَ كنتم تُقاتلون و خيارُكم يُقتلون؟ فأنتم الآنَ إذا أمسكتم عن القتال مُبطلون، أمِ الآنَ أنتم مُحقُّون؟ فقتلاكم الَّذين لا تُنكرون فضلَهم و كانوا خيرًا منكم، فى النَّار إذًا!»

قالوا:

- «دَعنا منكَ يا أشتر، قاتَلناهم فى الله، و نَدَعُ قتالَهم لله. إنَّا لَسنا مُطيعيكَ و لا صاحِبَك، فاجتنِبْنا.»

فقال:

- «خُدِعتم والله، و انخدعتم، و دُعيتُم إلى وَضع الحرب بعد أن غَلبتُم، فأجبتُم. يا أصحابَ الجِباهِ السُّودِ، كُنَّا نظُنُّ صَلاتَكم زهادةً فى الدُّنيا، و شَوقًا إلى لقاءِ الله! فلا أرىٰ فِرارَكم إلاَّ إلى الدُّنيا من الموت. ألا [12] قُبحًا[1] لكم. يا أشباهَ النِّيبِ[2] الجَلاَّلَةِ! ما أنتم برائين بعدَها عِزًّا أبدًا. فابعدوا كما بعُد القومُ الظَّالمون.»

فسَبُّوهُ، وسبَّهُم، وضربُوا وجهَ دابَّته بسِياطهم، وأقبل يضربُ وُجوهَ دَوابِّهم بِسَوطِه، وصاح بهم علىٌّ، فكَفُّوا[3].

[قبولُ النَّاسِ التَّحكيم، واستعلامُ معاوية]

وتنادى النَّاس:

- «قد قبلنا أن نجعلَ القُرآن بينَنا وبين هؤُلاءِ القوم حَكَمًا.»

فجاء الأشعثُ بن قيسٍ إلى علىٍّ وقال:

- «ما أرى النَّاسَ إلاّ قدرَضُوا، وسرَّهُم أن تُجيبُوا القوم إلى مادعَوهم إليه من حكم القرآن. فإن شِئتَ أتيتُ معاويةَ فاستعلمتُه مايُريد، فنظرتَ فيه.»

قال:

- «إئتِهِ إن شِئتَ، فسَلْهُ.»

فأتاهُ وقال:

١) قبحًا: كذا فى الأصل والطَّبرى (٣٣٣٢:٦)؛ وفى مط: فتحًا وهو خطأ.

٢) النِّيب: جمعُ مفرده: النَّاب: النَّاقةُ المُسِنَّة. والجَلاّلَةُ: من الماشية: الّتى تاكل العذِرةَ، والجِلَّة، (اى: البَعَر والرَّوث).

٣) فكفُّوا: مافى الأصل غير واضح، وما اثبتناهُ يؤيِّده الطَّبرى ومط.

ـ «يا معاوية، لأىّ شىء رفعتم المصاحف؟»

قال: «لنرجعَ نحن وأنتم إلى ما أمر الله فيها، تبعثون منكم رجلاً ترضَون به، ونبعث منّا رجلاً نرضىٰ به، نأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله لا يَعدُوانِه، ثمّ نتبع جميعًا ما اتّفقا عليه.»

فقال له الأشعثُ:

ـ «هذا الحقّ.»

ثمّ انصرف إلى علىّ بما قال معاويةُ.

فقال النّاس:

ـ «قد رضينا و قبلنا.»

قال أهلُ الشّام:

ـ «فإنّا قد اخترنا عمرَو بن العاص.»

و قال الأشعث و أولئك القوم الّذين صاروا خَوارجَ [13] بعدُ:

ـ «فإنّا قدرضينا بأبى موسىٰ الأشعرى.»

[علىٌّ لا يَرضىٰ بأبى مُوسى والنّاس يأبون إلاّ إيّاهُ]

قال علىٌّ:

فإنّكم قدعَصيتمونى فى أوّل الأمر، فلا تعصونى الآن. إنّى لا أرى أن أُولّىَ أباموسى.»

قال الأشعثُ و زيدُ بن حصنٍ الطّائى و مسعر بن فَدكى[1]:

ـ «لا نَرضىٰ إلاّ به، فإنّه قدكان يُحذّرُنا ماوقعنا فيه.»

قال علىٌّ:

ـ «فإنّه ليس لى بثقةٍ، قدفارقنى، وخذّل النّاسَ عنّى، ثمّ هرب منّى حتّىٰ آمنتُه بعدَ أشهُرٍ، ولكن هذا ابنُ عبّاسٍ، أُولّيه ذلك.»

قالوا:

ـ «والله مانُبالى: أنتَ كنتَ، أم ابن عبّاس. مانُريد إلاّ رجلاً هو منكَ ومن معاويةَ سَواءٌ.»

قال علىٌّ:

ـ «فإنّى أجعله الأشتر.»

---

۱) فى مط: فَدلى

فقال الأشعثُ:

ـ «وهل سعَّر الأرضَ غيرُ الأشتر، وهل نحن إلاَّ فى حُكم الإشتر؟»

قال علىٌّ:

ـ «وما حُكمُه؟»

قال:

ـ «أن يضربَ بعضُنا بعضًا بالسُّيوف حتَّى يكونَ ما اردتَ.»

قال:

ـ «فقد أبَيتُم إلاَّ أباموسى.»

قالوا:

ـ «نعم.»

قال:

ـ «فاصنعوا مابَدا لكم.»

فبعثوا إليه وقد اعتزل القِتالَ وهو يُعرِّضُ[١]. وأقبل الأشتر حتَّى جاءَ إلى علىٍّ فقال له:

ـ «ألِزَّنى[٢] بعمرو بن العاص، فوالله الَّذى لا إله إلاَّ هو، لئن مَلأتْ عينى منه لأقتلنَّه.»

وجاءَ الأحنف بن قيس، فقال:

ـ «يا أميرالمؤمنين، إنَّك رُميتَ بحجر الأرض، [14] وبمَن حارب اللهَ ورسولَه أنفَ الإسلام، وهذا الرَّجل ـ يعنى أباموسىٰ ـ قد عجَمتَه وحَلبتَ[٣] أشطُرَهُ، فوجدتُه كليل[٤] الشَّفرة[٥]، قريبَ القعر، وإنَّه لا يصلح لهؤلاءِ القوم إلاَّ رجلٌ يدنُو منهم، حتَّى يصير فى أكفِّهم، ويبعدُ، حتَّى يصيرَ بمنزلة النَّجم منهم، فإن أبيتَ أن تجعلَنى حَكمًا، فاجعلنى ثانيًا، أو ثالثًا، فإنَّه لن يعتقدَ عُقدةً إلاَّ حَلَلْتُها، ولن يحُلَّ عُقدةً إلاَّ عقدتُ لك أخرىٰ أحكمَ منها.»

فأبى النَّاسُ إلاَّ أباموسى.

فقال الأحنفُ:

---

١) فى الأصل: يُعرِّض؛ وفى مط: يعرض؛ وما فى الطبرى (٣٣٣٤:٦): يعُرَض. وعُرضُ، بضم أوّله، وسكـون ثانيه: بلَدٌ فى بَرِيَّة الشام، من اعمال حلب، بين تَدْمر والرُّصافة (مع). ٢) ألزَّ الشىءَ بالشىءِ: ألصقَهُ، شدَّهُ، قرنه به.

٣) حلب أشطُرَهُ: جرّب أمورَه: خيرَها وشرَّها. ٤) كليل: ما فى الأصل غير واضح؛ وما أثبتناهُ يؤيِّده الطَّبرى ومط.

٥) فى مط: الشَّفر.

ـ «فإن أبيتُم إلاَ أباموسى فادفِئوا ظَهرَه بالرِّجال.»

ثمَّ كتبوا: «هذا ماتقاضىٰ عليه أميرالمؤمنين.»

فقال عَمرُو:

ـ «أكتُبوا اسمَه واسمَ أبيه. هو أميرُكم، فامّا أميرُنا، فلا.»

ذكرُ رأیِ للأحنف

فقال الأحنفُ:

ـ «لا تَمحُ اسمَ أمارة أميرالمؤمنين، فإنّی أتخوَّفُ إن مَحَوتَها، لا ترجع إليكَ، وإن قتل النَّاسُ بعضُهم بعضًا.»

فأبىٰ علىٌّ مَليًّا من النَّهار.

ثمَّ إنَّ أشعث بن قيسٍ قال:

ـ «أمحُ هذا الاسمَ، نَزحَهُ اللهُ[1].»

فمُحى، فقال علىٌّ:

ـ «الله أكبرُ، سُنَّةٌ بسُنَّةٍ، ومَثلٌ بمَثلٍ، واللهِ، إنّى لَكاتبُ رسولِ الله يومَ الحديبيّة، إذ قالوا: لا نشهدُ لك [15] أنَّكَ رسولُ الله، فامحُ هذا، واكتب اسمَكَ واسم أبيك. فكتَبَهُ.»

فقال عمرُو بن العاص:

ـ «نُشبَّهُ بالكُفّار ونحن مؤمنون.»

فقال له علىٌّ:

ـ «يا ابن النّابغة، ومَتىٰ لم تكن للفاسقين وليًّا، وللمسلمين عدُوًّا، وهل تُشبهُ إلاَ أُمًّا دفعت بِك؟»

فقام وقال:

ـ «لا يجمع بينى و بينَك مجلسٌ أبدًا بعد هذا اليوم.»

فقال علىٌّ:

ـ «وإنّى لأرجو أن يُطهِّر اللهُ مجلسى منك ومن أشباهكَ.»

---

١) نَزحَهُ اللهُ: كذا فى الأصل ومط؛ وفى الطبرى (٣٣٣٥:٦): بَرَّحه الله. وفى حواشيه: ترحه الله! وهو خطأ. وامّا نزحه الله، اى: أبعده؛ وبرَّحه الله: أزاله الله.

فقال الأحنف:

- «أيُها الرَّجلُ، إنَّه مالَكَ ماكان لرسـول الله، وإنَّا - والله - ماحـابيناكَ ببيعتنا، ولو علمنا أحـدًا من النَّاس أحقَّ بهذا الأمر منكَ لَبايعناهُ، ثمَّ قاتلناك، وإنِّى أُقسـمُ بالله، لئـن محـوتَ هذا الاِسـمَ عنكَ، والَّذى بايعكَ النَّاسُ عليه وقاتلتَهم، لا يعودُ إليكَ أبدًا.»

قال الحسنُ البصرىُّ:

وكان - والله - كما قال، وقلَّ ماوُزن رَأيُه برأى رجلٍ إلاَّ رجح به.

[مالكٌ يَابىٰ أن يُخطَّ اسمُه فى صحيفة التَّحكيم]

وكُتب الكتابُ[1]، وشهد فيه نفرٌ من أصحاب علىٍّ ونفرٌ من أصحاب معاوية.

ودُعِىَ له الأشترُ، فقال:

- «لا صَحِبَتْنى يمينى، ولا نَفَعتْنى شِمالى إن خُطَّ لى فى هذه الصَّحيفةِ اسمٌ على صلحٍ، ولا مُوادعةٍ. [16] أوَلستُ على بيِّنةٍ من أمرى، ومن ضلالِ عدوِّى؟ أوَلَسـتم قـد رأيتم الظَّفـرَ، لولَم تُجمِعُوا علَى الجَورِ؟»

فقال له الأشعثُ بن قيس:

- «إنَّكَ والله مارأيتَ ظفرًا، ولا جورًا. هَلُمَّ بكَ إلينا، فإنَّه لا رغبةَ لك عنَّا.»

فقال:

- «بَلىٰ والله، الرَّغبة لى[2] عنك فى الدُّنيا للدُّنيا، وفى الآخـرةِ لِلآخـرة. ولقـد سـفك الله بيدى دماءَ رجالٍ، ماأنتَ عندى خيرٌ منهم، ولا أحرَمُ دَمًا.»

قال عُمارةُ:

فنظرتُ إلى ذلك الرَّجل، وكأنَّما قُصعَ على أنفه الحُمَمُ - يعنى الأشعثَ.

ثمَّ خرج الأشعث بالكتاب يقرأهُ على النَّاس ويعرضه عليهـم، حتَّى مرَّ به عُروةُ بن أُذَيَّةِ[3] - وهو أخو بلالٍ[4] - فقرأهُ عليهم.

---

١) نصُّ الكتاب تجده فى الطبرى (٦:٣٣٣٦) تحت عنوان: «رجع الحـديث إلى حـديث أبى مخنف». ٢) فـى الأصل: غيرواضح، ويُشبه ان يكون: الرَّغبة بى؛ وفى مط: الرَّغبةُ لى: وفـى الطَّبرى: لرغبة بى. ٣) عروة بن أذيَّة: كذا فى الأُصل ومط. وفى الطبرى (٦:٣٣٣٩): عروة بن أُديَّة، بالدال المهملة.

٤) وهو اخو بلال: كذا فى الأُصل ومط؛ وما فى الطَّبرى: اخو ابى بلال.

فقال عُروةُ:

ـ «تُحكّمون فى أمر الله الرِّجالَ؟ لا حُكم إلاّ لله.»

وشدَّ بسيفِه، فضرب عَجُزَ دابّتِه ضَربةً خفيفةً، واندفعتِ الدّابّة. فصاح به أصحابُه: أن املِكْ يَدَيكَ. فرجع، وغضب للأشعث أصحابُه وقومُه. فمشىٰ إليه الأحنفُ بن قيسٍ، ومسعود بن فدكى[1]، وخَلقٌ من بنى تميمٍ، فتنصّلوا إليه واعتذرُوا. فقبل، وصفح.

ذكرُ خديعةٍ أجازها معاويةُ علىٰ نفسه

[17] وكان أسر معاويةُ فى أُسارىٰ كثيرين، رجلاً من أوْدٍ، يُقال له: عمرُو بن أوْسٍ، قاتل مع علىٍّ، فهمّ بقتل الجميع.

فقال له عمرُو بن أوسٍ:

ـ «إنّك خالى، فلا تَقتلْنى.»

وقامت بنو أوْدٍ، فقالوا:

ـ «هَبْ لنا أخانا.»

فقال:

ـ «دَعُوهُ. لَعَمرى، لئن كان صادقًا، لَيَستغنيَنّ عن شفاعتكم، ولئن كان كاذبًا لَتأتينّ شفاعتُكم من وَرائه.»

فقال له:

ـ «مِن أينَ صِرتُ خالَك، وماكان بيننا وبين أودٍ مصاهرةٌ؟»

قال:

ـ «فإن أخبرْتُك[2]، فهو أمانى عندك؟»

قال:

ـ «نعم.»

قال:

ـ «ألستَ تعلم أنّ أمّ حبيبة بِنتَ أبى سفيان زوجَ النّبىّ ـ صلّى اللهُ عليه ـ أمُّ المؤمنين؟»

---

١) مسعود بن فدكى: كذا فى الأصل ومط؛ وما فى الطّبرى مِسعر بن فدكىّ (نفس الصفحة).

٢) فإن أخبرتُك فهو أمانى. عندك كذا فى الأصل ومط؛ وما فى الطبرى: فإن أخبرتُك، فعرفتَه، فهو أمانى عندك. (نفس الصفحة).

قال:

ـ «بلىٰ.»

قال:

ـ «فإنّى ابنُها، وأنتَ أخوها، فأنتَ خالى.»

قال مُعاويةُ:

ـ «ماله لله أبوهُ، أما كان فى هؤلاءِ، مَن يفطن لها غيرُه؟»

ثمّ قال لِلأَوْدِيّين:

ـ «أستغنى عن شفاعتكم، فخَلّوا سبيلَه»

وتمّت لِمعاويةَ، وخُوطبَ: «خال المؤمنين».

وكان عمرُو بن العاص أسر أيضًا أسارىٰ كثيرةً، فراسله مُعاويةُ:

ـ «خلّ سبيل أُسرائكَ، فلولا الأَودىُّ لَوَقعنا فى قبيحٍ من الأُمور.»

فما شعر النّاس إلاّ بأسرائهم قدخلّىَ سبيلَهم.

[ماقاله علىُّ بن أبى طالبٍ لأصحابه]

فامّا علىُّ بن أبى طالبٍ فإنّه قال لأصحابه:

ـ «لقد فعلتم فعلةً ضعضعتْ قُوّةً، وأسقطتْ [18] مُنّةً[1]، وأورثتْ وَهنًا وذِلّةً. ولمّا كنتم الأعلَينَ، وخابَ عدوُّكم، ورأى الإجتياحَ، واستحرَّ بهم القتلُ، و وجدُوا ألمَ الجراحِ، رفعوا المصاحفَ، ودعَوكُم إلى مافيها لِيفتؤوكم عنها، ويقطعوا الحربَ فى ما بينَكم وبينَهم، ويتربَّصُوا رَيبَ المنون،خديعةً، ومكيدةً،فأعطيتُموهُم ماسألوكُموهُ، وأبيتم إلاّ أن تُدهِنوا وتجوروا[2]. وأيمُ الله، ماأظُنُّكم بعدها تُوافقون رَشَدًا، ولا تُصيبون بابَ حَزمٍ.»[3]

---

١) المُنّة: القُوّة. ٢) تجورُوا كذا فى الأصل ومط؛ وما فى الطبرى (٦: ٣٣٤٠): تَجَوَّزوا. وفى حواشيه عن الأصول الأخرى: «تُدهنوا وتُجيروا»، «تذهبوا وتحيروا» (مهملة) ٣) ولابن الأثير زيادة فى أوّل هذه الرواية. ومن زيادته بيتٌ أنشدها علىٌّ ضمن كلامه قائلاً: وكنتُ كما قال أخو هوازن:

وهل أنا إلاّ من غزيّة إن غوَتْ غوَيتُ، وإن ترشُدْ غزيّةُ أرشُدِ

ذكر حيلةٍ للمغيرة بن شُعبة
[ليعلمَ: أيجتمع الحكمان، أم يفترقان]

كان الحكمان ـ وهما أبومُوسى وعمرُو بن العاص، اتّفقا على أن يجتمعا بأذرح[1] ويحضرَ وجوهُ أصحاب علىٍّ، ووجوهُ أصحاب مُعاوية، ويحضر علىٌّ ومُعاوية فى أربعمائة، ومدّةُ الأجل إلى أن يَفصلا الحكمَ، ويَرفعا مارفع القرآنُ، وأن يختارا لأُمّة محمّدٍ ـ صلّى الله عليه ـ فى ثمانية أشهرٍ، أوّلُها النّصف من صفر، وآخرها انقضاءُ شهر رمضان.

فلمّا اجتمع الحَكمان، وافاهم المغيرة بن شعبة فى مَن حَضرَ، وعبدُالله بن عُمر، وعبدُالله بن الزُّبير، فى رجالٍ كثير [19] ووافى معاوية فى العدّة المذكورة، وأبى علىٌّ أن يُوافىَ.

فقال المغيرة بن شُعبة لِرجالٍ من ذَوى الرّأى من قُريش:

ـ «هل تَرون أحدًا من النّاس برأىٍ يبتدعُه، يستطيع أن يَعلَمَ: أيجتمعُ الحكمان، أم يفترقان؟»

قالوا:

ـ «لانَرى أحدًا يعلم ذلك.»

قال:

ـ «فوالله، إنّى لأظنُّ، [أنّى][2] سأعلمه منهما، [حينَ][3] أخلُو بهما، وأُراجِعهُما.»

فدخل على عَمرو بن العاص، وبدأ فقال:

ـ «يا با عبدِالله ، أخبرنى عمّا أسألك عنه: كيف تَرانا مَعشرَ المعتزلة؟ فإنّا قدشككنا فى الأمر الّذى تبيَّن لكم من هذا القتال، ورأينا أن نَستأنىَ ونَتثبّتَ، حتّى تجتمع الأُمّة.»

قال:

ـ «أراكم معشرَ المعتزلة خلفَ الأبرار، وأمامَ الفُجّار فى سخط الله.»

فانصرف المغيرةُ، ولم يَسألهُ عن غير ذلك. حتّى دخل على أبى موسى، فقال له مثلَ ماقال

---

١) أذْرُح: بالذال المعجمة والحاء المهملة، اسم بلد فى أطراف الشام من أعمال الشراة (ياقوت). ٢) فى الأصل: بل. وما أثبتناه بين المعقوفتين من مط. ٣) فى الأصل: حتى. وما أثبتناه بين المعقوفتين من الطبرى ٦:٣٣٤٢.

لِعمرو.

فقال أبوموسى:

- «أراكم أثبتَ النّاس رأيًا فيكم بقيّة[١] المسلمين.»

فانصرف المغيرةُ، ولم يَسألْهُ عن غير ذلك. فلقى الّذين قال لهم ما قـال، من ذوى الرّأى من قُريش، فقال:

- «لا يجتمع هذان أبدًا على أمرٍ واحدٍ.»

فلمّا اجتمع الحَكمان وتكلّما [20] قال عمرو بن العاص:

- «يا با موسى[٢]، أرأيتَ أوّل ماتقضى به من الحـقّ أن تقضـىَ لأهل الوفـاءِ بوفـائهم، وعلى أهل الغَدر بِغدرِهم.»

قال أبوموسى:

- «وماذاك؟»

قال عمرُو:

- «ألستَ تعلمُ أنّ معاوية وَفىٰ، وقدِمَ للموعد الّذى واعدناهُ؟»

قال:

- «نعم.»

قال:

- «أكتبها.»

فكتَبها أبوموسىٰ.

ذكر الخديعة الّتى خدع بها عمرُو أباموسى

قال عَمرُو:

- «يا با موسىٰ، أنتَ على أن تُسمّى رجلاً يَلِى أمرَ هذه الأُمّةِ، فسَمِّ لى، فإنّى أقدر أن أتابعَك، منك، على أن تتابعنى.[٣]»

---

١) كذا فى الأصل ومط والطبرى (نفس الصفحة): بقيّة المسلمين؛ وفى حواشى الطّبرى عن بعض الأصول: بغية المسلمين. ٢) كذا: «يابا موسى» بحذف الهمزة فى «أبا». ٣) فإنّى أقدر... أن تتابعنى: كذا فى الأصل؛ ←

قال أبوموسى:

ـ «أسمّى لك عبدَالله بن عُمر.»

وكان ابن عمر فى مَن اعتزله.

فقال عمرُو:

ـ «فأنا أسمّى لك معاوية بنَ أبى سفيان.»[1]

[روايةٌ أخرىٰ فى ذلك]

وفى رواية أُخرىٰ: أنّ عَمرًا قال لأبى موسىٰ:

ـ «ألستَ تعلم أنّ عثمان قُتل مظلومًا؟»

قال:

ـ «أشهدُ.»

قال:

ـ «ألستَ تعلمُ أنّ معاويةَ وَلىُّ دَمِ عثمان؟»

فقال:

ـ «بَلىٰ.»

قال:

ـ «فإنّ الله قال: ومَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا، فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلطانًا.»[2] فما يمنعك من مُعاوية ولىّ دمِ عثمان، وهو مَن عرفتَ بيتَه فى قريشٍ، وهو الحَسنُ السّياسة، الصَّحيح التَّدبير، وهو أخـو أمّ

→ وفى مط: فإنّى اقدر ان نبايعك، منك على ان تبايعنى. والعبارة فى الطبرى (٦:٣٣٤٢): فـإن أقـدر على أن اتابعـك، فلكَ علىّ أن أتابعك، وإلاّ، فلى عليكَ ان تتابعنى.

١) هنا، زاد فى الطبرى: فلم يبرَحا مَجلسَهما حتّى استبّا، ثمّ خرجا إلى النّاس، فقال ابوموسى:

ـ «إنّى وجدت مَثلَ عَمرو، مَثلَ الّذينَ قال الله عزوجلّ: «واتْلُ عَلَيهِـمْ نَبأ الّذى اتَيْناهُ اياتِنا فـانْسلخَ مِنْهـا.» [س ٧ الأعراف: ١٧٤]

فلمّا سكت أبوموسىٰ، تكلّم عَمرُو، فقال:

ـ «أيّها النّاس، إنّى وجدتُ مَثلَ ابى موسىٰ، كمثل الذين قال الله عزّوجلّ: «مَثَلُ الّذينَ حمّلُوا التّوراةَ، ثُمّ لَمْ يَحمِلُوها، كَمَثَلِ الحِمارِ يَحملُ أسفارًا.» [س ٦٢ الجمعة: ٥]

وكتب كلُّ واحدٍ منهما، مثلَه الّذى ضرب لِصاحِبِه إلى الأمصار. (أنظر الطبرى ٦:٣٣٤٣).

٢) س ١٧ الإسراء: ٣٣.

حبيبة، أمِّ المؤمنين، وهو أحدُ الصَّحابة وكاتب الوحى.»

فقال له أبوموسى:

ـ «أمّا ماذكرت من شرفه وبيته، فإنَّ [21] هذا الأمر ليس بالشّرف يُولاّهُ أهلُه، ولوكان بالشّرف، كان لآلِ أبرهةَ بنِ الصَّباح، إنَّما هو لأهل الّدين والفضل.»

قال:

ـ «فاخلع صاحبَكَ، حتّى أخلعَ صاحبى، ثمَّ نتَّفق.»

فاجتمعا على ذلك، وخرجا إلى النّاس، وقالا:

ـ قداتّفقنا.

فقال أبوموسى لِعمرو:

ـ «تقدَّمْ، فاخلعْ صاحبَكَ بحضرةِ النّاس.»

فقال عَمرُو:

ـ «سبحان الله! أتقدَّم عليك وأنتَ فى موضعِكَ وسِنّك وفضلك؟ تقدَّمْ أنتَ.»

فقدَّمهُ، فقال أبوموسى:

ـ «إنّا ـ والله، أيُها النّاس ـ قداجتهدنا رَأيَنا، ولم نَألُ[1] الاسلامَ وأهلَه خيرًا، ولم نرَ أصلحَ لهذه الأمّة من خلع هذين الرَّجلين، وقدخلعتُ عليًّا ومعاويةَ كخلع خاتَمى هذا.»

فقام عمرُو، فقال:

ـ «لكنّى خلعتُ صاحبَهُ عليًّا كما خَلعَ، وأثبتُ معاويةَ.»

فلم يبرحا حتّى استبّا.

ذكر من خالف عليَّ بنَ أبى‌طالبٍ
فى رأيه، وأشار بالحرب عليه، وماكان من جوابه واعتذاره

لمّا انصرف عليُّ بن أبى‌طالبٍ من صفّين، كثر خوضُ النّاس، وخالفه القومُ الّذين صاروا خوارج، وكانوا طولَ طريقهم يتدافعون، ويتضاربون بالسّياط. فلمّا صاروا إلى النُّخيلة[2] و رَأوا

١) لم نَألُ: لم نُعطِ. وذلك من قولهم: «ألاَ (يألو، ألوًا و أليًا) فلانًا الشىءَ: أعطاهُ إيّاه»

٢) النُّخيلة (تصغير نخلة): موضعٌ قُرب الكوفة على سَمتِ الشّام (مع).

سورَ الكوفة لقيه عبدالله بن وديعة الأنصارى، ودَنا منه، وسلّم عليه، وسايَرَهُ، [22] فقال له:

ـ «ماسمعتَ النّاس يقولون فى أمرنا؟»

قال:

ـ «منهم المعجَب به، ومنهم الكارهُ لَهُ، كما قال الله عزّوجل: وَلا يَزالُونَ مُختَلِفينَ، إلاّ مَن رَحِمَ رَبُّكَ.[١]»

فقال له:

ـ «فما قولُ ذى الرّأى فيه.»

فقال:

ـ «أمّا قولُ ذى الرّأى فيه، فيقولون: إنّ عليًا كان له جمعٌ عظيمٌ ففرّقه، وكان له حصنٌ حَصينٌ فهَدَمه. فحتّىٰ مَتىٰ يبنى ماهدم، وحتّىٰ مَتىٰ يجمع مافرّقَ. فلَوكان مضىٰ بمن أطاعَه إذعصاهُ مَن عصاه، فقاتل حتّىٰ يظهَرَ، أو يهلك، كان ذلك الحزم.»

فقال علىٌ:

ـ «أنَا هَدمتُ أم هَدَمُوا، أنَا فرّقتُ أم فرّقُوا؟ أمّا قولُهم: إنّه لوكان مضىٰ بمن أطاعه إذ عصاهُ من عَصاهُ، فقاتل حتّىٰ يظهر، أو يهلك كان ذلك الحزمُ؛ فوالله ماغَبِىَ[٢] ذلك علىَّ، وإنّى كنتُ سَخيًا بنفسى عن الدُّنيا طيّبَ النَّفسِ بالموت. ولقد همَمتُ بالاقدام على القوم، فنظرتُ إلى هذَين قد ابتدرانى ـ يعنى الحسنَ والحُسين ـ ونظرتُ إلى هذين قد استقدمانى ـ يعنى محمد بن علىٍّ وعبدالله بن جعفر ـ فعلمتُ أنّه إن هلكا انقطع نسلُ محمّدٍ، فكرهتُ ذلك، وأشفَقتُ على هذين أن يهلكا. وأيمُ الله، لئن لقيتُهم بعد يومى هذا [23] لألقَيَنّهم[٣] وليس معى أحدٌ منهم.»

[بُكاءُ النِّساءِ على القتلىٰ]

[وما قالهُ علىٌ لابن شُرحبيل]

ثمّ مضى غير بعيد، فمرّ بالشّباميين[٤]، فسمع رجّةً شديدةً وبُكاءًا كثيرًا، فوقف، فخرج إليه حربُ بن شُرحبيل الشبامى، فقال له علىٌ:

---

١) س ١١ هود:١١٨. ٢) غبِى: مطموسة النقط فى الأصل ومط؛ والاعجام من الطبرى ٦:٣٣٤٦؛ والعبارة فى الطبرى: «فوالله ماغَبِىَ عن رأيى ذلك وإن كنتُ لَسَخيًا بنفسى عن الدنيا..»؛ وفى بعض الأصول: «.. ماخفى هذا عنّى»

٣) فى مط: الا قيَنهم؛ والعبارة فى الطبرى: «لألقَيَنّهم، وليسوا معى فى عسكر، ولادار.» ٤) فى مط: الشّامتين، بدل: الشباميين.

ـ « أ يغلبكم[١] نساؤكم؟ ألا تنهنهونهنّ عن هذا الرّنين؟»

فقال:

ـ « ياأميرالمؤمنين، لوكانت دارًا او دارَين،قَدَرنا على ذلك، ولكنّه قُتل من هذا الحىّ مائـةٌ و ثمانون قتيلاً، ليس دارٌ إلاّ فيها بكاءٌ. فأمّا نحن معاشرَ الرّجـال، فـإنّا لانبكـى، ولكنّا نفـرح، امّا نفرح بالشّهادة.»

فقال:

ـ «رحمَ الله قتلاكم و موتاكم»

فأقبل يمشى معه و علىٌ راكبٌ. فوقف وقال له:

ـ «إرجعْ، فإنّ مَشىَ مِثلِك معى فتنةٌ للوالى، ومذلّةٌ لِلمُؤمن.»

[مُرورُهُ بالنّاعطيّين،و ما قاله فيهم]

ثمّ مضىٰ، حتّى مرّ بالنّاعطيّين، فسمع رجلاً منهم يُقال له عبدالرّحمان بن مزيدٍ، يقول لآخر:

ـ «والله ماصنع علىٌ شيئًا: ذَهبَ، ثم انصرفَ فى غير شىْء.»

فلمّا نظروا إلى علىٌ أبلسُوا[٢]، فقال:

ـ «وجوهُ مارأوا الشّامَ.»

ثمّ اقبل على أصحابه، فقال:

ـ «قومٌ فارَقْناهُم آنِفًا، خيرٌ من هؤلاء.»

ثمّ أنشد:

أخوكَ الّذى إن أجرضَتْكَ[٣] مُلِمةٌ　　　من الدّهر، لم يَبْرَحْ لِبَثِّك واجمًا[٤]

وليس أخوكَ بِالّذى إن تشعّبتْ　　　عَليكَ أمورٌ ظَلّ يَلْحاكَ دائمًا[٥]

[24] ثمّ مضى، فلم يزل يذكر الله، حتّى دخل القصر.

---

١) ايغلبكم نساؤكم: كذا فى الأصل والطّبرى (٣٣٤٨:٦)؛ وفى مط: اتغلبكم نساؤكم.　　٢) أبلس: سكت الحيرة، أو انقطاع حُجّة.　　٣) كذا فى الأصل والطبرى: أجرضَتكَ؛ وفى مط: اجرصتك. اجرضَتكَ مُلمّةٌ: جَعلَتكَ تجرض بريقكَ اى تبتلعُ ريقَكَ بالجهد على همٍّ وحُزن.　　٤) فى مط: لَثباتَ واجمًا. وهو خطأٌ؛ وما فى الأصل غيرواضح، فاثبتناه فى ضَوءِ مافى الطّبرى (٣٣٤٩:٦).؛ والبثُّ: الحزن الشديد.　　٥) فى الطّبرى: لائمًا؛ ويلحاك: يلومك ويعذلك.

[تشاتُمُ القَومِ واضطرابُهم بالسِّياط]

ثمّ إنّ القوم الّذين كانوا معه يتشاتمون طول طريقهم، ويضطربون بالسِّياط، ويقول بعضُهم لبعضٍ:

ـ «أدهنتم فى أمر الله، وحكّمتُم.»

ويقول قومٌ:

ـ «فرّقتُم جَماعتَنا، وفارقتُم إمامَنا.»

[مُفارقة الخوارج عليًا]

[نزولهم بحرورى وعدمُ دخولهم الكوفة مع علىٍّ]

لم يدخلوا معه الكوفة حتّى اتوا حَرورى[١]، فنزل بها منهم اثنا عشرَ ألفًا.

فنادى مُناديهم:

ـ «إنّ أمير القتال شَبَثُ بن رِبعى، وأمير الصّلاة عبدالله بن الكَوّاء، والأمر شُورى بعد الفتح، والبَيعةُ لله، والأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر.»

[ما دار بين شيعة علىٍّ والخوارج]
[عند دخوله الكوفة]

ولمّا دخل علىٌّ الكوفة، وفارقتْهُ الخوارج، وثبتْ إليه شيعتُه وقالوا:

ـ «فى أعناقنا لك بيعةٌ ثانية. نحن أولياءُ مَن واليتَ، وأعداءُ مَن عاديتَ.»

فقالت بقيّة الخوارج:

ـ «إستبقتم أنتم وأهلُ الشّام فى الكفر، كفرسَىْ رهانٍ، بايع أهل الشّام معاويةَ على ما أحبُّوا و كرهوا، وبايعتُم عليًا [على][٢] أنّكم أولياءُ مَن والىٰ، وأعداءُ مَن عادىٰ.»

فقال لهم زياد بن النَّضر[٣]:

١) حرورى: كذا فى الأصل ومط. وما فى الطبرى (٦:٣٣٤٩): حَرُوراء (بالمد): قريةٌ بظاهر الكوفة، وقيل موضعٌ على ميلين منها (مع).   ٢) على: سقطت من الأصل، وموجودة فى مط والطبرى ٦:٣٣٥٠.

٣) فى مط: زياد بن النّصر (بالصاد المهملة)؛ والأصل يوافق الطبرى.

ـ «والله ياقوم، مابسطَ علىٌ يدَهُ فبايعناهُ قطُ، إلاّ على كتاب الله وسُنَّة نبيّه، ولكنّكم لمّا خالفتُموهُ جاءَتْهُ شيعتُهُ، فقالوا: نحنُ أولياءُ مَن واليتَ، [25] وأعداءُ مَن عاديتَ. ونحن كذلك، وهو هادٍ، ومَن خالفهُ ضالٌ.»

ذكرُ احتجاجِ الخوارجِ معَ علىٌ عليه‌السّلام

أتىٰ علىَّ بنَ أبىطالبٍ رجلان من الخوارج: زُرعةُ بن البرج الطّائىُّ[1]، وحُرقوصُ بن زُهير السّعدىّ، فدخلا عليه، فقالا له:

ـ «لا حُكمَ إلاّ للهِ.»

فقال علىٌ:

ـ «لا حُكمَ إلاّ للهِ.»

فقال حُرقوص:

ـ «فتُبْ من خطيئَتِك، وارجع عن قضيَّتِكَ، واخرج بِنا إلى عدوّنا نُقاتلهم، حتّى نَلقى ربَّنا.»

فقال علىٌ:

ـ «قدأردتُكم على ذلك فعَصيتُمونى. وقد كتَبنا بيننا وبين القوم كتابًا وشُروطًا، وأعطينا عليها عهودَنا ومَواثيقَنا، وقد قالَ الله تعالى: وأوفُوا بِعَهدِ اللهِ إذا عاهَدْتُم، وَلا تنقضُوا الأيمانَ بعدَ تَوكيدِها، وقَد جَعَلتُمُ اللهَ عليكم كَفيلاً، إنَّ اللهَ يَعلمُ ماتفعلون.»[2]

فقال له حُرقوصُ:

ـ «ذلك ذَنبٌ ينبغى أن تتوبَ منه.»

فقال علىٌ:

ـ «ماهو ذَنبٌ، ولكنَّهُ عَجزٌ من الرّأى، وضَعفٌ فى العقلِ، وقد تقدَّمتُ فنَهيتُكُم عنه.»

فقال له زُرعةُ:

ـ «أما واللهَ، ياعلىّ، لَئن لم تَدَعْ تحكيم الرجال فى كتاب الله، لأُقاتِلَنَّكَ.»

فقال علىٌ:

ـ «بُؤسى[3] لَكَ، ما أشقاكَ [26] كأنّى بك قتيلاً تَسفى عليك الرِّيح.»

---

١) فى مط: زرعة بن مرج الطارئى؟ وهو خطأ. وما فى الطبرى (٦١:٦-٣٣٦٠) يوافق الأصل. ٢) س ١٦ النّحل: ٩١. ٣) فى مط: بوس لك.

قال:

ـ «وَدِدْتُ أن قدكانَ ذاك.»

فخرجا من عنده يُحكّمان.

[صياحٌ أثناءَ خُطبته]

ثمّ إنّ عليًا خطبَ ذاتَ يوم. فإنّه لفى خُطبته، إذ صاح صائحٌ من جانب المسجد:

ـ «ياعلىُّ، لا حُكمَ إلاّ لله.»

فقال علىٌّ:

ـ «أللهُ أكبَرُ، كلمةُ حقٍّ يُرادُ بها باطلٌ. إن سكتوا غممناهم، وإن تكلّموا حَجَجْناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم.»

فوثَبَ يزيد بن عاصم المُحارى، فقال:

ـ «الحمد لله، ألّلهمّ إنّا نعوذ بك من إعطاء الدَّنيّة فى ديننا. ياعلىُّ، أ بالقتل تُخوّفُنا؟ أما والله، إنّى لأرجو أن نضربكم بها عمّا قليل، غير مصفّحات، ثمّ لَنعلمُ أيّنا أولىٰ بها صليًا.[١]»

فقال علىٌّ:

ـ «أما إنّ لكم عندنا ثلاثًا ماصحبتمونا لا نَمنعُكم:»

□ «لا نَمنعُكم مَساجدَ الله أن يُذكرَ فيها اسمُهُ.»

□ ولا نَمنَعُكم الفَئَ، مادامت أيديكم فيه مع أيدينا.»

□ «ولا نقاتِلُكم حتّى تَبدأونا.»

ثمّ رجع إلى مكانه الّذى كان فيه من خطبته.

وخرج الرّجلان يُحكّمان، واجتمع معهم قومٌ. فبعثَ علىٌّ عبدَالله بن العبّاس، وقال له:

ـ «لا تعجل إلى جوابهم حتّى آتيَكَ.»

ذكر ماجرى بينَهم من الجدال
ورُجوعهم مع علىٍّ وهذه الدّفعةُ الأُولى من خروجهم

[27] فخرج ابن عبّاس إليهم، فأقبلوا يُكلّمونه. فلم يصبر حتّى راجعهم، فقال:

---

١) وفى التّنزيل: «ثُمَّ لَنَحنُ أعلَمُ بالّذينَ هُمْ أولىٰ بها صليًا». ـ س ١٩ مريم: ٧٠.

ـ «ماالّذى نقمتم من الحكمين؟ وقـد قـال الله عزّوجـلّ: فَـابْعَثُوا حَكَمًا مِن أهلِهِ وحَكَمًا مِن أهلِها إن يُريدا إصلاحًا يُوَفِّق اللهُ بَينَهُما[1]؛ فكيف بأمّة محمّد، صلّى الله عليه؟»

فقالت الخوارج:

ـ «أمّا ماجعل حُكمه إلى النّاس وأمرهم بالنّظر فيه والإصلاح له، فهو إليكم كما أمرَ به، وأمّا ماحَكَمَ فأمضاهُ، فليس للعِباد أن ينظروا فيه، حَكَم فـى الزّانى مائـةَ جلدةٍ، وفى السّارق بقطع يَدِه، وليس لأمثال هذا أن يَنظرَ فيه مخلوقٌ.»

قال ابن عبّاسٍ:

ـ «فإنّ اللهَ يقول: يَحكُم بِهِ ذَوا عَدْلٍ منكم.[2]»

فقالوا له: «أو تجعل الحكمَ فى الصّيد والحدَثِ يكون بين المرأة وزوجها، كالحُكم فـى دِماءِ المسلمين؟»

وقالت الخوارج:

ـ «قلنا له، فهذه الآية بيننا وبينك. أ عَدلٌ عندك ابن العاص، وهو يُقاتلنا، ويَسفكُ دِماءَنا؟ فإن كان عدلاً فلسنا عدلاً، وقد حكّمتم فى أمر الله الرِّجالَ، وقد أمضى الله حُكمَه فى معاويةَ وحِزبِه أن يُقتَلُوا. ثمّ كتبتُم بينكم وبينهم كتابًا جعلتم بَيْنَكم الموادعةَ والاستفاضة، وقد قطع الله تعـالى الاستفاضة [28] والموادعةَ بين المسلمين وأهلِ الحرب، إلاّ مَن أقرّ بالجزية.»

ثمّ خرج علىٌّ حتّى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عبّاسٍ، فقال:

ـ «اِنتهِ عن كلامهم! ألم أنهَكَ ـ رحمك الله؟»

ثمّ تكلّم، فحمد اللهَ وأثنىٰ عليه، ثمّ قال:

ـ «اللّهـمّ، إنّ هذا مقـامٌ، مَن فلج[3] فيه، كان أولى بالفُلج[4] يومَ القيامة؛ ومَن نطف[5] فيه، أو وَعث[6]، فهو فى الآخرة أعمىٰ وأضلُّ سبيلاً.[7]»

ثمّ قال:

---

١) س ٤ النساء: ٣٥. ٢) س ٥ المائدة: ٩٥. ٣) فلج: نقطة الجيم زائلة فـى الأصـل، فـأثبتناها كما فـى الطبرى ٣٣٥٢:٦، والكامل ٣٢٨:٣. فلج بحجته: أحسن الإدلاء بها وغلب خصمه. ويقـال: فلجتُ حجّتُه. ٤) أيضًا فى الأصل: الفلح، بالحاء المهملة، فاعجمناها كما فى مط والطبرى والكـامل. ٥) نطف: كذا فـى الأصـل ومط. نطف: اُتّهم بريبة. وفى الطبرى: نطق. وهو تصحيف. ٦) كذا فـى الأصـل: وعث. وفـى مط: ارعث. وعث المتكلّمُ: عجز عن الكلام، خلّط. ٧) «فهو... سبيلاً»: اقتباس من س ١٧ الاسراء: ٧٢.

ـ «مَن زعيمكم؟»

قالوا:

ـ «إبن الكوّاءِ.»

قال علىٌّ:

ـ «فمن أخرجكم علينا.»

قالوا:

ـ «حكومتكم يوم صفين.»

قال:

ـ «أنشدكم الله، هل تعلمون أنّهم حيث رفعوا المصاحف، فقلتم: نجيبكم[1] إلى كتاب الله؛ قلت لكم: إنّى أعلم بالقوم منكم، إنّهم ليسوا بأصحاب دينٍ ولا قرآنٍ، صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً. امضُوا على حقّكم وصدقكم، فلمّا رفع القوم لكم المصاحف خديعةً ودَهْنًا[2] ومكيدةً، فرددتم علىَّ رأيى وقلتم: لا بل نقبل منهم؛ فقلت لكم: أذكروا قولى ومعصيتكم إيّاى. فلمّا أبيتم إلاّ الكتاب اشترطتُ على الحَكَمين أن يُحييا ما أحيى القرآنُ، وأن يُميتا ما أماتَ القرآنُ. فإن حَكَما حُكمَ القرآن [29] فليس لنا أن نخالفَ حُكمَهُ، وإن أبَينا، فنحن[3] منه بُرَءَاءُ»

فقالوا له:

ـ «فخبّرنا: أتراهُ[4] عدلاً تحكيمَ الرجال فى الدّماءِ؟»

فقال:

ـ «إنّا لَسنا الرّجالَ حكّمنا، إنّما حكّمنا القرآنَ، وهذا القرآن إنّما هو خطٌّ مسطورٌ بين دفّتين لاينطق، إنّما يتكلّم به الرّجال.»

قالوا:

ـ «فخبّرنا عن الأجل: لِمَ جعلتَه فى ما بينَك وبينهم؟»

قال:

ـ «ليعلمَ الجاهلُ، ويثبتَ العالمُ. ولعلَّ الله يُصلح فى هذه المُدّة هذه الأُمّة، أُدخلوا مصرَكم،

---

١) كذا فى الأصل: فقلتم نُجيبكم. فى مط: فقلتُ نجيبهم. فى الطبرى: فقلتم نجيبهم. ٢) كذا فى الأصل والطّبرى: دَهْنًا. وما فى مط، وابن الأثير: وهْنًا. ٣) كذا فى الأصل: منه. وفى مط: بدون «منه». وما فى الطبرى (٣٣٥٣:٦): فنحن من حكمهما بُرَءَاءُ. ٤)فى مط: فخيرنا اقراه. وهو خطأ.

رحمكم اللهُ.»

فدخل القومُ من عند آخرهم.

[إبتداءُ يوم النَّهر]

ثمَّ اجتمعوا بالكوفة، وتذاكروا أمرَهم، وكاتَبوا إخوانَهم بالبصرة، وتَواعَدوا ليوم يخرجون فيه إلى المدائن، ومنها إلى النَّهر. ففعلُوا ذلك، واستعرضوا النّاسَ، وقتلوا عبدَ الله بن خَبَّاب بن الأَرتِّ[1]، وبلغ ذلك عليًا، فسار إليهم. ثمَّ لمَا اجتمعوا كلَّمهم واستعطفَهم. فأَبَوا إلاَّ قتالَه، وجَرتْ بينَهم مخاطَباتٌ تركتُ ذكرَها.

ثمَّ تنادَوا أن:

- «دَعُوا مخاطبةَ علىٍّ وأصحابِه، وبادِرُوا إلى الجنَّة.»

فصاحوا:

- «الرَّواح الرَّواح إلى الجنَّة!»

[علىٌ يعبِّئ ويرفع رايةَ أمان]

فعبّى علىٌ - عليهالسَّلام - أصحابَه، ورفع رايةَ أمانٍ مع أبى أيُّوبٍ [30] الأنصارى، فناداهم أبو أيُّوب فقال:

- «مَن جاءَ هذه الرّاية منكم، ممَّن لا يقتُل ولا يَستعرضُ، فهو آمِنٌ؛ ومَن انصرف منكم إلى الكوفة، أو المدائن، وخرج من هذه الجماعة، فهو آمِنٌ. إنَّه لا حاجةَ لنا - بعدَ أن نُصيبَ قتلةَ إخواننا منكم - فى سَفكِ دِمائكم.»

فقال فروة بن نَوفَل الأشجعى:

- «واللهِ ماأدرى: على أىِّ شَىْءٍ أقاتلُ علىَّ بن أبى طالبٍ.»

فانصرف فى خمسمائة فارسٍ. وخرج إلى علىٍّ منهم نحو ذلك. وكانوا أربعة آلافٍ، ورئيسُهم

١) فى مط: حباب بن الأدت (بالدال المهملة). فى الأصل: حباب بن الأرتّ. وفى الأصول: خبّاب بن الأرتّ (بتشديد الباء والتّاء). ذبحته عصابة من الخوارج على ضفّة النّهر قرب النهروان، وبقروا بطن امرأته، وهى حُبلى، كما قتلوا ثلاث نسوة من طيْء، وقتلوا امْ سنان. (انظر الطبرى ٦:٣٣٧٤، وابن الأثير ٣:٣٤٠).

عبدالله بن وهبٍ الرّاسبى.

وكان علىٌ قدّم الخيلَ دون الرّجال، وصفّ النّاسَ وراءَ الخيل صفّين، وصفّ المُرامية أمامَ الصّفّ الأوّل، وقال لأصحابه:

- «كُفُّوا عنهم حتّى يبدأُوكم، فإنّهم لوقد شدُّوا عليكم وخلْفَهم رجالٌ[1]، لم ينتهُوا إليكم إلاّ لاغبين[2]، وأنتم له قارُون حامُون[3].»

فأقبل الخوارج وهم يتنادَون:

- «الرّواح الرّواح إلى الجنّة.»

وشدُّوا، فلم تثبت خيلُ علىٍّ لِشدّتهم، وافترقت الخيلُ فرقتين: فرقة نحو الميمنة، وفرقة نحو الميسرة. وأقبلوا نحو الرّجال، فاستقبلت المُراميةُ [31] وجوهَهم بالنّبل، وعطفت عليهم الخيلُ من الميمنة والميسرة، ونَهض إليهم الرّجالُ بالرّماح والسّيوف، فما لبّثُوهم أن أناموهم عن آخرهم.

قال حكيم بن سعدٍ:

ماهو إلاّ أن لقينا أهلَ النّهر، فما لبّثناهم، كأنّما قيل لهم: موتوا! فماتوا.

ولم يُقتلْ من أصحاب علىٍّ إلاّ سبعةٌ، واستُخرج ذوالثُّديَّة، على الحكاية المعروفة، وخبرُهُ مشهورٌ. وانصرف علىٌ إلى مُعسكره بالنُّخيلةِ من ظاهر الكوفة، وأمر النّاسَ أن يسيروا على تعبئَتِهم إلى الشّام.

[استبدال الشّام بالنّهر]

وقدكان علىٌ همّ بالخروج إلى الشّام قبلُ. فلمّا عظمت الشّوكة من الخوارج، وأخذوا فى الاستعراض، وقتلوا الصالحين، قال النّاسُ:

- «يا أميرَالمؤمنين، علامَ تُخلِّف هؤلاءِ المارقةَ وراءَنا، يَخلُفونا فى أبنائنا ونساءِنا بالقتل، فنبدأُ بهم.

١) كذا فى الأصل ومط: وخلفهم رجالٌ. وفى الطبرى (٦: ٣٣٨١): وخِلْفهم رُجّالٌ.

٢) كذا فى الأصل والطبرى: لاغبين. وفى مط: لاعتين.

٣) كذا فى الأصل ومط: وانتم له قارُون حامُون. وما فى الطبرى: رادُون حامون.

ولمّا انصرف إلى مُعسكره بالنُّخيلةِ، أمرهم أن يُوطّنُوا أنفسهم على الجهاد، وأن يسيروا إلى عدوِّهم. فتسلّلُوا من معسكرهم، فدخلوا إلاَّ رجالاً قليلاً من وُجوه النّاس، وتُرك المعسكرُ.

فلمّا رأىٰ ذلك علىٌّ، دخل الكوفةَ، وانكسر عليه [32] رأيُه فى المسير، وذلك فى سنة ثمانٍ وثلاثين.

ثمّ جرت بين علىٍّ واصحابه خطوبٌ ومخاطباتٌ يستنهضُهم ويَأبَونَ[1]، ويخطبُ فيهم ويستمدّهم، ويستدعى نصرَهم، ويستبطئُهم، فيتثاقلون، وخُطَبُه مشهورةٌ معروفةٌ.

إلى أن طمع معاويةُ فى العراق، وبَثَّ دُعاته سِرًّا وجهرًا إلى البصرة يطلب دمَ عثمان، وسرَّبَ خيلَه فى أطراف علىٍّ ـ عليهالسّلام ـ فأنفذ النُّعمان بن بشيرٍ فى ألفَىْ رجلٍ إلى عين التَّمرِ، وبها مالكُ بنُ كعبٍ فى ألفِ رجلٍ من قِبلِ علىٍّ. فلمّا سمع القوم به، تسلّلُوا إلى الكوفة حتّى بقى مالكٌ فى مائة رجُلٍ، وكتب إلى علىٍّ يُخبرُهُ، واستمدَّهُ.

فخطب علىٌّ، وأمرهم بالخروج، فتثاقلوا. فواقعهم مالكٌ فى من تبعه، وأمر أصحابَه أن يجعلوا حيطان المدينة فى ظُهورهم ويُقاتلُوا. وكتب إلى محنف بن سليمٍ أن يُمِدَّهُ وهو قريبٌ منه وقاتلهم ابن كعبٍ فى العصابة الّتى معه أشدَّ قتالٍ يكون.

إتّفاقٌ جيّدٌ
وقع لِمالكٍ حتّى هزم النُّعمان ومن معه

[33] ووَجَّه محنفُ ابنَه إليه، عبدَالرّحمان[2]، فى خمسين رجلاً. فانتهوا إلى مالكٍ وأصحابه وقد كسروا جُفون سيوفهم واستقتلوا. فلمّا رَءَاهم أهلُ الشّام، وذلك عند المساءِ، ظنُّوا أنَّ لهم مددًا، فانهزموا، واتّبعهم مالكٌ، فقتَلَ منهم ثلاثةَ نفرٍ، ومَضَوا على وُجوههم. فأمّا غيرُه من سرايا معاوية، فإنّهم كانوا يظفرون ويقتلون ويغنمون وينصرفون.

وأمّا مَن حصل من قبلُ بالبصرة لأجلِ التّضريب بينَ النّاس، فإنّه بلغ ما أراد، ووقعت الفتنة والعَصبيّة، فطمع أهلُ فارس، وكرمان فى عُمّالِ علىٍّ، فغلب أهلُ كُلِّ ناحيةٍ على مايليهم، فأخرجوا عُمّالَهم.

---

١) ويأبون... ... ويستبطئهم: سقطت من مط. ٢) كذا فى الأصل ومط: إبنَه إليه عبدَ الرّحمان.

فاستشار عليٌّ أصحابَه في مَن يضبط به فارس وكرمان. فقال ابن عباسٍ:

ـ «أدُلُّكَ على رجلٍ صليب الرّأيِ عالمٍ بالسّياسةِ، كافٍ، وليٍّ.»

قال: «مَن هو؟»

قال: «زيادٌ.»

قال: «هُوَ لها.»

فتوجّه ابنُ عباسٍ إلى عَمله بالبصرة. وكان زيادُ يخلُفُه بها. فضمّ إليه أربعة آلاف رجلٍ، وولاّهُ فارس، فدوّخها حتّى استقاموا. [34]

ذِكرُ سياسة زيادٍ لهذا الوَجه

حدّثَ قومٌ من أهل فارس قالوا:

ـ ورد زيادٌ نواحي فارس، وهي تضطرم. فلم يزل يبعث إلى رُؤَسائها، يَعِدُ مَن نَصَرهُ ويُمَنّيه، ويُخوّفُ مَن خالَفَهُ ويُوعِده، ويُضرِبُ بعضَهم ببعضٍ، ويُداري مَن يَرىٰ مداراتَه، حتّى دلّ بعضُهم على عورة بعضٍ، وهَرَبتْ طائفةٌ، وأقامت طائفةٌ، يقتُلُ بعضُها بعضًا، حتّى صَفَتْ له فارس، فلم يلقَ فيها جمعًا، ولا حربًا، ولم يَقِفْ موقفًا واحدًا للقتال. وفعل مثل ذلك بكرمان حتّى صَفَتْ أيضًا له.

فقال النّاسُ:

ـ «مارأينا سيرةً أشبهَ بسيرة كسرى أنوشروان، من سيرةِ هذا العربيّ، في اللّينِ، والمُداراةِ، والعلمِ بما يأتي.»

[دخول بُسر بنِ أرطاة المدينةَ ومكّةَ]
[و هُروبُ عمّالِ عليٍّ]

ثمّ كثرت غاراتُ مُعاوية على أطراف عليٍّ، و وجّه بُسرَ بنَ أرطاة إلى الحجاز. فدخل المدينةَ ومكّةَ، وهرب عُمّال عليٍّ، وقتل شيعةَ عليٍّ. ومضى نحوَ اليمن، وكان على [35] اليمن عبيدُ الله بن العبّاس، فهرب إلى الكوفة، واستخلف عبدَ الله بن عبد المُدان، فأتاهُ بُسرٌ[1]، فقتله، ولَحِقَ ثَقَلَ[2] عبدِالله وفيه ابنانِ له صغيران، فقتلهما، وبلغ ذلك عليًّا، فوجّهَ جاريةَ بنَ قُدامةَ في ألفَين،

١) في مط: بشر. ٢) كذا في الأصل: ثَقَل عبدالله. وفي الطبري (٣٤٥٢:٦): ثَقَل عُبيد الله. والثَّقَلُ: المتاع، والشّيءُ النفيس الخطير. وفي مط: قفل عُبيد الله. والقَفَل: اسم جمعٍ بمعنى القافلة.

ووهبَ بنَ مسعودٍ في ألفين.

فسار جاريةُ حتّى أتى نجرانَ، وقتل خَلقًا من شيعة عثمان، وهرب بُسرُ منه، وتبعَهُ حتّى دخل مكّةَ والمدينةَ، وأرجف النّاسَ بموت عليٍّ. فأخذ النّاسَ ببيعة الحسنِ بنِ عليٍّ، فأبَوا، ثمّ خافُوهُ، فبايعُوهُ، فأقام[1] مُدّة، ثمّ انصرف إلى الكوفة.

[العراق لعليٍّ، والشّام لِمُعاويةَ]

ثمّ جرت مكاتباتٌ كثيرةٌ بين عليٍّ ـ عليه السّلام ـ وبين معاوية، استقرَّ آخرها على وضع الحرب بينَهما، ويكون لعليٍّ العراقُ، ولمعاويةَ الشّامُ، لا يدخل أحدُهما على صاحبه في عمله بجيشٍ، [ولا غارةٍ][2] ولاغَزوةٍ، وأن يَضَعا السّيفَ، ولا يُريقا دِماءَ المسلمين، فتراضَيا على ذلك.

[تَحالُفُ الخوارج]

[لِقتلِ عليٍّ، ومعاويةَ، وعمرو بن العاص]

واجتمع بعد ذلك نفرٌ ممّن يرى رأىَ الخوارج، فتذاكروا أصحابَ النّهرِ، وترحّمُوا عليهم، وعابُوا وُلاتَهم، وقالوا:

ـ «ما نصنعُ بالبَقاءِ بعدَهم؟ فلوقَتلْنا أئمّةَ الضّلال، لَرَجونَا الأجرَ والثّوابَ.»

فتحالف عبدالرّحمان بن مُلجَم، والبُرَكُ بن عبدِالله، [36] وعَمرُو بنُ بكرٍ التّميميُّ أن يأتىَ كلُّ واحدٍ منهم واحدًا من الأئمّة الثّلاثة يعنون: عليًّا، ومعاويةَ، وعمرَو بنَ العاص، فيغتالونهم.

فأمّا ابن مُلجم فقال:

ـ «أنا أكفيكُم عليَّ بن أبي طالبٍ.»

وكان من أهل مصر.

وقال البُرَكُ بن عبدالله:

ـ «أنا أكفيكُم مُعاويةَ.»

---

١) في الأصل ومط: فاقاموا. والعبارة في الطبرى (٣٤٥٢:٦): فبايعوه، و«اقام» يومه، ثمّ خرج منصرفًا إلى الكوفة..

٢) ما في [ ] تكملةٌ من الطبرى ٣٤٥٣:٦.

وقال عَمرُو بنُ بكر:

- «أنا أكفيكم عمرَو بن العاص.»

فتعاهدوا، وتواثقوا، وأخذوا أسيافَهم وسَمُّوها، واتّعدُوا لِسبع عشرة من شهر رمضان، أن يَثِبَ كلُّ واحدٍ منهم على صاحبه الّذى توجَّهَ له.

[ماجرىٰ بين ابن مُلجم وقَطامِ فى الكوفة]
[وتعاونهما علىٰ قتل علىٍّ]

فأمّا ابن مُلجم، فإنّه دخل الكوفة، ورَأى امرَأةً يقال لها: قَطامِ، وكان علىٌّ قَتلَ أباها وأخاها يومَ النَّهر، وكانت فائقةَ الجمال، فالتبستْ بعقله، ونَسِىَ حاجتَهُ الّتى جاءَ لها، فخطَبَها، فقالت[1]:

- «لا أتزوّجُكَ حتّىٰ تشترطَ إلىَّ.»

فقال:

- «ماشَرطُكِ؟»

قالت:

- «ثلاثةُ آلافٍ، وعبدٌ، وقَينةٌ[2]، وقتلُ علىٍّ!»

قال:

- «هو لَكِ، ووالله ماوَرَدتُ إلاّ لِقتلِ علىٍّ.»

قالت:

- «فأنا ألتمسُ لك مَن يُساعدك على أمرِكَ.»

فطلبتْ له رجلاً من قومها، والتمس عبدُ الرّحمان آخَرَ، فصاروا ثلاثةً، وأخذوا أسيافَهم فى اللّيلة [37] الّتى واعَدَ عبدُالرّحمان بن مُلجمٍ أُصحابَهُ، وجلسُوا مُقابلى السُّدّة الّتى يخرجُ منها علىٌّ لِلصّلاة.

فلمّا خرج، ضربه ابن مُلجم، وأقرَنه[3]، وهرب، وتصايحَ النّاسُ، فأخِذَ ابن مُلجَم، وحُمل إلىٰ

١) فى الأصل: فقال (بالتذكير) وهو سهوٌ من الكاتب. وفى مط: فقالت، وهو الصّحيح. ٢) القَينةُ: الأمَةُ، صانعةً أو غير صانعة، وغلب على المُغنّية. والقَينةُ والمُقيِّنة: الماشطة الّتى تُزيِّن النِّساءَ. ٣) اقرنه: اقرنه، وقرنه أى: ضربه على قَرْنَىْ رأسه. وقَرْنُ الرّجل: حدُّ رأسه وجانبُه. والعبارة فى الطبرى (٦:٣٤٥٩): وضربه ابن مُلجَم فى قَرْنِه بالسّيف.

علىٌ.

فلمّا رءاهُ، قال:

- «أىْ عدُوّ الله! الم أحسن إليكَ؟»

قال:

- «بَلى.»

قال:

- «فما حَمَلكَ على هذا؟»

قال:

- «شَحذتُه أربعين صباحًا، فسألتُ الله أن يَقتلَ به شَرَّ خلقِه.»

فقال علىٌ:

- «لا أراكَ إلاّ مقتولاً به[1]، ولا أراكَ إلاّ شرّ خلقِ الله.»

ثمّ مات علىٌ بن أبى طالبٍ - عليه‌السّلام - وذلك فى شهر[2] رمضان سنة أربعين.

[قتلُ ابن ملجمٍ وحرقُه]

وأحضر الحسن بن علىٍ بن أبى طالب-عليهما السّلام-ابنَ مُلجَمٍ.فلمّا دخل عليه،قال:

- «هل لك فى خصلةٍ[3]؟ إنّى والله ما أعطيتُ اللهَ عهدًا إلاّ وَفَيتُ به، وكنتُ أعطيتُ اللهَ عهدًا عند الحطيم[4] أن اقتلَ معاويةَ وعليًا، أو أموتَ دونَهما، فإن شئتَ خلّيتَ بينى وبينَه، ولك اللهُ علىّ إن لم أقتُلْه، أو قتلتُه ثمّ بقيتُ، أن آتيَكَ حتّىٰ يدى فى يَدِك.»

فقال له الحسن:

- «أما والله، حتّى تُعاينَ النّارَ فلا!»

ثمّ قدّمهُ، فضربَ عنُقَهُ. ثمّ اخذهُ النّاسُ، فأدرجوهُ فى بَوارىّ[5]، ثمّ احرقوهُ بالنّارِ.

---

١) به: ليست فى مط. ٢) فى مط: شهر الله رمضان، بزيادة: «الله». ٣) الخصلة: خُلقٌ فى الانسان يكون فضيلةً أو رذيلةً. ٤) الحطيم: قال ابن عبّاس: الحطيم: الجدار، بمعنى جدار الكعبة. ابن سيدة: الحطيم حِجر مكّة ممّايلى الميزاب، سُمّى بذلك لانحطام النّاس عليه، وقيل: أنّهم كانوا يحلفون عنده فى الجاهليّة فيحطمُ الكاذب وهو ضعيفٌ. الأزهرى: الحطيم: الّذى فيه المرزابُ، وإنّما سُمّى حطيمًا، لأنّ البيت رُفعَ، وتُركَ ذلك محطومًا (لع). ٥) البوارىّ: جمعٌ مفرده البارىّ. والبارىّ والباريّة والبارياء: الحصير. (فارسىٌ معرّبٌ).

[ماكان من أمر بُرَك ومعاوية]

وأمّا البُرَك، فإنّه قعد لمعاويه، فلمّا [38] خرج للصّلاة، ضربه بالسّيف، فوقع فى ألْيَته[1]، فـأُخِذَ فقال:

- «إنّ عندى خبرًا أسُرُّكَ به، فإن أخبرتُك، أ ينفعنى ذلك؟»

قال:

- «نعم.»

قال:

- «إنّ عليًا قتله أخٌ لى فى هذه اللّيلةِ.»

وحدّثه الحديثَ.

قال:

- «فلعلّه لم يقدر على ذلك.»

قال:

- «بلىٰ، إنّ عليًا يخرج وحده، وليس معه مَن يحرسه.»

فأمر بِه معاويةُ، فضُربت عُنُقُهُ.

[ماكان من أمر عمرو بن بكر، وعمرو بن العاص]

وأمّا عمرُو بنُ بكرٍ فجلس لعمرو بن العاص، وكان اشتكىٰ بطنَه، فـأمر خـارجةَ بن أبى حبيبة، وكان على شُرَطِه، لِيُصلّىَ بالنّاس. فخـرج، وشـدّ عليه ابن بكـر، وهو يَرىٰ أنّه عَمرُو، فضـربه فقتله. فأخذهُ النّاس، فانطلقوا به إلى عَمرو، وسلّموا عليه بالإمرة، فقال:

- «مَن هذا؟»

قالوا[2]:

- «عَمرُو.»

قال:

- «فمَن قتلتُ؟»

قالوا:

---

[1]) الألْية: العجيزة، أو ماركبهـا من شحمٍ ولحمٍ.

[2]) فى الأصل: قال. فى مط: قالوا. فأثبتنا ما فى مط.

- «خارجة.»

قال:

- «والله يافاسق، ماظننته غيرَكَ.»

قال عمرُو:

- «أردتَنى، وأراد الله خارجةَ.»

وقدّمَهُ عمرُو، وقتله.

[ماقالته عائشةُ فى قتل علىٍّ]

ولمّا انتهىٰ إلى عائشة قتلُ علىٍّ، قالت:

فألقَتْ عَصاها واستَقَرّتْ بها النّوىٰ   كما قَرَّ عَيْنًا بِالإيابِ المُسافرُ

وقالت:

- «مَن قتلَهُ؟»

قيل:

- «رجلٌ من مرادٍ.»

قالت: [39]

فإنْ يَكُ نائيًا، فلَقَدْ نَعاهُ   نُعاةٌ ليسَ فى فيها التُّرابُ

اسماءُ كُتّاب علىِّ بنِ أبى طالبٍ صلواتُ اللهِ عليه

كتب له سعيد بن نَمران الهمدانى، وكان يكتب له عبد الله بن جعفر أيضًا، وعُبيد الله بن إبى رافع.

وحُكى عن عُبيد الله أنّه قال: كتبت بينَ يدى علىّ عليه السّلام ـ فقال:

- «ألِقْ[١] دواتَكَ، وأطِلْ سِنَّ قلمِكَ، وفَرِّج بين السُّطُور، وقَرمِط[٢] بين الحروف.»

وكُنّا ذكرنا أنّهُ استكتب زيادًا على خراج البصرة وديوانها لمّا استخلف ابن عبّاسٍ عليها. ولزياد سياساتٌ يصلح أن تُذكرَ فى هذا الكتاب، فإنّا إنّما نذكرُ كُتّابَ الخلفاءِ لأجلِ ماعَزَمْنا

١) ألِقْ: من قولهم: ألاقَ الدّواةَ: جعل لها لِيقةً، وأصلح مِدادَها. واللّيقة: صُوفة الدّواة، أو إذا بلّتْ.
٢) قَرمِطْ بين الحروف: إجعلْها متقاربةً.

علىٰ ذكر سياستهم، ولم يمضِ إلىٰ هذا الوقتِ أحدٌ منهم عُرفتْ له سياسةٌ غير زيادٍ، ونحن نذكر ذلك فى آخر أيّام مُعاوية، إن شاءَ اللهُ.

[بيعة الحسن بن على]

وبُويعَ الحسن بالخلافة فى سنة أربعين[١]، وأوّل مَن بايعهُ قيسُ بن سَعدٍ[٢]، وكان قيسُ على مقدّمة أهل العراق، ويقالُ: إنّهم كانوا أربعين ألفًا، بايعُوا عليًا على الموتِ.»

[نزع قيس]
[وتأمير عُبيد الله بن عبّاس]

ولمّا قُتل علىُّ، واستخلف [40] أهلُ العراق الحسنَ، كان الحسنُ لا يُريدُ القِتالَ، ولكنّه يُريدُ أن يأخُذَ لنفسه ما استطاع من مُعاوية، ثمّ يَدخُلَ فى الجماعة. وعرف الحسنُ أنّ قيس بن سعدٍ لا يُوافقُهُ على رَأيه، فنَزعَهُ، وأمَّرَ عُبيد الله بن عبّاسٍ، وعلم عُبيد الله بالّذى يُريدُ الحسنُ أن يأخذَ لِنفسِه. فكتب إلىٰ مُعاوية يَسألُهُ الأمانَ ويشترطُ لِنفسه على الأموال الّتى أصابَ، فشرط

---

١) أنظر الطّبرى ٧:١، والمسعودى ٤٢٦:٢، وابن الأثير ٤٠٢:٣.

٢) فى الطّبرى (٧:١): وقيل: إنّ أوّل من بايعه قيسُ بنُ سعدٍ، قال له:

ـ «ابسُطْ يَدَكَ أبايعْكَ على كتاب الله، وسنّة نبيّه، وقتال المُحلّين.»

فقال له الحسنُ ـ رضى الله عنه:

ـ «على كتاب الله وسنّة نبيّه، فإنّ ذلك يأتى من وَراء كلّ شرط.»

فبايعه، وسكت، وبايعه النّاسُ. وفى الطّبرى أيضًا: فطفق يشترط عليهم الحسن:

ـ «إنّكم سامعون، مطيعون، تُسالمون مَن سالمتُ، وتُحاربون مَن حاربتُ.»

فارتاب أهلُ العراق فى أمرهم، حين اشترط عليهم هذا الشّرط، وقالوا:

ـ «ما هذا لكم بصاحبٍ، وما يُريدُ هذا القتالَ...» (٥:٧).

له ذلك معاويةُ.

ذكر مَكيدةِ لِمُعاوية

يُقال: إنّ مُعاوية دسَّ إلىٰ عسكر الحسنِ بن علىٍّ، حين نزل المدائنَ، وعلىٰ مقدِّمته قيسُ بن سعدٍ فى اثنَىْ عشرَ ألفًا، وذلك قبلَ أن يَنزعَهُ، وكان مُعاويةُ أقبل من الشام، فنزلَ مَسكِنَ[١]، فدسَّ مُعاويةُ مَن نادىٰ فى عَسكر الحسن:

- «ألا إنّ قيس بنَ سعدٍ قدقُتِلَ، فانفروا!»

فنفروا بسرادق الحسن، حتّىٰ نازعُوهُ بِساطًا كان تَحتَهُ، وجَرحُوهُ، فخرج الحسن حتّىٰ نزل المقصورةَ البيضاءَ بالمَدائن.

[كتابُ كتبه الحسن إلى معاوية فى الصُلح]

وكتب حينَئذٍ الحسن بن علىٍّ إلىٰ مُعاوية يطلب الأمان، فقال الحسنُ للحسين وعبد الله بن جعفر:

- «إنّى كتبتُ إلى معاوية فى الصُلح.»

فقال له الحسين:

- «أنشدك اللهَ أن تصدِّقَ [41] أحدوثةَ معاويةَ، وتُكذِّبَ أحدوثةَ علىٍّ.»

فقال الحسن:

- «أسكُتْ، فإنّى أعلمُ بالأمر منكَ.»

واشترط الحسن على معاوية:

□ علىٰ أن يجعلَ له مافى بَيت ماله،

---

١) مَسْكِن (على وزن: مَسجِد): اصلُه: موضع السُكنىٰ، وذلك يُقال له ايضًا: مَسكَن، (بفتح الكاف)، قال: وهو موضعٌ من أوانا على نهر دُجَيل عند دير جاثليق، به كانت الوقعة بين عبدالملك بن مَروان، ومصعب بن الزُبير، وقُتل به مصعب، وقبرُه هناك. قلتُ [والقائل صاحب المراصد]: مسكن اسمٌ لِلطَّسُّوج الّذى منه أوانا من أعمال دُجَيل، والموضع الّذى به قبر مصعب على جانبٍ به الآن، وحِبَلٌ به الآن قريةٌ، ودير الجاثليق قريبٌ منه (مع).

□ وخراجَ دارابْجرد،

□ وعلى أن لا يُشتمَ عليٌ وهو يَسمعُ.

وكان الّذى فى بيت المال بالكوفة خمسة آلافِ ألفٍ. [٥٠٠٠,٠٠٠]

ذكرُ حيلةٍ واتّفاقٍ طريفٍ فى هذا الشرط

كان معاويةُ أرسلَ قبلَ أن تَرِدَ عليه صحيفةُ الحسن بالشرط، بصحيفةٍ بَيضاءَ مختُومٍ[١] على أسفلها، وكتب إليه أن:

ـ «إشترطْ فى هذه الصَّحيفة الّتى خَتمتُ أسفلَها ماشِئتَ، فهو لكَ.»

ولمّا أتتِ الحسنَ هذه الصَّحيفةُ، اشترَطَ فيها أضعافَ الشُروطِ الّتى كان سَألَها قبلَ ذلك، وأمسكها عندهُ، وأمسك معاويةُ صحيفةَ الحسن الّتى كان كتبَها. فلمّا التقى معاويةُ والحسنُ، سَألَهُ الحسنُ أن يُعطِيَهُ الشُروطَ الّتى فى السِّجلِّ الّذى ختمهُ مُعاويةُ فى أسفله، فأبى مُعاويةُ أن يُعطِيَهُ، وقال:

ـ «مالَكَ إلاّ ما سَألْتَنيه بخطِّكَ.»

فاختلفا، وتنازعا، ولم يُنفِّذْ للحسن من تلكَ الشُروط شيئًا.

[مُعاويةُ يَكايدُ قيسَ بنَ سعدٍ]

ثمّ إنّ النّاس اجتمعوا إلىٰ قيس بن سعدٍ، وتعاقدوا [42] علىٰ قتال معاوية. فلمّا فرغ معاوية من عُبيد الله والحَسن، خلص إلى مُكايَدةِ رجلٍ هو أهمٌ إليه، وأبلغُ مكيدةً، ومعه أربعون ألفًا. فراسَلَهُ يُذكِّرُهُ باللهِ، ويقول لهُ:

ـ «علىٰ طاعة مَن تُقاتلُ؟ قد بايعنى الّذى أعطيتَهُ طاعتَكَ.»

وأبىٰ قيسُ أن يَلينَ لهُ حتّىٰ بعث إليه مُعاوية بِسجلٍّ ختم فى أسفله، وقال:

ـ «أكتبْ ماشِئتَ فى هذا السِّجلِّ، فهو لك.»

---

١) كذا فى الاصل ومط والطبرى (٧:٥): مختوم. وفى هامش الطبرى: مختومة.

واشترط قيسٌ لهُ ولشيعة علىٍّ الأمانَ، على ما أصابُوا من الدّماءِ، والأموال، ولم يَسأَلْ معاويةَ فى سِجلّه ذلك مالاً، فأعطاهُ معاويةُ ذلك.

[الدُهاة الخمسة]

وكان قيسُ يُعدُ فى الدُهاةِ، وكانوا خمسةً يومئذٍ، وهم: مُعاويةُ، وعمرُ بنُ العاصِ، والمغيرةُ ابن شُعبة، وقيسُ بنُ سَعدٍ، وعبدُالله بن بُديلٍ. وكان قيسٌ [و][1]عبدُالله بن بُدَيلٍ مع علىٍّ، والمغيرةُ بن شعبةَ معتزلاً بالطائف، حتَىٰ حُكْم الحَكَمان.

[ماقاله الحَسن بن علىٍّ فى خُطبتِهِ بعدَ الصُلح
وقبل أن يغادر الكوفة إلى المدينة]

ولمّا تمّ الصُلح بين الحسن ومعاوية، قام الحسنُ فى النّاسِ خطيبًا بالكوفة[2]، فقال:

ـ «يا أهلَ العراق! إنَهُ سَخَىٰ[3] بنفسى عنكم ثلاثٌ: قتلُكم أبى، وطَعنُكم إيَّاىَ، وانتهابُكم مَتاعى.»

وبَرأَ الحسنُ مِن جراحته، فتحوَلَ إلى المدينةِ، وحال أهلُ البَصرةِ بَينَهُ وبينَ خراج [43] دارابجرد، وقالوا:

ـ «فَيْئُنا.[4]»

ولمّا دخل المدينةَ[5]، تلقّاهُ ناسٌ، فصاحُوا:

ـ «يامُذِلّ العَرَبِ!»

---

١) فى الأصل: قيس بن عبدالله بن بُديل، وهو سهو من الكاتب، وصحّحناه كما فى مط والطّبرى ٧:٨. ٢) وأمّا حسب الطّبرى (٧:٩) فإنّ الخطبة هذه، خطبها الحسن بِمَسكِن، حيث تمّ الصُلح، ثمّ دخل الكوفة بمَن معه، وبَرأ هناك ثمّ تحوّل إلى المدينة. ٣) فى مط: نحّى بنفسه! فى الطبرى كما فى الأصل: سخّى بنفسى. سخّى نفسه، وبنفسه عن كذا: حمَلها على تركه، وعدمِ النُزوع إليه. ٤) فى الأصل ومط: فينا. والتّصحيح من الطّبرى ٧:٩.
٥) فى الطبرى (٧:٩): فلمّا خرج إلى المدينة، تلقّاهُ ناسٌ بالقادسيّة، فقالوا:
ـ «يا مُذِلّ لعرب!»

مصادر التصدير والتَّحقيق

تشمل هذه القائمة المصادر الّتى استفدنا منها فى تصدير الكتاب وتحقيق نصّه، كما تشمل الرُّموز الّتى وضعناها لبعض هذه المصادر، (باستثناءِ رموز المخطوطات المذكورة فى مكانها)، وجعلناها بين هلالين تجدهما ضمن شرح كلّ مصدر له رمزٌ.

إبن ابى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطبّاءِ. بيروت مكتبة الحياة، ١٩٦٥ م.؛ بيروت، دارالفكر ١٩٥٧؛ بيروت، المطبعة الوهبية. ١٨٨٢ م.

ابن خلدون: كتاب العبر. ١٤ ج، بيروت. دارالكتاب اللبنانى ١٩٨٢ م.

إبن منظور: لسان العرب (لع). الطبعة الخديوية، بولاق ١٣٠٠ أوفسيت إيران ١٤٠٥ ه ؛ نشرة يوسف خياط ونديم مرعشلى، أوفسيت طهران، بدون تاريخ.

أبوريحان البيرونى: الآثار الباقية. نشرة زاخاو. ليبزيك ١٩٢٣ م.

أردشير بابكان: عهد اردشير. حققَّه وقدَّم له الدكتور احسان عباس(رب، غ، ر، كم) بيروت، دارصادر ١٩٦٧ م.

الأصمعى، عبدالملك بن قريب: تاريخ العرب قبل الإسلام. نشرة آل ياسين. بغداد، المكتبة العلميّة، مكتبة المعارف، ١٩٥٩ م.

بدوى، الدكتور عبدالرحمن: مقدمته لجاويدان خرد (الحكمة الخالدة). القاهرة ١٩٥٢ م. طهران، ١٣٥٨ ه . ش.

الگود: تاريخ پزشكى ايران، ترجمه محسن جاويدان. تهران، اقبال ١٣٥٢ ه . ش.

البغدادى، صفى‌الدين عبدالمؤمن: مراصد الإطلاع (مع). نشرة محمد البجاوى. القاهرة،

۱۹٥٤ م.
بلعمی: ترجمه تاریخ طبری. باهتمام دکتر مشکور. تهران ۱۳۳۷ هـ . ش.
بهار، محمدتقی: سبك‌شناسی، (بس). ط ۳، تهران، پرستو ۱۳٤۹ هـ . ش.
بهار، مرداد: واژه‌نامه بندهش (ب) تهران انتشارات بنیاد فرهنگ ایران، ۱۳٤٥ هـ . ش.
البیهقی، ظهیرالدین: مخطوطة تاریخ حکماءِ الإسلام. دارالکتب رقم ۳٦٦٦.
پورپارسی،مهربان گشتاسب:گنجینه‌نامهایِ ایران(گ).تهران،فاروس ایران،۱۳٥۰ هـ .ش.
پورداود، ابراهیم: یشتها (ید) تهران، طهوری، ط ۲، ۱۳٤۷ هـ . ش.
پیرنیا، مشیرالدولة: ایران باستان (یب). تهران، ابن‌سینا، ۱۳٤٤ هـ . ش.
تبریزی، محمدحسین بن خلف: برهان قاطع (بق). نشرة الدکتور معین، تهران، ۱۳۳۰-۱۳٤۲ هـ .ش.
التوحیدی، الإمتاع والمؤانسة. نشرة أحمد أمین. القاهرة، لجنة التألیف والترجمة والنشر ۱۹٤۲ - ۱۹۳۹ م.
التوحیدی: الصداقة والصدیق. نشرة کیلانی، دمشق ۱۹٦٤ م.
التوحیدی: مثالب الوزیرین. نشرة کیلانی، دمشق، ۱۹٦۱ م.
التوحیدی: المقابسات. نشرة السندوبی، القاهرة ۱۹۲۹ م.
الثعالبی: تتمة الیتیمة. نشرة عباس اقبال، تهران ۱۳٥۳ هـ . ق.
الثعالبی: یتیمة الدهر. دمشق (عصر السلطان عبدالحمید).
الثعالبی المرغنی: غرر أخبار ملوك الفرس وسیرهم. نشرة زوتنبرگ، طهران، أسدی (بالأوفسیت)، ۱۹٦۳ م.
جاد المولی، محمد: أیّام العرب فی الجاهلیة والإسلام. ط ۳، القاهرة، ۱۹٦٤ م.
جواد علی (الدکتور): المفصّل فی تاریخ العرب قبل الإسلام. بیروت ـ بغداد، ۱۹٦۸ م.
حمزة الاصفهانی: تاریخ سنی ملوك الأرض والأنبیاء. برلین مطبعة کاویانی، ۱۳٤۰ هـ . ش.
الخوارزمی، أبوبکر: رسائل الخوارزمی. المطبعة العثمانیة، ۱۳۱۲ هـ ، قسطنطنیة.
الخوانساری، محمدباقر الموسوی الاصبهانی: روضات الجنات فی أحوال العلماءِ والسادات. تهران، اسماعیلیان ۱۳۹۰ هـ .
دائرةالمعارف الإسلامیّة (الطبعة العربیة)، مقالة «ابن مسکویه».
دارمستتر: تتبعات ایرانی (دات).

دانش‌پژوه، الدکتور محمدتقی، جاویدان خرد مشکویه رازی، مقدمه. تهران، انتشارات دانشگاه، ١٣٥٩ هـ . ش.
دهخدا: لغتنامه (لد). [الموسوعة اللغويّة الإیرانیة].
دانشنامه ایران و اسلام: «ابن مسکویه». تهران، بنگاه ترجمه و نشر کتاب، ١٣٥٤ هـ . ش.
الروذ راوی، أبوشجاع ظهیرالدین: ذیل کتاب تجارب‌الأمم. القاهرة ١٩١٦ م.
روزنتال: علم التاریخ عندالمسلمین. ترجمة الدکتور صالح العلی، بغداد، المثنی ـ فرانکلین ١٩٦٣ م.
زریاب خویی، دکتر عباس: مقاله مورخان ایران در دورهٔ اسلام. (در مجموعه: گوشه‌ای از تاریخ تحول علوم در ایران)، تهران، وزارت علوم، ١٣٥٠ هـ . ش.
زرّین‌کوب، دکتر عبدالحسین: تاریخ درترازو. تهران، امیرکبیر ١٣٥٤ هـ .ش.
زنجانی، میرزا ابوطالب موسوی: کیمیای سعادت [ترجمة تهذیب الأخلاق]. تهران ١٣٢٠ هـ . الشهرزوری: نزهة الأرواح. النّص الخاص لمسکویه المنشور عند الدکتور عزیز عزّت.
صفا، دکتر ذبیح‌اله: حماسه‌سرایی در ایران (حص). ط ٣، تهران امیرکبیر ١٣٥٢ هـ . ش.
الطبری: تاریخ الرسل والملوك، دی‌خویه، لیدن ١٨٨١-١٨٧٢ م.
الطهرانی: الذریعة إلی تصانیف الشیعه. ٢٥ ج، طهران، ١٩٧٨-١٩٦٨ م.
العاملی، السید محسن الأمین: أعیان الشیعة. دمشق، مطبعة إبن زیدون ١٩٣٨ م.
عزّت، الدکتور عبدالعزیز: «ابن» مسکویه و فلسفته الأخلاقیة و مصادرها. القاهرة، ١٩٤٦ م.
فردوسی: شاهنامه. (شا)، تصحیح برتلس. مسکو، انستیتوی ملل آسیا، ١٩٦٦ م.
فره‌وشی، دکتر بهرام: فرهنگ پهلوی (فره). ط ٢، تهران انتشارات دانشگاه ١٣٥٢ هـ .ش؛ فرهنگ فارسی به پهلوی (فره). تهران، انجمن آثار ملی ١٣٥٢ هـ . ش.
القاضی وکیع: کتاب الغرر (غ). من مخطوطات مکتبة خیرالدین الزرکلی، نقلا عن احسان عباس فی تعالیق عهد اردشیر.
القفطی: تاریخ الحکماء. (وهو مختصر الزوزنی المسمّی بالمنتخبات الملتقطات من کتاب إخبار العلماءِ بأخبار الحکماءِ لجمال‌الدین علی بن یوسف القفطی)، نشرة Lippert، لیدن ١٩٠٣ م.
کریستنسن، آرتور: ایران در زمان ساسانیان (کسا). ترجمه رشید یاسمی، ط ٤، تهران، ابن‌سینا، ١٣٥١ هـ . ش.

كريستنسن، آرتور: كيانيان. ترجمه دكتر ذبيح‌الله صفا. تهران، بنگاه ترجمه و نشر ١٣٣٦ هـ .ش.
كريمان، دكتر حسين: رى باستان. تهران، انجمن آثار ملى ١٣٤٩ هـ . ش.
گرديزى: زين الأخبار. تصحيح و تحشيه. عبدالحى، تهران، انتشارات بنياد فرهنگ ايران، ١٣٤٧ هـ . ش.
لسترنج: جغرافياى تاريخى سرزمينهاى خلافت شرقى (لج). ترجمه محمود عرفان، تهران، بنگاه ترجمه و نشر، ١٣٣٧ هـ . ش.
لغات شاهنامه (لش) [مفردات الشاهنامه للفردوسى]
المبرد، أبوالعباس: الكامل (كم). تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم. القاهرة ١٩٥٦.
متز: الحضارة الإسلاميّة فى القرن الرابع الهجرى. نقله إلى العربية أبوريدة. القاهرة ١٩٤٠-٤١ أيضًا: بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٦٧ م.
محقق، دكتر مهدى: فيلسوف رى، محمد بن زكرياى رازى. تهران ١٣٥٣.
محمدرضا: متن اللغة (مل). بيروت، دار مكتبة الحياة ١٩٥٨ م.
محمدى، دكتر محمد: الترجمة والنقل عن الفارسية فى القرون الإسلامية الأولى. الجزء الأوّل: كتاب التاج والآيين. بيروت، الجامعة اللبنانية، ١٩٦٤ م.
مدرس، محمدعلى: ريحانة الأدب. تهران، خيام ١٣٤٩ هـ . ش.
المسعودى: مروج الذهب. نشرة أسعد داغر. بيروت، دارالأندلس (عن طبعة باربيه دى‌مينار) ١٩٦٥ م.
مسكويه: تجارب‌الأمم (ج ٥، ٦). نشرة أيمدروز. القاهرة، مكتبة التمدن ١٩١٤-١٩١٦، أوفسيت بغداد ١٩٥٦ م.
مسكويه: تجارب‌الأمم. نشرة كيتانى الفتوغرافية. (ج ١، ٥، ٦)، ليدن، ١٩٠٩-١٩١٧ م.
مسكويه: تهذيب الأخلاق. مصر، ١٣٢٩ هـ . ق.
مسكويه: جاويدان خرد (الحكمة الخالدة). نشرة الدكتور عبدالرحمن بدوى. القاهرة ١٩٥٢ م. طهران ١٣٥٨ هـ .ش.
مسكويه: رسالة فى ماهيّة العدل. نشرة خان، ليدن، ١٩٦٠ م.
مسكويه: الفوز الأصغر، مصر ١٣٢٥ هـ .ق.
مسكويه: الهوامل والشوامل. نشرة أحمد أمين وصقر. القاهرة، لجنة التاليف والترجمة ١٩٥١ م.
مشكور، دكتر محمدجواد: ايران در عهد باستان (ماب). تهران، ط ٢ ١٣٤٧ هـ . ش.

مشکور: دکتر محمدجواد: فرهنگ تطبیقی عربی با زبانهای سامی و ایرانی (مف). تهران، بنیاد فرهنگ ایران، ۱۳۵۷.

معین، دکتر محمد: حواشی برهان قاطع (حب)؛ (لف: لغت‌فرس) تهـران ۱۳۳۰-۱۳۴۲، هـ .ش.

معین، دکتر محمد: فرهنگ فارسی (فم). تهران، امیرکبیر، ط ٤، ١٣٦٠ هـ . ش.

المقدسی: أحسن التقاسیم فی معرفة الأقالیم. ط ۲، لیدن ١٩٠٦ م.

المنطقی، ابوسلیمان: صـوان الحکمة. تحقیق الدکتور عبدالرحمن بدوی. ط ۲، طهـران، بنیاد فرهنگ ایران، ١٩٧٤ م.

مینوی، مجتبی: مقدمه اخلاق ناصری. تهران، انتشارات خوارزمی ١٣٥٦ هـ . ش.

نفیسی، سعید: زندگی و کار پورسینا، تهران، دانش ١٣٥٥ هـ . ش.

هلال الصابی: قطعة من تاریخه المنشور مع ذیل کتاب تجارب‌الأمم. القـاهرة، شـرکة التمدن ١٩١٦ م.

یاقوت: معجم الأدباء (یا). نشـرة مرجـولیوث. ط ١، القــاهرة ١٩٠٧ م، ط ٢ (بالأوفســیت) بیروت ١٩٢٢ م.

الیسوعی، الأب لویس: المنجد فی اللغة والأعلام (مع، أم).

Amedroz; Note on the Historian. ⟶ Caetani.

Ansari M. Abdul-Haq: the Ethical Philosophy of Miskawayh, Aligarh. 1964.

Arkoun: Contribution à l'Etude de l'Umanisme Arab, Miskawayh: Philosophe et Historian. Paris, 1973.

Arkoun: Deux Epitres de Miskawagh. Damas, Bulletin d' Etudes Orientales, Institute Francais, de Damas, XVII, 1961-62.

Arkoun: Traité d'Ethique, Traduction Francaise avec Introduction et Note du Tahdib al Ahlaq de Miskawayh. Damas, 1969.

Caetani: Preface, Tajarib al Omam. Reproduced in Facsimile from the MS. at Constantinople, Laden-London, 1913-1917.

Christensen: L'Iran Sous le Sassanides (S.I.S.) Kobenhavan, 1932.

Christensen: le Roi Kavadh, (C.R.K.) Kobenhavan, 1925.

De Goeje: Fragmenta Historicorum, Leyde 1871, t. II.

Frye: The Cambridge History of Islam. vol. 4, London, 1975.

Justy: Iranisches Namenbuch 1963.
Khan, M.S.: An Unpublished Treatise of Miskawayh on Justice: Risala fi Mahiyat al 'Adl. Leiden, 1964.
Le Strange: Prefatory Note Caetani
Margolyouth: the Eclipse of Abbasid Caliphate, Preface, London, 1921.
Sezgin (F.): Geschichte des Arabischen, Schriftums.

الفهارس العامّة لهذا الجزء والأجزاء الأُخرى
سنقدّمها فى مجلّدٍ خاصٍ
بعد الفراغ من طبع الكتاب بكامله.

MISKAWAYH

(932-1030)

TAJARIB AL-UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED

by

A. Emami, Ph.D.

Vol. 1

Soroush Press

1987

P.O. Box 15875-1163 Tehran, IRAN

Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University